

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجبالي ليابس - سيدي بلعباس -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الإنسانية

البعث الإسلامي في الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية.

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر.

إشراف الأستاذ:

أ.د/ محمد مجاود

إعداد الطالب:

لعرج جبران

أعضاء لجنة المناقشة:

| | | | |
|-----------------------------|----------------------|-------------------|----------------|
| أ.د/ علي بن حويذقة | أستاذ التعليم العالي | جامعة سيدي بلعباس | رئيساً |
| أ.د/ محمد مجاود | أستاذ التعليم العالي | جامعة سيدي بلعباس | مشرفاً و مقررأ |
| أ.د/ دحو فغرور | أستاذ التعليم العالي | جامعة وهران 1 | مناقشأ |
| أ.د/ جباله بلوفة عبد القادر | أستاذ التعليم العالي | جامعة تلمسان | مناقشأ |
| د/ ميلود تيزي | أستاذ محاضر (أ) | جامعة سيدي بلعباس | مناقشأ |
| د/ حكيم بن الشيخ | أستاذ محاضر (أ) | جامعة المدية | مناقشأ |

السنة الجامعية : 1437-1438هـ / 2016-2017 م

مقدمة

لقد تخمرت على مدى السنوات فكرة الجهاد و قتال المستعمر الذي اغتصب الأرض و احتقر الجزائريين و استعبدهم، فظهرت في شكل مقاومات شعبية مسلّحة منذ دخول الاستعمار و إلى غاية تقريبا نهاية الحرب العالمية الأولى، ثم بدأت تتقد أكثر فأكثر شعلتها عن طريق فكرة الوطنية و الأمة و الاستقلال و الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية التي جاءت على لسان و أقلام قادة الأحزاب الوطنية في ظل الحركة الوطنية ما بين 1919

و 1954، إلى غاية بروز اللحظة المناسبة و الجو الملائم لاندلاع الثورة التحريرية التي وجدت في الظروف الدولية و الإقليمية و المحلية التي كانت تحيط بها سنة 1954 الوقت المناسب لانطلاق شرارتها و انتشار شعلتها بين أوساط الجماهير الشعبية.

لقد كثرت الدراسات و البحوث التي عاجلت تاريخ الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية من جانب أو من جوانب متعددة، و على كثرتها و تنوعها بقي هذا المجال بكرا يحتاج للمزيد من الدراسات العلمية و البحوث الأكاديمية التي ستضيف لا محالة قيما جديدة إليه.

و قد بدأ المؤرخ الجزائري يعي حقيقة هذا الأمر ، و بخاصة الدراسات التي تعنى بالجانب الروحي و العقدي للحركة الوطنية و الثورة الجزائرية، و يعتبر الأستاذ الدكتور محمد مجاود واحدا من هؤلاء المؤرخين الذين دافعوا عن مثل هكذا أطروحات و جعلوا منها مشاريع لدراسات معمقة و جادة. و قد تفتن الكثير من طينة هذا المؤرخ إلى ضرورة الاستعجال في وضع مشاريع تخدم التاريخ الوطني، و محاولة صنع جيل يساهم في كتابة تاريخه الوطني.

و بتعلي الصيحات هنا و هناك لضرورة وضع الحركة الوطنية و بخاصة الثورة التحريرية في مسارها الحقيقي و تبيان أبعادها الروحية و دور الإسلام فيها، ارتأينا معالجة موضوع البعد الإسلامي في الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية.

إن من القضايا الجديدة بالاهتمام في تاريخ بلادنا البعد الإسلامي في الحركة الوطنية و الثورة التحريرية، والخلفية العقدي لنضالها ضد الاستعمار الفرنسي، و آثار التأيد الرباني للمجاهدين في أرض القتال، وهذا أمر قد تجلّى في شهادات الكثير من المجاهدين و في كتابات المؤرخين و الباحثين.

بحثنا هذا ما هو إلا محاولة للكشف عن البعد الإسلامي في الحركة الوطنية و الثورة التحريرية من خلال أدبيات الحركة الوطنية و موثيق الثورة الجزائرية، و الكثير من مواقف المجاهدين أثناء معارك التحرير، و من آيات التأيد الرباني للجزائر في حربها المقدسة ضد الاحتلال الفرنسي. و انطلاقا من الآيات القرآنية الكريمة، و أدبيات الحركة الوطنية، و موثيق الثورة، و وقائع و شواهد تاريخية، و أرشيف الحركة الوطنية و الثورة ، و شهادات لبعض المجاهدين، و العديد من الدراسات التاريخية للكثير من المؤرخين و الأساتذة قد نسجت خيوط هذه الدراسة و فصولها التي نهدف من ورائها تبيان أثر الإسلام و الإيمان في إحراز النصر و تحقيق الغلبة على العدو الفرنسي و من تم تحقيق الاستقلال.

كما يعتبر التركيز على البعد الديني فيما يخص إيديولوجية الحركة الوطنية من العناصر المهمة بمكان لتتبع مسارها ، و تحليل مضامينها العقديّة. و عليه فإن معظم الدارسين و الباحثين في حقل الحركة الوطنية الجزائرية خصوصا و المغاربية

عموما، ركّزوا جلّ اهتمامهم و تفكيرهم على الإيديولوجية المتبنّاة من قبل كلّ الأحزاب و الحركات المدروسة، و مدى علاقة هذه الأخيرة مع الدين و العقيدة.

إنّ الفترة الممتدة بين 1919 و 1962 م تمثل جزءا مهما من تاريخنا الوطني، بل و من تاريخ حركات التحرر الوطنية في العالم، فقد برزت من خلالها قيم و مفاهيم عبرت عن أبعاد كثيرة، لعل أبرزها البعد الإسلامي الذي يميز الشخصية الوطنية الجزائرية.

و على هذا تأتي هذه الدّراسة بغرض المساهمة في بناء التاريخ الوطني و الوقوف عند محطات مهمة من تاريخ الحركة الوطنية و الثّورة التحريرية، و كذلك تحليل مسارات الحركة الوطنية و بخاصة التّيار الاستقلالي المتمثل في نجم شمال إفريقيا/ حزب الشعب / حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، و التّيار الإصلاحي المتمثل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و هذا من أجل الوصول إلى نتائج تجلّينا ندرك المعنى الإجمالي لهذه الفترة التي تأتي كمرحلة ممهّدة للكفاح المسلح، من جانب، و من جانب آخر تحليل أهم وثائق و موثيق الثّورة الجزائرية و الغوص في مكنوناتها بغرض استنتاج الحقائق و معرفة مدى تأثير البعد الإسلامي على منهاج و مبادئ الثّورة التحريرية.

و كان التركيز على البعد الإسلامي في الحركة الوطنية و الثّورة الجزائرية بهدف تبيان أهمية الدّين في حياة المجتمع و قيمه الفاعلة و المؤثرة و مقدرته على توجيه الثّورة التحريرية بصفة خاصة و الشّعب الجزائري بصفة عامة. كما تأتي هذه الدراسة لتساهم و لو بجزء صغير في كتابة تاريخ الجزائر الذي لا زال يحتاج للكثير من الدراسات و البحوث الأكاديمية الجادة لفهمه و كشف بعض الحقائق التي ما زالت تنتظر اللحظة المناسبة للبروز و الظهور.

و من العوامل التي دفعتنا للاختيار هذا الموضوع يمكن الإشارة إلى:

- لعل أهم سبب يدفع الباحث أو الدّارس نحو ولوج عالم البحث و التنقيب التاريخي هو حبّه للمعرفة و شكّه الإيجابي في كل معلومة يحصل عليها أو يسمع عنها، و من هنا وجدنا المشكك في كل معرفة يدفع دفعا نحو تقصي الحقيقة التاريخية و تبيان العوامل التي كانت من ورائها و النتائج التي نتجت عنها. كما أنّ اعتناء الباحث بتاريخ بلاده الوطني مكمنه ذلك الاهتمام بعناية تاريخها و صيانتها مثل ما يعتني بمقومات وجوده المادية، على اعتبار أنّ التّاريخ هو الوجود المعنوي للشّعب، و مبعث الفخر و العزة.
- كما أنّ أحد أهم الأسباب التي حفزتنا لامتهان هذه الحرفة هو وجود الكثير من الأفكار التي تنادي بضرورة قطع الصلة مع الماضي، بل الحث على الثّورة عليه، بدعوى الثّورة على المخلفات و البدء من جديد من أول درجة السّلم، أسوة بالكثير من التوجهات و المدارس الفكرية، كالمادية التاريخية مثلا.

● كذلك فإن من بين الأسباب التي دفعتنا للاعتناء بدراسة التاريخ عموما و تاريخ الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية خصوصا، هو ما سمعناه من أفواه أساتذتنا الكرام حول أهمية التاريخ في صنع الحضارات و الأمم، و بالمقابل خطورة النسيان و نكران الجميل لمن صنعوا بدمائهم و أموالهم و جهودهم هذا التاريخ، فكان لزاما علينا تخليد ذكراهم و الوقوف على مآثرهم ردا للجميل و حفظا للأمانة و صونا للتاريخ.

● إن الاستقلال الوطني ثمين جدا، و أئمن منه تلك الروح التي أوجدته، روح الجهاد، و إذا كان من واجبا المحافظة على هذا الاستقلال، فإنه من باب الأوجب أن نصون عوامل وجوده بدراستها و الكتابة عنها. و عليه كان لزاما على الباحثين السعي لتغيير الدهنيات و تنوير العقول و تثبيت جذور التاريخ الوطني في نفوس أبنائنا و أحفادنا.

و من هذه المنطلقات جاءت إشكالية البحث على النحو الآتي: هل يشكل البعد الإسلامي رافدا من روافد الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية؟

و بغرض الإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على فرضيتين أساسيتين هما:

- ربما يشكل البعد الإسلامي رافدا من روافد الحركة الوطنية و الثورة.
- ربما لا يشكل رافدا و ابتعد كل من التيار الاستقلالي و التيار الإصلاحي محل الدراسة عنه، كما ابتعدت الثورة كذلك.

كما اعتمدنا على جملة من الأسئلة الفرعية المرتبطة بالإشكالية و هي:

- ما هو واقع النضال السياسي بالجزائر ما بين 1909/1919؟ كيف تعاملت التيارات الجزائرية مع واقع الحرب العالمية الثانية 1939/1945؟ كيف أثرت مجازر 8 ماي 1945 على الحركة الوطنية؟ و كيف تم إعادة تحديد البناء فيها؟ كيف ظهرت اللجنة الثورية للوحدة و العمل؟ و ما دورها في تسريع عملية اندلاع الثورة التحريرية؟
- هل يمتلك دعاة استرجاع الاستقلال فكرا و إيديولوجية محددة يستندون عليها في بناء الدولة الوطنية أم يستهدفون فقط استرجاع الاستقلال الوطني مع تأجيل المسائل الأيديولوجية و الفكرية إلى ما بعد تحقيق ذلك؟ و إن كانوا يمتلكون فعلا فكرا و إيديولوجية، فما هي مرجعية و خصوصيات هذا الفكر؟ و ما هي العوامل التي تحدده؟
- كيف تجلّى البعد الإسلامي في أدبيات الجمعية؟ و هل حقيقة أن الشيخ ابن باديس بشر الجهاد؟ و إن كان كذلك فكيف أعد عدته؟ كيف خاضت الجمعية صراعها من أجل الإسلام؟

ما هي أبرز المبادئ التي أسست عليها الثورة أفكارها و توجهاتها؟ و هل ترى هل مارست الثورة التحريرية الجهاد الشرعي المبني على الأسس الإسلامية؟

- هل تضمن نص وثيقة الصّومام ما يدلّ على البعد الإسلاميّ أم انخرّف عن ما جاء به بيان أول نوفمبر في هذا الصدد؟

- هل يتطابق محتوى برنامج طرابلس مع ما جاء في بيان أول نوفمبر؟ أم هو مشروع جديد جاء نتيجة التطورات التي حصلت أثناء الثّورة؟ و هل حقيقة ابتعد البرنامج عن مبادئ الدولة الإسلامية التي نادى بها بيان أول نوفمبر؟ أم حافظ على الجوهر و غير الأطروحات و الأسلوب؟

- كيف يبرز البعد الإسلاميّ في الثورة التحريرية؟ و ما هي أهم القيم الروحية و المصطلحات المحسدة لذلك؟ ما هي أهم مظاهر الجهاد الإسلاميّ أثناء الثورة التحريرية؟

على الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت تاريخ الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية و بخاصة ما تعلق بأدبياتها فإن إشكاليات عديدة تبقى محل طرح في المنهج المعتمد و المعرفة المكتسبة من ورائها، و ربما يرجع ذلك بالأساس إلى التناول الإيديولوجي لتاريخ هذه الفترة من تاريخنا الوطني، و كذا الاهتمام الجزئي بالموضوعات. كما أن الكثير من الدّراسات و الكتابات جاءت غير متخصصة، في موضوع الدراسة، لا تساعدنا في عرض أحداث الحركة الوطنية و الثورة بمنهجية علمية و لا تساعدنا في فهم و استيعاب الكثير من القضايا.

و من أجل مناقشة إشكالية الدّراسة و من خلال الإجابة عن الأسئلة السابقة، اعتمدنا على المنهج التاريخي مع الاستعانة بمناهج أخرى.

و لقد حاولنا بقدر المستطاع و في حدود ما تسمح به الموضوعية العلمية أن نستقرئ الوثائق و النصوص و أن نضعها في سياقها التاريخي، متجنبين ما أمكننا الجهد، إصدار الأحكام المطلقة دون نص أو شاهد، كما حاولنا التأمّي في استنتاج النتائج دون ثابت تاريخي يؤكّد أو ينفي تلك النتائج. و لم ننصّب في ذلك كلّ أنفسنا رقباء على آراء الأساتذة و علماء التاريخ مهما كان توجهها. و كيف لنا أن ننصّب أنفسنا رقباء على أعمالهم، و لم نبلغ ما بلغوا من فهم و تحليل، فرؤيتهم بعيدة عن منالنا و اللّغة و الخطاب كما يقال حجاب. و العقول مهما سمت - كما يقول أحد الفلاسفة- بناء إلى عوالم الغيب، فإنها تبقى كليلة تقف واجمة حائرة دون مراميهم و غاياتهم.

و رغم قلة - لكي لا أقول انعدام- المصادر و المراجع و بخاصة الدراسات الأكاديمية التي تناولت الجانب الروحي و البعد الإسلاميّ للحركة الوطنية و الثورة التحريرية بشكل مباشر، إلا أننا عثرنا على مطلبنا و غايتنا في الكثير من

المعلومات و المعارف و الأحداث التي تم تدوينها هنا و هناك في الشهادات و المذكرات و الكتب و الدراسات الجامعية و المقالات التي اتخذناها أساس دراستنا و منابع نستقي منها ما يخدم موضوعنا. و بدأت المحاولات الأولى لفك ألغاز هذا البحث و معمياته من خلال محاولاتنا الاستفادة شاكرين جهود من سبقونا و نفعونا بعلمهم و تجاربهم، فهم في هذا المجال أصحاب السبق و الفضل علينا. لقد جعل الدكتور أبو القاسم سعد الله، سنة 1830، كبداية لبروز الحركة الوطنية، حيث قسم دراسته الحركة الوطنية الجزائرية إلى ثلاثة أجزاء؛ الجزء الأول يبدأ من 1830 و ينتهي إلى سنة 1900، و أما الجزء الثاني فمن 1900 إلى 1930، و الجزء الثالث فيبدأ من سنة 1930 و ينتهي عند سنة 1945؛ و بهذا يعتبر الأستاذ أن بداية الحركة الوطنية كان مع أولى المصادمات التي حصلت مع الاحتلال الفرنسي حيث تحلت حكومة الداوي حسين عن الشعب و تركته وحيدا يواجه الغزاة. و لقد أفادنا الجزء الأول من هذه الدراسة في التعرف على مختلف جبهات المقاومة التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و بخاصة من 1830 إلى 1860، وكذلك التعرف على المقاومة المدنية و السياسية و العسكرية. أما الجزء الثالث فقد استطعنا من خلاله الوقوف على مشاريع فرنسا في الجزائر و معرفة تطور واقع الحركة الوطنية و بخاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و نجم شمال إفريقيا و حزب الشعب الجزائري، و كذلك الوقوف على أحداث المؤتمر الإسلامي.

تعتبر دراسات و كتب الأستاذ الدكتور يحي بعزير من الدراسات الهامة التي اعتمدنا عليها، و بخاصة كتاب الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية 1948/1912، الذي أفادنا في التعرف على إرهابات الحركة الوطنية في القرن العشرين و الاتجاهات الوطنية المختلفة، و كذلك وقفنا من خلاله على محطات المؤتمر الإسلامي و مطالبه. أما كتابه الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية، فقد استطعنا من خلاله التعرف على إيديولوجية كل تيار من التيارات الوطنية. و عند قراءتنا هذه الدراسة وقفنا عند أهم الوثائق التي أبانت عن إستراتيجية كل من حزب الشيوعي الجزائري من خلال مشروع القانون الأساسي للجزائر الذي وضعه و قدمه نوابه: جماد عبد الرحمان الشريف، و أليس سبورتيس، و مختاري محمد، و بيير فايي، إلى البرلمان يوم 13 مارس 1947. و الوثيقة الثانية التي هي عبارة عن التقرير الذي قدمه فرحات عباس الكاتب العام لحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، إلى المؤتمر الوطني الأول لهذا الحزب الذي انعقد في المجلس البلدي لمدينة سطيف أيام 25، 26، 27 سبتمبر 1948 و يحمل عنوان: "نظرات في حاضر الجزائر و مستقبلها". أما الوثيقة الثالثة فعبارة عن التقرير العام الذي قدمته اللجنة المركزية لحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، إلى المؤتمر الوطني الثاني للحزب بالجزائر العاصمة أيام: 4، 5، 6 أبريل 1953. كما استفدنا كثيرا من دراسته الموسومة "من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1962/1954" بالوقوف على وثيقة بيان أول نوفمبر 1954، و على بيان المجلس الوطني للثورة الجزائرية، و كذا القوانين الأساسية لجبهة التحرير الوطني.

تعتبر كذلك دراسة "تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي - المقاومة المسلحة 1830/1962"، لصاحبها الأستاذ صالح فركوس، من الدراسات الهامة التي اعتمدنا عليها، فقد أفادتنا في التعرف على عصر الأمير عبد القادر و على الكثير من الأحداث التي رافقت جهاده. كما منحتنا الدراسة فرصة الوقوف على ظروف وأسباب الثورة التحريرية ، و كذلك طريق الجهاد الذي اعتمده الثورة في كفاحها ضد الاستعمار الفرنسي. كما مكنتنا نفس الدراسة في معرفة الكثير من التفاصيل عن المعارك مثل: معركة جبل المراغة، و معركة الجرف الأحمر و غيرهما. و استطعنا كذلك الاستفادة من هذه الدراسة بالوقوف على أخلاق و تصرفات المجاهدين أثناء المعارك ، و حتى لحظة الاستشهاد. كما ترجم الأستاذ للعديد من المجاهدين و الشهداء ما مكنا من التقرب منهم و معرفة ظروف حياتهم و نشأتهم. كما وقفنا كذلك على الكثير من القيم و المبادئ التي ميزت ثورة التحرير.

استفدنا كذلك من الدراسة الموسومة "مواقف و شهادات عن الثورة الجزائرية- إيماننا بالله و الإسلام-" لصاحبها المجاهد باسطة أرزقي، بالتعرف على كثير من الحثيات التي ألمت بأحداث الثورة باعتباره فاعلا فيها. فالدراسة عبارة عن سيرة ذاتية للمجاهد الذي صنع و شارك و تفاعل مع أحداث الثورة التحريرية. رغم أن الدراسة ترقى في أسلوبها إلى البحث الأكاديمي إلا أن الكاتب أغفل وضع فهرس للموضوعات مما يصعب على القارئ مهمة تصفح هذه الدراسة الكبيرة الحجم " 736 صفحة"، و أكثر من ذلك فهي تخلو من عناصر فرعية أو عناوين أساسية مما يستلزم قراءتها من أول صفحة إلى آخرها.

كما حالقنا البحث في الاطلاع على دراستين هامتين: "التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)" و "دراسات حول إيديولوجية و تاريخ الثورة الجزائرية" لصاحبهما الدكتور رابح لونيبي، حيث استفدنا كثيرا من خلال الدراسة الأولى بالتعرف على مختلف التيارات الفكرية في الفترة محل الدراسة، فقد صنف الأستاذ التيارات إلى: تيارات ذات المرجعيات الفكرية الأوروبية، و منها التيار الليبرالي، و التيارات ذات المرجعية الإسلامية، و منها الاتجاه الإصلاحية، و التيارات الوطنية و القومية، و منها دعاة الاستقلال. كما توقف الأستاذ عند مفهوم الدولة و المجتمع و الثقافة في منظور هذه التيارات. أما دراسته الثانية فقد أفادتنا في التعرف على إيديولوجية الثورة التحريرية، و كذلك استفدنا كثيرا من تحليله لبيان أول نوفمبر.

كما كانت الدراسة الموسومة " حزب الشعب الجزائري 1937-1939 " لصاحبها محفوظ قداش و محمد قنانش من الدراسات القيمة التي وقفنا عليها في التعرف على برنامج حزب الشعب الجزائري و كفاحه في سبيل الدفاع عن الهوية الوطنية و بخاصة الدفاع عن الإسلام. غير أننا وجدنا - و ربما هذا وقع سهوا- خطأ حيث وصف أحد المعدومين بالمقصلة بـ "المجرم" (ص 243) و كان الأخرى أن يوصف بالشهيد، فلربما سقط سهوا و لم يوضع الوصف بين قوسين أو عارضتين للدلالة على أن اللفظ من تعبير الإدارة الاستعمارية.

تعتبر دراسة الأستاذ الدكتور رابح بلعيد من الدراسات الهامة و الجيدة و الجديدة في حقل الحركة الوطنية الجزائرية و بخاصة من سنة 1945 و 1954 ، و قد استفدنا منها كثيرا في فهم الصراع الداخلي و أزمة حركة الانتصار

للحريات الديمقراطية/حزب الشعب.و كذلك أفادتنا الدّراسة في التعرف على دور الحركة الوطنية في كفاحها ضد المستعمر و الصراع الذي عرفته الأحزاب الوطنية و الحركات الإصلاحية عن طريق الوثائق الجديدة التي تنشر لأول مرة. كما أن الأستاذ بلعيد وضع بين يدي القارئ 55 وثيقة مهمة تعبر عن الرأي و الرأي الآخر ليترك المجال للقارئ كي يحكم بنفسه دونما أن يؤثر عليه برأيه الشّخصي.

كما أن دراسة الأستاذ عريب مخطار الموسومة "L'Etat Algérien Elément historiques constitutifs et Forces Sociales motrices" قد أفادتنا كثيرا في التعرف على الكثير من المفاهيم، و العناصر التي شكلت ظهور و تطور الدولة الجزائرية، و على رأس هذه العناصر الإيديولوجية و الدّين الإسلامي. و استفدنا كذلك من الدّراسة الموسومة : " Le Mouvement Réformiste Algérien- hommes et l'histoire 1831/1957- " و السياسية بالجزائر، و كذلك الحركة العقديّة و السياسية و الاجتماعيّة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أهم أهدافها. غير أن إخراج الدراسة من حيث طبعها جاءت رديئة فالخط غير مقروء في بعض الصفحات مثل: الصفحة 100 و 101.

تعتبر دراستي الأستاذ فاضلي إدريس : "حزب جبهة التحرير الوطني عنوان ثورة و دليل دولة" و "حزب جبهة التحرير الوطني ثوابت و مرجعيات" من الدّراسات الهامة و المميّزة التي اعتمدنا عليها كونها أمدتنا بالكثير من المعلومات حول المحتوى الاجتماعي و العقائدي لجبهة التحرير الوطني، و كذلك وقفنا فيها على وقائع مؤتمر الصّومام و برنامج طرابلس، و هذا في الدراسة الأولى، أما الدّراسة الثانية فقد أفادتنا في التعرف على المنطلقات الفكرية و الإيديولوجية لجبهة التحرير الوطني.

كما استعنا بدراسة "بيان أول نوفمبر دعوة إلى الحرب، رسالة للسلام" لصاحبها الأستاذ محمد جغابة، التي أمدتنا بالكثير من المعلومات و التحليل حول مضمون بيان أول نوفمبر و أبعاده، و كذلك الوقوف على المحاور الكبرى لأرضية الصومام و البعد الإسلامي فيها، و محتوى برنامج طرابلس.

و كذلك تعتبر دراسة عبد الرحمان كيوان الموسومة المصادر الأولية لثورة أول نوفمبر 1954 ثلاثة نصوص أساسية لـ "ح.ش.ج - ح.ا.ح.د" و التي ترجمها إلى العربية الأستاذ أحمد شقرون، من الدّراسات الهامة على الرغم من صغر حجمها حيث وقفنا فيها على أحداث المؤتمر الوطني الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية المنعقد أيام: 4،5،6 أبريل 1953. و كذلك أزمة الحزب 1953/1954.

كما أفادتنا أطروحة الدكتوراه الموسومة تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية لصاحبها عبد النور خيثر في التعرف على النخب الثورية، جذورها الاجتماعية و ميولاتها الإيديولوجية.و كذلك الوقوف على التنظيمات الثورية بدءا باللجنة الثورية للوحدة و العمل و مروراً بمجموعة الـ 22 و وصولاً إلى الهيئات التي أقرها مؤتمر الصومام. كما جعلتنا الدراسة نتفقه كثيراً فيما يخص عوامل التأزم الداخلي في هيئات قيادة الثورة و التنافس و الصراع حول السلطة. و تعرفنا كذلك من خلالها على دور الهيئات القيادية المنبثقة عن مؤتمر الصومام 1956.

كما كان كتاب "الحياة الروحية في الثورة الجزائرية"، لصاحبه المجاهد محمد زروال عوناً لنا و سنداً في تتبع الكثير من صور الحياة الروحية أثناء الثورة، و الوقوف على أخلاق المجاهدين و آيات التأييد الرباني لهم.

و قد استعنا بالكثير من الدراسات و الأطروحات و المقالات التي لا يمكن حصرها في هذا المجال و نذكر منها:

- النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1954/1962.

- (حماني)، أحمد، صراع بين السنة و البدعة أو القصة الكاملة للسلطان الإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس.

- (بناسي) ، أحمد، فلسفة الثورة الجزائرية- أسس و مبادئ.

- (مورو) ، محمد، الجزائر تعود لمحمد صلى الله عليه و سلم.

- (عوض الراجحي) ، عبد الغني، العلم و الإيمان في بناء الأمم و المجتمعات.

- (بوشناني) ، محمد، البعد الديني في ثورة التحرير الجزائرية.

- (ميهوبي) ، عزالدين، النوفمبريون رجال من نور، مجلة إذاعة القرآن الكريم.

- (لهلالي) ، أسعد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الثورة التحريرية الجزائرية.

- (عدة) ، محمد ، البعد الروحي وقود الثورة المباركة.

- (مسلم) ، خليفة، مؤيدات ربانية في ثورة التحرير الجزائرية.

و موضوعنا الذي نتناول فيه دراسة "البعد الإسلامي في الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية"، هو موضوع شائك و متعدد الزوايا و طويل طول الفترة و الحقبة الزمنية التي جرت فيها أحداثه و وقائعه. و هو كذلك متنوع في معطياته بتنوع التيارات الوطنية التي شاركت و تفاعلت مع الأحداث في الفترة الممتدة ما بين 1919 و 1954 ، و بتنوع الأفكار و الإيديولوجيات التي رسمت معالم الحركة الوطنية الجزائرية آنذاك، و بتنوع كذلك وقائع الثورة التحريرية في الفترة الممتدة ما بين 1954 و 1962. و لعلّ هذا التنوع في المعطيات و طول الفترة الزمنية المدروسة

قراءة 43 سنة كان من بين العراقيين التي أسهمت في تأخر المشروع، بل أكثر من ذلك كانت معيقا حقيقيا أمام التحليل و الدراسة، ذلك مرده أن الباحث المبتدئ لا يمكنه التعاطي مع كل هذه التيارات السياسية الكثيرة و المتنوعة، و عليه وقع اختيارنا على نماذج محدّدة بعينها من تيارات الحركة الوطنية، و قد ضبطناها في التيار الإصلاحي المتمثّل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و التيار الاستقلالي المتمثل في جمعية نجم شمال إفريقيا و حزب الشعب ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

لعل الكثير من البحث و التأمل في المادة، من أجل استخراج الحقائق و اكتشافها و استنباطها، و بذل في ذلك الكثير من الجهد و الوقت و المال، من المميزات التي تطبع الباحث في مثل هذه الدراسات. غير أن عامل ضيق الوقت من جهة بسبب أعباء مهمة التدريس و متطلبات تربية الأولاد، و عدم حصولنا على منحة التبرص قصير المدى- لاقتناء الأرشيف من فرنسا- في وقتها المناسب من جهة أخرى كانت من أهم المعوقات التي اعترضت سبيلنا في إنجاز هذه الدراسة.

من بين المشاكل التي اعترضت سبيلنا كذلك في إنجاز هذه الدراسة العلمية المتواضعة وجدنا اختلاف المؤرخين و الباحثين حول إشكالية تصنيف اتجاهات و تيارات الحركة الوطنية فمثلا: الأستاذ يحي بوعزيز جعلها ثلاثة تيارات أساسية: التيار الأول ممثلا في تجربة الأمير خالد الجزائري التي طالبت بالمساواة ليتحول إلى المطالبة بالتحجيس و الإدماج مع تجربة ابن حلول و فرحات عباس، أما التيار الثاني فاستقلالي محض برز في شكل نجم شمال إفريقيا ليتطور إلى حزب الشعب الجزائري ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، أما التيار الثالث فهو إصلاحي بدأ في شكل نادي الترقى ليتطور إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و هناك تيار رابع لا يعتبره الأستاذ يحي بوعزيز جزائريا، و هو الحزب الشيوعي. أما الأستاذ أبو القاسم سعد الله فقد صنّفها في الجزء الأول من دراسته "الحركة الوطنية الجزائرية 1900/1830" إلى ثلاثة تيارات سياسية سماها أحزابا: الأول: الحزب الوطني، و الثاني: الحزب العثماني، و الثالث: الحزب الفرنسي. أما في الجزء الثالث من نفس الدراسة فقد قسم تيارات الحركة الوطنية إلى: التيار الأول ممثلا في جماعة النخبة و هيئة النواب، و التيار الثاني ممثلا في جمعية العلماء و جمعية الطلبة، و التيار الثالث ممثلا في نجم إفريقيا الشمالية و حزب الشعب الجزائري. و عليه وجدنا أنفسنا في حيرة من أمرنا إلى غاية قراءة كتاب و دراسة الأستاذ رابح لونيبي الموسومة "التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف 1954/1920 التي وجدنا فيها الملاذ العلمي الذي بدّد الحيرة و نزع عنا الالتباس، فاعتمدنا على ما جاء فيها من أفكار كأساس لتقسيم تيارات الحركة الوطنية. أما المشكل الثاني فهو كثرة هذه التيارات و الاتجاهات التي وصلت إلى ستة تيارات فكرية كبرى تتوزع على مرجعيات أوروبية و إسلامية و قومية أو محلية و هي: الليبراليون، و أصحاب المرجعية الماركسية، و تيارات ذات مرجعية إسلامية، و دعاة استرجاع الاستقلال، و أصحاب النزعة البربرية، و أصحاب النزعة القومية المغاربية؛ و لهذا قررنا التطرق في دراستنا إلى تيارين هما: تيار ذو مرجعية إسلامية يتمثل في

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و تيار دعاة استرجاع الاستقلال المتمثل في نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب/ حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

و علاوة على ذلك لم نجد إلا كمية صغيرة من المقالات التي تتحدث عن الموضوع، و ليس هناك أطروحة أكاديمية مختصة في ذلك. لا يوجد أيضا أي كتاب على وجه الحصر، يتحدث مباشرة عن البعد الإسلامي في الحركة الوطنية أو الثورة التحريرية.

و من العراقيل التي واجهتنا كذلك و وقفت حائلا أمامنا هي الحصول على المصادر الأرشيفية من فرنسا، خاصة بعد عدم استفادتنا من منحة علمية ضمن التبرص قصير المدى أولا ثم ثانيا عدم حصولنا على تأشيرة السفر إلى فرنسا، و مع ذلك فقد قيد لنا الله بعض من الأصدقاء الأساتذة الذين جلبوا لنا من مركز أرشيف ما وراء البحار (A.N.O.M) بعض الوثائق التي نخدم موضوع الدراسة، و نخص ذكرا الأستاذ عبد القادر بلجة، و الذي أوجه له خالص الشكر و الامتنان و أدعوا له الله أن يجعل عمله خالصا لوجهه الكريم و في ميزان حسناته.

و يبدو للوهلة الأولى بأن موضوع الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية قد نال حظه الأوفر من الدراسات و الأبحاث بالنظر خاصة إلى الحجم الكبير و الواسع من الكتب و المقالات و الأطروحات التي تناولت تاريخ الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي و حتى بعده ، منها الدراسات الفرنسية أو العربية أو الجزائرية، و لكن تبقى الحاجة ملحة و كبيرة لدعم تلك الدراسات بدراسات أخرى. و حسب المعطيات و الحقائق العلمية فإن موضوع الدراسة المتعلق بتاريخ الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية ثري و غني بالحقائق التاريخية و الوقائع و لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نستوفيه حقه من البحث و الدراسة، على الأقل على المستوى القصير و ربما المتوسط.

و مهما يكن الحال فإن هذا الجهد العلمي المتواضع الذي نضعه بين أيديكم ما هو إلا ثمرة عمل تطلب منا الاطلاع على ما أمكننا من المصادر و المراجع و الوثائق الأرشيفية التي تمكنا من الحصول عليها، خاصة ما تعلق بالحركة الوطنية و الثورة الجزائرية. و قد شكّلت هذه الوثائق و الدراسات على مختلف مشاربها و توجهاتها رصيذا بليوغرافيا مهما عكس ذلك التنوع في الآراء و التوجهات و حتى الإشكاليات المطروحة، و لربما هذا ما أعطى لموضوعنا ذلك التنوع في الطرح و التحليل.

كما أن الأرشيف الوطني و أرشيف ما وراء البحار بأكس أن بروفانس (Aix An Province) يحتويان على الكثير من الوثائق التي نخدم الموضوع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة و بخاصة تلك الوثائق المتعلقة بتقارير الشرطة الفرنسية عن نشاطات الأحزاب الوطنية و برامجها و كذا الجمعيات.

و بالنظر إلى عنوان الموضوع الذي يركز أساسا على البعد الإسلامي في الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية فقد كانت لنا وقفة مع أهم الأحداث التي طبعت المرحلة و كذا المفاهيم و المنطلقات التي شكلت الروافد الأساسية للعمل

السياسي خلال مرحلة الحركة الوطنية (1919/1954) و الثورة الجزائرية (1954/1962) ، و هذا ما جعلنا نهندس لهذا الموضوع على النحو الآتي:

- مدخل تتبعنا فيه النظرة التاريخية على الاستعمار و أهم جرائمه بصفة عامة. و عوامل تمكين الاستعمار الفرنسي من أرض الجزائر. و وقفنا عند دور الإسلام في مقاومة الاستعمار، و بخاصة مقاومة الأمير عبد القادر. و تتبعنا فيه كذلك السياسة الاستعمارية المطبقة ضد الشعب الجزائري و بخاصة محاربة فرنسا للدين الإسلامي و اللّغة العربية، و انعكاسات ذلك على المجتمع الجزائري خاصة في الشق الثقافي.

جاءت الدّراسة في بابين، يرصد الباب الأوّل البعد الإسلامي في الحركة الوطنية ما بين 1919 و 1954 م، على حين يتطرق الباب الثاني إلى البعد الإسلامي في الثورة الجزائرية في الفترة الممتدة ما بين 1954 و 1962 م، ليدرس مدى تأثير الإسلام على موانيق الثورة و بياناتها، إضافة إلى الوقوف على أهم الشّواهد الدّالة على إسلامية الثورة منطلقا و عقيدة.

ثم قسمنا كل باب إلى ثلاثة فصول، فجاء الباب الأول على ما يلي:

● الفصل الأوّل: تعرضنا فيه للاتجاهات السياسية في الجزائر (1919/1954).

● الفصل الثاني: ارتأينا أن نتناول فيه البعد الديني و الروحي في أدبيات التيار الاستقلالي.

● الفصل الثالث: يتم التّعرض فيه إلى البعد الديني و الروحي في أدبيات التيار الإصلاحية.

كما جاء الباب الثاني على ما يأتي:

● الفصل الأوّل: تتبعنا فيه الثورة التّحريرية و المواقف المختلفة منها.

● الفصل الثاني: خصّصناه لدراسة البعد الإسلامي و الروحي في موانيق الثورة الجزائرية و أدبياتها.

● الفصل الثالث: حاولنا أن نقف عند القيم الروحية المجسدة في جملة من المصطلحات و بعض المواقف الخارقة أثناء الثورة و آيات التأييد الرباني للمجاهدين.

كما توجهنا هذه الدّراسة بخاتمة حملناها بعض النتائج التي توصلنا إليها، كما وضعنا فيها بعض الإشكاليات الجديدة التي نتمنى أن تكون محل بحث و دراسة من قبل الباحثين و الطلبة في المستقبل القريب إن شاء الله. و أرفقنا العمل بمجموعة من الملاحق شرحا و توضيحا للموضوع.

مدخل

لقد بدأ الاستعمار (1) الغربي للعالم مع بداية عصور النهضة في أوروبا حيث استفادت أوروبا على وقع طبول الإصلاح الديني والسياسي في القرن الخامس و السادس عشر الميلاديين. ومنذ أن أفاقت بدأت تحركها الأحقاد

¹ - الاستعمار لفظة محدثة مشتقة من عَمَرَ، واستعمره في المكان أي جعله يعمره، ومنه قوله تعالى: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) (سورة هود، الآية 61). فالأصل اللغوي يفيد معنى طلب التعمير والسعي لتحقيق العمران، لكن الواقع لا علاقة له بالمعنى اللغوي. ويعرّف في المعجم الوسيط بأنه استيلاء دولة أو شعب على دولة أخرى وشعب آخر لنهب ثرواته وتسخير طاقاته أفراده والعمل على استثمار مرافقه المختلفة. ينظر: إبراهيم، أنيس و آخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، لبنان، ط4، 2004، ص 627/2.

و الأطماع للسيطرة على العالم الإسلامي، فانتشرت الحملات الاستكشافية هنا و هناك تجوب البحار و المحيطات بحثاً عن أراضي جديدة تحقق عليها أهداف الاستعمار المختلفة الدينية و الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية. و كغيرها من المناطق التي طالها الاستعمار أصبحت الجزائر مستعمرة فرنسية بعد إمضاء الداى حسين معاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830.

أولاً/ عوامل تمكين الاستعمار من أرض الجزائر :

لقد تمكّن الاحتلال الفرنسي من أرض الجزائر و تأصّل بها و أطلق العنان لجذوره كي تتوغل في أعماقها بفعل تطور عوامل متعددة. فكيف تم له ذلك؟

1/ العوامل الاقتصادية:

بفضل العلاقات الودية التي كانت تربط فرنسا بالدولة العثمانية أسست فرنسا شركة لاستثمار المرجان تدعى "شركة لانش" عام 1561، و قد قامت هذه الأخيرة بتأسيس مراكز لصيد المرجان في سواحل الجزائر بين القالة و عنابة و القل. و بفعل سياسة التساهل التي اتبعتها الدولة العثمانية مع فرنسا فقد أسست فرنسا مراكز و حصون عسكرية منذ مطلع القرن 17م.(1)

2/ العوامل العقديّة:

لا ينكر أي دارس أنّ الصّراع بين الجزائر و فرنسا كان صراعاً عقائدياً و حضارياً. فالجزائر تحمل راية الإسلام و تذوذ عنها و فرنسا تحمل راية الصليبية و المسيحية و تحاول نشرها بالقضاء على الإسلام.

و المتنبّع لتاريخ الصّراع الجزائري الفرنسي يدرك ما مدى الأحقاد الدفينة التي تقع كالبركان الخامد في جوف فرنسا الاستعمارية، فسعيها الحثيث و الدائم لتكوين أحلاف مع الدول الأوروبية خاصة في مؤتمر 'فيينا' 1815 و 'إيكس لاشبيل' 1818 لتحطيم الأسطول الجزائري الذي حمل لواء الإسلام(2) لدليل على ذلك.

3/ العوامل العسكرية:

لقد وظّفت أوروبا كل طاقاته العلمية و البشرية و التقنية لتمكين آلتها الحربية من التطور و الحدائة، فتفوقت بذلك فرنسا ضمن هذا المسار على جاراتها في حوض المتوسط.

1- صالح،(فركوس)، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي المقاومة المسلحة 1962/1830، دار العلوم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2012، ص 7.

2- صالح،(فركوس)، المرجع السابق، ص 7.

عملت فرنسا على استغلال تطورها العسكري و الحربي في إلحاق الهزيمة بدولة الداي حسين الذي لم يكن يملك أي خطة عسكرية أو إستراتيجية لمجابهة المحتلين الفرنسيين، و هذا لعدة أسباب:

● ضعف التّحصين في السّواحل الجزائرية، فقد أكّد تقرير النقيب 'بوتان' على اختيار شاطئ سيدي فرج كموقع للإتزال.

● ضعف الإستراتيجية العسكرية التي تبّناها الداي حسين التي لم تستند على أي قاعدة علمية أو حرية في الدّفاع عن الجزائر.

● إسناد القيادة لقائد غير كفء و هو صهره 'إبراهيم آغا' الذي لم يكن يفقه أمور الحرب و فنون القتال و التّكتيك العسكري.

● عدم مواكبة الجزائر و لا الخلافة العثمانية للتحويلات الكبرى التي كانت تجري في أوروبا خاصة في المجال الصّناعي بعد بزوغ فجر الثّورة الصّناعية.

بفضل التّطور الحربي الذي شهدته فرنسا تحت لواء أوروبا، و الذي قابله الضّعف و التّراجع في الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية، تحدّد مصير الجزائر العسكري فكان العجز في المقاومة و بالتالي تسليم الجزائر للاحتلال الفرنسي الذي أطبق عليها بمخالبه و أسنانه.

4/ العوامل السّياسية:

حظيت الجزائر في بداية الحكم العثماني بمكانة رفيعة و هيبة دولية، لكن مع حلول القرن السابع عشر، بدأت هذه المكانة في الضّعف و التّفهقر، ففسد نظام الحكم و كثرت الفتن و الاضطرابات و عمت الفوضى أرجاء البلاد، و سقط الشعب في دائرة الفقر و الغبن خاصّة بعدما سيطرة فئة اليهود على مقدرات الجزائر و اقتصادها، فضعفت بذلك السياسة الخارجية، و صارت الجزائر مطمع فرنسا الرئيسي. و قد ظهرت نوايا فرنسا الاستعمارية في أكثر من موضع و زمن،" فقد طلب الملك شارل العاشر من السلطان العثماني سليم الثاني تعيين أخيه هنري الثالث ملكا على الجزائر مقابل دفع الجزية سنويا، فأجابه السلطان بسخرية."⁽¹⁾

و من منطلق الوهن الذي عم الجزائر، بدأت تظهر أهميتها الإستراتيجية و السّياسية و الاقتصادية في عيون السّاسة و العسكريين الفرنسيين، منذ مطلع القرن التاسع عشر، للقضاء على دار الجهاد و فتح الباب على مصراعيه أمام المسيحية التي تطمح دوما للقضاء على الإسلام.

ثانيا/ دور الإسلام في مقاومة الاستعمار :

¹- صالح،(فركوس)، المرجع السابق، ص 10.

يقول مصطفى الأشراف: " ... إنَّ الجزائريين رغم كل هذا كانوا يشعرون شعوراً واضحاً، و بحكم الفطرة، أنهم يؤلفون كيانا قومياً، و أنه لا بد من اليقظة الدائمة من أجل الدفاع عن وطنهم." (1)

و لعلنا نؤكد هذه الوحدة في كلمة الفطرة التي لا يمكن إلا أن نوازنها بكلمة الإسلام، فكلّ مولود يولد على فطرة الإسلام، و الفطرة التي جبل بها سكان الجزائر هي اعتمادهم على الدين كقوم أساسي لصد أي غزو أجنبي، هذا رغم الأوضاع الاجتماعية، و اختلاف نمط الحياة و أسلوب العيش (بدو رحل أو عرب من الحضر). و الفطرة هنا كذلك يمكن أن نقرنها بحب الحرية و استنكار العبودية مها كان نوعها أو صنفها. و قد لاحظت بالفعل فرنسا أن الإسلام يعتبر وقود المقاومة في وجه السيطرة الاستعمارية. (2)

1/ بداية المقاومة 1830/1832:

أكد منشور فرنسي مؤرخ في 27 نوفمبر 1847 أنّ طموحات الشعب الجزائري و عواطفه يترجمها الذين تزعموا الجهاد و رفعوا راية الإسلام و دافعوا عن الأرض و الوطن ضد المعتصب المحتل. لقد كان مستقبل المجاهد الجزائري يتمحور حول تلبية نداء الواجب المقدس و الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله ثم الوطن، تاركا وراءه كلّما دعت الضرورة إلى ذلك أسرته و أمواله و كل ما يملك، إلا بندقيته و فرسه لأنه يعلم علم اليقين أن الشهادة في سبيل الله معناها الحياة الأبدية و الأزلية في الفردوس الأعلى مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (3)

اعتقدت فرنسا أنّ سقوط الجزائر في 5 جويلية 1830 سيؤدي حتما و بصورة آلية إلى احتلال كل القطر الجزائري دون مقاومة، فخرج القائد 'دو بورمون' في حملة عسكرية يوم 23 جويلية 1830 (4) لتوسيع رقعة الاحتلال، و في هذا يقول الأستاذ محمد الصلابي: " و كدليل على اقتناع بورمون بأن البلاد دانت له و أنه من السهل فتح المدن قرر التوجه لاحتلال البليدة على رأس جيش قوامه 2000 جندي و بضع مئات من الخيالة و مدافع... " (5) غير أنّ 'دي بورمون' فوجئ بمقاومة القبائل التي أجبرته على الانسحاب، خلفا العشرات من القتلى و الجرحى إذ نصبوا له كميناً ببلدة بوفاريك و قتلوا الكثير من جيشه. (6)

و لم تتوقف المقاومة الشعبية عند هذا الحد بل قاوم سكان مدينة عنابة الضابط 'دامرمون' إثر حملته التي قادها يوم 2 أوت 1830 و أجبروه على الانسحاب و هو يجر أذيال الخيبة. كما استطاعت مدينة وهران أن تصد الحملة الفرنسية التي قادها ابن القائد 'دو برمون' 'أميدي بورمون' الذي لقي حتفه فيها. و الأمثلة على تواصل مقاومة الحملات الفرنسية لتوسيع رقعة الاحتلال كثيرة لا يمكن التفصيل فيها في هذا المقاوم. (7)

1- مصطفى، (الأشراف)، الجزائر: الأمة و المجتمع، ترجمة حنفي، (بن عيسى)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 8.
2 - Pascal (Le Pautremat), La politique musulmane de la France au XX^e siècle- De l'Hexagone aux terres d'Islam Espoirs, réussites, échecs-, Maisonneuve et Larose, Paris, 2003, p 28.

3- سورة البقرة، الآية 154.

4- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 11.

5- علي محمد، (الصلابي)، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و سيرة الأمير عبد القادر الجزائري، الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة،

2015، ص 317.

6- علي محمد، (الصلابي)، المرجع السابق، ص 317.

7- للمزيد في ذلك راجع صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 12.

2/ دور الإسلام في المقاومات الشعبية المسلحة:

لا يختلف باحثان في مجال الدراسة التاريخية بأنّ المقاومات الشعبيّة المسلّحة ضد الاحتلال الفرنسي، كانت تحت لواء الإسلام. فقد شكّل الجهاد الإسلامي الرافد الأساسي لهذه المقاومات المسلّحة، فانطلقت به و انتهت عند حدوده. و في هذا يؤكد محمد حربي أنّ لا حاجة إلى إنكار الطابع الديني الغالب على المقاومات الشعبيّة. و يضيف "ألم يكن الإسلام هو الإطار الذي تجدد فيه مؤسسات الدولة و المجتمع شرعيتها و معناها؟" (1) و هذه الحقيقة يؤكدها كذلك الأستاذ حينما يلحّ على أن فكرة الدين الإسلامي كانت تمثل بالنسبة للجزائريين القلب النابض والحرك الرئيسي للثورة على الاستعمار الفرنسي، حتى قبل الثورة التحريرية نفسها، وذلك منذ الوهلة الأولى التي وطئت فيها أقدام الجيش الفرنسي أرض الجزائر منذ سنة 1830. (2) و في نفس السياق يؤكّد الأستاذ علي محمد الصلابي "أن القبائل المرتبطة بالأرض هي التي انطلقت تنظم المقاومة،... و اجتمع في غربي مدينة الجزائر في برج منفوست شيوخ الزوايا بالناحية و قرروا مقاومة المحتلين..." (3)

و من المقاومات الشعبيّة المسلّحة التي ظهر فيها ذلك التأثير الذي خلفه الإسلام نجد مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري الذي حمل راية الذود عن الإسلام و الوطن. و في هذا يذكر الأستاذ 'شنتوف': "أن الدين أضحي في خدمة الدولة من أجل ضمان الشرعية الإسلامية". (4) فلقد تحمل هذا الأمير تكليف الأمة في قيادة الجهاد و تحريض الناس على المقاومة دفاعا عن الشرف و العرض و الأرض.

و لما لاحظ الأمير عبد القادر الجزائري من انتشار المفاسد و الرذيلة في المجتمع خلال العهد العثماني المتأخر، و لكي لا يقع في نفس الأخطاء التي وقع فيها الحكام العثمانيين من جهة، و بفعل تأثره بإصلاحات محمد علي باشا في مصر من جهة أخرى، فقد نظم دولته و أحكم تنظيمها. اعتمد الأمير في تنظيم دولته على الورع و الخوف من الله، و في هذا يقول عنه تشرشل: "إنّ الحاج عبد القادر لا يهتم بهذه الدنيا و لا يأخذ منها شيئا سوى ما يسمح به دينه، فهو لا يحبّ الثروة و لا الغنى، و هو يعيش بكل بساطة و قناعة... و لا يعرف الفساد فهو لا يأخذ أبدا شيئا لنفسه من الأموال العامة. كل الهدايا التي تحضر إليه يرسلها إلى الخزينة العامة، لأنه لا يخدم نفسه و لكنه يخدم الدولة... و قراراته دائما طبقا للقرآن الكريم و هو يكره الرجل الغير المستقيم و يكرم الرجل الذي يعمل طبقا لمبادئ الدين و يؤدي واجباته". (5)

1- محمد، (حربي)، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد و صالح المثلوتي، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994، ص 76.

2- الطيب، (بوسعد)، الأبعاد الروحية في ثورة التحرير المباركة، جريدة المساء، 31 أكتوبر 2015.

3- علي محمد، (الصلابي)، المرجع السابق، ص 317.

4- Tayeb, (Chentouf), L'Algérie politique 1830/1954, O.P.U, Algérie, 2003, p 15.

5- شارل هنري، (تشرشل)، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص 192-193.

و لأنّ ثقافة الأمير هي ثقافة دينية نابعة من محيطه الاجتماعي فهو ابن شيخ الطريقة الدرقاوية، فقد عمد على تأسيس أركان دولته وفق النظم الإسلامية، فحارب كل الآفات الاجتماعية من خمر و ميسر و شرب الدخان. كما حارب كل الفواحش ما ظهر منها عن طريق إقامة الشريعة الإسلامية و الحكم بما أنزله الله تعالى، فقلت الرذيلة و حورب العهر حتى كاد أن يتلاشى.

و لأنّ الأمير عبد القادر بُوع على الطريقة التي بُوع بها الرسول الكريم، (1) فقد أم الناس و دعاهم لعبادة الله الواحد القهار و الجهاد في سبيله، و في سبيل نصرة الوطن. و لأنه رجل دين و علم و جهاد فقد سعى لتوحيد الأمة إيماناً منه أن الفرقة و الشتات لا يولدان إلا الضعف و الوهن. و الطريق الواحد إلى تحقيق الوحدة و لمّ الشمل هو إتباع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

لذلك سعى الأمير عبد القادر إلى بعث الروح الوطنية - إلم نقل إلى بنائها و تكوين جيل متشبع بها- في الأمة و تحريض الناس على الجهاد في صف واحد و تحت راية واحدة. و كثيرا ما استعمل مصطلحات دالة على الوحدة مثل: دينكم، بلادكم، أرضكم، نساؤكم إيماناً منه أنّها ستوقظ فكرة القومية في جموع القبائل التي تقطن الجزائر. (2) كان الجهاد الذي نادى به الأمير عبد القادر يدفع الناس للتضحية بالنفس و النفيس و الأولاد و كل ما يملكونه من أجل تحرير الجزائر من قبضة المحتلّ الفرنسي، فتجاوبت معه الكثير من القبائل حبا في الأرض و الوطن، و تقاعس البعض خوفا من فرنسا أو طمعا في كسب ودها.

كان يسعى الأمير عبد القادر في دولته إلى إحياء نظام الحكم الراشد، عن طريق إتباع سنة الخلفاء الراشدين، فكان يجلس شخصا للبت في المظالم بمثابته القاضي الأعلى في الدولة. و لم يكن يقطع في الأمور الحساسة و الخطيرة إلا بعد أن يعقد مجلس الشورى و يتفق الجميع على القرارات الصادرة منه. و تعتبر هذه القاعدة الحضارية من القواعد الأساسية في الحكم الإسلامي.

كما أولى الأمير عبد القادر لفكرة التجديد أهمية قصوى، خاصة فيما تعلق بمسألة تجديد الجيش و الإدارة و الحياة الصناعيّة و التعليميّة. و هنا لا بد أن ننبه أن تفكير الأمير يشبه إلى حد كبير تفكير المفتي العلامة الجزائري ابن العنابي في مسألة التجديد، و " إذا كان ابن العنابي يرى ضرورة تقليد غير المسلمين في الأمور الحربية و الصناعية و العلوم العلمية، فإنه لا يرى ذلك بخصوص التشريع و العلوم السياسية، بل صرح بأن السياسة العقلية لغير المسلمين لا يحتاجها المسلمون، فهو يقول أن ما عليه الكفرة من سياستهم العقلية فنحن في غنى عنه لأن للمسلمين الكتاب و السنة، و فيهما من التشريعات السماوية ما يغني عن قوانين الأوربيين الوضعية." (3)

1- و قد تمت هذه البيعة تحت شجرة اقتداء بالسنة المحمدية و تذكيرا بنشأة الدولة الإسلامية على يد الرسول الكريم، مصداقا لقول الله تعالى في سورة الفتح الآية 18: "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا". للمزيد ينظر: محمد، (حربي)، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد و صالح المثلوتي، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994، ص 76.

2- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 11.

3- نفسه، ص 31.

لقد نشأ الأمير عبد القادر تحت كنف والده الشيخ 'محيي الدين' الذي ما إن وطعت أقدام الاستعمار أرض الجزائر هم بالدفاع عن الأرض و العرض. و لما اتصل المرابطون بالشيخ 'محيي الدين' لمعرفة رأيه حول ما آلت إليه الأوضاع خاطبهم ناصحاً بعبارة تدل على الغيرة الوطنية قائلاً: " منذ عدة شهور و أنا أحاول، كما تعلمون جميعاً، أن أحافظ على الأقل على درجة ما من النظام وسط الفوضى العامة التي تسود الآن، لكنّ التكتبات التي تهددنا من الخارج لا تقل خطراً عن ذلك الذي ينهشنا من الداخل فهل سنستنجد بالفرنسيين؟ إن ذلك غير ممكن، و إنّ الاستسلام إليهم، فما بالك بالاستنجد بهم، يعتبر خيانة لواجبنا نحو إلهنا، و وطننا، و عقيدتنا." (1)

و لما كانت غاية الشيخ 'محيي الدين' هو الحفاظ على الأمة و الأرض، فقد عبر عن عاطفته و ميله للاستنجد بسلطان المغرب. ففكرة الجهاد هاهنا دائماً ما ارتبطت بفكرة الولاء لله و لرسوله الكريم، و لأن لواء السلطان هو لواء الله و رسوله فالنصر سيكون مؤكداً.

لقد كان أول خطاب خطبه الشيخ محي الدين يتضمن فكرة الاستعداد المادي لقتال المعتدين و المحتلين المعتصين للأرض و الوطن، فبدأه بيسم الله الرحمن الرحيم ثم تلى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (2) ، و قوله كذلك: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (3) ، و قوله سبحانه و تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانًا مَرصُوصًا﴾ (4) .

عبر هذه الآيات و الأدلة الشرعية نادى الشيخ محي الدين بالجهاد و بضرورة محاربة أعداء الدين و الملة، فاجتمع حوله جمع كبير فاستقبلهم بمزرعة القيطنة، فاستقبلهم بصيحة مدوية مجلجلة 'الله أكبر' ، فأسرع بذلك الناس إلى تلبية واجب الجهاد المقدس.

كان السّجل النّضالي و البطولي للشيخ محي الدين حافل بالعديد من المعارك و الهجمات ضد الاحتلال الفرنسي، فها هو يقوم بأول هجوم على سرية استطلاع فرنسية تتكون من حوالي مائة ضابط و جندي في منطقة وهران (5) فألحق بها الخسائر المعتبرة.

لم يتوقف الشيخ محي الدين و من معه عند هذا الحد بل واصل مشواره الجهادي عبر عدة أعمال نذكر منها:

- محاصرته لمدينة وهران بجيش قوامه ثلاثة آلاف مجاهد.
- مهاجمة حامية فرنسية في معركة خندق النطاح 3 ماي 1832.
- مهاجمة قوات الشيخ محي الدين بقيادة ابنه عبد القادر القلعة الفرنسية في معركة خندق النطاح الثانية ما بين 4 و 6 ماي 1832.

1- صالح، (فركوس)، المرجع السابق ، ص 45.

2- سورة الأنفال، الآية 60.

3- سورة البقرة، الآية 190.

4- سورة الصف، الآية 4.

5- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 47.

• مقاتلة الموالين للغزاة.

أمام تعدد جبهات القتال التي كان يخوضها الشيخ محي الدين، قتال الغزاة من جهة، و محاربة المتواطئين معه من جهة أخرى، حاول الدخول إلى مدينة وهران فهاجمها في 19 سبتمبر 1832 ثم حاصرها في 23 أكتوبر ، وكان الأمير عبد القادر في كل هذه الأوقات واقفا إلى جانب والده يحث و يحرض الناس المقاتلين على الجهاد مناديا بأعلى صوته 'الله أكبر' (1)، و مشجعا على الجهاد في سبيل الله.

اعتبر الشيخ محي الدين المدرسة الجهادية التي تعلم فيها الأمير عبد القادر فنون القتال و أصول الجهاد و محاربة الغزاة المتحلين.

وجد الأمير عبد القادر نفسه يواصل الكفاح الذي بدأه والده الشيخ محي الدين إيمانا منه ببذل النفس و النفس في سبيل الذود عن حمى الإسلام و المسلمين. و كانت بيعته على هذا الأساس فقد بايعته القبائل على النصرة و قيادتها للجهاد في سبيل الله. (2)

إنَّ الدَّارِسَ لِنَصِّ خُطْبَةِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الْقَادِرِ الَّتِي أَلْقَاهَا يَوْمَ الْبَيْعَةِ يَرَى مَدَى تَمَسُّكِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ بِتَعَالِيمِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَ حُبِهِ لِلذُّودِ عَنِ رَايَةِ الْإِسْلَامِ وَ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى. فَلَقَدْ بَدَأَ الْخُطْبَةَ بِذِكْرِ اللَّهِ ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، ثُمَّ ذَكَرَ عَدَمَ سَعْيِهِ لِهَذَا الْمَنْصَبِ وَ هُوَ الْقِيَادَةُ وَ لَكِنَّهُ أُجْبِرَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ الظُّرُوفِ لِأَنَّهُ مَسْئُولِيَّةٌ عَظِيمَةٌ أَمَامَ اللَّهِ، وَ فِي هَذَا يَقُولُ: "... وَ لَمْ يَخْطُرْ لِي هَذَا الْمَنْصَبُ يَوْمًا وَ لَكِنِّي أُجْبِرْتُ عَلَيْهِ كَمَا تَعْلَمُونَ، فَهُوَ مَسْئُولِيَّةٌ أَمَامَ اللَّهِ وَ أَمَامِكُمْ..." (3) كما أكد في نفس الخطبة رجاءه من الله التوفيق و العون لتطهير الجزائر من الغزاة و رفع راية الإسلام الذي جمع شتات القبائل و وحدها. ثم ذكّر الجمع بالفاتحين الأوائل الذين حملوا لواء الحضارة إلى هذه البلاد قائلا: "... و الذين حالف النصر أعلامهم من الفاتحين حملوا إلى هذه البلاد حضارة إلهية، و شيّدوا صروحاً من القيم باقية إلى الأبد لا ينضب معينها و دخلوا هذه البلاد لتكون دعوة الإسلام حرة فيها..." (4) ثم في الأخير ألب الأمير عبد القادر حماس القبائل و القادة و المجاهدين بحثهم على الدفاع عن راية الإسلام التي حملها لنا 'طارق بن زياد' و 'موسى بن نصير'.

و لما كان الأمير عبد القادر الجزائري فقيها ورعاً و محارباً مكنكاً فقد أبدى الدائم الاستعداد للتفاوض و الجناح للسلم مع العدو الفرنسي مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (5) ، فها هو يستجيب لمعاهدة السلم التي طلبها الجنرال 'دي ميشال' في 26 فيفري 1834، و التي اشتملت على عدة مواد نذكر منها المادة الأولى التي أعلنت توقف الحرب بين الطرفين، و المادة الثانية التي

1- صالح، (فر كوس)، المرجع السابق ، ص 47.

2- علي محمد، (الصلابي)، المرجع السابق، ص 359.

3- نفسه ، ص 362.

4- نفسه، ص 363.

5- سورة الأنفال، الآية 61.

أكدت على احترام دين و عادات العرب، أما المادة الثالثة فعنيت بإطلاق سراح كلّ المساجين من الطرفين.(1) و نفس الحدث سيتكرر مع الجنرال 'بيجو' في معاهدة تافنة بتاريخ 30 ماي 1837، التي أعطت للأمير عبد القادر الوقت الكافي لتوطيد نفوذه و بناء نواة جيشه على أسس حديثة.(2)

في خضم تسارع الأحداث و سياسة المد و الجزر بين سلطة الاحتلال و الأمير عبد القادر ، لم يغفل هذا الأخير عن بناء دولته و تنظيم إدارتها تنظيما محكما يتناسب مع ظروف العصر و معطيات الأحداث. و في هذا السياق يذكر صالح فركوس، نقلا عن أبو القاسم سعد الله أن "أحد الكتاب المعاصرين للأمير لخص ميزات نظامه الجديد في قوله: إن الأمير قام بثورة في النظام السياسي لبلاده... فقد أنشأ الجيش النظامي بدل الاعتماد على نظام المخزن، و أنشأ جيشا إقليميا و نظاما إداريا محكما بدل المراكز العسكرية التي كانت وسط القبيلة، و بذل جهودا في إيجاد وحدة بين القبائل النافرة، و جعل ذلك هو مصدر قوته."(3) فقد استمد أحكام التشريع و التنظيم من القرآن، فانتعشت العاطفة الدينية لدى السكان.

و لما كان الأمير عبد القادر ينطلق من عقيدة دينية فقد وجب عليه توحيد القبائل و الشعوب تحت راية واحدة هي راية جبل الله المتين، و هذا امتثالا لأوامر الله تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(4) و قد أكد في بناء دولته على أسس عديدة لعل أبرزها الوحدة الوطنية و وحدة الشعب الجزائري تحت ثلاث أفكار رئيسية هي: الإسلام و الوطنية و القومية العربية.

و لما كانت دولة الأمير عبد القادر تقوم على أساس ديني، فقد اختار لدولته خاتم الإدارة على شكل مستدير، نقش في دائرته بيت شعري للبوصيري:

و مَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتَهُ إِنَّ ثُلُقِيهِ الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا تَجْمُ

و في جوانب الخاتم لفظ الجلالة 'الله'، ثم محمد صلى الله عليه و سلم، أبو بكر، عمر، عثمان، و علي. و في الوسط نجد العبارة التالية: الوثائق بالقوي المتين، ناصر الدين، عبد القادر بن محي الدين. بتاريخ 1248 هـ.(5)

و لما حانت ساعة الاختيار و وجد الأمير عبد القادر نفسه مجبرا على مواجهة العدو بقوة قليلة العدد و العتاد، أو الهدنة حقنا لدماء الشيوخ و النساء و الأطفال، قرّر أن يضع نهاية لمقاومته بتاريخ 23 ديسمبر 1847، على أن يسمح له و من معه بالهجرة إلى المشرق. و لربما عقد المهادنة الذي وقعه الأمير مع جنرالات الاحتلال ينبع من عقيدته

1- صالح،(فركوس)، المرجع السابق ، ص 56.

2- نفسه ، ص 69.

3- نفسه ، ص 75.

4- سورة آل عمران، الآية 103.

5- صالح،(فركوس)، المرجع السابق ، ص 85.

الراسخة التي تملي عليه طرق باب الاستئمان الزمني (1) لأجل الهجرة و تفادي السقوط في غياهب التهلكة مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (2) و ربما قد هداه الله تعالى إلى ذلك المخرج لقوة إيمانه و إحسانه الظن بحالقه، يقول الله تعالى في هذا الصدد: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (3)

و هكذا استطاع الأمير عبد القادر أن يصمد في وجه قوة الاحتلال الذي اعترفت به كقائد مدة 17 سنة . و لكن جيشه انهزم أمام الجيش الفرنسي الذي يفوقه عدة و عتادا. غير أن الهزيمة ، كما يقول محمد حربي، لا تعزى إلى التفوق العسكري وحده بل إلى انعدام اللحمة لدى الجزائريين كذلك. (4) و مهما يكن فقد استطاع الأمير عبد القادر و في ظل الضيق و الحرب و تراكم أعباء الدولة أن يضع بصمته التي استمدتها من الشرعية الدينية (5) التي تعتبر أمرا أساسيا و رمزيا في آن واحد.

3/ دور المسجد و الزاوية في محاربة الاستعمار :

كتب أحد ضباط المكاتب العربية 'دنفو'، واصفا انتماءات المجاهدين قائلا: " إن هؤلاء الأشراف، بالرغم من اختلاف نحلهم، فهم أحفاد محمد (صلى الله عليه و سلم) كانت لهم صلة واحدة هي التزامهم تجاه الدين". (6) أي أنهم التزموا بكل ما يطلب منهم في سبيل نصره الدين و تحرير البلاد و العباد من المحتل الغاشم. كانت المساجد في نظر الاستعمار هي التواة التي يترعرع فيها ذلك الشعور الحاقد ضده، مما دفع به إلى مراقبتها و محاولاته المتكررة لاحتوائها. فقد سجّل أحد التقارير الدور الذي تلعبه المساجد و الزوايا في ذكره: "... في أوساط تجمعات عناصر تلك المؤسسات الدينية تنشأ الدسائس و تعلق الأصوات الحاقدة ضد سيطرتنا، و ترتل الآيات القرآنية الخالدة و الداعية للجهاد". (7) لقد كانت حقا المساجد و الزوايا، تشكل أقطابا للمقاومة و خلايا للرفض و مراكز للتورات المسلّحة.

كان الإيمان بالله تعالى و الجهاد في سبيل إعلاء كلمته، و جعل كلمة الذين كفروا هي السفلى، يدفع المجاهدين إلى التسابق نحو الشهادة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (8) و يؤكد هذه الحقيقة التاريخية 'شالر فيرو' (Charles Féraud) : " ... إن مستقبله الوحيد (الجهاد الجزائري) الذي يشغل باله هو ذلك الذي وعد به المؤمنون الصادقون.. و إذا دعي للجهاد نسي كل شيء: عائلته و خيمته و حطامه، و تناول بندقيته ثم امتطى فرسه.. إن الموت بالنسبة إليه جزاء، و شعب كمثل هذا يكون خطيرا جدا

1- في هذه المسألة يؤكد الأستاذ علي محمد الصلابي أن الطريقة الوحيدة التي توافرت للأمير عبد القادر هو تحقيق مقصد الهجرة عن طريق الاستئمان الزمني و هو طلب الأمان و إعطاء الفرصة للخروج من أجل الهجرة في سبيل الله تعالى. و هذا باب معروف في الجهاد بالإسلام و الهجرة في الظروف التي وضع فيها الأمير و جيشه. للمزيد ينظر: علي محمد، (الصلابي)، المرجع السابق، ص 512-516.

2- سورة البقرة، الآية 195.

3- سورة العنكبوت، الآية 69.

4- محمد، (حربي)، المرجع السابق، ص 76.

5- Tayeb, (Chentouf), op.cit, p 16.

6- صالح، (فركوس)، المرجع السابق ، ص 201.

7- نفسه ، ص 201.

8- سورة المائدة، الآية 35.

و يجب أن يقرأ له حساب... " (1) بل يقرأ له ألف حساب و حساب، و قد دلت الأحداث التاريخية المتتالية بعد ذلك صدق فراسة هذا المحلل. و بالفعل فجزء المجاهد و الشهيد في سبيل الله تعالى جنة الرضوان و الفردوس الأعلى، و هذا ما يؤكد القرآن صراحة في قول الله تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (2)

فالبعد الإسلامي في الجزائر لم ينقطع، و قد مثلته الزوايا و حافظت عليه. و من هنا، يمكن أن نعتبر الزاوية عسبا للمجتمع الإسلامي في الجزائر، وهي التي حافظت على البنية الاجتماعية، و على تماسك الأسرة و المجتمع، ولولاها لذابت القيم الأصيلة للجزائر في عهد الاحتلال.

و ليس أدل على دور الزاوية من أنه لما سقط الكيان السياسي للجزائر عام 1830، بقي الكيان الثقافي قائما بفضل هذه المؤسسة الدينية التي حافظت على الإسلام في رجوعها، رغم أنّ العدو الفرنسي قضى على أغلب المساجد. فهي التي مارست أركان الإسلام في دورها، و تمسكت بالتعليم العربي و القرآني، و حافظت على القضاء الإسلامي، فلم تترك الشعب يلوذ إلى المحاكم الفرنسية، فضلا عن اهتمامها بالتضامن الاجتماعي.

و أعظم مسؤولية اضطلعت بها، أنها حملت و رفعت لواء الجهاد باسم الدين الإسلامي، و بفضلها تواصلت الثورات الشعبية، كما لا ننسى دورها في مقاومة التنصير المسيحي.

لم تنقطع الثورات الشعبية و المقاومات المسلحة في سبيل إعلاء كلمة الله و دحض كلمة الكفار المحتلين، منها ثورة الشريف أحمد بن بلقاسم سنة 1846 في منطقة الزيبان، و مقاومة الشيخ المختار بن عبد الرحمان بأولاد جلال سنة 1847، و ثورة الشهيد بوزيان سنة 1849، و ثورة محمد الأجد بن عبد المالك الملقب ببوغلة ما بين 1849 و 1851، و ثورة لالة فاطمة نسومر عام 1857، و ثورة المقراني عام 1871، و انتفاضة الأوراس ماي 1879، و مقاومة الشيخ بوعمامة عام 1881، (3) و غيرها من المقاومات الأخرى (4) لرجال صدقوا الله في نواياهم و أفعالهم فماتوا على ذلك أو صمدوا في وجه المحتل الغاصب على ذلك، مصداقا لقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (5)

مما سبق يمكن أن نستنتج أنّ المقاومات الشعبية المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي و على رأسها مقاومة الأمير عبد القادر! قد سلكت المنهج الإسلامي في معاملاتها و تعاملها مع المحتل و دليلنا في ذلك ما يلي:

1- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 201.

2- سورة الحديد، الآية 19.

3- علي محمد، (الصلابي)، المرجع السابق، ص 637.

4- من هذه المقاومات نذكر: ثورة سكان عين التركي و مليانة بزعامة الشيخ يعقوب 1901، عين بسام 1906، ثورة سكان بني شقران 1914، ثورة سكان الأوراس و الهضاب العليا 1906 و 1917، ثورة التوارق 1916/1921. للمزيد ينظر: علي محمد، (الصلابي)، المرجع السابق، ص 640-641.

5- سورة الأحزاب، الآية 23.

- انطلاق معظم المقاومات من الزاوية و استنادها إلى طريقة معينة فمثلا: الطريقة الدرقاوية بالنسبة لمقاومة الأمير عبد القادر، و الطريقة الرحمانية بالنسبة لمقاومة المقراني.
- المراسلات التي دارت بين زعماء و قادة المقاومة و بين فرنسا اعتبرت فرنسا فيها مسيحية أو كافرة و الأمير عبد القادر مثلا أمير المؤمنين و حامي حمى المسلمين.
- لم يجمع زعماء المقاومة من الشعب سوى ضريبتين شرعيتين هما: الزكاة و العشور، و هذا بالفعل ما حصل ما الأمير عبد القادر الذي لم يجمع من شعبه سوى ضريبتين: الزكاة و العشور و هما ضريبتان شرعيتان هذا فضلا على إطلاقه اسم الخليفة على نوابه الذين حكموا الأقاليم التي تخضع لنفوذه و في هذا دليل على مسلكه الإسلامي.(1)

و بهذا فقد شكّل الدين الإسلامي على مسار فترة المقاومات الشعبية المسلحة و ربما حتى بعدها رافدا أساسيا في اشتعال لهيها و إيقاظ الشعور الوطني في أوساط الشعب. و من هنا، كما يقول الأستاذ المجاهد 'محمد زروال'، فقد "مثل الدين أقوى الوسائل في المحاربة الخفية و العلنية للعدو فكان بحق هو الذي يعول عليه في استلهام النفوس سلطانها القوي من سلطانه القوي لأنه يمثل الضمير الحي في حياة الشعب و الشعلة التي لا تنطفئ نارها أبدا".(2)

ثالثا/ السياسة الاستعمارية و انعكاساتها على المجتمع الجزائري :

سعت فرنسا بكل ما لها من جهد و قوة إلى محو شخصية المجتمع الجزائري و تفكيك بنيته عن طريق طمس معالم اللغة العربية، و تشويه الدين الإسلامي، إلى جانب "الجد في نشر الثقافة الفرنسية و الديانة المسيحية".(3) و اشتدت شراسة تلك السياسة الفرنسية في عهد الجمهورية الثالثة التي تبادت في أنشطتها التخريبية ضد المجتمع الجزائري، و النيل من كل ما له علاقة بالشخصية العربية المسلمة للمجتمع الجزائري.(4) و لبلوغ هذه الأهداف يقول محمد حربي: "أدخل الاستعمار الهياكل الملائمة فنتج عن ذلك تفكك المجتمع التقليدي؛ أصبح معه إعادة بنائه صعبة".(5) و بهذا فإن إخضاع الجزائريين لصالح فرنسا يبين بوضوح أن هذه الأخيرة لم تكن تنوي معاملة الجزائريين كفرنسيين، و هذا ما حدث فعلا، كما أن رفض الجزائريين للاحتلال و مقاومته يقيمان الحجة على رغبتهم في التمسك بمعالم شخصيتهم الوطنية.

1/ محاربة اللغة العربية:

1- نبيل أحمد، (بلاسي)، الاتجاه العربي و الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، 1990، ص 19.
2- محمد، (زروال)، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، 1994، ص 14.
3- بشير، (بلاحي)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830/1989)، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 559 صفحة، ص 269.
4- عثمان، (زقب)، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830/1914 - دراسة في أساليب السياسة الإدارية-، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: صالح لميش، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014/2015 م، ص 273.
5- محمد، (حربي)، المرجع السابق، ص 75.

بما أن اللّغة العربية هي القلب النابض و الشريان الحيّ لأبي شعب، و حيز جميع أنشطته الثقافية و الحضارية، و أحد أهم ركائز وحدته، سعت فرنسا للقضاء عليها و فرض اللّغة الفرنسية على الشعب الجزائري لتفكيك وحدته و طمس معالم شخصيته. و قد كان من أهم الآليات التي اتخذتها فرنسا لبلوغ هذا الهدف هو: محاربة التعليم العربي الإسلامي بمختلف الوسائل. فأصبحت اللّغة العربية لغة أجنبية سنة 1939 و لم يتم إصلاح هذا الظلم إلا بعد الحرب العالمية الثانية حيث نص الفصل 57 من دستور الجزائر لعام 1947 على أن اللّغة العربية، باعتبارها إحدى لغات الاتحاد الفرنسي.(1)

فرضت فرنسا جملة من الإجراءات لتمكّن من ضرب التّعليم العربي الإسلامي، و كان من أهمها عرقلة فتح المدارس بمقتضى عدد من القوانين و القرارات الجائرة التي منعت فتح المدارس العربية تحت طائلة العقوبة بالحبس و التعزيم، حتى صار في كثير من الأحيان فتح حانة أسهل من فتح مدرسة.

و من أهم تلك القوانين و القرارات نجد ما يلي:

1- قانون الأهالي الصادر بتاريخ 28 جوان 1881.

2- قانون 18 يناير 1887 الخاص بتنظيم التعليم العام.

3- قانون 18 أكتوبر 1812 الخاص بتعليم الأهالي الجزائريين الابتدائي العام و الحرّ.

4- قانون 27 سبتمبر 1907.

5- مرسوم 8 مارس 1938.

6- قانون 6 أوت 1943 الخاص بفتح المدارس الحرّة الإسلامية.

7- قانون 27 نوفمبر 1944 الخاص بتسيير التعليم الحرّ في الجزائر.

و قد استعملت فرنسا تلك النّصوص القانونية لخنق نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التعليمية، كغلق بعض المدارس الخاص بها، و محاكمة عدد هام من المعلمين "بتهمة التعليم"، "بلغ عددهم 27 معلماً عام 1951 على سبيل المثال.(2)

وصلت الحرب الاستعمارية ضد اللّغة العربية و التعليم العربي أوجها و ذروتها بصدور مرسوم رئيس وزراء فرنسا و وزير داخليتها 'كميل شوطون'(Chautemps) في 8 مارس 1938 الذي اعتبر اللّغة العربية لغة أجنبية في الجزائر.

1- محمد، (حربي)، المرجع السابق، ص 92.

2- بشير، (بلاح)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 / 1989)، ج 1، المرجع السابق، ص 270.

نشبت بين الإدارة الاستعمارية و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين معركة هائلة، و قد وصفها الشيخ البشير الإبراهيمي في العدد 74 من مجلة البصائر (4 أبريل 1949) بقوله: "... أما الحقيقة التي يجب أن تعرفها أمتنا عن هذه المعركة، و يجب أن تشيع فيها شُيوع الحقائق المسلمة، و يجب أن يأخذ كل فردٍ منها حظّه من معرفتها، فهي أنّها صراعٌ بين الإسلام و المسيحية، ظهرت آثاره في جانبين : في جانبنا بهذا الصبر المستميت، و هذا التّصلب الشّديد، و في هذه المقاومة العنيفة التي يعدّها الخوالب تهوُّراً منا و جنوناً، و ظهرت آثاره في الجانب الحكومي بهذا التّصامّ عن الحق، و هذا التصميم على الباطل، و هذه البرامج التي تظهر كل يوم لحرب التعليم العربي الإسلامي..."⁽¹⁾

ظنّ ساسة فرنسا أن غزوهم المسلح انتهى بانتهاء ثورة القراني عام 1871، و أن هناك غزواً ثانياً فكرياً و ثقافياً يتمثل في حمل الجزائريين على القبول بعدالة المستعمر و إدارته، و أن ذلك لن يتأتى إلا بوسيلة التعليم الذي سيضمن السيطرة للغة و الحضارة الفرنسية. و بهذا فقد اقترن التعليم الفرنسي للجزائريين بصدور مرسوم وزير التعليم الفرنسي 'جول فيري' (Jules Ferry) في 13 فبراير 1883 الذي نصّ على مجانية التعليم الابتدائي للأطفال الجزائريين من الذكور، حيث كان يرى هذا السياسي في التعليم سلاحاً فعالاً و فتاكاً للقضاء على مقومات الشخصية العربية الإسلامية.

لقد أنتج هذا النوع من التعليم فئة صغيرة لكنها نشطة في تبليغ رسالة فرنسا، حيث يؤكّد 'روبير أجيرون' (Robert Ageron) في مؤلفه "تاريخ الجزائر المعاصرة 1871-1954" أنّ "المدرسين الجزائريين في المدارس الحكومية (و هم من نواتجه) كانوا يقرؤون للكتاب الفرنسيين، و يجهلون العربية، و يعلنون أنّهم فرنسيون، و تزوج بعضهم فرنسيات، و تجنّس ربّهم، و أكثرهم قبائليون."⁽²⁾

غير أنّ هذا النوع من التعليم فشل عموماً، و ظل عدد المتدربين من أطفال الجزائريين ضعيفاً جداً، إلى درجة أن عدد حملة البكالوريا منهم لم يتعد 40 طالباً عام 1914، و يعود ذلك إلى الأسباب التالية:

- عزوف الجزائريين عن الالتحاق بتلك المدارس الاستعمارية التي كانت تبتّ السموم بدلاً من نشر العلم و المعرفة، حتى سمّوها بمدارس الشيطان.

1- نفسه ، ص 271.

2- نفسه ، ص 272.

- معارضة المستوطنين المطلقة لتعليم الجزائريين مخافة أن يصبحوا خطراً على الاستعمار و على مصالحهم المادية.
- تقصير السلطات الفرنسية في توفير الأموال الضرورية و اللازمة لإنجاح عملية تعميم و مجانية التعليم، فمثلا خصصت الإدارة الفرنسية عام 1885 حوالي 1906000 فرنك كاعتمادات مالية لتعليم الأوربيين، بينما لم تخصص سوى 94000 فرنك لتعليم المسلمين.⁽¹⁾ و هذا ما جعل نسبة الأمية ترتفع في أوساط الجزائريين فبلغت حدود 98% في صفوف الإناث و حوالي 94% في صفوف الذكور، ما ساعد على انتشار الجهل و البدع و الشعوذة و الخرافات.

و كرد فعل على هذه السياسة فقد بذلت تيارات الحركة الوطنية الجزائرية و على رأسها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و حزب الشعب الجزائري الجهود الجبارة في مجال التعليم بغية الحفاظ على هوية الشعب الجزائري العربية الإسلامية، ففتحت كثيرا من المدارس الحرة حددها 'البشير الإبراهيمي' بحوالي 125 مدرسة في أكتوبر 1950 تحوي على 37 ألف تلميذاً و توظّر حوالي 275 معلماً. كما فتحت الجمعية معهد ابن باديس بقسنطينة عام 1947 لتكوين معلمي المدارس الابتدائية، و تأهيل الطلبة الراغبين بالالتحاق بجامعة الزيتونة.

2/ دور الكنيسة في التبشير و التعليم:

عملت الإدارة الفرنسية كل ما بوسعها لمحاربة اللغة العربية و القضاء على الإسلام، و العمل على نشر المسيحية، و هذا عن طريق:

العمل على انتزاع و اقتلاع الجزائريين من جذورهم الثقافية و الدينية و استمالتهم إلى النصرانية، و ما سياسة 'لافيجري' (Charles Lavigerie) إلا إحدى تلك الوسائل، فقد كتب في إحدى رسائله إلى المسؤولين الفرنسيين يحثهم على تذليل العقبات من طريق المنصرين بقوله: "يجب إنقاذ هذا الشعب، و ينبغي الإعرّاض عن هفوات الماضي، و لا يمكن أن يبقى محصوراً في قرآنه... يجب أن تسمح فرنسا بأن يقدم إليه الإنجيل، أو أن تطرده إلى الصحاري بعيداً عن العالم المتمدّن." ⁽²⁾ و قد ركب المنصرون سفينة الأعمال الخيرية و الإنسانية، و التعليمية لبلوغ أهدافهم لعل أبرزها:

- إنشاء المدارس، حيث نصّت المادة الخامسة من القوانين الأسقفية الخاصة بـ " التبشير بين الأهالي " على اعتبار " الأطفال الأمل المرتقب لمهمتنا عند الكفار." ⁽³⁾
- سياسة التحكم الكلي في الميدان الديني حيث عملت على تعيين و مراقبة رجال الدين و التصرف في أموال الوقف و الحبوس. ⁽⁴⁾

1- بشير، (بلاغ)، المرجع السابق، ج1، ص 273.

2- بشير، (بلاغ)، المرجع السابق، ج1، ص 276.

3- نفسه، ص 276-277.

4 - Pascal (Le Pautremat), op.cit, p 29.

• إقامة المستشفيات و المستوصفات للتطبيب كآلية من آليات التبشير، حيث يقول أحد الدكاترة أنه: "يجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا ينسى و لا في لحظة واحدة أنه مبشّرٌ قبل كل شيء، ثم هو طبيب بعد ذلك." (1) و قد أنشأت فرنسا في هذا الصدد مستشفى 'العطاف' الذي أسماه 'لافيجري' بيت الله عام 1886، و مستشفى 'سانت إليزابيث' (Sainte Elisabeth) الذي أسسه 'جول غابون' (Jule Gabon) حاكم الجزائر في منطقة 'بني منغلات' بالقبائل الكبرى سنة 1894.

• إنشاء الملاجئ و دور الحضانة لاستقبال الأيتام و المشردين و تقديم الهدايا لهم و المساعدات المالية.

• تشجيع الإدارة الفرنسية على عملية البحث و التنقيب الأثري عن بقايا الكنائس و رفات القديسين بهدف إقناع الشعب الجزائري بماضيه المسيحي.

و ظهرت جلياً هذه الجهود خلال كوارث 1866-1868، حيث قام 'لافيجري' بجمع ما يقارب عن "1300 طفل، وزعهم على مراكز أنشأها بابين عكنون و الأبيار و بوزريعة و بولوغين و القبة و بوفاريك لعلاجهم و تنصيرهم، و أرسل بعضهم إلى فرنسا لإفساد روحهم." (2) كما افتتحت 5 مراكز تنصيرية تحت غطاء التطبيب و التعليم في عمق بلاد القبائل ما بين 1873/1879 لم تحقق غايتها من التنصير لتسلك الجزائريين بإسلامهم.

• تعيين، من يوالي الإدارة الاستعمارية، من الجزائريين المتعلمين كمتترجمين و معلمين و مسؤولين محليين بهدف التحكم في البقية. (3)

و مع ذلك فقد استطاعت هذه السياسة أن تفعل فعلها خاصة في منطقة 'آيت بني' بتيزي وزو التي أصبحت معقلاً لتخريج المعلمين الذين كانت تريدهم السلطات الاستعمارية، كما أن معظم المعلمين الذين افتتحت بهم المدرسة العليا ببوزريعة عام 1891 كانوا من هذه المنطقة.

عملت الكنيسة و الإدارة جاهدتان على بناء الكنائس و تحطيم المساجد، إلى أن بلغ "عدد الكنائس 327 كنيسة، مقابل 166 مسجداً فقط لحوالي ستة ملايين نسمة." (4)

3/ محاربة الدين الإسلامي:

1- بشير، (بلاح)، المرجع السابق، ج1، ص 276.

2- نفسه، ص 277.

3 - Pascal (Le Pautremat), op.cit, p 29.

4- بشير، (بلاح)، المرجع السابق، ج1، ص 278.

كانت الكنيسة من أقوى و أهم الأسباب التي تقف حاجزاً منيعاً أمام انتشار التعليم العربي الإسلامي و الذي تبنت نصيب كبير منه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما راحت تطعن في مصداقية الثقافة العربية الإسلامية و نعتها بالتعصب و الغلوّ و الجفاف الروحي و الأخلاقي، و إظهار حسنات المسيحية و دورها الإنساني. و قد أكد سياسة الكيد للغة العربية و الدين الإسلامي، الشيخ البشير الإبراهيمي حيث قال: "إن الحاكم المدني العام للجزائر لَرَهْنُ لإشارة من إشارات رئيس الكنيسة الكاثوليكية، بل إن هذا الرئيس هو الحاكم في الحقيقة." (1)

و لأهمية الدين الإسلامي في حياة الجزائريين فقد سعت فرنسا لإحكام السيطرة على كل ما يتعلق به من مساجد و أوقاف، فراحت تهدم المساجد و الزوايا أو تحول البعض منها إلى كنائس. و يشير 'هنري كلين' في هذا الصدد في كتابه 'تاريخ الجزائر'، إلى قائمة طويلة للمؤسسات الدينية الجزائرية التي صادرها الاستعمار، و وضع يده عليها في بداية الاحتلال. (2) بل أكثر من ذلك يضرب لنا الأستاذ العسلي مثالا عن مدينة الجزائر التي كانت تحتوي على حوالي 106 مسجدا عام 1830، و عندما تحررت الجزائر لم يكن في العاصمة سوى أكثر من 8 مساجد. (3) كما صاحب هذا الاستيلاء على المؤسسات الدينية، السيطرة على أملاك الأوقاف و موارده، بغية التحكم في الجزائريين لأن فرنسا كانت تدرك أهمية هذه الموارد في الحياة العامة للجزائريين. و كذلك تضيق الخناق على التعليم القرآني و مختلف النشاطات الدينية، بوضع الإدارة الفرنسية كل المساجد تحت رقابتها الصارمة، و التي بموجبها أصبحت تراقب عن كثب خطب الوعظ و الإرشاد التي يلقيها الأئمة و المفتون. و لا تسمح في الغالب إلا للموظف الديني الرسمي أن يعظ و يرشد. (4)

و عملا بسياسة مراقبة المساجد، فرضت كذلك إدارة الاحتلال رقابة فعلية على رجال الدين المسلمين و تابعت كل نشاطاتهم صغيرة كانت أم كبيرة. و عملا بتعليمات الإدارة المركزية اهتم ضباط المكاتب العربية بمراقبة هؤلاء الرجال، فكانوا يضعون البيانات الاستخباراتية عن مختلف الشخصيات الدينية في الجزائر. (5) و بهذه السياسة استطاعت فرنسا، كما يؤكد 'ألفريد لو شاتولي' (Alfred Le Chatelier)، أن تغيب الإسلام الحقيقي و تخلق إسلاما فارغا من محتواه قد ضيع روحه و تلاقح مع الفقه و القانون الفرنسي. (1)

1- نفسه ، ص 278.

2- يذكر كذلك السيد دوفول (Devoule) أنه كان بالجزائر العاصمة قرابة 176 مؤسسة دينية؛ 13 مسجدا جامعاً، 109 مسجد، 23 قبة و زاوية سنة 1830. و في سنة 1862 نظرا للنهب و التخريب الذي تعرضت له هذه المؤسسات من طرف الإدارة الفرنسية لم يبق قائما منها إلا 67 مؤسسة؛ 9 مساجد جامع، 19 مسجدا، 15 قبة، 5 زوايا، و لا تعمل منها سوى 21 مؤسسة، أما ما تبقى فهو عاطل عن العمل. للمزيد حول الموضوع ينظر: عثمان، (زقب)، المرجع السابق، ص 279 - 280.

3- بسام، (العسلي)، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، بيروت، ط2، 1983، ص 29.

4- عثمان، (زقب)، المرجع السابق، ص 282.

5- A.N.O.M, 2 U 22, ALG, département d'Alger, contrôle des personnages religieuse, Fiche des renseignements individuel sur les confréries religieuse musulmans du nommée si Abdelkader Mohamed.

4/ نشر الاختلافات العرقية و الجهوية:

عمدت الإدارة الفرنسية على إثارة النزعة البربرية بنشر أبحاث و أعمال غير بريئة حول الثقافة القبائلية، و منها القاموس القبائلي الفرنسي. كما منعت انتقال العلماء و المدرسين إلى منطقة القبائل لإضعاف الصلة بين سكان المنطقة و العرب و بالتالي إبعادهم قدر المستطاع عن اللّغة العربية. تركّزت جهود التنصير في منطقة القبائل و بخاصة على الأمازيغ عن طريق منع تعليم اللّغة العربية و تعميق الإسلام الذي كانت تعتبره سطحيّاً.

و رغم إنشاء الجامعة الجزائرية عام 1909 إلا أنّ وافيده من الطلبة الجزائريين كان ضئيلاً و محتشماً نظراً لندرة المرشّحين لدخولها من خريجي التعليم الثانوي، و يذكر 'آجرون' (Ageron) أن عدد المتخرجين الجزائريين من كلياتها من 1880 إلى 1914 كان في حدود "12 من حملة الليسانس في الحقوق، و طبيب واحد، و صيدلي، و 34 مجازا في اللّغة العربية و 24 مجازا في العلوم." (2) كما أن عدد الطلبة الجزائريين لم يتعدى 6 من مجموع 585 طالباً مسجلاً عام 1884، و الذي وصل إلى حدود 47 طالباً عام 1920، ثم ليقفز العدد إلى 94 عام 1939 من جملة 2246 مسجلاً، و حوالي 589 طالباً جزائرياً من أصل 6260 مسجلاً عام 1954. و هذا يجزنا إلى أن نصيب الجزائري من التّعليم الجامعي لم يتعد 1 مقابل 51000 جزائري.

5/ انعكاسات السياسة الاستعمارية على المجتمع الجزائري في شقها الثقافي:

- تظهر انعكاسات السياسة الاستعمارية على المجتمع الجزائري في مختلف المجالات خاصة منها الثقافية، في:
- تدهور واقع الإسلام و الأخلاق و اللّغة العربية في الجزائر، بسبب سياسة حرب الإبادة التي شنتها الإدارة الاستعمارية على اللّغة و الدّين الإسلامي و الثقافة و التّعليم و المساجد. فقد تحطّم النظام التّربوي القديم، على حدّ تعبير محمد حربي، و لم يبق منه سوى بعض الآثار بلا جذور. (3)
 - تشجيع فرنسا لفتح الحانات و محلات البغاء و الملاهي و تشجيع انتشار الرذيلة و العري.
 - عزل المجتمع الجزائري عن العالم، و خاصة عن محيطه العربي الإسلامي.
 - طمس و تشويه الذاكرة الجماعية من خلال تغييب التاريخ الوطني و الإسلامي و إفساد لغة التخاطب.
 - إلزام فرنسا الجزائريين بالتّسجيل في سجلات الحالة المدنية في 23 مارس 1882 بألقاب ذنيئة و منحطة بغية الحط من قيمتهم كأناس و من هذه الألقاب نجد "لخنش، الذيب، راس الكلب، بعرة، بقّة، فرعون، لطرش، العقون، بوخنونة، مجنون، قرقوش، هايشة، و غيرها." (4)

1 - Pascal (Le Pautremat), op.cit, p 30.

2- بشير، (بلاخ)، المرجع السابق، ج1، ص 280.

3- محمد، (حربي)، المرجع السابق، ص 93.

4- بشير، (بلاخ)، المرجع السابق، ج1، ص 282.

• عزم فرنسا على محاربة الإسلام و القضاء عليه، و في هذا عبر 'بيجو' بقوله: "إن أيام الإسلام الأخيرة قد حانت، و لن يكون في الجزائر كلها بعد عشرين عاما من اله يعبد غير المسيح..."⁽¹⁾

كان من نتائج سياسة فرنسا في الجانب الثقافي و الاجتماعي ضعف تأثير الإسلام و تدهور اللغة العربية، و انتشار الأمية و الجهل في أوساط الجزائريين، و رواج الرذيلة و فساد الأخلاق لبعض الفئات. و انتشرت لغة المستعمر و ثقافته، و لولا جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و العديد من الشخصيات الغيورة على الإسلام و العربية لانطمست مقومات الشخصية الجزائرية و لاندثرت الجزائر.

و تماشيا مع حركية الاحتلال الفرنسي بالجزائر، بذل الجزائريون في مواجهة الاحتلال و التسلط العسكري الذي مارسه عليهم، ثلاث أنماط من أنواع المقاومة، الأولى مقاومة عسكرية شعبية- و قد فصلنا في بعض منها في هذا المدخل-، و الثانية سياسية، و الثالثة عسكرية مسلحة- سيتم التعرض لها بنوع من التحليل في ما سيأتي من هذه الدراسة-. بدأ النوع الأول منذ أن وطأت أقدام الاحتلال أرض الجزائر إلى غاية القرن التاسع عشر منتشرة تقريبا في الكثير من مناطق الوطن.

أما النوع الثاني فقد ظهر في شكل أحزاب سياسية و جمعيات إصلاحية و نوادي ثقافية و رياضية و مجتمع مدني انطلق و تبلور فعليا مع نهاية الحرب العالمية الأولى و تواصل إلى غاية سنة 1954 التاريخ الذي بدأ فيه النوع الثالث في شكل ثورة شعبية وطنية عمت كل التراب الوطني استمرت إلى غاية تحقيق الاستقلال و طرد المستعمر من أرض الجزائر.

و عليه فإن الجزائري الذي سيشهد هذا الصراع بين القديم و الجديد كما يقول مصطفى الأشرف: "قد ظلّ متمسكاً ببعض القيم الأخلاقية التي ورثها من القرون الوسطى على أن هذا لم يمنعه من أن يميز تمييزاً واضحاً أو غامضاً، بين التراث الإنساني و الديني الذي لم تخمد جذوته في قلبه أبداً، و بين مقتضيات العصر."⁽²⁾

و بهذا فقد سعى الجزائري بالرغم من سياسة الاحتلال الفرنسي، و بالرغم من كل تلك المغريات للحفاظ على ثقافته و على لغته العربية الفصحى، و لو أنه استعار لغة المستعمر بدلا من لغته التي أصبحت محظورة عليه كأداة للتعبير و التخاطب و التعامل.

1- بسام، (العسلي)، عبد الحميد بن باديس و بناء قاعدة الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 41.

2- مصطفى، (الأشرف)، الجزائر: الأمة و المجتمع، المرجع السابق، ص 416.

الباب الأول:
البعء الإسلامي في الحركة الوطنية 1919- 1954 م

الفصل الأول: الاتجاهات السياسية في الجزائر 1919-1954 م

لكل أمة منسكا هم ناسكوه ، و لأن كل أمة تحتوي على نموذج كمالها الخاص الذي لا يمكن لها الاستعاضة عنه بنموذج كمال أمة أخرى. و بذلك جاءت الفكرة الثورية ذات الطابع الازدواجي الذي يجعل منها تعبيراً أو حصيلة لكل القيم و المثل الإيجابية الماضية لكافة الجماهير، و للقيم و المثل و التحديات التي تحكم العصر و الواقع المتواجدة فيه كذلك و في الوقت نفسه.(1)

و عليه فإن دراسة أي ثورة أو حادثة تاريخية أخرى، بعيداً عن الجذور الفكرية التي مهدت لها و كانت وراءها هي دراسة عقيمة و غير مجدية. و بهذا جاء هذا الفصل ليعين ذلك الترابط العضوي بين الأحداث التاريخية، و يؤكد لنا أن الحدث المتولد عن الفكرة ذلك المضمون التاريخي العقلاني - كما يقول الدكتور البخاري حمادة- الذي ينصهر فيه الماضي و الحاضر و المستقبل انصهاراً يجعل في النهاية من الصعب فهم الحركة الوطنية و الثورة، استناداً إلى معطياتها المادية و إلى أحداثها المباشرة فقط، و من دون ربطها بالأحداث التي سبقتها و مهدت لها، و بالأفكار التي كانت وراء تلك الأحداث.(2)

أولا/ إرهابات النضال السياسي (1914/1909):

بالرغم من هزيمة الجزائريين أمام قوة فرنسا عسكرياً، و انكسارهم أمام حربها الضروس ضدهم، و بفعل ما طالهم من تخريب اقتصادي و اجتماعي، إلا أنها لم تستطع القضاء عليهم ثقافياً و حضارياً، و لم تقدر على تخطيط إرادتهم و قوة عزيمتهم. هذا نتيجة تنوع مقاومتهم للغزو الفرنسي، فما إن فشلت المقاومة الشعبية المسلحة، حتى عمدوا إلى أسلوب آخر من أساليب المقاومة، هي "المقاومة الدينية و الحضارية التي عبرت عن رفضهم التخلي عن هويتهم

1- البخاري،(حمادة)، فلسفة الثورة الجزائرية، دار النديم للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2012، ص 55-90.

2- نفسه، ص 247.

الإسلامية المميّزة و المفارقة لهوية الغاصب الأجنبي، و مهدت لظهور النضال السياسي، و من بعده للثورة المسلحة المجيدة. (1)

فعندما لم تعد هناك أي دعوة للجهاد، اضطر الشعب الجزائري ليغير أسلوب الدفاع عن نفسه و أرضه بوسائل أخرى غير عسكرية، كرفض الكافر المحتل، و نبذ عاداته و قيمه و أسلوب عيشه، عن طريق التمسك بالقيم و العادات و التقاليد التي تميزه، و الاعتصام بدينه الإسلام، و العمل على الحفاظ عليه و الدفاع عنه ضد السياسة الاستعمارية المطبقة ضده. و عليه فقد عُوضَ الفعل العسكري بالكلمة و المطالب السياسية التي كانت الفعل المناسب لتلك الظروف، و في هذا يقول الأستاذ محفوظ قداش (2): "عوضت الكلمة الفعل إذن، و تقدمت المطالب السياسية على المقاومة المسلحة التي لم تعد ممكنة. (3) كما يؤكد ذلك أيضا الأستاذ رابح لوئيسي إذ يقول: "عرفت الجزائر منذ بداية القرن العشرين نشاطا ثقافيا مكثفا فظهرت الصحف كصحيفة الإسلام و الراشدي و المصباح كوكب إفريقيا باللغة الفرنسية و صحيفة الفاروق و ذو الفقار و الجزائر باللغة العربية." (4)

شهدت الجزائر في مطلع القرن العشرين ميلاد نهضة دينية و اجتماعية و ثقافية و حضارية، كان الدافع إليها جملة من العوامل نذكر منها:

- الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي التي تنبأها العديد من القادة و الشخصيات، لعل أبرزهم: جمال الدين الأفغاني (1314/1254 هـ الموافق 1897/1838 م)، و محمد عبده (1323/1266 هـ الموافق 1905/1849 م)، و عبد الرحمان الكواكبي (1320/1265 هـ الموافق 1902/1849)، و شكيب أرسلان (1365/1288 هـ الموافق 1946/1871 م)، و غيرهم في المشرق العربي، و الشيخ عبد العزيز الثعالبي (1944/1874 م)، و غيره في المغرب العربي، (5) و دعت هذه الحركة إلى العودة إلى الإسلام الصحيح، و التحرر من الجمود الفكري، و الدعوة إلى وحدة المسلمين، و الوقوف أمام الاستبداد الاستعماري. و لقد كانت لزيارة الشيخ 'محمد عبده' إلى الجزائر عام 1903، أصداء واسعة و تأثيراً قوياً.
- نشاط الصحافة العربية الإسلامية المشرقية، و ما حملته مقالاتها من أفكار سياسية، و تحررية و إصلاحية مثل: العروة الوثقى و المؤيد و اللواء و المنار.

1- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1989 / 1830)، ج1، المرجع السابق، ص 57.

2- أحد المتعاطفين مع حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، انتخب يوم 11 أكتوبر 1953 كأمين عام لكشافة الإسلامية الجزائرية، و رئيساً لها ما بين 1962/1957. يعتبر أحد أبرز المؤرخين الجزائريين و خاصة في تاريخ الحركة الوطنية. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin, Stora, Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954, Editions L'Harmattan, Paris, 1985, p 209.

3- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 / 1830)، تر: أوداينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، 335 صفحة، ص 17.

4- رابح، (لوئيسي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1954-1920)، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط2، 2012، 494، 21 صفحة، ص 21.

5- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1989 / 1830)، ج1، المرجع السابق، ص 325.

- ظهور أحداث في العالم الإسلامي مثل: الثورة المهدية في السودان (1882/1899)، و الانقلاب العثماني 1908، و غزو ليبيا 1911، و فرض الحماية على المغرب 1912.
- رجوع الطلبة الجزائريين الذين نحلوا العلم و المعرفة بالأزهر، و جامع الزيتونة، و القرويين، بعدما "تشرّبوا هناك بفكرة الإصلاح و الجامعة الإسلامية".⁽¹⁾ فعملوا على بناء المدارس، و إصدار الصحف بغية تصحيح العقيدة و الأفكار، و بعث النفوس و الضمائر الميتة.
- بروز ثلة من العلماء من أمثال الشيخ عبد القادر المجاوي (1264/1332 هـ الموافق 1848/1913 م)، و حمدان الونيسي (المتوفي سنة 1330 هـ الموافق 1912 م)، و مصطفى بن الخوجة (1281/1333 هـ الموافق 1865/1915 م)، و عبد الحليم بن سماية (1283/1351 هـ الموافق 1866/1933 م).⁽²⁾
- نقل العمال الذين كانوا بفرنسا مبادئ و قيم التنوير و حقوق الإنسان إلى الجزائر، و الذي كان له الأثر في تفتيح العقول و الدهنيات.
- سياسة 'شارل جونار'^(Charles Jounard) و التي رغم ما تميزت به من قمع و اضطهاد إداري شديد، إلا أنها دعت من جهة إلى الانفتاح الحضاري على الجزائريين - و هذا لا محالة لأغراض تخدم مصلحة الاستعمار بالجزائر - كما ساهم في إنشاء الجامعة الجزائرية 1909 و التي لا محالة سوف تساهم في تكوين طبقة مثقفة و لو بنسب ضئيلة جداً في أوساط الجزائريين.
- كل هذه الأسباب و غيرها مهدت الطريق نحو تجلي مظاهر نهضة جديدة لعل أبرزها كان:
 - إرهاصات تبلور الوعي الإسلامي الصحيح.
 - ظهور الصحافة الوطنية (الأهلية/الجزائرية) مع سنة 1900، و التي كانت لها اتجاهات متعددة عملت على ترقية المجتمع الجزائري سياسياً، نذكر منها على سبيل المثال: المغرب (1903/1904)، المصباح (1904/1905)، الإسلام (1910/1914)، الجزائر (1908)، الحق الوهراني (1912/1913)، الفاروق (1912/1913)، ذو الفقار (1913).
 - إنشاء المطابع المهتمة بالتراث الجزائري.
 - إعادة بعث التراث الجزائري العربي الإسلامي عن طريق تحقيق و طبع جملة من الكتب المخطوطة في التاريخ و الرحلات و التراجم و السير و الأدب و العلوم الشرعية. و قد كان للشيخ محمد بن أبي شنب دور رئيسي في هذا.

1- نفسه، ص 326.

2- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 / 1989)، ج1، المرجع السابق، ص 325..

- تكوين النوادي و الجمعيات ذات الطابع الاجتماعي و الثقافي.
- ظهور نخبة مثقفة ذات نشاط مطلبى ترقوي.
- تجدد نشاط الطرق الصوفية.
- بعث دور المساجد العلمي، و الثقافي و الدعوي من خلال ما كان يلقي من دروس و مواعظ الأئمة و المدرسين.(1)
- كل هذه العوامل و البوادر كانت الأرضية الخصبة التي نمت و ترعرع فيها النضال السياسي في الجزائر خاصة بعد الحرب العالمية الأولى. و من بين أهم مظاهر هذا العمل ما يلي:
 - ظهور جماعة النخبة بشقيها المحافظة و العصرية.(2)
 - تأسيس النوادي الثقافية و الجمعيات التي عملت على نشر التعليم و التربية و تأطير الندوات و الملتقيات الفكرية و الاجتماعية و الرياضية و السياسية أحياناً. و من بين هذه النوادي نجد: الجمعية الرشيدية، الجمعية التوفيقية، نادي باي صالح، جمعيات وادي مزاب، نادي الترقى، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.(3)
 - نشاط الطرق الصوفية و منها: الطريقة القادرية، الطريقة الرحمانية، الطريقة الدرقاوية، الطريقة التيجانية، الطريقة السنوسية، الطريقة العليوية. و قد لعبت بعض هذه الطرق أدواراً إيجابية نذكر منها: مقاومة الاستعمار و تعليم اللغة العربية و تحفيظ القرآن، و الوقوف أمام التجنيس، بينما لعب البعض منها أدواراً سلبية مثل: تعاونها مع الاستعمار و تزكية وجوده و معارضتها لمسار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و هذا تجلّى من خلال مقاومة الطريقة التيجانية للأمير عبد القادر و تواطؤ شيخها مع الجاسوس الفرنسي 'ليون روش' (Léon Roche) لاستصدار فتوى "بعدم جواز مقاومة المسلمين للفرنسيين لإضعاف الأمير و سائر المجاهدين".(4)
- مع تغير الظروف المحلية و الدولية المحيطة بالجزائر، تطورت منذ مطلع القرن العشرين أساليب مقاومة الجزائريين للاستعمار وفق نمطية المقاومة الثقافية التي ستكون اللبنة التي تبنى صرح المقاومة السياسية و انبعثت روح نضالية جديدة تمثلت في ظهور و نشأة الأحزاب السياسية عقب الحرب العالمية الأولى.
- و في هذا الصدد يذكر الدكتور يحي بوعزيز أنه قد برز قبيل الحرب العالمية الأولى تيار سياسي في إطار 'جماعة الجزائر الفتاة' التي "كانت تطالب بتحقيق مبدأ المساواة بين الأقلية الأوروبية المسيحية و المستعمرة و

1- نفسه، ص 330.

2- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 / 1989)، ج1، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

3- نفسه، ص 333.

4- نفسه، ص 338.

الأغلبية الجزائرية المسلمة... " (1) و قد نشأ هذا التيار بعد الحرب العالمية الأولى، بزعامة الأمير خالد الجزائري الذي "شدد على ضرورة حفاظ الجزائريين على شخصيتهم الإسلامية مما أثار ضده غلاة الاستعمار و أذناهم بزعامة أعضاء رابطة شيوخ البلديات من أمثال عبو و فروجي". (2)

ثانيا/ الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى(1914/1918):

اندلعت الحرب العالمية الأولى بين القوى الأوروبية بسبب تضارب مصالح هذه الخيرة، و تنافسها حول الزعامة الدولية، غير أن الجزائريين لم يتحمسوا لها أبداً، بل أكثر من ذلك فقد تشاءموا منها ليقينهم بأنها ستنزف خيراتهم و تلحق بهم الضرر الأكيد و الظلم المديد، مع ذلك فقد تحوفت فرنسا من احتمال قيام ثورة عارمة في شمال إفريقيا، خاصة و أن ثورة 1871 ليست عنها ببعيد، غير أن هذا لم يحدث بسبب عدم توفر شروط الثورة الملائمة، و بقيت بذلك فرنسا تكبح جماح الجزائريين و توقظ مضاجعهم.

1/ مواقف الجزائريين من اندلاع الحرب العالمية الأولى:

تباينت المواقف الجزائرية من اندلاع الحرب العالمية الأولى، خاصة مع بروز الدعاية الألمانية العثمانية التي روجت لفكرة " فرنسا جلاد الشعب"، و أن العثمانيين و الألمان هم منقذو الشعوب الإسلامية. و عليه قام شيوخ الإسلام بإسطنبول بإعلان الجهاد ضد فرنسا في شهر نوفمبر 1914 (Revue Africaine n° 73) و هكذا انقسم الجزائريون بين مؤيد لفكرة مساندة فرنسا في الحرب و هم قلة اقتصر تواجدهم على القياد و الأعيان و الموظفين الدينيين و رؤساء الطرق الصوفية و المنتخبين، الذين بذلوا النفس و النفيس في دعم فرنسا خلال حربها. بينما نجد الفئات العريضة و الساحقة من الشعب الجزائري رفضت المشاركة في الحرب إلى جانب فرنسا، و قد تجلت مواقف هذه الأخيرة فيما يلي:

● التظاهر و توزيع المنشورات و تعليق الملصقات المعادية للاحتلال و الرفض للتحديد الإجباري الذي فرضته فرنسا بموجب مرسوم 1912.

● بروز الأدب الشعبي في شكل أشعار و أغاني و حكم و أمثال شعبية تندد بفرنسا و تمجد الدولة العثمانية و ألمانيا.

● تصدي أعداد هائلة من الشباب لعملية التجنيد و هروبهم و اعتصامهم بالجبال، بل أكثر من ذلك فقد شكلوا جماعات أزعجت السلطات الفرنسية خاصة في منطقة معسكر و سدراتة و بريكمة و تبسة والأوراس.

(3)

1- يحي، (بوعزيز)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 44-43.

2- نفسه، ص 44.

3- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 / 1989)، ج1، المرجع السابق، ص 352.

- شن الشباب الفار من التجنيد الإجباري عمليات عسكرية ضد فرنسا خاصة في منطقة القبائل، و عنابة، و سوق اهراس، و تنس، و منطقة وهران.
- اندلاع ثورات ضد فرنسا لعل أبرزها ثورة الهوقار في شهر فبراير 1916، و ثورة عين التوتة بالأوراس في نوفمبر من نفس السنة، ألحقت بالعدو الفرنسي الخسائر المعتبرة، و قد ردت عليها فرنسا بكل قمعية و وحشية.
- تشكيل الفارون من صفوف القوات الفرنسية بالخارج، مع بعض الأشقاء التونسيين و المغاربة، لجان في سبيل استقلال شمال إفريقيا، خاصة في جنيف و إسطنبول و برلين. و كان في طليعة هؤلاء المناضلين: الشيخ محمد الخضر حسين، و الشيخ صالح الشريف، و محمد ميزان التلمساني، و حمدان بن علي، و محمد بزار، و من تونس نجد: محمد باشا حامية، و محمد الشيب، و إسماعيل الصفايحي.⁽¹⁾
- اندلاع ثورة الأمير عبد المالك الجزائري ضد الوجود الفرنسي في المناطق الشمالية الشرقية من المغرب (1924/1915).

2/ الجزائريون و الحرب:

- بسبب تمكن فرنسا من الجزائر و سيطرتها عليها فقد شارك الشعب الجزائري في الحرب بصفة قسرية، و قد اتخذت مشاركته الأشكال التالية:
- تجنيد فرنسا لآلاف الجزائريين و زجهم في غياهب المعارك و على مختلف جبهات القتال. و قد بلغ "مجموع من تم تجنيدهم للقتال حسب الإحصاءات الفرنسية: نحو 177800 فرداً".⁽²⁾
- تسخير الآلاف من اليد العاملة لدعم المجهود الحربي في المصانع و المناجم و الموانئ.
- استنزاف الأموال الطائلة و المحاصيل الزراعية و الثروة الحيوانية خدمة لمصلحة الحرب.
- انعكست الحرب العالمية الأولى على الجزائريين فشملت مختلف المجالات نوحزها فيما يلي:
- موت حوالي 56000 جزائري، و جرح حوالي 82000.
- آلاف الأرامل و اليتامى.
- تدهور الحالة المعيشية و الصحية للسكان و انتشار المجاعة في المدن كما في الأرياف.
- التسلط في تحصيل الضرائب و التعويضات.

¹- بلاح،(بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 /1989)، ج1، المرجع السابق ، ص 353.

²- نفسه ، ص 354.

- تناقص الإنتاج و ضعف قوت المواطن.
 - نهب المواد الأولية.
 - غلاء و ارتفاع الأسعار التي بلغت أحياناً نسبة 300% (4).
 - انتعاش الحس الوطني بفضل تجدد روح المقاومة المسلحة و لو مؤقتاً.
 - نمو الوعي السياسي و الاجتماعي للجزائريين بفعل الدعاية العثمانية الألمانية المعادية لفرنسا، و احتكاكهم بالشعوب الأخرى، و اطلاعهم على الأحداث العالمية الكبرى مثل: الثورة الروسية عام 1917 و مبادئ الرئيس الأمريكي 'ولسون'(Wilson) الـ 14، فعملوا بعد عودتهم إلى الجزائر أو إلى معاملهم في المهجر، في بناء تنظيمات الحركة الوطنية.
 - بروز النشاط السياسي للحركة الوطنية ممثلاً في تقديم الأمير خالد الجزائري لائحة مطالب لمؤتمر الصلح عام 1919، تضمنت المطالبة بحق تقرير المصير، و مشاركة الشعب الجزائري في حكم و تسيير بلاده.
- أما فرنسا و أمام ضغوط بعض الفرنسيين بدعوى مكافأة الجزائريين خاصة على ولائهم في الحرب، فقد أصدرت قانون 4 فبراير، و مرسوم 6 فبراير 1916.
- لقد أتاح قانون 4 فبراير إمكانية منح الجنسية الفرنسية لبعض الجزائريين بشروط تعجيزية. أما مرسوم 6 فبراير فقد ركز على زيادة حجم الكتلة الانتخابية الجزائرية في "القسم الانتخابي الخاص بالأهالي" من حوالي 15000 إلى 425000 منتخب (43% من الرجال الجزائريين فوق سن 25 سنة) (2) و هذا بغية اختيار ممثلهم في المجالس البلدية، و إنشاء هيئة لانتخاب المستشارين العامين و المندوبين الماليين تتألف من 103145 منتخب، يشترط لقبولهم فيها شروط تعجيزية لا تتوفر في غالبية الجزائريين. (3)
- رغم هذه الإصلاحات الشكلية و التي تظهر للعيان على أنها إصلاحات حسنة إلا أنها تناقضت مع مبادئ المساواة و الديمقراطية و هذا لإبقائها على نظام القسامين الانتخابيين (أي المسلم و الفرنسي) منفصلين و جعلها ممثلي الجزائريين في المجالس أقلية رغم أنهم يمثلون أغلبية الفئة المنتخبة، و تجاهلت فرنسا كذلك تمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي، و لم تلغ قانون الأهالي و لا المحاكم الردعية لذلك فقد رفضها الشعب الجزائري عامة و طالب بتمثيل و مساواة حقيقية.
- بالرغم من إلحاق الحرب العالمية الأولى بالأضرار الكبيرة بالشعب الجزائري، و استنزافها لثرواته المادية و البشرية، إلا أنها كانت أرضية خصبة لنمو ثورات شعبية ضد فرنسا و الوعاء الذي سوف يؤطر إرهابات الحركة الوطنية و العمل

1- بلاح،(بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830/1989)، ج1، المرجع السابق ، ص 355.

2- نفسه ، ص 356.

3- نفسه، ص 356.

السياسي الذي سيؤدي إلى بروز أحزاب و جمعيات ستعمل على الدفاع عن شخصية الجزائر بمختلف البرامج و الأطروحات و على مختلف الأصعدة و المجالات.

ثالثا/ الحركة الوطنية الجزائرية ما بين الحربين (1939/1919):

عرف تاريخ الجزائر مطلع القرن العشرين بروز نهضة ثقافية و دينية، عبرت عن رفض الشعب الجزائري لواقعه المر الذي يتمثل في العبودية الاستعمارية، و تعلقه الشديد بمقوماته و بشخصيته الوطنية ذات الأبعاد العربية الإسلامية، و تمسكه بأرض أجداده، تم حلت الحرب العالمية الأولى بكل انعكاساتها و تجلياتها الكبيرة، فأكسبت الجزائري وعياً سياسياً و خبرة عسكرية، و هيأت الجوّ لبروز جيل جديد سيتخذ من النضال السياسي الوطني سلاحاً له لمقاومة الاحتلال الفرنسي و التصدي لسياسته القمعية و الردعية التي أرادت أن تحوّل الشعب الجزائري إلى آلة لخدمة اقتصاد فرنسا و راحة المحتل.

1/ عوامل بروز الحركة الوطنية (النضال السياسي):

إن الحديث عن بروز الأحزاب السياسية في الجزائر و تشكلها، خلال القرن العشرين، لا يمكن أن يكون بمعزل عن ظروف الهيمنة الاستعمارية. و في هذا يذكر الأستاذ 'شتتوف' أن قرارات تشكيل الأحزاب الوطنية يكمن في تلك التغيرات المتعددة للأوضاع.⁽¹⁾ و لهذا فقد نشطت الحركة الوطنية السياسية الجزائرية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى لعدة عوامل نذكر منها ما يلي:

أ/ العوامل السياسية:

- فقدان السيادة الوطنية بسبب الاحتلال العسكري الفرنسي. و في هذا يؤكد الأستاذ 'شتتوف' أن السيطرة الاستعمارية، خلال القرن التاسع عشر و القرن العشرون، تمثل بحق العامل المحرك و الناشط لقطيعة مختلف الطبقات الاجتماعية.⁽²⁾
- زوال كافة الحقوق السياسية.
- سياسة البطش و التنكيل و الإبادة الجماعية التي مارستها فرنسا ضد الشعب الجزائري.
- فرض فرنسا القوانين الاستثنائية و قانون التجنيد الإجباري (1912).
- معايشة الجزائريون لحركات الوعي الديني و القومي في الشرق الأدنى و فرنسا و احتكاكهم بالممارسات الحزبية، ما أكسبهم وعياً سياسياً شجعهم على تدشين النضال السياسي.

1 -Tayeb,(Chentouf), op.cit,p 120.

2 -Ibid,p 120.

● مشاركة الجزائريون في الحرب العالمية الأولى و اكتسابهم الخبرات السياسية و العسكرية، و اطلاعهم على أفكار جديدة كانت الأرضية الصلبة للعمل السياسي. في هذا يؤكد الأستاذ رابح لونيبي أن تبلور الوعي الوطني يعود إلى عدة عوامل منها الحرب الإمبريالية الأولى بكل تأثيراتها الاجتماعية و الثقافية و السياسية على الجزائريين.⁽¹⁾

● التأثير بما يجري من أحداث في العالم الإسلامي مثل: الحرب الليبية - الإيطالية، و ثورة 1919 بمصر، و ثورة كل من الأمير عبد المالك الجزائري و عبد الكريم الخطابي في المغرب.

● بروز أحداث عالمية لها أهميتها في التاريخ المعاصر مثل: الثورة البلشفية في روسيا و انتشار مبادئ الرئيس الأمريكي 'ولسون' الأربعة عشر و التي منها "حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها." و كذلك بروز خريجي المدرسة الفرنسية التي أنشأها جول فيري و انتشار هؤلاء في المجتمع بما يحملونه من أفكار حول مبادئ الثورة الفرنسية و فلاسفة عصر التنوير الأوروبي.⁽²⁾

ب / الثقافية و الاجتماعية:

● سياسة فرنسا الرامية للقضاء على ركائز الثقافة الجزائرية و منها الدين الإسلامي و اللغة العربية.

● انتشار حركة الإصلاح الديني و فكرة الجامعة الإسلامية في المشرق الإسلامي تحت زعامة الشيخ 'جمال الدين الأفغاني'، و التي كان لها تأثير كبير على الجزائريين.

● تدهور الواقع الاقتصادي و الاجتماعي للجزائريين، فانتشرت المجاعة و العوز و الأمراض و الأوبئة.

● ارتفاع عدد وفيات الأطفال عند الجزائريين مقارنة بالأوروبيين فمثلا: سنة 1919 بلغ عدد المواليد الأحياء 110754 و عدد المواليد الأموات 1144 ، و في سنة 1920 ارتفعت نسبة الزيادة الطبيعية في أوساط الأوربيين إلى 4,87 % أكبر من النسبة في أوساط الجزائريين.⁽³⁾

بطبيعة الحال هذه ليست كل العوامل التي أدت إلى بروز الحركة الوطنية، بل هناك عوامل أخرى نذكر منها: عدم احترام الاستعمار للحريات الأساسية كحرية التجمع، و ممارسة العقيدة الإسلامية، و الصحافة، و التعليم، و التنقل.⁽⁴⁾ و مهما يكن الحال فإن عامل رفض الهيمنة الاستعمارية التي تعدها الزمن، كان المحرك الرئيس في تفعيل الحركة الوطنية و نشاط الأحزاب السياسية على العموم.

¹- رابح،(لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 22.

²- نفسه، ص 22.

³ -Mahfoud,(Kaddache),Histoire Du Nationalisme Algérien, tome 1, Entreprise National du Livre, Alger, Deuxième édition, 1993.p12.

⁴ -Mahfoud,(Kaddache) ,tome 1,op.cit,p36.

2/ التيارات المختلفة للحركة الوطنية:

لقد اختلف الباحثون و الأكاديميون في الوصول إلى تصنيف دقيق للتيارات الفكرية في الفترة الممتدة ما بين 1919 و 1954،⁽¹⁾ و مع ذلك فقد حاولنا أن نضع هذا التصنيف المشهور و المتداول كثيرا في المراجع و المصادر التاريخية. و لقد اختلفت هذه الاتجاهات و تباينت آراءها حسب المشارب التي كانت تنهل منها أفكارها و عقيدتها، و منها:

أ/ دعاة المساواة:

هم جماعة من النخبة "الإصلاحية" التي انشقت عن النخبة العصرية، و التفت حول الأمير خالد الجزائري⁽²⁾ بين سنتي 1919 و 1925، و قد قاموا برفع عريضة إلى الرئيس الأمريكي 'ويلسون' عام 1919، طالبوا فيها بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم و المشاركة في حكم بلادهم.⁽³⁾ و لما خاب أمل هذا التيار في مؤتمر الصلح توجهوا مباشرة إلى فرنسا، فأسسوا هيئة "إتحاد النواب المسلمين" و جريدة "الإقدام"⁽⁴⁾ للتعبير عن تطلعات الشعب الجزائري، و نقد السياسة الاستعمارية. كما كان الأمير 'خالد الجزائري' متحمسا كثيرا لفكرة مساواة الجزائريين بالأوروبيين، ما جعل الكثير من الجزائريين يلتفون حوله. و هذا ما يظهر من خلال فوزه الساحق في انتخابات 1919 إذ أن أغلب الأصوات المعبر عنها كانت لصالحه و صالح أصدقائه.⁽⁵⁾ و فوزه كذلك في انتخابات اللجان المالية لعام 1920 أين تحصل على 7 آلاف صوت.⁽⁶⁾ و لما اشتد قلق فرنسا من الأمير 'خالد الجزائري' بسبب استعماله لعبارات حادة و قوية واصفا الاستعمار و نظامه قائلا: "إن القمع الفرنسي ليس له أن يحسد مظالم الألمان و لا الانجليز، إذا ما كانت سياسة الإدارة الفرنسية المحلية تركز على تدمير اللغة و الدين و على التفجير، فقد نجحت بشكل كامل، لأن الشعب جاهل و

1- لقد حاول الأستاذ رابح لونيبي أن يحل إشكالية التصنيف عن طريق العودة إلى التصنيفات المختلفة مثل: التصنيفات الأكاديمية أو تصنيفات المؤرخين، و تصنيفات الفاعلين و المعاصرين للتيارات. ثم وضع ملاحظات منهجية حول تصنيف و دراسة الأفكار في الجزائر المعاصرة ليخرج في نهاية المطاف إلى تحديد ست تيارات فكرية كبرى تتوزع على مرجعيات أوروبية و إسلامية و قومية أو محلية حددها فيما يلي: أولا: تيارات ذات مرجعيات فكرية أوروبية و هي: الليبراليون، و أصحاب المرجعية الماركسية ثانيا: تيارات ذات مرجعية إسلامية. ثالثا: تيارات وطنية و قومية تتمثل في: دعاة إسترجاع الاستقلال، و أصحاب النزعة البربرية، و أصحاب النزعة القومية المغاربية. للمزيد أنظر: رابح، (لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، من ص 23 إلى ص 142. لقد وجدت في تحليله و تصنيفه الكثير من الجديد الذي لم أعهد عليه في الكثير من الدراسات التي تناولت التيارات الفكرية للجزائر المعاصرة، فحاولت أن أسأئس بهذا المرجع لأعطي بعض جوانب النقص التي اعترت دراستي، و تأسفت كثيرا لأنني لم أعرف على هذا المرجع القيم إلا في الأيام الأخيرة من عمر تحضير هذه الدراسة.

2- هو خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر. ولد في 20 فيفري 1875 بدمشق أين سيقضي بها فترة شبابه. التحق بمدرسة سان سير (ST-Cyr) سنة 1893 بالحاح من والده، لكن غادر المدرسة دون أن يكمل تعليمه بها. عاد إلى الجزائر أين بدأ يعرف باستقلالية تفكيره و انتقاداته للإدارة الاستعمارية. و قد عرف عنه حتى قبل أن يبدأ مساره السياسي بأنه محرض خطير، و الناطق باسم الوطنية المسلمة الناشئة. للمزيد ينظر: Mahfoud, (Kaddache), tome 1, op.cit, p97.

3- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830/1989)، ج1، المرجع السابق، ص 363.

4- أسست جريدة الإقدام بتاريخ 10 سبتمبر 1920، كان رئيس تحريرها الأمير خالد. و كانت الجريدة تقوم بفضح ممارسات الإدارة و كذلك فضح بعض الجزائريين المتعاونين مع الإدارة و الذين كان مهمهم الوحيد الكسب المادي. للمزيد ينظر: Mahfoud, (Kaddache), tome 1, op.cit, p102.

5 -Mahfoud, (Kaddache), tome 1, op.cit, p 101.

6 -Ibid, p 102.

الدين قد تم إضعاف حضوره، و الفقر منتشر بشكل شبه كامل.⁽¹⁾، و لأن الإدارة الاستعمارية، و الصحافة و إدارة المعمرين اعتبرته و أصدقاءه خطرا على فرنسا⁽²⁾، شددت عليه الخناق ثم قامت بنفيه من الجزائر في أوت 1923، فنقل ميدان المعركة السياسية إلى فرنسا حيث اتصل بالمهاجرين الجزائريين و المغتربين من عمال المغرب العربي و حضر العديد من المؤتمرات. و أمام هذا حاكمته فرنسا عام 1925 بتهمة حيازة جواز سفر مزور و حكم عليه بستة أشهر سحنا. و منع من دخول الجزائر أو السفر إلى أوروبا، و بقي في منفاه بسوريا حتى وافته المنية بها يوم 9 يناير 1936 بمدينة دمشق.⁽³⁾

اعتبر الأمير خالد الجزائري من الأوائل الذين صاغوا برنامج و مطالب لاقت الاستحسان و أعجبت الجماهير الشعبية، و وجدت فيها مطالب تعبر عن تطلعاتها من "رفض الاندماج، التعلق بالإسلام، حق تقرير المصير و التواجد كجزائريين".⁽⁴⁾ بل و أكثر من ذلك فقد وصف باعتباره محافظا إسلاميا، و أنه رفع شعارات حملته على أساس ديني و وطني.⁽⁵⁾ و اعتبره 'شارل رويبر أجيرون' (Ch- R.Ageron) الرجل الذي أحيى في نظر الجزائريين الإسلام و أبرز احتجاج الشباب الجزائري ضد النظام الاستعماري.⁽⁶⁾ واصل مؤيدي الأمير 'خالد الجزائري' نشاطهم فأنشأوا حزبا ثوريا استقلاليا، هو نجم شمال إفريقيا الذي سيلعب دورا حاسما في مسار الحركة الوطنية الجزائرية. و قد تجلت أهداف هذا التيار في برنامج الأمير 'خالد الجزائري' الذي أصدره عام 1919 و مطالبه العشرة التي قدمها خلال رسالته إلى رئيس وزراء فرنسا 'هيريو' (Herriot) في عام 1924، و هي على النحو الآتي:

- 1- وضع المسلمين الجزائريين على طريق التحرر.
- 2- إلغاء القوانين و الإجراءات الاستثنائية، و العودة إلى القانون العام.
- 3- تمثيل المسلمين في الجمعية الوطنية الفرنسية بنسبة معادلة لنسبة تمثيل المستوطنين.
- 4- إعلان عفو سياسي عام.
- 5- حرية التعليم، و تطبيق قانون التعليم الإجباري.
- 6- المساواة في تحمل أعباء الخدمة العسكرية بين المسلمين و الفرنسيين.
- 7- حرية الصحافة و الجمعيات و التجمع.

¹- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 / 1830)، المرجع السابق، ص 65.

² - Pascal (Le Pautremat), op.cit, p 101.

³- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1989 / 1830)، ج1، المرجع السابق، ص 363. و كذلك ينظر: Pascal (Le Pautremat), op.cit, p 102.

⁴- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 / 1830)، المرجع السابق، ص 66.

⁵ -Mahfoud,(Kaddache),,tome 1, op.Cit, p100 - 101.

⁶ - Pascal (Le Pautremat), op.Cit, p 102.

8- تطبيق فصل الدين الإسلامي عن الدولة.

9- تطبيق القوانين الاجتماعية و قوانين العمل على المسلمين.

10- الحرية التامة للعمال الجزائريين المسلمين في الدخول إلى فرنسا.(1)

المتمعن في هذه المطالب ربما يرى فيها نوعا من التواضع و قلة الطموح مقارنة بالمطالب الاستقلالية للحركات الوطنية في كل من مصر و سوريا أو تونس. لكن علينا أن نتذكر أن الجزائر في عرف فرنسا كانت مقاطعة تابعة لها مثل مقاطعة اللورين، و ليست محمية كتونس أو المغرب، كما أن سياسة القمع و البطش قد بلغت ذروتها في الجزائر دون سواها من المستعمرات الفرنسية الأخرى حتى كان يظن أن الشعب الجزائري قد اندثر و ذاب في الأقلية الأوروبية المستوطنة (الكولون). و عليه فقد كانت هذه المطالب ذروة ما يمكن التطلع إلى تحقيقه و الظفر به. كما لا يمكننا أن نتجاهل أن الأمير خالد كان يعتبر كقائد لحركة وطنية جزائرية سياسية أكثر منها اجتماعية أو دينية. (2)

ب/ دعاة الاستقلال:

لقد مثل هذا الاتجاه جماعة من العمال المغتربين و الجنود السابقين الذين عاشوا في فرنسا (3)، و تأثروا بعدة أفكار و آراء لعل أبرزها فكرة الجامعة الإسلامية، و نجاح الثورة البلشفية، و حركة 'مصطفى كمال' في تركيا، و تجربة الأمير 'خالد الجزائري'. (4) و يطلق عليه الأستاذ رابح لونيبي اسم دعاة استرجاع الاستقلال الذي يصنفه ضمن التيارات الوطنية و القومية شأنه شأن أصحاب النزعة البربرية، و أصحاب النزعة القومية المغاربية. (5)

أسس هؤلاء ما عرف بنجم شمال إفريقيا في 20 مارس 1926 بباريس (6) بمعية مجموعة من التونسيين و المغاربة، و كان من أبرز مؤسسيها 'حاج علي عبد القادر'، الذي تولى رئاسة الجمعية خلال 1927/1926 (7) قبل أن يتخلى عنها لصالح 'مصالي الحاج' (8) الذي سيغدو محور الحركة الاستقلالية إلى جانب كل من 'عمار إيماش'،

¹ -Mahfoud,(Kaddache),tome 1, op.Cit, p109.

² -Ibid,p120.

³ - يرى الأستاذ أبو القاسم سعد الله في النجم أنه: كان بحق يمثل صوت الطبقات العاملة سواء أثناء ميلاده في باريس أو عندما انتقل نشاطه إلى الجزائر نفسها. ينظر: أبو القاسم،(سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1986، 302 صفحة، ص 116.

⁴ - ورغم أن معظم المهاجرين إلى فرنسا، كانوا قادمين إليها من أفقر المناطق بالجزائر وأكثرها طردا للسكان، وأن هذه المناطق لم تكن باستطاعتها توفير أي تكوين ثقافي أو مهني لهم، إلا أنهم كانوا يدركون جيدا كيفية اقتحام العالم الجديد، الذي انتقلوا إليه دون مركب نقص، فحاولوا تحطيم قيود عزلتهم لإدراك مفاهيم المجتمع المتحضر بأوربا عامة، وفرنسا خاصة. للمزيد ينظر: محمد، (قريشي)، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 1945/1954، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: عمار بن سلطان، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2002/2001 م، ص 233.

⁵ - رابح،(لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 109.

⁶ - اعتبر انتشار الشيوعية و تأثيرها على الأفكار و التوجهات في تلك الفترة من بين العوامل التي ساعدت على نمو هذا التيار. كما أنه في 7 ديسمبر 1924 بمقر الحزب الشيوعي الفرنسي، و بحضور حوالي 150 مندوبا من شمال إفريقيا، انعقد مؤتمر عمال شمال إفريقيا الذي كان غالبية من الجزائريين ما جعلهم يستثمرون هذا الحدث في الدفاع عن الهوية الشمال إفريقية. ينظر: . Pascal (Le Pautremat), op.Cit, p 102

⁷ - بلاح،(بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830/1989)، ج1، المرجع السابق، ص 365.

⁸ - حسب الحالة المدنية فقد ولد مصالي يوم 16 ماي 1898 بتلمسان، من والدين هما: الحاج أحمد مصالي و فطيمة صاري علي حاج الدين. ينظر: Les Mémoires de MESSALI HADJ 1898- 1938, Editions ANEP,Algérie,2005,p 9. كما يمكن كذلك الرجوع إلى الترجمة التي وضعها بنجامين سطورا عنه إذ يقول: "مصالي الحاج رائد الحركة الوطنية الجزائرية المعاصرة، فحياته تتشابك مع إنشاء المنظمات السياسية

'بانون أكلي'، 'ارزقي كحال'، 'راحف بلقاسم'، و 'شيبلة الجليلي'. كما عين الأمير 'خالد الجزائري' رئيسا شرفيا لها. (1)

هدفت الجمعية إلى تحقيق جملة من الغايات و الأهداف لعل أبرزها:

● تحقيق استقلال و وحدة أقطار شمال إفريقيا (الجزائر - تونس - المغرب).

● الدفاع عن مصالح العمال المغاربة المغتربين في فرنسا. فقد كانت أهدافها وطنية و دينية في آن واحد. (2)

لكن بمرور الزمن انسحب منها أعضاءها التونسيين و المغاربة الذين فضلوا الانضمام إلى منظماتهم المحلية ببلادهم (3)، لتصبح هيئة جزائرية خالصة، برزت مطالبها و أهدافها في برنامج النجم الذي قدم إلى مؤتمر بروكسل المعادي للاستعمار الذي انعقد من 10 إلى 15 فيفري 1927، (4) و ملخص المطالب ما يلي:

1- الإلغاء الفوري لجميع القوانين الاستثنائية.

2- إعلان العفو العام عن كافة المعارضين و المعتقلين السياسيين الجزائريين.

3- حرية الصحافة و التجمع و التنظيم.

4- إنشاء مجلس وطني جزائري منتخب.

5- إنشاء مجالس بلدية منتخبة.

6- حق الجزائريين في التعليم بجميع مراحل.

7- إيجاد مدارس عربية.

8- تطبيق جميع القوانين الاجتماعية الفرنسية على الجزائريين.

9- زيادة القروض الفلاحية إلى الفلاحين الجزائريين الصغار.

الجزائرية الذي لم يتوقف عن تنشيطها: نجم شمال إفريقيا في 1926، حزب الشعب الجزائري في 1937، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في 1946، و الحركة الوطنية الجزائرية في 1954. "المزيد ينظر: Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954,op.cit,p 60- 64.

1- في عام 1924 يدخل الأمير خالد الجزائري إلى فرنسا، أين تم استقباله من قبل العديد من الجزائريين. لقد قام باللقاء مع الكثير من الشخصيات منهم: مصالي الحاج، عبد القادر بن الحاج علي، عبد العزيز منور، و المحامي المغربي الأستاذ علي. كما التقى بالعديد من الشخصيات الشيوعية الذين قاموا بإطلاق الاتحاد المعادي للإمبريالية، و قام بحضور العديد من اجتماعاتهم منها اجتماع 12 جويلية 1924 بقاعة المهندسين المدنيين أين تحدث الأمير عن حالة المسلمين الجزائريين. و قد عين الأمير رئيسا شرفيا للنجم لأن العديد من المصادر تتحدث عن كون فكرة إنشاء النجم تعود إليه أساسا. للمزيد ينظر: Mahfoud,(Kaddache),tome 1, op.cit,p 182 - 186.

2 -Mahfoud,(Kaddache),tome 1, op.Cit, p187.

3- أبو القاسم،(سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص117.

4 -Khaled,(Merzouk),Messali Hadj,Leader de la Libération des peuples Colonisés- Ses compagnons,Ses militants et les martyres de Tlemcen et d'ailleurs.Récits, anecdotes, événements, documents et témoignages (1898-1974) - Editions Dar El Gharb, Algérie, 2011,p 65.

10- الاستقلال الكامل للجزائر.

11- جلاء القوات الفرنسية.

12- إنشاء جيش وطني. (1)

13- تأميم الملكيات الكبيرة للمستوطنين.

14- احترام الملكيات الصغيرة و المتوسطة للمستوطنين.

15- إرجاع الأراضي و الغابات التي استولت عليها الدولة الفرنسية إلى الجزائريين.

نشط النجم في أوساط العمال المغتربين بفرنسا، و لما انقلب عليه اليسار الأوروبي (2) انتقل إلى الجزائر أواخر العشرينات، و في الثلاثينات برز تحت اسم حزب الشعب الجزائري (3) و ترسخ من خلال تأسيس فروع له في القطر الجزائري.

ارتكزت وسائل نضال هذا التيار في توزيع المناشير، و الكتيبات، و التظاهر، و التجمعات (4)، و إلقاء الخطب، و إصدار الصحف، و منها: الإقدام الباريسي (1926) الشهرية باللغتين العربية و الفرنسية بباريس، الإقدام الشمال إفريقي (1927) الشهرية باللغتين العربية و الفرنسية بباريس، الأمة (1939/1930) الشهرية بفرنسا، الشعب (1937) الأسبوعية بالعربية بالجزائر، البرلمان الجزائري (1939) النصف شهرية بالجزائر.

و نظرا للنشاط الكثيف لنجم شمال إفريقيا و تحوف السلطات الاستعمارية منها، فقد حلتها في 20 نوفمبر 1929، ليتم تأسيسها من جديد تحت اسم "نجم شمال إفريقيا المجيد" عام 1933، الذي حل مجددا عام 1934. ثم يستأنف نشاطه مرة أخرى عام 1935 تحت اسم "الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا" الذي حل كذلك في 27 يناير 1937. (5)

1 - Pascal (Le Pautremat), op.Cit, p 103.

2- من خلال ما كان يدور من أحداث و تجاذب بين الشيوعيين و الوطنيين للسيطرة على النجم، تم عقد جمعية في عام 1928 بالقاعة الكائن مقرها بالدائرة 4، برقم 45 شارع بريطانيا، من أجل اتخاذ القرار فيما يخص ضغوط الشيوعيين على النجم. تم طرح سؤال على المجتمعين: هل ترغبون في البقاء مرتبطين بالحزب الشيوعي الفرنسي أو تأسيس منظمة مستقلة على اسس وطنية؟ فكان اختيار الأغلبية للخيار الثاني أي نجم شمال إفريقيا مسقلا. للمزيد ينظر: Mahfoud, (Kaddache), tome 1, op.cit, p230.

3- يحي، (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، طبعة خاصة منقحة و مزيدة، 2009، 551، صفحة، ص 489.

4- يؤكد الأستاذ أبو القاسم سعد الله على أن هذا اعتماد هذا التيار على وسائل متعددة، أهمها الاحتجاج و التظاهر و الصحافة و التجمع. فلا تكاد تمر مناسبة وطنية أو عربية تستدعي اتخاذ موقف إلا سارع النجم بإثبات وجوده، و رفع صوته احتجاجا على تصرفات الإدارة. للمزيد ينظر: أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 119.

5- يؤكد الأستاذ أبو القاسم سعد الله على أن قرار الحل الذي أصدرته الجبهة الشعبية كان بتاريخ 26 يناير 1937 و ليس 27 عل خلاف ما جاء به الأستاذ بلاح بشير، و هذا هو الراجح و الصحيح لأن نفس التاريخ يذكره بنيامين سطورا في كتابه مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية في السطر الأول من الفقرة الثانية من الصفحة 153. ينظر: أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 139. بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830/1989)، المرجع السابق، ص 367. وكذلك بنيامين، (سطورا)، مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898-1974، تر: الصادق عماري و مصطفى ماضي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 1998، 295، صفحة، ص 153.

أمام تعنت رد فعل الإدارة الاستعمارية و مضايقتها الكثيرة، أسس الاستقلاليون في 11 مارس 1937 حزب الشعب الجزائري بزعامة 'مصالي الحاج'.⁽¹⁾ و بسبب نشاطات هذا الحزب الاستقلالية، فقد تعرض زعماءه للمطاردة و الاعتقال من قبل السلطات الاستعمارية. كما قامت فرنسا بضرب حصار و حظر على جريدتي "الأمة" و "البرلمان الجزائري" في 27 أوت 1939 و حلته في 26 سبتمبر 1939،⁽²⁾ و اعتقلت العديد من مناضليه و قاداته و سجنتهم عشية الحرب العالمية الثانية، و هكذا أضحى حزب الشعب منحلا مشلول النشاط.

إن تأسيس "نجم شمال إفريقيا" و من بعده "حزب الشعب الجزائري/ حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" مثل بالفعل فاصلا في تاريخ الحركة الوطنية، فقد تميز بأهدافه الاستقلالية، و إيديولوجيته الإسلامية العروبية و صمود رجاله الذين سيفجرون ثورة التحرير الكبرى في الفاتح من نوفمبر 1954.

ج/ الاتجاه الإصلاحية:

تبنى أفكاره و مشاريعه بعض طلبة العلم المتأثرين بحركتي الإصلاح الديني و فكرة الجامعة الإسلامية من أمثال: 'عبد الحميد بن باديس'،⁽³⁾ و 'البشير الإبراهيمي'،⁽⁴⁾ و 'مبارك الملي'،⁽⁵⁾ و 'الطيب العقبي'،⁽⁶⁾ و 'إبراهيم بيوض' و غيرهم، و حاولوا تحقيق مبادئهم بوسائل دينية و تربوية قاصدين من وراء ذلك تحقيق نهضة اجتماعية و علمية. يصنفه الأستاذ رابح لونيسي ضمن التيارات ذات المرجعية الإسلامية شأنه شأن الاتجاه التقليدي، و الاتجاه الديني الرسمي، و الاتجاه الإخواني، و الاتجاه الحضاري.⁽⁷⁾ و حول هذا التيار يذكر الأستاذ 'شنتوف' أن أصحابه ينتمون إلى الأرسطراطية المتعلمة التي أتمت تعليمها بفاس، و تونس، و في الجامعات و دول المشرق العربي.⁽⁸⁾

¹- إن قرار إنشاء حزب الشعب الجزائري تم بالاتفاق مع أعضاء فرع الجزائر للنجم و أعضاء اللجنة المركزية الذين منهم مصالي، و عيماش، و راجف، و موساوي رابح، و كحال محمد أرزقي. ينظر: أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص117.

²- Mahfoud, (Kaddache), Histoire Du Nationalisme Algérien Question National et Politique Algérienne 1919-1951, tome 2, Société National d'édition et de Diffusion, Alger, 1980, p 611.

³- سطع نجم ابن باديس بقسنطينة بفضل حركته التي كانت تقترح على أتباعه حياة أفضل تحت شعار الوفاء للمبادئ العربية الإسلامية. للمزيد ينظر: Mahfoud, (Kaddache), tome 2, op.cit, p 623.

⁴- و بمنطقة سطيف أقرن الإبراهيمي الإصلاح ببناء المساجد الحرة. للمزيد ينظر: Mahfoud, (Kaddache), tome 2, op.cit, p 623.

⁵- من مواليد عام 1897 بالميلية، و هو أحد تلامذة الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة. امتحن مهنة التعليم الحر بالأغواط أين فتح بها مدرسة عام 1927، كما ألف أول مؤلف عن تاريخ الجزائر باللغة العربية في جزأين 1932/1928. عرف بنشاطه الدؤوب كمفكر و إسلامي و ثقافي و بخاصة في منطقة الأغواط و ميلة و قسنطينة. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin, Stora, Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algériens 1926-1954, op.cit, p 349.

⁶- من مواليد عام 1888 بعمار خادوم بجيل الحضنة. في سن السادسة من عمره انتقل مع أسرته إلى الحجاز أين تلقى تعليما دينيا و هانيا. و في مارس 1920 يعود إلى الجزائر أين يستقر ببسكرة ليعلم بها القرآن و ينشر العقيدة. دخل في اتصالات مع الشيخ ابن باديس عام 1925 كحليف له. و بعد سنوات من التفاهم انفصل عن الشيخ بسبب عدم تطابق الرؤى بينهما. توفي عام 1960. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin, Stora, Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algériens 1926-1954, op.cit, p 349.

⁷- للمزيد حول كل هذه الاتجاهات ينظر: رابح، (لونيسي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، من ص 73 إلى ص 108.

⁸- Tayeb, (Chentouf), op.cit, p 125.

بدأ هذا التيار في شكل "نادي الترقى" (1) خلال العشرينات (2) ثم تطور إلى "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" التي تأسست في 5 ماي 1931 بنادي الترقى بالجزائر العاصمة (3)، و هذا بعد مرور حوالي سنة من احتفالات فرنسا بمناسبة مرور قرن من الزمن على غزوها و احتلالها لأرض الجزائر، و التي عبر خلالها أحد الفرنسيين بأنه قد تم "تشييع جنازة الإسلام"، لترد عليه بذلك الجمعية على أن الإسلام لا يزال حاضرا و يضرب بقوة عمقه و صلابته في هذه الأرض المقدسة الطيبة.

و لعل أهم و أصدق تعبير عن الأهداف القومية للجمعية ما جاء على لسان رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، حين أكد قائلا: "العروبة و الإسلام و العلم و الفضيلة، هذه أركان قضيتنا و أركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا و رمز هضمتنا، فما زالت هذه الجمعية كما كانت تفقهننا في الدين و تنيرنا بالعلم و تحلينا بالأخلاق الإسلامية العالية و الفضيلة و تحفظ علينا جنسيتنا و قوميتنا و تربطنا بوطينتنا العربية الإسلامية." (4)

تولى رئاسة الجمعية الشيخ 'عبد الحميد بن باديس' إلى غاية وفاته في يوم 16/04/1940، فاختار رجالها الشيخ 'البشير الإبراهيمي' (5) ليكون رئيسا لها. و ركزت الجمعية جهودها على الدفاع عن شخصية الجزائر و عروبته و إسلامها، في إطار الشعار الخالد (6): "الجزائر وطننا، العربية لغتنا، الإسلام ديننا" شعارا لها. و قد تشكل برنامجها من محاور أساسية هي:

- محور ديني: عن طريق:

1- تطهير الإسلام من كل ما علق به من شرك و بدع و خرافات و شوائب مثل: التبرك بالأضرحة، و الرقص و الاحتفالات الدينية المبتدعة و اختراع أذكار مخالفة للكتاب و السنة. (7)

1- يذكر الأستاذ تركي رايح أنه و كنتيجة للشعور بضرورة وحدة العلماء في أعمالهم ظهر سنة 1924 تنظيم أطلق عليه اسم الإخاء العلمي هدف إلى توحيد صفوف العلماء المسلمين الجزائريين للمزيد ينظر: تركي، (رايح)، التعليم القومي و الشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975، ص 39.

2- يحي (، بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، المرجع السابق، ص 490.

3- يذكر الأستاذ سعد الله أن تأسيس الجمعية قد ضم 72 عالما جزائريا جاؤوا من مختلف أنحاء القطر و من مختلف الاتجاهات الدينية، فكان فيهم المتطرفون و هو المصلحون عندئذ.. و فيهم الرجعيون و هو غير المصلحين من رجال الدين الجزائريين... و يبدو أن دخول رجال الدين من القطاعات الأخرى كان مجرد تكتيك و يظهر ذلك من أن المناصب الهامة قد تولاه المصلحون. ينظر: أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص81. ينظر كذلك فيما يخص اجتماع التأسيس إلى: أسعد، (لهلالي)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الثورة التحريرية الجزائرية 1954/1962، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011/201 م، ص 29-30.

4- سليمان (، قرييري)، تطور الاتجاه الثوري و الوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940/1954، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: يوسف مناصرية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011/2010 م، ص 68.

5- من مواليد عام 1889 ببجاية، انتقل عام 1912 إلى المشرق لمواصلة دراسته. أستاذ بدمشق، انتقل إلى الجزائر عام 1922 أين أصبح أستاذ التعليم بسطيف و بدأ ينشر معالم الإصلاح. انضم إلى الفريق الذي بدأ منذ 1925 ينشر جريدة الشهاب. نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 1931، حيث استقر بتلمسان لتسيير نشاط الجمعية بالغرب الجزائري. خلف الشيخ ابن باديس بعد وفاته لرئاسة الجمعية عام 1940. فرض نفسه على الساحة كأستاذ، و صحفي، و أديب للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin, Stora, Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954, op. cit, p 346.

6- يحي (، بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، المرجع السابق، ص 490.

7 -Mahfoud, (Kaddache), tome 1, op. cit, p332.

2- دعوة الجزائريين إلى العودة إلى الإسلام الصحيح المستند إلى القرآن الكريم و السنة النبوية و التمسك بعقائده و شرائعه و أحكامه و أخلاقه.

3- محاربة المادية و الإلحاد اللذين شجعهما الاستعمار، و خرافات الطريقة، و إخلال الآباء بواجب تربية الأبناء، و هذا عن طريق التربية و التعليم الصحيح المنبثق من الكتاب و السنة، و قد وصف ذلك الشيخ 'البشير الإبراهيمي' "لما أفاضت على العقول و أشاعت في النفوس من الهدى الحمدي، و حاصرته بحقائق الإسلام، فحصرته في أضيق الأمكنة، و في نفوس كأنها رموس". (1)

• محور ثقافي و اجتماعي: عن طريق:

1- محاربة الأمية، و نشر التربية و التعليم من خلال تأسيس المدارس العربية الحرّة، و النوادي التعليمية لصالح الكبار (2) و التي بلغ عددها 70 مدرسة بحوالي 30000 تلميذ ما بين 1934/1935م (3)، و فاق عددها 140 مدرسة عام 1952، احتضنت نحو 50000 تلميذ من بنين و بنات، و بلغ مجموع معلميهما نحو 400 معلم، كانت تنفق عليها 75 مليون فرنك سنويا من أموال الأمة. (4)

و أسست الجمعية معهد ابن باديس عام 1947 بقسنطينة لتأهيل التلاميذ بغية نيل شهادة التعليم المتوسط (الأهلية) بعد أربعة أعوام من الدراسة، ليصبحوا معلمين، أو مؤهلين لإتمام دراستهم بجامع الزيتونة بتونس. و قد استوعب المعهد ألفاً(1000) من الطلاب في مطلع الخمسينيات، و قد وفرت لهم الجمعية داراً للسكنى تتسع لـ 500 طالب. (5)

2- العمل على نشر الوعي الديني و الاجتماعي و إشاعة الثقافة في أوساط الشبيبة و العمال و عامة الناس بواسطة الجرائد و المحلات، و العمل على تنشيط المئات من الجمعيات العلمية و الخيرية و الدينية و الرياضية، و عشرات النوادي.

3- محاربة الآفات الاجتماعية و منها شرب الخمر، و تعاطي المخدرات، و لعب القمار، و التبطل، و احتقار المرأة.

4- الاهتمام بالمرأة من خلال التوعية و التعليم، حيث شملت مدارس الجمعية في عام 1952 حوالي 13000 بنت.

1- بلاح،(بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 /1989)، ج1، المرجع السابق، ص 370.

2 - Pascal (Le Pautremat), op.Cit, p 104.

3 -Mahfoud,(Kaddache), tome 1,op.cit,p337.

4- بلاح،(بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 /1989)، ج1، المرجع السابق، ص 370..

5- نفسه، ص 371.

5- مقاومة التنصير و التصدي للمنصرين بتقوية المعاني الدينية في نفوس الناس و القيام بحق الله في البؤساء و اليتامى و المتسولين.

● محور سياسي: عن طريق:

1- مقاومة سياسة التجنيس، حيث أصدرت الجمعية فتاوى بتكفير كل جزائري أو تونسي أو مغربي يتخلى عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية من أجل الاندماج و التجنس بالجنسية الفرنسية، و اعتبارهم مرتدين عن الإسلام.

2- محاربة الإدماج، حيث عبر عن ذلك الشيخ 'عبد الحميد بن باديس' بقوله: "إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، و لا يمكن أن تكون فرنسا، و لا تريد أن تصير فرنسا، و لا تستطيع أن تصير فرنسا و لو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها و في أخلاقها و في عنصرها و في دينها. لا تريد أن تندمج، و لها وطن محدود معيّن هو الوطن الجزائري... " (1) كما دعت الجمعية إلى الوحدة الوطنية و هذا ما يجسده قول الشيخ 'عبد الحميد بن باديس': "ما جمعت يد الله لا تفرقه يد الشيطان " (2)

3- التنديد بالحكم الاستعماري و ممارساته التعسفية و التأكيد على أن الجزائريين يشكلون أمة مرتبطة بعرقها، و لغتها، تاريخها و دينها. (3)

4- الحصول على حق الجزائريين في الانتخاب.

5- تحقيق استقلال الجزائر، و عن هذا فقد خطت الجمعية نهج الثورة الجزائرية منذ عام 1937 من خلال نشيدها الخالد: "شعب الجزائر مسلم و إلى العروبة ينتسب... " و الذي نص على مقاتلة الكفرة الظالمين في قول الشيخ 'عبد الحميد بن باديس' "و أذق نفوس الظالمين السّمّ يمزج بالرّهب" (4) و قد صرح الشيخ 'عبد الحميد بن باديس' في أكثر من موضع على أن غاية الجمعية هو تحقيق الاستقلال، حيث قال عام 1936 : "و هل يمكن لمن شرع في تشييد منزل أن يتركه بدون سقف؟ و ما غايتنا من عملنا إلاّ تحقيق الاستقلال." (5) و قد أكد ذات مرة بأن الاستقلال حق طبيعي لكل شعب على الأرض. (6)

1- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 / 1989)، ج1، المرجع السابق، ص 372.
2- نفسه، الصفحة نفسها.

3 - Pascal (Le Pautremat), op.Cit, p 103.

4- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 / 1989)، ج1، المرجع السابق ، ص 372.
5- نفسه، الصفحة نفسها.

6- أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص85.

6- تحقيق الوحدتين العربية و الإسلامية، و تجلى ذلك في حمل كل هموم العرب و المسلمين و في مقدمتها القضية الفلسطينية.

و لتحقيق هذه الأهداف و الغايات استعانت الجمعية بوسائل عديدة لعل أبرزها:

- إنشاء المدارس للتعليم العربي الحرّ و تربية البنين و البنات.
- بناء المساجد الحرّة قصد إلقاء الدروس و الوعظ فيها، و تلقين الطلاب علوم الدين و اللّغة.
- إصدار الصحف و المجلات و منها: السنة(1933)، الشريعة(1933)، الصراط(1933-1934)، البصائر(1935-1939)، ثم (1947-1956)، فضلا عن صحف و مجلات بعض أعضائها من رجال الحركة الإصلاحية مثل: مجلة المنتقد (1435هـ/1925)، و الشهاب(1344هـ- 1358هـ/1925-1939) للشيخ 'ابن باديس'.⁽¹⁾

- إعادة بعث التاريخ الوطني و إبراز انتماء الجزائر العربي الإسلامي، و هذا من خلال عدة أعمال و كتب نذكر منها: تاريخ الجزائر في القدم و الحديث مؤلفه الشيخ 'مبارك الملي' الذي صدر الجزء الأول منه عام 1928 و الجزء الثاني عام 1932. و كتاب الجزائر للأستاذ 'توفيق المدني'⁽²⁾ الصادر عام 1932.

- تكوين الكشافة و الفرق الرياضية و المسرحية، و فتح النوادي بهدف تنقيف الشباب و توعية الناشئة و العمال، و تطيرهم و توجيههم نحو النشاطات المفيدة و الهادفة.

- الاهتمام بالمغربين، فأنشأت الجمعية لهم المدارس و النوادي و المراكز الثقافية ابتداء من عام 1936، لتعليم الإسلام و اللّغة العربية و التاريخ الوطني.

- الاهتمام بإرسال البعثات العلمية إلى خارج الجزائر خاصة إلى جامع الزيتونة، و القرويين، و الأزهر.

جابهت الإدارة الاستعمارية نشاطات الجمعية التي كانت تعتبرها بحق مدرسة حقيقية لتلقين الوطنية، بمجموعة من الإجراءات التعسفية نذكر منها:

- منع العلماء من التدريس في المساجد فيفري 1933.

1- بلاح،(بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 /1989)،ج1، المرجع السابق، ص 373.

2- من مواليد عام 1899 بتونس من أبوين جزائريين، أكمل تعليمه بجامع الزيتونة. مهتم بالسياسة منذ مرحلة شبابه ما أدخله السجن ما بين 1915/1918. من المؤسسين للحزب الدستوري عام 1920، و رئيس تحرير جريدة إفريقيا عام 1921. نفي من تونس يوم 6 جوان 1925 بسبب نشاطه الوطني و دعائه للشيخ عبد الكريم الخطابي. عند انتقاله إلى الجزائر انضم إلى فريق الشهاب و كان همزة وصل بين العلماء و حزب الدستور التونسي. عرف بنشاطه الأدبي و العلمي و بخاصة كتابه الجزائر. أصبح أمينا عام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1952، و رئيس تحرير جريدة البصائر. انخرط في جبهة التحرير الوطني منذ اندلاع الثورة. انتقل إلى القاهرة عام 1956 ليكون عضوا ضمن اللجنة الخارجية لجبهة التحرير الوطني. ثم عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية عام 1956. وزير الشؤون الثقافية في أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية 1958. بعد الاستقلال عين وزيرا للحبوس في حكومة 27 سبتمبر 1962، ثم سفيرا للجزائر بالعراق و باكستان. توفي في 18 أكتوبر 1983. بعدما تخلى عن السياسة للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954,op.cit,p 348.

- منشور 'ميشال' الصادر في 16 فيفري 1933 الذي وجه تعليمات إلى مصالح الأمن و الإدارة الفرنسية بمراقبة العلماء و منعهم من الوعظ و التدريس بالمساجد.
- إغلاق عدد من مدارس الجمعية في العديد من المدن الجزائرية مثل عمالة وهران، و سجن العديد من المعلمين.
- إغلاق صحيفة السنّة في 29 جويلية 1933 ثم الشريعة، ثم الصراط.
- إصدار مرسوم 'ريني' (Régnier) يوم 5 أفريل 1935 القاضي بالسجن ما بين شهرين و سنتين على كل من يقاوم السيادة الفرنسية في المستعمرات و يقف ضد تطبيق القوانين و المراسيم و التنظيمات و تنفيذ أوامر السلطات.
- إصدار قراري 13 يناير، و 8 مارس 1938 بخصوص الحد من نشاطات نوادي جمعية العلماء، و منع افتتاح المزيد منها إلاّ بترخيص من فرنسا، و محاربة التعليم العربي الحرّ.
- مرسوم 'شوطون' (Chautemps) (وزير داخلية فرنسا) يوم 8 مارس 1938 الذي قضى بأن كل جريدة تصدرها جمعية العلماء باللّغة العربية في الجزائر مستقبلاً فهي معطلة سلفاً، و مرسومه الآخر الصادر في نفس اليوم الذي يعتبر اللّغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، و منع تعليمها، و تجديد منع افتتاح المدارس العربية بلا رخصة.

لقد استطاع رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الصمود أمام تعنت الإدارة الاستعمارية و أمام الحرب التي كان يشنها الاحتلال ضدّهم بغية إعلاء كلمة الحق، و انتشار الأمة من مخالب الضّياع و الفرقة و الجاهلية و العبودية. و كذا مكافحة الاستعمار بوسائل مختلفة كإنشاء المدارس و إلقاء الدروس في المساجد.⁽¹⁾

و بالرغم من أن الجمعية لم تكن حزباً سياسياً⁽²⁾، إلا أن دورها الحاسم في تحرير العقول و تنويرها و تنقية الدين من الشوائب و الخرافات، و الحفاظ على مقومات الأمة، و في بعث نهضة حقيقية للجزائر، و تعزيز الانتماء العربي الإسلامي للشعب الجزائري، و مساهمتها في إضعاف الحكم الفرنسي، كل ذلك جعل منها أهم هيئة إصلاحية و تربوية في تاريخ الجزائر الحديث. و كان رئيسها أهم شخصية إذ يقول في وصف تأثيره المفكر مالك بن نبي : "إنّ معجزة الحياة في الجزائر بدأت بصوت الشيخ عبد الحميد بن باديس و ندائه الذي أيقظ المعنى، و حوّل مناجاة

1- سليمان، (قريبي)، المرجع السابق، ص 69.

2- فبالرغم من أن معظم الكتاب - يقول الأستاذ سعد الله- متفقون على أن العلماء كانوا بعيدين عن السياسة، فإنهم متفقون أيضاً على أن هدف العلماء البعيد كان سياسياً سواء أرادوا ذلك صراحة أو لم يريدوه. ينظر: أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص85.

الفرد إلى حديث الشعب".⁽¹⁾ كما أنها نادى باستقلال الجزائر منذ تأسيسها و هذا تحت شعارها الخالد: "الجزائر وطننا، الإسلام ديننا، و العربية لغتنا".⁽²⁾

د/ الاتجاه الإدماجي:

بدأ كتيار مساواتي بالمطالبة بتحقيق المساواة بين الأغلبية الجزائرية و الأقلية الأوروبية.⁽³⁾ و هي تجربة الأمير خالد و رفاقه خلال الحرب العالمية الأولى إلى منتصف العشرينات⁽⁴⁾، ثم تطور إلى المطالبة بالتحسيس و الإدماج للجزائر و شعبها في فرنسا، مثله جماعة النخبة الليبرالية و هيئة النواب، و كان من أقطابه الدكتور 'ابن التهامي'، و 'ربيع الزناقي'، ثم الدكتور 'محمد صالح بن جلول'⁽⁵⁾، و 'الصيدلي فرحات عباس'،⁽⁶⁾ اللذان سيرزان خلال الثلاثينيات، و قد نفا هذا الاتجاه وجود وطنية جزائرية، بل اعترف بوجود وطنية فرنسية. و قد اكتمل تبلور أفكار هذا الاتجاه عقب انهزامه في انتخابات عام 1919 أمام دعاة المساواة.⁽⁷⁾

أنشأ هذا التيار "فدرالية المنتخبين المسلمين" المشكلة من المندوبين الماليين الجزائريين، يوم 11 سبتمبر 1927 برئاسة الدكتور 'ابن التهامي' حتى 1930، ثم انقسم في جوان 1938 إلى تنظيمين: "الاتحاد الشعبي الجزائري" بزعامة 'فرحات عباس'، و "التجمع الفرنسي - الإسلامي الجزائري" برئاسة 'ابن جلول'. و يضعه الأستاذ رابح لونيبي ضمن التيارات ذات المرجعيات الفكرية الأوروبية.⁽⁸⁾ و قد تمثلت مطالب "فدرالية المنتخبين المسلمين" كما جاءت في مؤتمرها الأول المنعقد شهر سبتمبر 1927 كما يلي:

1- التمثيل النيابي للجزائريين في الجمعية الوطنية الفرنسية.

2- المساواة في الأجور بين الجزائريين و الأوربيين.

3- التسوية بين الجزائريين و الأوربيين في الخدمة العسكرية.

4- إلغاء القيود المفروضة على هجرة الجزائريين إلى فرنسا.

1- بلاح،(بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 /1989)، ج1، المرجع السابق، ص 375-376.

2 - Pascal (Le Pautremat), op.Cit, p 113.

3- يقول الأستاذ سعد الله: اتبع النواب و النخبة خلال الثلاثينات سياسة المطالبة بالمساواة في الحقوق مع الفرنسيين مع الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية كمسلمين. ينظر: أبو القاسم،(سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص60.

4- يحي،(بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، المرجع السابق، ص 488.

5- من مواليد عام 1896 بقسنطينة، و بعد استكمال دراسته بباريس أصبح طبيبا عاملا سنة 1924. انتخب عضوا في مجلس عمالة قسنطينة سنة 1931. أصبح على رأس الفدرالية العامة للمنتخبين سنة 1933. ثم عضوا بالمجلس التشريعي ما بين 1943 و 1945، و مستشار الجمهورية سنة 1946. ثم نائبا بالمجلس الوطني ما بين 1951 و 1955. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin,Stora,Dictionnaire

Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954,op.cit,p 339.

6- يؤكد محفوظ قداش أن كتابات الشاب فرحات عباس ما بين 1926 و 1930 تشكل وثيقة من الدرجة الأولى لدراسة أفكار هذا الاتجاه و أبعاد حركته، إن من أجل عرض المطالبه الأساسية للمسلمين: المساواة في التجنيد العسكري، حرية التنقل للمغتربين، إصلاحات اجتماعية...، أو من أجل الدفاع عن الحضارة العربية و المتقنين المسلمين اتجاه الهجمات العنصرية للويس برترون (Louis Bertrand)، أو من أجل فضح الكذبة الاستعمارية للمزيد ينظر: Mahfoud,(Kaddache), tome 1, op.cit,p 211.

7- بلاح،(بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 /1989)، ج1، المرجع السابق، ص 377.

8- رابح،(لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 35 و ما يليها.

5- إلغاء قانون الأهالي.

6- تطوير تعليم الجزائريين العام و تعليمهم المهني.

7- تطبيق القوانين الاجتماعية الفرنسية على الجزائريين.

8- إعادة النظر في قانون الانتخابات الصادر عام 1910.

و فيما يخص فرحات عباس فيذكر عنه الأستاذ يحي بوعزيز أنه قد برز بمقالاته الصحفية الداعية إلى فكرة الإدماج و التحنيس، و كان "يؤمن بأهمية مساعدة ما أسماه فرنسا الجمهورية المتحررة".⁽¹⁾ و يمكن تلخيص آرائه في المبادئ التالية:

1- ضرورة احترام الإسلام و اللغة العربية و الحضارة الإسلامية باعتبارها تراث الجزائريين الأصيل، و طابع قوميتهم.

2- الإقلاع عن خرافة التفوق الجنسي التي تعني امتياز العنصر الفرنسي و حقارة الجزائريين.

3- الاعتماد على الشباب في تطوير المجتمع الجزائري و تحسين ظروفهم السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و ذلك عن طريق التزود بالثقافة العصرية التي تتيح لهم أن ينافسوا المجتمع الأوروبي المتطور و يصبخوا نداءً له.

4- تقليد أوروبا في تطورها الحضاري مع الاحتفاظ بالتراث القومي على غرار اليابان و محاولة التعاون مع فرنسا إلى أبعد الحدود من أجل تحقيق هذه الرسالة التي ستجعل من باريس و الجزائر ملتقى للمثقفين العرب.

5- تحقيق المساواة التي هي الضمان الوحيد لمستقبل مشترك بين الأهالي و الأوروبيين.⁽²⁾

إن فرحات عباس، لا يشك أحد في وطنيته، و مدى إحساسه بآلام و محن الشعب الجزائري، و لأنه كان يكره العنف، و "يؤمن بسياسة المراحل و مسايرة الظروف و استهوته الحضارة الأوروبية".⁽³⁾ و لم يكن يرى سوى فرنسا و ما يمكن أن تحققه من "إصلاح و تطور ينتهيان بإدماج الجزائر و الجزائريين في فرنسا و المجتمع الفرنسي".⁽⁴⁾ ، و لهذا كانت مقولاته تدور حول فكرة " فرنسا هي أنا" و منها: "الجزائر أرض فرنسية و نحن فرنسيون لنا قانوننا الشخصي الإسلامي و نأمل أن تتحول من مستعمرة إلى مقاطعة".⁽⁵⁾، و كذلك إثر زيارة وزير الداخلية الفرنسي

¹- يحي، (بوعزيز)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 44.

²- نفسه، ص 44.

³- نفسه، ص 45.

⁴- نفسه، ص 45.

⁵- نفسه، ص 45.

'مارسيل ريني' خطب فرحات عباس قائلاً: "لم يبق هناك شيء في هذه البلاد يحول دون الاتفاق على تطبيق سياسة الإدماج و إذابة العنصر الأهلي في المجتمع الفرنسي".⁽¹⁾

و قد ظل هذا التيار معزولاً عن الشعب لأنه لم يعبر عن طموحاته و آماله و همومه و تطلعاته، و ظل متذبذباً بين الجزائر و إسلامها، و بين فرنسا و حضارتها. بل أبعد من ذلك فقد اعترف الاندماحيون بعدم وجود أمة جزائرية، حيث كتب 'ابن جلول' في جريدة الوفاق (L'entente) يقول: "الشيوعية، الجامعة الإسلامية! ألم نرفض ألف مرة هاتين الفكرتين المتناقضتين... و إذا كان لدينا وطنية، أفليست هي فرنسية حمماً و دماً!".⁽²⁾ و قد ذهب 'فرحات عباس' أبعد من ذلك حينما كتب مقاله بعنوان 'فرنسا هي أنا' و الذي نشر في صحيفة الوفاق يوم 27 فبراير 1936، و في هذا المقال أنكر فرحات عباس وجود وطن جزائري⁽³⁾، حيث يقول فيه: "لو أُنِي اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنياً... و ما يراد بكلمة الوطنية هو إحباط ترقيتنا الاقتصادية و السياسية".⁽⁴⁾ و يضيف قائلاً: "إن الوطنيين يكرمون لأنهم يموتون من أجل فكرة وطنية، و لكني غير مستعد أن أموت من أجل وطن جزائري لأن هذا الوطن لا وجود له".⁽⁵⁾

بذل أصحاب فكرة الإدماج كل ما لديهم من قوة و علاقات في سبيل دفع فرنسا إلى تحقيق مطالبهم. بالمقابل كافأهم فرنسا بإرسال وزير الداخلية 'مارسيل ريني' إلى الجزائر للقيام بجولة يعد من خلالها تقريراً حول حالة البؤس و الشقاء الذي يعيشه الشعب الجزائري، و بذل ذلك أصدرت فرنسا مرسوم ريني عام 1935 (ضرورة الاطلاع على فحوى المرسوم)⁽⁶⁾ ينص على معاقبة كل من يحاول المساس بالأمن و النيل من فرنسا. كما نشرت جريدة إفريقيا اللاتينية (l'Afrique latin) مقالات كثيرة شتمت فيها الإسلام و المسلمين. كما قام يهودي مدينة قسنطينة بتحدي المسلمين و جرح مشاعرهم حين أقدم اليهودي 'خليفة إلباهو' من فرقة الرماة بالتبول على جدار مسجد لخضر، و سب المسلمين و الرسول] الكريم في أواخر شهر أوت 1935⁽⁷⁾، الأمر الذي ولد اضطرابات في المدينة راح ضحيتها العديد من الأرواح، و اعتقلت فرنسا العشرات من الجزائريين.

و بقي الاندماحيون في عزلة، فالفرنسيون ظلوا ينظرون إليهم باعتبارهم أهليين، و لا يعترفون لهم سوى بقليل من الحقوق، و أما العلماء فاعتبروهم كجماعة مرتدة. و خير دليل على وضعيتهم هذه ما قاله 'الزناقي' و هو أكبر داعية للتجنيس و التفرنس في الجزائر بجريدته "صوت الأهالي" تحت عنوان "المتجنسون المساكين": "إنه قد كان المظنون بأن التجنس يدخل المرء أصالة في العائلة الفرنسية، فضحّي الكثير من أجل ذلك ماضيهم، تقاليدهم و دينهم، و جعلوا أنفسهم عرضة لاستهانة و ازدراء بني جلدتهم. إلا أنهم بدل أن يصبحوا مقابل ذلك فرنسيين، أصبحوا

1- نفسه، ص 45.

2- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830/1989)، ج1، المرجع السابق، ص 378.

3- أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 69.

4- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830/1989)، ج1، المرجع السابق، ص 378.

5- أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 69.

6- يحيى، (بوعزيز)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، المرجع السابق، ص 48.

7- نفسه، ص 50.

طبقة ثالثة في البلاد، لا هم فرنسيون، و لا هم من الأهالي." (1) أرغمت هذه العزلة أصحاب هذا التيار إلى الاعتدال، فافتربوا أثناء الحرب العالمية الثانية من الاتجاهين الاستقلالي و الإصلاححي و حاولوا التنسيق معهما.

هـ/ الاتجاه الشيوعي:

مثل هذا التيار الحزب الشيوعي الجزائري الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بالحزب الشيوعي الفرنسي، و بالأحزاب الشيوعية الأخرى في أوروبا الغربية، و روسيا. (2) و قد تغلغل في أوساط العمال عن طريق المنظمة النقابية الفرنسية س.ج.ت (S.G.T). تأسس هذا التيار في أكتوبر 1936 منفصلا عن الحزب الشيوعي الفرنسي و قد ضم أوربيين و جزائريين، و تركز نشاطه على قضايا العمال و الديمقراطية و ظل بعيدا و غريبا عن الواقع الثقافي و الاجتماعي للشعب الجزائري، فلم يكن له دور ملموس في الحركة الوطنية. (3)

يصنفه الأستاذ رابح لونيبي ضمن التيارات ذات المرجعيات الفكرية الأوروبية، خاصة ضمن الاتجاهات ذات المرجعية الماركسية، و بالتحديد يطلق عليه اسم الاتجاه الستاليني. (4)

3/ مشروع بلوم فيوليت:

بعد نجاح الجبهة الشعبية في انتخابات 1936 و تسلم الاشتراكي 'ليون بلوم' (Léon Blum) مقاليد الأمور، عمدت الحكومة إلى تحقيق بعض الإصلاحات ترضي بها دعاة الاندماج، فوسد إلى الحاكم العام السابق 'موريس فيوليت' (Maurice Violette) و عدد من الخبراء بمهمة صياغة مشروع إصلاححي (5) يتناسب مع مشروع "قانون فيوليت" الذي ظهر عام 1931 تحت رئاسة 'موريس فيوليت' لإحدى لجان مجلس الشيوخ.

و منذ عرض المشروع على مجلس الوزراء الفرنسي في 15 أكتوبر 1936، و ظهر في الجريدة الرسمية الفرنسية يوم 30 ديسمبر 1936 (ضرورة مراجعة الجريدة الرسمية) (6) ، و قد اشتمل على ثمانية فصول و خمسين مادة تدور حول النقاط التالية:

• إدماج الجزائر في فرنسا.

• تمكين ما يقارب من 25000 جزائري من حملة الشهادات، و بعض الموظفين، و قدماء المحاربين و حملة الأوسمة و القياد من اكتساب الجنسية الفرنسية، و من الانتخاب في القسم الأول مع الفرنسيين، دون إلزامهم بالتخلي عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية.

• القيام بإصلاح زراعي و تعليمي لصالح الأهالي.

1- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1989 /1830)، المرجع السابق، ص 378.

2- يحي، (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، المرجع السابق، ص 490.

3- لا يعتبره الأستاذ يحي بوعزيز تيارا جزائريا رغم تواجده على الساحة الجزائرية. ينظر: يحي، (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، المرجع السابق، ص 490.

4- رابح، (لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 54 و ما يليها.

5- يحي، (بوعزيز)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، المرجع السابق، ص 51.

6- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1989 /1830)، المرجع السابق، ص 380.

● إلغاء المحاكم الرادعة.

● زيادة تمثيل الجزائريين في المجالس البلدية و الولائية.

● تمكين الجزائريين من انتخاب ممثليهم في البرلمان الفرنسي.

● إعطاء بعض مناطق الجنوب (المناطق العسكرية) الحالة المدنية في شكل بلديات مختلطة.

● إنشاء وزارة لشؤون إفريقيا يدخلها جزائريون.

المواقف المختلفة من المشروع: و قد تباينت المواقف اتجاه هذا المشروع على النحو الآتي:

● **الاندماجيون:** رأوا فيه الفرصة السانحة للتخلص من حالة الأهلية (الأندجينا) التي كانت تتخبط فيها الجزائر. فقد تحمسوا له كثيرا و على رأسهم فرحات عباس، ابن جلول.

● **نجم شمال إفريقيا:** رفضه رفضا قاطعا لأنه يمكن جزء ضئيل من الجزائريين من الانتخاب و هم الطبقة البرجوازية (25000)، و يترك معظم الشعب الجزائري (حوالي 6 ملايين) يتخبطون في ظلمات الجهل و الشقاء، و يلحق الجزائر نهائيا بفرنسا. و قد اعتبره 'مصالي الحاج' من أدوات تقسيم الجزائر بفصل النخبة عن القاعدة الواسعة من الجماهير الشعبية.

● **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:** لم ترفضه صراحة، فكان موقفها منه متحفظا، بالرغم من ترحيب العلماء بما يتيح من حق المواطنة دون التخلي عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية، و عبرت عن هذا الموقف المتحفظ جريدة الشهاب في أكثر من مقال (العودة إلى جريدة الشهاب) ثم ظهر الرفض النهائي و القاطع للمشروع عامي 1937 و 1938، كما عبرت عن ذلك كل من مجلة الشهاب و البصائر (عدد 18 فيفري 1938).

● **المعمرون:** اعتبروا المشروع كمؤامرة تحاك ضد الجزائر فرفضوه لأنه يهدد مصالحهم و السيادة الفرنسية على الجزائر، و تمثلت مظاهر رفضهم في اجتماع شيوخ بلديات إقليم وهران يوم 5 يناير 1937 و إعلانهم رفض المشروع، ثم اجتمع حوالي 300 شيخ بلدية بالجزائر العاصمة يوم 15 يناير 1937 معبرين عن رفضهم لمشروع " بلوم فيوليت" و أرسلوا وفدا إلى باريس للضغط على السلطات الفرنسية بغية التخلي عنه. ثم هدد حوالي 400 شيخ بلدية في فبراير 1937 بتقديم استقالتهم الجماعية. و قد ذكرت صحافة المستوطنين في 8 مارس عن استقالة 250 شيخ بلدية. ثم ذكرت جريدة "الوطان الباريسية" (Le temps du Paris) في 11 مارس أن عدد المستقلين بلغ حوالي 321 رئيس بلدية. " و ظل المشروع بين مد و جزر، و التصويت عليه

يتأجل مرة بعد مرة، إلى أن قبر في نهاية المطاف من قبل البرلمان الفرنسي تحت ضغط المستوطنين في عهد حكومة 'دلاديه' (Daladier) عام 1939" (1)

4/ المؤتمر الإسلامي الجزائري (2):

بسبب الظروف التي كان يتخبط فيها الشعب الجزائري، و بسبب غياب حزب كبير (3) يحوز على ثقة أغلبية الشعب الجزائري، و لأن وضعية و أحوال الجزائر السياسية لم يكن ممكنا مناقشتها من قبل طرف واحد، رأى الشيخ ابن باديس "ضرورة جمع كافة ممثلي و قادة الشعب الجزائري: سيكون المؤتمر صيغة ملائمة لأن فرنسا أصبح لديها حكومة جديدة، حكومة الجبهة الشعبية، التي كانت تضم كافة الأحزاب و التنظيمات اليسارية. الأحزاب، خاصة الحزبان الشيوعي الاشتراكي، أظهرت الاهتمام الذي توليه لمصير الجزائر، و من ناحية المبدأ، أدانت الاستعمار، أو على الأقل الاضطهاد الممارس من قبله." (4)

إذن تعود فكرة المؤتمر إلى الشيخ 'عبد الحميد ابن باديس' التي اقترحها على جريدة "لاديفانس" يوم 3 يناير 1936 لبحث واقع الجزائر المأساوي. (5) و في 17 ماي 1936 و خلال اجتماع جمع كل من 'العمودي' (6) و 'ابن باديس' و 'ابن جلول' تقرر إنشاء لجنة تهتم بالدعاية في أوساط الكتلة الشعبية لصالح المؤتمر الإسلامي. (7) تأسست من أجل التحضير لهذا المؤتمر العديد من اللجان المحلية في مختلف أرجاء الجزائر، و بخاصة بعد الاجتماع الذي ترأسه 'العمودي' بنادي النجاح يوم 17 ماي 1936 أين أكد بضرورة عقد اجتماع لتحديد برنامج مطالب يعبر عن تطلعات مختلف الطبقات الاجتماعية المسلمة. (8) و قد انعقد المؤتمر يوم الأحد 7 جوان 1936 الموافق لـ 17 ربيع الأول 1355 هـ بدعوة من الشيخ 'ابن باديس'، و الدكتور 'ابن جلول' رئيس كتلة نواب عمالة قسنطينة

1- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 /1989)، المرجع السابق، ص 382.

2- هكذا عنوان الأستاذ سعد الله الفصل السادس من كتابه الحركة الوطنية الجزائرية. ينظر: أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص147. أما الأستاذ بنيامين سطورا فقد عنوان الفقرة الخاصة بهذا الحدث بالمؤتمر الإسلامي في كتابه مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية ينظر: بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 136. و لعل وقوع اختيارنا على نفس العنوان الذي اختاره الدكتور أبو القاسم يتوافق مع أفكارنا التي تعتبر المؤتمر الإسلامي بحق هو حدث و فعل جزائري خالص لمشاركة الفاعلين من الجزائريين و تمييزا عن بقية الناشطين من الأوروبيين.

3- يذكر محفوظ قداش وجود محاولات لتأسيس حزب كبير يهتم فقط بشؤون الجزائريين مثل محاولة الأمير خالد الجزائري و كذلك محاولة سنة 1934 التي قادها أبو الحق في إنشاء حزب للشعب تحت شعار: "وحدة، إرادة، و عمل" و لما باءت كل المحاولات بالفشل و لم تعط نتائج كبيرة، تم التفكير في توحيد المسلمين حول برنامج موحد. للمزيد ينظر: Mahfoud, (Kaddache), tome 1, op.cit, p 417.

4- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1830 /1962)، المرجع السابق، ص 38.

5- يذكر محفوظ قداش أن موت الأمير خالد الجزائري في يناير 1936 كان له و قع خاص في أوساط الجزائريين إذ كثر النقد الموجه للاستعمار. كما وقعت عدة مظاهرات شعبية بمناسبة أربعينية وفاته و بخاصة في عنابة و عين مليلة و قسنطينة. لقد تم استخلاص العبر من هذه المظاهرات، و هي: التنظيم، تحقيق الوحدة، إسماع صوت الشعب. للمزيد ينظر: Mahfoud, (Kaddache), tome 1, op.cit, p 418.

6- يعتبر لمين العمودي من مناصري الفكر الإصلاحية. دعم الشيخ الطيب العقبي في نشاطه ببسكرة سنة 1924. أمينا عاما لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ما بين 1931 و 1935. و ما بين 1934 و 1939 رئيس تحرير جريدة الدفاع. كما كان من أشد الناشطين في المؤتمر الإسلامي. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin, Stora, Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algériens 1926-1954, op.cit, p 348.

7- Mahfoud, (Kaddache), tome 1, op.cit, p 419.

8- Mahfoud, (Kaddache), tome 1, op.cit, p 420.

بقاعة سينما "ماجستيك" (Majestic) بحي باب الواد بالجزائر (1) و هذا لمحاولة إيجاد السبل و الطرق لتردي أوضاع الجزائر و ضعف قواها السياسية و الاجتماعية و انقسامها.

شارك في هذا المؤتمر الشعبي كل من العلماء، النواب، الشبان و الشيوعيون و الاشتراكيون، و شخصيات من أمثال "بن باديس و الإبراهيمي و العقبي و لمن العمودي و الدكتور بن جلول و فرحات عباس و الدكتور سعدان و بوكردنة، و ممثلي الأحزاب الاشتراكية و الشيوعية، بن حاج و بوشامة و بوقرط و العديد من الشخصيات المستقلة." (2) و غاب عنه بطبيعة الحال نجم شمال إفريقيا. و في هذا يقول الأستاذ سعد الله: "أن الدعوة إلى المؤتمر سرعان ما عمت البلاد و استجاب لها النواب في بقية الوطن. كما لبها العلماء و الاشتراكيون الشيوعيون و قدماء المحاربين و الشباب و الفلاحون أما النجم فقد كان موقفه غير واضح." (3) و مع ذلك فقد أبرق النجم برقية أكد فيها على ضرورة دعم و قبول كل المطالب الهامة التي تعمل على تحسين وضعية الشعب الجزائري، و بالمقابل رفض كل مقترحات المطالب التي تخدم الأقلية، و كذلك كل المطالب التي تمس بالشخصية الإسلامية. (4) و قد تناول الكلمة فيه عدة شخصيات من أمثال: الدكتور تامزالي، الدكتور ابن جلول، الدكتور ابن التهامي، فالصيدلي فرحات عباس، الإمام ابن باديس، الشيخ البشير الإبراهيمي، الشيخ الطيبي العقبي، فكان حدثا بارزا انبثق عنه المطالب الآتية:

- إلغاء سائر القوانين الاستثنائية.
- إلحاق الجزائر رأسا بفرنسا، و إلغاء الولاية العامة الجزائرية، و مجلس النواب المالية، و نظام البلديات المختلطة.
- المحافظة على الحالة الشخصية الإسلامية، و إصلاح المحاكم الشرعية.
- فصل الدين عن الدولة بصفة تامة.
- إرجاع سائر المعاهد الدينية إلى الجماعة الإسلامية.
- إرجاع أموال الأوقاف لجماعة المسلمين.
- إلغاء اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية، و حرية تعلّمها، و حرية القول للصحافة العربية.
- إجبارية التعليم للبنين و البنات.

¹ -Ibid,p427.

² -محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1830 / 1962)، المرجع السابق، ص 38.
³ - أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص149. غير أن محفوظ قداش يؤكد أنه تم أخذ الحيطة على عدم الظهور الرسمي للشخصيات الوطنية - أي النجمية- الذين اعتبروا متطرفين. و مع ذلك فقد حضر المؤتمر مناضلين وطنيين يمثلهم وفد تلمسان و العاصمة برئاسة مسطول، لكن لم تعط لهم الكلمة خلال المؤتمر. للمزيد ينظر: Mahfoud,(Kaddache) ,tome 1, op.Cit, p 427.

⁴ -Khaled,(Merzouk), op.Cit,p 68.

● إصلاحات اقتصادية، كالتسوية في الجور على نفس العمل، و التسوية في توزيع الميزانية.

● إعلان العفو السياسي العام.

● النيابة للجزائريين في مجلس الأمة(البرلمان الفرنسي).

● توحيد هيئة الناخبين في سائر الانتخابات.(1) (أنظر الشهاب مجلد 12 ص 136-137).

كان هذا الميثاق الوطني - إن صح التعبير- بمثابة منح الثقة لحكومة الجبهة الشعبية. فالاندماج السياسي دون المساس بالسيادة الفرنسية كان مطابقا لبرامج الأحزاب اليسارية الكبيرة التي شكلت الجبهة الشعبية. كما أن هذا الميثاق طرح خطتين أساسيتين أولاهما المساواة أي إنهاء التمييز، و المطالبة بالإلحاق بفرنسا مع إلغاء جميع التدابير الخاصة، و ثانيهما إصلاح سياسي عن طريق التمثيل الانتخابي. فحسب 'محموظ قداش' كان المؤتمرون يؤمنون بالديمقراطية الفرنسية.(2)

أصر العلماء من خلال هذا الميثاق على المحافظة على قانون الأحوال الشخصية. لقد أصرروا على أن يصبحوا مواطنين فرنسيين و لكن دون التخلي عن الأحوال الشخصية بل المحافظة على تلك الروابط التي تربطهم بالإسلام. فطلب المواطنة الفرنسية الذي جاء في البند الثاني من هذا الميثاق "الإلحاق التام و الكامل بفرنسا." (3) ، الذي كان ينفي في حقيقة الأمر، المواطنة و الهوية الجزائرية، كان يعتبر من طرف العلماء، كتكتيك و وسيلة للحصول على الحقوق. كان ذلك تبريرهم حين تعرضهم للوم فيما بعد على دفاعهم عن الاندماج السياسي. و في هذا يدافع الشيخ 'الإبراهيمي' عن المسألة حين يقول: "تمثلت فيه الأمة بجميع عناصرها راجعة إلى عنصر واحد هو عنصر الإسلام و الجزائرية." (4)

شكل المؤتمرون وفدا من 15 عضوا يتقدمهم الدكتور ابن جلول (رئيس الوفد) و الشيخ ابن باديس، و الشيخ الإبراهيمي و الطيبي العقبي، و فرحات عباس و الدكتور سعدان، سافر الوفد إلى باريس لتقديم مطالب المؤتمر، و قد استقبل من قبل مسؤولين و برلمانيين فرنسيين في مقدمتهم 'ليون بلوم' و هذا يوم 23 جويلية 1936 (5)، غير أن الوفد رجع حاوي اليدين نظرا لضغوط المستوطنين المعاكسة لاتجاه المؤتمر.

بعدها انعقد تجمع بالملاعب البلدي بالعناصر يوم 2 أوت لشرح نتائج رحلة وفد المؤتمر إلى باريس و التعبير عن أمل وقف الشخصيات الفرنسية مع المشروع. و قد تدخل الشيخ 'الإبراهيمي' بكلمة أوجز فيها أن الوفد الذي انتقل إلى باريس قد أدى الأمانة على أكمل وجه بلقائه بكل شخص و هيئة، و أنه عاد متشعبا معتزا بالإسلام و الجزائر.

¹ -Mahfoud,(Kaddache) ,tome 1, op.cit,p 430-431 .

² -Ibid,p 431 .

³ -محموظ،قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1830 / 1962)،المرجع السابق، ص 39.

⁴ -أحمد طالب،(الإبراهيمي)،آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج1929،1/1940، دار الغرب الإسلامي،الجزائر،1997،ص292.

⁵ - يحيى، (بوعزيز)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، المرجع السابق، ص 52-53.

(1) و في هذه الأثناء تواز التجمع مع عودة 'مصالي الحاج' إلى الجزائر بعد غياب طويل، فقرر حضور هذا التجمع بل أكثر من ذلك استلم الكلمة في بضع دقائق مقدما برنامج نجم شمال إفريقيا و طالبا من الحضور الانضمام و الاتحاد داخل تنظيم النجم. و قد رفض خلال هذه الكلمة أي ارتباط بفرنسا حيث قال في ذلك: "نحن كذلك أبناء الشعب الجزائري و لن نقبل أبدا أن يلحق بلدنا ببلد آخر رغما عن إرادته." (2) ثم ختم تدخله بهذه الكلمات المدوية: "يسقط قانون الاستثناء و العرق! الحرية للشعب الجزائري! تحي أخوة الشعب و يحي شمال إفريقيا." (3) لقد أخرج مصالي منظمي المؤتمر الإسلامي بتدخله من جهة، و نشر الأمل في أوساط الجماهير خاصة منها الشباب. ثم بعد هذا انعقدت دورة ثانية للمؤتمر الإسلامي بين 9 و 11 جوان 1937 بنادي الترتي جدد فيها التمسك بمطالب المؤتمر الإسلامي الأول باعتبارها حدا أدنى، (4) و أرسل وفدا إلى رئيس الحكومة 'ليون بلوم' في مارس 1938 غير أنه لم يحصل على أي شيء. كما تشكلت عبر مختلف الوطن لجان مساندة المؤتمر الإسلامي سميت بلجان شباب المؤتمر الإسلامي الجزائري، و كم هي التقارير الكثيرة للشرطة التي ترصدت تحركات هذه اللجان، فمثلا يؤكد تقرير الشرطة بتاريخ 19 سبتمبر 1937 أن لجنة شباب المؤتمر الإسلامي نظمت تجمعا بالعاصمة بالمقر الكائن بـ 30 نادي التطور، و هذا بحضور حوالي 600 مناضل. لقد حضر هذا التجمع كل من الشيخ العقبي، و الشيخ الفضيل الورتلاني (5) و الشيخ حمزة. و لقد قدم الشيخ العقبي في هذا الاجتماع، الشيخ الفضيل الورتلاني على أنه ابن الشعب الجزائري. و أضاف أن الشعب الجزائري سيموت بدون شبابه، خاصة إذا كان هذا الشعب جاهلا. كما أوضح أن العلماء متواجدون من أجل القضاء على الظلم، و إظهار الطريق المستقيم. و أضاف كذلك أن المؤتمر الإسلامي هو صنيع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و هي تهدف إلى هيمنة المطالب التي جاء بها. (6)

في 1937 و بعد عودة مصالي الحاج إلى باريس صرح بموقفه حول المؤتمر الإسلامي الذي أكد من خلاله أن القائمين على نشاط المؤتمر لقي صدى كبيرا في أوساط الجماهير التي لم تفهم المغزى الحقيقي لمطالبه التي راحت إلى حد المطالبة بفرنسة البلاد. (7)

ثم أرسل وفد آخر إلى باريس لمقابلة رئيس وزراء فرنسا الجديد 'دلاديه' في ماي 1938 و الذي أجاب بأن البرلمان الفرنسي معارض لمشروع فيوليت و طلب منهم إعانته على حفظ الأمن و هددهم باستخدام القوة التي هي بحوزة فرنسا باعتبارها أمة قوية.

1- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص260.

2- Khaled, (Merzouk), op.Cit, p 69.

3- بنيامين، (سطورا)، مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898-1974، تر: الصادق عماري و مصطفى ماضي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 1998، ص142.

4- أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص164.

5- من مواليد 18 فيفري 1906 بدوار بني ورتلان بالبلدية المختلطة قرقور. فرض نفسه كأحد أبرز المسيرين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال جولته بفرنسا عام 1936 أين أسس و اشرف على تسيير نادي التربية. أصبح الأمين العام لجبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية عام 1945. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin, Stora, Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954, op.cit, p 344.

6- A.N.O.M, Série I, Dossier 51/47, Rapport de police sur La réunion de la Jeunesse du Congrès musulman.

7- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص137.

و أمام تعنت المعمر، و شن كل من مورينو، و دوروا، و بورجو، و سيكار، حملة حاقدة ضد الجزائر. و أمام إصرار النواب الأوروبيون بالجزائر بأن "المسلمين الجزائريين كلهم وطنيون"، أغلقت فرنسا الباب أمام سياسة اللين و أدارت ظهرها لدعاة الاندماج، و اتضح بأنها لن تقبل بمنح أي حق صغير كان أم كبير للجزائريين، و بأنها مستعدة للقيام بإصلاحات لصالح طبقة المستعمرين الأوروبيين، و هذا ما يدعم موقف حزب الشعب المعارض لفكرة المؤتمر الإسلامي.⁽¹⁾

هكذا أدرك 'فرحات عباس' أن السياسة التي تلوح بالوعود دون تنفيذها هي سياسة تؤدي إلى القطيعة. و أدرك الشيخ 'ابن باديس' أن هذا الرفض يمثل فاصلا حقيقيا و برزخا بين مرحلة النضال ما قبل المؤتمر الإسلامي (شعاره الحق و العدل و المؤاخاة) و مرحلة ما بعد المؤتمر (شعارها لنعول على أنفسنا و لتتكلم على الله). و قد عبر عن ذلك في عدة افتتاحيات (الشهاب 13 أبريل 1937 "شكوى الجزائر و بلواها") و افتتاحية جمادى الثانية 1356 هـ / أوت 1937 تحت عنوان "هل آن أوان اليأس من فرنسا".

رغم أن المؤتمر الإسلامي لم يحقق للجزائريين أية مكاسب، غير أنه عبر عن آمالمهم و طموحاتهم، و رفع عن فرنسا قناع الخداع و المكر. و قد تميزت فترة ما بين الحربين العالميتين في الجزائر بميلاد و ازدهار الحركة الوطنية بمختلف مشاربها و اتجاهاتها و منظماتها، فكانت حركة الأمير خالد الجزائري التي دعت إلى الإصلاح و المساواة التي فشلت نتيجة اضطهاد فرنسا، و عزلة الاندماجين، و تصدع حركة المؤتمر الإسلامي، كل ذلك فتح الباب على مصراعيه خلال الأربعينيات لحزب الشعب الجزائري الذي مثل امتدادا ثوريا، و دعا إلى استقلال الجزائر، أمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ركزت على إحياء معالم الشخصية العربية الإسلامية للجزائريين. و قرعت الحرب العالمية الثانية طبولها و الجزائر لا زالت تن تحت وطأة الفقر و التشرذ و السيطرة و العبودية و المعاناة.

فشل المؤتمر الإسلامي:

لما تبين عدم فعالية المؤتمر، سارع 'فرحات عباس' إلى إطلاق مبادرة جديدة تحت مسمى حزب 'الإتحاد الشعبي الجزائري' الذي أعلن عن تأسيسه في شهر جويلية 1938. و وضع هذا الحزب إقامة نظام مساواة، تلغى فيها جميع الامتيازات الطبقية و الفوارق، تعتبر فيه الجزائر مقاطعة فرنسية بأتم معنى الكلمة، هدفا أساسيا لوجوده. أما الدكتور بن جلول فأراد تجميع مختلف القوى السياسية في تجمع أسماه 'التجمع الفرنسي - الجزائري' جويلية 1938، حيث سعى لجمع تحت هذا الغطاء السياسي كل من: العلماء، المنتخبين، الجمعيات الدينية و التربوية، و قدماء المحاربين، من جهة، و من جهة أخرى الحزب الاشتراكي الراديكالي، الإتحاد الاشتراكي الجمهوري، الحزب الاشتراكي، الحزب الشيوعي، و النقابات العمالية.⁽²⁾

1- يحي، (بو عزيز)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، المرجع السابق، ص 55.

2- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1830/1962)، المرجع السابق، ص 45.

عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية، بقي المنتخبون متمسكين بسياسة الاندماج. أما العلماء فقد خابت آمالهم و تبين للشيخ 'عبد الحميد بن باديس' أن الجبهة الشعبية يقودها رجال فارغون دون سلطة حقيقية بل هو أصحاب شعارات زنانة لا أكثر و ليسوا أصحاب أفعال، و خاب بذلك أمله في ديمقراطية فرنسا. (1) أما الأمر الذي أظهر للجمعية ضعف هذه السياسة و ضعف الرجال الذين اتبعتهم حقيقة، هو ظهور مناضلي نجم شمال إفريقيا أكثر حيوية و حركية، و انتقادهم لأطروحات المؤتمر الإسلامي. (2)

بعد هذه النتيجة بدأ علماء الجمعية يخرجون أنفسهم من مأزق المؤتمر تدريجيا عن طريق التشدد في اقتراحاتهم، فهذا هو الشيخ ابن باديس يذكر وزيرا فرنسيا قائلا: "إن الجزائر حريصة على شخصيتها و وحدتها الترابية... تشكل كل من تونس و المغرب و الجزائر أمة واحدة." (3) كما أكد على مبدأ الحكم بالإسلام التي هي الخيار الوحيد للشعب الجزائري و الذي يعطيه "الحق في تنصيب و عزل و مراقبة حكامه، و عدم الخضوع إلا للقوانين التي ارتضاها، و التي يتعين أن تطبق بالتساوي على الجميع." (4) بالفعل تأكد من خلال كل هذا احترام جمعية العلماء للحزب الوطني الذي تبني خيار الاستقلال الوطني. و عليه ففي شهر جانفي 1938، أصدر الشيخ ابن باديس فتوى تدين المتجنس و كذا التنازل عن أي أحكام القرآن الكريم.

انطلاقا من هذا التشدد و الحذر في آن واحد مخافة الاصطدام بالإدارة الاستعمارية، دعت الجمعية الشعب الجزائري بضرورة مكافحة بالطرق السلمية و القانونية، مرسوم 08 مارس 1938، الذي وضع العراقيل أمام افتتاح المدارس المحلية، و مس باللغة العربية، و من ثم بالإسلام. فقد مس هذا المرسوم بحرية المعتقد و الشعائر الدينية، و أهان الإسلام و المسلمين. (5) و من قبله قد عمدت الإدارة الاستعمارية إلى تعطيل و عرقلة نشاط الجمعية فهذا هي مثلا تعطل دار الحديث بتلمسان التي لم يمر عليها سوى أشهر معدودات من تدشينها، فخرج قرار تعطيلها يوم 1 جانفي 1938. (6)

واصلت جمعية العلماء سياسة التشدد تلك، ففي 27 مارس 1939 أكد بيانها على إصرار الإدارة الاستعمارية على تدمير الإسلام، و اللغة العربية، و على خيبة آمال المسلمين من سياسة اليسار الفرنسي المبنية على اللامبالاة بالوضعية المأساوية للمسلمين. (7) و هذا ما أكدته كذلك بعض تقارير الشرطة الفرنسية التي كانت تتابع كل تحركات الفرق المحلية لشباب المؤتمر الإسلامي الجزائرية، إذ أكد تقرير محافظ الشرطة بتاريخ 4 جوان 1939 أن الفرق المحلية لشباب المؤتمر الإسلامي الجزائري نظمت تجمعا شعبيا دعائيا بمقر أحباب الاتحاد السوفيتي، أين تجمع ما يقارب 220 من السكان، لا يتجاوز أعمار المتدخلين الثلاثين سنة، و كان البعض منهم يضع شعارا أخضرا يحمل رمز حزب

1- أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص166.
2- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962/1830)، المرجع السابق، ص 45.
3- نفسه، ص 46.
4- نفسه، الصفحة نفسها.
5- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962/1830)، المرجع السابق، ص 46.
6- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص313.
7- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962/1830)، المرجع السابق، ص 47.

الشعب الجزائري و على الحافة مكتوب : "كل المسلمين عليهم التكتل حول الميثاق الاحتجاجي". و قد أكد السيد بن رابح أحمد الذي ينتمي إلى الفرقة المحلية لشباب المؤتمر الإسلامي الجزائري : "أن عقيدتنا تهاجم من قبل القوانين الاستثنائية، و التي تعامل المسلمين كما الكلاب." (1) كما أكد نفس المتدخل أن الشيخان ابن باديس و الطيب العقبي لم ينشرا التفرقة في أوساط المؤمنين بل بالعكس لقد أوصلوهم إلى وحدة العمل. و أن أكبر عملية للنيل من الإسلام جاءت على يد مرسوم 8 مارس ، و أن هذا التعسف الذي يمارس ضد الإسلام و المسلمين ليس هو الوجه الحقيقي لفرنسا بل هو وجه الحكومة الخاصة بالجزائر، التي رفضت تطبيق قوانين لصالح الشعب الجزائري. و قد أضاف السيد قريد ميسوم أن المصلحة العامة للقضية الإسلامية تكمن في الإلغاء الفوري للحكومة العامة بالجزائر. (2)

بعد هذه السياسة المخيبة للأمال، و نتيجة لفتور اليسار الفرنسي اتجاه طموحات أغلبية المنتخبين و العلماء، و لسياسة الاندماج التي كانت محور المؤتمر الإسلامي، أدرك الكل أن العائلة الفرنسية التي أرادوا أن يكونوا جزء منها قد لفظتهم و لم تجعل لهم مكانا بينها. و من هنا لم تصمد في هذه الأوقات سوى المطالب الوطنية التي تبناها نجم شمال إفريقيا الذي تحول إلى حزب الشعب الجزائري. و شكلت الحرب العالمية الثانية بهذا محطة أخرى في حياة الحركة الوطنية، و فرصة لتغير الرؤى و التأكد من تفوق الأطروحات السياسية الوطنية. (3)

و مع ذلك و حسب الأستاذ أبو القاسم سعد الله فإن من إيجابيات المؤتمر الإسلامي أنه جعل القيادات السياسية تتضح بالجزائر، و قد تشجع النخبة على خوض المعركة السياسية إذا اقتضى الأمر و توحيد الصفوف مؤقتا بين اتجاهات كانت تبدو متناقضة. (4)

5/ نماذج من المظاهرات الشعبية المدافعة عن اللغة العربية و الإسلام:

خلال سنوات الثلاثينيات، و نتيجة لتزايد المد الاستعماري، استفاق الشعب الجزائري المسلم من سباته العميق. فأكد على حمايته للإسلام و لغته العربية. و أنه سدا منيعا لكل من تسول له نفسه المس بالدين الإسلامي و بلغته العربية.

اندلعت العديد من المظاهرات هنا و هناك مست مختلف ربوع الوطن، خاصة عندما منعت السلطات الاستعمارية حرية الدعوة الدينية و تدريس اللغة العربية. ففي يوم الجمعة 24 فيفري 1933، نظم الشعب مظاهرات نتيجة منع الإدارة الدعوة في المساجد، و طالبوا في اعتصامهم بساحة الحكومة بحرية ممارسة الشعائر الدينية، و حرية المعتقد و التدريس. (5) كما رفض المنتخبون المشاركة في الاحتفالات الرسمية، و انسحب المسلمون من الجمعيات المختلطة الفرنسية- الإسلامية، و تم مقاطعة البضائع الفرنسية. بالجزائر العاصمة، هاجم مسلمون محلات و رفعوا الراية الخضراء، فكان رد فعل الاستعمار جد عنيفا و حاصرت الشرطة القصبه. (6)

1- A.N.O.M, Série I, Dossier 51/47, Rapport de police sur les Comités Locaux du Congrès Musulmans 1936/1938.

2- A.N.O.M, Série I, Dossier 51/47, Rapport de police sur les Comités Locaux du Congrès Musulmans 1936/1938.

3- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 /1830)، المرجع السابق، ص 47.

4- أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص166.

5- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 /1830)، المرجع السابق، ص 50.

6- نفسه، الصفحة نفسها.

كما جرت مظاهرات عام 1934 في كل من أرزيو، و سعيده، و مستغانم، و الجزائر و بونة. و تيقن الشعب الجزائري أن وسيلة الاحتجاجات و الإضرابات المنظمة سلاح فعال قد يؤدي إلى نتائج حسنة.

أدانت الصحافة الوطنية قرارات اللجنة المشتركة بين الوزارات التي تهدف للحد من ممارسة الدعوة بمنع العلماء من الخطابة في المساجد و تدريس اللغة العربية و تقييد الصحافة. و بالمقابل دعم المنتخبون هذه المظاهرات و رفعوا إلى الحكومة الفرنسية، مذكرات احتجاج ضد الإدارة الاستعمارية.⁽¹⁾

تعتبر مظاهرات مدينة قسنطينة في أوت 1934 من بين أهم المظاهرات التي تؤكد على تماسك الشعب الجزائري المسلم بإسلامه و شعائره الدينية. السبب المباشر في هذه المظاهرات شتائم أحد يهود المدينة ضد الإسلام فكان رد فعل المسلمين عنيفا، حيث تم مهاجمة أحياء اليهود. استمرت هذه المظاهرات بوسط المدينة، ثلاثة أيام. كما وقعت اضطرابات بالمناطق الريفية، بالحامة، بشاطودان الرومل، عين السمارة، جوماب، عين البيضاء، الخروب، و بونة.⁽²⁾

سقط قتلى و جرحى في هذه المظاهرات. من المؤكد أن العلاقات بين المسلمين و اليهود كانت جد متوترة، و تفاقمت نتيجة الفوارق الاقتصادية إذ كان اليهود في أغلب الأحيان هم المستفيدون من المصادرات التي كانت تطال المسلمين. الأكد أن الشباب الجزائري المسلم كانت له في 1934، تطوعات و آمال تختلف عن تطوعات آبائه.⁽³⁾

اختلفت أوجه التعامل مع هذه المظاهرات و الأحداث من قبل الحركة الوطنية، فمثلا: المعتدلون، و العلماء، و المنتخبون تأسفوا لطابعها المأساوي، و أكدوا على عدم موافقتهم على صراعات الفتنة. شجب الشيوعيون أعمال العنف و وقفوا في وسط الطريق لا مع المسلمين و لا مع اليهود. أما المنتخبين فباشروا حملة تضامن واسعة مع المعتقلين. حزب نجم شمال إفريقيا وحده الذي أخذ موقفا إيجابيا و مشرفا - إن صح التعبير - أيد فيه المشاركين في الأحداث، و أدان المستوطنين اليهود المتحالفين مع الإمبريالية الفرنسية. اعتبر نجم شمال إفريقيا قتلى قسنطينة شهداء سقطوا من أجل حرية و مصالح و احترام كرامة الشعب.⁽⁴⁾ كشفت هذه الأحداث جاهزية الجماهير الشعبية للثورة القادمة و التي لا مناص منها.

رغم تعرض الشعب إلى القمع الاستعماري إثر اضطرابات قسنطينة، فقد سجلت العديد من المشاحنات و المشاجرات بين المسلمين من جهة، و الشرطة و الجيش من جهة أخرى. ففي بسكرة في 09 أكتوبر 1934، هاجم مسلمون مسلحين بعضي و ألواح خشبية مسمرة الرماة السنيغاليين. بمدينة سطيف، في 01 فيفري 1935، هاجم مسلمون مركزا للشرطة. انتشرت الاضطرابات هنا و هناك و استولى الرعب على الأوروبيين، و بدأ الحديث عن ثورة العرب. أشارت العديد من التقارير عن تفاقم الوضع و أكدت على أن هذه التجمعات و المظاهرات هي محاولات جديدة للتعبة من اجل يوم الحسم.⁽⁵⁾

1- نفسه، الصفحة نفسها.

2- نفسه، ص 52.

3- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 / 1830)، المرجع السابق، ص 52.

4- نفسه، ص 53.

5- نفسه، الصفحة نفسها.

في جوان 1936، اندلعت الكثير من الإضرابات بفرنسا و الجزائر من طرف النقابات العمالية. شارك العمال المسلمون فيها رفقة العمال الأوروبيين، و أظهروا خلالها تنظيما محكما أبحر أرباب العمل، الذين رأوا نزاعات العمل تأخذ أبعادا سياسية. كانت المشاجرات تندلع في كل مكان من الجزائر: الجزائر العاصمة، تلمسان، وهران، عين تموشنت، مستغانم، قسنطينة، فقد أعطى عمال الزراعة المسلمين لإضرابهم طابعا ثوريا. ففي منطقة الجزائر العاصمة اعتقد الفلاحون أن الوقت قد حان للاستيلاء على الأراضي، فتم تنصيب مراقبين لتنفيذ الإضرابات، و احتلال المزارع، مما أثار خشية الكولون و الإدارة الفرنسية التي اتخذت كافة الإجراءات من تدخل الجيش و الطيران، و تسليح الكولون. كما طالت التوقيفات الجماعية و إصدار الأحكام المتظاهرين.⁽¹⁾

لم تذخر الإدارة الاستعمارية أي جهد أو طريقة في سبيل متابعة الوطنيين و تضيق الخناق عليهم، فهناك العديد من التقارير و الوثائق الأرشيفية التي تبث ذلك. ففي تقرير المتصرف الإداري مثلا للبلدية المختلطة تلاغ و الموجه إلى رئيس البلدية يؤكد فيه على هذه المتابعة الحثيثة لكل عمل أو تحرك وطني، إذ يؤكد فيه على قايد دوار مويلح أعلمه شخصيا أن المسمى 'بوشامة' من مدينة تلمسان عقد يوم 16 جوان 1937 تجمعا بمنطقة بيدو بهدف محاربة الطريقين و تأثيرهم على العامة.⁽²⁾ و في نفس السياق جاء في جريدة 'وهران الجمهورية' (أورون غيبيليكان = Oran Républicain) بتاريخ 19 جوان 1937 أن شباب المؤتمر الإسلامي يعقدون اجتماعهم الكبير بنادي النجاح، هذا الاجتماع الذي لطالما كان منتظرا من طرف الشباب.⁽³⁾

رابعا/ الحركة الوطنية أثناء الحرب العالمية الثانية (1939/1945):

بالرغم من أن الجزائر كانت إحدى أهم دعائم بناء الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية، و أكثر المستعمرات أهمية لفرنسا، و بالرغم من تمتعها بالخيرات و الثروات، إلا أن الشعب الجزائري استقبل الحرب العالمية الثانية (1945/1939) و هو يعيش تحت ظروف جد قاسية تميزت بتدهور الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية، و سوء معاملة فرنسا للشعب و استحكام الجوع و المرض بسبب الفقر، و انتشار البطالة و تفاقم الأمية.

1/ موقف فرنسا من الجزائريين:

لم تكن فرنسا تعترف بوجود الشعب الجزائري الذي يتمتع بكامل حقوقه و واجباته، بل اعتبرت سكان الجزائر مجرد عبيد ينفذون أوامرها و يسخرون لخدمة المعمر الذي استولى على خيرات البلاد و العباد. و قد تميز موقف فرنسا اتجاه الجزائريين على النحو الآتي:

أ/ قمع الحركة الوطنية و مطاردة رجالها:

¹- نفسه ، ص 54.

²- A.N.O.M, Série I, Dossier 51/47, Rapport de l'Administrateur de la commune mixte de Teleg à M. le Sous-préfet de sidi bel Abbés daté du 17 Juin 1937.

³- A.N.O.M, Série I, Dossier 51/47, extrait du journal Oran Républicain daté du 19 Juin 1937.

عند دخول فرنسا معترك الحرب العالمية الثانية في شهر سبتمبر 1939، أدركت أن إبقاء زعماء الحركة الوطنية أحرارا سيشكل أكبر خطر على وجودها، فقامت بجل حزب الشعب في 26 سبتمبر 1939، (1) و اعتقلت زعمائه من أمثال: 'مصالي الحاج'، و 'مفدي كريات'، و 'الشاذلي المكي'، و 'محمد خيضر'، ثم أتبع ذلك بزج العشرات من مناضلي الحزب في غياهب السجون يوم 4 أكتوبر 1939. و "أُتبعهم بثلاثين مناضلا آخر في يناير 1940، و بعشرات آخرين لاحقاً" (2)

كما شنت فرنسا حربا شعواءً على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لأنها رفضت الإعلان عن تأييد فرنسا في الحرب (3)، فشدت الرقابة على أنشطتها، و وضعت رئيسها الشيخ 'عبد الحميد بن باديس' رهن الإقامة الجبرية في قسنطينة و الذي بقي فيها حتى وافه الأجل يوم 16 أبريل 1940. (4)

كما قامت السلطات الفرنسية بنفي الرجل الثاني في الجمعية الشيخ 'البشير الإبراهيمي' في أبريل 1940 إلى آفلو (5) إلى غاية 28 ديسمبر 1942، و شددت الخناق على عدة مناضلي من الجمعية فاعتقلت أمينها 'فرحات جراد' في نوفمبر 1939، ثم اعتقلت الشيخ 'العربي التبسي' بتهمة التجسس لصالح ألمانيا في مارس 1943. كما اعتقلت المئات من الوطنيين الجزائريين بنهمة معاداتهم لفرنسا.

ب/ التجنيد الإجباري:

فرضت فرنسا التجنيد الإجباري على الجزائريين و دفعت بهم إلى ساحات القتال و المعارك، و حمى الحرب، فقتل منهم الكثير.

ج/ استغلال طاقات الجزائر:

نهب فرنسا خيرات الجزائر و ثرواتها خدمة لحربها التي ليس فيها للجزائر لا ناقة و لا جمل، فاستنزفت المواد الغذائية و الحيوانية ما تسبب في تفكير الشعب و تفشي المجاعة و انتشار الأمراض و الأوبئة فمثلا: انتشار وباء التيفوس الذي "قتل نحو 233380 نسمة عام 1942" (6)

2/ مواقف الجزائريين من الحرب: تباينت المواقف على النحو الآتي:

أ/ موقف النخبة و الموظفين و الإقطاعيين:

أيد من كان يسير في فلك فرنسا موقفها من الحرب، فقامت جماعة النخبة و النواب و القياد و الأئمة الرسميين و المفتيين و الأعيان و رجال الطرق و الزوايا و غيرهم بالوقوف إلى جانب فرنسا ضد ألمانيا، كما ذهب البعض منهم إلى حد التطوع في الحرب من أمثال: 'فرحات عباس'، 'بن جلول'، و 'الأحضري' و غيرهم.

1 -Mahfoud,(Kaddache),tome 2, op.cit,p 611.

2- بلاح،(بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1989 /1830)، ج1، المرجع السابق، ص 447.

3- أبو القاسم،(سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 169.

4- بلاح،(بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1989 /1830)، ج1، المرجع السابق، ص 448.

5 -Mahfoud,(Kaddache) ,tome 2,op.cit,p 614.

6- بلاح،(بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1989 /1830)، المرجع السابق، ص 449.

ب/ موقف الاستقلاليين و الإصلاحيين:

اتسم موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و حزب الشعب بعدائهم الواضح للاستعمار و إلحاحهم على المطالبة بالإصلاح و الاستقلال.

و عندما سقطت فرنسا و انهارت سمعتها خلال الحرب العالمية الثانية سنة 1940، لم يتحرك الجزائريون ضدها بسبب ما طال الحركة الوطنية من انقسام و تشرذم، و غياب القادة الوطنيين، فقد توفي الشيخ 'عبد الحميد بن باديس'، و وضع 'مصالي الحاج' في السجن، و أصبح 'بن جلول' منبوذا. و مع ذلك هذا لم يمنع من حدوث تمرد قام به مجموعة من المجندين في 25 يناير 1941 بالحراش، نتج عنه مصرع عدد معتبر من الفرنسيين.

و قد قامت فرنسا بعد حوالي شهر و نصف من تمرد الحراش، بمحاكمة 'مصالي الحاج' و عدد من مناضليه أمام محكمة عسكرية يوم 22 مارس 1941 بتهمة تهديد أمن فرنسا، فحكم عليه بستة عشرة سنة من الأشغال الشاقة و 20 سنة نفي. و مع هذا فقد خضع للإقامة الجبرية حين نزول الحلفاء في شمال إفريقيا.

خلال هذا كان حزب الشعب ييث دعايته الوطنية في صفوف المجندين و عامة الناس و المعتقلي، و يوزع النشريات (صوت الأحرار باللغة العربية من 1943 إلى 1944)، و شهرية "الوطن" بالفرنسية، و "العمل الجزائري" (من مارس 1944 إلى مارس 1945).

كما واصل العلماء نشاطهم، فطالبوا في 19 سبتمبر 1941 بالإفراج عن الشيخ 'البشير الإبراهيمي' و العلماء المعتقلين.

أما 'فرحات عباس' فقد أرسل خطابا إلى الماريشال 'بيتان' (Pétain) في 10 أبريل 1940 تضمن مجموعة من الاقتراحات لإصلاح أوضاع الجزائر، لم يلق برد. ثم أرسل إلى وزير الداخلية الفرنسي يوم 5 مارس 1942 يطالبه بإطلاق سراح العلماء و إصلاح المدارس العربية.

هذا و قد كان للكشافة الإسلامية الجزائرية التي تأسست في أبريل 1939 دور وطني فعال أثار سخط الإدارة الفرنسية، فاعتقلت قائدها 'محمد بوراس' (1) و نفذت فيه حكم الإعدام أواخر عام 1941 بتهمة التجسس لألمانيا و التحريض على الثورة.

و هكذا كانت الجزائر خلال هذه الفترة تعيش حياة البؤس الاقتصادي، و الفراغ السياسي، و اضطهاد و قمع من جانب الإدارة الفرنسية. و قد ذكر الكثير من المعاصرين لهذه الفترة "أن المواد الغذائية كانت مفقودة، و أن

¹- من مواليد 1908 بحي العناصر بمليانة، أين زاول دراسته بمدرسة الفلاح و بالمدرسة الفرنسية. استقر سنة 1926 بالجزائر العاصمة أين اشتغل بها أميناً على الآلة الراقنة بالمفتشية البحرية. انتسب إلى نادي الترقى حيث اعتنق أفكار الشيخ ابن باديس، و شارك في العديد من التظاهرات منها مشاركته في المظاهرات التي نظمت سنة 1933 ضد قرار منع الصلاة في المساجد بسبب ميوله للعمل الشباني قام بتحضير قانون الكشافة الإسلامية الجزائرية عام 1935 ليبرى النور عام 1936. اعتقل يوم 3 ماي 1941 بتهمة التجسس لصالح ألمانيا، ليحكم عليه بالقتل حيث نفذ فيه حكم الإعدام يوم 27 ماي 1941 من قبل سلطات الاحتلال. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algériens 1926-1954,op.cit,p 343.

الأهالي كانوا يأكلون الأعشاب و يشربون من الآبار العفنة، و يكاد كبارهم يكونون عراة، أما صغارهم فكانوا يتكون على الطبيعة حفاة عراة.و كان الأحياء من الناس يشاهدون أطفالهم يموتون بالمalaria في لحظات." (1)

و مع نزول قوات الحلفاء إلى شمال إفريقيا يوم 8 نوفمبر 1942، أمل الشعب الجزائري في انفراج عام، غير أن الذي حدث لم يعدو مجرد ذر الغبار على العيون.فقد أفرج عن المعتقلين الشيوعيين، و خفف عن المعتقلين السياسيين الآخرين فوضع 'مصالي الحاج' رهن الإقامة الجبرية في بوغار ثم نفى إلى الغابون في 1945.و خلال الوعود التي أطلقت في ميثاق الأطلسي بخصوص دعم الحرية، قام جماعة من النواب برئاسة 'فرحات عباس' في 22 ديسمبر 1942 بتقديم "مذكرة الجزائريين المسلمين" (2) إلى الحلفاء، إلى ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا بالجزائر، و إلى سلطات فرنسا الحرة بقيادة الجنرال 'ديغول'، طالبوا فيها بعقد مؤتمر ينتج عنه دستور سياسي و اقتصادي و اجتماعي للجزائر.

و مما جاء في هذه الرسالة تطلع المسلمون الجزائريين إلى الحرية و أن مشاركتهم في الحرب مرهون بدعوة مداولة تجمع المنتخبين المسلمين و الممثلين المؤهلين من جميع المنظمات المسلمة، و التي سيكون هدفها إنشاء قانون سياسي و اقتصادي و اجتماعي للمسلمين الجزائريين، يمنح لمسلمي هذا البلد الوعي الكامل حول واجباتهم الحالية.(3)

استلم الحلفاء الوثيقة دون الرد عليها، بحجة أنها تخص فرنسا وحدها، أما ممثل فرنسا فرفض استلامها بحجة أن المذكرة تطاولت على الفرنسيين و تجرأت عليهم باعتبارها الحلفاء شركاء فرنسا في حكم الجزائر.بل أكثر من ذلك فقد أعاد الحلفاء العمل بمرسوم "كريميو" و أطلقوا سراح الشيوعيين، و أما فيما يخص العلماء و الوطنيين فلم يطلق سوى عدد ضئيل منهم.

و بعد أن رفضت فرنسا كل المطالب الجزائرية، و بعد أن رفض 'جيرو' المسؤول الأعلى لدى الحلفاء مقترحات الوفد الجزائري الذي قابله في فاتح سنة 1943 و أجابه بأنه مسؤول عن الحرب و ليس عن السياسة عمد الجزائريون إلى حركة جديدة لكي يتخذوا موقفا واضحا من مطالبهم.(4)

3/ بيان فبراير 1943:

و في ظروف نزول الحلفاء و عدم اتصاهم بقيادة الشعب الجزائري، و أخذ رأيهم و كأن الأرض شاغرة لا صاحب لها،(5) و أمام تحديات الحرب العالمية الثانية، و تعنت الإدارة الاستعمارية في مواجهة مطالب الشعب

1- أبو القاسم،(سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 185-186.

2- أبو القاسم،(سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 201.

3- يحي، (بوعزيز)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، المرجع السابق، ص 63-64.

4- أبو القاسم،(سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 203.

5- لقد تناس الجميع، في ظل التناسق المحموم نحو السلطة، وجود ثمانية مليون و نصف من الجزائريين.ينظر: Benjamin,(Stora), Et Tramor, Les Quemeneur,Algérie 1954-1962,lettres, Carnets et Récits Des Français Et Des Algériens Dans La Guerre,Les Arénes,Paris, 2012, p 55.

الجزائري و الحركة الوطنية، اجتمع عدد من نشطاء الحركة الوطنية و بعض المسؤولين في النيابات المالية في منزل أحمد بومنجل بالجزائر⁽¹⁾ و قاموا بمبادرة جديدة تمثلت في إصدار "بيان الشعب الجزائري" يوم 10 فبراير 1943،⁽²⁾ و سلموا نسخة منه إلى كل من: الحاكم العام الفرنسي بالجزائر 'بيروتون'(Peyrouton) و إلى ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا و الاتحاد السوفييتي، و نسخة إلى الجنرال 'ديغول' في لندن، و نسخة إلى الحكومة المصرية. لقد تكاثفت جهود الحركة الوطنية في تحرير البيان، و تعاون كل من كتلة المنتخبين، و حزب الشعب الجزائري و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و كذا الطلبة في صياغة البيان الذي احتوى على خمسة أقسام، تعرض القسم الأول إلى وضع الجزائر منذ نزول الحلفاء بها. و تعرض القسم الثاني إلى أهمية الحريين العالميتين في تحرير الشعوب. و بين القسم الثالث واقع العلاقات الفرنسية الجزائرية منذ الاحتلال (1830)، و سياسة فرنسا الاستعمارية. و أظهر القسم الرابع فشل الإصلاحات السابقة، و أهمية نزول الحلفاء بالجزائر. أما القسم الخامس و الأخير فتضمن مطالب الجزائريين، التي نورد أهم ما جاء فيها على النحو الآتي:

1- إدانة الاستعمار و القضاء عليه.

2- تطبيق مبدأ تقرير المصير على جميع الشعوب.

3- منح الجزائر دستورا خاصا بها يضمن لها:

- حرية السكان و المساواة بينهم بلا تمييز.
- إلغاء الملكيات الإقطاعية، و القيام بإصلاحات زراعية واسعة تضمن تحسين أحوال الفلاحين.
- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية بجانب الفرنسية.
- حرية الصحافة، و حق التجمع.
- التعليم المجاني و الإجباري لجميع الأطفال ذكورا و إناثا.
- حرية العقيدة لجميع السكان، و تطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة على الديانة الإسلامية.

1- يحي، (بوعزيز)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، المرجع السابق، ص 66. للإطلاع على المشاركين ينظر نفس المرجع، ص 66.

2- يؤرخ محفوظ قداش للبيان بيوم 12 فيفري خلافا للدكتور يحي بوعزيز الذي أرخ له بـ 10 فيفري، أنظر: محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1830 / 1962)، المرجع السابق، ص 88. أما الأستاذ أبو القاسم سعد الله فيؤرخ له بنفس تاريخ الدكتور يحي بوعزيز 10 فبراير و هذا هو الراجح. ينظر: أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 203. وكذلك الأستاذ سطورا يوافق التاريخ الذي ذكره ما جاء به الأستاذ يحي بوعزيز. ينظر: Benjamin, (Stora), Et Tramor Quemeneur, Algérie 1954, 1962, op.cit, p 55.

4- المشاركة الفورية و الفعلية للمسلمين في حكم بلادهم، أسوة بالهنود و السوريين.⁽¹⁾

5- إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين من جميع الأحزاب.⁽²⁾

وافق جميع الحاضرين على نص البيان، حزب الشعب الجزائري، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و جزء من المنتخبين، و الأعيان. تمت المصادقة على البيان من قبل الجميع تقريباً.⁽³⁾ لقد كان للبيان وقع إيجابي على الحركة الوطنية، فقد تجلّى واضحاً من خلاله نمو الشعور الوطني الجزائري، و أُلّف بين الإصلاحيين و الاستقلاليين و وُحِدَ كلمة مختلف أطراف الحركة السياسية بالجزائر. كما أنه يعتبر بحق شهادة و عمل من أعمال الإيمان بالشعب و الوطن.

و فيما يخص البيان فقد تظاهرت فرنسا بقبوله ربحاً للوقت، و طالب الحاكم العام من أصحاب البيان تقديم خطة عمل، و التي استجاب لها الممثلون للحركة الوطنية بصياغة "ملحق البيان" الذي أكد على استقلال الجزائر بعد الحرب، و تشكيل حكومة جزائرية فرنسية متكافئة. أما الحلفاء فقد أكدوا أن مهمتهم هي الحرب، و فيما يخص قضايا الجزائر هي شأن يخص فرنسا وحدها.

اعتبر الحاكم العام 'مارسيل بيرطون' البيان بمثابة الأرضية الأساسية لدستور الجزائر المقبل، و أُلّف لجنة البحث الاقتصادي و الاجتماعي الإسلامي من أجل دراسته. و اجتمعت اللجنة مرتين: الأولى في شهر أبريل و الثانية في شهر ماي 1943، و صادقت على لائحة إصلاحات عرفت باسم ملحق البيان، و يتألف هذا الملحق من باين: يحوي الباب الأول على إصلاحات آجلة لن تطبق إلا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية "عند نهاية الحرب تصبح الجزائر دولة جزائرية لها دستورها الخاص بها، يضعه مجلس تأسيسي جزائري، منتخب من طرف الجزائريين قاطبة".⁽⁴⁾ ، و أما الباب الثاني فيحوي إصلاحات عاجلة تتلخص في "تحويل الولاية العامة إلى حكومة جزائرية تتألف من وزراء مسلمين و فرنسيين، و تحويل الإدارات الحالية إلى وزارات، و تقليد الوالي العام منصب رئيس الوزراء على أن يكون بمثابة سفير لفرنسا بالجزائر أو مندوب لها سامي".⁽⁵⁾

و قد تواطأ الفرنسيون من مستوطنين، و مقاومين بلندن، و إدارة استعمارية ضد الجزائريين، فأشهر الحاكم العام الجديد 'كاترو' (Catroux) سياسة القمع و التسلط، و أصّر على أن "الجزائر فرنسية، و ستظل فرنسية." و قام بحل الفرع الأهلي للمندوبيات المالية في 23 سبتمبر 1943 و اعتقال و نفي 'فرحات عباس' و 'عبد القادر السايح' إلى منطقة بشار، مما أثار احتجاجات و غليان في كل من قسنطينة، و سطيف، و الجزائر العاصمة و غيرها.

¹- يحي، (بوعزيز)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، المرجع السابق، ص 67.
²- Benjamin,(Stora), Et Tramor Quemeneur,Algérie 1954-1962,op.cit, p 57.

³- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1830 /1962)، المرجع السابق، ص 90.

⁴- يحي، (بوعزيز)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، المرجع السابق، ص 69.

⁵ نفسه ، ص 70.

أمام هذا الغليان الشعبي أفرج الحاكم العام عن المنفيين في ديسمبر 1943 ، و قام بصياغة إصلاحات شكلية قدمت إلى الجنرال 'ديغول' الذي أعلن عنها في خطابه بقسنطينة يوم 12 ديسمبر 1943، و التي أدرجت في أمرية 7 مارس 1944 (1) و التي منحها الجنسية الفرنسية لحوالي 50000 و 70000 جزائري دون تخليهم عن أحوالهم الشخصية الإسلامية، و هذا ما يسمح لهم بالمشاركة في الانتخابات و إدارة الحكومة العامة بالجزائر، لكن الحركة الوطنية رفضتها جملة و تفصيلاً.

أكدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على لسان رئيسها الشيخ 'البشير الإبراهيمي' في 3 يناير 1944 عن رفض هذه الإصلاحات، و أكدت التمسك بمطالب بيان الشعب الجزائري. و قام 'فرحات عباس' يوم 14 مارس 1944 بتأسيس "جبهة أحباب البيان و الحرية" بسطيف، و التي جاءت مطالبها مطابقة لمطالب بيان فبراير 1943، و كانت جريدتها الأسبوعية "المساواة" (Légalité) معبرة عنها. لقد حددت الجبهة لنفسها كمهمة مكافحة الاستعمار، و ترويج فكرة الأمة الجزائرية، و الكفاح من أجل تأسيس جمهورية مستقلة ذاتيا، عضوة في دولة اتحادية بجمهورية فرنسية مجددة معادية للاستعمار و الإمبريالية. (2)

و بسبب سيطرة عناصر حزب الشعب على جبهة أحباب البيان و الحرية، فقد نشطت حركتها بتنظيم الاجتماعات، و توزيع المناشير، و كتابة الشعارات، و تأسيس الفروع و القسامات حتى بلغ عددها 163 فرعاً في مارس 1945، و أدى ذلك إلى التفاف الشعب حولها، حتى ارتفع عدد أعضائها إلى حوالي 500 ألف جزائري. (Ferhat Abbas, Du manifeste à la république, p 455.)

و مهما يكن من أمر فقد كانت هذه الفترة من تاريخ الجزائر فترة حرجة و صعبة من جهة، و من جهة أخرى كانت فترة نشاط و اكتساب خبرة للحركة الوطنية الجزائرية، التي أصبحت أكثر صلابة و أكثر وعياً و أعمق تجربة، بالإضافة إلى أنه قد دخلت عهداً من التحدي و المواجهة لم تعرفه من قبل، و هو العهد الذي انتهى بمأساة 8 ماي 1945. (3)

4/ مجازر 8 ماي 1945 و انعكاساتها:

رغم وعود فرنسا، و ثقة 'فرحات عباس' فيها و في نجاح سياسة 'الثورة بالقانون' و 'التحرر و الاتحاد'، إلا أن فرنسا واصلت سياسة التجاهل و التماطل اتجاه الشعب الجزائري و غاياته و آماله المشروعة و كافات وقوفه معها أثناء الحرب العالمية الثانية بأن أهدته أثنى هدية تمنح لشعب آزرها خلال محنتها و انتكاستها و سقوطها فريسة الاحتلال الألماني، ألا و هي ارتكاب في حقه مجازر الثامن من ماي 1945.

في ظل أوضاع دولية جديدة و مشجعة، كتأسيس الجامعة العربية في 22 مارس 1945، و انعقاد مؤتمر سان فرانسيسكو أبريل/ماي 1945، و نشوة الانتصار و انتهاء الحرب العالمية الثانية، و أوضاع داخلية مزرية فالأزمة

1- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 / 1830)، المرجع السابق، ص 93.

2- نفسه، ص 94.

3- أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 220.

الاقتصادية (1) التي كانت تعاني منها البلاد كانت بمثابة الحطب الذي يزيد في اشتعال حماس الحركة الوطنية و تصاعد كره الفرنسيين (2)، سرت شائعات حول ثورة ستندلع في 2 و 3 جوان 1945 م. (3) أكد الجنرال هونري مارتان، أن حزب الشعب الجزائري يحضر لثورة. (4) خرج الجزائريون كغيرهم يوم الثلاثاء 8 ماي 1945 للاحتفال بنهاية الحرب، (5) و المطالبة باستقلال و حرية الجزائر، و إطلاق سراح المعتقلين حاملين العلم الوطني في عدة مدن جزائرية منها: سطيف، و قالمة، و خراطة، و عنابة، و تيزي وزو، و بسكرة، و باتنة، و مستغانم، و تلمسان، و سيدي بلعباس، و بوسعادة.

فكان رد فعل فرنسا عنيفاً، باستنفار جيوشها الثلاثة: البرية، البحرية، و الجوية، و ميلشيات المستوطنين، و الشرطة، و الدرك، و اللفيف الأجنبي. لقد أتت أولى ممارسات العنف من قبل الشرطة، التي كانت ترغب في منع نشر الأعلام الوطنية، و اللافتات التي تحمل شعارات: "تحيا الجزائر المستقلة"، "يسقط الاستعمار"، "أطلقوا سراح مصالي"، المكتوبة في الغالب بالعربية و الفرنسية و الإنجليزية. (6) عاثت هذه القوات في الأرض فساداً، و في الشعب الجزائري تفتيلاً و إبادةً، فراح ضحية هذه المجازر ما بين 45 ألف إلى 100 ألف شهيد من مختلف الفئات و الأعمار، (7) فلم تفرق همجية المستعمر لا بين المرأة و الرجل، و لا بين الطفل الصغير و الشيخ الكبير. كما عمدت فرنسا إلى حلّ "أحباب البيان و الحرية" في 15 ماي، و اعتقال الآلاف من عناصر الحركة الوطنية، و في طليعتهم الشيخ 'البشير الإبراهيمي'، و 'فرحات عباس'. و قد كتب الشيخ الإبراهيمي عن هذه المجازر: "لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور... ثم كتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح أسطيف و قالمة و خراطة لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله." (8)

1- في سنة 1945 أصاب الجزائر أزمة اقتصادية ضاعف من حدتها محصول ضعيف، تسبب في مجاعة بالأرياف، و انخفض إنتاج الحبوب من 20 مليون قنطار في 1941 إلى 11,2 في سنة 1942 و 15,5 في 1943 و 10 في 1944 و إلى 3,6 فقط سنة 1945، و انخفضت كذلك قطاعان الغنم من 6,4 مليون رأس في 1939 إلى 2,8 مليون رأس فقط في 1946. كما ظهرت سوقا موازية على حساب القدرة الشرائية للجزائريين المحرومين. للمزيد حول الموضوع ينظر: بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 189.

2- أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 226.

3- بل أكثر من ذلك فقد ألصق منشور على الجدران خلال شهر فبراير 1945 في المدن الجزائرية، و مما جاء فيه: "أيها الإخوة المسلمون إن حياة بلادكم في خطر. فالاستعمار قد خربها ماديا. إن الشعب الجزائري لم يتمتع بالحضارة لوجود المستعمر الفرنسي. فاللغة العربية مضطهدة منذ الاحتلال، و الإسلام أصبح محل سخريّة. و أن كرامتنا لا يضمن لها الاحترام إلا في إطار كيان جزائري و حكومة جزائرية تقوم على سيادة الشعب الجزائري و ترفض أية سيادة أجنبية. و من أجل هذا الهدف مات إخوتكم في الزنازن، و هم يعانون في السجون و المحتشدات، و منهم من يناضل بحماس في إطار الشرعية أو في الخفاء." ينظر: أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 226.

4- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1830/1962)، المرجع السابق، ص 96. كما يؤكد أحد التقارير الفرنسية أن

حزب الشعب الجزائري ينظم مظاهرات جديدة بمناسبة 8 ماي تحت غطاء أحباب البيان و الحرية، لقد أرادها سلمية للمزيد ينظر: A.N.O.M.

81F, Boite 765, Le Nationalisme Extrémiste en Algérie- Ses forces- Ses faiblesses- comment le combattre.

5- يقول الأستاذ سطورا في هذا الأمر أن: الثلاثاء 8 ماي، بمدينة سطيف، بدأ يتجمع عدد مهم من الجزائريين بالقرب من مسجد الواقع بحي شمال المحطة، بعدما حصلوا على رخصة التجمهر. تألف الموكب من حوالي 8 آلاف شخص، على رأسه عناصر الكشافة فرع الحياة ينظر:

Benjamin, (Stora), Et Tramor Quemeneur, Algérie 1954-1962, op.cit, p 60-61.

6- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1830/1962)، المرجع السابق، ص 97.

7- اختلفت التقارير عن عدد الضحايا و الجرحى، فالتقديرات الجزائرية تراوحت ما بين 45 ألف و 100 ألف شهيد، أما التقديرات الأجنبية فاختلقت، فهي في الغالب تتراوح ما بين 50 ألف و 70 ألف قتيل. و قد قدرت جريدة النيويورك تايمز بعد حوالي شهرين من المجازر عدد القتلى من 7 آلاف إلى 18 ألفا. ينظر: أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 234-235. أما الأستاذ رايح بلعيد في فصل كثيرا في عدد الضحايا إذ يذكر أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أحت أكثر من 80 ألف جزائري قتلوا خلال الأسبوعين الأولين من شهر ماي 1945. للمزيد أكثر ينظر: رايح، (بلعيد)، الحركة الوطنية الجزائرية 1945-1954- دراسة و وثائق غير منشورة- دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2015، ص 23.

8- أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 250.

اعتبر المؤرخون الباحثون الجزائريون و منهم الأستاذ محمد الأمين بليغث أن "مجازر شهر ماي 1945 حلقة من حلقات السلسلة الطويلة لعمليات الإبادة التي دشنتها فرنسا الاستعمارية منذ 1832 عندما قامت بعملية إبادة رسمية ضد مشاتي قبيلة العوفية في السادس أفريل من السنة المذكورة أعلاه." (1) و الحقيقة في الأمر أن هذه السلسلة الطويلة قد بدأت منذ أن وطأت أقدام الاستعمار أرض الجزائر عام 1830 و ربما حتى قبل هذه السنة. و قد تسببت هذه المجازر في انتشار موجة الاستياء العميق و السخط من جهة، و ولدت شعورا من الخوف و العدا من جهة أخرى.(2)

و خلاصة القول أن فرنسا أرادت من هذه المجازر أن تحقق ما يلي:

- تحطيم الحركة الوطنية، و كبت تطلعات الشعب الجزائري إلى الاستقلال.
- استعادة هيمنتها و هيتها المفقودة خلال الحرب، و محاولة إثبات وجودها في الساحة الدولية.
- إرهاب شعوب المستعمرات لصرها عن التفكير في المطالبة بالاستقلال.

تيقن الشعب الجزائري من عدم جدوى النضال السياسي، و عقم المطالب السلمية، و أن اللّغة الوحيدة التي يجب أن يخاطب بها الاستعمار هي لغة السلاح، و أن أفضل لحن يجب أن تعزفه الجزائر هو لحن الرشاش و البارود، و لهذا فقد أجزم معظم دارسي هذه الفترة من تاريخ الجزائر أن مجازر 8 ماي 1945، سجلها الشعب الجزائري بشهادته و دمائه، و ضحاياه" و ستبقى رمزا خالدًا لكفاحه و صبره و صموده على الشدائد، و لعل من أبرز نتائجها الإيجابية إيمان الزعماء الجزائريين بعدها بأن استقلال الجزائر الذي ضاع بالقوة، سوف لن يستعاد إلا بالقوة." (3) بل و أكثر من ذلك فمنهم من رأى فيها جهادا ضد الأجنبي الكافر، فها هو الأستاذ أبو القاسم سعد الله يورد لنا ما جاء في تقرير حاكم بلدة فح مزالة في خصوص هذا، إذ يقول: "أنني أؤكد بأن الحركة (حادثة 8 مايو التي بدأت يوم 9 مايو في فح مزالة قد أخذت طابعا ثوريا تحت راية الإسلام." (4) و لهذا شرعت الحركة الوطنية و من ورائها الشعب الجزائري في الإعداد الفعلي للكفاح المسلح و للثورة الحاسمة التي اندلعت في الفاتح من نوفمبر 1954. استخلص قادة و مناضلي من حزب الشعب الجزائري النتيجة الحتمية التي مفادها أن المساواة ليست سوى خدعة، و أن العمل السياسي السلمي وحده لن يؤدي إلى استقلال الجزائر. و أصبح اللجوء إلى العمل المسلح الهدف النهائي للحزب. (5)

خامسا/ تطور الحركة الوطنية في الجزائر (1954/1945):

1- محمد الأمين، (بليغث)، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات و وثائق – وثائق جديدة و صور نادرة تنشر لأول مرة، دار ابن كثير، بيروت، ط 2، 2007، ص 440، ص 173.

2- Benjamin,(Stora), Et Tramor Quemeneur,Algérie 1954-1962,op.cit, p 65.

3- يحيى، (بوعزيز)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، المرجع السابق، ص 103.

4- أبو القاسم،(سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المرجع السابق، ص 238.

5- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1830 /1962)، المرجع السابق، ص 101.

بعد مجازر 8 ماي 1945، وما خلفته من أثار على الحركة الوطنية و على الشعب الجزائري، و تيقن قادة الأحزاب السياسية و الجمعيات أن سياسة المطالبة بالحقوق بالطرق السلمية لم تعد تجدي نفعاً، و أن السياسة الوحيدة التي يعرفها الاستعمار هي لغة السلاح و النار، و أن ما أخذته فرنسا بالقوة لا يمكن أن يسترد إلا بالقوة و البارود. يمكن اعتبار سنة 1946 سنة توافق المطالب بين جميع الأحزاب السياسية تقريباً، إذ سيظهر "فمطان للتعبير عن المطالب: من جهة تيار معتدل فيما يخص الأهداف، إصلاحية في الوسائل، و يمثله الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (U.D.M.A)، و اصطف خلفه جمعية العلماء و الحزب الشيوعي، و من جهة أخرى تيار متشدد و ثوري، يمثله حزب الشعب الجزائري الذي صار يحمل تسمية حركة انتصار الحريات الديمقراطية." (1)

1 / إعادة صياغة الحركة الوطنية (تجديد البناء):

أصدرت فرنسا في 9 مارس 1946 قانون العفو، (2) فأطلقت سراح المسجونين السياسيين من أمثال: الشيخ 'البشير الإبراهيمي'، و 'فرحات عباس'، و 'مصالي الحاج'. فشرع هؤلاء القادة في إعادة بناء الحركة الوطنية، فقام فرحات عباس بتأسيس "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" (U.D.M.A) في أبريل 1946، (3) و أصدر مشروعه "الجمهورية الجزائرية"، الذي قدمه إلى فرنسا في 9 أوت من نفس السنة، دعا فيه إلى "إقامة جمهورية جزائرية مستقلة ذاتيا في إطار "الاتحاد الفرنسي". (4)، أي الإتحاد مع فرنسا. لقد أوضح فرحات عباس تصوره الجديد لتحرير الجزائر، إذ صرح: "لقد تخيلنا، بغير رجعة، عن المسالك القديمة المستهلكة لصالح الطريق الكبير للأمة الجزائرية، أي المساواة و الحرية، لا الاندماج، و لا أسياد جدد، و لا انفصالية." (5)

و أسس 'مصالي الحاج' ما عرف "بحركة الانتصار للحريات الديمقراطية" (M.T.L.D) التي تطالب باستقلال الجزائر عن فرنسا، و التي أكدت عليه في مؤتمرها الأول في فبراير 1947. لقد تحقق مصالي الحاج بنفسه من شعبية حزبه و تأثيره على الجماهير الشعبية الأمر الذي شجعه على مواصلة درب المطالب الثورية و طرح مبدأ الأمة الجزائرية و مبدأ الاستقلال. (6) و قد خالف بذلك طرح فرحات عباس بل أكثر من ذلك أصدر الحزب نشرة من أربع

1- نفسه، ص 105.

2- أصدرت فرنسا قبل ذلك عدة مراسيم منها: مرسوم 7 مارس 1945، و مرسوم 17 أوت 1945 المثير للجدل الذي جاء بنظام الهيئة الانتخابية الثنائية. و كذلك مرسوم 15 سبتمبر 1945 الذي وضع موضع الاختبار لأول مرة في انتخابات 21 أكتوبر 1945 لانتخاب النواب في أول جمعية تأسيسية فرنسية. للمزيد أكثر حول الموضوع ينظر: الفصل الثاني: الإصلاحات السياسية للإدارة الاستعمارية لتهدئة الأوضاع المتأزمة بعد مجازر 8 ماي 1945، من القسم الأول من دراسة رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 29-34.

3- يذكر الأستاذ رابح بلعيد أن فرحات عباس أجمل مبدأ حركته في التصريح الذي نشره بجريدة 'الوكوري الجبريان' رسالة الجزائر (le Courrier Algerien) و الذي مما جاء فيه: " لا امتصاص، و لا سادة جدد، و لا انفصالية، شعب فتي يتلقى تربيته الديمقراطية و الاجتماعية، و يحقق إعداده الصناعي و العلمي، و يتابع نهضته الفكرية و الأدبية، مرتبطاً بأمة حرة عظيمة ديمقراطية ناشئة، بتوجيه الديمقراطية الفرنسية العظيمة: تلك هي الصورة و التعبير الجلي لحركتنا، حركة التجديد الجزائرية...". للمزيد أكثر ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 35-36-37.

4- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830/1989)، المرجع السابق، ص 464.

5- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1830/1962)، المرجع السابق، ص 105.

6- نفسه، ص 109.

صفحات حذر فيها الشعب الجزائري من "الديمقراطيين المرأين" و سياستهم الخبيثة، ذات التدابير المؤقتة الخادعة. (1)

أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد استأنفت نشاطها في مجال التعليم و الوعظ و الإرشاد الإسلامي، للمحافظة على هوية الجزائر العربية الإسلامية.

كما غير "الحزب الشيوعي الجزائري" (P.C.A) اسمه إلى "أصحاب الحرية و الديمقراطية" (A.L.D)، و قام بتقديم مشروع قانون أساسي إلى البرلمان الفرنسي بتاريخ 13 مارس 1947، نص على ضرورة تقاسم السلطة بين الجزائريين و المستوطنين.

كما انطلقت باقي الجمعيات و المنظمات الوطنية، و على رأسهم الكشافة الإسلامية في تثقيف و تنوير و تأطير الشعب الجزائري و خاصة فئة الشباب.

و قد شارك كل من أنصار فرحات عباس و مصالي الحاج في الانتخابات التي كانت معظمها مزورة، فمثلا: في انتخابات البلدية في أوت 1945، و الانتخابات الولائية في سبتمبر، و انتخابات المجلس التأسيسي الأول في 12 أكتوبر 1945. و كذلك انتخابات المجلس التأسيسي الفرنسي الثاني في 2 جوان 1946 التي لم يشارك فيها حزب الشعب، و حصل فيها أصحاب فرحات عباس على حوالي 11 مقعداً من مجموع 13 مقعداً مخصصة للمسلمين. و الانتخابات البرلمانية الفرنسية في 17 جوان 1951، و التي شهدت تزويراً كبيراً، لم يحظ فيها الاتحاد الديمقراطي سوى بـ 9 %، و حركة انتصار الحريات سوى بـ 8 % فقط من الأصوات، و لم يفز أي مشرح، مما أدى إلى مقاطعة الحركة الوطنية الانتخابات الولائية في 7 و 14 أكتوبر 1951. (2)

و قد وصف الشيخ 'البشير الإبراهيمي' هذه الانتخابات العقيمة و التي لم تعد سوى نغمت و الحان يعزفها الاستعمار و يرقص عليها أهل البلاد، بأنها أصبحت "كأعياد اليهود، لا يفصل بعضها من بعضها إلا الأيام و الأسابيع، و كان ذلك مقصوداً من الاستعمار، لما يعلمه في أمتنا من ضعف، و في أحزابنا من تخاذل و أطماع، و في مؤسساتنا و مشاريعنا العلمية من اعتماد على الوحدات المتماسكة من الأمة، فأصبح يرميهم في كل فصل بانتخاب يوهن به صرح التعليم، و يفرق به الجمعيات المتراصة حوله، و التعليم هو عدو الاستعمار الألد لو كان هؤلاء القوم يعقلون." (3)

و كثيرا ما حملت الخلافات الحزبية و الصراعات، الشيخ 'البشير الإبراهيمي'، إلى الإهابة بالجماعات السياسية، و من ذلك ما كتبه في البصائر (13 أكتوبر 1947): "يا قادة الأحزاب! إن في مبادئكم دسائس دخيلة من الأفكار، تورث العداوة الحزبية بين الإخوة بحجة المحافظة على المبدأ، فانبذوها بضرورة الاتحاد و مراعاة

1- أصدر التيار الاستقلالي أكثر من نشرية فيما يخص مشاركة فرحات عباس في انتخابات 2 جوان 1946، واحد من هذه المنشورات معنون بساعة الإيضاحات الفاصلة في ماي 1946، و مما جاء فيه: الانتخاب خيانة، و التمثيل خيانة، و الامتناع التام، هو الشعار الوحيد و في جوان يجب أن تبقى صناديق الانتخاب فارغة، و أماكن الاقتراع مهجورة للمزيد أكثر ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 327-333. كما جاء في وريقة يرجح أنها وزعت في أواخر شهر ماي 1946 م: "لتحيا الجبهة الوطنية لمقاطعة الانتخابات العامة؛ و من أجل دستور جزائري ذي سيادة؛ و ضد قوائم الخيانة، و الولاء المقنع..." للمزيد ينظر كذلك: نفسه، ص 334.

2- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 / 1989)، المرجع السابق، ص 465.

3- نفسه، ص 466.

الظروف، و ادحضوا شبهتها بحجة الوطن الصريحة، و إن في صفوفكم دسّاسين مدخولين من الرجال لهم أغراض في المنافع و الكراسي، و لهم مقاصد في الإفساد... فأخرجوهم من الصفوف..."⁽¹⁾ و لقد أدت الظروف الملمة بالحركة الوطنية، و منها تقاعس السلطة الفرنسية في القبول بأدنى الحقوق، و التزوير المتكرر في الانتخابات، إلى كثرة سخط الجزائريين على فرنسا، و تصاعد منحنى نضالهم.

2/ دستور 1947:

للتقليل من غضب الجزائريين و إسكات الحركة الوطنية، سعت الإدارة الفرنسية إلى إصدار قانوناً أساسياً للجزائر (Statut de l'Algérie)، في عهد حكومة 'بول رمادي' (Paul Ramadier) في 20 سبتمبر 1947،⁽²⁾ و الذي شمل ثمانية (8) أبواب، و ستين (60) مادة منها:

المادة 1: الجزائر جزء لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية، و قطر مشترك في دائرة "الإتحاد الفرنسي".

المادة 2: المساواة التامة بين كافة سكان الجزائر.

المادة 3: تتعلق بالأحوال الشخصية للفرد الجزائري المسلم، فله الحفاظ على حالته الشخصية الإسلامية، و يحكم بالشرع الإسلامي في هذا المجال.

المادة 75: اعتبرت اللغة العربية لغة مساوية للغة الفرنسية بالنسبة للصحافة الرسمية أو الخاصة المطبوعة في الجزائر، و نصت على تنظيم التعليم العربي في جميع المستويات. لكنها جعلت ذلك منوطاً أيضاً بقرارات المجلس الجزائري.

رغم أن هذا الدستور استجاب لبعض مطالب الجزائريين، إلا أنه قزم دورهم في تسيير شؤون بلادهم، كما أنه نص على تبعية الجزائر لفرنسا. و كذلك أبقى على نظام الغرفتين، حيث يمكن للإدارة تزوير فالانتخابات.⁽³⁾

أ/ المواقف المختلفة من الدستور:

• موقف الشعب الجزائري و الحركة الوطنية:

لعدم استجابة الدستور للمطالب الشرعية للشعب الجزائري، و عدم اعترافه بالشخصية الجزائرية، فقد ندد به الشعب الجزائري و انتقده. من ذلك وصف الشيخ 'البشير الإبراهيمي' بأنه: "دستور أعرج، أبتز، لا يسمع و لا يبصر! لم يؤخذ رأي الأمة الجزائرية في وضعه، و لم يسمع صوتها في دفعه."⁽⁴⁾ و مع ذلك و خوفاً من التهميش و

¹- البصائر، العدد 10، 13 أكتوبر 1947، ص 1-2.

² - Pascal (Le Pautremat), op.Cit, p 424.

³ - Ibid, p 424.

⁴- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 / 1989)، المرجع السابق، ص 469.

العزلة حاولت الحركة الوطنية الاستفادة منه، و من ذلك ما عبر عنه الشيخ 'البشير الإبراهيمي' في العدد 9 من مجلة البصائر 29 مارس 1948 بدعوته "... إلى استغلال ما في الدستور من خير و لو كان كقطرة في بحر. (1)، و قد ناضلت الجمعية في سبيل تطبيق بعض بنود الدستور مثل: ترسيم اللغة العربية، و فصل الإسلام عن الدولة. و واصلت بذلك حركتها لصالح بناء دولة على أسس عربية و إسلامية. (2)

• موقف المستوطنين:

رفض المستوطنون هذا القانون بدعوى أنه جعلهم طعمة للمسلمين، و عبروا عن ذلك بتقديم الأعضاء الأوربيين في مجلس ولاية الجزائر استقالتهم، و تصويتهم في الانتخابات البلدية أكتوبر 1947 على قوائم "الإتحاد الجزائري" (Union Algérienne) و "تجمع الشعب الفرنسي" (R.P.F) اللذين نددا بهذا القانون. و عندما فازت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ببعض المقاعد في الانتخابات البلدية في 19 أكتوبر 1947، اتهم المستوطنون الحاكم العام 'شاتينيو' (Chataigneau) بالتعاطف مع العرب، و عملوا على إزاحته من الحكم و استبداله بمارسيل ناجلين (Naegelen) المعادي للجزائريين، و الذي اعتمد على أسلوب القمع و التزوير لكبح جماح الحركة الوطنية الجزائرية.

و قام المستوطنون بفصل هيمنتهم على الإدارة بتزوير مختلف الانتخابات خاصة منها انتخابات المجلس الجزائري في 11 أبريل 1948 و 4 و 11 فبراير 1951، و الانتخابات التشريعية في 17 جوان 1951. و أمام هذه المواقف قامت الحركة الوطنية و قادتها بإنشاء و بتكوين "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها" في 5 أوت 1951 لتحقيق بعض الأهداف و التي منها:

- إلغاء انتخابات 17 جوان 1951 التشريعية المزورة.

- احترام حرية التصويت في القسم الانتخابي الثاني الخاص بالمسلمين.

- احترام الحريات الأساسية: حرية الضمير، و حرية التفكير، و حرية التعبير في الصحافة و الاجتماعات.

- محاربة الاضطهاد بجميع مظاهره.

غير أن هذه الجبهة لم تعمر طويلا بسبب الخلافات العميقة بين أطرافها بينما عمر دستور الجزائر قرابة 9 سنين إلى أن سقط في أبريل 1956 و حل محله المجلس الجزائري.

¹- بلاح، (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 / 1989)، المرجع السابق، ص 470.

² - Pascal (Le Pautremat), op.Cit, p 426.

3/ المنظمة الخاصة (O.S):

حتمت الظروف التي تعيشها الجزائر بصفة عامة و حزب الشعب، بصفة خاصة على التفكير في المرور إلى الثورة المسلحة. كان ذلك حلما لأمس أغلب قادة الحزب: تشكيل مجموعات مسلحة.⁽¹⁾
عقدت قيادة "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" (M.T.L.D) مؤتمرا وطنيا يومي 15 و 16 فبراير 1947 أسفر عن عدة قرارات لعل أهمها:

- العمل على تحرير الجزائر باعتماد مختلف الوسائل، بما فيها الكفاح المسلح.
- الاعتماد على الانتخابات كوسيلة من وسائل الكفاح.
- تثبيت "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" غطاءا شرعيا لحزب الشعب الجزائري المحظور، و هذا بحمة تأطير مختلف شرائح الشعب و المجتمع.
- تعيين لجنة خماسية مكونة من 'مصالي الحاج'، 'حسين لحول'، 'الامين دباغين'، 'مسعود بوقادوم'، 'أحمد بودة' لتسمية أعضاء اللجنة المركزية.
- بعد المؤتمر شرع في تكوين المنظمة الخاصة (O.S)،⁽²⁾ قوات للمواجهة خاصة بحزب الشعب الجزائري.⁽³⁾ ، منذ مارس 1947،⁽⁴⁾ و هي عبارة عن منظمة شبه عسكرية سرية، حددت أهدافها في :
 - تجنيد الشباب و تدريبه على القتال.
 - البحث عن الأسلحة و المتفجرات و تخزينها في المناطق الجبلية و المدن الكبرى.
 - جمع الأموال.
 - البحث عن ملاجئ للمناضلين المطاردين من قبل الإدارة الاستعمارية.
 - بناء شبكة خلايا على مستوى القطر الوطني.

1- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1830 / 1962)، المرجع السابق، ص 119.

2- يذكر الأستاذ رابح بلعيد أن الأب المؤسس و الروحي للمنظمة الخاصة، و هذا بإجماع الآراء، هو محمد بلوزداد المعروف بلقب 'سي مسعود'، إذ أنه أول شيء فعله حين انضم إلى حزب الشعب سنة 1943 أن حاول إقناع قيادة الحزب بضرورة إنشاء هيئة طلابية شبع عسكرية في داخل الحزب، و هكذا نشأ ما سمي بالمجموعات التجريبية التي أطلق الحزب على أعضائها اسم عشيرة شباب بلكور. للمزيد أكثر ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 94-95.

3- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1830 / 1962)، المرجع السابق، ص 120.

4- تولى بلوزداد مهمة تعبئة كوادر المنظمة الخاصة و تنظيم بنائها العضوي، رغم أن قرار إنشاء هذه المنظمة ظل مسألة سياسية، إلى أن أكدها مؤتمر حركة انتصار الحريات الديمقراطية السري المحدود، المنعقد في 7 من سبتمبر 1947. للمزيد أكثر ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 96-95.

و قد قدر عدد أعضائها ما بين 1000 و 1750 عضوا مطلع العام 1950. (1) و تداول على قيادتها ثلاثة مناضلين هم: 'محمد بلوزداد' (2) إلى أن عزله المرض عام 1948 و مات عام 1952، ثم 'حسين آيت أحمد' إلى غاية ظهور الأزمة البربرية في أوساط الحزب عام 1949، فعزل من المنظمة، و خلفه 'أحمد بن بلة' إلى غاية اكتشافها و تفكيكها عام 1950 و اعتقاله يوم 12 ماي 1950.

تولت المنظمة تنفيذ عدة مهام، نذكر منها: محاولة تدمير النصب التذكاري الذي دشنته الحاكم العام نوجالان بكاشرو، لذكرى الأمير عبد القادر. (3)

كانت الشرطة تتعقب آثار المنظمة الخاصة لكنها لم تفلح في كشف تنظيمها. لكن في مارس 1950 اكتشفت المنظمة السرية بسبب حادثة 'عبد القادر خياري' بتبسة، (4) فشنت السلطات الاستعمارية حملة اعتقالات واسعة في صفوف مناضلي المنظمة (حوالي 500 عضو) و البقية منهم من اعتصم بالجبال، و منهم من فر إلى الخارج من أمثال: 'محمد خيضر'، 'حسين آيت أحمد' و 'أحمد بن بلة' بعد فراره من السجن ليلتقوا بالقاهرة، و يشكلوا مع 'محمد بوضياف' نواة التمثيل الخارجي لحركة الانتصار.

و رغم هذا الاكتشاف للمنظمة الخاصة للحزب، فقد عزز في أوساط الكتل الشعبية روح التضامن الإسلامي. الفاعلين الأساسيين لهذه المنظمة، نجحوا إما في الولوج لقاعات المحاكم، أو الفرار. (5)

لم تذخر الإدارة الاستعمارية أي جهد أو طريقة في سبيل متابعة الوطنيين و تضيق الخناق عليهم، فهناك العديد من التقارير و الوثائق الأرشيفية التي تبث ذلك. ففي تقرير حول نشاط المسمى 'لنصاري عبد الله ولد محمد' يؤكد على ممارسة هذا الأخير الدعاية لصالح حزب الشعب الجزائري، حيث يستقبل المناضلين يوم الاثنين و هو يوم التسوق بحجة أنه يكتب لهم رسائل إلى أبنائهم أو شكاوي إلى القاضي، لكنه في حقيقة الأمر يقوم بالدعاية لصالح الحزب. و قد أكد هذا التقرير الصادر عن رئيس المركز الملازم 'سترات' (LN.Strat) بضرورة غلق المحل الخاص به. (6) و في نفس السياق جاء في تقرير محافظ الشرطة / رئيس شرطة الاستعلامات بوهران علي أن السيد/ 'أحمد بن عبد الله'

1- يذكر الأستاذ رابح بلعيد أنه حين وفاة محمد بلوزداد في مصحة بوبيني بباريس في 14 جانفي 1952، فإنه لم يعيش حتى يجني الثمار التي يستحقها نظير الجهود غير العادية التي بذلها في إعداد المنظمة الخاصة، و لكنه مات و هو سعيد لأنه ترك خلفه هيئة سرية ممتازة قوامها حوالي 3000 رجل. للمزيد أكثر ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 97.

2- من مواليد 3 نوفمبر 1924 بالعاصمة. عمل بمصالح مديرية شؤون المسلمين بالحكومة العامة. انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري عام 1943. أسس فرقة شباب بلكور. و بفضل نشاطه ارتقى سريعا إلى اللجنة المديرية للحزب و ساهم في تأسيس جريدة الوطن التي صدر أول عدد لها في شهر يناير 1944. ثم عضوا في المكتب السياسي لحركة الانتصار على إثر مؤتمر 1947 مكلفا بالتنسيق بين المنظمة الخاصة و المكتب السياسي. توفي بعد مرض عضال في 14 يناير 1952 بفرنسا. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954,op.cit,p 271.

3- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962/1830)، المرجع السابق، ص 121.

4- سنقصل في الموضوع في العنصر اللاحق من هذه الدراسة.

5- A.N.O.M, 81F, Boite 765, Le Nationalisme Extrémiste en Algérie- Ses forces- Ses faiblesses- comment le combattre.

6- A.N.O.M, Dossier 106, document internes, Rapport sur l'Activité nationaliste du nommé Lansari Abdellah ould Mohammed daté du 26 Juin 1948.

مقدم الزاوية العلوية قد استضاف حوالي ثلاثين شخصا و هذا بتاريخ 31 ماي 1948، و قد مر الموكب بشارع بن حجلال يحي و هم ينشدون أناشيد دينية.(1)

كما جاء في الكثير من التقارير الفرنسية متابعة تحركات الكثير من الوطنيين الجزائريين، و مراقبة الأماكن الوطنية، فيها هو مثلا: تقرير الشرطة بمدينة سيدي بلعباس يؤكد بتاريخ 20 ماي 1948 على مراقبة الأماكن التي يتردد عليها الوطنيون، إذ يؤكد على أن عناصر اللجنة المركزية للفرقة المحلية لحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، يقومون بتشكيل لجنة دعم لصالح زملائهم المسجونين في قضايا سياسية. و عليه فإن هذه القضية أضحت تحت المراقبة المستمرة من قبل عناصر الشرطة. (2) و كذلك متابعة الأشخاص و تحركاتهم، فيها هو تقرير الشرطة المؤرخ بتاريخ 20 ماي 1948 يؤكد على أن المسمى 'عبد الله بن علي' يقوم بتوزيع الجريدة المحظورة 'النجم الجزائري' بسيدي بلعباس، و عليه فإن الشرطة تقوم بمراقبة نشطة لنشاط هذا الوطني.(3) و في نفس السياق جاء في تقرير الشرطة حول نشاط المسمى بن زيان حسين ولد سيدي عبد الباقي، مستشار سابق بلدي عن حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بوهران، الذي يقوم بإنشاء خلية تابعة للحزب ببلديته و التي ستلحق بخلية مستغانم.(4)

كما واصلت الإدارة الاستعمارية، إلى جانب المراقبة المستمرة لنشاط الوطنيين، عمليات الاعتقال ضد مناضلي الحركة، فاعتقلت حوالي 890 مناضلاً عام 1952، صدرت في حقهم أحكاما بالسجن و النفي و التغريم المالي، و الحرمان من الحقوق المدنية.(5) و عموما استطاع الحزب أن يتغلغل و يغرس طرق شعبية بكل سرية، مكنته أن يكون الحزب السياسي الإسلامي الأكثر فعالية بالجزائر.(6)

و عموما اعتبرت الفترة الممتدة من 1948 إلى 1954 من أشد الفترات تحديا في حياة الحركة الوطنية الجزائرية. و قد استمر القمع الذي شنته الإدارة الاستعمارية ضد الشعب الجزائري عموما و ضد مناضلي الحركة الوطنية خصوصا متواصلا و مكشوبا، و "مهما - يقول الأستاذ رابح بلعيد- كانت شدة الاصطدامات التي جرت خلال هذه الفترة بين مختلف الحركات السياسية و الدينية الجزائرية، فإنها من الوجهة التاريخية و السياسية قد حجبتها الصراع الداخلي في حركة انتصار الحريات الديمقراطية." (7)

4/ أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية:

1- A.N.O.M, Dossier 106, document internes, Rapport sur l'Activité nationaliste du nommé Ahmed Ben Abdellah daté du 05 Juin 1948.

2- A.N.O.M, Dossier 106, document internes, Rapport de police sur la surveillance des milieux nationalistes musulmane daté du 20 Mai 1948.

3- A.N.O.M, Dossier 106, document internes, Rapport de police sur l'Activité nationaliste à Sidi Bel Abbés daté du 20 Mai 1948. voir aussi : Rapport de police des renseignements généraux daté du 7 Février 1948.

4- A.N.O.M, Dossier 106, document internes, Rapport de police sur l'Activité nationaliste du nommé Benziane Hocine Ould Sidi Abdelbaki daté du 14 Avril 1948.

5- بلاح،(بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 /1989)، المرجع السابق، ص 475.

6- A.N.O.M, 81F, Boite 765, Le Nationalisme Extrémiste en Algérie- Ses forces- Ses faiblesses- comment le combattre.

7- رابح،(بلعيد)، المرجع السابق، ص 75.

بعد انكشاف أمر المنظمة الخاصة،⁽¹⁾ شددت فرنسا الرقابة على أعضاء الحركة، و اعتقلت رئيسها 'مصالي الحاج' في 14 ماي 1952 و فرضت عليه الإقامة الجبرية بمدينة نيور (Niort) الفرنسية.⁽²⁾

خلال هذه الظروف شهدت الساحة السياسية انقساماً و تشرداً و خلافاً جديلاً عقيماً أسفر عن ظهور طبقة من المتطفلين على السياسة همهم الوحيد اجترار الخلافات و ارتكاب الموبقات.

و انتشرت عدوى و حمى الانشقاق في أوساط 'حركة انتصار الحريات الديمقراطية'، حيث نشب الخلاف بين 'مصالي' و أنصاره و بين أكثرية أعضاء اللجنة المركزية حول أسلوب إدارة و عمل الحزب منذ 1951.⁽³⁾ و تركز هذا الانشقاق بعد المؤتمر الثاني للحزب الذي انعقد أيام 4، 5، 6 أبريل 1953، و نزع إلى مبدأ القيادة الجماعية و العمل على تحقيق الوحدة الوطنية. و من بين النتائج الملموسة التي حققها المؤتمر :

- انتخاب مصالي الحاج رئيساً لحركة انتصار الحريات الديمقراطية. بل أكثر من ذلك فقد بعث إليه المؤتمر برسالة شكر، مما جاء فيها: "يجي المؤتمر الوطني لـ "ح.ا.ح.د" رئيسه مصالي الحاج، الموجود تحت الإقامة الجبرية بنيورت (Niort)، و يوجه له إعترافه العميق و يؤكد له تمسكه الراسخ بالمثل الأعلى الذي يمثله." ⁽⁴⁾

- إقرار النظام الأساسي للحزب، و الذي كان الحزب في أشد الحاجة إليه، و انتخاب لجنة الخمسة.

هذه الهيئة التي كانت مشكلة من أربعة أعضاء منتخبين حديثاً في اللجنة المركزية و معهم مصالي الحاج نفسه، عهد إليها مهمة اختيار الخمسة و العشرين عضواً الآخرين من اللجنة المركزية من بين زملائهم.⁽⁵⁾

و تكونت اللجنة المركزية الجديدة، التي كان معظم أعضائها ممن يخالفون أوامر 'مصالي الحاج'، فسحب الثقة منها، و طالب بصلاحيات مطلقة لإصلاح الحزب. و هكذا انشق الحزب العتيد إلى فريقين: فريق الرئيس و مناصريه

1- لا نود المرور على أمر اكتشاف المنظمة الخاصة دون أن نورد بعض الأسباب و الأحداث التي أدت إلى ذلك، فيذكر الأستاذ رابح بلعيد أن عمليات التعذيب التي تعرض لها معظم المناضلين الذين تم إلقاء القبض عليهم من قبل رئيس شرطة الاستعلامات أندريه كوست (Andre Costes) هي من بين أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك. كما يرى أن عملية اكتشاف المنظمة التي بوعزها الكثير من الكتاب و المؤرخين إلى خيانة عبد القادر خياري المدعو "رحيم"، و الذي يعتبر ظرفاً استثنائياً لا يمكن أن يكون وحده السبب في ذلك. و مع كل هذا فقد استطاع الأستاذ رابح بلعيد أن يتصل بالسيد خياري عبد القادر خلال زيارته التي قادته إلى مدينة تبسة بتاريخ 1980/09/28 ليتبين منه حيثيات الواقعة. للمزيد أكثر حول الموضوع ضرورة العودة إلى الفصل الرابع من دراسة الأستاذ بلعيد. ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 93-114.

2- تجدر الإشارة إلى أن اعتقال مصالي الحاج جاء نتيجة ما جرى خلال أحداث مدينة الشلف، حينما كان يزورها في يوم الأربعاء 14 ماي 1952 و ألقى خطبة موجزة على حوالي 3 آلاف شخص. و بعد أن انتهى مصالي من خطبته و توجه إلى وسط المدينة، شرعت الشرطة في إطلاق النار على المجتمعين، و كانت النتيجة: قتل اثنين و جرح أربعة، و إلقاء القبض على ستة. ثم فرضت الشرطة الفرنسية الأحكام العرفية على المدينة، و أُلقت القبض على مصالي الحاج الذي تم نقله إلى مطار بوفاريك. و بعد ذلك نقل على جناح السرعة عبر طائرة حربية إلى بلدة فيلا كويلاي ثم إلى فندق رويال في فيرساي و منها إلى فندق تيرمنوس في مدينة نيور الفرنسية. للمزيد أكثر ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 124-125.

3- في الواقع ظهرت الأزمة منذ سنة 1950 حين رفضت اللجنة المركزية صيغة الرئاسة مدى الحياة و منح حق الفيتو لمصالي. أنظر: محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962/1830)، المرجع السابق، ص 135. و أما الأستاذ رابح بلعيد فيرجع أسباب الأزمة إلى مجازر 8 ماي 1945 و قد أسهب كثيراً في تحليل الأسباب العميقة للأزمة و جذورها الأساسية. للمزيد ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 77-114.

4- عبد الرحمان، (كيوان)، المصادر الأولية لثورة أول نوفمبر 1954 ثلاثة نصوص أساسية لـ "ح.ش.ج. - ح.ا.ح.د (PPA-MTLD)، تر: أحمد شقرون، منشورات دحلبل، الجزائر، 2004، ص 128.

5- رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 127-128.

في مقدمتهم 'أحمد مزغنة'(1)، و 'مولاي مرباح'(2)، و بقية أعضاء اللجنة (27 عضوا) الذين شكلوا الفريق الخصم. (3)

و هكذا قام كل فريق بعقد مؤتمره الخاص، فانعقد مؤتمر الفريق الأول بقيادة 'مصالي الحاج' في مدينة "هورنو"(Hornu) ببلجيكا في 14،15،16 من شهر جويلية 1954، (4) و الذي أسفر عن منح الثقة المطلقة و الرئاسة مدى الحياة لمصالي الحاج، و حل اللجنة المركزية و طرد بعض القادة من الحزب منهم: بن خدة، لحول، كيوان، عبد الحميد، فروخي، يزيد، الويشي و بودة (5) و إدانة الانحراف السياسي، و تقويم عام للحزب و كذلك قررا لمؤتمر إشراك الحزب و الشعب الجزائري في نضال مسلح شامل لتحرير الجزائر، حيث تم تحديد يوم 15 نوفمبر 1954، - و هذا بحسب الأستاذ رابح بلعيد الذي استقى المعلومة من بنيامين سطورا- كأخر أجل لاندلاع الثورة. (6) أما الفريق الثاني - أي المركزيون- فقد عقد مؤتمره بحي بلكور بالجزائر في 13،14،15،16 من شهر أوت 1954، (7) و تقرر فيه إقصاء المصاليين و التنديد بحركتهم الانشقاقية، و حرمان مصالي الحاج و مولاي مرباح من كل وظائفهما، و إقرار السياسة العامة التي رسمها المؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية.(8)

أقصى كل طرف من طرفي النزاع الآخر، و زعم أنه يمثل الشرعية و استمرارية الحزب. أحبطت هذه الفوضى المناضلين و تفتش بين أوساطهم الذهول و الحيرة. إن احتدام هذا النزاع الذي استمر طيلة صيف و خريف سنة

- 1- من مواليد 29 أبريل 1907 بالبلدية. امتهن حرفة إصلاح الأحمية بالعاصمة. عضوا في منظمة صغيرة تدعى الحزب الوطني الثوري الذي أسسته الفدرالية الجزائرية للحزب الشيوعي الفرنسي. في عام 1933 مزغنة مع مستول و خليفة بن عمار يشاركون في إطلاق حزب نجم شمال إفريقيا على الأراضي الجزائرية. كما حضر المؤتمر الإسلامي بالجزائر جوان 1936، و استطاع الانضمام إلى إحدى لجان المؤتمر ليشرح وجهة النظر الوطنية. عضوا في اللجنة المديرية لحزب الشعب الجزائري عام 1937 بالعاصمة. حكم عليه يوم 30 جانفي 1939 أمام محكمة العاصمة بسنة حبس غير نافذة مع حرمانه من كل حقوقه المدنية. ثم عضوا في اللجنة المركزية عام 1944. اعتقل بسبب أحداث 8 ماي 1945 ليطلق سراحه عام 1946، ليتم انتخابه مع خيضر كنانب عن العاصمة في انتخابات 10 نوفمبر 1946. خلال أزمة الحزب العتيدي اصطف مزغنة إلى جانب التيار المصالي. عند اندلاع الثورة التحريرية كان مزغنة يتواجد بالقاهرة من أجل التحضير لتأسيس جبهة تجمع كل التيارات الوطنية. اعتقل مع الشاذلي المكي بتاريخ 11 جويلية 1955 من قبل جبهة التحرير الوطني بالقاهرة ليطلق سراحه بفترة وجيزة قبل الاستقلال. توفي عام 1982. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954,op.cit,p 297-299.
- 2- من مواليد 23 أوت 1913 بدوار سرقين بالبلدية المختلطة شلالة. امتهن المحاماة إذ كان محاميا عن شؤون المسلمين. التحق بصفوف حزب الشعب الجزائري قبيل الحرب العالمية الثانية و أصبح مسؤولا في اللجنة المحلية. وضع تحت الإقامة الجبرية بعد أحداث 8 ماي 1945 إلى غاية العفو العام صيف 1946. ترشح باسم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في انتخابات المجلس الجزائري عام 1948 ليهزم في الدور الثاني بسبب التزوير. حكم عليه، بسبب خرق مرسوم ريني، يوم 22 أبريل 1948 بمعسكر بسنة سجن و غرامة مالية قدرها 30 ألف فرنك، ليقوم بالنقض في الحكم فيطلق سراحه شهر أكتوبر. ترشح إلى مجلس الجمهورية نوفمبر 1948 لكنه لم يفز. عضوا في اللجنة المركزية للحزب، و منسقا للجنة المؤقتة للحزب خلال مؤتمر المصاليين بهورنو حيث انتخب عضوا في المكتب السياسي. اعتقل ليلة الواحد إلى الثاني نوفمبر 1954 حيث حكم عليه في 14 جوان 1955 بستة أشهر حبسا و 500 ألف فرنكا غرامة مالية بحجة المساس بالأمن الخارجي لفرنسا. بعد إطلاق سراحه انتقل إلى فرنسا ليواصل نضاله الوطني. في 1 أبريل 1956 عبر الحدود الفرنسية البلجيكية ليصبح ممثلا دوليا للحركة الوطنية الجزائرية. مثل الحركة بلجان منظمة الأمم المتحدة بنيويورك. قام شهر سبتمبر 1957 بجولة عبر العواصم العربية. في 29 أبريل 1959 اعتقل مولاي مرباح بألمانيا بحجة نشاطه السياسي حيث تم نفيه يوم 19 أبريل 1960. في 31 أكتوبر 1962 عاد إلى العاصمة من أجل التنسيق مع المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني لصالح المصالحة بين الوطنيين الجزائريين، حيث اعتقل ثم أطلق سراحه ليمارس مهنته السابقة كمحامي بالمدينة للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر:
- Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954,op.cit,p 295-296.
- 3- للاطلاع على جوهر الصراع بين الفريقين و دور جاك شوفالبييه في التأثير على المركزيين يستحسن العودة إلى الفصل الثاني و الفصل الثالث من القسم الثالث من دراسة الحركة الوطنية للأستاذ رابح بلعيد. ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 131-160.
- 4- رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 200.
- 5- عبد الرحمان، (كيوان)، المرجع السابق، ص 160.
- 6- رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 201. كما يمكن العودة إلى الملحق رقم 1، ص 359.
- 7- رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 207.
- 8- نفسه، ص 208. كما يمكن العودة إلى الملحق رقم 2، ص 361 للتعرف على القرارات التي جاء بها هذا المؤتمر.

1954 احتل المرتبة الثانية في اهتمامات قدماء المنظمة الخاصة، الذين ستسمح لهم الظروف بمضاعفة المبادرات تحضيراً للعمل الثوري المسلح.⁽¹⁾

5/ ظهور اللجنة الثورية للوحدة و العمل على مسرح الأحداث:

أمام التطاحن و الانشقاق الذي طال التيار الاستقلالي، برز تيار ثالث محايد⁽²⁾ و منافي لمبادئ الفريقين من أنصار المنظمة الخاصة، و منهم 'محمد بوضياف'، 'مصطفى بن بولعيد'، 'محمد العربي بن مهيدي'، 'رابح بيطاط'،⁽³⁾ ، من جهة، و من جهة أخرى أعضاء من اللجنة المركزية: 'دخلي محمد' ⁽⁴⁾ المسؤول العام للتنظيم، و عضو اللجنة المركزية و 'بوشوبوة رمضان'⁽⁵⁾، مراقب التنظيم، قرروا التوفيق بين الطرفين، و لما لم يفلحوا عقدوا اجتماعهم في 23 مارس 1954 تمخض عنه تشكيل "اللجنة الثورية للوحدة و العمل" (C.R.U.A)⁽⁶⁾ هدفها توحيد جميع الوطنيين الجزائريين، و التمهيد للعمل المسلح، و تقرير مبدأ الشروع في الثورة.

عقدت اللجنة اجتماعاتها في 25 جوان 1954 بحي المدنية (كلو صالمي سابقا)⁽⁷⁾ تحت إشراف 'مصطفى بن بولعيد' شارك فيه 22 عضوا و هم على التوالي: محمد بوضياف، عثمان بلوزداد، بن عبد المالك رمضان، مصطفى بن عودة⁽⁸⁾، مصطفى بن بولعيد، محمد العربي بن مهيدي، لخضر بن طوبال، رابح بيطاط، الزبير بوعجاج، سليمان

1- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 / 1830)، المرجع السابق، ص 139. غير أننا لا نوافق ما جاء به كل من محفوظ قداش و جيلالي صاري حول أن هذا الصراع احتل المرتبة الثانية في اهتمامات قدماء المنظمة الخاصة، إذ نرى أنه احتل كل اهتماماتهم بدليل أنهم سعوا بكل الوسائل و الوسائط لقلب هذا الصراع لصالحهم و ضد المصاليين عن طريق تعاونهم مع المركزيين. و حول هذا يؤكد الأستاذ رابح بلعيد أنه رغم أن المركزيين يتحملون المسؤولية الرئيسية في تدمير حركة انتصار الحريات الديمقراطية، فإنهم لم يكونوا بالشجاعة الكافية التي تتيح لهم القيام بمثل هذا الدور التاريخ الخطير، لو لم يتلقوا ضروب المساندة الصريحة و الضمنية من بعض العناصر في اللجنة الثورية للوحدة و العمل. و يطرح الأستاذ بلعيد هذا التساؤل الآتي: كيف تسنى للمتطوعين الجزائريين القدامى في الجيش الفرنسي أمثال بن بلة و بوضياف و كريم بلقاسم، و عمار أو عمران، و غيرهم أن يكونوا جريئين و جاحدين لدرجة أن يساعدوا المركزيين في تدبير مثل هذه المؤامرة الخبيثة المشؤومة ضد الحزب الذي أتاح لهم فرصة الالتحاق بصوفه و بالتالي استعادة كرامتهم التي داسوها حين تطوعوا في الجيش الفرنسي؟ للمزيد ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 208-232.

2- ينقسم الحياديون- حسب التعريفات التي صاغها مصالي الحاج- إلى خمس فئات: محايدون بالنهج- التكتيك، و محايدون بمعنى الكلمة، و محايدون حيال الجميع، و محايدون ضد الجميع، و محايدون مع الجميع و ضد الجميع. كما يرى الأستاذ رابح بلعيد أن قادة المنظمة الخاصة السابقين مثل محمد بوضياف، و ديدوش مراد، و العربي بن مهيدي، و رابح بيطاط، و غيرهم، رغم ما بدا عليهم من نقاء و نزاهة سياسية، فإنهم ظهروا بعد أربع سنوات قضوها في خمول سياسي، و قد عقدوا العزم على جمع شتات عناصر المنظمة الخاصة الزائلة في إطار قوة ثالثة للثأر من قادة الحزب. ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 179-180.

3- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 / 1830)، المرجع السابق، ص 141.

4- المدعو سي البشير انخرط في صفوف حزب الشعب خلال الحرب العالمية الثانية ليصبح عضوا في اللجنة المركزية. شارك في الاجتماع الذي أدى إلى نشأة اللجنة الثورية للوحدة و في 23 مارس 1954. تم اعتقاله بعد اندلاع ثورة نوفمبر بالبلدية. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر:

Benjamin, Stora, Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954, op. cit, p 282.

5- المدعو سي موسى مراقب عام في حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية عام 1953. شارك في تحرير و توزيع جريدة الوطني le Patriote ، الناطق باسم اللجنة. أصبح خلال الثورة التحريرية أحد إطارات جبهة التحرير الوطني بفرنسا 1962/1956 ثم محافظا للثورة الفلاحية بعد الاستقلال بمنطقة شلف. انتخب عضوا في اللجنة التنفيذية خلال المؤتمر الثاني للاتحاد العام للعمال الجزائريين بتاريخ 28 مارس 1965. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin, Stora, Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954, op. cit, p 105.

6- يرى الأستاذ رابح بلعيد أن الاجتماع الذي جمع كل من محمد بوضياف و لحول حسين و سيد علي عبد الحميد و دخيلي محمد بالمدرسة الابتدائية الراشدية، التي كان يديرها عبد الحكيم ابن الشيخ الحسين عضو اللجنة المركزية، هو الذي تمخض عليه في 23 مارس 1954 إنشاء اللجنة الثورية للوحدة و العمل و إنشاء لسان حالها صحيفة الوطني- Le Patriote، التي تولى حسين لحول كتابة افتتاحيتها. ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 185.

7- يؤكد الأستاذ رابح بلعيد أن محمد بوضياف لما علم بانعقاد المؤتمر - أي مؤتمر هورنو ببلجيكا- أصيب بحالة من الارتباك، لخوفه من أن يبادر عدوه اللدود مصالي الحاج إلى إعلان الثورة قبل اللجنة الثورية للوحدة و العمل، لذلك أسرع بوضياف و عقد في المدنية/ صالامبي ما أصبح يعرف باجتماع ال 22. ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 203.

8- من مواليد مدينة عنابة حيث عمل بها كعامل بيع البنزين. انخرط في صفوف حزب الشعب/ حركة الانتصار في نهاية الحرب العالمية الثانية. عضو في المنظمة السرية سنة 1948 حيث أصبح المسؤول الحضري للمنظمة العسكرية. شارك في عملية اختطاف خياري 18 مارس 1950. اعتقل 19

بوعلي، أحمد بوشعيب، باجي مختار، عبد الحفيظ بوصوف، حباشي عبد السلام⁽¹⁾، إلياس دريش، ديدوش مراد، زيغود يوسف، سويداني بوجمعة، عبد القادر لعمودي، مرزوقي محمد، مشاطي محمد⁽²⁾، ملاح سليمان⁽³⁾،
تقرر في هذا الاجتماع محاولة الإصلاح بين الفريقين المتنازعين (المصاليين و المركزيين)، و التعجيل بالثورة،
و انتخاب هيئة تنفيذية مهمتها الإعداد لها تكونت من: 'مصطفى بن بولعيد'، 'ديدوش مراد'، 'محمد العربي بن
مهدي'، 'محمد بوضياف'، و 'رابح بيطاط'، ثم أصبحت لجنة الستة (6) بعد انضمام 'كريم بلقاسم' ⁽⁴⁾ في أوت
1954، ثم لجنة التسعة⁽⁹⁾ بإضافة أعضاء الوفد الخارجي المتواجد بالقاهرة و هو 'بن بلة'، 'حسين آيت أحمد'،
'و 'محمد خيضر'.⁽⁵⁾

عقدت لجنة الستة⁽⁶⁾ عدة اجتماعات، كان أهمها اجتماع 10 أكتوبر 1954 بالعاصمة، تحضيراً للثورة. و
لأن الأعضاء الستة لم يكونوا معروفين كثيرا لدى العامة، التمسّت زعامة سياسية. لكن الأمر لم ينجح، فقد رفضت
الشخصيات التي تم الاتصال بها لتولي المسؤولية.⁽⁶⁾ تقرر في هذا الاجتماع تأسيس جيش التحرير الوطني، و إعداد
بيان سياسي (بيان أول نوفمبر) ⁽⁷⁾ يذاع في "إذاعة صوت العرب" بالقاهرة بالموازاة مع اندلاع الثورة، كما تقرر
تقسيم الجزائر إلى خمس⁽⁵⁾ مناطق و تعيين المسؤولين و النواب على النحو الآتي:

مارس 1950 ثم استطاع الفرار عام 1952 بجمعية زيغود يوسف. بقي يناضل في السر بمنطقة سكيكدة ثم القبائل. عضوا في الاجتماع التاريخي
لمجموعة 22، و عين خلال اجتماع 23 أكتوبر 1954 عضوا في إدارة المنطقة الثانية. شارك كذلك في الاجتماع الذي تقرر بموجبه إعلان هجمات
الشمال القسنطيني ثم عضوا بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية أوت 1956. شارك في المفاوضات مع فرنسا. أثناء الاستقلال عين كملحق عسكري
بالقاهرة، ثم باريس ثم تونس ليصبح سفيرا بليبيا عام 1979. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin,Stora,Dictionnaire
Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954,op.cit,p 322-323.

1- من مواليد مدينة قسنطينة، أصبح عضوا في المنظمة السرية O.S ثم مجموعة 22. اعتقل عام 1955. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر:
Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954,op.cit,p 329.

2- من مواليد مدينة قسنطينة، أتم خدمته العسكرية في سلك الاتصالات أين اكتسب خبرة عسكرية مكنته من الانتساب للمنظمة السرية. خلال أزمة
الحزب انحاز إلى جهة العمل المسلح. عضوا في مجموعة 22 ثم عضوا في إدارة جبهة التحرير الوطني بفرنسا عام 1955. بعد الاستقلال قام بتسيير
فدرالية قسنطينة ثم قنصلا للجزائر بتونس و سويسرا. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique
De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954,op.cit,p 330-331.

3- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقومات (1962/1830)، المرجع السابق، ص 143. هناك الكثير من الدراسات التي
اختلفت في تحديد القائمة الإسمية للجنة الـ 22، بل تضاربت بعض المصادر في شخصية واحدة أو أكثر. للتفصيل في الموضوع ينظر: عبد النور،
(خيثر)، تطور الهياكل القيادية للثورة التحريرية 1962/1954، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: حباسي
شاوش، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006/2005 م، ص 92-100.

4- كان التوصل إلى تكوين لجنة الستة عسيرا لأن إقناع كريم بلقاسم استغرق أكثر من شهرين كاملين، وذلك بالرغم من أن أول اتصال تم بينه وبين
المجموعة المؤسسة للجنة الثورية للوحدة والعمل كان في شهر ماي 1954. للمزيد ينظر: عبد النور، (خيثر)، المرجع السابق، ص 101-105.

5- عند تأسيس لجنة التاريخيين التسعة حققت العناصر الثورية داخل التيار الاستقلالي اللبنة ما قبل الأخيرة في عملية تشكيل أول هيئة للقيادة
السياسية والعسكرية للثورة الجزائرية) لأن لجنة التسعة كانت تضم كل من: قادة المناطق الخمسة والمنسق الوطني وأعضاء الوفد الخارجي الثلاثة
الذين أوكلت لهم مهمة مزدوجة تتعلق بحشد الدعم الدبلوماسي للثورة وبوضع وتفعيل شبكات الدعم اللوجستيكي(، ويعود الفضل لأعضاء هذه اللجنة
في بناء أول هيكل سياسي لجبهة التحرير الوطني التي كانت آخر فصيل من فصائل الحركة الوطنية خلال العهد الاستعماري، وفي قيادة
ذراعها العسكري في السنوات الأولى من حرب التحرير. للمزيد ينظر: عبد النور، (خيثر)، المرجع السابق، ص 106-112.

6- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقومات (1962/1830)، المرجع السابق، ص 146. يذكر الأستاذ رابح بلعيد أنه بسبب
أن اللجنة الثورية للوحدة والعمل كانت واقعة في مشكل أن جماهير الشعب الجزائري لن تساند ثورة مسلحة يقودها حفنة من الرجال لم يسمع عنهم
أبدا. و لهذا الغرض شكلوا وفدا بعثوه لمقابلة الدكتور لمين دباغين، غير أن الوفد ما إن وصل إلى مدينة العلمة حتى اكتشف بأسف أن الشخص الذي
كان في وقت ما المنافس الرئيسي لمصالي الحاج لم يكن يهيمه أن يصبح الأب المتبني للجنة الثورية للوحدة والعمل. ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع
السابق، ص 196.

7- يؤكد الأستاذ رابح بلعيد أنه تقرر في هذا الاجتماع ليس تحرير بيان واحد بل بيانين تاريخيين يعلنان للشعب الجزائري و العالم كافة مولد الثورة و
قد عهد إلى بوضياف و ديدوش مراد بمهمة تحرير البيانين اللذين حملتا عنوان جيش التحرير الوطني (A.L.N)، و جبهة التحرير الوطني (F.L.N)
ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 223-224.

المنطقة الأولى: الأوراس، قائدها 'مصطفى بن بولعيد'، و نوابه: 'شبحاني بشير'، 'نويشي طاهر'، 'عباس لغرور'.
المنطقة الثانية: الشمال القسنطيني، قائدها 'ديدوش مراد'، و نوابه: 'زيغود يوسف'، و 'الأخضر بن طوبال'.
المنطقة الثالثة: القبائل، قائدها 'كريم بلقاسم'، و نوابه: 'عمر أوعمران'، 'محمدي السعيد'، 'زعموم'.
المنطقة الرابعة: العاصمة، قائدها 'رابح بيطاط'، و نوابه: 'سويداني بوجمعة'، 'بوعجاج أحمد بوشعيب'.
المنطقة الخامسة: وهران، قائدها 'محمد العربي بن مهدي'، و نوابه: 'بن عبد المالك رمضان'، 'عبد الحفيظ بوصوف'. أما منطقة الصحراء فظلت تابعة لمنطقة الأوراس إلى غاية سنة 1956. و قد كلف 'محمد بوضياف' بالتنسيق بين المناطق الداخلية و لجنة الخارج بالقاهرة.⁽¹⁾

و في 23 أكتوبر 1954 عقدت لجنة الستة اجتماعا آخر في 'ريس حميدو' (بوانت بيسكاد سابقا) بالعاصمة نتج عنه تحويل اللجنة الثورية للوحدة و العمل إلى جبهة التحرير الوطني، و جيش التحرير الوطني جناحها العسكري.

(2) و تعيين ساعة الصفر من يوم الاثنين 5 ربيع الأول 1374 هـ الموافق 1 نوفمبر 1954 تاريخا لانطلاق الثورة التحريرية.

¹ - إن الشائع في كتاباتنا حول أول قيادة ميدانية للثورة التحريرية هو تحديدها بعشرة شخصيات تمثل قادة المناطق الخمسة إلى جانب نوابهم أو مساعديهم المباشرين، ولكن في الواقع لم يكتف أي قائد من قادة المناطق بمساعد واحد لأنهم كانوا يراعون ضرورة تمثيل جميع نواحي المنطقة، ولم يهملوا الاستعانة بكل الشخصيات ذات الصيت الثوري في مناطقهم، فقد كان ديدوش يعتمد على كل من باجي مختار وزيغود يوسف ولخضر بن طوبال و عبد القادر بن عودة ، و كان إلى جانب بن بو العيد كل من شبحاني و عباس لغرور و عجلو و مسعود بن العقون. أما كريم بلقاسم فقد كان يحيط به كل من أوعمران و علي زعموم و محمدي سعيد و عميروش آيت حمودة و صادق دهيليس و علي ملاح، و اجتمع حول بيطاط كل من سويداني و عثمان بلوزداد و بوعجاج و بوشعيب و مرزوقي ، كما اعتمد بن مهدي على كل من الحاج بن علا و بن عبد المالك رمضان و أحمد زهانة و عبد الحفيظ بو الصوف. للمزيد ينظر: عبد النور، (خيبر)، المرجع السابق، ص 117.

² - محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 / 1830)، المرجع السابق، ص 146.

الفصل الثّاني: البعد الإسلامي و الروحي في أدبيات التيار الاستقلالي.

أولا : نشأة التيار الاستقلالي:

يعتبر نجم شمال إفريقيا اللبنة الأولى لهذا التيار الاستقلالي، إذ تم تأسيسه - حسب محمد قناش - على أنقاض جمعية دينية في باريس هي جمعية الأخوة الإسلامية التي أسسها الأمير خالد الجزائري، و أن هذه الجمعية تم صنعها من قبل العمال المهاجرين. أما محفوظ قداش فيورد بعض الأمور المتعلقة بالتحضير لتكوينها، فحسب رواية أحد أقطاب هذا التيار و هو 'علي بومعزة' الذي يذكر بأنه في سنة 1924 أقيم حفل استقبال الأمير خالد الجزائري في باريس و خلاله تم اللقاء بين الحاج علي عبد القادر⁽¹⁾ و مصالي الحاج اللذان ينتميان للحزب الشيوعي الفرنسي و قد اتفقا على تكوين رابطة تهم بشؤون إفريقيا الشمالية، و التي ولدت بالفعل سنة 1926.⁽²⁾ لكن مصالي الحاج يذكر في مذكراته أن جمعية الأخوة الإسلامية لم تكن سوى ناد سرعان ما أحس فيه بعدم الارتياح.

يذكر مصالي الحاج على أنه انخرط في الحزب الشيوعي بطلب من حاج علي الذي أعلمه " أنه من الأهمية القصوى من أجل السير الحسن للأمر أن - ينخرط - كمتعاطف في الحزب الشيوعي الفرنسي."⁽³⁾ و لا شك في أن الحزب الشيوعي قد دعم نجم شمال إفريقيا في بداية تأسيسه، فقد أمده بالمقرات لعقد اجتماعاته و مهرجاناته و عمل على طبع منشور المنظمة و جريدة الإقدام في مطابع الكونغرفدرالية العامة للشغل (C.G.T.U).⁽⁴⁾

في شهر جوان 1926 أعلن عن ميلاد نجم شمال إفريقيا رسميا، و الذي سيعرف كرؤساء له كل من حاج علي الجزائري، و شادلي خير الله التونسي⁽⁵⁾ ثم مصالي الحاج.⁽⁶⁾ و قد تزامن ظهوره مع إلغاء مجلس الدولة الفرنسي

1- حاج علي عبد القادر من مواليد 23 ديسمبر 1883 بسيدي سعدة بالمطمر - غليزان - تنجس بالجنسية الفرنسية وفق مرسوم 2 أوت 1911، تزوج بفرنسية ثم انتقل إلى فرنسا قبل سنة 1914 أين عمل كبايع متجول ثم بايع في محل تجاري. كان أول جزائري عضو في الاتحاد المضاد للإمبريالية لعب دورا أساسيا في تأسيس نجم شمال إفريقيا. توفي عام 1957. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر:

Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954, Editions L'Harmattan, Paris, 1985, p 51-55.

2- سليمان، (قريبي)، المرجع السابق، ص 73.

3- بنيامين، (سطورا)، مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898-1974، تتر: الصادق عماري و مصطفى ماضي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 1998، 295 صفحة، ص 55.

4- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 56.

5- من مواليد يوم 10 مارس 1898 بتونس من أسرة برجوازية تابع تعليمه بالجزائر أين تحصل على شهادة البكالوريا شعبة آداب، بالموازاة مع نشاطه كمناضل بحزب الدستور التونسي. تعرف على النجم عندما قدم إلى باريس لمتابعة تعليمه، فأصبح مدير جريدة الإقدام ثم تآلق نجمه كناطق رسمي للنجم خاصة بعد مشاركته إلى جانب حاج علي و مصالي الحاج في المؤتمر المناهض للإمبريالية عام 1927 ببروكسل. نفي من فرنسا يوم 27 ديسمبر 1927 على إثر أحداث مسجد باريس شهر جوان. خبرته و معرفته بالحزب الشيوعي الفرنسي مكنته من توظيف ذلك لمحاربة هذا التنظيم بتونس. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954, op.cit, p 56-57.

6- بحسب شهادة بومعزة علاوة فإن الحاج علي عبد القادر هو الذي كانت له مبادرة إنشاء نجم شمال إفريقيا. و قد طالب من مصالي الحاج الانخراط في الحزب الشيوعي الفرنسي لكي يتمكن معا من طرح القضية الجزائرية. لكن التيار الشعبي في أوساط العمال الشمال إفريقيين كان مع خيار إنشاء منظمة مشكلة من المغاربة و مسيرة من قبلهم. عقدت عدة اجتماعات تحضيرية للعمال الجزائريين الراغبين في إنشاء جمعية تضم كل القوى و تنسق حركة كل الشمال إفريقيين بباريس. بدأت المشاورات في أكتوبر 1925 و انتهت في شهر ديسمبر من نفس السنة إلى إنشاء نجم شمال إفريقيا. الاجتماع

المناشير المتعلقة بالهجرة، الأمر الذي اعتبر فال خير و علامة نصر.⁽¹⁾ في 14 جويلية من نفس السنة نظم النجم أول مهرجان له. و في 7 أكتوبر 1926 بقاعة المهندسين المدنيين تحدث مصالي الحاج لأول مرة إلى الجمهور و أكد في خطابه على إبطال قانون الأهالي، و إلغاء بلا قيد و لا شرط جميع الإجراءات اللاشرعية التي اتخذت لتقليص حق الجزائريين و المغاربة في السفر بحرية بين بلديهم وفرنسا، و طالب ضرورة تمثيل الشمال إفريقيين في الغرفة، و حرية الصحافة و حرية الاجتماع.⁽²⁾

سيتألق النجم خلال المهرجان الذي عقده في 31 جانفي 1927، إذ أظهر في ندائه مطلبه الاستقلالي الذي يظهر جليا في النقطة الأولى منه: " إن الجزائريين المجتمعين في غرانج أوبيل يطالبون باستقلال بلادهم."⁽³⁾ سيتألق النجم كثيرا و يعلو صيته خاصة في مؤتمر بروكسل المضاد للامبريالية الذي انعقد ما بين 10 إلى 15 فيفري 1927 الذي أكد فيه على المسار الذي ينوي إتباعه من الآن فصاعدا و المتمثل في المطلب الاستقلالي. و قدم مصالي، أثناء هذا المؤتمر، مجموعة من المطالب تدور حول استقلال الجزائر، و سحب القوات الفرنسية، و إنشاء جيش وطني جزائري و إطلاق سراح المسجونين السياسيين، و إلغاء الرقابة الخاصة على الأشخاص، و إبطال عمليات النفي التي سنها قانون الأهالي ، و إطلاق المزيد من الحريات الأساسية للشعب الجزائري.⁽⁴⁾ أصبح خطاب مصالي الحاج في هذا المؤتمر البرنامج النهائي للنجم سنة 1933، و قد أكد فيه على المطالب الفورية و البرنامج السياسي كما سيأتي ذكره في العنصر اللاحق من نفس الفصل.

مع تصاعد شعبية النجم بدأ أعداد أنصاره يتكاثر و يزداد، ففي فيفري 1927 ضم 3000 مناضل ليصل العدد في نهاية السنة إلى حوالي 3500 مناضل.⁽⁵⁾ و أمام هذه الشعبية المتنامية بدأت ردود فعل الحكومة الفرنسية تظهر، من جهة، في شكل إرسال عملائها لمراقبة المقاهي التي كان يديرها رجال من شمال إفريقيا و كان يتردد عليها مناضلي النجم، و من جهة أخرى رفع الحزب الشيوعي يده عن مساعدته. و في هذا يقول مصالي الحاج جاءني حاج علي، فقال لي: " من الآن تستطيع أن تتكفل بنفسك للبحث عن عمل."⁽⁶⁾ لقد ترك مصالي عمله إراديا لتكريس نفسه للنجم، و كان الحزب الشيوعي هو من يدفع مرتبه الشهري. من الآن كان عليه أن يعتمد على نفسه في مواجهة الوضع.

العام الأول عقد ما بين 23 و 26 جوان 1926 بمنزل النقابة، رقم 8، شارع ماتيران مورشو (Mathurin Morceau) بباريس أين تم الإعلان عن ميلاد الحزب للمزيد ينظر: Mahfoud,(Kaddache),op.cit,p187.
2- Mabrouk (Belhocine), Le courrier Alger- le Caire 1954-1956 et le Congrès de la Soummam dans la Révolution, Casbah Editions, Alger, 2000,349 pages, p 24.

²- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 58.

³- نفسه، ص 59.

⁴- سليمان،(قريبي)، المرجع السابق، ص 74.

⁵ -Mahfoud,(Kaddache),op.cit,p194.

⁶- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 69.

بعد غياب مصالي الحاج عن الساحة لمدة ليست بسيطة بسبب المضايقات و الضائقة المالية التي كان يمر بها النجم، و في مستهل سنة 1928 تخلى هذا الأخير عن المهرجانات الكبيرة المكلفة، و ضاعف من الاجتماعات الصغيرة في الأحياء.

و في شهر ماي 1928 توقفت جريدة الإقدام عن الصدور بسبب قلة التمويل، لأنها عادة كانت تطبع على مطابع الكونفدرالية العامة للشغل (C.G.T.U).⁽¹⁾

كل هذه الأسباب كانت كافية ليتخذ مصالي الحاج موقفه الحازم تجاه الحزب الشيوعي، فكانت القطيعة أمرا حتميا و ضروريا. و تيقن أن الساعة قد حانت ليصبح النجم حرا من كل قيد.

جاءت سنة 1928 كذلك لتضع القانون الأساسي للنجم، الذي سمح بأخذ الاحتياطات أمام توازن القوى الموجودة في قيادة النجم، و توضيح الاتجاه العام للحركة.⁽²⁾ و كما كان عليه الأمر فقد نظم القانون الأساسي لسنة 1928 قواعد العمل بتأكيده في مادته الثالثة "على أن النجم لا يقتصر فقط على التكفل بالدفاع عن المصالح المادية و المعنوية و السياسية و الاجتماعية لسكان شمال إفريقيا و إنما يحدد لنفسه هدفا أساسيا و هو تنظيم الكفاح من أجل استقلال البلدان الثلاثة لشمال إفريقيا."⁽³⁾

بفضل الجمعية العامة لسنة 1928 ارتفع نشاط النجم، و وصل إلى ذروته فصار يضم أكثر من 4000 عضوا. و أمام هذا اتخذت الإدارة الاستعمارية عدة إجراءات لوقف و منع توزيع المناشير و منع التبرعات لفائدة الجمعية. كما سجلت ضدها المتابعات القانونية، و سجلت ضدها عدة وقائع نذكر منها: أن النجم وزع مناشير يعلوها شعار "استقلال شمال إفريقيا"، و أن الجمعية نشرت مقالات تشجع على تمرد سكان شمال إفريقيا ضد السيطرة الفرنسية.⁽⁴⁾

و نتيجة للمواقف الثورية التي تمسك بها النجم التي تدعو خاصة إلى الاستقلال.⁽⁵⁾ و أمام المضايقات الاستعمارية و المتابعات القضائية قررت السلطات الاستعمارية حل النجم الذي نطقت به الغرفة الأولى لمحكمة الجناح لقسم السين في 20 نوفمبر 1929. ⁽⁶⁾ لقد أحدث هذا الحكم تأثيرا في أوساط المناضلين، و كف النجم عن الظهور لمدة عشر أشهر.⁽⁷⁾

1- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق ، ص 71.

2- و في هذا يذكر محفوظ قداش أنه في الاجتماع الثاني للجمعية العامة شهر نوفمبر 1927 المنعقد برقم 11 شارع كراسيوز (Gracieuse) بالمقاطعة الخامسة، تجلى التيار الوطني بوضوح... أكد نجم شمال إفريقيا عن استقلاليته عن الحزب الشيوعي، و رفض أن يستعمل كقوة ضغط و مناورة. كان هذا الحدث أول أزمة بين النجم و الحزب الشيوعي. و في 1928 عقدت جمعية ضمت مناضلي الحزب لأخذ قرار العلاقة مع الحزب الشيوعي. طرح سؤال : هل ترغبون في الارتباط بالحزب الشيوعي أم تكوين منظمة مستقلة على أسس وطنية؟ معظم الحاضرين كان جوابهم لصالح الخيار الثاني و هو منظمة مستقلة العمال المغتربين ، بعد تأكيدهم على تطلعهم رؤية طرح القضية الوطنية الجزائرية على أساس الاستقلال و في إطار جزائري، كانوا مع إنشاء منظمة شمال إفريقية مسيرة من طرف المغاربة. Mahfoud,(Kaddache),op.cit,p 230.

3- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق ، ص 73.

4- نفسه، ص 75.

5- سليمان ،(قريبي)، المرجع السابق، ص 74.

6 -Mahfoud,(Kaddache),op.cit,p231.

7- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 76.

في خضم هذه الظروف القاسية قرر مصالي الحاج أن يغتنم فرصة الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، في تحرير مذكرة يرسلها إلى الجمعية العامة. هذه المذكرة التي شجبت الوضعية التي كانت تعيشها الجزائر في 1930 و المعرفة لمطالب نجم شمال إفريقيا، أرادها مصالي أن تكون حقيقة تحدث الاضطراب في احتفالات الذكرى المئوية. أرادته كذلك أن تكون وثيقة محاكمة الاستعمار الذي رفض أن يعطي للجزائريين أدنى حقوقهم الشرعية.⁽¹⁾

و رغم هذه الظروف كذلك قرر مصالي الحاج النضال و الاستمرار في كسب الدعم البشري و المادي لهذه الحركة، فاستبسل في الإقناع و التكوين و كسب المنخرطين. و في هذه الفترة الصعبة بالذات تدعم النجم بجيل من المناضلين الشباب أو الجيل الثاني من الإطارات سيجعل من النجم منظمة جماهيرية، و نذكر من هؤلاء: شعبان علي، و عبد القادر بن مسعود، و بوزيان محمد، و يحيى محمد، و بنسك محمد الطيب، و مبارك بن لخضر، و كحال أرزقي، و موساوي رابع⁽²⁾، و ريفد علي، و كساسي أحمد، و عيسى بن شريط، و داودي بن محمد، و كومات رمضان، و زاوي أحمد، و بن أشنهو حسين، و بن أشنهو مصطفى،... و غيرهم⁽³⁾

مع نهاية سنة 1932 قرر مصالي الحاج أن النجم قد حقق هدفه الأول، فقد أصبح حرا مستقلا غير تابع، و بقي له الخروج من دائرة الاختفاء المؤقت من الساحة السياسية،⁽⁴⁾ عن طريق تزويد النجم ببرنامج و قالب تنظيمي يسمح له بالمقاومة و الانتشار. و هكذا انطلق النجم من جديد بقوة، ابتداء من ماي 1933.⁽⁵⁾ واصل النجم الجديد النضال من أجل تحقيق أهدافه التي لا تختلف كثيرا عن مطالبه سنة 1926،⁽⁶⁾

و هي: استقلال الجزائر، و وحدة المغرب العربي، و كذلك التأكيد على مواقفه و هي: العلاقات بالدين، و الموقف من الأقليات و من اليهود بصفة خاصة، و الكفاح ضد الفاشية، و العلاقات مع الحركة العمالية خصوصا مع الحزب الشيوعي الفرنسي، و الموقف تجاه المنتخبين الأهالي و التجار.⁽⁷⁾

1- في هذا يؤكد محفوظ قداش أن المنظمات الإسلامية، وحده النجم، و من باريس، رفع صوته لإدانة مبدأ هذه الاحتفالات و أكد على حقوق الجزائريين في الاستقلال. Mahfoud,(Kaddache),op.cit,p 237

2- من مواليد 21 سبتمبر 1904 بدوار أومالو. هاجر إلى فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى أين استقر بلفالوا و امتهن حرفة سائق الطاكسي. انخرط في حزب نجم شمال إفريقيا منذ تأسيسه. ثم أصبح عضوا في اللجنة المديرة عام 1933. بعدها انتقل ليستقر بمنطقة القبائل في سبتمبر 1934 أين شكل خلية نجم شمال إفريقيا. تم سجنه شهر ديسمبر 1934 ليطلق سراحه فيما بعد. تواجد مع مصالي الحاج خلال زيارته للجزائر في 1936 بمناسبة المؤتمر الإسلامي، ثم رافقه في رحلته إلى منطقة القبائل. يعتبر رابع موساوي من بين أهم المسيرين الأساسيين لحزب الشعب الجزائري بمنطقة القبائل. قدمه حزب الشعب الجزائري كمرشح في انتخابات 17 أكتوبر 1937 بنيزي وزو أين تحصل على 313 صوتا من أصل 8 آلاف منتخب. توفي عام 1945. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954,op.cit,p 88-89.

3- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 81.

4- لقد عرف النجم ما بين 1930 و 1932 أصعب سنواته، القليل من المظاهرات، و القليل من المنشورات، لم يستطع الحزب النهوض مجددا. و مع سنة 1933 استطاع الأخذ بزمام الأمور من جديد. و تحت نفوذ كل من راجف بلقاسم، إيماش عمار، و مصالي الحاج بدأ الحزب في الانتعاش ينظر: Mahfoud,(Kaddache),op.cit,p 345

5- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 85. و هنا يؤكد محفوظ قداش أن في 28 ماي 1933 انعقدت جمعية عامة أين تم انتخاب لجنة مركزية مكونة من 30 مناضلا، من أشهرهم نجد: مصالي، إيماش، راجف، سي جيلاني، موساوي رابع، ربوح، معاوية عبد الكريم، صفار أحسن، كحال أرزقي، بوقادوم مسعود، عبد القادر بن مسعود، بورنان عاشور و بانون ألكي. في اللجنة المديرة تم تعيين مصالي الحاج كرئيس و مدير الأمة، و إيماش ككاتب عام و رئيس تحرير الجريدة و راجف كأمين المال. ينظر: Mahfoud,(Kaddache),op.cit,p 345

6- سليمان،(قريري)، المرجع السابق، ص 74.

7- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 91.

في يوم 26 جانفي 1937 تمكنت الحكومة الفرنسية من إصدار قرار حل النجم تطبيقا للقانون المتعلق بالمليشيات و المنظمات الشبه عسكرية.⁽¹⁾

و لأن الظروف قد تغيرت، فالتونسيون و المغاربة شكلوا أحزابهم الوطنية الخاصة بهم، قرر المناضلون الجزائريون إنشاء منظمة جديدة تخلف النجم⁽²⁾، فكان ذلك بتأسيس حزب الشعب الجزائري يوم 11 مارس 1937 على الساعة الثامنة و النصف مساء بقاعة كوسموس بشارع ميري الكائن بنانتير.⁽³⁾

واصل حزب الشعب الجزائري الطريق على خطى نجم شمال إفريقيا منذ تأسيسه في باريس.⁽⁴⁾ و قد جاء في جو يفيض بالمشاحنات السياسة حول أصل تسميته و انتمائه.⁽⁵⁾ و قد ركز الحزب الجديد على الشعار التالي: "لا استيعاب و لا انفصال بل تحرر"⁽⁶⁾ و في هذا يقول سطورا (Stora): "التصريح الذي نشره - مصالي الحاج - بصحيفة الأمة في عددها 49 من أبريل 1937 يجعلنا نفهم ذلك: يعمل حزب الشعب الجزائري من أجل التحرر الكامل للجزائر، دون الانفصال عن فرنسا."⁽⁷⁾ يفهم من خلال هذا التصريح أن حزب الشعب الجزائري كان يطالب بنوع من الدومنيون (Dominion) مع فرنسا.

و نتيجة لمطالب الحزب و نشاطاته التي كانت تشكل خطرا كبيرا على فرنسا، قامت الإدارة بتضييق الخناق عليه،⁽⁸⁾ و اعتقال مناضليه و على رأسهم مصالي الحاج في 27 أوت 1937 مما أدى إلى مصادمات عنيفة جرت بين الشرطة و أعضاء الحزب وصلت إلى حد المطاردات في الشوارع و سقوط الكثير من الجرحى. و نفس الشيء حدث سنة 1939 عندما نظمت مسيرات تدعو إلى حرية الجزائر و استقلالها، و نتيجة لبودار الحرب العالمية الثانية بدأت الحكومة الفرنسية تتحين الفرصة للقضاء على نشاط الحزب، و الذي صدر قرار حله في 26 سبتمبر 1939.⁽⁹⁾ كما تم حضر جريدي الأمة و البرلمان الجزائري، و اعتقال معظم مناضليه.⁽¹⁰⁾

بعد مجازر ماي 1945، و بعد قرار العفو الذي حصل عليه مصالي الحاج في 30 أكتوبر 1946، قرر إنشاء حركة شرعية موازية لحزب الشعب الجزائري الذي ظل يعمل في السر، و هي حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

1- نفسه، ص 153. هذا القانون هو قانون 10 يناير 1936 الذي يخول لرئيس الجمهورية إمكانية وضع مرسوم لحل التنظيمات التي يمكن أن تعرض الوحدة الوطنية للخطر. و في نهاية السنة بدأت بعض الإشاعات تسري في إمكانية استعمال الحكومة هذا المرسوم ضد نجم شمال إفريقيا لحل هذا الحزب الفاشي على حد تعبيرها. للمزيد ينظر: Mahfoud,(Kaddache),op.cit,p 481.

2 -Mabrouk (Belhocine), Le courrier Alger- le Caire 1954-1956 et le Congrès de la Soummam dans la Révolution, op.Cit, p 25.

3- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 157.

4- محفوظ،(قداش)، محمد،(قنانتش)، حزب الشعب الجزائري (p.p.a) 1937-1939، تر:أوداينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013، 268 صفحة، ص 9.

5- للمزيد حول الموضوع ينظر: بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 156-157.

6- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 158.

7- نفسه، ص 158.

8- إن ضغوطات الإدارة الاستعمارية حملت الحزب على تبني خيار التنظيم السري. ففي ربيع 1938 قام الحزب بحذف اللجان الفرعية و استبدالها بتسيير مكون من شخصين أو ثلاثة لتقادي أي تسريبات. للمزيد ينظر: Mahfoud,(Kaddache),op.cit,p 506.

9- سليمان،(قريري)، المرجع السابق، ص 76.

10 -Mahfoud,(Kaddache),op.cit,p 611.

(1) فتحت ضغط المناضلين، عقد الحزب غير الشرعي حزب الشعب الجزائري مؤتمرا في فبراير 1947 خرج قرارين هامين هما:

- إنشاء حزب شرعي، هو حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، هدفها نشر الأفكار الوطنية و تأطير المجتمع.

- إنشاء منظمة خاصة شبه عسكرية (O.S) هدفها التحضير للعمل المسلح.(2)

تابع الحزب الجديد النضال من أجل استقلال الجزائر ، و اتخذ من الانتخابات وسيلة لإسماع صوته. كما أنشأ المنظمة الخاصة في 1947 من أجل التحضير للعمل المسلح الثوري. و من 1947 إلى 1950 رفض الحزب كل فكرة عن جبهة أو إتحاد لا يتبنى شعار جمعية تأسيسية.(3)

و نتيجة ضغط الإدارة و تعسفها حيال هذا الحزب الوطني إلى حد أنها سمحت و أطرت تشكيل ميليشيات لمحاربتة (4)، دخل الحزب العتيد في أزمة خانقة من سنة 1946 إلى 1953 (5) عصفت به كحزب قيادي و جعلته يتخلف عن ركب الثورة الجزائرية، ليفتح المجال إلى اللجنة الثورية للوحدة و العمل للتحضير للعمل المسلح في الفاتح من نوفمبر 1954.

ثانيا : برنامج التيار الاستقلالي:

يندرج هذا التيار - حسب الأستاذ رابح لونيبي - ضمن التيارات الوطنية و القومية، و هم الذين يركزون في خطابهم على مسألة الهوية أو استرجاع الاستقلال الوطني للجزائر.(6) لقد اكتمل البرنامج النهائي للنجم سنة 1933، و قد أكد فيه على المطالب الفورية و البرنامج السياسي على النحو الآتي:

● المطالب الفورية:

- الإلغاء الفوري لقانون الأهالي البغيض و جميع الإجراءات الاستثنائية;

1- يتحدث أحد التقارير الفرنسية الذي يحمل عنوان الحركة الوطنية المتطرفة بالجزائر - نقاط القوة و الضعف- و كيفية محاربتها. و الذي يحتوي على 46 صفحة و المعد بتاريخ 5 أكتوبر 1952 بباريس من قبل الإفريقي على أن حزب الشعب لم يكن موجودا من الناحية النظرية. في الظل على العكس من ذلك فإن الحزب موجود أكثر من أي وقت مضى، و لن يتأخر في إثبات ذلك، من خلال مراقبة و توجيه الحركات الموجودة؛ ليس فقط حركة الانتصار للحريات الديمقراطية التي تعتبر صنيعه و غطاءه الشرعي، بل كذلك الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.. للمزيد حول الموضوع ينظر: A.N.O.M, 81F, Boite 765, Le Nationalisme Extrémiste en Algérie- Ses forces- Ses faiblesses- comment le combattre.

2- Mabrouk (Belhocine), , op.cit., p 27.

3- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 202.

4- فمثلا أعطى حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية معلومات دقيقة عن ميليشية الأوراس التي يديرها الإداري فابيت (Fabet) ، و الباشاغا تواتي، و القايد مشري و محمد بن عبد الله عضو اللجنة البلدية. تتكون الميليشية من ثلاث فرق موزعة على الدواوير الثلاثة : تيقنامين، و لاد لبيوض، و إشمول. أعضاء الميليشية كانوا يعينون من قبل الإداري فابيت و يتقاضون منحة شهرية تقدر بـ 12000 فرنك.... و لقد استطاع الحزب تشكيل مصلحة خاصة من أجل مساعدة ضحايا هذه الميليشيات أطلق عليها اسم لجنة دعم ضحايا الاضطهاد، في أبريل 1948. للمزيد ينظر: Mahfoud,(Kaddache),op.cit,p 862.

5- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق ، ص 203.

6- رابح،(لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 109.

- العفو عن جميع المساجين و المقيمين تحت الرقابة الخاصة و المنفيين بسبب مخالفة قانون الأهالي أو بسبب ضجة سياسية;
- حرية السفر المطلقة إلى فرنسا و الخارج;
- حرية الصحافة و الجمعيات و الاجتماعات و الحقوق السياسية و النقابية;
- تعويض المندوبيات المالية المنتخبة بالاقتراع المحدود، برلمان وطني جزائري منتخب بالاقتراع العام;
- إلغاء البلديات المختلطة و الأقاليم العسكرية و تعويض هذه الهيئات بجمعيات بلدية منتخبة بالاقتراع العام;
- وصول جميع الجزائريين إلى جميع الوظائف العامة بلا تمييز و تطبيق مبدأ المساواة في الوظيفة، المساواة في المقابل على الجميع ;
- التعليم الإجباري للغة العربية، و الدخول إلى التعليم في مختلف مستوياته، و إنشاء مدارس عربية جديدة، جميع الوثائق الرسمية يجب أن تحرر باللغتين معا;
- تطبيق القوانين الاجتماعية و العمالية، الحق في الاستفادة من مساعدة البطالة للعائلات الجزائرية في الجزائر، و من المنح العائلية.
- البرنامج السياسي:
- الاستقلال التام للجزائر;
- الانسحاب التام لقوات الاحتلال;
- تكوين جيش وطني و حكومة وطنية ثورية و جمعية تأسيسية منتخبة بالاقتراع العام;
- الاقتراع العام في جميع المستويات و حق جميع سكان الجزائر في أن يكونوا منتخبين في جميع الجمعيات;
- اعتبار اللغة العربية لغة رسمية;
- يسلم للدولة الجزائرية جميع البنوك و المناجم و السكة الحديدية، و الحصون و الهياكل العمومية التي اغتصبها الغزاة;

- حجز الممتلكات الكبيرة التي استولى عليها الإقطاعيون حلفاء الغزاة، و المعمرون و الشركات المالية. و إعادة الأراضي المتنوعة إلى الفلاحين- احترام الملكية الصغيرة و المتوسطة- عودة الأراضي و الغابات التي اغتصبها الدولة الفرنسية إلى الدولة الجزائرية;

- التعليم المجاني الإجمالي في جميع المستويات باللغة العربية;

- اعتراف الدولة الجزائرية بالحقوق النقابي و الإضرابات عن العمل، و إعداد قوانين اجتماعية;

المساعدة الفورية للفلاحين بأن يخصص للفلاحة قروض بدون فائدة لشراء الآلات و البذور و الأسمدة، تنظيم الري و تحسين شبكة الطرق إلخ.⁽¹⁾

رغم أن حزب الشعب الجزائري كان امتدادا للنجم إلا أنه غير في المصطلحات و العبارات، و جاء بأفكار جديدة تلافيا للمتابعة القضائية الفرنسية. و يمكن لنا أن نتبع برنامج الحزب من خلال جريدة الأمة أو جريدة البرلمان الجزائري أو بعض التصريحات التي كتبت هنا و هناك في بعض الصحف و الجرائد مثل: صحيفة تونس الفتاة. نرى من خلال تصريح المكتب السياسي للحزب الذي نشر بجريدة الأمة في عددها المؤرخ بتاريخ 10 أفريل 1937 بوضوح برنامج الحزب و أهدافه الذي يتلخص في العبارة البسيطة التالية: " لا اندماج، و لا انفصال و إنما تحرير"⁽²⁾ إلى جانب الاهتمام بالحالة الاقتصادية و الاجتماعية للشعب الجزائري.

من بين أهم الأهداف التي سطرها حزب الشعب نجد الاهتمام بالجانب الأخلاقي و المادي للجزائريين عن طريق الدفاع عن مطالب و مصالح جميع الجزائريين، و المحافظة على ماض الجزائر و مستقبلها و تقاليد الشعب الجزائري. و كذلك تحقيق وحدة المغرب العربي في إطار المحافظة و احترام سيادة الدول الأعضاء.⁽³⁾ كما أكد الحزب على الدفاع عن كل أطراف الشعب الجزائري دون تمييز طبقي أو ديني، و هذا في إطار أداء الواجبات و التمتع بالحقوق، و المناداة بضرورة الانعتاق و رفض سياسة الاندماج التي تخالف تقاليد الشعب الجزائري و معاهدة 5 جويلية 1830.⁽⁴⁾

إن رفض الاندماج يعني التحرر الكامل للجزائر، دون الانفصال عن فرنسا، بل ستندمج الجزائر في منظومة الأمن الجماعي الفرنسية و المتوسطية. و ستبقى الجزائر صديقة و حليفة فرنسا في إطار تبادل المصالح أسوة بما حدث بين سوريا و فرنسا، و مصر و إنجلترا.

كما أكد المكتب السياسي أن عمل حزب الشعب هو نضال عرقي و ليس طبقي، بل الحرية للجميع، دون تمييز عرقي و لا ديني لأن الديمقراطية حق للجميع. و أن الحزب لن يهمل أي شيء و سيدافع عن الحياة الاقتصادية،

¹- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 66-67.

²- محفوظ،(قداش)، محمد،(قناش)، المرجع السابق، ص 20، و ينظر كذلك إلى: بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 158-159.

³ -Khaled,(Merzouk),op.cit,p 71.

⁴- محفوظ،(قداش)، محمد،(قناش)، المرجع السابق، ص 21.

السياسية، الاجتماعية، التعليم، الدين، العمل، القوانين الاجتماعية، و العمالية، و حماية الطفولة، و الوقاية الصحية و الرعاية العمومية. كما طالب الحزب كذلك من كل السكان المسلمين العمل على المساهمة في تشجيع الصناعة التقليدية و المحافظة على التقاليد و الإرث الفني و الثقافي بإعطاء الأولوية للحرف التقليدية عوض الصناعة.⁽¹⁾

يؤكد رئيس الحزب مصالي الحاج في حوار له مع جريدة العدالة في 17 أوت 1937 هذه الأهداف عندما يقدم توضيحات حول التيار الوطني الجزائري - كما يسميه - : " وطينتنا ليست إمبريالية، و لا متعصبة، و لا عنصرية، إنها الوطنية التحررية التي تشبه وطنية ثوار 1789 و التي تناضل ضد الإمبريالية، و ضد العنصرية التي نعاني منها و ضد الإقطاعية التي تدمر بلادنا." ⁽²⁾ ثم يضيف فيما يخص الاستقلال فيقول: "... يتعين على أن يتم بمساعدة فرنسا، بما يتطابق مع دورها كأمة تعمل على نشر الحرية. هذا التحرر يتم يوميا و نرغب من جانبنا أن نرى فرنسا تراجع سياستها و أن تخوض في المشكل بقدر أكبر من الإنسانية و الجدية و التفهم من أجل أن يتحقق هذا الاستقلال بشكل طبيعي مع الحفاظ على مصالح فرنسا و الشعب الجزائري." ⁽³⁾

كما يؤكد مفدي زكرياء ⁽⁴⁾ في تصريح له خص به صحيفة تونس في 14 جوان 1937 بأن حزب الشعب الجزائري يطالب ببرلمان تكون له سلطة التشريع و التصويت على الميزانية، و أن دوره سياسي عكس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي حسرت دورها في المجال الديني. ⁽⁵⁾ و أن مطلبه الاستقلال الذي يعادي مشروع فيولات المتمثل في التمثيل البرلماني للجزائريين و إلحاق الجزائر بالمتروبول.

و قد جعل حزب الشعب برنامجه لعام 1938 ينطوي على الاهتمام بكل الميادين خاصة منها الميدان السياسي الذي أكد فيه على ضرورة إلغاء قانون الأهالي و كل القوانين الاستثنائية، و الفصل بين جميع السلطات. أما في الميدان الاجتماعي فأكد على ضرورة تطوير التعليم باللغتين العربية و الفرنسية، و إجبارية التعليم للسكان، و تطوير الوقاية و المساعدة العمومية. أما المجال الاقتصادي فناد بتخفيض الضرائب، و تأمين القرض و المصانع الأساسية. و أما في الميدان الإداري فطالب بالسماح لكل الجزائريين بالولوج لكل مهنة و تطبيق مبدأ نفس العمل نفس الراتب. و إلغاء الإدارة العسكرية و البلديات المختلطة. ⁽⁶⁾

1- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 161.

2- محفوظ، (قداش)، محمد، (قناش)، المرجع السابق، ص 27.

3- محفوظ، (قداش)، محمد، (قناش)، المرجع السابق، ص 28.

4- من مواليد عام 1909 ببني يزقن بغرداية، لقب بشاعر المغرب العربي، و تابع تعليمه المعمق بالأداب العربية. في نهاية العشرينات كان ضمن بعثة علمية إلى تونس يرأسها محمد تاميني. انخرط في حزب الدستور حيث عمق معرفته بالتيار الوطني. في شهر سبتمبر 1932 ألقى خطابا بنادي الترقى بالجزائر بمناسبة مؤتمر الطلبة المسلمين ركز فيه على ضرورة النهوض و الاستفاقة من الغيبوبة التي يتخبط فيها أبناء إفريقيا. انخرط في حزب نجم شمال إفريقيا عام 1935 حيث أصبح عضوا في أول لجنة مديرة للنجم بالجزائر التي نصبها مصالي الحاج خلال زيارته للجزائر 1936. ثم عضوا في اللجنة المركزية لحزب الشعب الجزائري عام 1944. لم يتخذ مفدي زكرياء موقفا من الصراع الذي عصفت بحزب الشعب/ حركة الانتصار. و في أبريل عام 1955 أُلغى التشيد الوطني قسما. بعد الاستقلال عارض نظام الرئيس الراحل هواري بومدين. توفي بتونس في 27 أوت 1977. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954,op.cit,p 260-261.

5- محفوظ، (قداش)، محمد، (قناش)، المرجع السابق، ص 21.

6- نفسه، ص 33-34.

بعد عودة مصالي الحاج إلى الجزائر و استقراره ببوزريعة و إنشائه للتنظيم الجديد "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" الذي سيكون الغطاء الشرعي لحزب الشعب الجزائري السري، تحضيراً للانتخابات التشريعية المقررة يوم 10 نوفمبر 1946.⁽¹⁾

واصلت الحركة الجديدة الطريق على خطى و مطالب حزب الشعب الجزائري، غير أنها في 9 أكتوبر 1947 بمناسبة التحضير للانتخابات البلدية، اقترحت بطلب من مصالي الحاج بالاتحاد حول "شعار جمعية تأسيسية جزائرية ذات سيادة"⁽²⁾ ثم في 17 جانفي 1948 أعلن مصالي الحاج: "أن كل اتفاق حول الأهداف الانتقالية يخضع لوافق حول الهدف النهائي و هو الاستقلال من خلال جمعية تأسيسية."⁽³⁾

و قد حددت اللائحة العامة للمؤتمر الثاني لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية المنعقد أيام 4 و 5 و 6 أبريل 1953،⁽⁴⁾ أسس الدولة الجزائرية المستقلة فيما يلي:

- الديمقراطية بالشعب و للشعب كمصدر للسيادة.

- الجمهورية كشكل للحكم.

- الرخاء الاقتصادي و العدالة الاجتماعية.

- احترام العقائد الدينية وفقاً لروح الإسلام و تقاليد.

- ثقافة وطنية متصلة بالثقافة العربية الإسلامية.⁽⁵⁾

ثالثاً : البعد الإسلامي في أدبيات التيار الاستقلالي:

قبل الخوض في الحديث عن البعد الديني في أدبيات هذا التيار وحب علينا أن نعيد طرح إشكالية الأستاذ رابح لونيسي التي مفادها هل يمتلك دعاة استرجاع الاستقلال فكراً و إيديولوجية محددة يستندون عليها في بناء الدولة الوطنية أم يستهدفون فقط استرجاع الاستقلال الوطني مع تأجيل المسائل الأيديولوجية و الفكرية إلى ما بعد تحقيق ذلك؟ و إن كانوا يمتلكون فعلاً فكراً و إيديولوجية، فما هي مرجعية و خصوصيات هذا الفكر؟ و ما هي العوامل التي تحدده؟⁽⁶⁾

بعد تحليل مستفيض و مبرر بالأدلة و الحجج و عن طريق التطور التاريخي للخصوصيات الفكرية لهذا التيار و العوامل المحددة لها، يخلص الأستاذ رابح لونيسي إلى صعوبة تحديد المرجعية الفكرية الأساسية لهذا التيار، إذ "نجد

1- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 198.

2- نفسه، ص 202.

3- نفسه، ص 202.

4- لقد جاء التقرير العام الذي قدمته اللجنة المركزية في أربعة أقسام: الأول تحدث عن خلاصة الحوادث ما بين 1947 و 1953، و الثاني عن نقائص الحزب، و القسم الثالث عن السياسة الخرجية المقبلة للحزب. أما القسم الرابع فتحدث عن السياسة الداخلية للحزب. ينظر: يحيى، (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، المرجع السابق، ص 502.

5- رابح، (لونيسي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 115.

6- نفسه، ص 109.

عند قراءة خطابه و موثيقه و صحفه كل المرجعيات و التيارات الفكرية (...) منضوية بداخله، لكن مع غلبة توجهه فكري في فترة ما و تراجعها في فترة أخرى. "(1) كما أن من نقائص هذا التيار أنه لم يوضح بصفة مضبوطة المذهب العام الذي يحدد صبغة الكفاح، و وسائله، و الأهداف العقائدية النهائية لهذا الكفاح.(2)

إن المتتبع لتأثير الإسلام على واقع الحركة الوطنية، خلال الحربين العالميتين، يدرك مدى حضور البعد الإسلامي في أدبيات و إيديولوجية الأحزاب الوطنية لكن دون أن يوحدتها هذا البعد الديني.(3)

مع كل هذا فإن المتتبع لأدبيات التيار الاستقلالي يجد الكثير من المصطلحات و المعاني التي استمدت من القرآن الكريم، و التي منبعها الإسلام فهو ناموسها و دافع رجالاتها نحو ذلك النضال و الكفاح من أجل تحقيق الانعتاق و الاستقلال من غل الاستعمار و أحقادها المتراكمة على مدى العصور.

إن أول نقطة ربما تحسب لهذا التيار هو أسبقيته للمطالبة باستقلال الجزائر، ففي مهرجان النجم الذي انعقد في 31 جانفي 1927، تم تبني ما يلي: "إن الجزائريين المجتمعين في غرانج أوبيل يطالبون باستقلال بلادهم."

(4) إن هذا المطلب الجديد الوافد - ربما على تاريخ الحركة الوطنية الناشئة - لأول مرة يعبر حقيقة عن التحرر و كسر قيود العبودية التي يرفضها الدين الإسلامي رفضا قاطعا.

في تصريح للمكتب السياسي حول برنامج الحزب يؤكد على رفض الاندماج لأنه يخالف معاهدة 5 جويلية 1830 التي أكدت على ضرورة احترام التقاليد الإسلامية. و كذلك على الاهتمام بالتطوير الأخلاقي للجزائريين(5) و بالدين الذي هو عماد بناء الأمم و المجتمعات.

و أكد رئيس حزب الشعب مصالي على ضرورة تطبيق قانون 1905 الخاص بالفصل بين الكنسية و الدولة و إعادة أملاك الأوقاف و تسييرها الذي يتعين أن يكون بأيدي هيئات إسلامية(6)، و هذا الطرح يتوافق مع ما كانت تذهب إليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. و إن هذا الحرص على أملاك المسلمين دلالة قطعية على اهتمام هذا التيار بالدين الإسلامي و كل ما يتعلق بشؤونه.

و في خطاب مصالي الحاج في مؤتمر بروكسل المناهض للإمبريالية عام 1927 أكد في البرنامج السياسي للنجم في بنده الثالث على "اعتبار اللغة العربية لغة رسمية"(7) و رغم ألا وجود للحديث عن الدين الإسلامي صراحة، لكن اللغة العربية في نظرنا تعتبر ترجمان القرآن الكريم، فحضورها دلالة قطعية على حضور الإسلام، و المحافظة عليها حفاظا على الدين، لأنها الأداة التي يحفظ بها.

لم نجد الكثير من الأفكار التي لها صلة بالدين الإسلامي في هذه الفترة من حياة نجم شمال إفريقيا، و ربما هذا راجع لغلبة الأفكار و التوجهات الماركسية، لأن الكثير من مؤسسيه كانوا ماركسيين مثل: حاج علي عبد القادر، كما

1- رابع،(لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 111.

2- يحي، (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، المرجع السابق، ص 505.

3 -Tayeb,(Chentouf), op.cit,p 127.

4- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 59.

5- محفوظ،(قداش)، محمد،(قناش)، المرجع السابق، ص 20-23.

6- نفسه، ص 25.

7- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 67.

أن الطبقة العاملة في المهجر كانت هي المسيطرة عليه مما جعل برامجها و خاصة برنامج عام 1933 يغلب عليه الطابع الوطني و الاجتماعي مثل: تأميم الأملاك الكبرى و الحق النقابي و إعداد القوانين الاجتماعية من قبل العمال.(1) و مع ذلك فقد طالب النجم في الجمعية العامة التي انعقدت بباريس شهر ماي 1933، بضرورة التعليم الإجباري باللغة العربية، و فيما يخص التجنيد الإجباري (2) ضرورة احترام الآية القرآنية الكريمة التي يقول فيها تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (3) و ربما هذا الضعف في توظيف الإسلام يرجع إلى رؤية دعاة الاستقلال إلى الإسلام كهوية أكثر مما هو مرجعية رئيسية للدولة أو ممارسة و سلوك يومي.(4) و عليه فإن هؤلاء أو جزء كبير منهم يشجعون ما أسماه الأستاذ رابح لونيبي بـ "الإسلام الوراثي".(5) لكن رغم هذا فقد وظف هذا التيار الإسلام كأداة لمقاومة الاستعمار باعتباره المحرك الأساسي للشعب الجزائري بل هو جامع شتاتهم.

ثم ظهرت في خطابات مصالي الحاج العودة في الكثير من الأحيان إلى تلك الروح الدينية المستندة على الإسلام، و قد خصص بالفعل لها حيزا مكانيا في مذكراته فمثلا: في نهاية الكراس رقم 9 يتحدث عن السياسة في الإسلام و العدالة الاجتماعية و يوظف في ذلك الكثير من الآيات القرآنية.(6) و في اجتماع 6 جوان 1933، أكد على أن فرنسا أنجزت عملا تخريبيا في حق المسلمين، إذ يؤكد: "إن الأراضي التي كان يملكها الجزائريون أعطيت للمعمرين و هؤلاء سرقوا كل ما قدروا عليه و انتزعوا ملكية المسلمين".(7) و يقول في نفس الخطاب أن الحكومة الفرنسية بذلت كل ما بوسعها للزج بالجزائريين في دوامة من جهل دينهم. بل أكثر من ذلك فقد وجهت ترسانة من المبشرين إلى شمال إفريقيا بهدف تمسيح الشعب الشمال إفريقي عموما و الشعب الجزائري بشكل خاص. و لقد برزت هذه المرجعية للدين الإسلامي في خط رئيس التيار مصالي الحاج خلال سنوات 1930/1935، فقد أكد خلال اجتماع الجمعية العامة في ماي 1933 على أن "فرنسا جعلت الجزائريين جاهلين بدينهم و حملت آلاف المبشرين على اجتياح شمال إفريقيا في محاولة تمسيح الشعب، و لحسن الحظ فإن الشعب العربي بفضل إيمانه المتأرجح يملك قوة معنوية لا تنهدم و لن يخضع أبدا أمام القوة المادية".(8)

1- رابح،(لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 111-112.
2- وللأمانة العلمية أردت أن أذكر المطلب باللغة الفرنسية كما أوردها ابنة مصالي الحاج السيدة جنيئة: En ce qui concerne le service militaire, respect intégral de la sourate coranique verset qui dit : « celui qui tue délibérément un Musulman est voué à l'enfer durant l'éternité et mérite la colère et la malédiction » ينظر: Djanina,(Messali- Benkelfat) ,Une vie partagée avec Messali Hadj, Mon père,Hibre Éditions et Lazhari Labter Éditions, Algérie,2013,371 pages, p 337.

3- سورة النساء ، الآية 93.

4- رابح،(لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 400.

5- نفسه، الصفحة نفسها.

6- Benjamin, (stora), Les Mémoires de Messali Hadj : aspects du manuscrit original In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°36, 1983, pp 75-101;p77.

7- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 95.

8- نفسه ، ص 104.

قررت اللجنة المديرية لنجم شمال إفريقيا تنظيم، في شهر ديسمبر 1933، دروس في اللغة العربية للمناضلين بغية الحفاظ عليه من جهة، و تمسك المناضلين بهويتهم باعتبار أن اللغة هي أحد ركائز الشخصية الوطنية. و قد تقرر في نفس الوقت أن يدير رئيس التيار حوارات من أجل تعليم قوة الإسلام للمنخرطين. و في هذا يذكر الأستاذ سطورا (Stora) أن مصالي الحاج دشّن سلسلة من المحاضرات عن الإسلام بجدّث حول العبادة في الإسلام ختمه بدعوة إلى الثورة.⁽¹⁾

كما طبعت اللغة السياسة لمصالي بالمرجعية الإسلامية، ففي كثير من الأحيان كان يصف أعداء النجم بأوصاف دينية أو مستمدة من الشريعة الإسلامية، فمثلا: في الجمعية العامة للنجم في 4 فيفري 1934 عارض "تمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي الذي يطالب به المرتدون."⁽²⁾ و استعماله لمصطلح "المرتدون" يبرز ذلك الارتباط بالدين الإسلامي، فالمرتد هو ذلك المسلم الذي ينسلخ عن دينه و يتنكس على عقبيه ليتبع دينا آخر، و بالنسبة للمصطلح في خطابات مصالي الحاج فهو ذلك الشخص الذي يسعى وراء الارتباط بفرنسا عن طريق المطالبة بالتمثيل في البرلمان الفرنسي و الإقرار بفرنسا كدولة و موطن له، و هو في هذا يواجه من طالبوا بالاندماج و الانصهار في فرنسا. و في هذا يذكر الأستاذ رابح لونيبي أن دعاة استرجاع الاستقلال لم يكتفوا "بتوظيف الإسلام كأداة مقاومة الاستعمار الفرنسي بل استخدموه أيضا في صراعهم مع خصومهم من مختلف الأحزاب الجزائرية مثل اتهامهم فحاحات عباس بـ اللاتكسية، و رفعهم شعارات مثل من انتخب كفر عند دعوتهم لمقاطعة انتخابات عام 1946 م."⁽³⁾

يقول سطورا (Stora) محللا خطب مصالي الحاج في تلك الفترة أن: "عمله السياسي لا يزال ينحصر في حدود التكوين السابق: فالشعار السياسي يتخذ شكل المنشور الأسقيفي- و ربما شكل الخطبة الدينية- و الغاية النهائية تصبح نبوة، و الدعائي يتقمص هيئة المرشد."⁽⁴⁾ و لقد كانت خطب مصالي تضيي الطابع الديني على العنف، فالثقة التي كان يضعها في الشعب، كمثلين تتجسد فيهم صورة الفضيلة، و إن الخطب الملقاة، كلها ملامح تعود أصولها إلى التعليم الذي تلقاه في مراحل حياته الأولى في مسقط رأسه تلمسان بزواية درقاوة.

إن الاستعانة بالإسلام كانت تمثل عند مصالي الحاج ذلك الدرع الذي سيحقق المحافظة على الهوية الروحية التي كانت تمثل وسيلة فوز قوية و حقيقية في مسيرة الاستقلال، ففي إحدى خطبه يقول: "منذ أكثر من ثلاثين سنة كنت أقول لمواطني إنكم قادرون في المجال الديني على الاستجابة إلى مبادئ عديدة. فافعلوا مثل ذلك في الميدان الوطني. برهنوا على ذلك و بينوه عندما تدعوكم الحركة الوطنية إلى الانضباط و التنظيم و تحرير أنفسكم. إن هذا أيضا من الدين. و هكذا إذن فإنه لمن خير الأمور أن يقبل الجزائريون و التونسيون و المغاربة على دراسة تاريخ

1- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 106.

2- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 106.

3- رابح، (لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 402.

4- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 107.

بلادهم أو تعلم دينهم و سيجدون دائما كثرة من التعاليم لها في وقت واحد علاقة بالدين و الوطن و الحرية و العلم".⁽¹⁾

وجد مصالي الحاج تقريبا في الأحداث الكبرى التي طبعت تاريخ الجزائر في تلك الفترة، ففي الأحداث الدموية التي شهدتها قسنطينة في 5 أوت 1934، و التي أدخلت السكان المسلمين و اليهود في صراع دموي، دافع عن الوحدة التي اعتبرها حلا للقضاء على الامبريالية، فقال: "... و الجواب ليس هو القضاء على اليهود و لكن هو النداء لوحدة جميع المسلمين من أجل إزاحة نير الإمبريالية الفرنسية".⁽²⁾ و إن دعوة مصالي للوحدة التي يراها في إطار حزب النجم ما هي إلا امتداد لتلك العقيدة الدينية التي تربى عليها في إطار الإسلام الذي يشجع الاتحاد و ينبذ الفرقة التي هي أساس الضعف و الهوان، و هذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽³⁾ و كذلك في قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁽⁴⁾

خلال شهر ماي 1934 و بمناسبة تلك القوانين التي أقرتها لجنة الشؤون الإسلامية حول الوعظ في المساجد، و حرية تدريس اللغة العربية، و مراقبة الصحافة العربية، اعتبر مصالي ذلك بمثابة الاضطهاد المعنوي الذي ينال من الكرامة و يعيق ممارسة الحريات الأساسية. و قد حرر في هذا منشورا يدعو فيه كل مسلمي شمال إفريقيا و البلدان الأخرى للاحتجاج جماعيا ضد ما أسماه بالنداء.⁽⁵⁾ بالفعل انعقد المهرجان في 26 ماي ألقى خلاله مصالي خطابا شجب فيه عدم حضور الحزب الشيوعي، كما بين فيه علاقته بالدين من حيث هو دفاع عن الهوية الوطنية و استرجاعها. فقد أكد على أن فرنسا بهذه السياسة لم تزد سوى في مستوى القمع. و الأخطر من ذلك يقول: "هو أن تقنين التعليم القرآني يرمي إلى القضاء على تقاليد الثقافة الإسلامية. و أما بشأن حظر وعظ العلماء في المساجد، فإن إجراء كهذا هو استفزاز حقيقي للإسلام".⁽⁶⁾ ثم أجاب بعد ذلك على سؤال على من القاعة مفاده ماذا يجب أن نعمل؟، بقوله: "... بأن المسلمين لهم الحق في اللجوء للدفاع عن دينهم، إلى جميع الوسائل حتى العنف عند الاقتضاء. و عليهم إذا لزم الأمر حماية مساجدهم بالسلاح في اليد".⁽⁷⁾

كم أكد مصالي في الكثير من الأوقات على عدم محاربة المسلم لأخيه المسلم، ففي اجتماع 15 سبتمبر 1934 دعا الحاضرين إلى عدم توجيه السلاح نحو إخوانهم من المسلمين، بل الأخرى توجيهه نحو فرنسا الإمبريالية العدو الحقيقي للبشرية. و ذهب أبعد من ذلك عندما شجب إرسال وحدات جزائرية إلى المغرب و طلب من المسلمين أن يرفضوا قتال إخوانهم مستخدما العبارات التالية: "إن الشمال - إفريقيا لا ينبغي أبدا أن يجاربوا من أجل فرنسا لا

1- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 108.

2- نفسه، ص 109.

3- سورة الأنفال، الآية 46.

4- سورة آل عمران، الآية 103.

5- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 109.

6- نفسه، ص 110.

7- نفسه، ص 110.

في الجزائر و لا في المغرب و لا في الريف. إذ كان من الواجب أن يموتوا محاربين فليكن ذلك على الأقل من أجل بلدانهم بالكفاح من أجل استقلالهم و دينهم." (1) و المتمعن في هذا الكلام يرى مدى تشدد صاحبه و تمسكه بموقفه الذي يرفض محاربة المسلم لأخيه المسلم مهما كانت الظروف و الأحوال. و الواضح أن مصالي الحاج المتأثر بالمبادئ الإسلامية التي تلقاها خاصة في مراحل حياته الأولى عن طريق الأسرة و الطريقة الدرقاوية التي تنتمي إليها عائلته، قد استوحى هذه المواقف من الدين الإسلامي الذي يمنع بل يحرم محاربة المسلم أخيه المسلم، و هذا ما جاء في الكثير من الآيات القرآنية الكريمة الدالة على ذلك، فمثلا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (2) و يمنع كذلك الإسلام مولاة الكفار و الوقوف إلى جانبهم خاصة إذا كانوا في موقف المحاربة للإسلام و المسلمين في قول الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (3) كما ظهر ذلك التمسك بالهوية الإسلامية في رفض الحزب للتحسس، فمعظم - حسب رأيه - المتطورين يفضلون المحافظة على أحوالهم الشخصية لأن التحلي عنها معناها القطيعة مع المجتمع. (4)

الكثير من الأحداث تؤكد على تمسك هذه الشخصية العصامية، مصالي، بالإسلام كدين و مرجعية، ففي ما يخص جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فإنه تفادى الدخول في صراع معها على الأقل إلى غاية سنة 1936. و الأكثر من ذلك فقد قدم للعلماء يد المساعدة داخل فرنسا، إذ دفع بمناصلي النجم إلى قبول الانضمام إلى نادي التربية (5) الذي أسسته الجمعية بفرنسا، غير أن هذا أثار مخاوف الجمعية فتسبب ذلك في القطيعة. (6) و هذا الاهتمام بنجاح نادي التربية هو في نظرنا من قبيل الحرص على الدين الإسلامي و على نجاح الدروس التي كانت تقدمها الجمعية بفرنسا بهدف ربط أبناء الجالية المغتربة بهويتهم و وطنهم الجزائر، فأراد بذلك مصالي أن يساهم و لو مساهمة بسيطة في ذلك.

و في الحوار الذي خص به جريدة العدالة يؤكد مصالي الحاج على هذا البعد الإسلامي في أدبيات التيار عندما يتحدث عن تكوين "الجزائر المسلمة من شعب له لغته الخاصة، و دينه،.... و تقاليده الإسلامية." و عندما يتحدث عن الاستقلال الذي يعتبره أمرا طبيعيا "متجذرا في قلب كل مسلم جزائري." (7) و في نفس السياق يؤكد ديننا الإسلامي، كما حركتنا، ديمقراطي بالأساس. و في آخر الحوار يصرح "أحب كثيرا بلادي، و أحب لغتي الأم - يقصد اللغة العربية -، و أحب تقاليدي الإسلامية و أسعى لإخراجها من هذه الوضعية المزرية." (8)

1- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 96.

2- سورة النساء، الآية 93.

3- سورة آل عمران، الآية 28.

4- Tayeb, (Chentouf), op.cit, p 128.

5- للمزيد حول نشاط هذا النادي، يرجع إلى الفصل الثاني من هذا الباب.

6- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 152.

7- محفوظ، (قداش)، محمد، (قناش)، المرجع السابق، ص 26.

8- محفوظ، (قداش)، محمد، (قناش)، المرجع السابق، ص 29.

و عندما التقى 'مصالي الحاج'، سنة 1936، بشكيب أرسلان في سويسرا، تغيرت أفكاره فارتكز حزب نجم شمال إفريقيا على الفكرة الأساسية للاستقلال في إطار إحياء الإسلام و الأمة العربية. (1) و قد مكن تجذر هذا الحزب في أوساط الجماهير من ترسيخ دور الإسلام في الإيديولوجية الوطنية.

و عندما كان مصالي معتقلا و في تصريح له أمام محكمة الجزائر العاصمة بتاريخ 2 نوفمبر 1937 أبرز فيه مطالب حزب الشعب الجزائري لم يمنعه ذلك من أن يستعمل لفظ المسلمين عندما يؤكد أن الوقت قد حان بالنسبة لحكومة الجبهة الشعبية لكي "تبدأ في ربح ثقة و محبة المسلمين عن طريق الانقلاب على مستقبلهم و الاستجابة لمطالبهم المتعجلة، و كذا عن طريق تطبيق سياسة تحريرية." (2) و صرح كذلك أن: "من مصلحة الجميع التقارب، و التفاهم في سياسة صادقة و صريحة و قادرة على ربح ثقة الجزائر المسلمة و الإسلام." (3) و هنا أراد مصالي الحاج أن يثبت التصاق الجزائر بالإسلام و أن الدين الذي ارتضى لهذا الشعب هو الدين الإسلامي، و هذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ (4)

و من الأحداث التي تظهر لنا تمسك هذا التيار بالدين الإسلامي، مشاركة مناضلي حزب الشعب في مهرجان 14 جويلية، و قد ترأس الوفد رئيس الحزب مصالي الحاج، محاطا بالمناضلين الذين رفعوا العلم الوطني (أخضر و أبيض عليه هلال و نجم باللون الأحمر). و كان المناضلون يكررون شعارات أبرزها: " يحيي حزب الشعب الجزائري"، " تحي الحرية"، " يحيي الإسلام" (5) إن هذا الشعار الأخير يؤكد على تمسك هذا التيار بالمرجعية الإسلامية و أن الإسلام هو المحرك الأساسي في عملية التحرر و الانعتاق من الاستعمار.

أما في برنامج حزب الشعب لعام 1938 فقد جاء في الميدان السياسي الاعتراف بالدين الإسلامي مع رجوع الحبوس و تسيره من قبل أصحاب الدين، و هذا دلالة قطعية على اهتمام هذا التيار بالدين الإسلامي و حرصه على عودة شؤونه و أماله إلى أصحابه الطبيعيين و هم جماعة المسلمين. و هذا الاهتمام الدافع من ورائه هو احترام الإسلام و تقديسه و الدود عن حماه.

كما نجد الكثير مما يدل على هذا البعد الإسلامي و الروحي في أدبيات هذا التيار من خلال ما يكتب من مقالات في الجرائد و المجلات فمثلا: في مقال تحت "عنوان حاجة الجزائر إلى الاتحاد" الذي نشر بمجلة تونس الفتاة في 19/07/1939 و من إمضاء الفتى الوطني، نجد هذا الكاتب يبدأ المقال بالآية القرآنية الكريمة ﴿وَلَا تَنَارَ عُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (6) عندما يتحدث عن الاتحاد الذي هو مسعى هذا التيار و غايته في ذلك تحقيق الوحدة الجالبة لأسباب القوة الكفيلة بتحقيق الانتصار على الاستعمار الفرنسي. و يذهب الكاتب في أن من أسرار الإنسان التي رقت الشعوب و نهضت بها و جعلتها أمة مهابة محترمة هو الاتحاد و الوئام و ترك الخلاف

1-Tayeb,(Chentouf), op.cit,p 127-128.

2- محفوظ،(قداش)، محمد،(قناتش)، المرجع السابق، ص 31.

3- محفوظ،(قداش)، محمد،(قناتش)، المرجع السابق، ص 32.

4- سورة آل عمران، الآية 19.

5- بنيامين،(سطورا)، المرجع السابق، ص 170.

6- سورة الأنفال، الآية 46.

و النفاق، و هذا تصديقا لقوله الله تعالى في محكم تنزيهه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁽¹⁾ و يضيف الكاتب "أن المعتصم بحبل الله المتشوق لنيل المثارب يرى في ماضي المسلمين السابقين دليلا واضحا على ذلك. فهم - قدس الله أرواحهم- لم يتوصلوا لملك الحافقين في نصف القرن إلا بالاتحاد و الإخاء و الإخلاص و الثبات و ما نزل خلفهم - نحن- لهذا الحضيض من الذل و الانحطاط- إلا ما حفظ ربك- سوى بالتنازع و الاختلاف و الشقاق"⁽²⁾

كما استعمل الكاتب لفظ الأمة في أكثر من موقف، ففي مثلا: "...من دعاية واسعة لتوحيد صفوف الأمة..." و في "...إلا لما رأوه فيه من تشتيت و تمزيق لشمل الأمة..." و في كذلك: "...و التكالب وراء الأغراض الشخصية التي ما حلت في أمة إلا أهلكتها." و هذا اللفظ استقاه الكاتب من ثقافته الإسلامية، فلفظ الأمة تكرر في العديد من المرات في القرآن الكريم فمثلا: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾

كما تكرر استعمال عبارة الجبهة الإسلامية الجزائرية مرتين عندما أكد الكاتب على أن حزب الشعب الجزائري يريد من وراء الاتحاد أن يجمع شمل كل الجزائريين في جبهة واحدة تحقق القوة و المنعة و تجلب النصر و الانتصار. كما أنه أي الكاتب استعمل لفظ إن شاء الله التي تدل على يقين المسلم بأن كل ما يقوم به من أعمال و أفعال إنما هو حركة تتم بإذن الله تعالى و تحت مشيئته.

و في نفس السياق جاء مقال آخر تحت عنوان "الجبهة الإسلامية الجزائرية تفرض نفسها" نشر في جريدة البرلمان الجزائري من توقيع ابن تومرت بتاريخ 17 جوان 1939، يتحدث فيه الكاتب عن الاتحاد و الدعوة لإنشاء جبهة إسلامية جزائرية التي هي المطلب المحتوم. ثم يذهب الكاتب إلى أن حزب الشعب الجزائري الذي هو التنظيم الإسلامي الجزائري الوحيد الذي يعرف حقيقة الحكمة المعروفة "في الاتحاد قوة"⁽⁴⁾ و الذي يبذل في سبيل تحقيقها الجهد و الوقت و النشاط لأنه على علم أن الاتحاد هو السبيل الوحيد للتصدي للاستعمار الفرنسي بل و للتخلص منه و تحطيم قيوده و أغلاله.

و قد استعمل الكاتب الكثير من العبارات و الجمل التي تحمل دلالات إسلامية منها: المؤتمر الإسلامي، جبهة إسلامية، تنظيم إسلامي، التنظيمات الإسلامية، المسلمين، و هذا كله للتعبير على أن التيار الاستقلالي ما هو إلا تيار وطني ينبع من بيئة إسلامية تمقت الذل و التفرقة و تسعى نحو الوحدة و الانتصار.

يتأكد البعد الإسلامي عند هذا التيار عندما يعارض مشروع بلوم- فيوليت، ففي الكثير من المقالات التي كتبت هنا و هناك هذا التأكيد. لقد جاء في مقال بعنوان "مشروع بلوم- فيوليت يعود مجددا" في مجلة العمل التونسي

1- سورة آل عمران، الآية 103.

2- محفوظ، (قداش)، محمد، (قناش)، المرجع السابق، ص 40.

3- سورة البقرة، الآية 134.

4- محفوظ، (قداش)، محمد، (قناش)، المرجع السابق، ص 42.

بقلم فليته أحمد (1) بتاريخ 11 ديسمبر 1937 يعزز هذا البعد عندما يتساءل - موجهها السؤال إلى أتباع المشروع - "و لكن لا أرى لماذا تريدون أن تدخلوا شعبا برمته في هذا المسار. و الشعب الجزائري المسلم لديه ماض مشرف، و دين و لغة يختلفان تماما عن دين و لغة فرنسا، و لا يوجد ما دفعه للتشكر لهما." (2) و يؤكد أن سياسة الادماج في الجزائر و الدليل في ذلك أن الشعب الجزائري ثار ضد هذه السياسة، و عانق سياسة الانعتاق. و في مقال آخر تحت عنوان "لماذا يرفض حزب الشعب الجزائري مشروع فيوليت" لصاحبه توارى محمد و الذي نشر في مجلة العمل التونسي بتاريخ 26 فيفري 1938 تأكيد على رفض حزب الشعب الجزائري لهذا المشروع و يعطي في ذلك الأسباب من وراء ذلك. و يؤكد على أن الاستعمار منذ حلوله و بمختلف سياساته القائمة لم يتمكن من جعل الجزائري يتخلى عن دينه الإسلام، بل إن "الشعب الجزائري لن يبيع نفسه و سيقى مسلما." (3) ثم يؤكد أن الشعب الجزائري يرفض سياسة الإدماج لأن لهذا الشعب دينه، و لغته، و كتابته، و أدبه، و تاريخه، الذين يعتز و يفخر بهم. و لأن هذا المقال كتب بقلم مسلم فلم يغفل هذا الكاتب من استعمال الألفاظ و العبارات الدالة على ذلك و منها: الإسلام، مسلما، ديننا، القرآن، ندعو الله.

و في مقال بعنوان "حزب الشعب الجزائري يسعى لتحرير الشعب الجزائري" بقلم طارق و الذي نشر في جريدة البرلمان الجزائري بتاريخ 17 جوان 1939 يتحدث فيه الكاتب عن فشل سياسة الإدماج و سياسة التجنيس و يؤكد أن الشعب الجزائري لا يمكن دمجهم. و استعمل الكاتب الكثير من الألفاظ و العبارات الدالة على البعد الإسلامي للمقال و للتيار الذي ينتمي إليه، فمثلا جاء في قوله: "بالنسبة للمسلم الجزائري، يمثل التجنيس من الناحية الدينية و طبقا لروح و نص القرآن، ردة." (4) و هذا امتثالا للعديد من الآيات القرآنية و الأحاديث الشريفة الدالة على ذلك. كما استعمل الكاتب الكثير من العبارات الأخرى مثل: للمسلمين، المسلم، الشعب المسلم، المسلمون، مسلمي الجزائر للدلالة على هذا التوجه الديني الإسلامي في الخطاب الخاص بالتيار الاستقلالي.

كما يبرز في مقال بعنوان "رسالة إلى مصالي و رفقائه في الجهاد" البعد الإسلامي و رمزية العبارات المستعملة الدالة على ناموس هذا المقال، و من هذه العبارات نجد "أسوتكم الحسنة" التي عبر بها القرآن في الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (5) ، و كلمة "غياهب السجن" التي اشتقت من سورة يوسف في قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَاتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (6) ، و كذلك كلمة "المجاهدين" و في "الجهاد" التي اشتقت

1- من مواليد مدينة مديّة، انخرط في حزب نجم شمال إفريقيا، ثم أصبح المسؤول عن خلية حزب الشعب ببوفاريك عام 1937. لعب دورا كبيرا في نجاح الحزب في انتخابات أكتوبر 1937 أين تحصل على 311 صوت من أصل 466 صوت في بوفاريك، و هذا ما مكنه ليصبح عضوا في اللجنة المديرية للحزب بالجزائر عام 1938. ألقى عليه القبض من قبل حكومة فيشي ليحكم عليه بثلاث سنوات سجنًا، و 15 سنة بالنفي و فقدان كامل حقوقه المدنية للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens

1926-1954,op.cit,p 204.

2- محفوظ، (قداش)، محمد، (قناش)، المرجع السابق، ص 51.

3- محفوظ، (قداش)، محمد، (قناش)، المرجع السابق، ص 54.

4- نفسه، ص 57.

5- سورة الأحزاب، الآية 21.

6- سورة يوسف، الآية 15.

من فعل جاهد الذي جاء في القرآن الكريم في أكثر من موضع و منه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾⁽¹⁾ كما جاء في هذا المقال الاستعانة بمصطلح "الأمة" في قول الكاتب: "إن حزب الشعب الجزائري قد حقق وحدة الأمة الجزائرية..."⁽²⁾ و هذا المصطلح نجده المذكور في مواقف كثير من القرآن الكريم فمثلا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾⁽³⁾ و في الأخير ختم الكاتب الحكيم سليمان بن سليمان مقاله بالدعاء للمناضلين و المجاهدين بتحقيق الله لهم أملهم في قوله: "حقق الله الآمال."⁽⁴⁾ و هذه شهادة منه و تعبير عن التمسك بجبل الله المتين و الرجاء في الله الذي يحقق الآمال الأمامي.

و في رسالة بعث بها رئيس الحزب مصالي الحاج إلى جريدة "الشعب" ما يظهر ذلك التعلق بالدين الإسلامي و استشهاده في الكثير من المواقف ببعض الآيات المستمدة من القرآن الكريم. فعندما يتحدث عن اتهام الحزب و مناضليه بالشيوعية، فهو يستشهد بالآية الكريمة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾⁽⁵⁾ و كذلك بالآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾⁽⁶⁾ كما استعمل رئيس الحزب مصطلحات و عبارات كثيرة لها دلالة إسلامية منها: "الأمة المجاهدة" و "المسلم"، و "للجهاد"، و "جهادها"، و غيرها ما تدل على تمسك صاحب الرسالة بالمبادئ الإسلامية و نشأته الإسلامية خاصة إذا علمنا أن مصالي الحاج من أسرة كانت تعتبر الزاوية من المقدسات. و استشهد في بعض فقرات الرسالة بآيات قرآنية فعندما يشيد بجريدة "الشعب" و يصفها بأنها "جريدة كفاح و جريدة تهذيب و قائدا رشيدا أمام الشباب"⁽⁷⁾ يستعين ببعض القرآن فيقول: "و أنه العمل لو تعلمون عظيم"⁽⁸⁾ و الذي أخذه من قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾⁽⁹⁾

و في ختام رسالته يوجه مصالي الحاج نداءه إلى الشعب ليحيي مع الحزب هذه الجريدة و أن يعينه على الجهاد في سبيل الأمانة الوطنية، و يعتمد مرة أخرى على القرآن الكريم عندما يستنبط منه المعاني و العبارات فيقول: "... في سبيل هذه الأمانة الوطنية التي نفتخر و نضطلع بأعبائها و يشتمز كثير من الناس من حملها..."⁽¹⁰⁾ و قد نسج تعبيره من خلال قول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾⁽¹¹⁾

- 1- سورة النحل، الآية 110.
- 2- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانتش)، المرجع السابق، ص 79.
- 3- سورة النحل، الآية 93.
- 4- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانتش)، المرجع السابق، ص 80.
- 5- سورة محمد، الآية 31.
- 6- سورة التوبة، الآية 81.
- 7- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانتش)، المرجع السابق، ص 176.
- 8- نفسه، الصفحة نفسها.
- 9- سورة الواقعة، الآية 76.
- 10- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانتش)، المرجع السابق، ص 177.
- 11- سورة الأحزاب، الآية 72.

و في مقال لأبي علي تحت عنوان "استشهاد الأخ كحال أرزقي في ميدان الشرف لأجل الجزائر" ما يظهر لنا ذلك الارتباط بالعميقة الإسلامية و الاعتماد على الرصيد اللغوي الذي استفاد هؤلاء المناضلين من القرآن الكريم، فاستعمال فعل يستشهد في قوله: "لأول مرة في تاريخ الجزائر الحديثة يستشهد مناضل و مسؤول في حزب الشعب الجزائري في السجن..."⁽¹⁾ و هذا تكرر كثيرا في القرآن فمثلا في قول الله تعالى: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾⁽²⁾ و في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾⁽³⁾

كما استعمل الكاتب مصطلح "المسلمون" و "الإسلامي" و قد استنبط ذلك من رصيده اللغوي القرآني إذ جاء مصطلح "المسلمون" في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرُّوا رَشَدًا﴾⁽⁴⁾ و أما مصطلح "الإسلام" فجاء في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽⁵⁾ و في قوله كذلك: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁶⁾ و في قوله كذلك: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾⁽⁷⁾

كما نجد هذه المصطلحات و المعاني المستمدة من الشريعة الإسلامية في رسالة مصالي الحاج المؤرخة بتاريخ 12 نوفمبر 1936 الموجهة إلى الأمة الجزائرية، و التي أوردتها الأستاذ محمد الأمين بلغيث في كتابه تاريخ الجزائر المعاصر دراسات و وثائق، تحت اسم: رسالة مصالي الحاج البرنامج.⁽⁸⁾

تبدأ الرسالة بالبسملة كما هو متعارف في تحرير الوثائق الإسلامية، و هي: "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم تليها جملة من رئيس الحزب الوطني الجزائري مصالي الحاج إلى الأمة الجزائرية الكريمة. و لعل مصطلح الأمة هنا مقتبس من القرآن إذ يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾⁽⁹⁾ ثم يقسم بالله أن يضحى في سبيل حرية هذه الشعب و سعادته بأخر قطرة من دمه، و هذا القسم عظيم و لا يقسم به إلا من تيقن به و تمسكت به روحه، و يستشهد في هذا لمقام بالآية الكريمة: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁰⁾ ثم يطرح السلام على الشعب في قوله: "سلام عليك يا شعب يوم ولدت حرا عزيزا"⁽¹¹⁾

1- محفوظ، (قداش)، محمد، (قناتش)، المرجع السابق، ص 196.

2- سورة الزمر، الآية 70.

3- سورة النساء، الآية 69.

4- سورة الجن، الآية 14.

5- سورة المائدة، الآية 03.

6- سورة الصف، الآية 07.

7- سورة آل عمران، الآية 19.

8- هذه الرسالة أو النداء أو الرسالة البرنامج وجدها- كما يذكر المؤرخ بلغيث- عند الأستاذ خالد مكي ابن المرحوم الشاذلي مكي. ينظر: محمد الأمين، (بلغيث)، المرجع السابق، ص 310.

9- سورة البقرة، الآية 143.

10- سورة الواقعة، الآية 76.

11- محمد الأمين، (بلغيث)، المرجع السابق، ص 311.

كما استعان مصالي الحاج بالكثير من المصطلحات المستمدة من القرآن الكريم و الآيات القرآنية الدالة على تمسك هذه الشخصية بكل ما له صلة بالدين الإسلامي و تبرز تكوينه الديني. و من المصطلحات نجد ما يلي: رب العالمين، الأمة، الله، الملائكة، بلغت الروح التراقي⁽¹⁾ ، المجاهد، بالله⁽²⁾، إسلامك، القرآن، الله⁽³⁾ ، الأمة، و ما أسكر كثيره فقليله حرام، فو الذي خلق⁽⁴⁾، الأمة، شيعا، الله، الإسلام⁽⁵⁾، و الله، ربك، القرآن، رب العالمين⁽⁶⁾ كما نجده كذلك في رسالته يقتبس العديد من الاقتباسات من القرآن الكريم و هذا في قوله: "و بلغت الروح التراقي"⁽⁷⁾ التي أخذها من قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقِي﴾⁽⁸⁾ و كذلك في قوله: "إنها لإحدى الكبرى"⁽⁹⁾ التي اقتبسها من قول الله تعالى: ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرَى﴾⁽¹⁰⁾ و كذلك قول مصالي الحاج بي: "لا نخلفه نحن و لا أنتم مكانا سوى"⁽¹¹⁾ و الذي أخذه من قوله عز و جل: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾⁽¹²⁾ و كذلك اقتباسه "ليوم لا رب فيه"⁽¹³⁾ من الآية الكريمة التالية: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾⁽¹⁴⁾

كما استعان الكاتب بالكثير من الآيات القرآنية التي بلغت في هذه الرسالة 17 آية، و منها: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁵⁾ و كذلك: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽¹⁶⁾ و كذلك: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾⁽¹⁷⁾ و كذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾⁽¹⁸⁾ ثم ختم رسالته بالسلام في قوله: "و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته"⁽¹⁹⁾ و هذه التحية هي تحية المسلمين فيما بينهم و تحية أهل الجنة يوم يلقونه فيها سلام.

1- نفسه، ص 311.

2- نفسه، ص 312.

3- نفسه، ص 313.

4- نفسه، ص 315.

5- نفسه، ص 316.

6- نفسه، ص 317.

7- نفسه، ص 311.

8- سورة القيامة، الآية 26.

9- محمد الأمين، (بلغيت)، المرجع السابق، ص 313.

10- سورة المدثر، الآية 35.

11- محمد الأمين، (بلغيت)، المرجع السابق، ص 315.

12- سورة طه، الآية 58.

13- محمد الأمين، (بلغيت)، المرجع السابق، ص 316.

14- سورة آل عمران، الآية 09.

15- سورة العنكبوت، الآية 96.

16- سورة الأنعام، الآية 153.

17- سورة الكهف، الآية 05.

18- سورة آل عمران، الآية 118.

19- محمد الأمين، (بلغيت)، المرجع السابق، ص 317.

ربما استعان الحزب منذ عام 1933 بالمرجعية الإسلامية التي بلغت ذروتها مع حزب الشعب الجزائري و يرجع ذلك إلى تأثيرات أفكار شكيب أرسلان، و صعود مثقفين ذوي توجه إسلامي مثل: محمد قناش و مفدي زكرياء و التحاق بعض العلماء بداخله بعد انتقاله إلى الجزائر و انتشاره فيها.(1)

أما فيما يخص حركة الانتصار للحريات الديمقراطية التي تراجع فيها التوجه الإسلامي نسبيا فمرد ذلك إلى التحاق مثقفين تخرجوا من المدارس و الجامعات الفرنسية بهذا التيار، فحملوا معهم تأثيرات المدرسة الفرنسية عليهم.(2) ففي إحدى الوثائق الأساسية للحزب عام 1951 تم إبعاد العنصر الديني الإسلامي عن الوطنية الجزائرية بالقول: "إن الجزائري يفصل بوضوح بين الوعي الوطني و الوعي الديني".(3) أو ربما هذا مرده إلى الإستراتيجية الجديدة التي بدأ يتبناها الحزب بخصوص التوغل إلى كل الشرائح الشعبية و نشر أفكاره بين أوساطها.(4)

و رغم كل هذا فقد لاحظنا أن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بقيت وفية للكثير من المبادئ المنبثقة من شريعتنا الغراء، و منها الوحدة و التضامن إذ قامت في شهر جانفي 1948 بالإمضاء على بيان عبد الكريم الخطابي الذي أعلن عن ميلاد لجنة تحرير المغرب العربي بمدينة القاهرة.(5) و إن دل هذا إنما يدل على وفاء الحركة لمبادئ الوحدة و التعاون بين الدول الإسلامية مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾(6) كما أن الحركة لم تغفل القضية الجوهرية آنذاك التي تخص كل المسلمين و هي القضية الفلسطينية، إذ ساهمت في اللجنة التي أنشأت لمساعدة فلسطين العربية، و أكثر من ذلك فقد تعهد الكثير من المناضلين للذهاب مشيا إلى فلسطين.(7)

و مع كل ذلك التوجه البعيد عن الإسلام نسبيا نرى أن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية قد استعانت بالكثير من المصطلحات مثل ما جاء في اللائحة العامة للمؤتمر الثاني لها عندما تحدثت عن أسس الدولة الجزائرية المستقلة فذكرت ضرورة احترام العقائد الدينية وفقا لروح الإسلام و تقاليد، و ثقافة وطنية متصلة بالثقافة العربية الإسلامية.(8)

و يرى الأستاذ رابح لونيبي أن المؤتمر قد سادته - خلال المؤتمر الثاني للحركة المنعقد عام 1953 - نقاش حاد حول شكل الدولة الجزائرية، حيث اقترح بعض المؤتمرين إقامة جمهورية جزائرية إسلامية. لكن عارض البعض هذا الاقتراح مخافة إعطاء الفرصة لفرنسا فتؤلب الأمم الأوروبية ضد الجزائر، و عليه تم الاتفاق على جمهورية جزائرية

1- رابح،(لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 112.

2- نفسه، ص 112.

3- نفسه ، ص 113.

4- Djanina,(Messali- Benkelfat), ,Une vie partagée avec Messali Hadj, Mon père,op.cit, p 103.

5- Djanina,(Messali- Benkelfat),op.cit, p 111.

6- سورة المائدة، الآية 02.

7- Djanina,(Messali- Benkelfat),op.cit, p 112.

8- رابح،(لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 115.

ديمقراطية اجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية.(1) كما ركز هذا التيار على نشر الثقافة القومية العربية الإسلامية، و احترام العقائد الدينية المختلفة.(2)

كما فصح نداء اللجنة المركزية لحركة الانتصار من أجل مؤتمر وطني جزائري في 10 ديسمبر 1953 على ممارسات الاستعمار اتجاه اللغة العربية باضطهاد المدارس الحرة، في حين أن المندوبين الفرنسيين لدى هيئة الأمم المتحدة يؤكدون بأن المدارس تتضاعف في شمال إفريقيا و أن اللغة العربية محترمة. (3) و أكد كذلك على أن الإدارة الاستعمارية تسيطر على الدين الإسلامي بالسيطرة على المساجد و الجوس، و هذا الحرص إنما منبعه حب الدين الإسلامي و الذود عنه. و في هذا الصدد فقد ركز الحزب خلال مشروع برنامج العمل المقترح على ضرورة استقلالية الدين الإسلامي عن الإدارة الاستعمارية. (4)

و رغم كل هذا و ذاك فقد يتضح من خلال إطلالة على البيئة التي تربى و ترعرع فيها مصالي الحاج ، فهو كما نعلم ابن الطريقة الدرقاوية، و أمه ابنة قاضي و والده كان حارسا لضريح سيدي عبد القادر الجيلالي،(5) و عليه فقد كبر في وسط عربي مسلم، فلا يمكنه التخلي عن مبادئه التي تربى عليها و النابعة من تعاليم الإسلام.

رابعا: البعد الإسلامي في الإنتاج الأدبي للتيار الاستقلالي:

أسهم النشر من خطابة، ومقالة، ومسرحية، وقصة، ورواية، إلى جانب الشعر في المقاومة السياسية، ويمكن الإشارة هنا إلى أهمية هذا الميدان في التعريف بالنشاط السياسي و تغلغل الأفكار الوطنية في أوساط الجماهير الشعبية، و التأريخ لأحداث هذه الفترة من حياة الجزائر و الجزائريين.

لقد استطاع أصحاب هذا التيار أن يصنعوا لأنفسهم و لتيარهم طريقا في مجال الكتابة الأدبية الثرية منها و الشعرية، فبرز الكثير من الكتاب و ظهرت بالموازاة العديد من الإبداعات الأدبية التي كانت تظهر هنا و هناك في جرائد التيار(6) أو في جرائد أخرى ممن تعاطف معهم أو ساندتهم من داخل الجزائر أو خارجها.

نجد من أبرز كتاب و شعراء هذا التيار شاعرنا الكبير مفدي زكرياء الذي نشر العديد من المقالات في الجرائد التونسية و المصرية. و المتمعن في إبداعه الأدبي يجد تأثير الدين الإسلامي و اعتماده على الكثير من العبارات و المصطلحات المستمدة من المعجزة اللغوية للقرآن الكريم فمثلا: في نشيده المسمى "نشيد الشهداء" الذي نظمته في سجن بربوس بالزنزانة رقم 65 بتاريخ 29 نوفمبر 1937، و الذي جاء في مطلعته:

أعصفي يا رياح و اقصفي يا رعود

1- نفسه، ص 116.

2- يحيى، (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، المرجع السابق، ص 506. يمكن أيضا العودة إلى: عبد الرحمان، (كيوان)، المصادر الأولية لثورة أول نوفمبر 1954 ثلاثة نصوص أساسية لـ "ح.ش.ج. ح.ا.ح.د (PPA-MTLD)، تر: أحمد شقرون، منشورات دحلب، الجزائر، 2004، ص 117.

3- عبد الرحمان، (كيوان)، المرجع السابق، ص 136.

4- عبد الرحمان، (كيوان)، المرجع السابق، ص 143.

5 -Khaled,(Merzouk),op.cit,p 132.

6- لقد تأسست جرائد حتى في السجن نذكر منها: جريدة الأيام النصف الشهرية تكتب باليد في ثماني صفحات، و جريدة القاملة المقلوبة (La Gamelle Renversée) و هي جريدة هزلية كاريكاتورية. أنظر: محفوظ، (قداش)، محمد، (قناش)، المرجع السابق، ص 176.

و انخني يا جراح و احدقي يا قيود⁽¹⁾

فقد استعمل فيه ذلك الرصيد اللغوي الإسلامي مثل: "الجهاد" في قوله: "لا نمل الكفاح لا نمل الجهاد"⁽²⁾ التي تتردد كثيرا في هذا النشيد.

لقد استطاع شاعر الجزائر كذلك أن يخلد لنا بعض من مذكرات و أحوال السجن، ففي أدبه الذي كتبه داخل السجن نجد كتاباته عن تلك الأيام فيستعمل في هذا الكثير من المصطلحات و العبارات المستوحاة من الشريعة الإسلامية و المصبوغة بالطابع الإسلامي، فمثلا في "مذكرات بربروس" يستعمل كلمة "الجهنمي" التي استقاه من مصطلح "جهنم" المأخوذة من القرآن الكريم إذ يقول الله تعالى في هذا الصدد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾⁽³⁾ كما استعمل مصطلح "الشیطان" مثلا في: "... عقد حلفا بينه و بين الشيطان أو هو الشيطان نفسه." أو في قوله: "نحن ثلاثة في عين الشيطان."⁽⁴⁾ و مصطلح الشيطان ورد في الكثير من آيات القرآن الكريم فمثلا: في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾⁽⁵⁾ أو في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾⁽⁶⁾ و استعمل كذلك مصطلح "الشهداء" الذي جاء في عبارات عديدة منها: "... إن أرواح الشهداء ستحدو موكب الحزب من وراء جدران سجنها إلى الحرية و المجد." أو في قوله: "... و لتصبح رحاب السجون بالضحايا و الشهداء..."⁽⁷⁾ و في هذا الصدد قد استعرض القرآن الكريم الآيات التي تتحدث عن الشهداء منها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾⁽⁸⁾ كما استعمل الكاتب كذلك مصطلح "الجهاد" في قوله: "... على لسان رفقائي إخوانكم في الجهاد..."⁽⁹⁾.

كما جاء في كتاباته المسماة "ملاحظات نزيهة من رسالة صديق" و التي أمضاه باسم أبي فراس استعماله الكثير من الرصيد اللغوي و المعرفي المستمد من الذكر الحكيم فاستعمل كلمة "الله" خمس مرات و "الرب" مرة واحدة فمثلا جاء في قوله: "إنها و الله مصيبة تذهب لها نفوسنا حسرات... و كذلك: "... فما وسع الأستاذ إلا أن قام و حمد الله..."⁽¹⁰⁾ و استعان في الكثير من المرات بالتعبير القرآني الصريح في مثل قوله: "... فلا تسمع

1- نفسه، ص 216.

2- نفسه، ص 216-217.

3- سورة البقرة، الآية 206.

4- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانش)، المرجع السابق، ص 218.

5- سورة البقرة، الآية 168.

6- سورة النساء، الآية 38.

7- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانش)، المرجع السابق، ص 221.

8- سورة الحديد، الآية 19.

9- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانش)، المرجع السابق، ص 221.

10- نفسه، ص 222-226.

لهم ركزا...⁽¹⁾ الذي أحذه من قول الله تعالى: ﴿تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾⁽²⁾ و نجد عبارة "يا رسول الله" تتكرر ثلاث مرات في قوله: "يا رسول الله يا رسول الله" و في كذلك: "... و تقولون بدوركم يا رسول الله...⁽³⁾" كما استعمل الكاتب الكثير من المصطلحات التي لها دلالات إسلامية منها: الجهاد، الإسلام، و العقيدة.

لقد استطاع الشاعر و الكاتب مفدي زكرياء أن ينقل لنا الكثير من الوقائع و الأحداث بل حتى الكثير من المشاعر، فها هو في نثره "صوت الجزائر" الذي يتحدث فيه عن حوار ثلاثي دار بينه و بين صديق له من المغرب و سائح آخر من مصر الشقيقة. و قد استعمل كاتبنا في نقل هذا الحوار الكثير من المصطلحات و العبارات القرآنية فنجده يستعمل عبارة "قدس الله أرواحهم في أعلى عليين" و كذلك استعمل مصطلح الإسلام و المسلمة و الإسلامية في قوله: "... و سلم علينا بتحية الإسلام الطيبة المباركة...⁽⁴⁾ و في: "...بين جدران مزغنة المسلمة العربية...⁽⁵⁾ و كذلك في قوله: "...الحالة الأهلية الإسلامية...⁽⁴⁾ و استعمل مصطلح "شيطانية" في قوله: "...بطريقة استعمارية شيطانية...⁽⁵⁾ فأقرن الاستعمار بالشیطان بل هو الشيطان بعينه. و استعان بمصطلح "الشهيد" في قوله: "... و غرم أبناء الشهيد بضرية فادحة...⁽⁶⁾"

أما في نثره "عيدان في عيد" فلم يشد كاتبنا عن قاعدة اعتماده على المصطلحات و العبارات القرآنية، فقد جاء فيه استعمال عبارة "... كحمر مستنفرة فرت من قسورة...⁽⁷⁾" التي أخذها من قوله تعالى: ﴿كَانَهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ۖ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾⁽⁸⁾ كما استعمل عبارة "بحول الله و قوته"⁽⁹⁾ التي لها دلالة الاتكال على الله و التوكل عليه و أنه سبحانه و تعالى له القوة من قبل و من بعد، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾⁽¹⁰⁾ كما استعمل كذلك مصطلحات أخرى منها: الله، و الأمة، و الكفن و اللحد، و مسلمة، و استشهد بالآية الكريمة التالية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹¹⁾ ثم أختتم هذا الوصف للاحتفال بمناسبة خروج زعماء الحزب من السجن المصادف لعيد الأضحى المبارك بمقطع من نشيد: "فداء الجزائر روعي و مالي ألا في سبيل الحرية"⁽¹²⁾

نظم الكثير من مناضلي حزب الشعب القصاصد فها هو المناضل محمد البرهان في قصيدته "بشراك يا شعب"⁽¹³⁾ التي نشرت في جريدة تونس الفتاة أفريل 1939 و التي يقول في مطلعها:

- 1- نفسه، ص 222-226.
- 2- سورة مريم، الآية 98.
- 3- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانتش)، المرجع السابق، ص 226.
- 4- نفسه، ص 228-229.
- 5- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانتش)، المرجع السابق، ص 232.
- 6- نفسه، ص 232.
- 7- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانتش)، المرجع السابق، ص 234.
- 8- سورة المدثر، الآيتان 50-51.
- 9- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانتش)، المرجع السابق، ص 235.
- 10- سورة الذاريات، الآية 58.
- 11- سورة العنكبوت، الآية 69.
- 12- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانتش)، المرجع السابق، ص 237.
- 13- نفسه، ص 238.

أدا حلم، أم أنا في خيال بلى إن هذا محظ الرحال
فؤاد يراه الهوى زمنًا و اذكى جواه صروف الليالي⁽¹⁾

يستعمل مصطلح "الجهاد" حينما يقول: "أمن حزمتم بالجهاد المعالي؟" أو في: "و قد تركا في جهادهما" الذي يعبر عن المصدر الذي يستمد من الشاعر كلماته و عباراته ألا و هو القرآن الكريم.

أما المناضل محمد قنانش فله من الكتابات التي تصب في هذا القلب، فنجد منها: مجموعة مقالات في سجن بربروس تحت عنوان "دروس السجن" التي قدم فيها بعض المذكرات و النظرات عن حياة السجن و أيامه، و بعض القصائد منها قصيدة على "مقصلة الإعدام" وصف فيها أحد المحكومين عليهم بالإعدام من قبل الإدارة الاستعمارية، فاستعمل لفظ الجلالة "الله" في قوله:

فارقبوا مقصلة الله غدا يجتزي المظلوم ممن ظلما⁽²⁾

إن استعمال لفظ الجلالة "الله" يدل على إيمان الكاتب و تمسكه بالله و باليوم الآخر الذي يرجى فيه الحساب و القصاص. و في قصيدته "السجين و البق" التي يسرد فيها قصة الحرب التي يخوضها السجين ضد حشرة البق التي نشرت في تونس الفتاة بتاريخ 23 أوت 1939. و قد استعمل فيها الشاعر كذلك لفظ الجلالة "الله" في قوله:

أم تخاف الله أو تخشى نهار المفزع⁽³⁾

إن المتعمن في القصيدة يدرك أن الشاعر قد أقرن صراعه مع البق بصراعه مع الاستعمار حين يقول:

أني أغار عن عربي و العربي مخدعي

لقد نذرتك و في نذري كبير المنفع

فارحل علينا أو تذوق من سموم الانفع⁽⁴⁾

أما في نشره المسمى "الأيام الأولى في سجن بربروس" يذكر فيها حادثة الاعتقال الذي طاله مع بعض زملائه، و إدخاله السجن. ذكر الشاعر أن مفدي زكرياء كان يومئذ مسجوناً فمر عليهم و رمى بورقة فيها بعض الأبيات الشعرية التي استعمل فيها الكثير من المصطلحات و العبارات منها: "شيطان" في قوله: "و قام على أبوابكم ألف شيطان"⁽⁵⁾ و عبارة "خلد رضوان" في قوله: "و قد حملت أرواحكم خلد رضوان"⁽⁶⁾ و يقصد هنا جنة رب العالمين إذ يقول الله في محكم تنزيله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾⁽⁷⁾ كما استعمل اسم "هامان" حين تحدث عن الصرح في قوله: "و يفخر في الدنيا على صرح هامان"⁽⁸⁾ الذي

1- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانش)، المرجع السابق، ص 238.

2- نفسه، ص 244.

3- نفسه، ص 245.

4- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانش)، المرجع السابق، ص 245.

5- نفسه، ص 251.

6- نفسه، ص 251.

7- سورة التوبة، الآية 21.

8- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانش)، المرجع السابق، ص 252.

استوحاه من القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾⁽¹⁾ و استعمل اسم سليمان عندما تحدث عن أسوار الصرح الذي يطوف على أسواره ألف مارد و جن من جنون سليمان في قوله: "على ألف جن من جنون سليمان"⁽²⁾ و قد اقتبس ذلك كله من قصة سيدنا سليمان التي ذكرها الله في كتابه العزيز في سورة النمل. و استعمل مصطلح "جهاد" في قوله: "ضحايا جهاد في سعادة أوطان"⁽³⁾ و في رد الشاعر محمد قنانش على هذه الأبيات نجد بعض المصطلحات الدالة على البعد الإسلامي في قصائده منها استعمال لفظ الجلالة "الله" في قوله: "قنانش عبد الله"⁽⁴⁾ و استعمل مصطلح "شياطينا" في قوله: "رأينا شياطينا غلاضا"⁽⁵⁾ و مصطلح "رحمان" في قوله: "جمعتهم في الهوى يد رحمان"⁽⁶⁾

أما في مذكراته السجنية الموسومة بـ: "مع سي كحال" فيتذكر رحمة الله عندما يتحدث عن وفاة الأخ سي كحال و يطلب له الرحمة في قوله: "فقد توفي إلى رحمة ربه بعد بضعة أسابيع رحمه الله"⁽⁷⁾ ثم في مذكراته مع مفدي زكرياء فيذكر اللحظات التي عرف و التقى بها بالشاعر و المناضل الكبير مفدي زكرياء، و يستعمل في هذه الكلمات مصطلح "المسلمة" في قوله: "...ليقدموا مطالب الأمة الجزائرية المسلمة"⁽⁸⁾ و عبارة "آذان المغرب" في قوله: "...إلى المنزل لأن آذان المغرب كان حوالي الخامسة."⁽⁹⁾ و في مقاله "في سجن بربروس" يستعمل الكاتب مصطلح "الجهاد" في قوله: "...كلمة الجهاد الموجودة في النشيد الوطني..."⁽¹⁰⁾ ثم استعمل عبارة "رحم الله" عند ترجمه على روح الشاعر الكبير مفدي زكرياء.

لقد تفتنت الحركة الوطنية منذ الوهلة الأولى أن مقارعة العدو الفرنسي تختلف أسلحتها و تتباين وسائلها إذ يجب مواجهة العدو أينما كان و حيثما وجد و في أي مجال كان.

خامسا: البعد الإسلامي في جرائد التيار الاستقلالي:

أصدر التيار الاستقلالي بعض الجرائد التي رافقت نضاله الوطني منها: جريدة "الأمة" التي صدرت في باريس و رافقت حزب نجم شمال إفريقيا من سنة 1930، و عززت حزب الشعب الجزائري سنة 1937. ثم صدرت جريدة "الشعب" باللسان العربي في أوت 1937، لكنها عطلت من قبل الإدارة الاستعمارية. ثم جاءت جريدة "البرلمان الجزائري" في شهر ماي 1939 تصرخ من أعماق سجن الحراش. و قد عطلت مع جريدة الأمة عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية.⁽¹¹⁾

1- سورة غافر، الآية 36.

2- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانش)، المرجع السابق، ص 252.

3- نفسه، ص 252.

4- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانش)، المرجع السابق، ص 252.

5- نفسه، ص 252.

6- نفسه، ص 252.

7- نفسه، ص 254.

8- نفسه، ص 257.

9- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانش)، المرجع السابق، ص 258.

10- نفسه، ص 260.

11- نفسه، ص 172.

لقد حملت جريدة "الأمة" هذا الاسم الذي يدل دلالة واضحة على ركيزة التيار الاستقلالي المبنية على الوحدة و الاعتصام كأساس للقوة و الانتصار، و المصطلح كذلك مأخوذ من القرآن الكريم فقد جاء في أكثر من سورة و آية فمثلا في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾⁽¹⁾ أو في قوله كذلك: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾⁽²⁾

أما جريدة "الشعب" فقد أخذت اسمها تيمنا بقوة الشعب التي لا تقهر، و أما شعارها فجاء ليترجم عن منبعها الإسلامي إذ جاء فيه: "إرادة الشعب من إرادة الأمة و إرادة الله لا تقاوم"⁽³⁾ ثم مباشرة تحت اسم الجريدة تأتي جملة: "لسان الحركة الوطنية بالجزائر المسلمة العربية"⁽⁴⁾ فجاءت هذه العبارة لتؤكد على إسلامية الجزائر و عروبتها.

أما فيما يخص جريدة "البرلمان الجزائري" - رغم أنها كانت تصدر باللسان الفرنسي - إلا أن أصحابها وضعوا لها شعارا يتناسب مع توجه التيار و يؤكد انتماء القائمين بها إلى الدين الإسلامي، إذ وضعوا الآية الكريمة التالية: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁽⁵⁾ كشعار لهم، و الذي يؤكد على التمسك بحبل الله المتين و التقيد بتعاليم الشريعة الإسلامية كأساس للقوة و النجاح.

جريدة "الأمة"⁽⁶⁾:

ظهر أول عدد للجريدة في أكتوبر 1930 فأكدت على مبادئ النجم المبنية على المطالبة باستقلال الجزائر، و الموقف المتصلب ضد الاستعمار. و قد أكد زعيم التيار مصالي الحاج في هذا العدد على ضرورة التنظيم و رص الصفوف الذي هو أساس القوة و التفوق، فقال: "إن إخواننا يجب أن ينظموا أنفسهم لكي ينتزعوا بقوة الحقوق الاجتماعية و إزاحة نير العبودية."⁽⁷⁾

أما في العدد الثاني من الجريدة الذي ظهر في شهر سبتمبر 1931 فقد أكد مصالي في مقال له على ضرورة التضامن و الوحدة، إذ أكد: "إن الاتحاد و الوفاق بين هذه العناصر الثلاثة الثورية الوطنية (و هم الجزائريون و التونسيون و المغاربة) يقود المغرب، تونس و الجزائر في طريق التحرير."⁽⁸⁾ و الاتحاد من المقاصد التي رغبت فيها

1- سورة الأنبياء، الآية 92.

2- سورة الرحمن، الآية 52.

3- محفوظ، (قداش)، محمد، (قناش)، المرجع السابق، ص 173.

4- نفسه، ص 173.

5- سورة آل عمران، الآية 103.

6- الفعل الأكثر أهمية في تاريخ النجم هو إنشاء هذه الجريدة التي اعتبرت الناطق الرسمي باسم الدفاع عن مصالح المسلمين المغاربة. كانت جريدة شهرية ناطقة باللغة الفرنسية مديرتها السياسي مصالي و المسير إيماش عمار. لقد عرفت الجريدة تطورا ملحوظا في انتشارها بسبب الدعم المادي الذي كان يقدم لها من قبل المتعاطفين، فمثلا تم سحب 3 آلاف نسخة عام 1930، ليرتفع العدد إلى 15 ألف عام 1934. للمزيد ينظر:

Mahfoud, (Kaddache), op. cit, p266.

7- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 78.

8- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 78.

الشريعة الإسلامية بل و حثت عليها، ففي قول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁽¹⁾ و كذلك في قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسُيَدِّخِلْهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾⁽²⁾.

أكد الأستاذ سطورا (Stora) أن مرجعية الجريدة إلى الإسلام قد ظهر في عدد نوفمبر/ ديسمبر 1931، فقد طبعت الجريدة قولاً للشيخ عبده بالنبط العريض، و هو: "إن الوطنية الحقيقية في الإسلام تتجسد في العمل".⁽³⁾ نعم العمل الذي من خلاله تستطيع الأمم بناء الحضارات، و هو قد شدد الشارع الإسلامي على ضرورة العمل الذي هو أساس النجاح و تحقيق المقاصد و الغايات. و قد جاءت الكثير من الآيات الحاثّة على العمل منها قول الله عز و جل: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾⁽⁴⁾ و قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْعُيُوبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽⁵⁾ و في قوله كذلك: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾⁽⁶⁾ و هكذا انطلق مصالي الحاج في استعمال الدين لأغراض سياسية.

أما في عدد شهر جانفي 1934 فقد أكد مصالي على الحرية و الانعتاق، و بين أن الإنسان ولد حراً، و هذا مصداقاً للدين الإسلامي الذي أكد على أن الإنسان ولد حراً بدون قيود و ألا معصية لمخلوق في معصية الخالق، و هنا يستحضرنا معنى قول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، متى استعبدتم الناس و قد ولدتمهم أمهاتهم أحراراً. و أكد مصالي أن الإنسان ما دام حراً يجب عليه "أن يحكم نفسه بنفسه، و إذا كان الإنسان يحكمه طغاة يجب عليه خلعه"⁽⁷⁾ و هذا نداء صريح للثورة و التحرر.

لقد حاولت جريدة الأمة التصدي في كثير من الأحيان لمهازل فرنسا خاصة اتجاه الدين الإسلامي، فعندما عينت الحكومة الفرنسية جلول ب. لخضر على رأس قافلة الحج و خلعت عليه لقب الخليفة، كتب مصالي ساخراً من هذه الشخص قائلاً: "جلول ب لخضر خليفة علي من و علي ماذا؟ علي الرمل أم الجراد".⁽⁸⁾ و هذا إن دل إنما يدل على غيرة هذا التيار على كل ما له علاقة بالإسلام.

إن هذا النشاط الحثيث لجريدة الأمة جعلها تنجح على أكثر من مستوى و صعيد، ما جعل القائمين عليها يفكرون في عبورها البحر الأبيض المتوسط نحو الجزائر، بهدف التعريف بالنجم في الجزائر. فراحت لجان المساندة

1- سورة آل عمران، الآية 103.

2- سورة النساء، الآية 175.

3- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 78-79.

4- سورة الأنعام، الآية 135.

5- سورة التوبة، الآية 105.

6- سورة هود، الآية 121.

7- بنيامين، (سطورا)، المرجع السابق، ص 79.

8- نفسه، ص 80.

و الدفاع عن الأمة تظهر هنا و هناك من الجزائر، و راح الكثير من المتطوعين يوزعونها في العاصمة و بوفاريك و سيدي بلعباس و سطيف و بسكرة و بجاية و تلمسان و سكيكدة و قسنطينة.⁽¹⁾

سادسا: إستراتيجية التيار الاستقلالي في الدفاع عن الإسلام:

بنى هذا التيار إستراتيجيته على الإسلام و الدفاع عن البلدان التي كانت تربطه معها روابط تاريخية و عقدية و منها دول الشمال الإفريقي، إيماناً منه بتأسيس المغرب العربي الموحد بعد تحقيق الاستقلال و التحرر. و لأن شعوب المغرب العربي عموماً و الشعب الجزائري خصوصاً كانت تحمل بين جنباتها ذلك الشعور العربي الإسلامي، فإن التيار الاستقلالي دافع عن الإسلام بمحاربة سياسة التنصير، و مد جسور التضامن مع البلدان الإسلامية و يظهر ذلك من خلال مقالاته.

ففي مقال **"الإسلام بين السيف و التنصير"** الذي نشر بالبرلمان الجزائري بتاريخ 18 ماي 1939 شهر حزب الشعب الجزائري بسياسة فرنسا التي تعمل على خنق **"الإسلام و اللغة العربية و التقاليد الإسلامية و إظهار التواطؤ بين الامبريالية و الكنيسة"**⁽²⁾ كما يبين أن فرنسا تريد أن تنزع عن شعبنا لغته الوطنية و دينه الإسلام، الذي يربطه بماضيه الكبير. ثم يذهب المقال إلى فضح سياسة الاستعمار بالجزائر التي بنيت على الجندي و الإداري و الكولون الذين حققوا الاستيطان المادي، ليأتي المبشرون ليستكملوا الاستعمار الروحي و الأخلاقي. يقوم هؤلاء المبشرون باستغلال الفقر و العوز و الحاجة التي يتخبط فيها معظم السكان فينثون سمومهم فيه بتنصيره و القضاء على دينه و دين أجداده. و يذكر المقال أمثلة عديدة عن مساعدة الإدارة الاستعمارية لسياسة التبشير عن طريق منح المساعدات المالية و التسهيلات الإدارية للكثير من الجمعيات التي تنشط في هذا المجال فمثلاً يقول صاحب المقال: **"رأينا سنة 1938 الكاره للعرب روزيس، عمدة الجزائر، بتواطؤ من المنتخبين الستالينيين، يضع بين أيدي جمعية الرعاية المعنوية للأهالي الشمال إفريقيين (AMINA)، جمعية تعمل على تنصير المسلمين، مبلغ 200000 فرنك لاستخدامه في إعانة الفقراء المسلمين بمدينة الجزائر، بينما كان بالأحرى وضع هذا المال، ملك المسلمين، تحت تصرف مكتب إسلامي للأعمال الخيرية."**⁽³⁾

لقد استعمل صاحب المقال الكثير من المصطلحات و العبارات التي لها علاقة بالإسلام و تبين بكل وضوح مدى ارتباط هذا التيار بالدين الإسلامي، فنجد مثلاً: الإسلام، التقاليد الإسلامية، الدين الإسلامي، مكتب إسلامي، المسلمين، مسجد، الأوقاف، الحبوس، مفتونا، أئمتنا و غيرها. ثم أختتم المقال بالتأكيد على أن لغتنا العربية الوسيلة الوحيدة لتعلم ديننا و تاريخنا و حضارتنا تعتبر بمقتضى مرسوم شوتون لغة أجنبية بالجزائر.

و في مقال آخر تحت عنوان **"المؤتمر الإبخارستي (القرباني) في الجزائر مدينة الإسلام"** و الذي نشر بجريدة الأمة من إمضاء المدلوم في أبريل 1939، احتجت جريدة الأمة ضد انعقاد هذا المؤتمر في بلاد إسلامية، لأنه يؤيد

¹- نفسه، ص 79.

²- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانش)، المرجع السابق، ص 66.

³- محفوظ، (قداش)، محمد، (قنانش)، المرجع السابق، ص 67.

الاستعمار و يمجده. بين المقال الاستعدادات الكبيرة و الأموال الضخمة التي رصدت لهذا المؤتمر و أن في طليعة الجنود نجد المبشر الذي و بعد انتهاء مهامه في المؤتمر سيواصل مهمة التبشير، لذلك نرى أن إفريقيا الشمالية تعج "برمتها بالآباء البيض و الأخوات البيض أيضا و الجمعيات الكاثوليكية التي تعمل على مرأى و مسمع الجميع على تنصير المسلمين." (1)

سيرى - يقول صاحب المقال- سكان العاصمة لمدة 6 أيام، "مواكب و مظاهرات و خطابات و استعراضات، بينما هم محرومون في الواقع من أية حرية للتعبير عن آرائهم الدينية أو السياسية. لا سيما و أن اللغة العربية، لغة الدين الإسلامي، تعتبر في الوقت الحالي بالجزائر، البد العربي و الإسلامي، لغة أجنبية و لذا تخضع لنظام خاص." (2) و يقول: "و بشكل عام، فإن الدين الإسلامي يخضع لنظام إداري يقيد حرية العمل ضمن إطاره و يعمل على جعل هيئاته تنظيمات طيعة في أيدي الاستعمار." (3)

ثم يضيف المقال أنه من المؤلم أن ينظم المؤتمر القرباني بالجزائر، في الوقت الذي تمنع فرنسا الاستعمارية المشايخ و العلماء من ممارسة الشعائر الدينية بكل حرية في المساجد بغية تذكير المؤمنين بتعاليم دينهم. و عليه فإن هذا المؤتمر هو استفزاز للإسلام و للمسلمين.

لقد ورد في هذا المقال الكثير من العبارات و المصطلحات الدالة على ذلك البعد الإسلامي فيه منها: الأمة، بلاد إسلامية، الإسلام، المسلمين، الإسلامي، الدين الإسلامي، مساجد، المؤمنين، المسلمون و غيرها ثم يختم المقال بتصميم التيار الاستقلالي بضرورة الدفاع عن القضية الوطنية، و توجيه ندائه لكل المسلمين و الجمعيات التي تعزز بإسلامها، أن ينتهزوا فرصة هذا المؤتمر لتتوحد و لتحضر لعمل مشترك بغية انتزاع الحرية المسلوبة.

سابعا: التربية و التعليم في خدمة الدين الإسلامي :

يرى التيار الاستقلالي أن حل مشكلة التعليم في الجزائر لا يمكن أن يتأتى إلا بالقضاء النهائي على الاستعمار الفرنسي و التخلص من منظومته للتربية و التعليم و إحلال مكانها منظومة تربوية و تعليمية وطنية، و هذا عن طريق تعميم التعليم و نشره في كامل ربوع الوطن، و على هذا الأساس فقد نص برنامج نجم شمال إفريقيا عام 1933 "على أن التعليم يجب أن يكون مجانيا و إجباريا في كل المستويات و أن يتم باللغة العربية." (4) كما أكد تقرير اللجنة المركزية للمؤتمر الثاني لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية عام 1953 بضرورة العمل على "نشر الثقافة القومية المتصلة اتصالا وثيقا بالثقافة العربية الإسلامية، و نشر التعليم الصناعي و الفني و محاربة الأمية." (5)

1- نفسه، الصفحة نفسها.

2- نفسه، الصفحة نفسها.

3- نفسه، الصفحة نفسها.

4- رابح، (لونيس)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 416.

5- نفسه، ص 416.

و فيما يخص رؤية دعاة الاستقلال لهذه المدرسة الوطنية فإنهم يرونها "عربية اللسان و إسلامية الأهداف و المنهج، و أن تستوحي أهداف التربية و التعليم من تعاليم الإسلام، و تستند إلى تقاليد الوطن التاريخية، و تلائم المناهج السياسية لشعب عربي مسلم." (1)

و ربما تركيز دعاة الاستقلال على الدين الإسلامي لخدمة التربية و التعليم هو الذي - حسب الأستاذ رابح لونيبي - كان من وراء "اقتراح حركة الانتصار للحريات الديمقراطية على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1951 بضرورة الاتحاد في مجال التعليم و ذلك ب إدماج حركة التربية و التعليم بضم نحو خمسين مدرسة تابعة للحركة من أجل الانتصار للحريات الديمقراطية إلى مدارس جمعية العلماء مع ما يستلزم ذلك من إدماج المعلمين و البرامج و إنشاء لجنة تسيير مختلطة و إلحاق عدة أعضاء من علماء الحركة من أجل الانتصار للحريات الديمقراطية بإدارة جمعية العلماء، و ضم بعض الصحفيين من الح.إ.ح.د إلى لجنة تحرير البصائر لسان حال الجمعية." (2)

و رغم رفض جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لهذا المقترح إلا أن هذا لا ينفي اشتراك دعاة الاستقلال مع دعاة الإصلاح في رؤيتهما إلى مسألة التربية و التعليم لدولة الجزائر المستقلة مع تركيز أكبر على الإسلام من قبل التيار الإصلاحي مقارنة بالتيار الاستقلالي.

كما نجد الكثير من الممارسات اليومية لمناضلي الحزب توحى بذلك الانتماء إلى الإسلام و الأخلاق الإسلامية الفاضلة، فلكي يوجه الحزب الشباب الجزائري نحو طريق الإيمان و الوطنية، جاءت مبادرته في القضاء على السارقين و القتلة و المجرمين." و بفضل مجموعات من المناضلين، تم القضاء بالجزائر العاصمة و بالقصبة خصوصا، و دون أن ننسى بقية مناطق البلاد، على المفسدين و تنظيف الأحياء المحفوظة بتدمير كل مخابئ الفساد (الخمارات) و الفحش و متابعة مجرميها، المسلحين بالسكاكين و بعضهم بالمسدسات، و تم طرد العاهرات." (3) و هنا يجب أن نتوقف لبرهة كي نستحضر أن فرنسا سعت بكل الوسائل و الطرق لنشر الرذيلة و الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، فكانت تنشر هنا و هناك مراكز اللهو و شرب الخمر، بل أكثر من ذلك فقد جلبت النساء من مناطق مختلفة من العالم بهدف تعليم شباب و شابات الجزائر الزنا و تقنين ممارسته. و كان من وراء هذه السياسة تدمير معالم و أسس الشخصية العربية الإسلامية و ضرب المجتمع من الداخل فينهار دونما مقاومة تذكر.

لقد سعى التيار الاستقلالي لمحاربة هذه الفواحش إيمانا منه بضرورة إصلاح المجتمع و تنظيفه من كل شائبة صغيرة كانت أو كبيرة، و هذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (4)

كان حزب الشعب / حركة الانتصار للحريات الديمقراطية دائما يذكر أن الشعب الجزائري مسلم شديد التمسك بدينه و عميق في إسلامه. "لقد كان متمسكا بقيمه الأخلاقية و الروحية و هذا بالرغم من التدمير الذي لحق

1- نفسه، ص 417.

2- نفسه، ص 417.

3- أرزقي، (باسطة)، مواقف و شهادات عن الثورة الجزائرية- إيمانا بالله و الإسلام-، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص 106.

4- سورة الشورى، الآية 37.

بمساجده و الجهل الذي عمه بإرادة المستعمر"⁽¹⁾ و عليه فكان هذا الحزب دائما يذكر مناضليه بضرورة التمسك و العودة دائما إلى الدين الإسلامي لأنه النبراس الذي به ستحقق الأمة الجزائرية حريتها و استقلالها كونه دين الله العلي القدير و ليس دين البشر، و هذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفَؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (2) و قال كذلك في محكم تنزيله: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (3)

كما حرص الحزب على تربية مناضليه على أسس الإسلام المتينة، وفق رؤية سليمة مفادها أنه لا يجب الاكتفاء بتكوين المناضل فقط لأجل تحرير الجزائر لأن هذا المناضل ستوقف عن النضال بمجرد الحصول على الاستقلال، بل يجب تلقين هذا المناضل و تكوينه وفق "عقيدة و يتربى و يتأدب وفق المبادئ الإسلامية. فالجزائر ستكون بأمس الحاجة إلى هؤلاء المناضلين بعد الاستقلال. فالمناضل عندما يكون قد شرب الإيمان في قلبه سيكون مقتنعا أن الكفاح بالنسبة له لن يتوقف أبدا حتى يحين وقت دفنه و مغادرته لهذه الدنيا الفانية." (4) فالمناضل حسب هذه الرؤية هو ذلك المناضل المؤمن الذي يتحلى بشخصية قوية تصمد أمام كل الاختبارات و المعيقات و لن تتوقف عن الكفاح و التضحية حتى بعد تحقيق الاستقلال، في حين أن الوطنية تضيق بها الحدود الجزائرية.

و لقد تخرج من هذه المدرسة العديد من المناضلين و الإطارات الذين اقتنعوا بأن كفاحهم ضد الاستعمار إنما الدافع الحقيقي من ورائه هو الإسلام. و لعل أبلغ مثال يتحدث باسمهم هو المناضل و المجاهد أرزقي باسطة (5) الذي يقول: "... أنا أكافح من أجل جزائر مسلمة، و الإسلام هو الذي دفعني للكفاح و الجهاد، و والله لولا ذلك لما انضممت إلى هذا الحزب." (6) ثم يردف قائلا: "و أيضا لو لم أكن مسلما، لما كان هذا الكفاح معنى قط، بل قد كنت أفضل أن أكون من محترفي الإجرام، و بذلك كنت سأحصل على الأقل على بعض الامتيازات." (7) ثم يكمل قائلا لبعض محاوره: "و ما هو مؤكد لدي أن الإسلام سيسترجع العالم الإسلامي موقعه كرائد للإنسانية كما كان سابقا و أما بغيره، فإننا سنبقى عبيدا لا نمت لماضينا بصلة." (8)

و من هذه المدرسة تخرج الرجال و الشخصيات الذين لم ينسوا في كل مناسبة دينية إخوانهم المسجونين، و هذا بجمع التبرعات المالية لصالحهم و صالح أسرهم و بخاصة في عيد الأضحى المبارك (9)، و هذا أسوة بتعاليم الدين

1- أرزقي، (باسطة)، المرجع السابق، ص 108.

2- سورة الصف، الآية 08.

3- سورة المائدة، الآية 04.

4- أرزقي، (باسطة)، المرجع السابق، ص 121.

5- هو الحاج باسطة أرزقي بن محمد بن بلحاج بن سعيد بن محند بن عيسى بن يحيى، للمزيد عن حياته و نضاله ضمن التيار الاستقلالي و جهاده خلال الثورة الجزائرية، ينظر: أرزقي، (باسطة)، المرجع السابق. كما يمكن كذلك الرجوع إلى: Benjamin, Stora, Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algériens 1926-1954, op.cit, p 310.

6- أرزقي، (باسطة)، المرجع السابق، ص 122.

7- نفسه، نفس الصفحة.

8- نفسه، نفس الصفحة.

9 - A.N.O.M, Rapport Mensuel sur l'Activité Musulmane Dans le Département D'Oran Septembre 1949.

الحنيف الذي يأمر المسلم بالتكافل الاجتماعي و مساعدة المسلم المحتاج، و هذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾⁽¹⁾

كما حرص الحزب على المشاركة في الكثير من النشاطات التي لها علاقة بالثقافة الإسلامية، منها مشاركته في مؤتمر الثقافة الإسلامية المنعقد بتونس أيام 11 إلى 17 سبتمبر 1949 بوفده المؤلف من 'الشيخ عبد الحكيم' و 'رواحية أحمد'. و قد حرص المشاركون في هذا المؤتمر على الدفاع عن الثقافة الإسلامية العربية، كما تشاوروا مع العديد من الشخصيات و على رأسهم الحبيب بورقيبة الذي أعرب لهما عن فرحته في لقاء أخيه 'مصالي الحاج'.⁽²⁾

الفصل الثالث: البعد الإسلامي و الروحي في أدبيات التيار الإصلاحية.

هناك مراحل من التطور مر بها المجتمع الجزائري كانت سبباً في ظهور الحركات الإصلاحية والأحزاب السياسية كظاهرة اجتماعية وسياسية مصاحبة لهذا التطور، فتعرضُ الشعب الجزائري لاضطهاد الاستعمار الفرنسي دفعه إلى التكتل، كما وفرت التقاليد العربية الإسلامية قاعدة أساسية للمعارضة، وتعتبر الحركة الوطنية مهد الحياة التنظيمية

¹- سورة المائدة، الآية 03.

² - A.N.O.M, Rapport Mensuel sur l'Activité Musulmane Dans le Département D'Oran Septembre 1949.

والحزبية في الجزائر، فهي التعبير السياسي لمجموعة تعي وحدتها الاجتماعية وهي في حالة سيطرة فتطالب باستقلالها لتأكيد وجودها كمجموعة سياسية وهي كذلك تظهر على إثر ظهور الوعي الوطني وعلى إثر ظهور إرادة بناء مجتمع سياسي مستقل، إنَّ الحركة الوطنية تعني بهذا المجتمع السياسي الذي يتعلق بالأمة.

أولا : نشأة الجمعية:

لقد أكدت العديد من الدراسات و الأبحاث دور الإسلام في تحرير الجزائر بل في تحرير الشعوب الإسلامية جميعها من قبضة الاستعمار الأوروبي.(1) لقد استطاعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن تعيد بناء الإنسان الجزائري وتبعث فيه الروح بنشر العقيدة الإسلامية (2) صافية من الشوائب والخرافات والبدع، وتعليم اللغة العربية و تلقين التاريخ الإسلامي، فحافظت بذلك على مقومات الشخصية الوطنية، لينطلق الشعب الجزائري في ثورته المباركة مدافعا عن الإسلام والعروبة.

لقد شهدت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بروز مفكرين إصلاحيين تمثلهم مجموعة من العلماء والأساتذة المقتدرين بالجزائر العاصمة و قسنطينة و تلمسان وغيرها، من أمثال الشيخ عبد القادر المجاوي (3) و الشيخ بن سماية والشيخ بن علي فحار، الذين أدانوا الممارسات التعسفية و الجائرة لبعض الطرق الدينية وتلك المتصلة بمن كانوا يعتبرون أولياء صالحين، لورعهم أو نسبهم. كما نددوا بسيطرة إدارة الاحتلال على الشؤون الدينية والإسلامية. وقد التقى الشيخ محمد عبده، خلال زيارته سنة 1905 إلى الجزائر العاصمة و قسنطينة، بالعديد من هؤلاء العلماء المعلمين.

كان هذا التيار يتميز بطابعه العام الإصلاحي إذ بدأ في شكل نادي الترقى خلال العشرينات(4)، ثم تطور إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مطلع الثلاثينات،(1) و قد ركز جهوده على الدفاع عن مقومات الشخصية

1- و لعل هذا التحرر ليس وليد الفترة الاستعمارية، فالجدير هنا أن نذكر بأن الإسلام قد حرر الإنسانية جمعاء من العبودية و ظلمة الجهل التي كانت تتخبط فيه. و هذا بالفعل ما حدث فقد ظهر الإسلام كإيديولوجية إنسانية أو عالمية نقلت الإنسان من الإحساس و الاعتزاز بالقيم القبلية إلى الاعتزاز بالشعور الجماعي و الانتماء إلى أمة واسعة، هي الأمة الإسلامية. للمزيد حول الموضوع ينظر:

Mokhtar,(Arib),L'Etat Algérien Elément historiques constitutifs et Forces Sociales motrices,O.P.U,Algérie,2006,111 pages,p 8.

2- يقول الأستاذ جيلالي صاري في هذا الشأن: لم يقتصر عملها- يقصد الجمعية- فقط على كسر القيود التي حصرت القوى الرجعية المتنوعة فيها الإسلام. كما لا يمكن حصره في تكييف تعليم لغة القرآن مع المبادئ الحديثة للتأطير، بمعزل عن تأسيس مجموعة كاملة من المنشآت ذات الطابع الاجتماعي- الثقافي عبر المدن و بعض البلديات. أنظر: محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1830 / 1962)، المرجع السابق، ص 285.

3- من مواليد 1848 بتلمسان، اعتبر من أحد أهم علماء عصره، و قد استطاع أن ينشر عام 1877 دراسة من حوالي 30 صفحة تحت عنوان إرشاد المتعلمين، التي حاول من خلالها طرح قضية الإصلاح الاجتماعي داخل المجتمع المسلم. توفي سنة 1914 بقسنطينة. للمزيد ينظر: Amar,(Hellal),Le

Mouvement Réformiste Algérien- les hommes et l'histoire 1831/1957- ,O.P.U, Algérie ,2009,p 107.

4- تجدر الإشارة إلى الاجتماع الذي دعا إليه الشيخ عبد الحميد بن باديس عام 1928 بمكتبه المجاور لمسجد الأربعين شريفا بقسنطينة، و الذي جمع كل من الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، و الشيخ مبارك الملي، و الشيخ الطيب العقبي، و الشيخ العربي التبسي، و الشيخ السعيد الزاهري، و الشيخ محمد خير الدين. و قد تدارس الشيخ ابن باديس بعض القوانين الصادرة عن مجلس النواب الفرنسي مع هؤلاء الشيوخ. و قد أكد لهم في هذا اليوم: "لم يبق لنا إلا أحد أمرين لا ثالث لهما، إما الموت و الشهادة في سبيل الله منتظرين النصر الذي وعد الله به عباده المؤمنين، أو الاستسلام و مد أيدينا إلى الأعداء، و احناء رؤوسنا أمام الأعداء فتكون النتيجة لا قدر الله أن يجري علينا ما جرى ببلاد الأندلس و غيرها من البلاد الإسلامية، حين تركت الجهاد و استسلمت للأعداء." فأجابته العلماء: "نحن مستعدون للتضحية في سبيل ديننا و وطننا و الله معنا" أنظر: الزبير، (بن رحال)، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية (1889-1940 م)، دار الهدى، الجزائر، 1997، 148 صفحة، ص 55.

الوطنية تحت شعار " الإسلام ديني، و العربية لغتي، و الجزائر وطني".⁽²⁾ و هذا بالفعل ما صرخ به مدويا عنان السماء الشيخ 'ابن باديس' في خطابه لفرنسا من نادي النجاح قاتلا: قولوا لفرنسا أن الجزائر تسهر على حماية شخصيتها و وحدتها الوطنية.⁽³⁾ رغم أن دراسة هذا التيار تطرح أمامنا إشكالية المصطلح و التسمية كما أشار إلى ذلك الأستاذ 'رابح لونيسي' في دراسته 'التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة'، و مع ذلك فقد أطلق عليهم اسم الاتجاه الإصلاحية. (4)

وقد تطورت الحركة الإصلاحية في الجزائر ما بين الحربين العالميتين بفضل ما بذله الشيخ عبد الحميد بن باديس⁽⁵⁾ و مجموعة من أتباعه الأوفياء، من قدامى تلاميذه و من رفاق له تلقوا، في معظمهم، تكوينهم بتونس أو في المشرق العربي. وقد استرشدت هذه الحركة بفكر ونشاط جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و رشيد رضا و محمد الطاهر بن عاشور و حمدان لونيسي و محمد النخلي و شكيب أرسلان⁽⁶⁾، و غيرهم.

1/ الظروف والعوامل التي ساعدت على نشأة وظهور الجمعية:

¹ - تأسست (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) بعد الاحتفال بمضي قرن على احتلال الجزائر فكان ذلك رداً عملياً على المحتفلين الذين كانت أصواتهم تردد الجزائر فرنسية وكان شعار العلماء المصلحين "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"، وقد ظهر هذا الشعار أول ما ظهر مكتوباً على كتاب الجزائر للشيخ أحمد توفيق، ثم تناولته الألسنة والأقلام ولقن لطلبة العلم وذلك يوم الثلاثاء 17 من شهر ذي الحجة عام 1349 هـ الموافق لـ الخامس من ماي 1931 في (نادي الترقى) بالعاصمة إثر دعوة وجهت إلى كل عالم من علماء الإسلام في الجزائر، من طرف (هيئة مؤسسة) مؤلفة من أشخاص حيايين ينتمون إلى نادي الترقى غير معروفين بالتطرف، لا يثير ذكرهم حساسية أو شكوكا لدى الحكومة، ولا عند الطرفين. أعلنوا: أن الجمعية دينية تهذيبية تسعى لخدمة الدين والمجتمع، لا تتدخل في السياسة ولا تشتغل بها. لبي الدعوة وحضر الاجتماع التأسيسي أكثر من سبعين عالماً، ومن شتى الاتجاهات الدينية والمذهبية: (مالكيين و اباضييين، مصلحين و طرقيين، موظفين و غير موظفين)، كما حضر الاجتماع طلبة العلم من مختلف جهات الوطن.

² - يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع و العشرين، ج2، ثورات القرن العشرين، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، 1996، 629 صفحة، ص 8.

³ -Mahfoud,(Kaddache),op.cit,p586.

⁴ - صنف الأستاذ رابح لونيسي هذا الاتجاه ضمن التيارات ذات المرجعية الإسلامية مثله مثل: الاتجاه التقليدي أو المحافظ، و الاتجاه السرمي أو فقهاء السلطان، و الاتجاه الإخواني، و الاتجاه الحضاري. للمزيد حول الموضوع أنظر: رابح، (لونيسي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، من ص 22 إلى ص 108.

⁵ - ولد العلامة عبد الحميد ابن باديس يوم 4 ديسمبر 1889 على الساعة 4 بعد الظهر بقسنطينة، من أسرة مشهورة بالعلم و الثراء و الجاه. دخل الكتاب و هو في الخامسة من عمره عام 1894م، و في سنة 1903 شارع في تعلم العلوم الإسلامية و العربية على يدي شيوخ فضلاء منهم الشيخ حمدان لونيسي. كان يجيد اللغة الفرنسية و لا يتكلم بها مع الفرنسيين، و تزوج ابنة عمه اليامنة بنت عبد الكريم ابن باديس عام 1904 و عمره لا يتجاوز الخامسة عشرًا. أما ثم طلقها سنة 1934 م. رزق بطفل اسماه عبده إسماعيل توفي و عمره 17 عامًا. تولى الشيخ ابن باديس مهمة التدريس و الإصلاح بالجزائر و ترأس و إدارة عدد من الجرائد و المجلات منها جريدة المنتقد و الشهاب. توفي العلامة في يوم 16 أبريل 1940 بالمدينة التي ولد و ترعرع فيها و شيعت جنازته في اليوم التالي في وسط جموع غفيرة تعد بعشرات الآلاف. للمزيد أنظر: عبد الكريم، (بوالصفاصفا)، رواد النهضة و التجديد في الجزائر 1889-1965، دار الهدى، الجزائر، 2007، 112 صفحة، ص 7-44. و كذلك: الزبير، (بن رحال)، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية (1889-1940 م)، دار الهدى، الجزائر، 1997، 148 صفحة، ص 1-48.

⁶ - محمد الأمين، (بليغيت)، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات و وثائق - وثائق جديدة و صور نادرة تنشر لأول مرة، دار ابن كثير، بيروت، ط 2، 2007، 440 صفحة، ص 124.

كما مرّ معنا، فقد بُذلت جهود كبيرة لتجميع وحشد القوى والطاقات تحت راية واحدة، لمواجهة التحديات والأخطار المحدقة بالأمة. و يذكر الأستاذ سعيد بورنان أن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جاء في ظروف صعبة و عصيبة كانت تمر بها الجزائر، " فقد كان أساطين الاستعمار آنذاك، و هم يحتفلون بمرور قرن على احتلال الجزائر، يتسبحون في خطاباتهم و كتاباتهم بأن الجزائر قد أصبحت فرنسية و إلى الأبد، و أن الإسلام و لغته قد انتهى أثرهما في هذا البلد الذي أصبح - حسب زعمهم- لآتينيا كما كان خلال العهد الروماني"⁽¹⁾ ، مع ذلك فقد تضافرت ظروف عديدة و عوامل كثيرة، ساهمت جميعها في إظهار "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" إلى الوجود، نذكر منها ما يلي:

أ/ الظروف التي نشأت فيها الجمعية :

- مرور قرن كامل على الاحتلال الفرنسي للجزائر، واحتفال الفرنسيين بذلك، استفزازاً للأمة، وإظهاراً للروح الصليبية الحاكمة التي يضمرونها للإسلام والمسلمين.
- التحضير للمؤتمر الإسلامي الذي عُقد في القدس برئاسة الحاج أمين الحسيني، في ديسمبر 1931م، الذي كان هدفه توحيد الصف الإسلامي بعد سقوط الخلافة الإسلامية. في تلك الظروف المفعممة بالتحديات، ظهرت جمعية العلماء للوجود.

ب/ العوامل التي ساعدت على نشأة الجمعية :

- يحدّد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي⁽²⁾ هذه العوامل فيحصرها في أربعة:
- آثار الشيخ محمد عبده؛ وذلك بطريقة المعارضة الشديدة من الفقهاء الجزائريين المتزمتين لأفكاره التي كانت تتسرّب إلى الجزائر بواسطة مجلّة "المنار"؛
- الثورة التعلّيميّة التي أحدثها الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه الحيّة ؛
- التّطوّر الفكريّ الذي طرأ على عقول النّاس في أعقاب الحرب العالميّة الأولى؛

1- سعيد، (بورنان)، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936/1956، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2011، 317 صفحة، ص 62.

2- ولد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يوم 13 شوال 1306 هـ/ جوان 1889 بسطيف. حفظ القرآن الكريم و هو في التاسعة من عمره على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي، و في سنة 1911 م رحل إلى المدينة المنورة حيث تلقى علوم التفسير و الحديث، و علم الرجال و أنساب العرب. رجع سنة 1922 م إلى الجزائر و أخذ في نشر العلم و الأدب. تولى إلى الشيخ ابن باديس مهمة الإصلاح بالجزائر و ترأس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد وفاة زميله الشيخ ابن باديس. دافع عن القضية الوطنية قبل اندلاع الثورة و بعدها خلال إقامته الطويلة بالشرق العربي. عاد إلى الجزائر بعد الاستقلال عام 1962 حيث بقي فيها إلى أن وافاه الأجل يوم الخميس 19 محرم 1385 هـ/ 19 ماي 1965 م بالجزائر العاصمة، و وري التراب بمقبرة سيدي محمد بالعاصمة، في يوم الجمعة 20 محرم 1385 هـ/ 20 ماي 1965 بحضور حشد كبير من الناس. للمزيد أنظر: عبد الكريم، (بالصفصاف)، رواد النهضة و التجديد في الجزائر 1889-1965، دار الهدى، الجزائر، 2007، 112 صفحة، ص 46-68.

- إياب طائفة من المثقفين الجزائريين الذين كانوا يعيشون في المشرق العربيّ، ولا سيّما في الحجاز والسّام، وأبرزهم الإبراهيميّ، والعقبيّ.

و أما الأستاذ رابح لونيسي فيوعز بروز الجمعية في العقد الثالث من القرن 20 م إلى عدة عوامل منها: عودة بعض المهاجرين الذين سبق لهم أن انتقلوا إلى المشرق الإسلامي، إما هربا من التجنيد الإجباري أو طلبا للعلم.⁽¹⁾ ونضيف إلى هذه العوامل الأربعة التي ذكرها الشيخ الإبراهيميّ، ثلاثة عوامل أخرى ؛ قد لا تقلّ أهميّة عن الأربعة؛ وهي:

- اشتداد تأثير الحركات الصوّفيّة بالجزائر، وازدياد نشاطها، وتكاثر طرائقها حتّى جاوزت العشر، وحتّى اكتسحت جميع المدن والقرى، بل البوادي أيضا، في الجزائر، فأمست تصول وتجول، فلم يكن شيءٌ يُتداول بين مستنيري الناس غير الفكر الصوّفيّ الذي لا يجاوز سير الشيوخ وكراماتهم؛ وميل أهل التّصوّف، من عوامهم خصوصا، إلى الإغراق في الرّوحيات، والكلف الشّديد بالخوض في أمور الغيب على سبيل اليقين، والتعلّق المثير بمشاهد البركة والمناقب والكرامات.

- اشتداد شراسة الاستعمار الفرنسيّ، ومبالغته في محاربة اللّغة العربيّة والدّين الإسلاميّ والتّمكين للتّخلف الذهنيّ والشّعوذة لدى النّاس، وتشجيع ممارسات وطقوس فلكلوريّة ليست من الدّين الصّحيح في شيء: إلى حدّ الهوس.

- القطيعة التي أحدثها الاستعمار، من خلال تشويه النخب القائمة، و إنهاء جميع الرموز التي يمكن أن تذكر بالسيادة الجزائرية.⁽²⁾

- شيوع الجهل بين عامّة الجزائريين حيث كانت الأميّة تجاوز ثمانين في المائة في أوساط الجزائريين من الذكور، وربما كانت تجاوز تسعين في المائة في أوساط الجزائريّات. ولذلك نجد الأستاذ المرحوم محمّد إبراهيم الكتّانيّ الذي كان شديد الإعجاب بالحركة الإصلاحية في الجزائر فكان لا يزال يتحدّث عنها بتقدير وإعجاب لطلابه بجامعة الرّباط : يُرأغ للحالة التي كان الجزائريون عليها في العقد الرّابع من القرن العشرين (وقد زار الجزائر عام خمسة وثلاثين وتسعمائة وألف) حين يقول: " شاهدت من تعاسة المسلمين ودينهم ولغتهم ما لم أكن أتصوّر أنّ الحالة وصلت إلى معشاره: جهل باللّغة العربيّة فظيع، وطمس لمعالم الدّين شنيع... "

- سياسة الإبادة الجماعية التي اتبعتها فرنسا ضد الجزائريين.

¹- رابح،(لونيسي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 90.
²- محمد الأمين،(بلغيث)، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات و وثائق - وثائق جديدة و صور نادرة تنشر لأول مرة، المرجع السابق، ص 110.

- حركة التنفير من الإسلام التي قامت بها سياسة 'لافيجري' و الآباء البيض ، و قطع صلة الجزائر بعمقها المشرقي .
(1)

و هكذا، في ظل هذا الظروف، عرفت الجزائر في العشرينيات من القرن العشرين حركة إصلاحية "مباشرة" بميلاد فجر جديد، و نهضة علمية و أدبية، و مرحلة جديدة لإعادة تشكيل العقل الإسلامي في الجزائر و تحريك ضمائر الناس " (2) فكانت الجمعية حقيقة ماثلة للعيان، و تشكل مجلسها الإداري الأول من العلماء الآتية أسماءهم على النحو الآتي:

- عبد الحميد بن باديس رئيسا
- محمد البشير الإبراهيمي نائبا للرئيس
- محمد الأمين لعمودي الكاتب العام
- الطيب العقبي نائب الكاتب العام
- مبارك المليي أمين المال
- إبراهيم بيوض نائب أمين المال
- المولود الحافظي عضو مستشار
- الطيب المهاجي عضو مستشار
- مولاي بن شريف عضو مستشار
- السعيد اليجري عضو مستشار
- حسن الطرابلسي عضو مستشار
- عبد القادر القاسمي عضو مستشار
- محمد الفضيل اليراتي عضو مستشار (3)

ثانيا : أهداف جمعية العلماء:

لقد كان ابن باديس و رفاقه أعضاء جمعية العلماء، من الحصافة بمكان، حيث أبدوا أشياء وأضمرها أخرى، مكتفين في تصريحاتهم الرسمية بإعلان الدعوة إلى الإصلاح الديني والتعليمي. فقد جاء على لسان رئيسها: "أن الجمعية يجب أن لا تكون إلا جمعية هداية وإرشاد، لترقية الشعب من وهنة الجهل والسقوط الأخلاقي، إلى أوج العلم ومكارم الأخلاق، في نطاق دينها الذهبي وبهداية نبيها الأمي، الذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق، عليه وآله الصلاة والسلام، ولا يجوز بحال أن

1- محمد الأمين، (بلغيت)، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات و وثائق - وثائق جديدة و صور نادرة تنشر لأول مرة، المرجع السابق ، ص 113.

2- نفسه، ص 113.

3- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، 1929/1، 1940، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997، ص 71-72. و ينظر كذلك: الزبير، (بن رحال)، المرجع السابق، ص 57.

يكون لها بالسياسة وكل ما يتصل بالسياسة أدنى اتصال، بعيدة عن التفريق وأسباب التفريق...". و هذا بهدف إنقاذ المجتمع الجزائري و البلاد من مخالب الجهل و مظاهر الشرك و الاستغلال الاستعماري.(1)

و يضيف ابن باديس قائلاً: "إن المسلمين هم السواد الأعظم في وطنهم، فإذا تثقفوا بالعلم، وتحلوا بالآداب، وأشربوا حب العمل، وانبعثت فيهم روح النشاط، كان منهم كل خير لهذا الوطن وسكانه على العموم، بما يُسرّ به الحاكم والمحكوم". و أضاف الشيخ أن من مقاصد الجمعية: "جمع شمل هذه الطائفة المتفرقة لتتعاون على ما هي مهياة له من نصح الأمة و إرشادها لما ينفعها في دينها و دنياها." (2)

و يختصر لنا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مهمة الجمعية بقوله: "إن المهمة التي تقوم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأدائها، وهي السير بهذه الأمة إلى الحياة عن طريق العلم والدين، هي أقوم الطرق وأمثلها وأوفقها لمزاج الأمة...". و أما الأستاذ رابح لونييسي فيحدد أهم أهداف الجمعية في تجسيد الفكرة الإصلاحية كما حددها بن باديس في العدد الأول من المنتقد و هي: "لحسن ما كان من أخلاق الأمم حسنا و موافقا لحالنا و تقاليدنا و نقبله، و نقبح ما كان منها قبيحا أو مابينا لمجتمعنا و بيتنا و نرفضه..." (3)

و الحقيقة أن جمعية العلماء المسلمين، أدركت بوضوح أن العلة في بقاء الاستعمار جائئاً على صدر الأمة دهرًا طويلاً، تكمن في ما يسمى بالقابلية للاستعمار، والتي مردها إلى ما طرأ على الشعب من انحراف في عقيدته وفكره، وأن العلاج الصحيح يتمثل في إزالة تلك العلة من أساسها، وهو ما يعبر عنه الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله، بقوله: "إن القضية عندنا منوطة أولاً بتخلصنا مما يستغله الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته". أو كما قال أحد الصالحين: "أخرجوا المستعمر من أنفسكم بخرج من أرضكم". وذلك مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (4) و كذلك يقول شاعر الثورة في حقيقة الجمعية و دورها:

وَ فِي الدَّارِ جَمْعِيَّةُ الْعُلَمَاءِ تَغْذِي الْعُقُولَ بِوَحْيِ السَّمَاءِ
وَ تَهْدِي النُّفُوسَ الصِّرَاطَ السَّوِيَّ وَ تَغْرِسُ فِيهَا مَعَانِي الْإِبَاءِ (5)

و يمكننا القول: بأن الجمعية ركزت في مراحلها الأولى على الأهداف التالية:

- إصلاح عقيدة الشعب الجزائري، وتنقيتها من الخرافات والبدع، وتطهيرها من مظاهر التخاذل والتواكل التي تغذيها الطرق الصوفية المنحرفة، و بعث نهضة دينية فكرية تقوم أساسا على القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة. (6)

1- محمد الأمين، (بلغيت)، المرجع السابق، ص 114.

2- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص73. و ينظر كذلك: الزبير، (بن رحال)، المرجع السابق، ص57.

3- رابح، (لونييسي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص91.

4- سورة الرعد، الآية 11.

5- زكرياء، (مفدي)، المرجع السابق، ص62.

6- سعيد، (بورنان)، المرجع السابق، ص63.

- محاربة الجهل بتثقيف العقول، والرجوع بها إلى القرآن والسنة الصحيحة، عن طريق التربية والتعليم، لذا اختار الشيخ عبد الحميد بن باديس و من ورائه الجمعية سبيل الإصلاح التربوي، و بناء الإنسان الجزائري الذي ينتمي إلى "أمة معاونة على الخير منطوية على استعدادات الكمال و أمها - أي الأمة الجزائرية- ذات نسب عريق في الحامد و الفضائل." (1)

- المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، بمقاومة سياسة التنصير والفرنسة التي تتبعها سلطات الاحتلال، و هذا من أجل ترميم و إصلاح ما أفسدته يد الشيطان الصليبي.

- الدعاية للخير و للعودة إلى الطريق المستقيم خاصة بالنسبة للمسلمين الذين حاذوا عنه. (2) و تكوين المسلم الإيجابي القادر على تحمل المسؤولية و الأمانة التي وكتلت إليه، المسلم الذي يحافظ على حقوقه و يقدم واجباته.

- تشكيل مجتمع جزائري مستقل له أصالته و ذاتيته الحضارية ، و له تنظيماته و خصائصه التي تميزه عن باقي المجتمعات. (3)

و على هذا الأساس و بحسب ما يذكره الشيخ 'البشير الإبراهيمي' فإن الجمعية تأسست لغايتين، لهما في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويها مكانة، و هما إحياء مجد الدين الإسلامي و إحياء مجد اللغة العربية. (4)

و هكذا فقد حملت الجمعية على عاتقها مهمة قيادة الحركة الإصلاحية فانطلق بهذا أعضاؤها إلى تحقيق أهدافها و غاياتها وفق لما سطروه من مبادئ و فقا لما كان يردده دائما رئيسها الشيخ 'عبد الحميد بن باديس': القرآن إماننا، السنة سبيلنا، السلف الصالح قدوتنا، خدمة الإسلام و المسلمين و إيصال الخير لجميع السكان غايتنا. (5)

و الشيء الذي تجدر الإشارة إليه في هذا المجال، هو أنه رغم أن الفصل الثالث من القانون الأساس للجمعية، يحرم عليها الخوض في المسائل السياسية(6)، إلا أن هذه الأخيرة قد تركت لأعضائها كامل الحرية للخوض في السياسة، بصفتهم الشخصية لا بوصفهم أعضاء فيها، حفاظاً على كيان الجمعية واستمرار مسيرتها.

1- محمد الأمين، (بلغيت)، المرجع السابق، ص 124.

2 -Amar,(Hellal),op.Cit, p 118.

3- الزبير، (بن رحال)، المرجع السابق، ص 61.

4- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 133.

5- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 30.

6- و في هذا يقول الأستاذ الزبير بن رحال: "إذا كان الإسلام ديناً و سياسة، فجمعية العلماء دينية و سياسية، قضية مقنعة لا تحتاج إل سؤال و لا إلى جواب، و جمعية العلماء ترى أن العالم الديني إذا لم يكن عالماً بالسياسة و لا عاملاً لها فليس بعالم، و إذا تخطى العالم الديني عن السياسة فمن ذا يصرفها و يديرها؟" أنظر: الزبير، (بن رحال)، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية (1889-1940 م)، دار الهدى، الجزائر، 1997، 148 صفحة، ص 64.

الأکید أن ظهور الجمعية جاء في وقت تم تجاوزه فيه مرحلة سابقة لصالح مرحلة جديدة، تم فيها التأسيس لبعض القواعد و أنبأت عن الطريق الطويل الذي يجب عبوره لتجاوز كافة العراقيل التي وضعها الاستعمار و أعوانه خاصة على المستوى الديني.⁽¹⁾

ثالثا : من مواقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

و من أجل أداء مهامها و رسالتها اعتمدت الجمعية على وسائل عديدة نذكر منها: إنشاء المدارس الحرّة و بناء المساجد و تأسيس النوادي الثقافية، و إرسال وفود الرجال إلى مختلف جهات القطر الجزائري للإلقاء دروس الوعظ و الإرشاد، و إصدار الصحف و المجلات، و ممارسة البحث و التأليف في المجال التاريخي كوسيلة لربط الشعب الجزائري بتاريخه الوطني.⁽²⁾ و من خلال الأهداف التي حددتها الجمعية لنفسها، تظهر المسؤولية العظيمة التي تصدّرت للقيام بأعبائها، وفيما يلي نذكر بعضاً من مواقف الجمعية في الإصلاح الديني، بمعناه الشامل:

1 / الجمعية والتعليم:

لقد أدركت جمعية العلماء أهمية التربية والتعليم - كما أدرك الاستعمار كذلك قبلها خطورة هذا السلاح منذ احتلاله الجزائر فراح يدمر كل ما يتعلق به-⁽³⁾ في تحقيق مقاصدها العقديّة والفكرية، و في هذا يقول الشيخ ابن باديس: "... فإذا أردنا إصلاح المسلمين فنلصق علماءهم. و لن يصلح العلماء، إلا إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته و ما يستقبل من عمله لنفسه و غيره."⁽⁴⁾ ، فركّزت على التعليم الإسلامي العربي، وإنشاء المدارس، وحثّ الأمة وتشجيعها على إرسال أبنائها إلى مدارسها، بغية تعليم و تثقيف أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته. و في هذا الصدد تذكر الجمعية في قانونها الداخلي⁽⁵⁾: "... ما هو داخل دخولا أوليا في

1- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 / 1830)، المرجع السابق، ص 283.

2- للمزيد فيما يخص وسائل الجمعية أنظر: سعيد، (بورنان)، المرجع السابق، ص 64-65.

3- إن أول عمل أقدم عليه الاحتلال الفرنسي بالجزائر، هو استيلاؤه على المراكز الثقافية والمدارس والمساجد والزوايا، ليحولهم إلى كنائس وكنائس لجنوده، حتى أن هؤلاء الجنود كانوا يحرقون ويمزقون كل مكتوب باللغة العربية ظنا منهم أنه قرآن، وبقضائهم على هذه الأوراق، سوف يقضون على كل رموز الثقافة العربية الإسلامية. وقد وصف المؤرخ " موريس واهل"، الوضعية المأسوية التي أصبحت عليها المراكز الثقافية بالجزائر غداة الاحتلال مباشرة، في كتابه " الجزائر " قائلا: لقد بدأنا بتحطيم شبه كلي للمدارس الابتدائية، الزوايا، المدارس العليا والمدارس الإسلامية الأخرى، التي كانت موجودة قبل 1830 ، وبعدها قمنا بمحاولات محتشمة، لم تعطنا سوى نتائج هزيلة وسلبية أحيانا. و كما يؤكد القائد الفرنسي " لويس رين"، بأن الغزو الفرنسي كان له نتائج وخيمة، ولم تتخذ أية تدابير للعناية بدور العلم منذ أن وضعت السلطات المحتلة يدها على المنشآت العامة، ولم يبق إلا بعض المدارس العتيبة الشان، والتي تضم حوالي 30000 تلميذ، وهو عدد لا يكاد يصل إلى 1/5

من العدد الذي كان يجب أن تضمه دور العلم من قبل للمزيد ينظر: محمد، (قريشي)، المرجع السابق، ص 115-116.

4- الزبير، (بن رحال)، المرجع السابق، ص 61.

5- وجد هذا القانون الداخلي مكتوبا على كراس مرقم من ورقة 10 إلى ورقة 55، ضمن وثائق الشيخ البشير الإبراهيمي، و هو مؤرخ بمدينة سطيف سنة 1931. أنظر في المبحث السابع من نفس الفصل من هذه الدراسة الخاص بتحليل بعض وثائق الجمعية.

مقاصد الجمعيات و هو التربية و التعليم،....و على الجمعية أن تسعى في تعمیر هذه المساجد الجديدة و تصييرها معاهد علمية يقوم مدروها و خطباؤها بتنفيذ مقاصد الجمعية على أحسن الوجوه..."(1)

و لما اعتبرت هذه المدارس العمود الفقري لعمل الجمعية فقد أولتها الإدارة الفرنسية عناية خاصة إذ تتبعتها خطوة بخطوة، من تأسيسها إلى تدشينها و تفعيل نشاطها، فها هي مثلا : تتبع عملية تدشين مدرسة جامعة الفلاح بوهران عام 1949 إذ أكد تقرير فرنسي أن عملية التدشين تمت بحضور الشيخ البشير الإبراهيمي و حوالي 200 شخص من بينهم لجان الجمعية على المستوى الوطني.و أكد التقرير أن مراسيم التدشين انتهت بجمع تبرعات مالية قدرت بحوالي 640 ألف فرنك. كما أكد نفس التقرير على تدشين مدرسة بندرومة في شهر أكتوبر 1949 و التي يرتادها حوالي 300 ما بين ذكور و إناث. (2)

تعتبر الجمعية أن التربية و التعليم هو الوسيلة الأساسية لإخراج المجتمع الجزائري من التخلف و الانحطاط الذي يعيش فيه، و لن يتحقق ذلك إلا بالعودة إلى الإسلام الصحيح و مبادئه المثلى مع التفتح على العصر و مستجداته في كل المجالات. (3) و عليه وجهت الجمعية اهتمامها إلى التعليم المسجدي، إدراكًا منها بأن المسجد والتعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام، فكما لا مسجد بدون صلاة، كذلك لا مسجد بدون تعليم.و قد ذكرت المادة 75 من القانون الداخلي أن الجمعية تعنى و"توصي كل من فيه الكفاءة بإحياء دروس الحديث من كتبه الصحيحة و التاريخ و متون اللغة و الأدب و علم الأخلاق و الأصول، و من حقها تعيين الكتب و أسلوب التدريس على التفصيل المقرر في البرنامج التعليمي الملحق بهذه اللائحة".(4) و عليه، وضعت برامج واسعة لنشر التعليم الديني والعربي للصغار المبتدئين، وتكميل معلومات من درسوا باللسان الأجنبي، كما لم تحرم الكبار من دروس الوعظ والإرشاد ومحو الأمية، فشيدت لذلك المدارس وفتحت النوادي لإلقاء المحاضرات في التهذيب وشؤون الحياة العامة.و في هذا تذكر المادة 77 من القانون الداخلي أن الجمعية تسعى"في تكثير عدد المكاتب القرآنية على التدرج في أهم مراكز القطر، و يحتوي برنامجها على تعليم الخط العربي و النحو و الصرف و حفظ القرآن مع تفهيم مفرداته و ضروريات الدين و الأخلاق الإسلامية..."(5)

و لقد كان التعليم المسجدي بقسنطينة قاصرا على الكبار دون الصغار الذي كانت لهم الكتاتيب، فلما سخر الله تعالى الشيخ عبد الحميد بن باديس لمهمة التعليم ابتداء من عام 1914 م جعل للصغار حظا من هذا النوع من

1- عبد الرحمن،(شيبان)، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009، 104 صفحة، ص 55.

2- A.N.O.M, Dossier 28, Bulletins Mensuels Des Questions Islamiques, Année 1949.

3- رابع،(لونيس)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 408.

4- عبد الرحمن،(شيبان)، المرجع السابق، ص 56.

5- نفسه ، ص 57.

التعليم. و قد رافق هذه المهمة تأسيس مكتبا خاصا بالتعليم الابتدائي العربي، الذي سيتحول عام 1930 م إلى مدرسة جمعية التي حرر قانونها الأساسي الشيخ ابن باديس فكان بذلك ميلاد جمعية التربية و التعليم الإسلامية.⁽¹⁾

كان من مهام هذه الجمعية ما يلي:

- تربية الأطفال المسلمين و بناتهم تربية إسلامية عن طريق المحافظة على دينهم و لغتهم و شخصيتهم الوطنية.
- تكوين الأطفال علميا باللغتين العربية و الفرنسية.
- نشر التكوين الصناعي و الحرفي.
- بث روح التعاون و التعاضد بين أفراد الأمة عن طريق توسيع نطاق التبرعات.

لم تكن مهمة الجمعية في هذا المجال سهلة و بسيطة، لأن أماكن العبادة كانت ممنوعة على رواد الحركة، و لم يكن بإمكانهم استعمالها بشكل مباشر أو غير مباشر بسبب معاداة القائمين على المساجد أنصار الحركة الإصلاحية. مع ذلك استطاعت الحركة أن تجمع حولها الحشود بفضل الثقة التي كان يحظى بها رجالها في أوساط الجماهير الشعبية. لقد كانت المساجد التي تسير من قبل الجمعية تعرف إقبالا كبيرا، على رغم من قلة عددها في البداية أو صغر حجمها، فمثلا: استطاع الشيخ ابن باديس أن يقدم القدوة في المسجد المستقل الجامع الأخضر الذي كان يديره، أو الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي كان يقدم الدروس في محل صغير، قرب المكتبة العربية الصغيرة، بتلمسان، قبل الالتحاق بدار الحديث.⁽²⁾ كما ساهمت الجمعية في بناء المساجد فيها هي تفتح مسجدا بمدينة سطيف يوم 20 أكتوبر 1931، و قد ثمن الشيخ 'الإبراهيمي' هذا العمل في خطاب ألقاه بالمناسبة و أشاد به و أكد أن في تاريخ هذا الجامع عبرة لأولي الألباب، فهو كما يقول يحدثكم بالصدق أن التعاون يأتي بالعجائب.⁽³⁾

كما سعت الجمعية إلى إصلاح أساليب التعليم، عن طريق القضاء على الأساليب القديمة و العقيمة، و استبدالها بأساليب حديثة تهتم بالمعنى و الصميم و بالصور العملية التطبيقية.⁽⁴⁾

و فيما يخص هذا المجال فقد بذلت هذه الجمعية كل ما في وسعها لتطوير أساليبه بغية الوصول إلى أحسن النتائج مع التلاميذ. و في هذا يقول الأستاذ محمد العابد الجلاي "تبدو مهمة التعليم، لأول وهلة، أنها من السهولة بحيث لا تكلف متعاطيها أكثر من الوقوف على كتب التعليم و أساليبه الحديثة عند الأمم الأخرى"⁽⁵⁾ و لكن في حقيقة الأمر فالمهمة صعبة و شاقة تتطلب بذل الكثير من الجهود من قبل المعلم المندوب لها. و قد حاول الكثير من المعلمين و الأساتذة تطوير أساليب التعليم، فنه مثلا الأستاذ محمد العابد الجلاي إلى ضرورة لفت انتباه

1- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 70.

2- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 / 1830)، المرجع السابق، ص 286.

3- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 93.

4- الزبير، (بن رجال)، المرجع السابق، ص 62.

5- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 73.

التعليم عن طريق الأمثلة الحية التي تحيط بهم، لأن مناظر الوطن و صور حياته هي مصدر إلهام أبنائه،" فخير لنا و لأبنائنا أن نعرض عليهم أشياء و أسماء يشترك في تطبيقها على حقائق الحس و الذهن معا." (1) كما أنه أكد على ضرورة المحافظة على نشاط التلاميذ عن طريق إدخال بعض الصناعات في المدارس و أنواع الرياضات البدنية.

و يرى هذا الأستاذ أن مهمة المعلم تشبه إلى حد كبير مهمة الفلاح الذي يقتلع من الأرض الأشواك و النباتات الفاسدة لغرس في مكانها غرسا و نباتا صالحا يفيد الفرد و المجتمع.

و يرى الأستاذ أبو القاسم الزغداني في تطوير التعليم ألا يزيد عدد التلاميذ عن الأربعين،" فالأربعون فقط هم الذين يمكن للمعلم أن يضبطهم ضبطا يستفيدون منه و هم الذين يمكن للمعلم أن يوصل إلى عقولهم البسيطة ما يريد أن يوصله." (2) كما ينبغي على المعلم أن يخصص ربع ساعة من ساعة درسه للتربية القولية فيكلمهم في مسائل تنفع الجسم و العقل على حد سواء مثل: الحديث عن النظافة، أو يحكي لهم قصصا عن الأخلاق الفاضلة تشوقهم للاتصال بتلك الصفات.

و لكي يتطور التعليم يجب تطوير المعلم كذلك لأن كيفما كان المرء يكون المرء، و عليه أكد الشيخ الفضيل الورتلاني على ضرورة إصلاح حالة المعلم و المرء لأن في نظره أن معظم "المعلمين و المرءين أو كلهم لا يتجرون على الاستقلال في الفكر و لا يتصرفون حسب الظروف في العلم إنما دأبهم تقليد الكتاب في سرد كل ما سرد فوق البياض و ديدنهم إتباع الأول في المبنيات و الأنقاض." (3) و في هذا الصدد يرى الشيخ البشير الإبراهيمي و من ورائه الجمعية أن نجاح المنظومة التربوية و التعليمية مرهون بالمعلم الذي يجب أن تتوفر فيه الأخلاق العالية و القدوة في العمل و الكفاءة، (4) و كذلك أن تكون له قيمة اجتماعية كي يتمكن من التأثير في من حوله خاصة من التلاميذ الذي يعتبر قدوتهم. و لأولياء التلاميذ دور في تفعيل الطريق الصحيح لعملية التعليم، فعلى الوالد أن يضع ابنه بن أيدي معلم مسلم عالم بأساليب التربية علما و عملا.

كما رأت الجمعية في التربية و التعليم وسيلة للحفاظ على شخصية و هوية الأمة و عناصرها المتمثلة في الدين و اللغة و التاريخ- خاصة إذا علمنا أن إدارة الاحتلال الفرنسي فرضت رقابة صارمة على المساجد، و التي بموجبها تراقب عن كثب خطب الوعظ و الإرشاد التي يلقيها الأئمة و المفتون. كما كانت تمنع علماء الدين غير الرسميين من أن يعظوا و يرشدوا. (5) -، فالهدف منه هو تكوين الإنسان الجزائري حسب ما تصوره ابن باديس الذي يقول في

1- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 74.

2- نفسه، ص 82-83.

3- نفسه، ص 87-88.

4- رابح، (لونيس)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 411.

5- عثمان، (زق)، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830/1914 - دراسة في أساليب السياسة الإدارية-، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: صالح لميش، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014/2015 م، ص 282.

هذا: "حافظ على حياتك و لا حياة لك إلا بحياة قومك و وطنك و دينك و لغتك و جميل عاداتك، و إذا أردت الحياة لهذا كله، فكن ابن وقتك تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة و طرق المعاشرة و التعامل، كن عصريا في فكرك و في عملك و في تجارتك و في صناعتك و في فلاحتك و في تمدنك و في رقيك، كن صادقا في معاملاتك بقولك و فعلك." (1)

يتبين من خلال ما سبق أن الجمعية تهتم بالتعليم اهتماما شاملا و مجانيا، أما عن لغة التعليم و التربية فهي اللغة العربية الحديثة مع التفتح على مختلف اللغات الأجنبية و على رأسها اللغة الفرنسية أو أية لغة أخرى تكون هي السبيل إلى علوم و آداب الغرب بهدف فهم جميع مناحي حياته و تفكير أبنائه. و ما يؤكد هذا هو ما طبقتة الجمعية في مدارسها حيث استندت في تعليمها على "الكتب الحديثة التي كانت مقررة في مختلف المدارس سواء في مصر أو لبنان و حتى تونس و المغرب في بعض الأحيان، مع إدخال بعض التعديلات عليها بهدف جعلها متماشية مع الخصوصية الجزائرية." (2)

أما فيما يخص أسلوب التربية و التعليم فهو يتصف بالحدائثة و التطور و هذا ما يبينه الشيخ البشير الإبراهيمي من خلال مبادئ التربية و التعليم التي وضعها و التي تتمثل في:

- هدف تربوي أكثر مما هو تعليمي كي يكون الفرد عضوا حقيقيا من أمته صالحا للحياة لها و بها و معها، نافعا، محبا و محبوبا.
- وحدة التربية و التعليم في الأمة لأن إذا اختلفت الأصول و المناهج في أمة واحدة كانت كلها فاسدة لأن الصالح كالحق لا يتعدد و لا يختلف.
- الأولوية للأخلاق على العلم حيث يقول: فاجعلوا الفضيلة رأسمال نفوس تلامذتكم و اجعلوا العلم ربحا.
- استعمال الترغيب بدل التهيب و تجنب سلوك تلك الطريقة العنيفة التي كانت شائعة بين معلمي القرآن لأنها أسفدت الجيل و غرست فيه رذائل مهلكة كالنفاق و الكذب، و أن الطفل الصغير لا يفلح في التربية و لا ينجح في القراءة إلا إذا أحب معلمه كحبه لأبويه أو أعظم، و أحب المدرسة كحبه لبيت أبويه أو أشد.
- عدم التناقض بين ما يتلقاه التلميذ في المدرسة و ما يصادفه في البيت و المجتمع مما يتطلب ضرورة تربية المجتمع كله و بخاصة الأمهات لأن عادة ما يفسد البيت ما تلقاه التلميذ في المدرسة و أن البيت عندنا ضرة المدرسة ما تبنيه هذه تخدمه تلك بسبب جهل الآباء و الأمهات.
- القضاء على نقائص الأطفال كالخوف و الغضب و الحسد و سرعة التأثر و الانفعال و سرعة التصديق بكل شيء و إفشاء كل ما تسمعه آذانهم و تراه أعينهم، و لا يتأتى القضاء عليها إلا بتقوية الصفات النقيضة لها

1- رابع،(لونيسبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 408-409.
2- نفسه ، ص 409.

في نفوسهم و بيان اضرارها بالتصوير العملي على قدر ما تحتمله عقولهم، لكن يشترط في كل هذه العملية أن يكون المعلم نموذجاً يقتدى به. (1)

لقد رأت الجمعية في التعليم السبب الرئيس في بناء مجتمع مسلم سليم يبدأ من تنفيذ أول أمر قرآني نزل على الرسول الكريم و هو إقرأ، و هذا مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (2) لكن القراءة حسب ابن باديس هي القراءة العميقة في الكتاب و الكون و الإنسان و المجتمع. (3)

و لما أدركت الجمعية حاجة الأمة إلى التعليم فقد أسست ما يزيد عن 400 مدرسة منشورة في جميع أنحاء الوطن الجزائري، "تؤدي الرسالة بوفاء و صدق و وعي، و تكون جيشاً كبيراً من المعلمين و الوعاظ و الصحفيين الذين كان لهم الفضل بعد الله عز و جل في إحياء و ترميم ما هدم و أمات الاستعمار الفرنسي." (4) و عليه كان يقوم الكثير من الشيوخ بإلقاء المحاضرات التي عرفت نجاحاً شعبياً واسعاً. و هذا ما جعل الإدارة الفرنسية تتبع هذه النشاطات عن كثب، فهي تراقب الشيوخ و ترسل التقارير الشاملة عنهم فمثلاً يتحدث أحد التقارير عن نشاط الشيخ 'الغاسري' الذي ألقى محاضرة بقسنطينة تتحدث عن تطور الحضارة العربية منذ عهد هارون الرشيد إلى يومنا الحالي. (5)

و لم يقتصر دور جمعية العلماء التربوي والتعليمي داخل الوطن فحسب، بل رافق أبناء الجزائر الذي هاجروا إلى فرنسا حيث يشكلون جالية كبيرة. فقد تبّنت الجمعية إلى الأخطار المحدقة بأولئك المهاجرين المُعْرِضِينَ لخطر الذوبان في الحضارة الأوروبية، والابتعاد عن أصول دينهم، فأرسلت إليهم المعلمين والوعاظ والمرشدين، وأسست النوادي والمدارس لتعليم أبنائهم. و لأهمية هذا النشاط الذي بذلته الجمعية في فرنسا أردنا أن نفضل فيه نوعاً ما في العنصر الموالي الذي عنوانه بنشاط الجمعية في فرنسا.

2/ نشاط الجمعية في فرنسا (1936/1956):

رأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن من واجباتها المهمة و مهامها العتيقة و الوثيقة الصلة بخطتها الإصلاحية أن تهتم بالجالية الجزائرية المقيمة بفرنسا، و بتعليم أبناء الجزائر الذين تحيط بهم الأخطار من كل جهة.

1- رابح،(لونيس)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 410-411.

2- سورة العلق، من الآية 1 إلى الآية 5.

3- رابح،(لونيس)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 400.

4- محمد الأمين،(بليغيت)، المرجع السابق، ص 130.

5- A.N.O.M, Dossier 28, Bulletins Mensuels Des Questions Islamiques, Année 1949.

و قد رأت الجمعية أن من مهامها أن تتولى تعليم اللغة العربية و الدين الإسلامي لبناء الجالية حتى يتمكنوا من التمسك بتعاليم دينهم الإسلامي و لا ينسلخوا عن مبادئه و أساسياته.

و بهدف تحقيق بعض من أهداف هذا المشروع سارع الشيخ عبد الحميد بن باديس بإرسال الشيخ الفضيل الورتلاني⁽¹⁾ إلى فرنسا محملاً إياه مهمة تحقيق هذا المشروع الكبير و العظيم.

و بمجرد وصول الشيخ الفضيل الورتلاني⁽²⁾ و اختياره لبعض الشخصيات و الوجوه التي رأى فيها حسن النية و سلامة المقاصد و عوناً له على أداء هذه المهمة، سارع إلى تأسيس " جمعية نادي التهذيب " لمنطقة باريس و ضواحيها.⁽³⁾ فأسس فروعاً لها و نوادي في كل مكان يتواجد فيه الجزائريون بأعداد كبيرة، و كان مقر الجمعية الرئيسي في المكان الكائن مقره في حي بيسون في الدائرة العشرين لباريس (Paris 7 bis cité Bisson, 20^{ème} arrondissement)،⁽⁴⁾ أما التوزيع الجغرافي للنوادي فكان على النحو الآتي: كليشي (Clichy)، سان دوي (Saint-Denis)، مينيلمونطاني (Ménilmontant)، بولون (Boulogne)، بير لاشيز (Père-Lachaise)، بلاس دي طالي (Place d'Italie).⁽⁵⁾

و الجدير بالذكر في هذا المقام أن جمعية التهذيب هي سليله جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و قد ارتبكت بها ارتباط الرضيع بأمه، و اتحدت معها في المبدأ و الفعل و الغاية، و اتجهتا كلاهما اتجاهها إسلامياً خالصاً نقيان من الشوائب و الخرافات و البدع، و لا يراد من هذا الفعل سوى خدمة الإسلام و العروبة في فرنسا و النهوض بالأمة الجزائرية و بأبناء الجالية الجزائرية في فرنسا نهضة دينية و ثقافية و اجتماعية.

وقد كانت جهود الجمعية في هذا الميدان تدور على محاور ثلاثة:

1 . إحداهن مكاتب حرّة للتعليم المكتبي للصغار و الكبار. و قد ميزت الجمعية في هذا الباب بين صنفين من المتعلمين: الصنف الأول و هم أبناء العمال الجزائريين الذين نزحوا إلى فرنسا بأسرهم، أو تزوجوا هناك بأوربيات

1- اختار الإمام ابن باديس الشيخ الفضيل الورتلاني و ذلك لما يتوفر في هذه الشخصية من خصال عظيمة و صفات حميدة جعلته كفواً لتحمل هذه المهمة الشاقة ، و من هذه الصفات: الاخلاص، الوكنية، الكفاءة العالية، العزيمة القوية، الشجاعة الأدبية، القدرة على التنظيم، و فصاحة اللسان. أنظر: سعيد، (بورنان)، المرجع السابق، ص 77.

2- هو حسين الفضيل، اشتهر بالورتلاني نسبة إلى بلدة بني ورتلان، التي ولد بإحدى قرانا بمنطقة القابل ذات يوم من سنة 1900م، ينحدر من أسرته اشتهرت بالعلم، كان منها جده الحسين الورتلاني، العالم و الرحالة صاحب الرحلة المشهورة المسماة رحلة الورتلاني. بعدما نشأ نشأة دينية علمية، و حفظ القرآن و تعلم بمسقط رأسه و عمره لا يتجاوز العشر سنوات. و بعد أداء الخدمة العسكرية الإجبارية انتقل سنة 1928 إلى قسنطينة بهدف طلب العلم و المعرفة، فاجتمع بالشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي رأى فيه النبوغ و فاصطفاه و قربه إليه و جعل منه من المقربين له فعينه مساعداً للتدريس ثم شرفه بنشر مبادئ الجمعية و توسيع نشاطها في المهجر. أنظر: سعيد، (بورنان)، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1956/1936، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2011، 317 صفحة، ص 102-112.

3- سعيد، (بورنان)، المرجع السابق، ص 78.

4- أسس نادي التهذيب الذي كان مقره المؤقت برقم 6 شارع فيكتور لوتال في الدائرة العشرين. ثم استقر برقم 13 شارع بولان بسان دنيس. ينظر: Amar, (Hellal), op.cit, p 191.

5- لمعرفة ما يشتمل عليه كل نادي من تجهيزات أنظر: سعيد، (بورنان)، المرجع السابق، ص 79.

و تناسلوا معهن، و الصنف الثاني هم كبار السن، من عمال و عاطلين خصت لهم أقسام تفتح كل مساء بعد انتهاء دوام العمل.

2. دروس الوعظ والإرشاد الديني في المساجد العامة، إذ دأب كل ناد من نوادي التهذيب على إلقاء المحاضرات التي تتمحور حول الثقافة الإسلامية، و كل ما يتصل بها من مواعظ و توجيهات أخلاقية و اجتماعية.

3. تنظيم محاضرات في التهذيب وشؤون الحياة العامة، في النوادي، و حتى في خارج هذه النوادي، فقد دعي الشيخ الورثلاني للمشاركة في برنامج حديث الاثنين الذي كانت تنظمه "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين" بفرنسا، و قد كلف بسلسلة من المواضيع التي افتتحها بمحاضرة حول "المدنية الغربية و الإسلام".⁽¹⁾

4- حرص الجمعية على إحياء المناسبات الدينية في فرنسا، و كان أول احتفال حرصت على إحيائه نوادي التهذيب ذلك الذي أقامته بباريس بمناسبة عيد الفطر عام 1936م. و ربط الصلات مع الكثير من الشخصيات الدينية، و الثقافية، أو السياسية.⁽²⁾

5- العمل السياسي و المتمثل في الاحتجاجات التي كانت ترفعها نوادي جمعية التهذيب ضد الإجراءات الفرنسية، فمثلا في أواخر عام 1936م اجتمع بباريس أكثر من 6 آلاف م أنصار الجمعية للاحتجاج ضد عملية اعتقال الشيخ الطيب العقي.

6- المشاركة في إثراء نشاطات الجمعيات و المنظمات الأخرى و الندوات الدولية، و إلقاء المحاضرات و الخطابات في كل طرف كان يسمح بذلك. و قد نظمت في ذلك مثلا و تحت رعاية مركز الصداقة و الثقافة الفرنسي/العربي، تجمعا ضم الكثير من الشخصيات نذكر منهم: موريس فيوليت (Maurice Violette)، السيدة ليو وارانير (Léo Warner)، السيد روبر لونغوي (Robert Longuet)، و غيرهم⁽³⁾

7- تفعيل نوادي الجمعية للنشاط الإعلامي عن طريق توزيع المنشورات و صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و صحف جزائرية غير صحف جمعية العلماء مثل: "الإصلاح"، و صحف مشرقية أخرى.

لقد توقف نشاط الجمعية تقريبا بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية خاصة سنة 1940م عندما احتل الجيش الألماني فرنسا في شهر جوان، فصار من الصعب مواولة نشاط نوادي جمعية التهذيب، فعاد أغلب العلماء إلى الجزائر أو سافر بعضهم إلى المشرق العربي، أو سيق الكثير منهم إل ساحات الحرب و القتال. و بعد صدور قرار العفو العام

¹- سعيد، (بورنان)، المرجع السابق، ص 79.

² -Amar,(Hellal),op.cit, p 192.

³ -Amar,(Hellal),op.cit, p 192.

في سنة 1946م عادت الجمعية إلى نشاطها المعتاد من 1946 إلى غاية 1956 فاهتمت الجمعية بتجديد إنشاء الشعب و النوادي الخاصة بجمعية التهذيب، و عززت من نشاط هذه الأخيرة بإرسال كل من الشيخ إبراهيم و الشيخ التبسي إلى باريس عام 1950م الذين عززا العمل هناك و كان لهما الأثر الكبير في ذلك، فتواصلت نشاطات الفروع و النوادي في مجال النشاط التعليمي و الإرشادي و إحياء المناسبات الدينية و الوطنية.⁽¹⁾

عند اندلاع الثورة التحريرية الكبرى أيدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هذا الفعل المبارك، و راح قادتها من أمثال: الشيخ العربي التبسي، و الشيخ محمد خير الدين، و الشيخ أحمد توفيق المدني و الربيع بوشامة، و إبراهيم مزهودي، و غيرهم كثير يساندون الثورة و يتواصلون معها عن طريق الدعاية لها في أوساط الجماهير و حث الشعب الجزائري على الالتحاق بصفوفها.

و أما في فرنسا فلم يتوقف نشاط الحركة التهذيبيية التابع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد استمرت في أداء رسالتها العلمية و الوطنية و الإصلاحية في أوساط المهاجرين، و هذا رغم مضايقات فرنسا و ملاحقتها لرجال الجمعية و أنصارها. و استمر النشاط السياسي لخلايا و شعب الجمعية في فرنسا بسرية كبيرة، عن طريق الاتصال بخلايا جبهة التحرير الوطني بهدف تنظيم الجالية الجزائرية و تأطيرها لصالح الثورة، و قد لعب في هذا الشيخ سعيد البياني⁽²⁾ دورا كبيرا لا يستهان به.⁽³⁾

لقد تحولت شعب و نوادي الجمعية في باريس و مرسيليا و ليون و غيرها من المدن الفرنسية بفضل الثقة التي كان يحظى بها رجالها في أوساط الجالية الجزائرية، إلى خلايا حية و ناشطة تعمل في دائرة جبهة التحرير الوطني منذ اندلاع الثورة التحريرية في سنة 1954، فكانت إحدى أهم الروافد التي عولت عليها الثورة، إذ التحق الكثير من أعضائها و أنصارها بصفوف الثورة إن في داخل الوطن أو خارجه.

3/ الجمعية وتعليم المرأة :

¹- سعيد، (بورنان)، المرجع السابق، ص 100-174.

²- اسمه سعيد بوتقجرت، و لد سنة 1908 م بقرية سيدي إبراهيم بمنطقة البيان بولاية برج بوعرييج. حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه و ختمه و عمره لم يتجاوز أربعة عشر، ثم انتقل إلى زاوية بوداود في أقبو طالبا للعلم في مختلف العلوم الدينية و اللغوية قرابة ست أعوام. و في سنة 1930 كان لقاءه مع الشيخ الطيب العقبى فتأثر بدروسه و حمل من ذلك الوقت فكرة الإصلاح. و في سنة 1934 انتقل إلى قسنطينة للتبحر في مختلف العلوم، و قد قربه الشيخ ابن باديس إليه و توسم فيه الكاء و النجابة. و بعد أن أنهى دروسه انتدبه الإمام عبد الحميد للعمل ضمن الحركة في فرنسا سنة 1937 حيث واصل نشاطه الإصلاحي إلى غاية 1956 أين انتقل إلى المشرق العربي ليواصل نشاطه ضمن جبهة التحرير الوطني. للمزيد حول هذه الشخصية، أنظر: سعيد، (بورنان)، المرجع السابق، ص 195-201.

³- نفسه، ص 178-179.

كان الجمود واقفا في سبيل المرأة ومانعاً من تعليمها،⁽¹⁾ فجاءت جمعية العلماء وأذابت الجمود وكسرت السدود وأخرجت المرأة من سجن الجهل إلى فضاء العلم في دائرة التربية الإسلامية والمنزلية التي وضعت المرأة فيها، والجمعية تبني أمرها على حقيقة وهي أن الأمة كالطائرة لا تطير إلا بجناحين، وجناحها هما الرجل والمرأة، فالأمة التي تخص الذكر بالتعليم تريد أن تطير بجناح واحد، فهي واقعة لا محالة. وجمعية العلماء جولات موفقة في هذا الميدان، فالنساء أصبحن يشهدن دروساً خاصةً بهن في الوعظ والإرشاد ويفهمن ما للمرأة وما عليها. وفي مدارس جمعية العلماء نحو ثلاثة عشر ألف بنت يشاركن الأولاد في السنوات الثلاث الأولى من المرحلة الابتدائية، ثم ينفردن ببرنامج محكم.⁽²⁾

من أجل محاربة التخلف، جعلت الجمعية من أولوياتها الدفاع عن تعليم المرأة و حمايتها من الانحلال الخلقي و التبرج و الاختلاط و كل ما يمس بسوء لكيانها باعتبارها نصف المجتمع الذي يعول عليه في إعداد الناشئة نشئاً سوياً. فهي الزوجة و الأم التي تطلع بمهمة إعداد جيل المستقبل، و على رأي الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

و بحسب نظرة ابن باديس فالمرأة الأبية الحرة ليست هي المرأة التي تقود الطائرة بل هي تلك تلد لنا رجالا يطربون و يعملون على إحياء الأمة، و تقدمها بين الأمم. و في هذا يقول الأستاذ محمد الأمين بلغيث: ارتكزت فلسفة الإمام عبد الحميد بن باديس في منهجية البناء و التغيير على النهوض بشقنا المعطل، و تأصيل دور المرأة المسلمة.⁽³⁾

و كل هذه الجهود تدخل في إطار محاربة الأمية و الجهل، و هذا ما جاءت به المادة 80 من القانون الداخلي للجمعية حيث أكدت محاربة الجمعية "داء الأمية بكل ما تملك من قوة، و من وسائل هذه الغاية أن تعنى بتعليم ما تستطيع من اليتامى الذين عدموا الكافل، و لا تقتصر على تعليمهم الصناعة بل تتجاوز بهم إلى التعليم الصناعي ليدخلوا الحياة مسلحين بآلة من آلات الكسب".⁽⁴⁾

4/ الجمعية و الشباب:

¹ - هذا الجمود الذي نبع من أساسا من سياسة فرنسا التعليمية بالجزائر. لقد كانت مشكلة التعليم بالجزائر، مشكلة أجيال الجزائر كلها، ويدفع ثمنها الأطفال الذين لا يزورون المدارس، بحيث لم تتجاوز نسبة تعليم أبناء الجزائر على أكثر تقدير 8% من جملة الأطفال الذين هم في سن التعليم، وتقل هذه النسبة كلما صعنا في سلم التعليم في المراحل الأخرى. ولذلك كانت نسبة الأمية منتشرة بين الجزائريين انتشارا كبيرا، بحيث لم تكن تقل عن 95% بين الرجال، وعن 99% بين النساء. ونلاحظ هنا أن نسبة الأمية، كانت مرتفعة لدى النساء، لوضعهن الاجتماعي المميز المتعلق بظروف الجو العائلي، فالفتاة التي كان أبوها مثقفا، كان لها الحظ في التعليم، ولكن مثل هؤلاء الفتيات كن قليلات جدا، ولذلك لم يستطعن تجاوز الحدود للاتحاق بالمدرسة للمزيد ينظر: محمد، (قريشي)، المرجع السابق، ص 120.

² - الزبير، (بن رحال)، المرجع السابق، ص 63-64.

³ - محمد الأمين، (بلغيث)، المرجع السابق، ص 143.

⁴ - عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 58.

كما عنت الجمعية بتدريس الأطفال، فقد رأت في الشباب الطاقة القوية و المحركة لكل مجتمع، و هذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۖ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۗ ﴾ (1) فراحت تهتم بهذه الفئة من المجتمع و تعدها إعدادا روحيا و فكريا. عملت الجمعية على تأسيس قسم الشبان لتحقيق أهداف كثيرة نذكر منها:

- زرع بذور النظام و الالتزام في أوساط الشبان.
- مقاومة الفوضى التي ما فتئت تنتشر بين أوساط الشباب الذين احتكوا بأمثالهم من الأوربيين الذين نشروا فيهم حب الشهوات الحيوانية و السعادة المادية الفردية.
- العمل على جعل هذه الفئة من المجتمع الإناء الذي يحمل أمانة المحافظة على الدين و الإنسانية على حد سواء.

كما يذكر الشيخ الفضيل الورتلاني البعض من الغايات التي أسس من أجلها قسم الشبان، و هي زرع عقائد السلف و آداب الدين في الشباب. و يؤكد على أن هذه هي "بعض أصول غايات من تأسيس قسم الشبان ثم يتفرع منها شيء كثير يدركه الحاذق بالبداهة و الضرورة." (2) و لعل الشيء الكثير من هذه الغايات ما يدرك من خلال العمل المستمر على تكوين الشباب الذي هو خزان الثورات و وقودها الذي يحركها، إذ أن الثورة يخطط لها الحكماء و المشايخ، و يشعلها الشباب الفتية الأقوياء.

لقد حققت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن طريق قسم الشباب الكثير من الغايات، نذكر منها:

- تكوين أمة من الشباب يؤمنون بالله يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، امتثالا لقوله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۗ ﴾ (3)
- تكوين الشباب على مقارعة غيرهم من الشباب الأجنبي و الدفاع عن الإسلام و نشر مكنوناته و أسراره بينهم، و تبيان لهم حقيقة هذا الدين الذي كثيرا ما كانوا يستهزؤون به.
- تمكين الشباب الجزائري من ثقافة إسلامية يستطيعون الوقوف بها أمام مغريات الحياة، و التصدي لكل أجنبي أو مستجنب يهزأ بالإسلام. (4)

لقد استطاع قسم الشبان إنجاز الكثير من الأعمال لصالح المجتمع و الأمة منها:

1- سورة الرعد، الآيتين 13-14.
2- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 96.
3- سورة آل عمران، الآية 104.
4- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 98.

- مقاومة طرقي التفریط و الإفراط و الالتزام بالاعتدال.
- الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، بمراتبه الثلاثة: الجسدية الفعلية، و القولية، و القلبية، "و الشبان قادرون على العمل بالجميع، و أحب إليه الثانية ثم الأولى، لأن الثالثة من أعمال ضعفاء الإيمان و الأبدان، و الشباب قوي البدن، صلب العقيدة و الإيمان".⁽¹⁾
- الشباب القوي عامل من عوامل كسر شوكة الظالمين، و تحسين حالة الضعفاء و حراسة حقوقهم.
- تنظيم قسم الشبان حفلا سنويا في شهر رمضان تحت "اسم احتفالات مدرسة التربية و التعليم الإسلامية القسنطينية"⁽²⁾، يوزعون فيه الملابس على التلاميذ و التلميذات تشجيعا لهم على التعليم، و تأكيدا على التأزر و التعاون بين أفراد المجتمع.

لقد كان هذا القسم التابع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الحيز الذي تربى فيه الكثير من الرجال الذين سينثرون درب الثورة الجزائرية و سيكونون وقودها الذي لا ينضب.

5/ الجمعية والطرق الصوفية:

لم يكن المجلس الإداري الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عند نشأتها، منقحًا ولا متجانس الأفكار، فقد ضمّ إلى جانب رجال الإصلاح، بعض الطرقيين و رجال الدين الرسميين، الذين أخفقوا في احتواء الجمعية وتصريفها وفق مصالحهم وأهوائهم، فما أكملوا السنة الأولى حتى فرّوا من الجمعية، وناصبوها العدا، واستعانوا عليها بالظلمة، ورموها بالعظائم، ذلك لأنهم وجدوا كثيرا من الآفات الاجتماعية التي تحاربها الجمعية، هم مصدرها، وهي مصدر عيشتهم، ووجدوا قسما منها مما تُعْضِبُ محاربتة سادتهم ومواليهم.

و بدعم من سلطات الاحتلال لمخارية "المشوشين" - كما كانت تزعم -⁽³⁾، تأسست "جمعية علماء السنة" في خريف سنة 1932م، تضم الطرقيين ورجال الدين الرسميين إضافة إلى بعض العلماء المأجورين، لمناهضة جمعية العلماء، ومناصبتها العدا، ودعموا حملتهم بإصدار بعض الصحف، منها "المعيار" و "الرشاد"، وقد انضمت إلى هذه الحملة جريدة النجاح التي كانت في بدايتها إصلاحية.

¹- نفسه ، ص 99.

²- نفسه ، ص 81.

³ -Mahfoud,(Kaddache),op.Cit, p338.

لم يكن الموقف الحازم الذي وقفته الجمعية تجاه انحرافات الطريقتين وليد نشأتها، بل كان امتداداً للنهج الذي سار عليه ابن باديس والمصلحون من قبل. و في المادة 68 من القانون الداخلي لها تؤكد على إماتة البدع و الخرافات المخالفة للدين، و إحياء السنن الصحيحة الثابتة. " (1)

و لقد عملت الجمعية بعد التروي والتثبت، ودراسة أحوال الأمة و منابع أمراضها، "أن هذه الطرق المبتدعة في الإسلام هي سبب تفرق المسلمين، وأنها هي السبب الأكبر في ضلالهم في الدين و الدنيا" (2) و أن كل ما يوجد من جمود و غفلة، و تقاعس عن أداء الصالحات و الجري وراء المهلكات، فمرده إلى هذه الطرق. فكان القضاء عليها و مقاومتها من أوكد الواجبات. ويوضح لنا الشيخ الإبراهيمي الدوافع وراء محاربة ضلالات الطريقتين، فيقول: "ونعلم أننا حين نقاومها، نقاوم كل شرّ، وأنا حين نقضي عليها -إن شاء الله- نقضي على كل باطل ومنكر وضلال". (3)

ارتكز فكر ابن باديس الإصلاحية و من ورائه الجمعية على الاستئصال الجذري للطريقة التي يعتبرها حليفة الاستعمار و التخلف، و هذا بما خلفه رواد الزوايا، من شرك و فساد اجتماعي، و تحالف منكر و مكشوف مع عدو الإسلام و المسلمين، و في هذا يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: "إن علماء الجمعية يعتبرون القضاء على الطريقة، هو قضاء على كل باطل و ضلال، و أنه لا يتم رقي الأمة الجزائرية، أو أي إصلاح في ميادين الحياة مع وجود هذه الطرق، و ما لها من سلطان على الأرواح و الأبدان، و إفساد للعقول، و قتل للمواهب". (4)

و إن أولى الطرق التي اصطدم بها الشيخ 'ابن باديس' هي الطريقة العليوية لصاحبها 'أحمد بن عليوة' المستغامي لدواعي دينية و دنيوية. فقد تبينت خطورة هذه الطريقة مما تروجه من "مبادئ الباطنية و الدعوة إلى مذهب الحلول و وحدة الوجود". (5) و كذلك اتصاها بالاستعمار و التحالف معه، و "التعاون بينهما على العمل المنسق للنجاح المزدوج". (6)

و الحقيقة في الأمر أن محاربة الجمعية للطريقة، كانت ضرورة حتمية أوجدتها الأوضاع المتدهورة للجزائر و الجزائريين، إذ أن الإصلاح الشامل يتطلب مسحا شاملا لكل مظاهر الجمود الفكري و الروحي. و هذا بالفعل ما سعت إليه الجمعية من خلال اعتبارها الطريقة علة العلل في الفساد، و منيع كل الشرور و تحريف العقيدة و إلحاد الناشئة (7)، لهذا عملت الجمعية على محاربة الطرق المنحرفة و اعتبرت ذلك من أوكد واجباتها الشرعية، لأنها الاستعمار الثاني

1- عبد الرحمن، (شبيان)، المرجع السابق، ص 52.

2- الزبير، (بن رحال)، المرجع السابق، ص 65.

3- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 169.

4- محمد الأمين، (بلغيث)، المرجع السابق، ص 135.

5- أحمد، (حماني)، صراع بين السنة و البدعة أو القصة الكاملة للسلطان بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، ج1، دار البعث، الجزائر، 1984، ص

61.

6- نفسه، الصفحة نفسها.

7- محمد الأمين، (بلغيث)، المرجع السابق، ص 143.

للمسلم الجزائري الذي يعمل على سلبه هويته و خصوصياته الإسلامية. بل و يلخص لنا الشيخ 'الإبراهيمي' مسألة الصراع بين الجمعية و الطرقية في قوله: "المسألة بيننا لا تتجاوز أحد أمرين: إما سنة نحن و هو سواء في امتثالها و الإذعان لها. أو بدعة نحن و هم سواء في تجنبها و قتلها... أما إذا كان الطرف الآخر لا يدين بما ندين فما كان لنا أن نأخذ من على غير ملتنا بما وجب علينا أخذ أنفسنا به." (1) و أكدت الكثير من تقارير الشرطة الفرنسية على هذا المسعى في القضاء على الطرقيين، إذ تتبعت شرطة الاستعلامات كل كبيرة و صغيرة في هذا المجال. (2)

6/ الجمعية و السياسة:

لقد نصت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في قانونها الأساسي على أنها "جمعية إرشادية تهذيبية" (3) و بهذا لا يمكنها أن تخوض في المسائل السياسية (4) ، لكن مع ذلك فإن كل عمل قامت به الجمعية من نشر الدين الإسلامي و اللغة العربية، و تعليم التاريخ، و مقاومة التنصير و التحنيس و الإدماج، كل ذلك كان في حقيقة الأمر يدخل في صميم السياسة، " بل إن ذلك هو أنجع عمل يمكن أن يحبط المخطط الاستعماري الرهيب الذي استهدف الشعب الجزائري في مقوماته الدينية و الحضارية، و يقوض الاستعمار من جذوره" (5)

و من الأعمال التي تحسب في خانة السياسة على أعمال الجمعية مشاركتها في المؤتمر الإسلامي عام 1936. و قد انتقدت الجمعية كثيرا بسبب مشاركتها في هذه المؤتمر باعتبار أن ذلك جعلها تقحم نفسها في السياسة الذي هو ليس من اختصاصها. و هنا يدافع الأستاذ بورنان عن الجمعية إذ يقول: " أن جمعية العلماء قد دافعت في المؤتمر على المطالب المتعلقة بالدين و بالتعليم، و كذا الحقوق السياسية للجزائريين مع تأكيدها على المحافظة على ذاتية الجزائريين بمختلف مقوماتها. " (6)

إن الإسلام دين و دنيا، إذ لا يمكن التفريق فيه بين الجانين: الديني و الدنيوي. لقد أثبت السلوك السياسي الذي اتبعه أغلبية أعضاء الجمعية ذلك. و كذلك كان الأمر بالنسبة لقاداتها خاصة مؤسسها الروحي الشيخ ابن باديس الذي رد على تصريح فرحات عباس حول الاندماج، فقال: "لقد بحثنا، نحن أيضا، في التاريخ و الحاضر و تحققنا من أن الأمة الجزائرية المسلمة قد تشكلت و وجدت، كما تشكلت جميع أمم الأرض. لهذه الأمة تاريخها، المشهور

1- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 289.

2- A.N.O.M, Série I, Dossier 51/47, Rapport de l'Administrateur de la commune mixte de Teleggh à M. le Sous-préfet de sidi bel Abbés daté du 17 Juin 1937.

3- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 18.

4- أبو القاسم، (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط3، 1983، ص 475.

5- سعيد، (بورنان)، المرجع السابق، ص 66.

6- سعيد، (بورنان)، المرجع السابق، ص 72.

بوقائع كبيرة... و من ثم فنحن نقول أن هذه الأمة الجزائرية المسلمة ليست فرنسا و لا تريد أن تكون فرنسا." (1)

أكد الشيخ ابن باديس في أكثر من موقف عن دعمه للاستقلال الذي هو حق طبيعي لكل البشر، إذ قال: "إن الاستقلال حق طبيعي لكل شعب على وجه الأرض." (2)

و الجدير بالذكر هنا أن الجمعية عملت، و بخاصة منذ سنة 1951، على لعب الدور الريادي إن على المستوى السياسي أو على المستوى الاجتماعي و الثقافي. فقد عملت بالتنسيق مع كل من حركة الانتصار و الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري و الحزب الشيوعي على تشكيل، في شهر أوت 1951، جبهة من الدفاع و احترام الحريات، و التي لم تعمر طويلا إذ دخلت في سبات ابتداء من سنة 1952. (3)

إن المتتبع لمسار الجمعية يدرك و بدون أدنى شك أنها عملت على طول تاريخها على تحقيق قواعد صلبة فاحياء حقيقي للثقافة العربية- الإسلامية، الشرط اللازم لأي مسار لتحديد الهوية الوطنية. في حقيقة الأمر سببرز ثمار التعليم في جانبه السياسي على المدى الطويل، من خلال زرع شبكة من المؤسسات التعليمية، التي عملت على نشر البرنامج السياسي للجيل القادم. لقد تضمن هذا البرنامج التصدي للاستعمار و تكوين جيل من الوطنيين، و في هذا كتب أحد الباحثين: "لم يكن ممكنا أن يكون الهدف الأقصى لجمعية العلماء سوى إعادة إحلال سلطة مسلمة، الشرط اللازم لإحياء الإسلام الجزائري." (4) و في هذا تؤكد الكثير من تقارير الشرطة الفرنسية على سعي الجمعية للوقوف حاجزا أمام ممارسات الإدارة الفرنسية و فضح معاونيها من الجزائريين، و بخاصة أولئك الذين عينتهم على مستوى المساجد، إذ يؤكد تقرير الشرطة حول اجتماع عقد بتاريخ 16 سبتمبر 1953 بمدرسة دار الحديث بتلمسان على أن الشيخ 'زموشي سعيد' هاجم أعوان الإدارة الذين يعتبرهم عبارة عن منابع الإمبريالية الفرنسية و العدو القاتل لتعاليم الشريعة الإسلامية. (5)

7 / الجمعية والتجنيس :

كانت سياسة فرنسا منذ وطئت أقدام جيوشها أرض الجزائر، ترمي إلى الإدماج الكامل لهذا الوطن، وتذويب شعبه في ثقافتها الغربية، تمهيدا لفرنسته وتنصيره.

و مع تعاقب الأحقاب، ظهرت بين الجزائريين فئة تربت في مدارس الاستعمار، تدعو وترغب في التجنس بالجنسية الفرنسية، والتخلي عن أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالأحوال الشخصية، بغية الحصول على بعض الحقوق السياسية، ولم تكن جمعية العلماء لتسكت عن هذه المسألة الخطيرة، بل كانت أول من تصدى لها وحاربتها في

¹- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 / 1830)، المرجع السابق، ص 291.

²- نفسه، ص 291.

³ -Amar,(Hellal),op.cit, p 133-134.

⁴- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 / 1830)، المرجع السابق، ص 292.

⁵- A.N.O.M, Dossier 106, Activité des principaux Chiouhh, compte rendu d'une réunion donné le 16 septembre 1953.

الخطب العامة، والمحاضرات وفي الصحف، موضحة حكم الإسلام في ذلك. و لما أصرّ دعاة التحنس على توسيع دعايتهم، وعقدوا اجتماعهم العام سنة 1934م، لمطالبة الحكومة بتسهيل التحنيس، سعيًا منهم لتكثير سوادهم، أصدرت جمعية العلماء على لسان رئيسها، الفتوى الشهيرة بتكفير من يتحنس بالجنسية الفرنسية، ويتخلى عن أحكام الشريعة الإسلامية، جاء فيها: "التحنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة، ومن رفض حكمًا واحدًا من أحكام الإسلام، عُدد مرتدًا عن الإسلام بالإجماع، فالمتحنس مرتدّ بالإجماع." (1)

كما رد الشيخ عبد الحميد في نفس الإطار على فرحات عباس الذي كان يصر على عملية الإدماج بقوله: "لقد قال أحد النواب الناهجين أنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر، و فتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على أثر...إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ، و فتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة، كما تكونت و وجدت كل أمم الدنيا." (2) كما أكدت الجمعية في بيان لها موجه إلى الشعب الجزائري المسلم، إننا نقول أن الجزائر يسكنها شعب بلسان عربي و بعقيدة إسلامية، يطلب من فرنسا احترام كل ما يخصه و الذي يسمح له بالبقاء عربيًا مسلمًا متمتعًا بكل الحقوق و مؤديًا كل الواجبات التي تفرضها القوانين على أساس العدالة و المساواة. (3)

ثم أعلن الشيخ ابن باديس صراحة، في الشهاب عام 1936، عن موقفه الراض للاندماج، حيث قال: "إن هذه الأمة الإسلامية الجزائرية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، و لا تريد أن تصير فرنسا، و لا تستطيع أن تصير فرنسا و لو أرادت، لكنها أمة بعيدة كل البعد في لغتها و في أخلاقها و في عنصرها و في دينها لا تريد أن تندمج و لها وطن محدود معين من قبل الدولة الفرنسية." (4)

رابعا : الجهود التربوية و التعليمية للجمعية :

وكان هدف ابن باديس، العقل المدبر والقائد المنشط لهذه الكوكبة، الذي اجتمعت فيه صفات النزاهة والأمانة الفكرية اللامتناهية والذي هام حبا بالجزائر ولغتها ودينها، هو تطهير الإسلام الجزائر من كافة الممارسات التي لا تتفق مع القرآن والسنة من حيث هما المصدران الوحيدان للعقيدة الإسلامية. هؤلاء الرجال المتفانين والمتطوعين كانوا يرومون جميعهم، عن طريق التربية والكتاب والصحافة، بعث سنة السلف الصالح في عهود الإسلام الزاهرة الأولى، مع تكييفها مع ما تقتضيه آفاق التفتح على حداثة معتدلة. كان على المسلمين، في نظرهم، أن يجعلوا السلف الصالح مثلهم الأعلى ، مثلما كان الحال في الشرق الأوسط. كما عرفوا باسم الإصلاحية. لقد اتخذ نشاط المجموعة من أجل إحياء المسلمين الجزائريين أخلاقيا، وبعث إسلام أصيل في نظرها، وتأكيد الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري أشكال عدة. كما تخندق، للدفاع عن مثلها، في خندق الصحافة.

1- البصائر، العدد 95، 14 يناير 1938.

2- سليمان، (قريبي)، المرجع السابق، ص 70.

3 -Mahfoud,(Kaddache),op.Cit, p589.

4- أحمد، (حماني)،صراع بين السنة و البدعة أو القصة الكاملة للسلطان الإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، ج2، دار البعث، الجزائر، 1984، ص 244.

وهكذا، فقد استحوذ الإصلاحيون على أهم المناصب في الجمعية وهمشوا، بسرعة، ممثلي الطرق. بعد سنة واحدة، تمت القطيعة مع شيوخ الطرق الذين شكّلوا، بدورهم، جمعية علماء الجزائر السنين. وقد أدى الصراع المفتوح والقطيعة بين المجموعتين المتعارضتين، العلماء الإصلاحيين من جهة، وشيوخ الطرق والزوايا من جهة أخرى، إلى زرع البلبل في أوساط الشعب، خاصة منه طبقة الفلاحين وسكان المناطق الداخلية المتميزين ببساطتهم الطبيعية في أداء الشعائر الدينية والذين كانوا لا يزالون جد متمسكين بزواياهم، خاصة و أن هذه الزوايا كانت لها سلطة روحية معتبرة ونفوذ عميقا فيما يتصل بالمسائل الدنيوية : التعليم، التحكيم، الضيافة، الأعمال الخيرية... إلخ ينبغي التأكيد على أن الإصلاحيين قد أبانوا، مبكرا، عن وطنية معتدلة ، على الأقل فيما يتعلق بإشكالية اعتناق الشعب الجزائري و تحرره وأنهم قد تطلّعوا باستمرار إلى تغيير للسياسة الاستعمارية الفرنسية، و هذا ما تؤكده العديد من تقارير الشرطة الفرنسية التي تتبعت نشاطات مناضلي الجمعية، ففي تقرير شرطة الاستعلامات المؤرخ بتاريخ 17 أوت 1953 حول نشاط الشيخ 'زموشي سعيد' ما يؤكد ذلك. (1) كانت سياسة جمعية العلماء المسلمين تركز على شعار: "الإسلام ديننا، العربية لغتنا والجزائر وطننا". و قد عمل أعوان الجمعية في كل التراب الجزائري على ترسيخ هذه المبادئ و دعوة المسلمين إلى ضرورة الوحدة التي تجلب القوة للدفاع عن الشريعة الإسلامية. (2)

خامسا : البعد الإسلامي في أدبيات الجمعية:

للإسلام نورانية لا تبرح تشرق في غياهب النفوس التائهة فتنبئها، وفي اعتناقه طمأنينة لا تزال تتبوأ القلوب الغوية فتزج عنها الضلالة والغواية؛ فتمسي ساجحة في بحر من النور العظيم. الإسلام دين الله الحق؛ ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (3) إن المتمعن في دراسة تاريخ الجزائر، خلال القرن الثامن عشر و التاسع عشر، يرى بوضوح أن الإيديولوجية السياسية تتكون من ثنائيتين: الجهاد كإيديولوجية دينية، و الوطنية. (4) و لما كان الشعب الجزائري مسلماً فقد كان منتظراً أن يستند إلى هذه القيم الروحية في مقاومته الاستعمار الفرنسي بحكم اختلاف الانتماء والمعتقد واللسان؛ لكي يستمد من تلك القيم العظيمة قوته وشجاعته فيحقق أهدافه في التحرر.

فالمقاومة الوطنية، نهضت منذ انطلقت إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، وتلقائياً، على البعد الروحي أساساً، ولكن في سماحة الإسلام ونورانيته دون تعقيد عقيدته بالتسييس و السياسة كما تفعل في الوقت الحالي الكثير من الأحزاب التي تحلم بالإسلام السياسي ليتربعوا على كراسي الحكم و المطاعم.

¹- A.N.O.M, Dossier 106, Activité des principaux Chiouhh, Activité à Tlemcen du Cheikh ZEMMOUCHI Saïd, inspecteur des Medersas Réformistes d'Oranie.

²- A.N.O.M, Dossier 106, Activité des principaux Chiouhh, Activité du Cheikh ZEMMOUCHI Saïd le 12 septembre 1953.

³- سورة آل عمران، الآية 85.

⁴- Tayeb, (Chentouf), op.cit, p 126.

و أياً ما يكن الشأن، فإن المقاومة الوطنية الجزائرية لما جاءت تنهض لتفعل فعلها مع المحتلين الفرنسيين؛ لم تجد شيئاً، بعد عاطفة حب الوطن الجياشة، تستند إليه غير الالتجاء إلى الدين الإسلامي الحنيف تستظهر به على مقاومة الأعداء، وتشتد به لدى ساعات الحرج والضيق؛ فكان مفعول الدين وتأثيره في عامة التصرفات للمجاهدين والمقاومين كبيرين منذ بدء المقاومة الوطنية على عهد الأمير عبد القادر، إلى اشتعال نيران ثورة التحرير لعام 1954، وتألق أنوارها في الوقت نفسه، في فاتح نوفمبر من عام أربعة وخمسين وتسعمائة وألف.

و إنا لنلاحظ، أن عامة الثورات والانتفاضات الوطنية التي اندلعت ضد المحتلين الفرنسيين في الجزائر إنما انطلقت في أصلها من عقر المؤسسات الدينية، وصحون المساجد خصوصاً، فكان قادتها من علماء الدين، (ولا نستثنى من ذلك إلا بعض حركات المقاومة الأخرى).⁽¹⁾

غير أن المقاومة بعد الحرب العالمية الأولى بدأت تتأسس على أساس عصري ينهض على الحزبية السياسية قبل كل شيء، ولكن الثورة الجزائرية حين اشتعلت نيرانها في كل شبر من أرض الوطن سرعان ما فزعت إلى الروحيات تستمد منها قوتها؛ كما كانت تفعل ذلك، من قبل، المقاومات الوطنية الأخرى.

و لقد يعني ذلك أن عامة المقاومات الوطنية استندت في اشتعالها وتأججها و تحسيسها للشعب الجزائري على العاطفة الوطنية ممتزجة بالعاطفة الدينية في الوقت ذاته؛ فكان الإيمان بالله العظيم هو الذي يُذكي حماسة المقاتل ويدفعه إلى البلاء الحسن في المعارك، والمسارة إلى التضحية بالنفس في سبيل الله، وذلك على أساس أن المقتول في معركة الدفاع عن الوطن هو شهيد، حي يرزق عند الله مع الشهداء والصالحين؛ وهذا ما تؤكد الآيات الكريمة التي يقول فيها الله عز و جل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾⁽²⁾ فكان ذلك من العوامل الروحية التي كانت تحمل الشباب على التنافس والتسابق من أجل الالتحاق بجيش التحرير الوطني للدفاع عن الوطن، وتحريره من رجس الاستعمار الفرنسي.

وفي هذا الصدد يؤكد الأستاذ رابح لونيسي أن الجمعية لا تختلف عن أغلب الاتجاهات الأخرى ذات المرجعية الإسلامية في الاعتقاد أن الإسلام يشتمل على كل الحلول لمشاكل العصر.⁽³⁾ و الإسلام هو دين البشرية جمعاء الذي لا تسعد إلا به و هو أساس تماسك المجتمع و الوحدة الوطنية لذلك سارعت الجمعية على العودة به إلى أصوله الصحيحة و منابعه الطبيعية و تنقيته من الخرافات و البدع و الشعوذة التي لحقت به من جراء السياسة الاستعمارية من جهة، و أساليب بعض الطرق الصوفية من جهة أخرى.

الأکید أن الجمعة، و من خلال أعمالها الكبيرة و مسارها الطويل استطاعت أن تحقق عملاً كبيراً في المدن، و أثرت في جيل برمتها، الجيل الذي قاتل النظام الاستعماري، ليس فقط بالأسلحة، و لكن أيضاً، باسم الإسلام المحدد و العروبة، فارتضى بالتالي هاتين الفكرتين على مجمل المقاتلين، و بالأخص على العناصر ذات التكوين الفرنكفوني. و في هذا يقول الشيخ بن باديس: "إن الإسلام عقد اجتماعي عام فيه كل ما يحتاج إليه الإنسان في جميع نواحي حياته لسعادته و

¹ - Tayeb,(Chentouf), op.cit, p 120-121.

² - سورة آل عمران، الآية 169.

³ - رابح،(لونيسي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 91.

رقبه، و قد دلت تجارب الحياة كثيرا من علماء الأمم المتمدنة على أن لا نجاة للعالم مما هو فيه إلا بإصلاح عام على مبادئ الإسلام".⁽¹⁾

بعد جهد جهيد تمكنت الجمعية من الحفاظ على تركة الأجيال السابقة، و إعادة الاعتبار للثقافة العربية-الإسلامية، و فرضها إلى غاية جعلها مرجعا إيديولوجيا رئيسيا و سلاحا للقتال في كافة المجالات.⁽²⁾ فبالنسبة للشيخ بن باديس "فالمسلم العارف بدينه ليس بحاجة إلى أي مذهب من مذاهب الحياة، فليس للجمعية إذا من نسبة إلا إلى الإسلام".⁽³⁾

و لأن الجمعية هي من التيارات الفكرية التي تعتبر الإسلام مرجعية رئيسية لها فقد جعلت من الإسلام الهم الوحيد و الشغل الشاغل لها فبالنسبة للإصلاحيين فالإسلام ليس مجرد هوية فقط بل هو "سلوك و ممارسات و مرجعية رئيسية للدولة، و لهذا نجد ابن باديس يميز بين ما يسميه ب الإسلام الوراثي و الإسلام الذاتي، فالأول متعلق بالهوية و يعرفه ب الإسلام التقليدي الذي يؤخذ بدون نظر و تفكير و إنما يتبع فيه الأبناء ما وجدوا عليه الآباء، و محبة أهله للإسلام إنما هي محبة عاطفية بحكم الشعور و الوجدان".⁽⁴⁾ و عليه فإن دور هذا الإسلام لا يتعدى حدود مسألة الحفاظ على الهوية و بعض الأخلاق. أما الإسلام الذاتي الذي يرى فيه ابن باديس أنه "إسلام مبني على فهم قواعد الإسلام، و إدراك محاسنه المتمثلة في عقائده و أخلاقه و آدابه و أحكامه و أعماله، كما هو إسلام التدبر و التفكير في آيات الكون فتستثمر ما في السموات و ما في الأرض"⁽⁵⁾ و هذا مصداقا لقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾⁽⁶⁾ و على هذا الأساس شاركت الجمعية في الكثير من المؤتمرات ذات الصلة بالثقافة الإسلامية فمثلا: مشاركتها في مؤتمر الثقافة الإسلامية المنعقد بتونس أيام 11 إلى 17 سبتمبر 1949 بوفدها المكون من : إسماعيل العربي، حماني الميللي، و الشيخ نعيمي. و كعادتها فقد حاربت الجمعية الإدارة الفرنسية التي تعمل من أجل القضاء على الدين الإسلامي و اللغة العربية.⁽⁷⁾

و مهما يكن فمنذ تأسيس الجمعية و إلى غاية حلها، لم تتغير أفكارها على المستوى الديني العقدي. فقد بقيت ونية لمعتقدات التوجه الإصلاحي. و يمكن تلخيص مطالبها في هذا الجانب فيما يلي:

- العودة إلى الإسلام الأصيل و القضاء على كل الابتكارات المذمومة.
- محاربة الفكر الطرقي و الصوفية.
- استقلالية الدين الإسلامي و فصله عن الدولة و عودة المساجد و الأوقاف إلى حضن المسلمين.
- حرية التعبد و التعليم في كل المساجد.
- استقلالية القضاء الإسلامي.⁽⁸⁾

¹- رابع،(لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 91.

²- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1830 /1962)، المرجع السابق، ص 292.

³- رابع،(لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 91-92.

⁴- نفسه، ص 399.

⁵- نفسه، ص 399.

⁶- سورة محمد، الآية 24.

⁷ - A.N.O.M, Rapport Mensuel sur l'Activité Musulmane Dans le Département D'Oran Septembre 1949.

⁸ -Amar,(Hellal),op.cit, p 123.

سادسا: ابن باديس يعد عدة الجهاد و الثورة:

يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: "اسم الجمعية يفصح عن حقيقتها، فهي جمعية علماء، يخدمون الإسلام بتبيين حقائقه و نشر علومه بالجزائر، و ما صنعه الاستعمار الفرنسي بها... بدأت جمعية العلماء أعمالها بالاتصال بالأمة عن طريق الدروس الدينية، و المحاضرات الاجتماعية و التاريخية... و كان التأثير بليغا، و كان التأثير عظيما، فكان فزع الاستعمار." (1)

إن تهيئة أسباب الجهاد من الواجبات الشرعية فقد قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (2)، و قد قسم العلماء هذه العدة إلى مادية و أخرى معنوية، و أهمها العدة المعنوية و التي منها تعبئة الجماهير و إقناعهم بفرضية الجهاد و بقدرتهم على الانتصار بإذن الله تعالى و تحضيرهم للكفاح المسلح، و نزع الخوف من قلوبهم، و مما لا شك فيه أنه لا يمكن تحرير الأوطان إلا بتحرير الإنسان. و تحرير الإنسان يقتضي تحرير النفوس من مخاوفها اتجاه الاستعمار، و إقناع العقول بضرورة تحطيم أسطورة الاستعمار الذي لا يقهر. و في هذه الصدد جاءت المادة 76 من القانون الداخلي لجمعية حيث أكدت على ضرورة إعداد "طائفة من الناشئة و تلقينهم أساليب الإدارة نظرا و عملا لتجدهم في يوم من الأيام عونا لها في إدارة المؤسسات من مكاتب و ملاجئ و محميات..." (3) لقد صحح 'ابن باديس' عقائد الناس فحارب الطريقة التي نشرت الشعوذة و الخرافات و البدع و عبّدت الناس للمشايع و لفرنسا، و حارب عقيدة الإرجاء التي يقول أصحابها الإيمان في القلب فضيعوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و حارب عقيدة الجبر التي جعلت من فرنسا قدراً محتوماً لا مفر منه و يجب الرضا به. لقد أحيا 'ابن باديس' عقيدة الولاء و البراء التي تقي المسلم من الذوبان في محبة الكفار و تقليدهم و التي هي من أسباب العزة و التمكين، و في هذا يقول المولى عز و جل: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (4)

كما حارب دعاة الإدماج و مسخ الشخصية الجزائرية الإسلامية حيث أفتى بأن المتجنس بالجنسية الفرنسية كافر مرتد عن دين الإسلام. كما ربط الناس بكتاب الله تعالى الذي به تحي القلوب و الشعوب ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِينًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (5)

1- الزبير، (بن رحال)، المرجع السابق، ص 60.

2- سورة الأنفال، الآية 60.

3- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 57.

4- سورة المجادلة، الآية 22.

5- سورة الأنعام، الآية 122.

لقد سعى 'ابن باديس' في تصحيح عقلية الناس و عقائدهم لأن ذلك هو الطريق الصحيح إلى الحرية و الانعتاق مصداقا لقول الله: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ (1)

و بذلك بدأ 'ابن باديس' مشروع بناء الأمة الجزائرية من خلال العودة إلى أصول العقيدة الصحيحة و التعليم الحقيقي فقد بلغت مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1954 حوالي 170 مدرسة تضم حوالي 700 معلم و 50 ألف تلميذ، هذا مع مضايقات الإدارة الفرنسية للتعليم العربي و للجمعية. (2)

المتتبع لمسار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يدرك الدور الفعال الذي لعبته، و الأثر الذي خلفه برنامجها على المدى الطويل على الأجيال الصاعدة، الأجيال التي شاركت في معركة التحرير الوطني، و في إعادة بناء الجزائر المستقلة. (3)

1 / ابن باديس يبشر بالجهاد:

لقد وعد 'ابن باديس' بالجهاد و تنبأ به في أكثر من موقف و موضع فقد جاء في النشيد الوطني المعروف بـ"شعب الجزائر مسلم" ما يؤكد ذلك:

شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبُ
مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبَ
أَوْ رَامَ إِدْمَاجًا لَهُ رَامَ الْمُحَالَ مِنْ الطَّلَبِ
يَأْنِشُ أَنْتَ رَحَاؤُنَا وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدِ اقْتَرَبَ
خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلَاحَهَا وَخُضِ الخُطُوبَ وَلَا تَهَبْ
وَأَرْفَعْ مَنَارَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانَ وَاصْدُمْ مَنْ غَصَبَ
وَاقْلَعْ جُذُورَ الخَائِنِينَ فَمِنْهُمْ كُلُّ الْعَطَبِ
وَأَذِقْ نَفُوسَ الظَّالِمِينَ سُمًّا يُمَزَّجُ بِالرَّهَبِ
وَاهْزُرْ نَفُوسَ الجَائِمِدِينَ فَرَيْتَ مَا حَيَّ الخَشَبِ
إِلَى أَنْ قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ:

مَنْ كَانَ يَبْغِي وَدَنَا فَعَلَى الْكِرَامَةِ وَالرَّحْبِ
أَوْ كَانَ يَبْغِي دُلْنَا فَلَهُ الْمَهَانَةُ وَالْحَرْبُ
هَذَا نِظَامُ حَيَاتِنَا بِالنُّورِ خُطٌّ وَبِاللَّهَبِ
حَتَّى يَعُودَ لِقَوْمِنَا مِنْ مَجْدِهِمْ مَا قَدْ ذَهَبَ

1- سورة الرعد، الآية 11.

2- محمد، حاج عيسى، جمعية العلماء و الحرب التحريرية الكبرى، خطبة جمعة أقيمت في 7 نوفمبر 2008 بمسجد عمر بن الخطاب، الجزائر العاصمة.

3- محفوظ، قداش، و جيلالي، صاري، الجزائر صمود و مقاومات (1962 / 1830)، المرجع السابق، ص 286.

هَذَا لَكُمْ عَهْدِي بِهِ حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرْبِ
فَإِذَا هَلَكْتُ فَصَيِّحْتِي تَحِيَّا الْجَزَائِرُ وَالْعَرَبُ. (1)

و ربما أصرح من هذا قوله:

| | |
|---------------|-----------------|
| اشهدي يا سما | واكتبن يا وجود |
| أنا للحمى | سنكون الجنود |
| فنزوح البلاء | و نفاك القيود |
| و نيل الرضى | من وفى بالعهود |
| و نذيق الردى | كل عات كنود |
| فيرى جيلنا | ذكريات الجدود |
| و يرى قومنا | خافقات البنود |
| و يرى نجمنا | للعلأ في صعود |
| فتضم اسمنا | صفحات الخلود |
| هكذا هكذا | هكذا سنعود |
| فاشهدى يا سما | و اكتبن يا وجود |
| أنا للعلأ | أنا للخلود (2) |

و قد نقل عنه أنه قال لبعض جلسائه عام 1936 إذ لم يكن من مطالبهم الاستقلال: "و هل يمكن لمن شرع في تشييد منزل أن يتركه بدون سقف، و ما غايتنا من عملنا إلا تحقيق الاستقلال." (3)

و في سنة 1937 كتب مقالا عنوانه "هل آن أوان اليأس من فرنسا"، لوح بالجهاد عندما تحدث فيه عن اللجوء إلى سلاح اليائسين، و سلاحهم النحر أو الانتحار. كم ختم الشيخ عبد الحميد بن باديس في خطابه التاريخي في الجلسة الختامية للمؤتمر الثني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سنة 1937 بأبيات شعرية ضمنها نصائح و التشجيع على البقاء على العهد حتى الفناء، و فيه من التلميح للثورة، و فيها يقول:

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| أشعب الجزائر روعي الفدى | لما فيك من عزة عربية |
| بنيت على الدين أركانها | فكانت سلاما على البشرية |
| خلدتم بها و بكم خلدت | بهذه الديار على الأبدية |
| فدوموا على العهد حتى الفنا | و حتى تنالوا الحقوق السنية |
| تنالونها بسواعدكم | و إيمانكم و النفوس الأبية |

1- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 63.

2- نفسه، ص 66.

3- محمد، حاج عيسى، جمعية العلماء و الحرب التحريرية الكبرى، خطبة جمعة أقيمت في 7 نوفمبر 2008 بمسجد عمر بن الخطاب، الجزائر العاصمة.

فضحوا وها أنا بينكم بذاتي وروحي عليكم ضحية⁽¹⁾

كما هدد الشيخ ابن باديس ذات مرة أمام لجنة برلمانية فرنسية بالثورة، فعندما سأل رئيس اللجنة رجال العلماء عن الإصلاح المنشود في الجزائر، فأجاب الشيخ: "إني أحقق لكم - قبل كل شيء - أمرين، هما: أولاً: إن كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك جنسيتهم أو لغتهم أو دينهم أو تاريخهم، أو شيء من مقوماتهم، هي محاولة فاشلة مقضي عليها بالخيبة"⁽²⁾ ثم أردف قائلاً: "إذا ألزمت فرنسا المسلمين برفض شريعتهم و التخلي ع ذاتيتهم كأنهم يشعرون بالغبرة القاضية عليهم بالعدم التام، و أنا أحقق لكم أنكم إذا ألزمت الأمة الجزائرية المسلمة برفض شريعتها و التخلي عن ذاتيتها فإنكم تكونون قد وضعتم أمراً يؤول بالجزائر إلى اضطراب أعظم لا تدري عاقبته."⁽³⁾

2/ ابن باديس يهمل بإعلان الجهاد:

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية عام 1939، و لما بان العجز و الضعف الفاضح في الجيش الفرنسي بادر بعض الزعماء السياسيين هيبة من فرنسا أو إيماناً بما فتطوعوا في جيشها فاشتدت حسرة الشيخ 'عبد الحميد بن باديس' من أفعالهم و قال: " لو استشاروني لأشرت عليهم بالصعود إلى جبال أوراس و شن الثورة منها على الاستعمار."⁽⁴⁾ و قال لبعض من كان معه عاهدني فلما عاهدته مصافحة قال: "إني سأعلن الجهاد على فرنسا عندما تشهر عليها إيطاليا الحرب."⁽⁵⁾ و إنما عين إيطاليا بالذات لأنها كانت تجاورنا و يمكن أن نستمد منها السلاح. و قال في مجلس آخر: " و الله لو وجدت عشرة من عقلاء الأمة الجزائرية يوافقوني على إعلان الجهاد لأعلنته."⁽⁶⁾

و لقد شهد الشيخ 'محمد الصالح بن عتيق' أن 'ابن باديس' انفلت من الرقابة الاستعمارية المضروبة عليه في قسنطينة و زار الميلية خفية و سأل عن درجة استعداد الأمة، فأجابه أن رجال الميلية سيجدهم رجال بارود، لكنه لم يرجع لأن الموت جاءه فجأة قبل أن تدخل إيطاليا الحرب، و قد قيل مات مسموماً من طرف الإدارة الفرنسية. و حتى و الشيخ يصارع سكرات الموت علم أصحابه كيف يتعاملون مع الاستعمار المعاملة اللائقة التي يستحقها و هي طرده من الجزائر. فقد طلب الشيخ ابن باديس إخراج والي قسنطينة الذي زاره في داره، و قال غاضباً: "أخرجوني من هنا، أو أخرجوه!"⁽⁷⁾ فخرج الوالي الفرنسي يجر أذيال الخيبة و الهزيمة، و لفظ الإمام ابن باديس

1- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 65.

2- الزبير، (بن رحال)، المرجع السابق، ص 100.

3- نفسه، ص 100-101.

4- محمد، حاج عيسى، جمعية العلماء و الحرب التحريرية الكبرى، خطبة جمعة أقيمت في 7 نوفمبر 2008 بمسجد عمر بن الخطاب، الجزائر العاصمة.

5- محمد، حاج عيسى، جمعية العلماء و الحرب التحريرية الكبرى، خطبة جمعة أقيمت في 7 نوفمبر 2008 بمسجد عمر بن الخطاب، الجزائر العاصمة.

6- نفسه.

7- الزبير، (بن رحال)، المرجع السابق، ص 101.

أنفاسه الأخيرة في ذلك اليوم. و قراءتنا البسيطة و المتواضعة في هذا الموقف أن الشيخ ابن باديس أشار في آخر أيامه إلى ضرورة طرد المستعمر و إعلان الثورة على فرنسا الغاصبة لأرضنا و خيراتها.

لم يكن الشيخ 'عبد الحميد بن باديس' من يحمل فكرة الجهاد وحده، بل كذلك خليفته على رئاسة الجمعية الشيخ 'البشير الإبراهيمي' الذي قال معلقاً على حوادث 8 ماي 1945: "إنها فورة ستعقبها ثورة" و قال في خطاب ألقاه في باريس بمناسبة نيل ليبيا استقلالها عام 1951: "إن الجزائر ستقوم قريباً بما يدهشكم من تضحيات و بطولات في سبيل نيل استقلالها و إبراز شخصيتها العربية الإسلامية."⁽¹⁾ و قال في خطاب أيضاً أمام الوفود العربية عام 1952 بباريس: "و إن بعد اللسان خطيباً صامتاً هو السنان، و إننا لرجال و إننا لأبناء رجال و إننا لأحفاد رجال. و إن فينا لقطرات من دماء أولئك الجلود، و إن فينا لبقايا مدخرة سيجليها الله إلى حين."⁽²⁾

لقد استطاعت الجمعية بالخطة التي رسمها لها الشيخ عبد الحميد بن باديس، القيام بانقلاب جذري يركز على إعداد جيل صالح ينهض نهضة إسلامية، بحيث يأخذ من عظمة الماضي، و من يقظة الحاضر ما يعصمه من الزلزل و الانحراف، و يسير في طريق المستقبل المشرف. و هي بذلك أي الجمعية قد كشفت عن هذه القوة الهائلة التي حققت يقظة الجزائر و نهضتها المعاصرة.⁽³⁾

سابعا: الصعوبات التي واجهت الجمعية

لم تغفل السلطة الفرنسية عن نشاط الجمعية، وبدأت في التضيق على أعضائها منذ عام 1933، و وضعت كافة أعضائها تحت المراقبة، و منعت إصدار تصاريح جديدة لمدارس الجمعية. فقد كانت مكائد الاستعمار كثيرة و كبيرة، فكانت كما قال الشيخ الإبراهيمي: "صحف تتأدل، و ألسن تتقول، تقابلها من جهتنا عقيدة لا تحول، و ثبات لا يتزلزل، و ثقة في الله لا تبدل."⁽⁴⁾

ولما كانت الإجراءات الفرنسية ضد الجمعية بغرض تحجيم حركة الجمعية حتى يخلو الطريق للصوفية، فقد واجهت الجمعية الصوفية في المساجد و بين جموع الناس، فاستيقظت الجزائر على حقيقة الصوفية الخاضعة و تعاونها مع المحتل.

وكانت المواجهة الثانية مع المؤامرات الفرنسية على هوية الجزائر في عام 1936، وذلك من خلال مشروع فرنسي يجعل الجزائر مقاطعة فرنسية، ويتم تمثيلها في البرلمان الفرنسي، و ظن البعض أن هذا المشروع قد يكون طريقاً للحصول على بعض حقوق الجزائر المهذرة، فشارك مجموعة من الجمعية على رأسهم ابن باديس في مؤتمر جزائري فرنسي في باريس لمناقشة المشروع، وكان حضورهم بشكل شخصي حتى لا يخالفوا قانون الجمعيات، واستطاع أفراد

1- محمد، حاج عيسى، جمعية العلماء و الحرب التحريرية الكبرى، خطبة جمعة أقيمت في 7 نوفمبر 2008 بمسجد عمر بن الخطاب، الجزائر العاصمة.

2- نفسه

3- محمد الأمين، (بلغيت)، المرجع السابق، ص 126.

4- الزبير، (بن رحال)، المرجع السابق، ص 70.

الجمعية توجيه القرارات النهائية بما يحفظ للجزائر عروبته، وإسلامه، وذاتيته، وصاغ ابن باديس رده على المشروع في قصيدة مفحمة.

كان نجاح الجمعية في إحباط هذه المؤامرة دافعًا للسلطات الفرنسية إلى أن تجد من الوسائل ما يحطم بعضًا من شخصيات الجمعية، فدفعت الطرق الصوفية العميلة إلى مهاجمة ابن باديس، حتى إنها أطلقت عليه -أي الصوفية- "ابن إبليس"! كما دبرت سلطات الاحتلال اغتيال مفتي العاصمة كحول بن دالي، واتهمت الشيخ الطيب العقبي وعباس التركي بالتحريض على قتله، (1) ولم تحاكم الرجل أو تقبض عليه، وتركت الاتهام معلقًا، وذلك حتى تُشوّه سمعة الرجل وجمعيته، وهو ما دفع به إلى الاستقالة عام 1938. كما حاولت الإدارة الاستعمارية قتل الشيخ أحمد الحبيباتي و اتهام الشيخ ابن باديس بقتله، لكن كانت مشيئة الله أن يسلم و يحفظ الشيخ من هذه المكيدة، و ينجو الشيخ الحبيباتي من محاولة الإغتيال. (2)

ومع قيام الحرب العالمية الثانية، طالبت فرنسا كافة الهيئات الجزائرية بتأييد موقف فرنسا، وكان ذلك تمهيدًا لإشراك الجزائريين في صفوف القتال الفرنسية، ورفضت الجمعية، وكانت المواجهة هذه المرة مع السلطة الفرنسية مباشرة، فأصدرت السلطات قرارًا بإلغاء الجمعية عام 1940، وتوفي ابن باديس في نفس العام، وخلفه محمد البشير الإبراهيمي في رئاسة الجمعية، ولكنه اعتقل وعُذّب في عام 1941، ثم قامت سلطات الاحتلال بنفيه إلى الصحراء، وفي عام 1946 عادت الجمعية إلى النشاط بعد الإفراج عن رئيسها، ولكنها لم تعد كما كانت من قبل.

كما لم تتوان الإدارة الفرنسية في تتبع نشاطات الجمعية صغيرة كانت أم كبيرة من خلال مراقبة مناضليها و دس الجواسيس بينهم لكي يأتوها بالتقارير و المعلومات ، و كم هي التقارير العديدة التي حملت الكثير من هذه المعلومات فمثلا: تتبع الكثير من التقارير تحركات الشيخ البشير الإبراهيمي و تنقلاته في القطر الجزائري ، و منها تقرير شهر ديسمبر 1949 الذي تتبع تحركات الشيخ في كل من تلمسان و ندرومة و وهران و لقاءاته بالكثير من الشيوخ نذكر منهم : زيدور الطيب، زموشي، و آكلي محمد. (3) كم تتبع نفس التقرير تحركات الشيخ عباس التركي نائب أول لرئيس الجمعية بالجزائر الذي تنقل إلى معسكر يوم 7 سبتمبر 1949 من أجل الاطلاع على أحوال التعليم الذي يلقن بالمدرسة من قبل شيوخ و علماء الجمعية.(4) كما يؤكد تقرير الشرطة المؤرخ بتاريخ 26 جوان 1953 على نشاط و زيارة الشيخ 'زموشي سعيد' إلى كل من مستغانم و غليزان بهدف جمع التبرعات لصالح مدرسة الفلاح. (5)

¹- الزبير، (بن رحال)، المرجع السابق، ص 70.

²- نفسه، ص 70.

³ - A.N.O.M, Rapport Mensuel sur l'Activité Musulmane Dans le Département D'Oran Décembre 1949.

⁴ - A.N.O.M, Rapport Mensuel sur l'Activité Musulmane Dans le Département D'Oran Décembre 1949.

⁵- A.N.O.M, Dossier 106, Activité des principaux Chiouhh, Tournée dans le Département du Cheikh ZEMMO UCHI Saïd le 26 juin 1953.

ثامنا: تحليل بعض وثائق الجمعية:

المتمعن في وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يستنبط الكثير من الحقائق التاريخية حول أهدافها و الغايات التي وجدت و تأسست من أجلها.و من هذه الوثائق و النصوص نجد القانون الأساسي للجمعية، و أول لائحة داخلية، و الكثير من التوجيهات التربوية و التعليمية بأقلام الكثير من مشايخ و مدرسي الجمعية.

1/ دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أصولها:

تحتوي هذه الدعوة التي كتبها الشيخ عبد الحميد بن باديس في 14 ماي 1937 الموافق لـ 04 ربيع الأول 1356 هـ بمدينة قسنطينة، على عشرين(20) مادة أو مبدأ تبين ضرورة الاتحاد و التكتل و أهمية الرجوع إلى القرآن و السنة النبوية، و محاربة البدع ، و تناسي الفرقة و الخلاف في سبيل المصلحة العليا للأمة.

بدأ الشيخ بن باديس دعوته بمبدأ "الإسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده، و أرسل به جميع رسله، و مله على يد نبيه محمد الذي لا نبي بعده."⁽¹⁾ و في هذا تأكيد بضرورة تمسك الشعب الجزائري بدين الله 'الإسلام' الذي لا دين غيره يمكن معتنقه من الأخذ بأسباب القوة و الانتصار، و هذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁽²⁾ كما يؤكد الشيخ على أن الإسلام هو الدين الذي تسعد به البشرية لأنه يسوي في الكرامة و الحقوق بين جميع البشر، و يحقق العدالة دون تمييز أو تفریق.

كما يدعو الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى ضرورة التمسك بهذا الدين الذي يرحم الضعيف و يكفي العاجز و يعلم الجاهل و يغيث الملهوف و ينصر المظلوم، و يجرم الاستعباد بجميع ألوانه و أنواعه، و في هذا إشارة إلى ضرورة محاربة الاستعمار بكل أنواعه و الانتفاضة عليه.

و في الحديث عن أفضل الخلق محمد صلى الله عليه و سلم الذي هو أكمل البشر خلقا و أخلاقا، يشير الشيخ إلى أن الرسول الكريم "عاش مجاهدا في كل لحظة من حياته في سبيل سعادة البشرية جمعا حتى خرج من الدنيا و درعه مرهونة."⁽³⁾ و لعل أراد من خلال هذا التذكير ب حياة الرسول إلهام الناس بضرورة أن يستمدوا من سيرته العطرة عليه الصلاة و السلام، معاني الجهاد و الكفاح في سبيل حياة كريمة، و هذا ما أشار إليه القرآن في كثير من الآيات الكريمة، و منها قول الله تعالى حاثا عباده للجهاد في سبيل نصره الحق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽⁴⁾

1- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 14.

2- سورة آل عمران، الآية 85.

3- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 16.

4- سورة المائدة، الآية 35.

كما جاء في هذه الدعوة ضرورة نبذ كل فرقة و تشتت في سبيل إعلاء كلمة الأمة و مصلحتها العليا، و تناسي الخلاف لأنه سبب كل وهن و ضعف. و بالمقابل يجب مد أيدي التعاون و التأزر فيما بين الناس بهدف حل المشاكل حتى تزول الغمة و تنفرج الأزمة. و هذا ما جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽¹⁾

و قد ختم الشيخ عبد الحميد بن باديس هذه الدعوة بالآية الكريمة التالية: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽²⁾ و لعله أراد الشيخ أن ينبه الناس من خلال هذه الآية أن السبيل الوحيد الموصل إلى الله هو إتباع الحق و العمل به و إخلاص الدين لله وحده، و حث الجزائريين على الوصول إلى ربحهم، و الرغبة فيه و الرهبة منه. و بطبيعة الأمر الانتفاضة على القهر الاستعماري هو طريق من طرق الوصول إلى الله سبحانه و تعالى.

2/ القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

كتب هذا القانون الأساسي بقلم الشيخ عبد الحميد بن باديس، و هو يحتوي على خمسة أقسام و ثلاثة وعشرون فصلا: القسم الأول المعنون بالجمعية يحتوي على فصلين، القسم الثاني غاية الجمعية يحتوي على ثلاثة فصول، القسم الثالث أعضاء الجمعية يحتوي على سبعة فصول، القسم الرابع الموسوم بمالية الجمعية يحتوي على ستة فصول، و القسم الخامس الخاص بالاجتماعات الإدارية و العامة فيحتوي على أربعة فصول.

في القسم الأول يعرف الشيخ بن باديس بالجمعية التي هي عبارة عن جمعية إرشادية تهذيبية تأسست في الجزائر العاصمة بنادي الترقى الكائن مقره ببطحاء الحكومة عدد 9.⁽³⁾

أما القسم الثاني المخصص لغاية الجمعية و أهدافها فقد أكد على أن هذه الجمعية مقصدها محاربة الآفات الاجتماعية، مثل الخمر، و الميسر، و البطالة، و الجهل، و كل ما يجرمه الشرع و ينكره العقل و تحجره القوانين. و إذ سعت الجمعية إلى هذه الغايات فهي متأكدة أن ضعف الإنسان الجزائري و وهنه جاء من خلال هذه الآفات التي نخرت في المجتمع مثل ما ينخر السوس العظام فيجعلها هشّة و رمادا تذروه الرياح. و عليه كان لزاما محاربتها لبناء مجتمع قوي متماسك قادر على الوقوف أمام الاستعمار و افتكاك منه استقلال الوطن. و كما نص هذا القسم على ضرورة تأسيس الجمعية لفروع و شعب تابعة لها في كل قطر الجزائري نشرا و تعميما للفائدة المرجوة من تأسيس الجمعية.

¹- سورة الأنفال، الآية 46.

²- سورة يوسف، الآية 108.

³- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 18.

3/ القانون الداخلي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

وجد هذا القانون الداخلي مكتوباً على كراس مرقم من ورقة 10 إلى ورقة 55، ضمن وثائق الشيخ البشير الإبراهيمي، وهو مؤرخ بمدينة سطيف سنة 1931. (1)

يحتوي القانون على أربعة فصول و 87 مادة، خصص الفصل الأول لنظام الجمعية و إدارتها بثلاثة و خمسين مادة تدور حول اسم الجمعية و اجتماعاتها و مجالسها و كيفية تسيير العمل بها. أما الفصل الثاني الموسوم بلجنة العمل الدائمة فيحتوي على تسع مواد مرقمة من 55 إلى رقم 63 بين أعمال اللجنة و سير أعمالها. و فيما يخص الفصل الثالث الذي خصص لمقاصد الجمعية و غايتها و أعمالها يتكون من 22 مادة مرقمة من رقم 64 إلى رقم 85. أما الفصل الرابع و الأخير المتكون من مادتين مرقمة على النحو الآتي رقم 86 و رقم 87، فخصص للشؤون المالية للجمعية و ما يتعلق بالاشتراكات و التبرعات و رق جمع المال و سبل حفظه و استثماره. (2)

حاولنا في هذا التحليل أن نقف عند الفصل الثالث الخاص بمقاصد الجمعية و غايتها و أعمالها لما لهذا الفصل من أهمية في تبيان المرامي و الأسس التي بنيت عليها الجمعية. و قد قسم هذا الفصل إلى قواعد عامة، و مقاصد أولى و أخرى ثانوية، و الأعمال التطبيقية و كيفية و وسائل تنفيذها.

بين هذا الفصل القواعد الأربعة التي تجري عليها كل أعمال الجمعية، و التي لخصها في ما يلي:

- تقديم الأهم على المهم.
- ما لا يدرك كله لا يترك كله.
- درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

قليل العمل خير من كثير قول. (3)

و أكدت هذه المادة رقم 64 على أن هذه القواعد تسري على كل أعمال الجمعية في جانبها الديني بالرجوع إلى كتاب الله و سنة رسوله الكريم، ثم الإجماع و القياس و الاجتهاد. أما في جانبها الاجتماعي و ما يهم حياة الناس و الأمة، فأكدت الجمعية على الاعتدال و الوسطية بين ما هو قديم و جديد، فرأت أنه: "ما كل قديم ينبذ و لا كل جديد يأخذ، و أن مستقبل الأمة إنما يبني على ماضيها، و إنه لا تنافي بين الإسلام و المدنية الصحيحة..." (4) و في هذا تأكيد على المزاوجة بين العمل الديني و الدنيوي و الأخذ بأسباب النجاح المشروعة إذ لا تعارض بين شريعة الله و تجديد و إحياء الأمة الإسلامية التي منها الأمة الجزائرية جزء لا يتجزأ. و قد يكون ذلك معناه الانفتاح على بقية العلوم الكونية الأخرى التي توفر للأمة الجزائرية أسباب القوة و المنعة، فقد عرف الشيخ عبد الحميد بن

1- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 30.

2- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 74-90.

3- نفسه، ص 84. و كذلك ينظر: عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 30-61. يلاحظ في هذه القواعد أنها مستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية، و أن الشخص كثير الكلام ليس بالضرورة جيد الأفعال.

4- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 49.

باديس و أصحابه بإتباع المنطق و التفتح على العالم الخارجي رغم أنه- أي ابن باديس- لم يكن يحسن اللغات الأجنبية لكنه كان يحث تلامذته و طلبته على تعلم كل العلوم الأخرى. و أكدت هذه المادة على ضرورة المضي قدما في تبليغ و نشر الدعوة إلى الله أسوة برسولنا الكريم، مستدلة بالآيات الكريمة التاليات: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِدِينَ﴾ (1) و ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (2) و ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (3) كما أكدت المادة على الاحتكام إلى المنطق و العقل و الاعتماد على الاستدلال البرهاني ثم الإقناعي ثم الخطابي، و تجنب السوفسطائيات التي لا طائل منها. و أن تقدير الرجال يتم على قدر أعمالهم لا على قدر أعمارهم.

لقد أكدت المادة 66 من القانون الداخلي على أن دين الأمة الجزائرية هو الدين الإسلامي (4) الذي ارتضاه الله لسائر العباد، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (5) و أن اللغة العربية هي لغة كتابتها و مستودع آدابها و حكمتها. و ربما في هذا التأكيد رد على من خالف الشريعة الإسلامية و السنة المحمدية و طلب العزة في غيرها. فالإسلام و اللغة العربية في نظر الجمعية هما أساسا بناء الأمة الجزائرية لكي تتمكن من المضي في طريق الرقي.

و تؤكد المادة 67 على ضرورة تفعيل فريضتي الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر باعتبارهما أساسا تقويم المجتمع و تنشئة الجيل على التربية الصحيحة و السليمة مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (6) و تسعى الجمعية في تفعيل هذه الفريضة عن طريق تكوين لجان تقوم بالدعوة اللسانية، و تحقيق ذلك بالفعل بين أعضاء الجمعية، و طلب ذلك أيضا من الصحف و المدرسين لتطرق لهذا الموضوع. و كذلك ضرورة "طبع كراريس تجمع الآيات الواردة في هذا المعنى و الأحاديث الصحيحة و أقوال الحكماء من الشعراء و نشرها بين الناس مجانا." (7) كما أكدت الجمعية على ضرورة تعيين وعازا مرشدين يرسلون إلى مختلف نواحي القطر الجزائري، يكونون لسانها الناطق و عينيها الناظرتين، فينقلون أفكارها إلى عموم الناس، و ينقلون انشغالاتهم و أحوالهم إلى الجمعية.

1- سورة النحل، الآية 125.

2- سورة يوسف، الآية 108.

3- سورة الأنعام، الآية 153.

4- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 51.

5- سورة آل عمران، الآية 85.

6- سورة آل عمران، الآية 104.

7- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 52.

و راحت المادة 68 تدعو إل ضرورة محاربة البدع و الشعوذة و الخرافات، و هذا في قولها: "تنوسل الجمعية لإماتة البدع و الخرافات المخالفة للدين" (1) و إحياء سنة نبينا الكريم الصحيحة، و تفعيل الطرق الناجعة بغية القضاء على المحرمات التي تفتشت في المجتمع و سرت فيه مجرى الدم من العروق، و من هذه المحرمات ما يلي:

• الخمر و الميسر، حيث دعت الجمعية لمحاربتها و احتثائها من جذورها مصداقا لقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (2)

• محاربة الزنا لأنه فاحشة كبيرة تقضي على الروابط الأسرية و على تماسك المجتمع، و هذا ما جاء به الشارع في تحريم هذه الآفة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (3) و كذلك في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (4) .

• محاربة السرقة تطبيقا لقول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (5) .

• مقاومة قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، و هذا تذكيرا و تطبيقا لأوامر الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (6) . و في قوله كذلك: ﴿مِنَ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاء تَهُم رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (7) .

• محاربة أكل أموال الناس بالباطل إما أموال اليتامى أو حرمان النساء من الميراث، و هذا في قولها: "و لمقاومة المحرمات الضارة... و أكل أموال اليتامى، و الرشوة، و حرمان النساء من الميراث..." (8) و هذا تطبيقا لنواهي الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (9) . و كذلك في قول الله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا

1- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص85.

2- سورة المائدة، الآية 90.

3- سورة الإسراء، الآية 32.

4- سورة النور، الآية 2 و 3.

5- سورة المائدة، الآية 38.

6- سورة الإسراء، الآية 33.

7- سورة المائدة، الآية 32.

8- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص85.

9- سورة التوبة، الآية 34.

تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿١﴾ . و في قوله تعالى: ﴿وَاللِّسَاءُ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (2) .

● حث الجمعية على ضرورة تعويد الإنسان على إقامة الفرائض المتروكة مثل: الصلاة و الصوم و الزكاة. (3)

كما دعت المادة 69 من هذا الفصل إلى ضرورة دراسة أحوال المجتمع الجزائري من مختلف النواحي و الجهات منها الدينية، و الأخلاقية، و الاجتماعية، و الاقتصادية، بغية وضع الحلول المناسبة و الشافية لأمراض و أسقام المجتمع التي تفشت بسبب السياسة الاستعمارية التي رمت للقضاء على المجتمع الجزائري و مقوماته تحضيرا لإذابته في المجتمع الفرنسي. و قد هذا في قولها: "تدرس الجمعية أحوال المجتمع الجزائري من جميع جهاتها الدينية و الأخلاقية و الاجتماعية و الاقتصادية، و تعهد إلى من فيه الكفاءة من أعضائها- واحدا أو أكثر- بوضع برنامج واسع مفصل واف ببيان أصول العلل و كيفية معالجتها على وجه تألفه نفس الجزائري. " (4) كما حرصت الجمعية من خلال هذه المادة على إصلاح عقائد الناس من خلال تصفية ذهن الإنسان الجزائري و فكره مما لصق به من شوائب و خرافات و بدع في المرحلة الأولى. ثم تأتي المرحلة الثانية بتلقين الناس العقيدة الصحيحة على أسسها المتينة.

و من أجل الوصول إلى تحقيق ما جاءت به المادة 69 وضعت الجمعية خطة مفادها أن "تضع الجمعية خريطة للقطر الجزائري تبين فيها مناطق العمل،... تبين فيها خصائص كل منطقة و ما يغلب على أهلها من أخلاق صالحة أو فاسدة، و درجة استعدادهم للخير و الشر و أسباب ذلك، و ما يكثر في كل منطقة من لبدع و التقاليد الموروثة، و أثر تلك التقاليد في مجتمعهم الخاص." (5) و بهذا تستطيع الجمعية أن تنير السبل و تريح الوقت و تأمن على أعمالها أن تسير على غير المنهاج الذي وضعت، و أن تحافظ على أموالها أن تنفق في غير ما يفيد هذه الأمة في حاضرها أو مستقبلها.

أما المادة 70 فحثت على ضرورة وضع برنامج يهتم بالوقوف على الأسباب التي دفعت بالناس للإعراض عن كتاب الله و سنة رسوله الكريم، ثم بيان ما يمكن القيام به لإصلاح ذلك، ثم بينت المادة الأقسام الأربعة التي بني عليه الإسلام و هي: "العقائد، و العبادات العملية، و المعاملات، و الأخلاق." (6)

و من أجل تحقيق هذا تضع الجمعية خريطة للقطر الجزائري تبين فيها مناطق العمل، و خصائص كل منطقة من القطر الجزائري و ما تتميز به من أخلاق صالحة أو فاسدة، و هذا ما جاءت تتضمنه المادة 71 التي أكدت كذلك على تتبع درجة خصال سكان كل منطقة و "استعدادهم للخير و الشر،... و ما يكثر في كل منطقة من البدع و التقاليد الموروثة، و أثر تلك التقاليد في مجتمعهم الخاص." (7)

1- سورة النساء، الآية 02.

2- سورة النساء، الآية 07.

3- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 53.

4- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 86.

5- عبد الرحمن، (شيبان)، المرجع السابق، ص 54.

6- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 86.

7- نفسه، الصفحة نفسها.

كما أكدت الجمعية في المادة 72 على ضرورة التقرب من مختلف جمعيات التعليم و البر و الإحسان، و جمعيات المساجد في المدن و القرى، بالهداية و الإرشاد حتى يصبح أعضاؤها من عناصر الجمعية.

كما حثت الجمعية من خلال المادتين 74 و 75 على ما يلي:

- ضرورة اقتناء أعضائها الكتب النافعة كأهمات التفسير و الحديث و الفقه و اللغة و الأدب و الأخلاق و التصوف العملي و التاريخ.

- إحياء دروس الحديث من كتبه الصحيحة و التاريخ و متون اللغة و الأدب و علم الأخلاق و الأصول.⁽¹⁾

و في المادة 77 حرصت الجمعية على الحث في تأسيس و إنشاء الكتاتيب القرآنية على مستوى القطر الجزائري، و هذا بغية تعليم الخط العربي و النحو و الصرف و تحفيظ القرآن و تعليم ضروريات الدين و نشر الأخلاق الإسلامية السامية.

و أما المادة 78 فقد عهدت إلى مجموعة من العلماء المستقلين في علم الدين ليشكلوا لجنة الإفتاء مهمتها النظر في المسائل التي "عمت فيها البلوى و كثر فيها خلاف الناس"⁽²⁾ ، ليبينوا للناس حكم الشريعة الإسلامية فيها.

كما أكدت المادة 80 على محاربة الجمعية للأمية بكل ما تحوزه من وسائل و على رأسها التعليم الموجه و بخاصة لليتامى الذين لا كافل لهم و لا معين، و "لا تقتصر - كما تؤكد - على تعليمهم الصناعة بل تتجاوز بهم إلى التعليم الصناعي ليدخلوا الحياة مسلحين بألة من آلات الكسب."⁽³⁾

أما المادة 81 فقد أكدت على ضرورة تأسيس كلية دينية عربية بمدينة الجزائر، تدرس فيها علوم الدين، و غايتها تقريب العلوم لأبناء هذا الوطن و كفايتهم مشقة السفر لتحصيلها من بلدان أخرى.

أنهت الجمعية هذه الفصل الثالث بضرورة تأسيس الجمعية لجريدة تنطق باسمها، و لأن الوقت لا يسمح بذلك فهي تنشر في الصحف الوطنية العربية قراراتها و مناقيرها.⁽⁴⁾

أما الفصل الرابع ف جاء في باب مالية الجمعية و مقادير الاشتراكات و التبرعات و طرق جمع المال و سبل استثماره و إنفاقه.

4 / صحافة الجمعية:

اهتمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالصحافة و أولتها عناية كبيرة، لما لها من اتصال مباشر بالطبقات الشعبية، فكانت هذه الصحافة تجسيدا لفكرة الصحافة الوطنية العربية الإسلامية، و في هذا يقول الأستاذ لهلالي: "يمكن القول بأن الجمعية دخلت الصحافة من بابها الواسع."⁽⁵⁾ و لقد أنشأت الجمعية العديد من الصحف و

1- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص87.

2- نفسه، ص88.

3- نفسه، ص88.

4- نفسه، ص90.

5- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص36.

- الجرائد الخاصة بما بداية مجريدة السنة النبوية و مروراً بمجريدة الشريعة النبوية المحمدية و الصراط السوي و وصولاً إلى جريدة البصائر (1) لسان حال الجمعية.
- الملاحظ و المتمعن لصحافة الجمعية يرى أن كل جرائدها و صحفها تحمل أسماء إسلامية و شعارات إما مستوحاة من القرآن أو من السنة المحمدية، و من هذا نذكر:
- الشهاب: صدرت بانتظام من سنة 1925 إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الثانية 1939، و كان شعارها: "الحق فوق كل أحد، و الوطن قبل كل شيء" (2)، و قد اهتمت بإحياء الثقافة العربية الإسلامية و حماية الشخصية الوطنية من السياسة الاستعمارية.
 - السنة النبوية المحمدية: ظهر أول عدد لها بتاريخ 08 ذي الحجة 1351 هـ / 3 أبريل 1933، و آخر عدد لها بتاريخ 3 جويلية 1933. (3) اتخذت شعاراً لها الآية القرآنية الكريمة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (4) و الحديث النبوي الشريف "من رغب عن سنتي فليس مني". و قد عملت على نشر السنة النبوية و حمايتها.
 - الشريعة النبوية المحمدية: صدر أول عدد له بتاريخ 17 جويلية 1933، و صدر قرار تعطيلها بتاريخ 29 أوت 1933. اتخذت شعاراً لها الآية القرآنية الكريمة: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ (5) و الحديث النبوي الشريف "من رغب عن سنتي فليس مني". (6) سارت على نفس نهج جريدة السنة النبوية.
 - الصراط السوي: ظهر أول عددها بتاريخ 11 سبتمبر 1933، و منعت من الصدور بعد العدد السابع عشر عام 1934. (7) و قد حملت الجريدة شعاراً لها الآية الكريمة: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ رَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنَ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ (8) واصلت الجريدة نفس النهج السابق لجريدتي السنة و الشريعة في نشر العلم و الفضيلة و محاربة الجهل و الأمية.
 - البصائر: أهم و أكبر الصحف العربية انتشاراً في الجزائر، و قد ظهرت على سلسلتين: السلسلة الأولى ما بين 1935/1939 و السلسلة الثانية ما بين 1947/1956. (9) حملت الشعار الآتي: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ

1- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 37.

2- بلحاج، (صادق)، الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي و التقليدي 1939/1919 - دراسة مقارنة-، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي و التربوي، إشراف: بوشيشي شيخ، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة و الإسلامية، جامعة وهران، 2012/2011، ص 36.

3- نفسه، ص 37-38.

4- سورة الأحزاب، الآية 21.

5- سورة الجاثية، الآية 18.

6- بلحاج، (صادق)، المرجع السابق، ص 39-40.

7- بلحاج، (صادق)، المرجع السابق، ص 40.

8- سورة طه، الآية 135.

9- بلحاج، (صادق)، المرجع السابق، ص 41.

مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ⁽¹⁾ اهتمت بمجال الدين

و المجتمع. و المتبع لما كتب في جريدة البصائر يجد أنها عاجلت الكثير من القضايا التي تهم الدين الإسلامي و المجتمع و الممارسات و العبادات، فنجدها تحارب البدع و الخرافات التي لصقت ببعض الممارسات في الإسلام مثل بعض العادات التي كانت ترتكب أثناء صلاة العيد حيث جاء في أحد المقالات "عادة ممقوتة بدع في صلاة العيد"⁽²⁾ و كذلك نددت الجريدة بما يقوم به أهل التصوف أيام المولد و المواسم الدينية من احتفالات غير شرعية لا تمت بأي صلة بالدين الإسلامي.

كما ركزت البصائر على أهمية الإصلاح الديني، و اهتمت بالعقيدة و حذرت من خطر التبشير المسيحي. أما من حيث الجانب الاجتماعي فقد ركزت جريدة البصائر على الأخلاق و غرس القيم و المثل العليا، و مما جاء في هذا الصدد مقال تحت عنوان "الخلق العربي"⁽³⁾ ما جاء فيه: "... من طبيعة العربي سرعة الانفعال،... و من أخلاق العرب احترام المرأة و المحافظة على شرفها..."⁽⁴⁾

ركزت كذلك الجريدة على محاربة الآفات الاجتماعية فنشرت العديد من المقالات تحت فيها الشعب الجزائري خاصة و الشعب العربي و الإسلامي عامة على تجنب الآفات المحرمة و غير المرغوب فيها، و من هذه الآفات آفة شرب الخمر، فكتب مثلاً: 'إبراهيم الصومعي' في هذا المجال مقالا تحت مسمى "الخمر" مما جاء فيه: "... و اهجر الخمر إن كنت فتى فكيف يسعى في جنون عن عقل..."⁽⁵⁾ و حاربت كذلك بعض الآفات الدخيلة على المجتمع الجزائري مثل الأغاني الغربية التي كانت تداع على أمواج الراديو، و محاربة الزنا فقد جاء في أحد مقالاتها ما يلي: "... فالزنا من أشد الأخطار على الزواج بل هو أكبر عقبة وقفت في طريقه فأسرى الشهوة لا يفكرون في الزواج،... الزنا تفسد سر الأبوة... أما الأم الزانية فليس في قدرتها القيام بشؤون الطفل ما دامت في جحيم الزنا..."⁽⁶⁾

عملت صحافة الجمعية على رفع راية البيان العربي و النضال من أجل تنشيط اللغة العربية و إعلاء منزلتها في وسط المجتمع الجزائري و إعلاء كلمة الإسلام و نشر الفكر الإصلاحية، كما عملت على ربط الجزائر بمحيطها العربي و الإسلامي و محاربة السياسة الاستعمارية الرامية لطمس معالم الشخصية الوطنية.

5/ صراع الجمعية من أجل الإسلام من خلال بعض مقالات الشيخ البشير الإبراهيمي:

تعايشت بالجزائر ثلاثة أديان و هي: الإسلام، و النصرانية، و اليهودية، و قد حافظ الإسلام على أهل الذمة و عاملهم معاملة حسنة و لم يخرجهم من ديارهم غصبا بل ترك لهم خيار العيش تحت ظلال العدل و سماحة

1- سورة الأنعام، الآية 104.

2- للمزيد حول الموضوع ينظر: بلحاج، (صادق)، المرجع السابق، ص 91.

3- بلحاج، (صادق)، المرجع السابق، ص 95.

4- نفسه، ص 95.

5- بلحاج، (صادق)، المرجع السابق، ص 98.

6- نفسه، ص 100.

التشريع. و لما جاء الاستعمار حارب الإسلام و اضطهد أهله بل أكثر من ذلك راح يصدر المراسيم و القوانين التي ضيقت عليه الخناق و جعلته من اختصاص الإدارة الاستعمارية تتحكم فيه كيف شاءت و متى شاءت. و في هذا الصدد يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: "إن الجزائر اليوم ميدان صراع، لا أقول بين الأديان الثلاثة كل على انفراد، و إنما أقول بين الإسلام وحده من جهة. بين المسيحية و اليهودية مجتمعين من جهة أخرى. أما المسيحية فهي حاملة اللواء، و قائد الرعيل، و من ورائها الاستعمار بخيله و رجله، و جيوشه، و مدافعه، و قوانينه، و أمواله، و جرائده..."⁽¹⁾

و لما شدد الاستعمار الخناق على الإسلام، و وسع بالمقابل للمسيحية و سمح لها بدعايتها التبشيرية، و لان معها في سياسة الفصل، و أرغم الدين الإسلامي على سياسة الوصل، قيد الله له رجالا قاموا بخدمته و المحاربة و الدفاع عنه و من هؤلاء نجد رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين بذلوا النفس و النفيس من أجل إسماع صوت الإسلام المضطهد و العمل على إحياء تعاليمه بين الجزائريين و نشر مبادئه الصحيحة.

سجل التاريخ المعاصر للجمعية مواقفها المختلفة و المشرفة و المستميتة في الدفاع عن الإسلام، و بخاصة في مطالبها المتكررة و الملحة في تطبيق فصل الدين الإسلامي عن الدولة الاستعمارية. و هذا من منطلق أن الدولة الاستعمارية المسيحية ليس لديها الشرعية في أن تسوس المسلمين و تدير شؤون دينهم. و أن إدارة شؤون و مؤسسات الدين الإسلامي هي من اختصاص الحاكم و الوالي المسلم، فإن فقد هذا لأخير عاد هذا الحق لجماعة المسلمين.

و من هذا المنطلق راح الشيخ البشير الإبراهيمي يحارب سياسة فرنسا التي طبقت وصل الدين الإسلامي بالإدارة الاستعمارية عن طريق جملة من الاحتجاجات و الكثير من الاقتراحات التي تضمنتها مقالاته و كتاباته للوصول إلى تطبيق سياسة الفصل بخصوص الدين الإسلامي و إبعاده بذلك عن أحضان الاستعمار و إرجاع الحق لأصحابه الطبيعيين. و في إحدى مقالاته حول الموضوع ناشد الشيخ أعضاء المجلس الجزائري المسلمين أن يطلبوا من فرنسا إدخال الدين المسيحي و الدين اليهودي تحت سلطتها، فإن هي أبت بحجة أنها دولة لائكية، سألها هؤلاء عند إذن حق الإسلام في هذه اللائكية.⁽²⁾

و لم تتوقف الجمعية ساعة و لا دقيقة واحدة عن المحاربة من أجل إنصاف الإسلام و المسلمين و إرجاع لكل ذي حق حقه، فها هو الشيخ الإبراهيمي في كتابه المفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية لا يمل في الحديث عن مسألة فصل الدين الإسلامي عن فرنسا فيقول: "تغير الكون، و ما فيه، و لم تغير الحكومة الجزائرية في نظرتها إلى الدين الإسلامي و المسلمين، فالدين الإسلامي مملوك للحكومة الجزائرية، تحتكر التصرف في مساجده و رجاله

¹- محمد، (دراجي)، الإسلام في الجزائر في العهد الاستعماري من خلال مقالات الإمام البشير الإبراهيمي، عالم الأفكار، الجزائر، 2007، 283 صفحة، ص 33.

²- محمد، (دراجي)، المرجع السابق، ص 37.

و أوقافه و قضائه." (1) ثم يستطرد قائلاً: "... و قضية فصل الدين عن الحكومة معلقة بين السماء و الأرض، لا يهبط بها إنصاف، و لا يصعد بها عدل..." (2) ثم يخاطب الرئيس مخبراً إياه أن الشعب الجزائري دخل في حالة من اليأس من عدالة فرنسا التي لا تعرف سوى إطلاق الوعود الكاذبة التي لا تغني و لا تسمن من جوع، بل أكثر من ذلك فقد كفر بديمقراطيتها التي لم تعد بالنسبة إليه سوى شعارات رنانة مدوية يسمع بها لكنه لا يراها تتجسد على أرض الواقع. ثم يذهب الشيخ إلى تبيان العلة من وراء عدم جدوى النعمة الجديدة التي جاءت بها فرنسا و الخاصة بالوحدة الفرنسية، و يتساءل مخاطباً الرئيس: "لا يسوغ منطق و لا عقل كيف تكون الوحدة بن سيد و بين مسود، و كيف تتصور بن حاكم مزهو بعصية جنية تظاهرها عصية دينية، و بن محكوم؟ و كيف تتفق في وطن ساكنوه صنفان، و قوانينه صنفان؟ و كيف تتم في بلد كنيسته حرة، و بيعته حرة، و مسجد مستعبد؟ و كيف تتجاوز في عقيدة أو لسان مع كلمة السيادة الفرنسية التي تلوكها الألسنة، و تنضح بها الأفلام و خصوصاً في هذه الأيام؟!" (3) و بعد هذا يطلب الشيخ من الرئيس أن يتحرى الحقيقة في الجزائر من مصادرها الحقيقة و ألا يغتر بالخطب الجوفاء التي يطلقها ساسته المليئة بالمغالطات و الأكاذيب و التضليل، و أن يطلبها في جذب العقول لا في خصب الأرض، و في فوضى الحياة، لا في نظام الموائب، و في بؤس البادية، لا في نعم المدينة.

و كم هي المقالات الكثيرة التي تحدث فيها الشيخ البشير الإبراهيمي عن قضية فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية، و التي تنم عن الصراع العنيف الذي كانت تخوضه الجمعية في سبيل نصره الإسلام.

لقد جعلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من مهامها إلى جانب التربية و التعليم اللذين هما أساسا بناء الأمم و المجتمعات، محاربة فرنسا فيما تعلق بفصل الدين الإسلامي عن الدولة. و قد جعلت الجمعية هذا الهدف من أوكد مهامها، و المقالات الكثيرة للشيخ البشير الإبراهيمي تدل على أهمية الموضوع بمكان عندها.

لقد تبعت جريدة البصائر هذه المعركة في الكثير من جوانبها فأرخت لكل كبيرة و صغيرة تقريبا في هذا الباب، فنشرت مقالات الشيخ الإبراهيمي و التزمت بها، و هذا على النحو الآتي:

1- مقال "فصل الدين عن الحكومة" الذي نشر في العدد 75 من البصائر عام 1949، و الذي أكد فيه الشيخ على تماطل الحكومة و مانعتها في قضية الفصل، و أبرز فيه سياسة الجمعية حول قضية تحكّم فرنسا في الدين الإسلامي و لغته العربية. (4)

2- مقال "فصل الدين عن الحكومة" الذي نشر في العدد 83 من البصائر سنة 1949، و الذي عرج فيه الشيخ على سياسة فرنسا تجاه الدينين (المسيحية و اليهودية) المبنية على اللائكية بينما جاءت سياسة

1- محمد، (دراجي)، المرجع السابق، ص 50.

2- نفسه، الصفحة نفسها.

3- نفسه، ص 53.

4- محمد، (دراجي)، المرجع السابق، ص 63-67.

فرنسا تجاه الدين الإسلامي على العكس من ذلك فهي تتحكم فيه تحكما مطلقا. ثم أبدى نصائح إلى الأمة للنهوض من كبوتها.⁽¹⁾

3- مقال "فصل الدين عن الدولة" الذي نشر بالعدد 87 ن جريدة البصائر لسنة 1949، و الذي تحدث فيه الشيخ عن شهر رمضان باعتباره ركن من أركان الإسلام يجب على جماعة المسلمين أن تتولى شؤونه و كل ما يتعلق به. ثم عرج على المساجد التي هي من الدين بمثابة الروح للجسد. ثم تحدث عن الحكومة المسيحية التي تصر على التحكم في الدين الإسلامي عن طريق سرقة أوقافه و تسخير رجاله الضعفاء لمصلحتها، و يذكر أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و على لسان الشيخ كرئيس لها قد قدمت الكثير من المقامات التي يحمدها الدين، و كشفت عن المستور من نوايا الحكومة. كما أخذ الشيخ مأخذه على الدستور الجزائري و مجلسه الذي لم يتناول مسألة فصل الدين الإسلامي عن الدولة.⁽²⁾

4- مقال "فصل الدين عن الحكومة" الذي نشرته جريدة البصائر في عددها 88 لسنة 1949، و الذي أكد فيه على تعصب فرنسا في التحكم في الدين الإسلامي، و أن دستور الجزائر لم يأتي بجديد و لم يزرع مفيدا. و تحدث عن قضية الجامع الكبير و رفض عامل قسنطينة لمطلب أعيان المدينة.⁽³⁾

و كم هي المقالات التي فصلت فيها الجمعية حول قضية فصل الدين الإسلامي عن الحكومة على لسان و قلم الشيخ البشير الإبراهيمي منها: مقال فصل الدين عن الحكومة أو فصل رمضان و الأعياد عن قاضي الجزائر الذي نشر بالعدد 89 لجريدة البصائر سنة 1949.⁽⁴⁾

و كم هي التقارير الفرنسية التي عرجت على مسألة فصل الدين عن الدولة و اهتمام الجمعية بهذه المسألة، فقد أكدت النشرة الشهرية للقضايا الإسلامية على أنه تم وضع مقترح على مستوى مكتب الجمعية الجزائرية من قبل العديد من مندوبي تلمسان، و منهم: السيد/ 'صاري بن سالم'، 'بوشنافة'، 'حسان' و 'شرقي'، يطالبون فيه بإنشاء لجنة مهمتها دراسة التدابير الواجب اتخاذها لوضع حد للعراقيل التي تخلفها حاليا تعيين أعوان العبادة الذين يستفيدون من تعويضات مالية من قبل الإدارة.⁽⁵⁾

و لم تتوقف الجمعية عند حدود قضية فصل الدين عن الدولة بل ناضلت في الكثير من القضايا التي لها علاقة بالدين الإسلامي و مجتمع المسلمين، و فتحت العديد من الجبهات إيمانا منها بخدمة مصلحة الدين الإسلامي من جهة و خدمة الأمة من جهة أخرى. و هذه المواضيع و القضايا نجدها موثقة بكثير من التفصيل في مقالات الشيخ الإبراهيمي نذكر منها على السبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1- محمد، (دراجي)، المرجع السابق، ص 69-72.

2- نفسه، ص 73-77.

3- نفسه، ص 79-83.

4- للمزيد أكثر حول الموضوع أنظر: محمد، (دراجي)، المرجع السابق، ص 95-201.

5- A.N.O.M, Dossier 28, Bulletins Mensuels Des Questions Islamiques, Année 1949.

1- مقال "كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري" الذي نشر في العدد 33 من جريدة البصائر بتاريخ 26 أبريل 1948. بدأ الشيخ المقال بالنداء إلى الأعضاء- يقصد بالأعضاء هنا نواب المجلس الجزائري و لا يصفهم بهذا الوصف إلا لأنهم لا يستحقونه في نظره- ثم يعرف النيابة و يذكر شروطها. و يعرج بعد ذلك على قضية الدين الإسلامي دين الأمة الذي اعتدت عليه فرنسا الاستعمارية فابتلعت أوقافه، و احتكرت بالتصرف في المساجد و سخرت رجاله لخدمتها، كما أنها حجرت على اللغة العربية و صفتها بالسلاسل و الأغلال بمجموعة من القوانين و القرارات. كل هذا من أجل القضاء على الدين الإسلامي و لغته العربية. ثم يتوجه إلى هؤلاء النواب بسؤاله : أتدرون لماذا أوقف البرلمان الفرنسي تنفيذ قانون الفصل عليكم، مع انه لو تولى تنفيذه لأراح و استراح؟ ثم يجيبهم إنها لعبة شيطانية بكم من دهاة الاستعمار. ثم يحملهم المسؤولية التي ستبقى لصيقة بكم مدى الدهر و تجعلهم أشأم الناس على بني جنسهم و دينهم.⁽¹⁾

2- مقال "كلمتنا عن الأئمة" الذي نشر في العدد 153 من جريدة البصائر بتاريخ 30 أبريل 1951. يبرز فيه الشيخ الإبراهيمي شروط الإمامة و صحتها و أن الإسلام لا يهتم به إلا المسلمين، و أن الجدير بالإمامة بعد رسولنا الكريم هم: نائبه و هو الخليفة، أو نائب الخليفة و هو الأمير، أو نائب الأمير و هم جماعة المسلمين مجتمعين. ثم يتساءل عن الأئمة الذين عينتهم فرنسا هل استوفوا هذه الشروط؟ و هل يرضى منهم الإسلام أن يكونوا بهذه المنزلة؟ ثم يذكر أن تولية حكومة غير مسلمة لأئمة المسلمين هو في حد ذاته إفساد للدين، و إبطال للعبادات، لأنها نسخ لأحكام القرآن، و تعطيل لحكمته. ثم يختم مقاله مخاطبا هؤلاء الأئمة الحكوميين ناصحا لهم محبا لهم التحرير، و إرجاعهم إلى جادة الصواب و إلى طريق الله، و أن نزاع الجمعة و من ورائها الأمة جمعاء هو مع الاستعمار.⁽²⁾

3- حديث إذاعي تحت موضوع "الإسلام في الجزائر" لإذاعة صوت العرب بالقاهرة سنة 1955. جاء فيه بعد البسملة و إفشاء السلام على المستمعين، بدأ الشيخ حديثه بإعطاء نبذة تاريخية عن الجزائر منذ فتحها. ثم يتحدث عن مكانة الإسلام في هذا القطر الذي يعلو اسمه بعلو المسلمين و نخط بانحطاطهم. ثم يعرج للحديث عن الحقبة المشؤومة التي ابتليت بها الجزائر و هي حقبة الاستعمار الفرنسي الذي أصبح فيها وضع الإسلام وضعاً شاذاً. ثم يؤكد على أن فرنسا احتلت الجزائر المسلمة العربية احتلالاً مدبراً و طبقت فيها برنامجاً مسطراً يدور محوره و يرمي إلى غاية واحدة و هي: إذلال المسلمين و محو الإسلام من شمال إفريقيا. ثم يختم موضوعه بالحديث عن بعض جوانب من سياسة فرنسا الانتقامية ضد الإسلام و المسلمين بالجزائر.⁽³⁾

1- محمد، (دراجي)، المرجع السابق ، ص 207-213.

2- نفسه ، ص 215-221.

3- نفسه ، ص 255-261.

4- محاضرة عن "المرأة المسلمة في الجزائر" ألقاها الشيخ الإبراهيمي في جمعية الشبان المسلمين عام 1953، و التي بدأها بالحديث عن المسلمين كيف كانوا قبل الإسلام و كيف أصبحوا بعد اعتناقه. ثم عرج على الحديث عن المرأة المسلمة الذي اعتبره موضوع ذو شعب متشعبة، بالحديث عن حالها منذ زمن بعيد بحرماتها من التعليم بسبب نزعة قديمة خاطئة تخمرت و راحت بين جموع المسلمين و هي أن تعليم البنت مفسدة ما بعدها مفسدة. ثم يتحدث عن تعليم المرأة أثناء العهد الاستعماري التعليم الفرنسي الذي انتشر في المدن الحدية مل: سكيكدة، سطيف، و سيدي بلعباس. ثم انتشر هذا التعليم في المدن العريقة مثل: تلمسان، بجاية، قسنطينة، و الجزائر. ثم يذكر نتائج هذا التعليم الفرنسي على الأمة الذي يصفه بالعقم لأنه لم يأت بنتيجة تذكر فمعظم المتعلمات بهذا النوع من التعليم يقفن عند حد الشهادة الابتدائية. لقد أطلق الشيخ على هذه المرحلة من تعليم المرأة بالفجر الكاذب، و أما الفجر الصادق بالنسبة لتعليم المرأة فيبدأ مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 التي أرست التعليم العربي الإسلامي على أسس عصرية بغية تعليم الناشئة و إحياء الدين في نفوس الجماهير و ترسيم اللغة العربية في ألسنتهم.⁽¹⁾

لقد ناضلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في قضايا كية لعل أبرزها مقارعة الاستعمار في قضية فصل الدين الإسلامي عن الدولة التي اعتبرتها من صميم القضية الدينية، و جاهد فيها الشيخ البشير الإبراهيمي أكثر من عشرين سنة فما كل و لا مل و لا ول و لا حاذ عن الطريق الذي رسمته الجمعية لعلمائها و تلامذتها حتى أتاه اليوم الذي بزغ فيه فجر الحرية و تنفس فيه الدين الإسلامي السعداء و عادت مؤسساته إلى وضعها الطبيعي بين أحضان جماعة المسلمين.

و لما شكلت الجمعية الكثير من الخطر على الاستعمار و أعوانه فقد ناصبتها الإدارة العداء تبعت نشاطها خطوة بخطوة، فها هو أحد التقارير الفرنسية و تحت باب السياسة الواجب إتباعها اتجاه التعليم الإصلاحي يؤكد التقرير أن إنشاء العديد من المدارس الإصلاحية بدون رخصة من الإدارة أضحى مشكلا حساسا، و جب معالجته بحذر. كما يميز التقرير بين معلمي القرآن (= الطلبة) الذين لا يهتمون سوى بكسب عيشهم من خلال تعليم الأطفال الذي يعد عملا مفيدا و جب تشجيعهم، و أنه يحدث عن طريق الجهل البسيط أن البعض منهم يهملون إتباع الإجراءات التنظيمية من أجل فتح مدارسهم؛ و عليه يجب مرافقتهم و ليس معاقبتهم. و أما عناصر الجمعية بالمقابل الذين - و حسب التقرير - و تحت غطاء التعليم يمارسون الدعاية المغرضة عليهم تطبيق القانون بكل صرامة.⁽²⁾

و بنظرة عامة فإن هذا التقرير يؤكد على عدم إعطاء الفرصة و حسب قوله لناشري الفوضى أو أي سبب لاستعماله بغرض إظهار الإدارة بمظهر المعادة، إما للإسلام، أو للثقافة العربية، أو للعقيدة الإصلاحية. ثم يؤكد التقرير

¹- محمد، (دراجي)، المرجع السابق، ص 263-270.

²- A.N.O.M, Dossier 28, Bulletins Mensuels Des Questions Islamiques, Année 1949.

في النهاية على ضرورة العمل ضد أولئك الذين و تحت ستار التعليم يمارسون السياسة غير الشريفة: إنه لمثل هذه الممارسات يجب علينا متابعتهم و ليس لانضمامهم إلى الجمعية.(1)

تاسعا: جمعية العلماء و الثورة التحريرية :

من المعلوم أن جمعية العلماء كانت إلى جانب مهمتها في التربية الدينية والثقافية وتغلغلها في أوساط الشعب، تطالب دائما وبإلحاح من الإدارة الاستعمارية الجائئة على الدين الإسلامي بتحرير المساجد والأوقاف والقضاء الإسلامي وترسيم اللغة العربية.

وبما أن هذه المطالب قد واجهت آذانا صماء، لا تريد الاعتراف بالحق لأصحابه، وهو أمر ليس غريبا من عدو جاء ليجرد الشعب الجزائري من جميع مقوماته : من دين ولغة، ليتمكن في النهاية من تدميره، ومحقه ككيان مستقل له هويته، لقد أدى هذا الموقف المعتمد من الحكومة الفرنسية إلى أن أصدر مكتبها بلاغا في 18 جوان 1945 أعلن فيه : « أن الأمة قد بعست من الحكومة ومن المجلس الجزائري المدلس، ومن عدالة الدولة في هذه القضية، وأن المحاولات العديدة التي حاولتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قصد الوصول إلى حل موفق معقول لهذا المشكل لم تأت بنتيجة... والمكتب يعتقد على ضوء الحوادث، وقياسا على كل ما وقع أن هذه القضية الدينية لا تجد لها حلا عادلا إلا ضمن حل كامل للقضية الجزائرية التي هي وحدة لا تتجزأ، وأن الأمة الجزائرية يجب عليها في الساعة الحاضرة وفي مستقبل الأيام أن تتوجه بكليتها لمحاولة حل قضيتها العامة، حلا عادلا يتناسب مع التطور العالمي الحديث ».

و لقد جاء في خطاب الشيخ عبد الحميد بن باديس في المؤتمر الإسلامي عام 1936 ما يوحي بالتعشق للحرية و السير في طريق الثورة، إذ يقول مخاطبا الشعب الجزائري: "...أيها الشعب، إنك بعملك العظيم الشريف برهنت أنك شعب متعشق للحرية و هائم بها، تلك الحرية التي ما فارقت قلوبنا منذ كنا نحن الحاملين للوائها، و سنعرف في المستقبل كيف نعمل لها، و كيف نحيا و نموت لأجلها.." (2)

ألا يحمل هذا الخطاب النبوة الثورية؟، ألا يوجد بين ثنايا هذا الخطاب التحريض على الثورة ضد الاستعمار الغاشم؟ ثم يستطرد الشيخ ابن باديس قائلا: "... أيها الشعب، لقد عملت و أنت في أول عملك فاعمل و دم على العمل، و حافظ على النظام، و اعلم أن عملك هذا على جلالته ما هو إلا خطوة و وثبة و وراءه خطوات و وثبات، و بعدها إما الحياة و إما الممات.." (3) و هذا دليل قاطع على مناداة الشيخ عبد الحميد بن باديس و تحريضه على العمل الثوري الذي هو السبيل المخرج الوحيد للمشكل الجزائري.

1- A.N.O.M, Dossier 28, Bulletins Mensuels Des Questions Islamiques, Année 1949.

2- سعيد، (بورنان)، المرجع السابق، ص 72.

3- نفسه، ص 73.

و رغم كل محاولات فرنسا من تعطيل عمل الجمعية و الوقوف لها بالمرصاد بمهدف عرقلة نشاطها و تحطيمها كلية، إلا أن هذا لم يضعف من عزيمة رجال الجمعية و لم يباعد بينهم و بين الشعب الجزائري الذي استمر في نضاله عن طريق بذل العطايا و الهبات لتنمية مشاريع الجمعية، و هذا رغم ما كان يواجهه من فاقة و خصاصة، و هذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿...وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽¹⁾ و بهذا ظلت الجمعية صامدة في تأدية رسالتها الحضارية إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954، فانضم الكثير من العلماء و الأساتذة و معلمي الجمعية إلى صفوف الثورة، فحمل من حمل منهم السلاح، و واصل البعض نضاله الفكري و الأدبي تحت راية جبهة التحرير الوطني.⁽²⁾

عاشرا: أفول نجم جمعية العلماء:

كانت الخطوة الأولى في اتجاه أفول نجم الجمعية هي خروج الجمعية عن أهدافها السابق ذكرها، وانخراطها في العمل السياسي، مع صدور نظام الجزائر الجديد الصادر من السلطة الفرنسية عام 1947، وفيه اعترفت فرنسا بما يشبه الحكم الذاتي للجزائر، واعترفت باللغة العربية لغة أساسية في الجزائر، ومن ثم اتجهت الجمعية إلى ممارسات سياسية ورطتها في مواقف وتحالفات وصدامات سياسية، وصرفت الجمعية عن التركيز على معاني التربية التي صنعت لها مكانتها عند الشعب الجزائري.

والخطوة الثانية هي سفر كل من رئيس الجمعية البشير الإبراهيمي، ونائبه أحمد المدني إلى مصر في عام 1951، واستقرارهما بها منذ عام 1952، وإن كان عذرهما هو حشد التأييد السياسي والمادي للثورة والقضية الجزائرية، وخشية الاعتقال عند العودة، ونجاحهما في المشاركة في تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة، وافتتاح إذاعة صوت الجزائر من الإذاعة المصرية، وقد كان أول صوت يصدر من هذه الإذاعة صوت البشير الإبراهيمي مناديا الثوار: "لا نسمع عنكم أنكم تراجعتم، أو تخاذلتم"، ولكن هذا الغياب المستمر أورت فراغا في التوجيه والقيادة، لم تستطع قيادة العربي البتسي أن تقنع القدامى أو الجدد، ومن ثم بدأت صراعات خفية حول رئاسة الجمعية.

كانت الخطوة الثالثة هي الانقلاب الداخلي الذي قاده محمد خير الدين، والذي غير كثيرا من الهياكل، وأدان الغائبين عن أداء واجبهم خارج البلاد، وقد كان ذلك في اجتماع أخير عقدته الجمعية في سبتمبر 1954م.

انتهى الأمر بصدور قرار حل الجمعية من السلطات الفرنسية في الجزائر في منتصف عام 1956م، ولم يستطع القائمون عليها الاجتماع وإعادة تنظيم أنفسهم، وخاصة مع توجه الجميع للمشاركة في الثورة المسلحة التي اشتعلت منذ عام 1954م، وكانت ثمرة جميع الجهود في عام 1962م، وهي استقلال الجزائر العربية المسلمة.

¹- سورة الحشر، الآية 09.

²- سعيد، (بورنان)، المرجع السابق، ص 67.

لقد كان من حظ الجزائر أن اجتمع فيها العديد من العلماء الذين ساندوا الشيخ عبد الحميد بن باديس و آزروه في مهمته النبيلة التي أراد من خلالها المحافظة على الشخصية الوطنية و بناء صرح من القيم و المبادئ تنكسر عنده شوكة الاستعمار الفرنسي. و لقد قال الشيخ بن باديس في هؤلاء الأصحاب: " من حظ الجزائر السعيد و من مفاخرها التي تتيه بها على الأقطار أنه لم يجتمع في بلد الإسلام فيما رأينا و سمعنا و قرأنا مجموعة من العلماء و افرة الحظ من العلم، مؤتلفة القصد و الاتجاه، مخلصه النية، متينة العزم، متحابة في الحق مجتمعة القلوب على الإسلام و العربية، قد ألف بينها العلم و العمل، مثل ما اجتمع للجزائر في علمائها الأبرار، فهؤلاء هم الذين ورى بهم زنادي، و تأثل بطارفهم تلاميذ، أطال الله أعمارهم، و رفع أقدارهم." (1)

إن تنوع و غزارة الإنتاج الفكري و الصحفي و الأدبي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و هذا ما يلاحظ من خلال تعدد صحفها و على رأسها المنتقد و الشهاب و البصائر و غيرها، جعل الأستاذ رابح لونيبي يذهب إلى فكرته التي مفادها أن الاتجاه الإصلاحية هو من الاتجاهات القليلة التي تمتلك مشروعاً فكرياً متكاملًا و واضح المعالم في كل المجالات عكس ما يراه علي مراد و محمد حربي و آخرون الذين تأثروا بالقراءة الغربية للاتجاه الإصلاحية و لم يروا إلا الجانب الديني الضيق عند دراستهم للإصلاحيين. (2)

و مجمل القول أن الجمعية لعبت دوراً بارزاً في تاريخ الجزائر المعاصر من خلال تكوين جيل متمسك بشخصيته الوطنية و بثالوثه المقدس: الإسلام، العربية، و الجزائر. و قد استطاع هذا الجيل أن يعطي لمفاهيم العروبة و الإسلام عمقاً مكنه من الدفاع عن الهوية الوطنية عندما جدت ساعة الجد، و انصهر بذلك في بوتقة الثورة التحريرية. كما أنها مثلت بحق المرجعية الدينية، حيث أضحت العودة إلى الدين الإسلامي الصحيح، الأداة القوية و الفعالة لمحاربة الاستعمار من جهة، و من جهة أخرى عصنة الدول الإسلامية.

1- الزبير، (بن رحال)، المرجع السابق، ص 59.
2- رابح، (لونيبي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الاختلاف (1920-1954)، المرجع السابق، ص 94.

الباب الثاني:

البعء الإسلامي في الثورة الجزائرية 1954-1962 م

الفصل الأول: الثورة التحريرية و أبعادها المتنوعة. و المواقف المختلفة منها

للثورة الجزائرية مكانتها الخاصة في تاريخ الثورات العالمية، من خلال ما أحدثته من تأثيرات في الأوضاع الداخلية والخارجية. فكيف اندلعت هذه الثورة؟ و ما هي أهم الظروف و الأسباب التي ساهمت في قيامها؟ و ما هي أهم ردود الفعل على أولى عملياتها العسكرية خصوصا و على اندلاعها عموما؟ و ما هي أبرز المبادئ التي أسست عليها الثورة أفكارها و توجهاتها؟

إن فشل النضال السياسي في تحقيق الاستقلال، و وصول الحركة الوطنية الجزائرية إلى باب مسدود سيؤدي منذ الخمسينات إلى تبلور و ظهور مسألة الثورة على الساحة الفكرية، " لتبناها نخبة من المناضلين سيقع عليهم عبء اندلاعها و قيادتها، و يمثل لها الشعب الجزائري و يحتضنها بعد ذلك..."⁽¹⁾

أولا: الظروف و الأسباب:

¹⁻ محمد، (مجاود)، المجالات الإنسانية في الثورة الجزائرية، الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، الملتقى المغربي يومي 11 و 12 جوان 2003، إشراف محمد مجاود، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، 2005، ص 16.

بعد طول استعمار همجي، أذاق الجزائريين ويلات الإبادة و التدنيس، و بعد مقاومات شّعبية مسلّحة و نضال سياسي طويل، و بعد مجازر 8 ماي 1945، و شكلية الإصلاحات الفرنسية المتمثلة خاصة في دستور الجزائر 1947، ترسخت فكرة الثورة بالسلاح و بقوة البندقية و بذل الدماء.

و قد تزامن ذلك مع توافر مجموعة من الظروف و الأسباب الدولية و المحلية عجّلت باندلاع الثورة التحريرية نذكر منها ما يلي:

1/ الظروف و الأسباب المحلية:

- التواجد الاستعماري و فقدان السيادة الوطنية طيلة عقود طويلة فقد فيها الشعب الجزائري كل حقوقه و حرياته. فلقد كان الاستعمار بمثابة الحمل الثقيل الذي أثقل كاهل الجزائريين و جثم على أنفاس الشعب الجزائري بكل ويلاته و مصائبه.(1)

- سياسة فرنسا الرامية للقضاء على مقومات الشخصية الوطنية، و في مقدمتها الدين الإسلامي و اللغة العربية، التي اعتبرت لغة أجنبية في الجزائر.

- كانت سنة 1954 سنة ثورية بالنسبة للجزائر فقد كان التعبير عن الاحتجاج ضد الاستعمار " و الآمال المتصاعدة تشترك في القوائم الانتخابية فيؤدي بها تزييف الانتخابات إلى الهزيمة، أو أنها قد تشق طريقها إلى الجمعية الجزائرية فتجد مشوارها الأخير هناك "(2)

- ضعف و سوء الأحوال الاجتماعية للجزائريين من خلال ضعف الدخل و تدني الواقع الصحي، و انتشار الأمراض و الأوبئة. إذ أدى النمو الديمغرافي السريع للسكان الجزائريين خاصة بعد الحرب العالمية الثانية (3)، من جهة، و تركّز الثروة في أيدي الأقلية من المستوطنين من جهة أخرى، إلى تفشي ظاهرة الفقر العام و تزايد عدد البطالين، ممّا أسهم في زيادة التذمر و السخط و التحاق معظم الشباب (4) بالثورة.

- جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ساهمت بفضل نشاطها في بث الوعي و تكوين جيل ثورة نوفمبر.

- نهب فرنسا و مصادرتها للموارد و الأراضي، و فرض الضرائب الباهظة على السكان. ففي عام 1936 نهب الاستعمار الفرنسي حوالي 9 ملايين هكتار من أحواد الأراضي من مجموع 20 مليون هكتار و ضمها

1- صالح،(فركوس)، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي المقاومة المسلحة 1962/1830، دار العلوم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2012، ص 287.

2- صالح،(فركوس)، المرجع السابق ، ص 287.

3- سجلت نسبة الزيادة في عدد السكان الجزائريين حدود 2% في الفترة الممتدة ما بين 1953/1948. و سجل إحصاء سنة 1954 عدد السكان الجزائريين بحدود 8486000 نسمة. للمزيد ينظر: محمد، (فريشي)، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 1954/1945، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: عمار بن سلطان، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2002/2001 م، ص 12.

4- في عام 1954 كان حوالي 50 % من الشباب لا يتجاوز سن العشرين، و حوالي 5 % فوق الستين، أما 45 % المتبقية فما بين العشرين و الستين نفسه، ص 12.

إلى أملاك الدولة و البلديات، و ترك الفلاح الجزائري يتخبط بين أراضي جرداء و جدباء لا تصلح حتى لرعي المواشي.(1)

- تركز الثروة في أيدي المستوطنين بفضل تمركزهم في المدن و الحواضر الكبرى، ففي سنة 1954 بلغت نسبة التمركز الحضري للمستوطنين حوالي 77 % من مجموع 984 ألف، بينما بلغ عدد سكان البوادي من الجزائريين ما يقارب حوالي 5 ملايين و 450 ألف نسمة أي ما يعادل 73 % من العدد الإجمالي.(2)

- تعتبر الظروف الثقافية التي تمثلت في المشروع الفرنسي الذي حاول استئصال مقومات الأمة الجزائرية عن طريق التجهيل(3) و زرع الشعوذة و الخرافات و محاربة الدين و تحويل " المساجد إلى كنائس أو ثكنات و حتى إلى ملاهي." (4) و بهذا وجد الجزائري نفسه مشتتا بين ثقافة وطنية عربية و إسلامية و بين ثقافة غربية استعمارية، فدفعه هذا الموقف إلى الثورة و اعتماد العنف طلبا للمحافظة على شخصيته الأصلية.

- تعتبر فكرة العمل المسلح و الثوري فكرة قديمة لطالما ناضلت من أجلها الحركة الوطنية، تبناها خاصة نجم شمال إفريقيا منذ عام 1926، إذ " و على الرغم من النتائج الوخيمة لحوادث الثامن ماي 1945 مضى حزب الشعب في تجسيد المشروع عمليا بإنشاء المنظمة الخاصة عام 1947، و يمكن القول أن هذا التنظيم يعد العقل المدبر للثورة، ذلك أنه أعد أسس تنظيم العمل المسلح و وفر وسائله."(5)

- لقد أدى اكتشاف أمر المنظمة الخاصة من قبل السلطات الفرنسية أفريل 1950 (6) و استفحال سياسة القمع الاستعماري إلى التركيز على العمل العسكري الذي اعتبر في نظر الكثير من الوطنيين الثوريين الحل الأمثل و الحاسم. في حين رأت العناصر القيادية في الحزب ضرورة التشبث بالأفكار الإصلاحية و إتباع سياسة و معركة المشاركة في الانتخابات. و قد بدا واضحا أن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية كانت تمر بأزمة خانقة،(7) خاصة بعد "احتدام التنافس و الصراع بين المركزيين و مصالي الحاج صائفة عام 1954، و نتيجة لهذه الأزمة بادرت مجموعة من قيادة المنظمة الخاصة إلى محاولة الإصلاح و رأب الصدع و إخراج الحزب من

1- صالح،(فركوس)، المرجع السابق، ص 289.

2- Mohammed (Harbi), 1954 la guerre commence en Algérie, Editions complexe, Belgique, 1998, p 82-84.

3- كان حوالي مليوني طفل جزائري محرومين من التعليم، و لم يقبل سوى 500 أو 600 طالب جزائري بجامعة الجزائر، و تطورت نسبة الأمية إلى 90 % عام 1954. إن عدد الأطفال الجزائريين الذين كانوا يترددون على المدارس سنة 1954، لم يكن يتجاوز طفل واحد من بين كل خمسة أطفال في سن الدراسة لدى الذكور، و فتاة واحدة من بين 16 فتاة في سن الدراسة للمزيد من التفصيل ينظر: محمد، (قريشي)، المرجع السابق، ص 93 و ما بعدها.

4- صالح،(فركوس)، المرجع السابق، ص 292.

5- عبد الله،(مقلاتي)، المرجع السابق، ص 9.

1- Mabrouk (Belhocine), Le courrier Alger- le Caire 1954-1956 et le Congrès de la Soummam dans la Révolution, op.Cit, p 28. On peut consulter aussi sur la découverte de l'O.S : Mahfoud,(Kaddache), op.Cit, p 854.

7- و من هنا حسب محمد حربي فإن حركة انتصار الحريات الديمقراطية ستعيش من سنة 1947 إلى سنة 1954 في حالة أزمة تتخللها من حين لآخر عمليات تصفية و طرد و ذلك بسبب فقدان المنهج الواضح للمزيد ينظر: محمد، (حربي)، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد و صالح المثلوتي، موقف للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994، ص 53.

أزمته، و في خطوة ثانية بادر بوضياف و ابن بولعيد إلى تشكيل تنظيم جديد محاميد، فولدت بذلك اللجنة الثورية للوحدة و العمل في مارس 1954 .⁽¹⁾

- مجازر 8 ماي 1945 التي صدمت مناضلي القضية الوطنية و من المتبنين فكرة النضال السلمي السياسي. فلم يعودوا يعتقدون في الحصول على حقوقهم بالوسائل القانونية. إن إستراتيجية القطيعة مع النظام الاستعماري التي تبناها التيار الوطني الشعبي منذ بداية نجم شمال إفريقيا قد وصلت إلى نهايتها و هي ضرورة الاعتماد على القوة.⁽²⁾ و بهذا فقد أكدت نتائج هذه المجازر عن عمق النضال السياسي في تحقيق الاستقلال، و رسخت فكرة أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالحديد و النار، و في هذا يقول شاعر الثورة مفدي زكرياء:

و لن يغسل العارُ إلا الدما و عاشَ الحديدُ .. يفِل الحديدًا...⁽³⁾

لقد كانت الظروف ملائمة لتبلور فكرة العمل المسلح، فكانت هناك قاعدة شعبية تنظر بفارغ الصبر إشعال فتيل الثورة، يقابله استعداد حضره قادة المنظمة الخاصة للثورة. كما أنّ هناك ظروفًا خارجية أسهمت في إنجاح انطلاق الثورة منها: هزيمة فرنسا في معركة ديان بيان فو و إقرارها باستقلال الهند الصينية عام 1954، و اشتداد المقاومة في تونس و اضطراب فرنسا للتصريح باستقلال هذه الأخيرة، و تعقد المشكل المغربي خاصة بعد نفي السلطان محمد بن يوسف، و الاستعداد الذي أبدته مصر لمساندة و دعم الثورة الجزائرية. كل هذه الظروف مثلت بأحق أرضية و تربة خصبة لمباشرة الكفاح المسلح.

2/ الظروف و الأسباب الدولية: تمثلت في:

- انتشار موجة المد التحرري في أنحاء العالم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، خاصة في آسيا و إفريقيا، مثل: الهند الصينية و قيام الثورة المصرية في 23 جويلية 1952 التي قدمت الدعم للجزائريين، و اندلاع الكفاح الثوري في كل من تونس و المغرب عام 1952 و 1953، و بدأ بذلك الوطن العربي يتأجج في حالة ثورة و بركان يثور.⁽⁴⁾

- انتشار موجة الكفاح التحرري في بلدان العالم الثالث، و استقلال بعض البلدان خاصة سوريا، لبنان، ليبيا، الهند، و إندونيسيا.⁽⁵⁾

¹- عبد الله (مقالاتي)، المرجع السابق، ص 10.

4- Boualem, (Touarigt), la forme achevée d'une longue évolution du mouvement national, pp 8-16 In: Revue Mémoire, n°50, Octobre 2016, p 8.

³- زكرياء، (مفدي)، إيازة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، 119، صفحة، ص 65.

⁴- صالح، (فرانسوا)، المرجع السابق، ص 287.

⁵- بشير، (بلا)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830/1989)، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2006، 547، صفحة، ص 20.

- فقدان فرنسا لمكائنتها الدولية خاصة بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، و في معركة 'ديان بيان فو' ماي 1954، و تراجع هيبتها الدولية.⁽¹⁾

و عليه يمكن القول أن الوصول إلى حدث أول نوفمبر ما هو في حقيقة الأمر إلا تنويجا لتطور طويل للحركة الوطنية المليئة بالإنجازات والإخفاقات. وكان هذا التطور الكبير في مجال الأفكار والتعبيرات والمطالب، و التي بدورها تحددت بعد كثير من التحولات الاقتصادية والاجتماعية في البلد، و مواقف مختلف التيارات السياسية.

3/اندلاع الثورة :

بعد احتدام الصراع ⁽²⁾ بين الإخوة و الأشقاء في ظل حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية/ حزب الشعب الجزائري، خاصة في مؤتمر 'هورنو' ببلجيكيا ⁽³⁾ و مؤتمر 'الجزائر'، توسعت الهوة و زاد الخلاف و تبين أن عقم المقاومة لم يتوقف عند حد الإخفاق في طرد الاستعمار بل تعداه إلى المواجهة الجسدية بين الأشقاء. ⁽⁴⁾

في خضم هذا الانشقاق و الصراع، برز تيار ثالث آمن بضرورة الكفاح المسلح و تجاوز الخلافات الشكلية التي لا تحل المشكل الجزائري الكبير المتمثل في الاحتلال، و الانتقال إلى مرحلة جديدة لتنظيم و رص الصفوف، فأنشأت بذلك اللجنة الثورية للوحدة و العمل (C.R.U.A) ⁽⁵⁾ بتاريخ 23 مارس 1954 ⁽¹⁾ التي أخذت على عاتقها الإعداد و التنظيم للثورة الجزائرية.

1- Nedjib (Sidi Moussa) et Jaques (Simon), Le Mouvement National Algérien, L'Harmattan, Paris, 2008, p 7.

2- إن أزمة حزب الشعب تعود حقيقة إلى عام 1946 حيث برز الخلاف الحاد بين أنصار الأمين دباغين الذي كان يرى ألا فائدة ترجى من المشاركة في الانتخابات و أنه لا بد من الاعتماد على العمل السري و العسكري، بينما كان يرى مصالي الحاج أن التنظيم السياسي لحزب قوي و العمل بطريقة شرعية و المشاركة في الانتخابات و المطالبة باستقلال الجزائر هي الأسس الصحيحة للعمل السياسي. انظر: عمار، (بوحوش)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 345.

3- يعتبر هذا المؤتمر منعطفا حاسما في تاريخ الحركة الوطنية إذ أنه و ارتكازا على تقرير مصالي الحاج، تم إتخاذ قرارات رديعية ضد اللجنة المركزية التي اعتبرت العقبة الكبرى أمام التطور الثوري. و قد حدد بيان الحركة الوطنية أسباب القطيعة مع اللجنة المركزية، و بخاصة مع الأعضاء الأتية أسماءهم: بن خدة، لحول، كيوان، سيد علي عبد الحميد، بوداء، يزيد و فروخي بسبب الانحراف السياسي البين و الواضح. ثم قامت اللجنة المدبرة المؤقتة و المتكونة من: مولاي مرياح، أحمد مزغنة، عبد الله فيلاي، محمد مشاوي و عيسى العبدلي، بالتوجه إلى نيور في 21 جويلية 1954، أين يتواجد مصالي الحاج حيث تم الاتفاق على ثلاث قرارات هامة و هي:

- تشكيل المكتب السياسي.

- إنشاء المجلس الوطني الثوري الجزائري (C.N.R.A) و الذي يتكون من حوالي 30 عضوا يحل محل اللجنة المركزية.

- قرار خوض حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الكفاح المسلح العام بعد دورة الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة المزمع عقدها في نوفمبر 1954. ينظر:

Djanina, (Messali- Benkelfat), op.cit, 167-168.

4- يذكر الأستاذ راجح بلعيد نقلا عن نشرية العقيد بول شون (Paul Schoen) لشهر سبتمبر 1954، أن المركزيين ما كادوا يعلنون عن القرارات التي اتخذها مؤتمرهم حتى وجدوا أنفسهم في معركة بدنية دموية مع المصاليين، و جرى اول صدام بين الخصمين في 3 من سبتمبر 1954 في أعقاب محاولة المصاليين منع أنصار لحول من توزيع أول عدد صدر من صحيفة "الأمة الجزائرية"، و قد عمل لحول حسين نفسه و اثنان من معاونيه المتغربين، عبد الرحمان كيوان، و علي عبد الحميد معاملة خشنة من قبل المصاليين... و جرت بمدن عنابة و الشلف، و تبسة أيضا صراعات مشابهة بين أنصار الطائفتين، و صفتها صحيفة المستعمرين "La Dépêche Quotidienne" بأنها: عمليات ثار بين عصابتين، تتبادلان الطلقات النارية و تختفيان عند وصول الشرطة. ينظر: راجح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 208.

5- عن هذه اللجنة يتحدث المؤرخ مقلاتي فيقول: في 23 مارس 1954 عقد اجتماع بالجزائر العاصمة أعلن فيه عن تشكيل "هيئة جديدة باسم اللجنة الثورية للوحدة و العمل، و شكلت قيادتها من أربعة مناضلين: بوضياف و بن بوالعبد و كذا محمد دخل و رمضان بوشبوية و هما من المسؤولين المركزيين، و يبدو أن طرفين رئيسيين كانا وراء تأسيس هذا التنظيم الذي كان له الدور الأساسي في تفجير الثورة، فقيادة المنظمة الخاصة كانوا يسعون إلى إيجاد قوة ثالثة بمساعدة ضرورية من المركزيين، تستفيد من إمكانيات الحزب في التحضير للثورة المسلحة". ينظر: عبد الله، (مقلاتي)، المرجع السابق، ص 12. كما يسهب الأستاذ خيثر في الحديث عن هذه اللجنة و كيفية تكوينها و يعرض لنا روايتين تاريخيتين كما يذكر صعوبة تحديد

و في هذا يقول عبد الله مقلاتي في كتابه المرجع في تاريخ الثورة: إن الانشقاق الذي تعرضت إليه حركة الانتصار للحريات الديمقراطية خلف أثارا سلبية على الحزب و مناضليه، و "سمح في نفس الوقت للمناضلين الثوريين من الاندفاع لتصحيح الخط النضالي و إنقاذ الموقف و تجاوز الخلافات، و بفضل الإرادة القوية و التنظيم المحكم تمكن جناح اللجنة الثورية للوحدة و العمل من تفجير الثورة..."⁽²⁾ و يوافقه في ذلك الباحث محمد مورو عندما يتحدث عن الصراع الذي حدث داخل الحزب العتيد ما أدى إلى ظهور تنظيم سري حمل اسم اللجنة الثورية للوحدة و العمل الذي أعلن الانفصال عن الجناحين المتصارعين، بالرغم من أن الهدف المبدئي كان في البداية التوفيق بين الطرفين من أجل إقحام كل الحزب في الثورة.⁽³⁾ و "عدم التزامها بخط حزب الشعب- و أنها منظمة لجميع مسلمي الجزائر- و أن الوقت قد حان لإعلان الثورة."⁽⁴⁾

و قد أكدت اللجنة الثورية للوحدة و العمل في إعلانها على ما يلي:

- المحافظة على وحدة الحزب من خلال عقد مؤتمر موسع و ديمقراطي للحزب لضمان الالتحام الداخلي و الخروج بقيادة ثورية.

- دعوة المناضلين إلى التزام الحياد و عدم الانضمام إلى أي فريق.⁽⁵⁾

قرر كل من محمد بوضياف، و ديدوش مراد، و مصطفى بن بولعيد، و تحت غطاء اللجنة الثورية للوحدة و العمل، تغيير الإستراتيجية و لم شمل جميع العناصر القديمة للمنظمة الخاصة (O.S) المتناثرة بأرجاء الوطن.⁽⁶⁾ بعد سلسلة من الاجتماعات التي بدأت بالاجتماع التاريخي لمجموعة الاثنتين و العشرين⁽⁷⁾ و انتهت باجتماع الحسم يوم 24 أكتوبر 1954⁽¹⁾ الذي تم في شقة مراد بوقشورة الكائن مقرها ببوانت بيسكاد (Point

بدقة كيفية تكوين هذه اللجنة و هذا لغياب الوثائق الأرشيفية التي تتحدث عنها للمزيد حول الموضوع ينظر: عبد النور، (خيثر)، تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية 1962/1954، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: حباسي شوش، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006/2005 م، ص 77-88. كما أن محمد حربي يرى أن وجود رمضان بشوية و بشير الدخلي و كلاهما من أنصار اللجنة المركزية و صحيفة الوطني (Le patriote) التي كانت تهاجم مصالي الحاج و تحابي اللجنة المركزية، كل هذا يفند فكرة عدم انحيازها و يشكك في أهدافها للمزيد ينظر: محمد، (حربي)، المرجع السابق، ص 58.

1- عمار، (بوحوش)، المرجع السابق، ص 351.

2- عبد الله، (مقلاتي)، المرجع السابق، ص 9.

2- Mohammed (Harbi), 1954 la guerre commence en Algérie, op.cit, p 57.

4- محمد، (مورو)، الجزائر تعود لمحمد صلى الله عليه و سلم، المختار الإسلامي للطبع و النشر و التوزيع، القاهرة، 1992، ص 100.

5- عمار، (بوحوش)، المرجع السابق، ص 352.

5- Mabrouk (Belhocine), Le courrier Alger- le Caire 1954-1956 et le Congrès de la Soummam dans la Révolution, op.Cit, p 34.

7- و عن هذا الاجتماع يقول الباحث مقلاتي: بادرت اللجنة الثورية للوحدة و العمل إلى دعوة العناصر الثورية لعقد اجتماع الاثنتين و العشرين التاريخي يوم 25 جويلية 1954 بالعاصمة.- غير أن عمار بوحوش يحدد تاريخ هذا الاجتماع ب 25 جوان و ليس جويلية- و الراجح أنه في شهر جوان باتفاق معظم الدراسات و المصادر التاريخية، و ثم التحضير لهذا الاجتماع في سرية تامة، و عقد في منزل المناضل إلياس دريش بصالومي (المدنية جاليا). و رغم اختلاف المواقف و الرؤى صوت الجميع في نهاية المطاف على عدة نقاط منها: التأكيد بسياسة القادة المسؤولين عن أزمة حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، و دعوة كل الثوريين إلى ضرورة إنقاذ الموقف، و أهم قرار كان إعلان الثورة المسلحة كوسيلة لتجاوز الخلافات و النزاعات و تحرير الجزائر. أنظر: عبد الله، (مقلاتي)، المرجع السابق، ص 13. كما يؤكد الأستاذ خيثر أن الاجتماع الذي تمخض عن تشكيل أول هيئة قيادة للثورة في 25 جوان 1954 تحولا كبيرا في المسار الذي قام به مؤسسو اللجنة الثورية للوحدة و العمل، ليس من منطلق أن ذلك الاجتماع كان يمثل الزفرة الأخيرة لتلك اللجنة فحسب، وإنما لأنه شكل بداية التوجه العملي نحو الشروع في التحضير للثورة بالنسبة للعناصر النشيطة من المنظمة الخاصة الذين كانوا يتواجدون في الجزائر آنذاك للمزيد ينظر: عبد النور، (خيثر)، المرجع السابق، ص 92-100. أما محمد حربي فيؤكد على أن هذا الاجتماع قد دار في جو من يطغى عليه الحماس من ناحية و الحقد على كل زعماء حزب الشعب الجزائري/ حركة انتصار الحريات الديمقراطية من جهة أخرى. و كان الخوف من ضياع فرصة لا تعوض للخروج بالقضية الجزائرية من المأزق يسيطر بكل ثقله على المناقشات. و حتى

(Piscade Alger) (2) الذي تقرر فيه تاريخ و ساعة اندلاع الثورة، انطلقت باسم 'الله أكبر' الشرارة الأولى لثورة خلدت اسمها في سجل أعظم الثورات في تاريخ العالم بأسره، "إنه اليوم الحاسم في تاريخ الجزائر المعاصرة، فيه أعلن عن بدأ المسيرة الكفاحية تحت لواء التنظيم الجديد جبهة التحرير الوطني". (3)

كانت ساعة الصفر من ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 هي ساعة الحسم (4) التي بدأت فيها الهجمات في كامل التراب الوطني ضد أضخم قوة استعمارية آنذاك. لقد بيّنت كلمة السر التي اعتمدت في هذه الهجمات "خالد/ عقبة" (5) على انتماء الثورة التحريرية إلى محضنها الطبيعي ألا وهو الإسلام الذي يعتبر المصدر الذي تستمد منه قوتها واستمرارها، وبالفعل فقد فعلت هذه الكلمة الأفاعيل في النفوس فما إن كانت تردد الكلمتان إلا و تحتز معها نفوس المجاهدين و تؤمن التعارف بينهم. و في هذا يقول شاعر الثورة مفدي زكرياء:

تأذنْ ربكْ ليلةٍ قدرٍ وألقى الستارَ على ألفِ شهرٍ
و قالَ له الشعبُ: أمركَ ربي! و قالَ له الربُّ: أمركَ أمري!!
و دانَ القصاصُ فرنسا العجوزُ بما اجترحت من خداعٍ و مكرٍ
و لعلَّ صوتُ الرصاص يدوي فعاغ اليراعُ خرافات حبر!!
و تأبى المدافعُ صوغَ الكلا م ، إذا لم يكن من شواظٍ و جمرٍ!
و تأبى القنابلُ طبعَ الحرو ف، إذا لم تكن من سبائكِ حمرٍ!
و تأبى الصفائحُ نشرَ الصحائف ، ما لم تكن بالقراراتِ تسري!
و يأبى الحديدُ استماعَ الحديث ، إذا لم يكن من روائعِ شعري!
نوفمبرُ غيرتَ مجرى الحياة، و كنت - نوفمبر - مطلعَ فجرٍ!
و ذكرتنا - في الجزائر - بدرًا فقمنا نضاهي صحابة بدرٍ (6)

القاش نفسه كان يبدو للمتحمسين أكثر من غيرهم طويلا و كأنه يخفي في طياته ترددات و حسابات مسيقة. و هذا ما لاحظته بوجعة السويدي الذي ضاق ذرعا بما اعتبره ضربا من المماطلة فقام بطرح مسألة الانتفاضة في قالب إنذار: هل نحن حقا ثوريون أم لا؟ إذا كان الأمر كذلك، إذا كنا صادقين مع أنفسنا، لماذا ننتظر إذن للقيام بالثورة؟ و قد استطاع بفضل قوة اقتناعه أن يحصل على موافقة الجميع. و على كل فلم يكن أحد يرغب في الظهور بمظهر المتردد الفاتر للمزيد ينظر: محمد، (حربي)، المرجع السابق، ص 60.

1- هنا يحدد الباحث مقالاتي آخر اجتماع تقرر فيه تاريخ و ساعة الثورة بيوم 23 أكتوبر 1954. و بعد إعلام مصطفى بن بوععيد محمد بوضياف باختياره منسقا وطنيا استدعى هذا الأخير كل من ابن بوععيد و ابن مهدي و ديدوش و بيطاط للاجتماع و الشروع في العمل التحضيرى لتنفيذ مقررات اجتماع الاثنين و العشرين، و كانت لجنة الخمسة هذه النواة الأولى لقيادة الثورة. فانعقدت سلسلة من الاجتماعات منها: اجتماع لجنة السنة في 10 أكتوبر 1954 وضعت الترتيبات الأخيرة للثورة، و تقرر فيه تعيين مسؤولي المناطق و نوابهم، و حصل الاتفاق على أن تكون انطلاقا الثورة عبر عمليات عسكرية تشمل كامل أرجاء الوطن في وقت واحد، و حدد يوم 15 أكتوبر موعدا لاندلاع الثورة لكن تسرب الخبر للقادة المركزيين أدى إلى تأجيله إلى فاتح نوفمبر 1954. و خلال هذا الاجتماع تم التداول في المحتوى السياسي و مبادئ الحركة التي ستقود الثورة (جبهة التحرير الوطني)، حيث تم التركيز على طرح الأفكار الأساسية في بيان الثورة، و منها وحدة حزب جبهة التحرير الوطني، و تحديد أهداف الثورة الداخلية و الخارجية، و التشديد على مبدأ الاستقلال و إقامة الدولة الجزائرية المستقلة، و وضع الحركة في إطار الشمال الإفريقي، و تم الاتفاق على المبادئ التنظيمية التي تسير الثورة، و هي اللامركزية و أولوية الداخل على الخارج. أنظر: عبد الله، (مقاتي)، المرجع السابق، ص 15-18-19.

2- رابع، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 224.

3- نفسه، ص 9.

4- يؤكد الأستاذ بنيامين سطورا أنه ما بين منتصف الليل و الساعة الثانية صباحا، من الفاتح نوفمبر 1954، استيقظت الجزائر على وقع الانفجارات من القطاع القسنطيني إلى القطاع الوهراني، حرائق و هجمات الكومندوس تدل على وجود تنظيم منسق. للمزيد ينظر Benjamin,Stora,Histoire de la guerre d'Algérie(1954-1962),Collection Repères Histoire,Hibr éditions,Algérie,2012,p 9.

5- كلمة السر تتكون من كلمتين هي اسم خالد أما كلمة الإجابة فهي عقبة، أنظر صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 302.

6- زكرياء، (مفدي)، المرجع السابق، ص 69.

بعد توزيع الزمر و تحديد الأهداف، قسمت الجزائر إلى خمس مناطق عسكرية و هي على النحو الآتي:

- المنطقة الأولى: الأوراس بقيادة مصطفى بن بولعيد و نائبه بشير شيحاني.
- المنطقة الثانية: الشمال القسنطيني بقيادة مراد ديدوش و نائبه يوسف زيغود.
- المنطقة الثالثة: القبائل بقيادة كريم بلقاسم و نائبه عمر أوعمران.
- المنطقة الرابعة: الجزائر بقيادة رابح بيطاط و نائبه بوجمعة سويداني.
- المنطقة الخامسة: وهران بقيادة العربي بن مهيدي و نائبه عبد الحفيظ بوصوف.⁽¹⁾
- أما الصحراء أي القسم الشرقي من الصحراء فأسندت قيادتها لمنطقة الأوراس، و نظرا لخصوصيتها الجغرافية الواسعة فتقرر أن تبقى الصحراء مركزا للتموين بالسلاح و مشروعاً قابلاً للتطور.⁽²⁾

ثانيا: العمليات العسكرية الأولى ليلة الفاتح من نوفمبر:

بعد التحضير المحكم للثورة⁽³⁾ و توزيع الأسلحة على المناطق جاءت العمليات الأولى لتخبر عن ميلاد ثورة شعب لطالما عشق الحرية و انتظرها زمنا طويلا. فبعد منتصف ليلة الاثنين للفاتح من نوفمبر 1954 دوى صوت البارود إذانا بميلاد فجر جديد، و بكرامة جديدة للشعب الجزائري و للأمة العربية جمعاء، إنه ميلاد ثورة تركت بصماتها العميقة في التاريخ المعاصر، حاملة بشائر تحرر الشعوب و يقظتها و عزمها على افتكاك الحرية و الاستقلال بقوة السلاح.

و في هذا يقول المؤرخ 'محموظ قداش': "إن العمليات العسكرية للفاتح من نوفمبر قد حددت البداية لحرب تحرير طويلة." و حول توقيت هذه العمليات تخبرنا الباحثة آمال شيلي: " و أما اختيار توقيت منتصف الليل و الفاتح من نوفمبر فقد حدد بطريقة مدروسة و بتخطيط محكم للاعتبارات التالية: أولا: لأنه يصادف عيد القديسين و بالتالي فإن أغلب قوات الاحتلال سيكون في عطلة دينية ملؤها اللهو و المرح و هذا ما يسهل المهمة. و ثانيا - فيما يخص - منتصف الليل فقد اختير بدقة لأن الجنود الفرنسيين و رؤساءهم سيكونون في حالة استرخاء يغطون في نوم عميق... - و أما الأمر الثالث - فإن الفاتح من نوفمبر يناسب أيضا يوم الاثنين و هو يوم مبارك ولد فيه محمد صلى الله عليه و سلم" ⁽⁴⁾

1- صالح، (فرкос)، المرجع السابق، ص 303.

2- أمال، (شلي)، التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية 1954/1956، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ، جامعة باتنة، الجزائر، 2006/2005، ص 346.

3- فمثلا يخبرنا الرائد عمار ملاح في مذكراته أنه: بدأ جمع السلاح عندما تكونت المنظمة السرية و هذا سنة 1950/1947 كما شرع في التدريب على استعمال السلاح و هذا في أماكن عديدة سرية لا يعرفها إلا القليل من مناضلي الحركة الوطنية. و عند اندلاع ثورة التحرير تجمع المجاهدون الأوائل في مكانين هما: بشرة أولاد موسى و خنقة لحدادة. و كان عدد المجاهدين ما يزيد عن 350 مجاهد تحت قيادة مصطفى بن بولعيد، و هنا وقع تكوين أول أفواج قتالية للمجاهدين و حدد لكل فوج مهمته للهجوم على العدو إعلانا عن انطلاق الثورة التحريرية حتى النصر أو الاستشهاد. (عمار، ملاح)، وقائع و حقائق عن الثورة التحريرية بالأوراس - الناحية الثالثة بوعريف، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2003، ص 106.

4- للمزيد حول العوامل المحفزة لاختيار ساعة الصفر من ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 أنظر: أمال، (شلي)، المرجع السابق، ص 358.

بسبب نقص الأسلحة و التموين (1) اعتبرت بعض العمليات آنذاك مجرد عمليات رمزية هدفها إيقاظ النائمين و التأكيد على إرادة الأمة في التخلص من الاستعمار و تحقيق الاستقلال.(2) و المهم أن العمليات العسكرية الأولى شملت مختلف أنحاء الوطن بهدف تحقيق مبدأ الشمولية، (3) فلقد استيقظ الاستعمار مندهشا مذعورا على دوي الرصاص الذي لعل في عدة مناطق من الوطن و على وجه الخصوص منها منطقة الأوراس (4)، فكان صوت البندقية، و كان نوفمبر في صباح ذلك اليوم الأغر يصنع الحدث بأهدافه، و مبادئه، و وسائله، و بأبعاده السياسية، كان ذلك أول منشور يعلن عن ميلاد جبهة التحرير الوطني يأتي متزامناً و متوازياً مع انطلاق أول رصاصة في الاتجاه الصحيح، و هكذا ظهرت جبهة التحرير الوطني كحركة عسكرية سياسية.(5)

و لقد استهدفت خلال هذه العمليات الثكنات العسكرية من أجل الحصول على السلاح، و هوجمت مراكز الاتصال و المواصلات و الشركات الاستعمارية و المنشآت العمومية و مراكز الدرك و الشرطة بغية شل حركة الاحتلال.(6)

و الملاحظ أن أهم ما ميز هذه العمليات العسكرية هو شموليتها لكافة مناطق التراب الوطني، فقد كتبت في هذا الصدد جريدة 'لاديباش كوتيديان' (La dépêche quotidienne) في عددها بتاريخ 2 نوفمبر 1954 و حول موضوع الفجائية و التوقيت ما يلي: " فهذه الفجائية و ذلك التزامن الدقيق في التنفيذ، أي في وقت واحد، يدلان على وجود منظمة منضبطة هي التي تحير أكثر من الخسائر المادية و البشرية. "(7)

و قبيل اندلاع المحطات اجتمع قائد المنطقة الأولى مصطفى بن بولعيد بمساعديه و طلب منهم أداء اليمين على كتمان السر، ثم أطلعهم على تاريخ و ساعة اندلاع الثورة و قرأ عليهم بيان أول نوفمبر باللغتين العربية و الفرنسية.(8) و إن دل هذا اليمين إنما يدل على تمسك الرعيل الأول من الثوار بتعاليم الدين الإسلامي إيماناً منهم أن الحفاظ على اليمين من أوجب واجبات المسلم الحق.

3 - في هذا الصدد يذكر محمد حربي أن المخزون الضئيل من الأسلحة المتوفرة سنة 1954 يعود إلى مخابئ المنظمة السرية التي سلمت من مراقبة الشرطة الفرنسية للمزيد حول الموضوع ينظر: Mohammed (Harbi), 1954 la guerre commence en, op.cit, p 57.

4- Mabrouk (Belhocine), Le courrier Alger- le Caire 1954-1956 et le Congrès de la Soummam dans la Révolution, op.Cit, p 39.

3- لقد أظهرت مختلف التقارير الرسمية لمصالح الأمن الفرنسية، و كذا مختلف الدراسات التي ظهرت فيما بعد عن المعلومات التفصيلية لهذه العمليات العسكرية، طبيعتها، أهميتها، مناطق حدوثها، الأضرار التي خلفتها، و كذا طابعها الشمولي. فقد عرفت مثلاً: منطقة الأوراس تنفيذ ثلاث و أربعين هجوماً، كما شهدت المنطقة الثانية تنفيذ عمليتين كبيرتين، و أما منطقة القبائل فقد عرفت أربعة عشر هجوماً، و المنطقة الرابعة أربعة عشر هجوماً كذلك، و منطقة الغرب الجزائري كذلك أربعة عشر هجوماً. للتفصيل حول الموضوع ينظر: ليلي، (تيتيه)، تطور الرأي العام الجزائري إزاء الثورة التحريرية 1954-1962، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: مصطفى حداد، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012/2013، ص 52-60.

4- اتجهت الأفواج الأولى بمنطقة الأوراس إلى الأماكن التالية: باتنة، بسكرة، قنطرة باشا، اسمول، عين لقصر، سريانة، خنشلة. و قام المجاهدون بأول عمليات ضد العدو كانت الشرارة الأولى لاندلاع الثورة المباركة. و كانت أول معركة في الأوراس هي معركة قرين بالقاسم في أنزى نحمد، و هذا في 28 نوفمبر 1954 إذ استشهد الفوج كله و عددهم 14 مجاهداً. للمزيد ينظر: عمار، (ملاح)، المرجع السابق، ص 110.

5- إدريس، (فاضلي)، FLN حزب جبهة التحرير الوطني عنوان ثورة و دليل دولة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص 72.

6- لمعرفة مدى قوة هذه العمليات أو ضعفها أنظر: آمال، (شلي)، المرجع السابق، ص 359-363.

7- آمال، (شلي)، المرجع السابق، ص 364.

8- عمار، (بوحوش)، المرجع السابق، ص 363.

و أردنا في هذا المقام أن نورد الكلمة التي ألقاها عباس لغرور الذي كلف بمهمة التنسيق العام، - قبل أن يصدر أوامره للمجاهدين المكلفين بقطع خطوط الاتصالات الهاتفية للعدو إذ نلمس البعد الإيماني للثوار و قادتهم الذين اعتبروا مثلاً يحتذى به و نجوماً يهتدى بهم، حين خطب قائلاً: " إخواني المجاهدين الأعزاء.ها نحن قد أدركنا يوم الثورة العظيم الذي يجب أن يقود الجزائر إلى الاستقلال... إني أعرف بأننا سنجابه العدو و أيدينا فارغة... و ليس لدينا إلا الإيمان الذي يعمر قلوبنا... إني أثق بكم و بشجاعتكم... انطلقوا و اضربوا بقوة و بدون أدنى شفقة أو رحمة، و عودوا ظافرين، ذلك لأن الله مع المجاهدين و مع القضية العادلة، الله أكبر "(1) نعم هذه الكلمة تعبر عن إيمان راسخ و عقيدة لا تتبدل و لم تتحول رغم ما مر به الشعب الجزائري من مآسي و محن لأن الله سبحانه و تعالى أذن للذين ظلموا بمشروعية الجهاد في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (2)

هكذا اندلعت الثورة التحريرية فكان سلاحها الأول كلمة " الله أكبر"، و سلاحها الثاني التفاف الشعب و إيمانه العميق بها. فكان لزاماً على قادة الثورة أن يحددوا للمجاهد أوامر يتقيد بها و لا يجيد عنها لكي يحصل ذلك الانسجام و الترابط بين مختلف أنحاء الجزائر، و التي منها: التحلي بالخفة و الدقة، و ألا يهاجم عدوه بكل ما يملك من قوة، و أن يعمل على تحطيم اقتصاد العدو بغية تكسير معنوياته.(3) كما رسمت للمجاهد حدود و يجب عليه ألا يتعدها، فمثلاً يحكم على كل مجاهد يعتدي على الشرف و العرض بالإعدام، و هذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (4)

لقد أطلق المجاهدون الطلقات الأولى مدوية عنان السماء، فكانت بذلك الهجمات الأولى من الساعة الصفر ليلية الفاتح نوفمبر إيذاناً بانطلاق الثورة في كامل ربوع التراب الجزائري مستهدفة النقاط الحساسة للاحتلال الفرنسي.

ثالثاً: ردود الفعل حول اندلاع الثورة:

وقعت أولى الهجمات المنظمة ليلية الفاتح من نوفمبر، و كانت مفاجئة مؤثرة ليس فقط على المستوى العسكري بل كذلك على المستوى النفسي و السياسي،(5) و لم يجد الرأي العام مصدراً يفسر ما حدث، عدا بيان السلطات الفرنسية الذي حوصل الحوادث التي عرفتها نقاط مختلفة من الجزائر من جهة، و بيان الحركة الثورية الجديدة في أول نوفمبر 1954 الذي وضح أن هذه ثورة حقيقية ضد الاستعمار، من جهة أخرى، و على كافة فئات الشعب الانضمام إليها قصد الوصول إلى الهدف المنشود ألا و هو الاستقلال الوطني التام.(6) و رغم ذلك فقد تباينت المواقف و ردود الفعل اتجاه هذه الثورة.

1/ ردود الفعل الوطنية:

1- صالح،(فركوس)، المرجع السابق، ص 303.

2- سورة الحج، الآية 39.

3- صالح،(فركوس)، المرجع السابق، ص 304.

4- سورة البقرة، الآية 190.

5 -Mahfoud,(Kaddache),ET L'Algérie se libéra ,op.cit,p11.

6- عبد الله(مقالاتي)، المرجع السابق، ص 24.

استقبل الشعب الجزائري اندلاع الثورة ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 بنوع من الدهشة و الحذر⁽¹⁾ ، لكنه سرعان ما التف حول الثورة حين أدرك حقيقتها و غاياتها، لأنها السبيل الوحيد لتحقيق الاستقلال بعد تيقنه من فشل التجربة السياسية.⁽²⁾ و عن هذا الموقف يؤكد الباحث مقلاتي: أما الجزائريون فاستبشروا خيرا باندلاع الثورة، و فهمتها القاعدة الشعبية أنها محصلة للنضال الوطني المستمر و المثمر. ⁽³⁾ و أكثر من ذلك فإننا نرى أن الشعب الجزائري بعدما استطاع حيازة القليل من المعلومات حول الثورة فإنه أدرك أن حيازة بندقية، و عضوا في جيش التحرير الوطني هي الفرصة الوحيدة له لإعطاء معنى حقيق لموته لأن الحياة الطويلة تحت ليل الاستعمار أصبحت خاوية من كل معنى.

أما التنظيمات السياسية فقد فوجئت باندلاع هذه الثورة و قابلت الحدث بالحيرة و القلق و تباينت مواقفها على النحو الآتي:

أ/جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

قابلت الجمعية حوادث الليلة بنوع من الحذر، و قد أوردت جريدة البصائر في العدد 292 ليوم 5 نوفمبر 1954/ 9 ربيع الأول 1374هـ مقالا تحت عنوان: 'حوادث الليلة الليلية' يؤكد ذلك إذ جاء فيه أنها لا تستطيع التعليق عليها.⁽⁴⁾ و قد أورد علي كافي في مذكراته أن العلماء لم يكونوا في الصورة تاريخ انطلاق الثورة، بسبب أزمة الصراع التي كانت تعيشه الجمعية و انقسام قيادتها بين الخارج و الداخل.⁽⁵⁾ و يذكر أن النائب الأول للجمعية الشيخ العربي التبسي "كان بأفكاره و توجهاته و قناعاته أقرب إلى هضم الثورة و ضرورة الإسراع بتأييدها."⁽⁶⁾ و مع ذلك لم يصدر أي موقف عن المجلس الإداري للجمعية، و ربما هذا الموقف هو موقف شخصي للشيخ التبسي. و في نفس السياق يؤكد الشيخ الفضيل الورتلاني أنه عند اندلاع الثورة كنا نحن الجزائريين الموجودين خارج الجزائر، نترقب هذه الثورة و نتوقعها. و مضى عشرة أيام و نحن نحترق شوقا للاطلاع على حقيقة ما يجري هناك، و كيف ابتدأت الثورة؟ و ما هي العناصر التي قامت عليها؟ و بأي صبغة تصطبغ؟ و إلى أي اتجاه تتجه؟ و هل انتشرت في جميع البلاد؟⁽⁷⁾ غير أن الشيخ أحمد توفيق المدني يؤكد على اتصاله بأحد رجال الحركة الجديدة - و

¹ - كان الترقب و الحذر مما حدث في ليلة الفاتح من نوفمبر هي السمة الغالبة على مختلف المناطق التي حدثت فيها الهجمات، فقد جاء في أحد التقارير الفرنسية أن الأغلبية الساحقة من سكان المناطق التي مستها العمليات قد كانت خائفة خلال هذه الفترة، و تعود إلى منازلها مبكرة. كما أكد مسعود عثمان في كتابه: قد يكون من السخف الإدعاء بأن الشعب الجزائري كان جميعه معيا متضامنا لحظة اندلاع الثورة و ملتفا حولها، فهذه المترادفات لا تعكس الوضع القائم عن اندلاع الكفاح المسلح. للمزيد حول الموضوع ينظر: ليلي، (تيتة)، المرجع السابق، ص 68-69. كما ذهب الأستاذ خيثر عبد النور، إستنادا إلى مذكرات كل من الرائد سعيداني و مذكرات عثمان سعدي بن الحاج، إلى قيام السكان بتسليم بعض المجاهدين الأوائل للشرطة الاستعمارية في المنطقة الخامسة، و إلى رفض واستنكار الأهالي لتواجد المجموعات الأولى من جيش التحرير في المنطقة الثانية. و أن أخطاء بعض القادة الأوائل في نواحي عنابة القالة أحدثت سخطا كبيرا، و بعض سكان منطقة تبسة استنكروا وجود المجموعات الأولى من المجاهدين ، وكانوا يصفونها ب"الفلاحة" و طالبوها بالرحيل. للمزيد ينظر: عبد النور، (خيثر)، المرجع السابق، ص 121.

² - صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 310.

³ - عبد الله، (مقلاتي)، المرجع السابق، ص 27.

⁴ - أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 77.

⁵ - علي، (كافي)، مذكرات من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946/1962، دار القصب، الجزائر، 1996، ص 57.

⁶ - محمد العربي، (زبيري)، الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البعث، الجزائر، 1984، ص 32.

⁷ - الفضيل، (الورتلاني)، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، 2009، 512 صفحة، ص 178.

يقصد هنا اللجنة الثورية للوحدة والعمل - بمنطقة باتنة و يقول في هذا الصدد: "... و علمت منه في سرية تامة أن نبوعي فيما يتعلق بالثورة المدوية ستتحقق عما قريب، و أنه سيمدني أولاً بأول، بكل المعلومات المتعلقة بالحدث العظيم، حتى أسمى جاهداً، مع إخواني الأبرار، بكل ما في أنفسنا من قوة و إيمان، لربط جمعية العلماء بموكب الثورة... كما تسلمت منه أخيراً قبيل غرة نوفمبر بقليل، منشور الثورة السري، و علمت بميقاتها المعلوم".⁽¹⁾ و لكن الأستاذ محمد حاج عيسى يؤكد أن الحافز الذي كان من وراء التفاف الشعب الجزائري حول نداء أول نوفمبر هو موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي سارعت إلى مساندة الثورة و تأييدها ابتداء من 2 نوفمبر من خلال البيان الذي أصدره كل من الشيخ 'البشير الإبراهيمي' و 'الفضيل الورتلاني' بالقاهرة تحت عنوان "مبادئ الثورة في الجزائر"، و مما جاء فيه: "ثم قرأنا اليوم في الجرائد بعض تفصيل ما أجملته الإذاعات، فحفقت القلوب لذكرى الجهاد لو قسمت فرائضه لكان للجزائر منه حظان بالفرض و التعصيب و اهتزت النفوس طرباً لهذه البداية التي سيكون لها ما بعدها، ثم طرقنا الأسمى لأن تكون تلك الشجاعة التي هي مضرب المثل لا يظاهرها سلاح، و تلك الجموع التي هي روق الأمل لا يقودها سلاح، إن اللحن الذي يشجي الجزائري هو قعقة الحديد في معمعة الوغى، و إن الرائحة التي تعطر مشامه هي رائحة هذه المادة التي يسمونها البارود".⁽²⁾

و في اليوم الموالي 3 نوفمبر نشر بيان آخر في الجرائد المصرية و غير المصرية عنوانه "إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر اليوم حياة أو موت = بقاء أو فناء"، و مما جاء فيه: "حياكم الله أيها الثائرون الأبطال و بارك جهادكم و أمدكم بنصره و توفيقه و كتب ميتكم في الشهداء الأبرار و حياكم في عباده الأحرار. لقد أثبتتم بثورتكم المقدسة عدة حقائق: الأولى أنكم سفهتكم دعوى فرنسا المفترية التي تزعم أن الجزائر راضية مطمئنة فأريتموها أن الرضى بالاستعمار كفر و أن الاطمئنان لحكمها ذل و أن الثورة على ظلمها فرض... اعلموا أن الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا فرضه عليكم دينكم، و فرضته قوميتكم، و فرضته رجولتكم، و فرضه ظلم الاستعمار الغاشم الذي شملكم، ثم فرضته أخيراً مصلحة بقائكم لأنكم اليوم أمام أمرين: إما حياة أو موت، إما بقاء كريم أو فناء شريف".⁽³⁾

ثم أصدر ممثلو الجمعية في الخارج (القاهرة) بيانا يوم 15 نوفمبر 1954 دعوا فيه إلى الكفاح المسلح. لقد قرأ النداء رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي، و الذي جاء فيه: "أيها الشعب الجزائري (4) هذا هو الصوت الذي يسمع الأذان الصم هذا هو النور الذي يفتح الأعين المغلقة، إن فرنسا لم تبق لكم ديناً و لا دنيا و كل إنسان في هذا الوجود يعيش لدين و يحيا بدنيا فإذا فقدهما فبطن الأرض خير له من ظهرها، إنكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه و نهايته الموت، فاختاروا موة الشرف على حياة العبودية التي هي شر من الموت ...، فسيروا على بركة الله و بعونه و توفيقه إلى ميدان الكفاح المسلح فهو السبيل الأوحى إلى إحدى الحسينيين، إما موت وراءه جنة و إما حياة وراءها العزة و الكرامة".⁽⁵⁾

1- المدني، (أحمد توفيق)، حياة كفاح (مذكرات)، ج3، مع ركب الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 19. ينظر كذلك حول الموضوع: أسعد، (لهالي)، المرجع السابق، ص 89-90.

2- محمد، حاج عيسى، جمعية العلماء و الحرب التحريرية الكبرى، خطبة جمعة أقيمت في 7 نوفمبر 2008 بمسجد عمر بن الخطاب، الجزائر العاصمة. جول موقف الشيخ الإبراهيمي في نفس التاريخ 2 نوفمبر 1954 ينظر: أحمد، (حماني)، المرجع السابق، ج2، ص 274.

3- الفضيل، (الورتلاني)، الجزائر الثائرة، المرجع السابق، ص 170. و كذلك: محمد، حاج عيسى، جمعية العلماء و الحرب التحريرية الكبرى، خطبة جمعة أقيمت في 7 نوفمبر 2008 بمسجد عمر بن الخطاب، الجزائر العاصمة.

4- لقد وجدنا بعض الاختلاف في نصي النداء، النص الذي أورده الشيخ الفضيل الورتلاني و النص الذي أورده الشيخ توفيق المدني، إذ أن عبارة أيها الشعب الجزائري التي أوردها الشيخ الورتلاني ذكرت على نحو أيها المسلمون الجزائريون في نص الشيخ المدني. للمزيد ينظر: المدني، (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص 26.

5- الفضيل، (الورتلاني)، الجزائر الثائرة، المرجع السابق، ص 176-178. و كذلك: صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 312.

كما حث هذا البيان على عدم التراجع لأن التراجع معناه الفناء، و بضرورة التحلي بالإيمان و الإخلاص بالعمل لله، و حث المجاهدين على ضرورة ذكر دائما و أبدا و في جميع أعمالهم، "ما دعا إليه القرآن من الصبر في سبيل الحق، و من بذل المهج و الأموال في سبيل الدين".⁽¹⁾ و هذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾

كان بعض أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من السابقين إلى توقيع ميثاق "جبهة تحرير الجزائر" التي تأسست في 7 نوفمبر 1954 و صدر ميثاقها في 17 فبراير 1955، و منهم 'البشير الإبراهيمي' و 'الفضيل الورتلاني' و 'أحمد بيوض'، إلى جانب شخصيات أخرى من أمثال: 'أحمد بن بلة'، و 'حسين آيت أحمد'، و 'أحمد مزغنة'، و 'محمد خيضر'، و 'الشاذلي المكي'، و مما جاء في بيانها أن:

- الشعب الجزائري على اختلاف أفراد و هيئاته فيما يخص الكفاح المسلح- كتلة واحدة هي الأمة الجزائرية-، و من شد شد في النار.

- تسمية الهيئة المنضوية تحت لوائها أبناء الجزائر المسؤولون المقيمون بالقاهرة "جبهة تحرير الجزائر".

- تعمل الهيئة على تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي، و من كل سيطرة أجنبية.

- الجزائر عربية الجنس، مسلمة العقيدة، فهي بالإسلام و العروبة كانت، و على الإسلام و العروبة ستعيش، و في ذلك تحترم جميع الأديان و المعتقدات و الأجناس.

- الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي، الذي هو جزء من العالم العربي الكبير.

- جبهة تحرير الجزائر مستعدة من الآن لتندمج في هيئة أجمع و أشمل للأقطار المغربية الثلاث، بنظام يوضع و مسؤوليات تحدد.⁽³⁾

إلا أن الإعلان الرسمي لموقف الجمعية من الثورة لم يصدر إلا يوم 7 يناير 1956 م⁽⁴⁾ حين أصدرت نداءها المعنون "بلاغ من الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن الحالة الحاضرة في القطر الجزائري و موقف الجمعية منها"، الذي نشرته في جريدة البصائر العدد 349 ليوم 13 جانفي 1956، و الذي عبرت فيه عن دعمها للكفاح المسلح، فالتحق الكثير من أعضائها بإخوانهم للعمل في صفوف الثورة المسلحة. و في هذا الموقف

1- الفضيل، (الورتلاني)، المرجع السابق، ص 177.

2- سورة التوبة، الآية 41.

3- محمد البشير، (الإبراهيمي)، في قلب المعركة، دار الأمة، الجزائر، 1997، ص 38.

4- و في هذا الحدث يقول الشيخ المدني: "في شهر جانفي من سنة 1956، و قد اشتدت المعركة، و حمى الوطيس، و اندفع شعب الجزائر البطل، بقضه و قضيضه، في حرب التحرير العارمة القاسية اتفقت مع الشيوخ: محمد خير الدين، و العباس بن الشيخ الحسين، و عبد اللطيف سلطاني، و نعيم النعيمي، على وجوب عقد اجتماع عام للجمعية، بأسرع ما يمكن لتقول الجمعية كلمتها الحاسمة، و لكي يعرف الخاص و العام في الجزائر و في فرنسا، و في بقية أصقاع العالم موقف الجمعية من الكفاح، و مكانتها من الأمة، و وقفها خلال هذه الحرب القاسية الفظيعة في الطليعة." و عليه عقد الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم السبت 7 يناير 1956. للمزيد ينظر: المدني، (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص 34-37.

يقول أحمد توفيق المدني: " ... و بعد مذكرات طويلة... رأينا أننا من الثورة و مع الثورة و لا يمكن إطلاقاً أن لا نكون إلا مع الثورة".⁽¹⁾

خلاصة القول في موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنها كانت أقرب إلى الثورة من باقي فعاليات الحركة الوطنية الأخرى خصوصاً و أن رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي هو الزعيم التاريخي الوحيد الذي صدر عنه بياناً يؤيد الثورة التحريرية، و في هذا يذكر الأستاذ أبو القاسم سعد الله أنه عندما أعلن الشعب الجزائري ثورته كان الشيخ البشير الإبراهيمي أول من احتضنها من الزعماء، رغم أنه كان في المشرق بعيداً عن الوطن.

ب/ الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:

لم يستطع هذا الحزب أن يتخذ موقفاً حاسماً من الثورة عشية اندلاعها، إذ ظل يراود زعيمه الأمل بإدخال إصلاحات على النظام الاستعماري في الجزائر، و الحلم بإنشاء جمهورية جزائرية متحدة مع فرنسا، و تجنب ثورة شاملة تأتي على الأخضر و اليابس. و انطلاقاً من هذا التوجه بنى هذا التيار و زعيمه فرحات عباس موقفهم من الثورة، حيث وصف عملياتها تارة بالأعمال الفوضوية، و تارة أخرى بالحماة و المغامرة اليائسة، و دعا إلى تحكيم العقل و منطق الحكمة، و ضرورة تفعيل باب المفاوضات بغية حل المشكل الجزائري. و في هذا الشأن ذكر فرحات عباس حسب ما نقلناه عن الأستاذ الجمعي خمري: "لقد قلنا في وقت سابق و نكره اليوم: لا يمكن وضع حد لهذه الانفجارات التي ليست في الحقيقة سوى أعمال يائسة، إلا بإنهاء هذا النظام و الاستجابة لطموحات شعبنا".⁽²⁾ كما طالب يوم الثاني عشر من شهر نوفمبر 1954 بتطبيق مشروعه القديم الخاص بالجمهورية الجزائرية في إطار الإتحاد الفدرالي مع فرنسا.⁽³⁾

استمر فرحات عباس في موقفه من الثورة حيث و بعد مرور سنة من عمرها مازال يخاطب الفرنسيين منتظراً منهم الاستجابة في قوله: "إذا ضعفت فرنسا أمام التصلب الكولونيالي فإنه لم يعد أمام الجزائريين سوى أحد الخيارين: إما السجن أو الصعود إلى الجبال".⁽⁴⁾ و كأنه هنا ينصح الاستعمار بالتعقل و إنقاذ الموقف.

هكذا و بعد بذل الكثير من الجهود و اقتراح الحلول محاولة من فرحات عباس إقناع المستعمر و المستوطنين للبحث عن حل سلمي ديمقراطي للمشكل الجزائري، و بعد فشله قرر أخيراً الالتحاق بالثورة و بختيار الشعب الجزائري، فقام بحل حزبه يوم 22 أبريل 1956، و انضم إلى الثورة.⁽⁵⁾

ج/ النواب المسلمين:

1- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 311. ينظر كذلك حول نفس الموضوع: أسعد، (لهاللي)، المرجع السابق، ص 97-98.
2- الجمعي، (خمري)، فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية، كتاب القيم الفكرية و الإنسانية في الثورة الجزائرية 1954/1962، منشورات مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية، ج1، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2003، ص 233.
3- سليمان، (قريبي)، تطور الاتجاه الثوري و الوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940-1954، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: يوسف مناصرية كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010/2011 م، ص 276.

4- الجمعي، (خمري)، المرجع السابق، ص 223.

5- بشير، (بلاح)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 / 1989)، ج2، المرجع السابق، ص.

ظل الكثير من هؤلاء النواب مترددين في اتخاذ موقف صريح اتجاه الثورة الجزائرية إلى غاية إنشاء مجموعة 61 في 26 سبتمبر 1955 بالجزائر، و التي تعد مساهمة لا تنكر في جمع كلمة الشعب الجزائري.(1)

نُجحت هذه المجموعة نَحجاً سياسياً سلمياً حين حاولت التوفيق بين رغبات الثورة المتمثلة في التخلص من الاستعمار، و رغبات فرنسا التي تريد حلولاً سلمية، و هذا ما يظهر من خلال القرارات التي خرج بها المؤتمرون خلال تأسيسها، و منها:

- رفض سياسة الإدماج.

- مواجهة سياسة الوالي العام جاك سوستيل (Jacques Soustelle) و فضح السياسة الإجرامية التي تقوم بها الحكومة الفرنسية.

- الإسراع في فتح قنوات للحوار مع السلطات الاستعمارية و كل الديمقراطيين من أجل إيجاد حل للقضية الجزائرية.(2)

كُتفت مجموعة 61 من نشاطاتها حيث أجرت اتصالات بينها و بين الحكومة الفرنسية، مثل: اللقاء الذي جرى بين ولد عودية و الحاكم العام في 17 أكتوبر 1955 و الذي تحدث فيه عن الوضع السياسي الحرج بالجزائر، و أن الأحداث - يقصد هنا أحداث الثورة- إن استمرت ستعكر العلاقة بين المسلمين و الدولة الفرنسية في الجزائر.(3) كما وجهت هذه المجموعة مراسلات إلى الحاكم العام في الجزائر، إذ وجهت في 16 ديسمبر 1955 رسالة جاء فيها: "إنه في 15 ديسمبر 1955 اجتمع حوالي 15 عضواً من مجموعة 61 في قصر كارنو (Carnot) الخاص بالمجلس الجزائري، و كان من بينهم ابن با أحمد، آيت علي أحمد، ولد عودية، بوشنافة، عزيزي، لخضاري، حمودة، مشري، تمزالي، آيت شعلال، مهدي، بن علي شريف، حيث حمل هؤلاء المسؤولية الكاملة للسلطات الاستعمارية من حرق المحاصيل و الاغتيالات التي جرت في منطقة الأوراس.(4)

و الجدير بالأمر أنه قد برز نشاط مجموعة 61 بدءاً من سبتمبر 1955 و إلى غاية أبريل 1956 حيث عقدت الاجتماعات بين أعضائها بغية تدارس الوضع في الجزائر، و بلورة موقف موحد من الحكومة الفرنسية و الثورة التحريرية.

بالرغم من تأخر موقف المجموعة من القضية الوطنية، إلا أنها استدركت الوضع و تمكنت الثورة من كسب طرف جديد كان إلى وقت بعيد يثق في الإدارة الفرنسية ثقة عمياء.(5)

د/ المرزيون:

1- سعد، (طاعة)، دور النواب المسلمين في الحياة السياسية بالجزائر 1947-1956، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2012، 420 صفحة، ص 336.
2- سعد، (طاعة)، المرجع السابق، ص 337.
3- نفسه، ص 340.
4- سعد، (طاعة)، المرجع السابق، ص 340.
5- نفسه، ص 350.

لقد كانت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بشقيها المركزي و المصالي على علم بالتحضيرات الجارية حول موضوع الثورة، لكنها لم تكن تعلم بالموعد المحدد و مدى جدية الموقف، حتى فاجأها المهجمات فكان موقفها يكتنفه التردد و الحيرة و الإحراج، و بخاصة اللجنة المركزية بحكم وجود قيادتها حسين الأحول و محمد يزيد بالقاهرة اللذين استجابا لنداء الثورة و وضعوا نفسيهما تحت تصرفها. و بهذا اعتبرت قيادتها الثورة انقلابا داخل حركة الانتصار، و لعل أصدق تعبير عن ذلك تلك العبارة التي تداولت بشأن الثورة في أيامها و شهرها الأولى، بقولهم: "إن مؤسسي الجبهة قد أشعلوا النار في الجزائر، لكن القدر موجود في القاهرة لذلك فإن الأكلة لن تكون جاهزة أبدا!!" (1)

تعكس هذه المقولة واقع التهكم و الازدراء بالثورة و مفجريها، من جهة، و من جهة أخرى فقد تحركت هيئة أركان اللجنة المركزية بالجزائر بزعامة كل من بن يوسف بن خدة، و أحمد بودة، و مصطفى فروخي، فحرروا رسالة موجهة إلى وزير الداخلية الفرنسي 'فرنسوا مثيران' (François Météran)، و مما جاء فيها: "...الضروري و الأكيد إتباع سياسة تهدئة تقوم على وضع حد للقمع و وقف التبعات الجارية، إن إطلاق سراح جميع المساجين السياسيين و سن عفو تشريعي عريض، و الاعتراف لكل الجزائريين بحقهم في ممارسة كل الحريات الديمقراطية التي يحولها الدستور الفرنسي هي الإجراءات الأولى التي يتعين اتخاذها." (2)

أكد المناضل في صفوف حركة الانتصار عمارة حمزة، خلال اجتماع جمعه بمناضلي الحزب بمنطقة القصبة أن المركزيين لا يريدون سماع أي كلام عن العمل المسلح. و عل حد قوله أن "اكتشاف المنظمة السرية قد جمد الدم في عروقهم." بل أكثر من ذلك فقد أوعز سبب موقفهم المتقاعس من الثورة هو أن معيشة البذخ و السلوكيات المشينة لبعض القادة و كذلك مصاريف السفريات قد فعلت فعلتها في نفوسهم. (3)

و المهم أن المركزيين رؤوا في الثورة أنها حوادث خطيرة، و حثوا فرنسا على تحقيق العدل و إنصاف الجزائريين فتعرضوا للاعتقال. و بعد إطلاق سراحهم ابتداء من 15 ماي 1955 انضموا إلى صفوف الثورة، و منهم 'بن يوسف بن خدة'، 'سعد دحلب' و 'عبد الحميد مهري'. (4)

هـ/ المصاليون:

اختلف موقفهم من الثورة و الجبهة عن موقف المركزيين، حيث منذ الانطلاقة الأولى للثورة أبدوا تجاوبا إيجابيا معها منذ شهر نوفمبر، لكن مصالي الحاج الذي لم يعلم نبأ اشتعالها إلا من خلال مجلة الأخبار لساعة الواحدة زوالا من يوم الاثنين 1 نوفمبر 1954م / 5 ربيع الأول 1374 هـ (5)، لم يعترف بالجبهة كمثل خارج إطار زعامته، فكان خلافه مع الثورة حول الزعامة و السلطة. و مع ذلك و للأمانة العلمية و التاريخية فقد اتخذ مصالي الحاج موقفا واضحا من خلال البيان الشعبي الذي كتبه إلى مكتب وكالة الصحافة الفرنسية (A.F.P) و الذي توجه به إلى

1 - Ferhat Abbas , **autopsie d'une guerre**, Editions Grainier, Paris, 1980 ,P 45

2 - Ferhat Abbas, op.cit,P 46

3- أرزقي،(باسطة)، المرجع السابق، ص 132-133.

4- بشير،(بلاح)، تاريخ الجزائر المعاصر (1989 /1830)، المرجع السابق، ص.

5- Djanina,(Messali- Benkelfat),op.cit, p 181.

الحكومة الفرنسية: إن هذا الانفجار ما هو إلا نتيجة السياسة الامبريالية... لقد قلنا هذا في وقت ما و نكره اليوم، بأنه بوضع حد لهذا النظام الامبريالي، بمنح الحقوق لشعبنا يمكن وضع حد لهذه الانفجارات... هنا يكمن الدواء. يجب إمعان النظر من أجل وضع حل عادل، إنساني و منطقي لواقع الجزائريين.⁽¹⁾ و ختم قائلاً: "هكذا كان كفاحنا في الماضي، و هكذا سيظل غدا و دائما."⁽²⁾

و كثيرا ما قرأنا و سمعنا الكثير من وجهات النظر حول موقف المصاليين أو المركزيين من الثورة أو من اندلاع الكفاح المسلح حتى قبل وقوعه، و الحقيقة في الأمر أوقعتنا العديد من التصريحات المتناقضة لمن عايشوا الحدث في مستنقع الحيرة. و لعله إذا لم أبالغ في ذلك فلحد اليوم ما زال الغموض يكتنف هذه المرحلة من تاريخنا الوطني. و مهما يكن من ذلك فيؤكد أحد المناضلين الذين عايشوا الحدث لحظة بلحظة أنه خلال اتصاله بالمناضل حسين بلحول، الأمين العام و العضو بالإدارة العامة و باللجنة المركزية، أكد له هذا الأخير "أن مصالي أراد إعلان الثورة دون أن يكون بجورته شيء."⁽³⁾ و بالمقابل أكد له كذلك مزغنة أن سبب الخلاف الجوهرى بين مصالي و المركزيين يكمن في فضح مصالي الحاج و "إفشاء لمواقف المركزيين أمام القاعدة النضالية، فذلك راجع لكونهم عارضوا و رفضوا الرجوع للمبادئ و المنهج الثوري للحزب. "⁽⁴⁾ ثم أردف قائلاً له: "...و أخيراً رفضوا إطلاق و تفجير الثورة بالتزامن مع انتفاضة شعبي البلدين الشقيقين تونس و المغرب ضد العدو المشترك." ⁽⁵⁾ كما أكد عمار حمزة أن مصالي الحاج ما زال متمسكا بالعمل المسلح و "يجب أن ننتهز فرصة دخول الإخوة التونسيين و المغربيين في الكفاح." ⁽⁶⁾

و قد اتخذ مناضلو الحركة في المهجر في فرنسا خاصة موقف التأييد و المساندة للثورة، رغم عدم علمهم بمفجريها، اعتقاداً منهم أن الزعيم مصالي الحاج هو من خلقها. و أصدرت نشرة تحت اسم 'العمل الجزائري' (Action Algérienne) نددوا فيها بالقمع الذي طال المناضلين و حركاتهم، كما طالبوا الحكومة الفرنسية و الولاية العامة بالجزائر بالدخول في المفاوضات مع الممثلين الأكفاء للشعب الجزائري.⁽⁷⁾ ثم تحرك المصاليون لمواكبة الثورة و تطوراتها لكن ضد جبهة التحرير و جيش التحرير الوطنيين، فأنشئوا في شهر ديسمبر 1954 تنظيميين موازيين لهما هما: الحركة الوطنية الجزائرية كتتنظيم سياسي، و جيش الشعب الجزائري كتتنظيم عسكري، و رفضوا الاعتراف بجبهة و جيش

¹- Djanina,(Messali- Benkelfat),op.cit, p 182.

²- Benjamin,(Stora), Et Tramor Quemeneur,Algérie 1954-1962,lettres, Carnets et Récits Des Français Et Des Algériens Dans La Guerre,Les Arènes,Paris, 2012, p 72.

³- أرزقي،(باسطة)، المرجع السابق، ص 129.

⁴- أرزقي،(باسطة)، المرجع السابق ، ص 129.

⁵- نفسه، ص 130.

⁶- نفسه، ص 132. كما يؤكد محمد حربى أنه من الصعب أن نعيب على مصالي الحاج ووقوفه ضد الانتفاضة، فقد أقر بضرورة الكفاح المسلح منذ سنة 1951 حين بدأت تونس تتحرك في هذا الاتجاه... لكن مصالي، خلافا لدعاة حمل السلاح لم يكن ينظر لم يكن ينظر إلى الانتفاضة من الزاوية العملية، و لم يكن يتصور حصول انفجار دون تسخين مسبق.... و حين وقعت الانتفاضة لم يكن موقفه منها موقف المتردد المتحفظ بل حرض أنصاره على مساندة منذ الشهر الأول للمزيد ينظر: محمد،(حربى)، المرجع السابق، ص 156.

⁷- علي،(كافي)، مذكرات من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1962/1946، دار القصة، الجزائر، 1996، ص 55.

التحرير الوطنيين و بدؤوا عملياتهم بالموازاة لهما، و استمر الأمر على ذلك من 1954 إلى 1957، في جو من التناحر - كما يقول محمد حربي- بين جبهة التحرير و الحركة الوطنية الجزائرية، (1) لتتمكن الجبهة و جيش التحرير من حسم الأمر لصالحهما بعد القضاء على آخر فلول التنظيم العسكري للمصاليين بقيادة الجنرال بلونيس. (2) و بعد هذا التاريخ انضم الكثير من المصاليين إلى الثورة منذ شهر يناير 1957.

و/ الحزب الشيوعي:

جاءت مواقف معارضة لجبهة التحرير الوطني و اعتبر الثورة أعمالا مسلحة، و تحفظ بشأنها. و في هذا الصدد يقول الباحث مقلاتي: " اعتبر الشيوعيون و المركزيون أن هذه الأحداث ستولد ردود فعل قوية من قبل الإدارة يتوجب مواجهتها و التنديد بها." (3)

عند اندلاع الثورة وقف الشيوعيون منها موقف المعارض. و قد سارع قادة الحزب في تحميل المسؤولية للمستعمر و سياسته الخرقاء، إذ أكد البيان الذي أصدره المكتب السياسي للحزب على أنه: " يرى أن هناك في أصل هذه الحوادث شيئا اسمه السياسة الاستعمارية القائمة على الاضطهاد الوطني، و خنق الحريات و الاستقلال." (4) و عن هذا الموقف يذكر الباحث العربي الزبيري صراحة عندما يقول: " و حينما اندلعت ثورة نوفمبر سنة 1954، كان الحزب الشيوعي الجزائري قد بلغ منتهى ضعفه لكنه ظل متمسكا بقناعاته القديمة التي ألبسها ثوبا جديدا قصد تميرها بسهولة في أوساط الجماهير الشعبية و قصد مخادعة التاريخ." (5)

ثم نجد موقفه يتطور أكثر فأكثر حينما يقوم بإرسال رسالة إلى جبهة التحرير الوطني بتاريخ 12 جويلية 1956 مضمونها الدوافع و الحجج التي ألزمتها باتخاذ موقف الرفض و المعادي للثورة، معتبرا أن حل " الحزب الشيوعي الجزائري لصالح الانضمام إلى جبهة التحرير هو بمثابة إدانة أو عدولا عن ماضيه، و نضالاته و تقاليد." (6) و الحقيقة في الأمر أن عقيدة هذا الحزب هي التي دفعت به لاتخاذ هذا الموقف، فالمعروف عنه أن الحرية لديه لا تتعدى مجال الانتخابات و التعبير. (7)

ثم يذهب الباحث سليمان الشيخ إلى أن هذا الحزب سيذهب في تأييده التدريجي لحركة التحرير الوطني بمقدار ما كان النضال المسلح يتطور (8) غير أننا سنجد يدافع عن كيانه السياسي و وجوده الحزبي، رغم صدور قرار حله من

1- محمد، (حربي)، المرجع السابق، ص 160.

2- محمد بلونيس من مواليد سنة 1912 ببرج منايل القبائل الكبرى، أين زاول تعليمه الفرنسي بها. انخرط في صفوف حزب الشعب عام 1938. شارك في أحداث 8 ماي 1945 ثم انضم إلى مجموعة ثوار الشرف بمنطقته لخوض غمار الكفاح الوطني. سجن بسجن بربروس في 1948. مناصرا لمصالي الحاج خلال أزمة الحزب ثم على رأس قوات الحركة الوطنية بمنطقة القبائل التي عملت ضد جيش التحرير الوطني. بعد مجازر ملوزة 28 ماي 1957 انتقل بلونيس للعمل مع القوات الفرنسية. دخل بلونيس في مناوشات مع الجيش الفرنسي بتاريخ 4 ماي 1958 حيث تم قتله بتاريخ 14 جويلية 1958. تفرق جيشه إلى ثلاث فرق: فرقة انتقلت للعمل لصالح الجيش الفرنسي، و فرقة أخرى التحقت بجبهة التحرير الوطني، و الفرقة الثالثة بقيت تحت مسؤولية خلفه محمد مفتاح للمزيد ينظر: Cheurfi, (Achour), Dictionnaire De La Révolution Algérienne (1954-1962), Casbah Editions ,Alger, 2004, p 57-58.

3- عبد الله، (مقلاتي)، المرجع السابق، ص 27.

4- سليمان، (الشيخ)، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، تر: محمد حافظ الجمالي، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2003، ص 357.

5- محمد العربي، (الزبيري)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص 240.

6 - André Moine, La guerre d'Algérie, Ed Sociales, Paris, 1978, p 87.

7- محمد العربي، (الزبيري)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، المرجع السابق، ص 217.

8- سليمان، (الشيخ)، المرجع السابق، ص 358.

قبل السلطات الاستعمارية في 13 سبتمبر 1955. كما سيعمل على تأسيس ميليشيات موازية لجيش التحرير الوطني أطلق على تسميتها "المحاربين من أجل الحرية" لكنها لم تكن مساندة للثورة، بل جاءت مؤيدة لمفهوم نظرية الصراع الطبقي.

و بحلول تاريخ 01 جويلية 1956 سيحل الحزب تنظيمه الميليشيات لصالح جيش التحرير الوطني، و يبقى متمسكا بتنظيمه الحزبي - الذي ظل يعمل في السرية- بعيدا عن الخيار الذي سلكته بقية التيارات الحزبية الأخرى التي حلت نفسها و انصهرت في تنظيم جبهة التحرير الوطني. و بذلك يظل الحزب الشيوعي الجزائري التنظيم الوحيد الذي بقي خارج السياق الثوري، و كفاح الشعب الجزائري، على الرغم من أنه أقر لمناضليه إمكانية الانضمام بصفة فردية لجبهة التحرير الوطني، و لنا في عمار أوزقان خير مثال على ذلك. أما فيما يخص الأستاذ 'سطورا' (Stora) فيؤكد أنه ما بين ماي و جوان دارت اجتماعات جمعت كل من 'بن خدة' و 'عبان رمضان' (1) من جهة جبهة التحرير الوطني، و 'بشير حاج علي' و 'الصادق هجرس' من جهة الحزب الشيوعي أسفرت عن انضمام الشيوعيون في جيش التحرير الوطني ابتداء من 1 جويلية 1956. (2) و الملاحظ أن جلّ ردود الفعل الجزائرية في بداية قيام الثورة قد اتفقت على أن أسباب اندلاعها ترجع إلى القمع و الاضطهاد و الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و السياسة المتدهورة للشعب الجزائري. كما اتفقت كل الآراء الوطنية على أن الحل الوحيد يكمن في الاستجابة للمطامح المشروعة للشعب الجزائري. (3)

2/ ردود الفعل الفرنسية:

في صبيحة اليوم الثاني من شهر نوفمبر، برزت عناوين الصحف الاستعمارية متسمة بالتزام الهدوء، من جهة، و منح الثقة للسلطات الاستعمارية التي تملك من الوسائل ما سيمكنها من القضاء على الأعمال الإجرامية، و من جهة أخرى "جاءت تلك العناوين عبارة عن ترهيب و وعيد موجهين لقادة و أعضاء الحركة الجديدة، مذكرة بقوة فرنسا و عظمتها و قدرتها على رد الفعل، و على استعمال العنف و القمع من أجل التوصل إلى استتباب الأمن." (4) لقد أثار اندلاع الثورة التحريرية عدة ردود فعل متباينة و مختلفة في مضمونها، فبالنسبة للاستعمار فقد هزته الأحداث و حاول التقليل من قيمتها، و اعتبر الفرنسيون شعبا و حكومة و مستوطنين أن ما حدث في الفاتح من نوفمبر 1954 لا يعدو أن يكون سوى عمليات إرهابية ناجمة عن سوء الأحوال الاقتصادية و الاجتماعية للسكان. و قد صرح وزير الداخلية الفرنسي 'فرانسوا ميران (François Mitterrand): " لا يمكن أن تكون هناك محادثات بين الدولة و العصابات المتمردة." (5) و الحل الوحيد كما أضاف هو الحرب. (1)

1- من مواليد 20 جوان 1920 بعزوزة بالقرب من الأربعاء نايت إرائن بنيزي و زو، و من عائلة متواضعة أين كان يزاول الأب مهنة التجارة. زاول تعليمه بمدرسة بلدية و تحصل على شهادة البكالوريا عام 1941. التحق بالحياة العملية دون مواصلة دراسته الجامعية بسبب مشاكل مادية. انخرط في صفوف حزب الشعب منذ 1943 حيث اهتم بالعمل السياسي. اعتقل عام 1950 بعنابة و حكم عليه بتاريخ 7 مارس 1951 بست سنوات سجن. بعد إطلاق سراحه التحق بجبهة التحرير الوطني 1955. استطاع أن يهيمن على مؤتمر الصومام 1956. تم اغتياله بتاريخ 26 ديسمبر 1957 بمزرعة قرب تيطوان المغربية من قبل رفاقه في السلاح. للمزيد ينظر: Cheurfi, (Achour), op.cit, p 21-23.

2 - Benjamin, Stora, Histoire de la guerre d'Algérie (1954-1962), op.cit, p 36.

3- مولود قاسم، (نايت بلقاسم)، ردود الفعل الأولية على غرة نوفمبر، دار القصبية للنشر، الجزائر، 1984، ص 61-62.

4- محمد العربي، (الزبيري)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص 15.

5- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 319.

كما صرح أيضا أن القوة الفرنسية ستحافظ على الوحدة الوطنية، و إن المتمردين المشاغبين بمهاجمتهم مواطنينا قد استفزوا ضدهم القوة الفرنسية، و هذه القوة ستدافع عن العدالة بالمحافظة على الوحدة الوطنية.(2)

كما نقرأ رأي عضو مجلس الشيوخ الفرنسي هنري بورجو (Henri Bourgeaud) في جريدة لاديباش اليومية يوم 2 نوفمبر 1954 بأنه "ينبغي دفن التمرد أين يولد، و ينبغي البحث عن زعماء العصابات و إحقاق الهزيمة بهم و أن هؤلاء الزعماء معروفون و منظمتهم ينبغي أن تمحى من الخريطة."(3)

و من جهته، فإن السيد ميسكاتلي، ممثل ولاية الجزائر في مجلس الشيوخ الفرنسي، فقد صرح بأن الأحداث التي تمر بها الجزائر منذ ثلاثة أيام ما هي إلا دلالة واضحة على التضامن الوطيد بين مختلف الحركات الوطنية التي تشوش شمال إفريقيا بأسره، بل إن ما يتم في واحد من أقطار المغرب، إنما هو باتفاق الجميع و من تخطيط كل القيادات المتمردة على السيادة الفرنسية.(4)

أ/موقف المستوطنين:

أما بالنسبة للمستوطنين فقد صدموا و طالبوا بالحماية من الدرك و الجيش، و طالبوا بضرورة القضاء على الثورة إذ أثارت هذه الحوادث الرعب في أوساطهم و أفضت مضاجعهم، خاصة و أن تفسير تلك الحوادث ظل غامضا و موقف السلطات الفرنسية بدا متناقضا، و عليه كان غلاة الاستعمار يطالبون بالحل العسكري و توفير الحماية اللازمة لهم، و الحفاظ على الأوضاع التي كانت قائمة بالجزائر، و تسليط العقوبات على المتسببين في هذه الحوادث.(5)

ب/موقف الإدارة الفرنسية بالجزائر:

كانت الثورة بمثابة الصاعقة على الإدارة الفرنسية، و قد وصف الحاكم العام 'روجي ليونار' (Roger Leonard) الثورة بأنها عبارة عن تمرد بعض الأعراش، و أن المتمردين عبارة عن مجموعة من اليساريين ينتمون إلى الشيوعية العالمية، و القاهرة هي التي تحرضهم على القيام بأعمال تخريبية.(6) كما أضاف في المؤتمر الصحفي الذي عقده بتاريخ 2 نوفمبر 1954: "إن السكان الذين يرهنون حاليا، في جميع الأوساط، على هدوء كبير و رباطة جأش يستطيعون أن يطمأنوا بأننا سنتخذ جميع التدابير اللازمة لضمان أمنهم، و قمع التصرفات الإجرامية المرتكبة." (7) كما توعد الإرهابيين - بالويل و الدمار، حين صرح في البيان الذي تلا فيه خبر وقوع الأحداث أنه يملك وسائل لن يدخر وسعا

¹ -Mahfoud,(Kaddache),ET L'Algérie se libéra ,op.cit,p17.

²- يزيد،(بوهناف)، مشاريع التهذنة الفرنسية إبان الثورة التحريرية و انعكاساتها على المسلمين الجزائريين 1962/1954،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: سليمان قريري،قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية،جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013/2014، ص 27.

³- عمار،(بوحوش)، المرجع السابق، ص 404.

⁴- محمد العربي،(الزبيري)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج2،المرجع السابق، ص 16.

⁵- عبد الله،(مقلاتي)، المرجع السابق، ص 27.

⁶- عمار،(بوحوش)، المرجع السابق، ص 405-406.

⁷- عمار،(بوحوش)، المرجع السابق، ص 406.

في استعمالها، و أنه سيتخذ الإجراءات التي تحمي مصالح فرنسا و الفرنسيين،⁽¹⁾ كما قامت الإدارة الاستعمارية باعتماد مختلف الوسائل في سبيل قمع الثورة و إخماد لهيبها، فمارست سياسة التعذيب و الإرهاب في حق المواطنين الأبرياء و العزل، كما أُلقت القبض على الآلاف من المناضلين و زجت بهم في السجون. ⁽²⁾ كما قامت بجل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في 5 نوفمبر، و اعتقال العديد من قادتها و مناضليها من مصاليين و مركزيين ⁽³⁾، رغم أنهم كانوا بعيدين كل البعد عن الثورة.⁽⁴⁾ و عن هذه الاعتقالات تتحدث السيدة جنينة مصالي الحاج أن كل مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، من الحاملين لبطاقة الانخراط و بائعي جريدة الجزائر الحرة (L'Algérie libre) إلى المسؤولين تم توقيفهم و تعذيبهم ثم اقتيادهم إلى السجون ما بين 2 و 5 نوفمبر 1954 و هذا حدث على مستوى كل التراب الوطني. و لم يسلم من هذا الإجراء الاستعماري حتى المناضلين القياديين، فها هو مثلا الأمين العام الجديد للحركة مولاي مرباح ⁽⁵⁾ يقضي أكثر من أسبوع ما بين البحث و التعذيب في إحدى المراكز المخصصة لذلك، و هذا رغم تدخل محاميه السيد روني ستيب (Renée Stibbe) لدى المحكمة. ⁽⁶⁾

و الحقيقة فالمطلع على الوثائق و الدراسات التاريخية المتخصصة يدرك أن سياسة الاعتقالات التي طالت الشعب الجزائري آنذاك، كان لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية النصيب الأكبر منها، إذ خلال 48 ساعة أو 72 ساعة بعد ما حدث ليلة الفاتح من نوفمبر، ارتفعت حصيلة المسجونين من الحركة إلى حدود 45 ألف مناضل. و ربما هذا العدد الهائل من الاعتقالات له مبرره لدى السلطات الاستعمارية، إذ كان الغرض منه منع أكبر قوة مهيكلية إيديولوجيا و سياسيا من الالتحاق بالثورة، و من تم نقلها من مجرد أحداث إلى ثورة مستمرة.⁽⁷⁾

1- عبد الله (مقلاتي)، المرجع السابق، ص 26.

2- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 319.

6- Mabrouk (Belhocine), Le courrier Alger- le Caire 1954-1956 et le Congrès de la Soummam dans la Révolution, op.Cit, p 39.

4- "رغم أن المصاليين و المركزيين كانوا بعيدين كل البعد عن الثورة"، هذا ما جاء به مبروك بلحسين غير أن هناك ما يخالفه في هذه الرؤية فيؤكد أنه و مع بداية شهر جانفي 1955 إلى غاية شهر فيفري 1956، كانت المجموعات الاحتياطية هي التي أخذت بزمام الأمور. هؤلاء المناضلون المصاليون لم يريدوا أن يدعوا الجزائر العاصمة (العاصمة التي كانت محل نظرة العالم بأسره) بدون نشاطات و عمليات مسلحة، إذ لم يبق هناك في الجهة المقابلة مناضلون جبهويون. فقد كان العدو يحتفل سرورا لكونه تمكن من اعتقال جميع مناضلي اللجنة الثورية للوحدة و العمل بالجزائر العاصمة. بالفعل فقد صرحت فرنسا يوم 8 نوفمبر 1954 إن العمليات التي ارتكبت يوم 1 نوفمبر 1954 لم تكن يوى ومضة نار في الهشيم ثم انطفأت لأن العدو تمكن من إيقاف مرتكبي تلك العمليات بالعاصمة المنتمون للجهة. للمزيد حول الموضوع ينظر: أرزقي، (باسطة)، المرجع السابق، ص 171 و ما يليها.

5- من مواليد 23 أوت 1913 بالبلدية المختلطة شلالة بدوار سرقين. اشتغل بمهنة وكيل و محامي الدفاع عن مصالح المسلمين. انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري عام 1939 و تقلد مناصب فيه إذ أصبح عضوا في اللجنة المركزية لحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية عام 1950 ثم عضوا في اللجنة المديرة للحركة الوطنية الجزائرية عام 1954. أُلقي عليه القبض في ليلة الواحد إلى الثاني من نوفمبر 1954 حيث تم تعذيبه ثم بعد ذلك امتثل أمام قاضي التحقيق بتاريخ 5 نوفمبر. حكمت عليه محكمة الجزائر بستة أشهر حبس و غرامة مالية قدرها 500 ألف فرنك بتهمة المساس بأمن الدولة بعد إطلاق سراحه انتقل لمواصلة العمل الوطني بفرنسا. في 1 أبريل 1956 انتقل إلى بلجيكا أين أصبح الممثل الدولي للحركة الوطنية الجزائرية. و بتاريخ 29 أبريل 1959 أُلقي عليه القبض بألمانيا بسبب نشاطه السياسي و تم نفيه سنة بعد ذلك بعد الاستقلال واصل مهنته كمحامي بمدينة المدية. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954,op.cit,p 295-296.

6- Djanina,(Messali- Benkelfat),op.cit, p 188.

7- Djanina,(Messali- Benkelfat),op.cit, p 188-189.

أما السيد مارسيل إدموند نايجلن (Marcel-Edmond Naegelen) لم يندهش لما وقع، بل ذكر أنه كان دائما يقول: إن الجزائر لا يمكن أن تبقى غريبة عما يجري في المغرب الأقصى و تونس. ⁽¹⁾ ثم حدد خطة عمل تهدف إلى خنق الثورة التحريرية في مهدها، و حصرها في نقطتين أساسيتين:

- تتمثل الأولى في الشروع في تطبيق قانون الجزائر.

- و النقطة الثانية تتعلق بتنمية الخدمات الاجتماعية، و محاربة البطالة في أوساط الأهالي للحيلولة دون انضمامهم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني.

كما راحت الصحف المحلية التي كانت تحت إدارة و تسيير اللوي الاستيطاني، تتحامل ضد مفجري تلك الهجمات و اتهام حزب الشعب/ حركة الانتصار أنها من وراء هذه الانتفاضة. كتبت في هذا الصدد جريدة الجزائر (Le journal d'Alger) يوم 2 نوفمبر 1954: "من ليلة الأحد إلى الاثنين، الإجراء المتخذ منذ 3 أشهر من طرف التيار المتطرف لحزب الشعب دخل حيز التنفيذ. النتائج معروفة: 30 هجوما، 5 قتلى، الملايين من الخسائر، مناخ من الخوف و الكراهية يسود." ⁽²⁾ و كذلك أفردت مقالا يخص مصالي الحاج جاء فيه: "الوجه الحقيقي لمصالي الحاج، ما يريد هو ما يريد حزب الشعب." ⁽³⁾ ثم بتاريخ 5 نوفمبر، نفس الجريدة تقوم بالتهجم على مصالي الحاج بالطريقة الآتية: "مصالي الحاج، الدكتاتور العجوز يريد نهاية دموية من أجل المحافظة على هيئته في أوساط الطبقات العاملة للحزب." ⁽⁴⁾ ثم راحت نفس الجريدة يوم 6 نوفمبر تعطي الدليل على أن مصالي الحاج هو من يقف وراء ما حدث ليلة الفاتح من نوفمبر، في ما كتبه في هذا الشأن: "في شهر جوان قرر مصالي الدخول في العمل المباشر." ⁽⁵⁾ كما راحت جريدة 'لوموند' (Le monde)، و تحت غياب المعلومات الدقيقة، تدافع عن الأطروحة التي كانت سائدة عند اندلاع الثورة، و التي مفادها أن اندلاع الثورة يعود إلى حزب الشعب/ حركة الانتصار. ⁽⁶⁾ و ربما هذه التحليلات الصحفية قد تؤكد لنا اللبس الذي وقعت فيه الإدارة الاستعمارية و عدم تمكنها من معرفة مفجري الثورة الحقيقيين، و هذا بالمقابل كذلك يؤكد على فعالية نظام السرية أثناء الثورة التحريرية.

و كذلك كتبت جريدة جريدة فرانس سوار (France- soir) يوم 2 نوفمبر 1954، و تحت عنوان بالبنط العريض الإرهاب بالجزائر: "حصول ثلاثين هجوما عن طريق القنابل و الحرائق: 5 قتلى منهم ضابط، و جنديان، و حارسان

¹- محمد العربي، (الزبيري)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، المرجع السابق، ص 16.

² - Djanina, (Messali- Benkelfat), op.cit, p 197.

³ - Le journal d'Alger, 2 Novembre 1954, p 1 .

⁴ - Djanina, (Messali- Benkelfat), op.cit, p 197.

⁵ - Ibid, p 197.

⁶ - Tayeb, (Chentouf), op.cit, p 135.

و العشرات من الجرحى... " (1) و في نفس السياق كتبت الفيقارو (Le FIGARO) : موجة الإرهاب بالجزائر: " حصول ثلاثين هجوماً بمناطق قسنطينة، الجزائر، وهران خلال ليلة الأحد إلى الاثنين... " (2) أما جريدة لو باريزيان (Le Parisien) فقد جاءت عناوين الصفحة الأولى على النحو الآتي: "ثلاثون هجوماً تخلف 8 قتلى و الكثير من الجرحى، عيد القديسين يتحول إلى يوم الموت" (3) و بنفس الكيفية قدمت جريدة صدى الجزائر (L'ECHO D'ALGER) هجمات الفاتح من نوفمبر على أنها أعمال إرهابية إذ جاءت الصفحة الأولى منها معبرة عن ذلك: "هجمات إرهابية بالجزائر : 8 قتلى" (4) و كذلك نحت منحهما جريدة لاديباش كوتيديان (La Dépêche Quotidienne) إذ جاء فيها مقالا تحت عنوان: نشاط الإرهابيون على مستوى الكثير من النقاط على مستوى التراب الجزائري، حيث جاء فيه: "8 قتلى، حرائق مهولة في تعاونية بوفاريك،... بمخازن الفلين بعزازقة... محطة راديو الجزائر كذلك تم استهدافها... " (5)

ج/موقف الحكومة الفرنسية:

تفاجأت فرنسا من الأحداث التي وقعت (6)، و راحت تصفها وزارة الخارجية بأنها مجموعة من الاعتداءات اقتربها أفراد و عصابات صغيرة معزولة. وراح الساسة يصرحون حول ما وقع في الفاتح نوفمبر، فهذا هو رئيس الحكومة 'منديس فرانس' (Mendès France) (7) يصرح أمام الجمعية الوطنية الفرنسية يوم 12 نوفمبر بالقول: "لا يمكن أن نتهاون عندما تكون وحدة الأمة و السلم الداخلي للأمة معرضين للخطر. إن مقاطعات الجزائر تمثل جزءاً من فرنسا منذ مدة طويلة.. و لن تسمح فرنسا لأحد بأن يعرض وحدتها للخطر." (8) كما يذكر في هذا الصدد الباحث عبد الله مقلاتي أن حكومة منديس فرانس (Mendès France) أعربت عن قلقها من هذه الحوادث،

1- France- soir,2 Novembre 1954,p 1 .

2- LE FIGARO,2 Novembre 1954,p 1 .

3- Le Parisien,2 Novembre 1954,p 1 .

4- L'ECHO D'ALGER,2 Novembre 1954,p 1 .

5- La Dépêche Quotidienne,2 Novembre 1954,p 1 .

6- لطالما اعتبرت التشريعات الفرنسية الجزائرية قطعة من التراب الفرنسي رغم وجود 900 كلم من مياه البحر المتوسط فاصلا بينهما، و رغم الاختلاف الشاسع و التباين في التاريخ و العادات و الجنس و اللغة و العقيدة، بل و حتى في الجغرافية و المناخ. ينظر: يحي، (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، طبعة خاصة منقحة و مزيدة، 2009، 551 صفحة، ص 478. و لذلك لم يخيل لفرنسا أنه سيأتي يوم على الجزائريين و يقومون باندلاع ثورة ضدها.

7- ولد منديس فرانس في الأول من سبتمبر 1907 من أصل برتغالي، متحصل على شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة باريس، امتحن مهنة المحاماة كما انتخب كرئيس بلدية لوفريير (l'ouvriere) و نائبا في الحزب الاشتراكي. تقلد كذلك عدة مناصب منها: توليه حقيبة الاقتصاد الفرنسي في الحكومة المؤقتة إبان الحرب العالمية الثانية. عرف بشدة معارضته للحرب الفيتنامية، أما بالنسبة لمواقفه اتجاه الثورة الجزائرية فلم تحد عن سياسة أفرانه إذ تميزت بالشدّة و العنف ضدها. كانت الثورة التحريرية سببا في سقوط حكومته بتاريخ 6 فبراير 1956. توفي بتاريخ 18 أكتوبر 1982. للمزيد

ينظر: Jean-Louis, Gerrard, Dictionnaire Historique et Biographique de la guerre d'Algerie, Edition Jean

Curutchet, Paris, 2000, p 65.

8- بشير، (بلاج)، تاريخ الجزائر المعاصر (1989 /1830)، المرجع السابق، ص 14. و كذلك ينظر: Benjamin, Stora, Histoire de la guerre d'Algérie (1954-1962), op.cit, p 13.

و أعلنت أنها ستحارب دون هوادة "المتمردين" و "الفلاحة"، و روجت الإدارة الفرنسية بأن أطراف خارجية هي التي تقف وراء الهجومات، متهمة أحيانا التونسيين و الجامعة العربية و أحيانا أخرى العالمية.(1) فقد أعلن رئيس الحكومة الفرنسية منديس فرانس أمام الجمعية الوطنية الفرنسية بتاريخ 12 نوفمبر 1954 "بأن فرنسا لن تتفاوض مع أي طرف و أنها سوف تسعى للمحافظة على وحدتها الوطنية و سيادتها." (2) و راح يؤكد أن الجزائر بمقاطعها جزء لا يتجزأ من فرنسا، و أنه لا يمكن التفكير في فصل الجزائر عن فرنسا.

أصدرت فرنسا مرسوم 5 نوفمبر الذي نشر في الجريدة الرسمية بتاريخ 7 نوفمبر، يقضي بحل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية و كل المنظمات و الهيئات التابعة لها و تحريم نشاطها في كافة أنحاء تراب الجمهورية الفرنسية. و بالموازاة أطلقت عملية "البرتقالة المرة" (Orange Amère) ضد كل مناضلي الحركة.(3) و أعطيت الأوامر لمصالح الأمن في مختلف أنحاء البلاد، فألقت القبض، خلال الأسبوع الأول من شهر نوفمبر على أكثر من ألفي رجل من مناضلي و مسؤولي حركة الانتصار.(4)

و سارعت الحكومة الفرنسية إلى فرض الإقامة الجبرية على كل من تشك تورطه في العمليات (5)، و اعتقال آلاف المناضلين. كما قامت بعمليات حصار على منطقة الأوراس و قبيلته بالنابالم الذي أتلّف الأخضر و اليابس، فراح ضحية ذلك الآلاف من الجزائريين.(6)

كما أبرزت معظم الصحف الفرنسية وجهها المعادي لما حدث في تلك الليلة خاصة جريدتي 'لومند' و 'لومانيتي'. فقد ركزت وسائل الإعلام، و هذا بطبيعة الحال بتوجيه من المسؤولين، على التدخل الأجنبي و الإمدادات الخارجية، التي بدونها لا يمكن للجزائريين أن يقفوا في وجه قوات الأمن الفرنسية، و بهذا الصدد، ذكر أن خمس مائة إرهابي تونسي لالتحقوا بجبال الأوراس في الأيام الأولى من شهر نوفمبر لتنظيم وحدات القتال، و تدريب الأهالي على استعمال الأسلحة و على خوض حرب العصابات.(7)

كما راحت الصحافة الفرنسية تعمل على تعميم الفكرة القائلة "بأن الثوار إنما هم جماعات معزولة و منبوذة من الجماهير التي لا ترغب سوى في أن تبقى فرنسية كاملة الحقوق و الواجبات." (8) و بهذا الصدد نشرت جريدة 'صدى الجزائر' خبرا مفاده أن سكان تيزي غنيف قد حاولوا الاعتداء على اثنين و ثلاثين إرهابيا وقعوا أسرى أثناء عملية قامت بها قوات الأمن. و هكذا راحت الصحافة و من ورائها السلطات الاستعمارية تتخبط في عدد كبير و لا حصر له من التناقضات فيما يخص الثورة التحريرية.

1- عبد الله، (مقالاتي)، المرجع السابق، ص 26-27.

2- عمار، (بوحوش)، المرجع السابق، ص 405.

3- Mahfoud,(Kaddache),ET L'Algérie se libéra ,op.cit,p17.

4- محمد العربي، (الزبيري)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، المرجع السابق، ص 17.

5- Benjamin,Stora,Histoire de la guerre d'Algérie(1954-1962),op.cit,p 13.

6- محمد العربي، (الزبيري)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، المرجع السابق، ص 17.

7- محمد العربي، (الزبيري)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، المرجع السابق، ص 19.

8- نفسه، ص 19.

و عموما و باختصار جاء رد فعل جميع المسؤولين الفرنسيين معتمدا على استعمال القوة لقمع و ضرب الثائرين (1) و إلقاء القبض على جميع المناضلين. ففي ظرف يومي الثامن و التاسع من شهر ديسمبر، أعلن وزير الداخلية فرانسوا ميتران آنذاك أن سبعين ألف جندي يعملون في المناطق المشوشة للتدليل على أن فرنسا محمية في الجزائر، و صرح كذلك الوالي العام روجي ليونار أن المتمردين لا يزيد عددهم عن أربعمئة شخص، و عنونت صدى الجزائر أن قوات الأمن ألقّت القبض على سبعمائة و خمسين و قتلت و جرحت سبعين من الإرهابيين.(2)

و عموما على مدار عمر الثورة التحريرية استماتت فرنسا في مصارعة الثورة فاستعملت مختلف الوسائل، فجندت ما يزيد عن مليون و نصف المليون من الجنود، و سلحت قرابة المليون معمر أوروبي من القاطنين بالجزائر، و استعانت بخبرة الحلف الأطلسي و إمكانياته العسكرية و النفسية، و جندت طابورا من الحركة و القوم الجزائريين. و أقامت معسكرات الاحتشاد و التجمع و المناطق المحرمة في شرق البلاد و غربها. عززتها بخطوط الأسلاك الشائكة المكهربة و الطرق الملعمة، و المراكز العسكرية. و ذلك من أجل عزل الجزائر تماما عن العالم الخارجي و منع وصول المؤن و النجديات إلى الثورة و المجاهدين.(3) كما بقيت على وصفها القديم للثورة على أنها عبارة عن تنظيم يتكون من متعطشين للدماء.(4)

3/المواقف الدولية: نميز فيها بين التنوع و التضاد:

أ/موقف الدول الغربية:

وقفت معظم الدول الغربية إلى جانب فرنسا و أيدتها ملتزمة بذلك بما جاء في معاهدة الحلف الأطلسي. فقد قدمت هذه الدول كل دعمها الدبلوماسي، و العسكري لفرنسا خاصة الولايات المتحدة و بريطانيا. و في هذا يذكر الأستاذ صالح فركوس: " أن الدول الغربية و على رأسها الولايات المتحدة، فقد أبدت تأييدا مطلقا لسياسة فرنسا في شمال إفريقيا، حيث رفضت تسجيل قضية الجزائر في الأمم المتحدة و أمدت فرنسا بالطائرات الحربية و غيرها من الوسائل العسكرية و اعتبرت أن الجزائر جزء لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية..."(5)

ب/موقف الدول العربية و الإسلامية:

تعاطفت الشعوب العربية و الإسلامية مع الثورة و أيدتها نظرا لوحدة الدين و المصير المشترك، بينما الحكومات لم تؤيد في بداية الأمر سوى مصر التي أعلن من إذاعتها بيان أول نوفمبر، مرحبة قيام الثورة بقولها: "لقد بدأت الجزائر في

1- عسكريا و بداية من 6 نوفمبر عمدت السلطات الاستعمارية على اتخاذ العديد من الإجراءات. فبالمنطقة الأولى مثلا وجهت فرنسا أربع فيالق من جيشها بقيادة الكولونيل ديكورنو إلى جهة أريس، فم الطوب، تكوت و خنشلة لتحطيم الحصار الذي ضربته عناصر جيش التحرير الوطني. كما تم عقد اجتماع هام للسلطات الفرنسية بباتنة حضره كاتب الدولة للدفاع جاك شوفالبييه، و الوالي العام للجزائر روجي ليونار، و نائب البرلمان الفرنسي روني مايير، و القائد العام للقوات الفرنسية بالجزائر شاربيير، و عامل عمالة قسنطينة ديبش، و الجنرالات و العقداء المكلفون بالعمليات في المنطقة. و قد أعطى شاربيير أوامره باستخدام قنابل النابالم لأول مرة في الأوراس بقبيلة قرى الولجة، إيشمول، يابوس، و غيرها من دون إنذار. كما قام الطيران و بحلول 20 نوفمبر برمي آلاف المناشير حوالي 50 ألف من الجو على منطقة الأوراس تدعوا السكان إلى التزام الهدوء و التخلي عن العصاة و إلى الهجرة إلى قرى آمنة. للمزيد حول الموضوع ينظر: ليلي، (تيتة)، المرجع السابق، ص 80-82.

2- محمد العربي، (الزبييري)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، المرجع السابق، ص 19.

3- يحي، (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، المرجع السابق، ص 478.

4 - Frantz, (FANON), Sociologie d'une révolution (L'an V de la révolution algérienne), François Maspero, Éditeur, Paris, 1972, p 9.

5- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 320.

الساعة الواحدة من صباح اليوم تحيا حياة الكرامة و الشرف".⁽¹⁾ و راحت تدعم الثورة ماديا و دبلوماسيا و عسكريا. أما بقية الدول الأخرى فقد أبدت تأييدها للثورة تحت ضغط الجماهير الشعبية. فقد نالت الثورة التحريرية التأييد المطلق من كافة الدول العربية، غير أنه أنه في الأعوام الأولى للثورة لم تكن لدى الدول العربية معلومات مفصلة عنها، إلا أنه بعد إنشاء البعثة الخارجية لجهة التحرير الوطني أصبح في مقدور الدول العربية الوقوف على تفاصيل الثورة.

و قد تطور الموقف العربي و الإسلامي من الثورة الجزائرية بتطور أحداث هذه الأخيرة، فسجلت الجامعة العربية دورها المؤيد لها، ففي جلسة 3 نوفمبر 1957 للجنة الشؤون السياسية لجامعة الدول العربية طلب مندوب الجزائر تخصيص ميزانية سنوية للجزائر تقررها الحكومات الأعضاء، و تلقن في هذا الصدد الأمانة العامة مذكرة من مصر بتاريخ 9 ديسمبر 1957 تؤكد استعدادها في أي خطة تجمع الدول العربية على اتخاذها، و كذلك مذكرة من سفارة العراق بالقاهرة بتاريخ 13 جانفي 1958 تنفيذ بتخصيص الحكومة العراقية مبلغ 250 ألف دينار عراقي لهذا الغرض. إلى جانب الكثير من المذكرات من السعودية و لبنان في نفس الصدد. و هكذا أقبل العالم العربي يعز الكفاح الجزائري بإسهامه المالي و دعمه المعنوي و مساندة الدبلوماسية.⁽²⁾

و مع تسارع أحداث الثورة كانت تتسارع المعونات و المساعدات من الأقطار العربية و الإسلامية و تتنوع من الدعم العسكري اللوجستي إلى الدعم المالي و المعنوي فمثلا: استمر السلاح في التدفق على جيش التحرير، عن طريق البر و البحر، من تونس و مراكش (المغرب). و كانت البلاد العربية هي المصدر الرئيسي للأسلحة⁽³⁾. و هذا ما أكدته مراسل جريدة 'لوموند' خلال بحثه الذي أجراه فور تصريح 'بينو' (Pinot) (وزير الخارجية الفرنسية) حول استعمال الثوار لسلاح جديد، بأن الثوار استعملوا أسلحة جاءتهم على طريق التهريب من الحدود الجنوبية التونسية أو من الحدود المغربية.⁽⁴⁾ فعلى العموم يمكن حصر الدعم العسكري و اللوجستي الذي قدمته تونس فيما يلي :

- إيواء تونس للعديد من الوحدات العسكرية الجزائرية و تزويدها بالسلاح.

1- محمد، (طويلي)، الملتقى الدولي حول أصداء الثورة التحريرية 1954-1962، مجلة الثقافة، العدد 91، السنة 16، ص 56.
2- سليمان، (قريبي)، تطور الاتجاه الثوري و الحدودي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940-1954، المرجع السابق، ص 280.
3- يذكر أنه و للحكمة السياسية و الخطابية التي كان يتميز بها الشيخ البشير الإبراهيمي، فقد استطاع أن يلفت أنظار حكومة المملكة السعودية، فسخرت مصنع السلاح في بلدة الخرج، الذي عمل على مدار الساعة لتموين الجزائر بالسلاح. كما عمدت سوريا إلى دعم الثورة الجزائرية عسكريا، فكانت الأسلحة تشحن من ميناء اللاذقية إلى ميناء الإسكندرية و من ثم إلى الجزائر. و تعود أولى الإمدادات السورية إلى سنة 1955، حيث أرسلت القيادة السورية كمية من الأسلحة ذات الصنع الفرنسي عبر طائرة مصرية إلى مصر ثم شحنت إلى الجزائر. كما أشرف قائد الجيش السوري 'شوكت الشقير' في نفس السنة على شحن حمولة 4 طن من الأسلحة المختلفة: FM و ذخيرتها. و في عام 1956 أرسلت أكثر من 200 طن من الأسلحة و قنابل يدوية و مدافع GSME السورية إلى الإسكندرية. كما لم تتوانى سوريا في فتح أبواب كليتها الحربية أمام الجزائريين للرفع من مستواهم الحربي و التكتيكي، فبلغ مثلا عددهم عام 1957، 38 طالبا تخرجوا كطيارين. كما قامت المملكة الأردنية بالموافقة في أواخر عام 1958، على التحاق الطلاب الجزائريين بالكلية العسكرية و مدرسة الهندسة التابعة للجيش الأردني على نفقة القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية. و في عام 1960 وافقت القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية على قبول 10 طلاب للتحاق بالكلية العسكرية على نفقتها الخاصة كذلك. كما أن عددا كبيرا من الضباط و ضباط الصف و أفراد الجيش العربي الأردني تطوعوا في صفوف جيش التحرير الوطني، كما أخذ الجيش الأردني على عاتقه مهمة تدريب المتطوعين المدنيين بهدف إعدادهم للقتال. كما لم يكن العراق متحرجا من مد يد العون و المساعدة للجزائريين، فخلال زيارة البشير الإبراهيمي للعراق أواخر 1956، قام رئيس الوزراء نوري السعيد بالتبرع بجزء من شحنة سلاح كانت قد ابتاعها العراق من الأسواق الأوروبية. و يذكر توفيق المدني أن حكومة العراق أظهرت استعداد لإرسال كمية من الأسلحة الحديثة إلى المجاهدين الجزائريين بواسطة الطائرة عن طريق ليبيا. أنظر: المدني، (أحمد توفيق)، حياة كفاح (مذكرات)، ج3، مع ركب الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 341.
4- البصائر، العدد 357، 9 مارس 1956، ص 1.

- قيام شاحنات و وسائل النقل العسكرية التونسية بعملية نقل العتاد القادم من مصر عبر طرابلس إلى أماكن التخزين بتونس خاصة في الفترة الممتدة ما بين ماي و ديسمبر 1956.

- تخزين السلاح في ثكنة الحرس الوطني التونسي قبل عملية نقله إلى المراكز العسكرية الحدودية عبر شاحنات الحرس الوطني و شاحنات الجيش الوطني التونسي.

- تحمل الحرس الوطني التونسي مهمة حماية الأسطول العسكري الجزائري بهدف تسهيل مهمة مرور و تنقل الأسلحة و العتاد.

- تكليف الحكومة التونسية عدد من المسؤولين الإداريين، بمهمة التنسيق مع قادة الثورة المقيمين في الأراضي التونسية، للإشراف على نقل الأسلحة من ليبيا إلى الحدود التونسية.⁽¹⁾

بالنسبة للمنطقة الخامسة (وهران) فإن عمليات الفاتح نوفمبر لم تكن كلها ناجحة إذ ألحقت قوات الاستعمار خسائر فادحة بعناصر المجاهدين الذين كانوا تحت قيادة 'محمد العربي بن مهيدي' حيث استشهد النائب الأول لقائد المنطقة 'ابن عبد المالك رمضان'. أمام هذه النتائج حاول 'العربي بن مهيدي' الاتصال بالعاصمة تارة و بالمغرب الأقصى تارة أخرى بحثا عن الأسلحة.⁽²⁾

لقد كانت الدول العربية أولى الدول في مساعدة الجزائر معنويا، سياسيا، ماديا و ماليا، خلال الثورة و بصفة دائمة. خاصة إذا لاحظنا وقوف الجامعة العربية إلى جانب الثورة الجزائرية ماديا و عسكريا، فقد اقترحت الأمانة العامة للجامعة في 28 أبريل 1958م إنشاء صندوق لمعونة الجزائر بمبلغ مالي قدره "مليون جنيه إسترليني" تساهم فيه الدول العربية كل منها حسب مساهمتها في ميزانية الجامعة.⁽³⁾ وخلال اجتماع لجنة المندوبين في 20 ماي 1958م أدلى السيد أحمد توفيق المدني "مندوب الجزائر في الجامعة العربية" بيانا استعرض فيه الوضع القائم في الجزائر وطالب بتخصيص اثني عشر مليون من الجنيحات الإسترلينية معونة للمجاهدين الجزائريين وقال: "إن جبهة التحرير تفضل أن تتلقى المعونات عن طريق الجامعة العربية."⁽⁴⁾ وقد جاء في بيانه الذي قدمه أمام الجامعة العربية فيما يخص المعونة المالية "... فإذا كنا قد طلبنا اثنا عشر مليون جنيه مساعدة سنوية من الدول العربية مع علمنا بأن هذا المبلغ قد يكون كبيرا بالنسبة لبعض الدول التي ليست لها موارد، فإننا نقول أن ذلك هين إذا تصورنا أن الحرمان الجزئي لهذه الدول لمدة قصيرة ربما تكون سنة واحدة هذا الحرمان سنشتري به استقلال دولة عربية جديدة، وحينئذ تقوم إن شاء الله جمهورية الجزائر العربية..."⁽⁵⁾ وبالفعل فقد وافق مجلس الجامعة في جلسته المنعقدة بتاريخ 18 أكتوبر 1958م على هذا الطلب فسارعت الدول العربية إلى إيضاح موقفها من هذا الموضوع ومدى استعداد كل

1- بن سلطان (عمار)، الدعم العربي للثورة الجزائرية، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص، ص 62-64.

2- محمد العربي، (الزبيري)، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المرجع السابق، ص 136.

3- نافعة، (حسن)، جامعة الدول العربية، الواقع والطموح، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1983، ص 138.

4- الرفاعي، (محمد علي)، الجامعة العربية وقضايا التحرر، الطبعة الأولى، الشركة المصرية للطبع و النشر، مصر، 1971، ص 107.

5- المدني، (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص 386.

دولة للمساهمة في الميزانية المطلوبة، وأوصت اللجنة السياسية للجامعة العربية على أن تبادر الدول التي أيدت مساعداتها للمساهمة العاجلة بدفع نصيبها لحكومة الجزائر.

فقد شكلت العربية السعودية، العراق، و الكويت أساس الدعم للقضية الجزائرية. غير أن الدعم الليبي⁽¹⁾، و التونسي و المغربي يبقى ذا أهمية بمكان. ثم تأتي بعد ذلك الدول الإفريقية و الآسيوية و دول أمريكا اللاتينية.⁽²⁾ و في عام 1958 بدأت دول الشرق تهتم بمساعدة الثورة ماديا⁽³⁾ و عسكريا. بالمجموع فإن المساعدات الخارجية للثورة الجزائرية فاقت 10 مليار فرنك في السنة ابتداء من عام 1958.⁽⁴⁾

ج/موقف الكتلة الشيوعية:

تميز موقف الاتحاد السوفيتي بالحيطه و التحفظ، و امتنع عن إبداء أي رأي اتجاه الثورة، رغم أنه ندد بالسياسة الفرنسية المنتهجة في الجزائر. و أما سائر دول الكتلة الشيوعية فأخذت موقفا محايدا، ما عدا الصين و كوريا الشمالية اللتين اعترفتا بالحكومة المؤقتة (G.P.R.A) حين الإعلان عنها عام 1958.

1 - لقد أنشأ الليبيون خلال النصف الثاني من سنة 1956، " اللجنة الليبية لإعانة جيش التحرير الوطني الجزائري"، و التي ستغير بعد مدة من نشاطها اسمها لتدعى " هيئة نصره الثورة الجزائرية". لقد عملت اللجنة جاهدة على تعبئة الرأي العام الليبي لنصرة القضية الجزائرية ماديا و معنويا، فها هي تنتشط خلال أسابيع نصره الجزائر لجمع الأموال نظرا لحاجة الثورة الجزائرية الماسة لها. فخلال سنة 1956/1957، استطاعت تحصيل مبلغ مالي قدره: 9016492 جنيه ليبي، و أثناء أسبوع الجزائر التضامني الذي بدأ من يوم 30 مارس 1958، جمعت اللجنة ما مقداره 29628351 جنيه ليبي، إلى جانب الحلي و الملابس. و أما خلال سنة 1959 و بمناسبة أسبوع الجزائر بليبيا الذي بدأ من يوم 18 أبريل 1959، فقد جمعت اللجنة ما مقداره 50043800 جنيه ليبي، إضافة إلى الحلي و الملابس. كما نظم بتاريخ 1960/04/22 أسبوع الجزائر و الذي كان عبارة عن حملة واسعة لجمع التبرعات النقدية و العينية، للمزيد أنظر: تقرير موجز عن نشاط مكاتب حكومتنا في البلاد العربية، 06/51/2G/AN/DZ و إيماننا من اللجنة و إدراكها لمدى أهمية التضامن الأخوي مع الجزائريين و تزامنا مع فرحة الشعب بنشوة الاستقلال، نظمت أسبوعا الجزائر بتاريخ 24 جوان 1962، جمعت خلاله التبرعات و أقيمت التظاهرات الرياضية و الفنية لتعود فوائدها لصالح صندوق الجزائر للمزيد من الإطلاع أنظر: مقالتي، (عبد الله)، التضامن الشعبي الليبي و دوره في مؤازرة الثورة الجزائرية، مجلة المصادر، العدد 7، رمضان 1423هـ/ نوفمبر 2002م، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، مطبعة المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و الإشهار، الروبية، الجزائر، ص، ص 165-182.

2 - Harbi(Mohammed) et Meynier(Gilbert), Le F.L.N Documents et Histoire 1954-1962, Editions Casbah, 2004, p, 732.

3- انتظم بمدينة بغداد في ماي 1957 أسبوع الجزائر، الذي كان بمثابة الينبوع الذي يفور و لا يغور. كان الملك فيصل أول المتبرعين بعشرة آلاف دينار عراقي (أي أكثر من مائة ألف دينار جزائري و أكثر من عشرة ملايين من الفرنكات القديمة)، و قد توالى التبرعات حتى وصلت 25285 دينار عراقيا. و في سوريا و خلال المقابلة التي جمعت وفد جبهة التحرير الوطني الذي كان يرأسه أحمد توفيق المدني و عبد الحميد مهري، بوزير الخارجية السوري صلاح الدين الطرزي بتاريخ 15 مارس 1957، تقرر منح صك للوفد الجزائري بمعية الرئيس 'شكري القوتلي' الذي قال حينها: " إن سوريا معكم في القتال، إن أردتم سلاحا أمددناكم بالسلاح، و إن أردتم مالا عندنا ما نستطيع بذله، و إن أردتم رجالا فرجالا سوريا مستعدون لخوض الوغى إلى جانبكم." و عليه تحصلت الجزائر على ثلاث شيكات بمبلغ 1800000 ليرة سورية و 13213049 دولارا. و بمناسبة أسبوع الجزائر كذلك، أقامت سوريا احتفالا عام 1958 عم كل المدن السورية، و أقيم حفل كبير بجامعة دمشق ألقى فيه الرئيس 'شكري القوتلي' كلمة أكد فيها على ضرورة نصره إخواننا في الجزائر، و دعى الجميع إلى البذل و السخاء في تبرعاتهم. كما قررت وزارة الداخلية بهذه المناسبة اقتطاع راتب يومي من رواتب الموظفين للتبرع به لصالح الجزائر. و لقد قدرت الجامعة العربية نسبة المساعدات المقدمة من المملكة العراقية ب 319.600 جنيه إسترليني أي حوالي 15.98 % من مجموع مساعدات الدول العربية. كما قدرت المبالغ التي سلمت إلى الوفد الجزائري بمدينة بغداد حوالي 175000 دينار. كما ساهمت المملكة الأردنية في عمليات التبرع بالمال فمثلا في مطلع عام 1959 استمرت حملة جمع التبرعات في معسكرات الجيش الأردني مدة ثلاثة أشهر كانت حصيلتها 4988 دينار و 335 فلسا. و في بداية عام 1962 بدأت حملة لجمع التبرعات المالية في أوساط الجيش الأردني استمرت ثلاثة أشهر كانت حصيلتها 5085 دينار. كما كان الدعم المالي السعودي جد معتبرا، فقد خصصت المملكة العربية السعودية مبلغ 250 ألف جنيه سنويا عن طريق جامعة الدول العربية. و كانت المملكة تتبرع باستمرار و في مناسبات عديدة فمثلا: في عام 1959، سلمت الحكومة السعودية إلى وفد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مبلغ مليار فرنك فرنسي. و في إطار زيارة البعثة الجزائرية تحت رئاسة نائب الرئيس، وزير الشؤون الخارجية بتاريخ 12 أبريل 1960 قدمت مبلغ مليون جنيه إسترليني (أكثر من مليار فرنك فرنسي قديم) للحكومة الجزائرية، أنظر:

DZ/AN/2G/031/01/044, Rapport sur les questions militaires aide des pays amis, p3.

أسبوع الجزائر جلالة الملك 'سعود' ثم تبعه الأمراء... و الجدير بالذكر أن الصحافة و الإذاعة السعودية قد قامت بدعاية واسعة النطاق لإنجاح حملة التبرعات. أنظر: تقرير موجز عن نشاط مكاتب حكومتنا في البلاد العربية، 06/51/2G/AN/DZ

4- للمزيد حول مختلف أوجه الدعم أنظر: لعرج، (جيران)، الثورة الجزائرية و علاقتها بالمغرب الأقصى 1954-1962، ط1، مكتبة الرشد للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، 537 صفحة، من الصفحة 48 و ما يليها.

د/موقف الدول الأفروآسيوية:

تعاطفت و أيدت القضية الجزائرية من منطلق معاناتها من الاستعمار و ويلاته، و كانت الثورة الجزائرية ضمن اهتماماتها في مؤتمراتها مثل: مؤتمر باندونغ(1955)، مؤتمر أوكرا(1958)، مؤتمر طنجة(1958)، و مؤتمر أديس أبابا(1960). كما عملت هذه الدول على إدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة عام 1955. (1)

و هكذا فإن ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 التي اندلعت في ظروف استثنائية حققت نجاحا باهرا، حيث نجح المشرفون على الحركة الثورية من التنظيم الجيد للهجومات الأولى، باعتبار أن نجاح الانطلاقة يعول عليه كثيرا في تحقيق أهداف الثورة. و قد حددت جبهة التحرير الوطني أهدافها الاستقلالية في بيان فاتح نوفمبر، و ركزت على مبدأ تحقيق استقلال الجزائر و إقامة دولة ذات سيادة، و يبدو أن هجومات الفاتح نوفمبر كانت مفاجئة كثيراً للجميع، و ذلك بحكم الظروف المحيطة بالحركة الثورية و السرية التامة التي تبناها قادة الثورة و القائمين على تفجير الثورة التحريرية. فلقد كان قيام الثورة التحريرية الكبرى حسب اعتقادنا ضرورة تاريخية و حتمية حضارية فرضتها ظروف محلية و إقليمية و دولية.

رابعا: مبادئ الثورة:

ارتكزت الثورة الجزائرية على مجموعة من القيم و المبادئ اتخذت مرجعيتها من القاعدة النضالية الطويلة للشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي بأرض الجزائر طيلة الفترة الاستعمارية، بدءاً من المقاومات الشعبية المسلحة و مروراً بالحركة الوطنية السياسية و انتهاء بتأسيس المنظمة الخاصة (o.s) عام 1947. و قد تجلت "هذه المبادئ الفكرية و القيم الوطنية كمعتقدات أساسية في أدبيات الحركة الوطنية و الثورة من خلال موثيقها و صحفها و حتى من خلال ما أورده الصحف العالمية خلال سنوات الجمر". (2)

1/ الرفض المطلق لكل غزو أجنبي:

المبدأ الأول للثورة هو الرفض لكل غزو أجنبي أو احتلال خارجي، و لكل ما يصدر عنه من قوانين و قرارات و مراسيم، و هذا إيماننا منها بأن الشعب الجزائري متمسك طيلة تاريخه بهذا المبدأ فمثلا موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و على لسان الشيخ 'عبد الحميد بن باديس' رفضت فكرة الاندماج رفضاً مطلقاً و هذا في قوله: " إن هذه الأمة الإسلامية ليست هي فرنسا و لا يمكن أن تكون فرنسا و لا يمكن أن تصير فرنسا إن هي أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها، و في أخلاقها، و في عنصرها و في دينها، و لا تريد أن تندمج، و لها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده المعروفة." و في هذا الصدد يقول الباحث 'محمد مجاود' لقد انطلقت الثورة الجزائرية في معتقداتها لمحاربة الاستعمار الفرنسي من حقيقة واحدة و وحيدة مفادها رفض

1- بشير، (بلاخ)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830/1989)، المرجع السابق، ص 15.

2- محمد، (مجاود)، المجالات الإنسانية في الثورة الجزائرية، الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، الملتقى المغاربي يومي 11 و 12 جوان 2003، إشراف محمد مجاود، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، 2005، 279 صفحة، ص 17.

الواقع الاستعماري المتخلف الذي يتعارض مع طبيعة المواطنة و الوطنية، و"استرجاع السيادة الوطنية كاملة غير منقوصة، والعمل على بعث القيم العربية الإسلامية للأمة الجزائرية و التأكيد على هويتها الحضارية." (1) و يشاطره الرأي الباحث عبد الله مقلاتي حول التوجه السياسي للجبهة إذ يقول: "كان التوجه السياسي لجبهة التحرير الوطني يهدف للقضاء على النظام الاستعماري و استرجاع السيادة الوطنية و إقامة دولة ذات سيادة." (2) و قد أكد قادة الجبهة أنهم يتبرؤون من الفريقين المتنازعين، و أعلنوا عن تأسيس جبهة التحرير الوطني، التنظيم الذي يتيح الفرصة لجميع الوطنيين للانخراط فيه، و أنه الوحيد المخول بتمثيل الإرادة الشعبية، و يتوجب على الحركات السياسية الأخرى حل نفسها و دفع مناضليها للالتحاق بالثورة، و حددت الجبهة هدفها الأساسي في الحصول على الاستقلال التام، و الذي لن يتجسد إلا بتحقيق الأهداف الداخلية و الخارجية التي حددها بيان أول نوفمبر 1954. (3)

إن الاحتلال يعتبر عدوانا على أراضي الغير و تعديا على حقوق الإنسان و لذلك فإن مقاومته بجميع الوسائل لا تتناقض مع الأعراف الدولية.

2/ الثورة الجزائرية و مفهوم الأمة:

لقد أنكرت فرنسا على الشعب الجزائري - عندما استعمرته - أن تكون له أمة أو دولة، كما أنكرت عليه أنه كان يتمتع بحقوقه الطبيعية، و قد طبقت فرنسا هذا الإنكار على مرحلتين:

● **المرحلة الأولى:** مرحلة اليأس أي إقناع الجزائريين بأنهم لم يكونوا في يوم من الأيام أمة، و إذا لم تكن هناك أمة فليست هناك دولة، و انعدام الدولة يعني انعدام الحقوق، فلم يكن هناك سوى قبائل متنافرة متطاحنة يأكل قوتها ضعيفها.

● **المرحلة الثانية:** مرحلة الاندماج أي كانت تقول للشعب الجزائري - حسب منطقها - إنكم إذا اندمجتم في الشعب الفرنسي، فإنكم اندمجتم في أمة ذات حضارة راقية، و اندماجكم في الأمة معناه اندمجتم ضمن دولة قوية شعارها: "الحرية، و المساواة، و الأخوة" و بهذا تصبحون آدميين تتمتعون بحقوقكم الطبيعية، السياسية و الاجتماعية.

لقد مر رفض الجزائريين للاستعمار و منطق الداعي للاندماج بمراحل هي: الثورات الشعبية - المقاومة السياسية (الحركة الوطنية) و الثورة الجزائرية.

و باندلاع الثورة الجزائرية انبعثت الأمة الجزائرية من جديد و تأسست دولة قوية بدستورها، و مؤسساتها، تحمي المواطن و تحافظ على حقوقه. فما هي الأسس النظرية لمفهوم الأمة و الدولة و الحقوق في نظر الثورة الجزائرية؟

أ/ عامل اللغة:

1- نفسه، ص 19.

2- عبد الله (مقلاتي)، المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية و نصوصها الأساسية 1954-1962، المرجع السابق، ص 24.

3- عبد الله (مقلاتي)، المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية و نصوصها الأساسية 1954-1962، المرجع السابق، ص 24.

كانت الحركات الوطنية تعطي أهمية قصوى للغة، و كانت تنادي بترسيمها و إعطائها مكانتها في التعليم فمثلا: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جعلت أحد ركائز شعارها اللغة العربية. أما موقف الثورة فهو واضح جداً، فإننا نجد إلحاحها على جانب اللغة في جميع المواثيق، يقول ميثاق 1985: "أن اللغة العربية التي هي اللغة الوطنية عنصر أساسي للشخصية الوطنية للشعب الجزائري..."

لقد كان لدخول الإسلام للمنطقة و إقبال أبنائها عليه إضافة إلى الترابط العضوي بين الإسلام و اللغة العربية بصفتها لغة القرآن بداية عهد جديد أدخل تغييراً حاسماً على المنطقة و صهر بنيتها الاجتماعية و الثقافية في بوتقة الحضارة العربية الإسلامية و بذلك أصبح مجموع سكان الجزائر يشكلون مجتمعاً جديداً اكتملت مقومات شخصيته في ظل حضارة الإسلام.

ب/ عنصر العرق:

هناك من يرجع تكوين الأمة إلى العرق أو الجنس مثل: عهد النازية، فقد كان يرى هتلر أن شعبه أفضل الشعوب، لأن عرقه أسنى و أنقى من جميع الأعراق. غير أن هذه النظرية لاقت مقاومة شديدة من قبل المفكرين و الفلاسفة إذ يرى بوليتزر غير ذلك ما يراه هتلر حين يقول: "ليس الجنس عنصراً لتكوين الوحدة القومية" و يستشهد بذلك أن اليهود من جنس واحد و مع ذلك فلا يكونون أمة.

و فيما يخص موقف الثورة الجزائرية و من قبلها الأحزاب الجزائرية، كانت ترفض رفضاً باتاً أن يكون العرق أحد مقومات الأمة، و الدليل على ذلك أن الجزائر تكوّن أمة واحدة مع أن تركيبها البشرية تتكون بصفة عامة من الأمازيغ و العرب المسلمين. يقول ميثاق 1958: "كان ظهور الإسلام ثورة شاملة إنسانية المسعى، عالمية المبادئ، عربية اللسان. و قد وجد سكان المغرب في الإسلام دعوة دينية و فكرية و سياسية و اجتماعية... و قد كان ذلك من بين العوامل الأساسية التي أدت إلى تمازج العناصر الإسلامية و خاصة العربية منها مع سكان نويميديا تمازجاً سهله تقارب الأنماط الاجتماعية."

ج/ عامل الدين:

لقد أثار العامل الديني جدلاً كبيراً بين المفكرين، فمنهم من رأى فيه الشرط الضروري لقيام أمة، و منهم من يرفضه تبعاً لموقفه الفلسفي فمثلا: بوليتزر يهمل الدين لإيمانه بالفكر الماركسي المادي. أما الثورة الجزائرية ترى أن الدين هو أحد المقومات الأساسية لتكوين أمة باعتباره عنصر تماسك اجتماعي، و الدليل على هذا أن الجزائر نصت في دستورها الرسمي في المادة الثانية منه على "أن الدين الإسلامي هو دين الدولة." (4)

¹- المادة رقم 2 من الباب الأول المبادئ العامة التي تحكم المجتمع الجزائري من الدستور الجزائري، ص 2.

و في هذا الصدد يعترف أحد الجنرالات العسكريين و هو 'بوفر' بقوله: "في بداية الأمر لم يكن الثوريون سوى حفنة من الرجال ليس بحوزتهم سوى وسائل مضحكة و جابهوا فرنسا التي كانت قوتها تبدو في تلك الفترة قوة ساحقة و بالإضافة إلى ذلك لم يكن الشعب الجزائري قد نضج للثورة و مع هذا فقد قرر الثوار البدء فوراً في بالعمل معتمدين على التقاليد الإسلامية." (1)

إذن يعترف الجنرال بعدم تكافؤ الفرص و القوى بين الثوار و السلطات الاستعمارية بل و يعترف أن الشعب الجزائري لم يكن قد نضج للثورة بعد و لعل هذا ما يؤكد أن الإيمان و الإرادة هما العاملان المهمان في تحقيق النصر. و أن تفجير الثورة مهما كانت الظروف هي التي تنضج الشعب و ليس نضج الشعب هو الذي يفجر الثورة. (2) و لعل هذا الأمر يعكسه و يؤكد كلام أحد الثوار العظماء و هو عباس لغرور الذي يقول: "إنني أعرف أننا سنجابه العدو و أيدنا فارغة عملياً- و ليس لدينا إلا الإيمان الذي يعمر قلوبنا غير أن ما نعتمد عليه هو إشعال الفتيل المفجر للثورة و أنني على ثقة كاملة بأن الشعب الجزائري بكامله سيتبع مسيرتنا على هذا الدرب ذلك لأن الله مع المجاهدين و مع القضية العادلة الله أكبر." (3)

د/ عنصر المبدأ الروحي:

و نعني به تاريخ الأمة و ثقافتها و عاداتها، و يرى رينان " أن الأمة مبدأ روحي و يتكون هذا الروح من عنصرين، عنصر يرجع إلى الماضي، و عنصر يرجع إلى الحاضر، أحدهما يتمثل في الامتلاك المشترك لتراث زاخر من الذكريات، و الآخر في الاتفاق الحالي و الرغبة في العيش معاً و في إرادة مواصلة إثراء التراث المشترك) امتلاك أمجاد مشتركة في الماضي، و إرادة مشتركة في الحاضر هذه شروط أساسية لتكوين شعب." ترى الثورة الجزائرية في المبدأ الروحي الذي تعبر عنه بالثقافة و الحضارة هو مبدأ أساسي في تكوين الأمة، فالثورة الجزائرية استمدت شحنتها من بطولات أجدادنا و دفاعهم المستميت عن أرضهم و شرفهم و كرامتهم سواء في مقاومة الرومان أو الفرنسيين على يد الأمير عبد القادر و غيره من الشخصيات التي قادت المقاومة، هذا التراث الغني بالأجناد دفع الجزائريين إلى أن تكون لهم إرادة قوية صلبة بالحاضر لبعث الأمة الجزائرية من جديد. إن الأمة في نظر الثورة الجزائرية هي كيان متكوّن من عناصر بشرية التحمت و انصهرت في بوتقة واحدة لتكون عنصراً واحداً، و أهم العوامل التي تؤدي إلى هذا الالتحام هي اللغة و الدين و التاريخ و الثقافة.

3/ الثورة و نظام الحكم:

يعتبر نظام الحكم أعظم مشكلة شغلت أذهان المفكرين و الفلاسفة مثل: أفلاطون، و أرسطو، فقد خصص أفلاطون لهذه المشكلة مكانة بارزة في مؤلفاته و خاصة "الجمهورية"، و فضل الحكم الذي يكون على رأسه الفلاسفة

1- محمد، (مورو)، المرجع السابق، ص 103.

2- نفسه، ص 103.

3- محمد، (مورو)، المرجع السابق، ص 103.

رافضا الحكم الأرسطراطي، أما أرسطو لم يفضل أي نوع من أنواع الحكم، و ذلك لأن كل شعب يصلح له حكم و لا يصلح له حكم آخر.

أما الثورة الفرنسية واجهت مشكلة الحكم و اختارت في النهاية الحكم الديمقراطي الليبرالي لأنه في نظرها أفضل حكم يتمتع فيه أفراد الشعب بحقوقهم الطبيعية الأساسية (كانت ثورة على النظام الإقطاعي).

أما الثورة الجزائرية اختارت النظام الجمهوري الديمقراطي الشعبي. فما الدافع إلى اختيار الثورة الجزائرية هذا النمط من الحكم؟⁽¹⁾

أول دولة محلية تأسست في الجزائر هي الدولة الرستمية التي كانت تعتبر رئيس الدولة مجرد إنسان عادي، لا يتمتع بأية قداسة، لذلك كان رؤساء الدولة الرستمية ينتخبون انتخابا عادلاً، و كانوا مقيدين بالكتاب و السنة و بكلمة واحدة فإن حكمهم هو أقرب للحكم الجمهوري، هذه الدولة على نقيض ما وقع في المغرب الأقصى، رسخت فكرة الانتخاب في أذهان الجزائريين أو حبيت إليهم نظام الشورى أو ما يطلق عليه النظام الديمقراطي. ثم تعززت الدولة الجزائرية في العهد العثماني، و دولة الأمير عبد القادر الجزائري، فالدولة في هذا العهد كانت تتمتع بكل ما تتمتع به أية جمهورية.

و على نقيض الأحزاب بالمغرب الأقصى التي التفت حول النظام الملكي، فإن الأحزاب الوطنية الجزائرية فضلت النظام الجمهوري، فلم تكن هناك أي حركة أو حزب واحد في الجزائر ينادي بالملكية.

و هكذا فإن النظام الجمهوري لم يأت تعسفا، و لم يكن مفروضا من فوق، و إنما جاء طبيعيا مارسه أجدادنا قبل الاحتلال و تشبثت به الحركات الوطنية على مختلف نزعاتها، و أقرته الثورة بصفة رسمية في موثيقها و في دستورها، إذ أن المادة الأولى في دستورنا تنص على أن: "الجزائر جمهورية ديمقراطية شعبية."

4/الإسلام دين الدولة و الشعب:

إن المبدأ الرابع لفلسفة الثورة هو أن الإسلام كما نص عليه الدستور الجزائري هو الدين الرسمي للدولة الجزائرية. فالدولة الرستمية كانت تستمد تشريعاتها و أحكامها من القرآن الكريم، و السنة النبوية الشريفة و كان القضاء مستقلاً و محترماً. أما الدولة الجزائرية في ظل العهد العثماني فلم تكن تختلف عن الدولة الرستمية في هذا المجال، و إن كان مذهبها من الناحية المرجعية هو المذهب الحنفي. أما دولة الأمير عبد القادر فقد كانت تسير على المنوال الإسلامي، فكان الأمير حريصاً أشد الحرص على سير العدل وفقاً للشريعة الإسلامية.

و إذا كانت فرنسا أصمت أذنيها و أبت أن تسمع صوت الحركات الوطنية، فإن بركان الثورة الجزائرية اكتسح أشلاء المعمرين و قوض أركان الاستعمار، و انتصرت الثورة، و انبعثت الدولة الجزائرية ذات النظام الجمهوري و الإسلام دينها الرسمي كما نص على ذلك بيان أول نوفمبر إذ يقول: "إقامة حكومة جزائرية ذات سيادة ديمقراطية و اجتماعية داخل إطار المبادئ الإسلامية."⁽²⁾

1- أحمد، (بناسي)، الثورة الجزائرية- أسس و مبادئ-، دار سمر، ط 1، الجزائر، 2005، ص 35.
2- يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج 1، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، 187 صفحة، ص 11.

5/ الثورة و حقوق الإنسان:

إن الحقوق الطبيعية الأساسية للإنسان لم يكن يتمتع بها سائر الناس إلى أن جاء الإسلام ففنتها و كرسها و عممها على الناس أجمعين، ثم جاءت الثورة الفرنسية معلنة حقوق الإنسان بصفة رسمية و واضحة في فرنسا و أوروبا، أما الجزائريون فقد عرفوا هذه الحقوق انطلاقاً من الإسلام منذ قرون خلت.

لقد أكدت وثيقة حقوق الإنسان و المواطن الفرنسي التي أعلنت عليها فرنسا على الحقوق الطبيعية الأساسية للإنسان و التي منها: الحرية و المساواة و الملكية، و قد تعززت هذه الحقوق بظهور وثيقة أخرى، هي وثيقة حقوق الإنسان التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1948 و طالبت جميع الدول المنضمة إليها أن تتبناها و تعمل على تحقيقها على أوسع نطاق.

و جاءت الثورة المباركة لتولي أهمية بالغة بالإنسان الذي يعتبر في نظرها الركيزة الأساسية، لأنها كانت تهدف إلى تحريره من القهر و العبودية و الاستعمار. هدفت الثورة في واقع الأمر إلى تحرير الإنسان (العنصر البشري) الذي يعطي للأرض بعدها الإنساني. و هذا عملاً بتعاليم الإسلام التي تجعل من الإنسان محور العملية كلها فهو الذي يحرر و يبني و يشيد، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾⁽¹⁾.

الجزائريون و حقوق الإنسان:

كان لابد للجزائريين أن يطالبوا بحقوقهم الأساسية لأنهم أولاً كانوا يتمتعون بها قبل الاحتلال الفرنسي، و ثانياً أنهم كانوا مطلعين اطلاعاً واسعاً على وثيقة حقوق الإنسان التي أقرتها الثورة الفرنسية بحكم الاختلاط مع الفرنسيين.

إذن كيف يمكن للجزائريين استرجاع حقوقهم؟

كانت هناك طريقتان لكسب هذه الحقوق:

أولاً: المطالبة بها و تحقيقها تدريجياً.

ثانياً: الثورة على الاستعمار و القضاء عليه بصفة نهائية.

الاتجاه الأول كانت تمثله مجموعة من الأحزاب منهم: كتلة المحافظين- الحزب الإصلاحية- و الحزب الليبرالي. أما الاتجاه الثاني فقد مثله حزب نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب/ حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ثم جبهة التحرير الوطني. إن هذه الاتجاه يرفض تماماً الحصول على الحقوق تدريجياً، ذلك أنه كان يعتبر أن الحقوق الأساسية موجودة عند كل إنسان بصفة فطرية.

و قد نص بيان أول نوفمبر "إقامة حكومة جزائرية ذات سيادة ديمقراطية و اجتماعية"⁽²⁾ و هكذا انطلقت الثورة الجزائرية من مبدأ واضح و هو أن حقوق الإنسان حقوق طبيعية ولدت مع الإنسان، و لا يمكن التنازل عنها أصلاً، و بمجرد استرجاع السيادة الوطنية أرسى هذا المبدأ في الميثاق و الدستور، تقول المادة 39 من الدستور: "تضمن

¹- سورة الإسراء، الآية 70.

²- يحيى، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، المرجع السابق، ص 11.

الحريات الأساسية، و حقوق الإنسان و المواطن، كل المواطنين متساوون في الحقوق و الواجبات، يلغى كل تمييز قائم على أحكام مسبقة تتعلق بالجنس، أو العرق، أو الحرفة."

و في مقارنة بسيطة بين الثورة الفرنسية و الثورة الجزائرية نلمح أن الثورة الفرنسية استعملت العنف لكسب هذه الحقوق الطبيعية و لكنها استعملت العنف كذلك من أجل تحطيم حقوق الآخرين. أما الثورة الجزائرية فبمجرد نجاحها أخذت تطبق المبدأ الذي اتخذته لنفسها، و هو أن الحقوق الطبيعية يجب أن يتمتع بها كل إنسان، و على هذا الأساس راحت تساند جميع الشعوب التي ترزخ تحت نير الاستعمار.

و على كل حال فإن الثورة الجزائرية تحترم حقوق الإنسان الأساسية و لكنها تتدخل حينما تتعارض هذه الحقوق مع المجتمع سواء عن طريق المنفعة العامة للمجتمع، أو عن طريق ما يأمر به الدين الإسلامي.

و هكذا تكون الثورة الجزائرية قد تشابحت مع الثورات الكبرى لكن هذا لا يمنع أن تكون لها خصائصها و مميزاتا. لقد فتحت الثورة الباب على مصراعيه لكل أطراف المجتمع الجزائري و مشاربه للمشاركة في تحرير البلاد و نصره العباد، فكان نصيب المرأة في هذا كبيراً و حظها منه واسعاً، فصارت المرأة إبان الثورة التحريرية قيمة مجيدة و جديدة في المجتمع الجزائري. و فيما يخص دور المرأة و أهمية مشاركتها في الكفاح المسلح، "فإن مؤتمر الصومام سجل الأدوار التي قامت بها منذ اندلاع الثورة و خصص لها الميادين التي يمكن أن تعمل فيها بنجاح." (1)

لقد أعادت الثورة التحريرية الثقة إلى الجماهير الشعبية، و أكدت للمجتمع الجزائري أصلته التاريخية التي تمتد إلى أعماق التاريخ القديم. فكانت الثورة بمثابة البعث و الميلاد الجديد للجزائر الجديدة و الحديثة بكل أبعادها و مفاهيمها، إنها وعت كل الدروس التي مضت و استخلصت العبر من أخفاق كل الثورات السابقة لها. (2) و استطاعت أن تفهم جيدا أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بقوة الحديد و النار، و أن الحرية تنتزع انتزاعاً، و لا تقدم على طبق من فضة أبداً.

خامسا: أبعاد الثورة:

إن الحديث عن الأبعاد المختلفة للثورة الجزائرية يجرنا بالضرورة للخوض في نشأة جبهة التحرير الوطني و الظروف التي أحاطت بتكوينها و برنامجها و أهم تشكيلاتها و المبادئ التي نظمت سيرها و فعلتها.

1/ نشأة جبهة التحرير الوطني:

أ/ الأحداث و العوامل المحيطة بتكوين الجبهة:

طفت على الساحة المغاربية الكثير من الأحداث التي ستمهد لتأسيس جبهة التحرير الوطني، منها تلك المناقشات التي دارت بين أعضاء حزب الشعب الجزائري/حركة الانتصار حول ظروف الكفاح المسلح خاصة التونسي، و مدى تأثير ذلك على العمل المسلح المغاربي. (3)

¹- محمد، (مجاود)، المرجع السابق، ص 21.

²- يحي، (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، المرجع السابق، ص 476.

³ - 20 Anniversaire du déclenchement de la révolution, Revue A.N.P, Alger, 1974, p 88.

و من أهم ما أثارته هذه المناقشات توقيت إعلان الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي في كامل المغرب العربي، و هذا رغم وجود شبه اتفاق ما بين الأحزاب الوطنية المغاربية النشطة (1) و هي: حزب الاستقلال المغربي، حزب الدستور التونسي، و حزب الشعب الجزائري و قد أظهر الوقت الكثير من الاختلافات بين هذه الأحزاب حول آليات و تكتيك الحرب، في حين حذب حزبا الدستور و الاستقلال العمل السياسي، رأى حزب الشعب الكفاح المسلح كأبجع طريقة و وسيلة للقضاء على الاستعمار الفرنسي. و قد أدت هذه الظروف و بخاصة فشل حزب

¹ - تجدر الإشارة هنا إلى لجنة الوحدة و العمل الشمال إفريقية التي تشكلت من خلال اجتماع مجموعة الأحزاب المغاربية في مدينة باريس يوم 2 فبراير 1952 من أجل التوقيع على عقد شمال إفريقيا، و قررت الأحزاب التونسية، الجزائرية و المغربية المجتمعة إنجاز الميثاق التالي:

" إن الأحزاب و المنظمات الوطنية الشمال إفريقية:

1- تتعهد:

أولاً: بمتابعة و توسيع الكفاح من أجل تحرير الشمال الإفريقي من كل نظام استعماري، و من أجل دخول أوطانهم في إطار وثيقة الأمم المتحدة كدول ذات سيادة و ديمقراطية.

ثانياً: و بتنسيق عملهم لتحقيق أهدافهم على نطاق الشمال الإفريقي و فرنسا و العالم.

ثالثاً: و بالمناقشة دورياً للحالة في الشمال على ضوء الحوادث الداخلية و الخارجية.

2- تقرر:

تكوين لجنة الوحدة و العمل الشمال إفريقية من الأحزاب المذكورة و من كل منظمة أخرى مستعدة لتنفيذ هذا الميثاق.

التوقيع:

- عن حزب الوحدة و الاستقلال محمد المكي الناصري
- عن الحزب الديمقراطي المغربي للاستقلال محمد الوزاني
- عن الحزب الإصلاحية المغربي /
- عن حزب الاستقلال أحمد العلول
- عن حركة الانتصار أحمد مزغنة
- عن البيان فرحات عباس
- عن الحزب الحر الدستوري صالح فرحات
- عن الحزب الدستوري الجديد مصمودي

للمزيد حول الموضوع ينظر: Amar, Belkhdja, Unité du Maghreb et combat Anticolonialiste de

l'E.N.A Au front D'unité et d'Action, revue mémoire national, Rabat, 2002, p 119. (عبد

الرحمان بن إبراهيم)، الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الثالثة (1954/1947)، الجزء الثالث، المؤسسة الوطنية

للكتاب، الجزائر، 1986، ص، ص 195-196.

الشعب في إقناع الأحزاب المغاربية بجدوى تكتيكه إلى تخرج موقفه، و حكم عليه بالجمود خاصة عندما اندلع الكفاح في كل من تونس و المغرب . و كذلك عجز الحزب عن مواجهة الظروف لجديدة خاصة بعد اكتشاف أمر المنظمة الخاصة و دخول مرحلة الجمود إن صح هذا التعبير مع سنة 1950 .

و مع كل هذا فقد بدأت تظهر على الأفق بوادر بعث للعمل المسلح تمثلت في :

- بروز اتجاه يدعو إلى العمل المسلح.
- فشل جميع الإصلاحات و المشاريع الفرنسية في تهدئة الشعب الجزائري.
- مناخ إقليمي ملائم خاصة على مستوى المغرب العربي بقيام جبهة موحدة للكفاح ضد الاستعمار الفرنسي.
- و استمرت هذه المناقشات حول الظروف و المستجدات بين بعض أعضاء حزب الشعب الجزائري/حركة الانتصار للحريات الديمقراطية تمحورت حول الآتي:
- إعادة بعث المنظمة الخاصة من جديد في سرية تامة، و تحميلها مسؤولية الإعداد للعمل المسلح.
- القيام بحملة لإقناع المناضلين بضرورة التخلي عن المواقف الفردية، و العمل على تقوية الحزب، و النضال داخل الأجهزة الرسمية، و هذا من أجل تحقيق ما يلي:
- اتخاذ قرار رسمي من قبل القيادة العليا للحزب بإعادة تشكيل المنظمة الخاصة.
- مقاطعة الانتخابات و عدم المشاركة فيها.
- السعي لرص صفوف الأحزاب الوطنية بغرض تجنيد الجماهير لمواجهة الأحداث القادمة.

و قد بدأ بالفعل الإعداد و التحضير لذلك، إذ تولى مثلا مصطفى بن بولعيد بعث المنظمة الخاصة بمنطقة الأوراس و قسنطينة، و تولى ديدوش مراد بعثها في منطقة الجزائر، أما عبد المالك رمضان فتولى هذه المهمة بعمالة وهران، بينما تولى محمد بوضياف عملية التنسيق بين مختلف هذه الجهات.

أما على مستوى العمل السياسي فقد ظل الحال على ما كان عليه من تجاذب و تقاذف بين الجناحين المتصارعين، و أدى تشدد المواقف إلى عقد كل فريق اجتماعه الخاص، فاجتمع المصاليون بمدينة هورنو (Hornu) ببلجيكا خلال أيام 13 و 14 و 15 جوان 1954، و تمخض عن هذا الاجتماع فصل المركزيين من الحزب، و إعلان مصالي الحاج زعيما مدى الحياة. و بالمقابل عقد المركزيون اجتماعهم بمدينة الجزائر العاصمة أيام 13 و 14 و 15 و 16 أوت 1954 قرروا فيه فصل المصاليين عن إدارة الحزب، و أعلنوا أنفسهم مسيروا شرعيون للحزب و سياسته. و قد أدى اشتداد الأزمة و تصلب المواقف إلى بروز اللجنة الثورية للوحدة و العمل (C.R.U.A).⁽¹⁾

¹ -Chaliand, Gérard, L'Algérie est – elle Socialiste ?, François Maspero, Paris, 1964, p 33.

أرادت اللجنة الثورية للوحدة و العمل منذ بروزها لم الشمل و توحيد الصفوف في اتجاه واحد ألا و هو محاربة الاستعمار الفرنسي، و عدم تضييع الوقت في الصراعات و النعرات الحزبية التي لا فائدة ترجى منها، فعملت على وضع خطة و برنامج يتفق حوله الجميع و يجد كل جزائري نفسه فيه. و انطلاقاً من هذا جاءت كل خطواتها من أجل تفعيل هذا فانعكس ذلك على واقع جبهة التحرير الوطني و على الثورة التحريرية التي جاءت متنوعة في أبعادها. و قد استطاعت جبهة التحرير الوطني أن تستمد حقيقة وجودها من الشعب الجزائري و "استلهمت منه أصولها و مبادئها و كان هذا هو سبب قوتها و التفاف الشعب حولها".⁽¹⁾

2/ الأبعاد:

ارتكزت الثورة الجزائرية على مجموعة من القيم و المبادئ اتخذت مرجعيتها من القاعدة النضالية الطويلة للشعب الجزائري ضد التوطن الفرنسي بأرض الجزائر طيلة الفترة الاستعمارية، بدءاً من المقاومات الشعبية المسلحة و مروراً بالحركة الوطنية السياسية و انتهاء بتأسيس المنظمة الخاصة (O.S) عام 1947. و قد تجلت "هذه المبادئ الفكرية و القيم الوطنية كمعتقدات أساسية في أدبيات الحركة الوطنية و الثورة من خلال مواعيقها و صحفها و حتى من خلال ما أوردهته الصحف العالمية خلال سنوات الجمر".⁽²⁾

لقد أجمعت المثل العليا و مبادئ ثورة نوفمبر ما بين الثورة الإنسانية التي تتجلى في تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، "الذي هو دين الإخاء و التسامح و مكارم الأخلاق و حب الوطن و الدفاع عنه و لو يقتضي الأمر الاستشهاد من أجله".⁽³⁾ ، و مبادئ الكفاح المسلح و الثورة الفرنسية، و حق الشعوب في تقرير مصيرها وفقاً لمبادئ الرئيس الأمريكي 'ولسون' و الشرعية الدولية.

ارتكزت الإيديولوجية الثورية على تراكمات إخفاقات الثورات الشعبية المسلحة السابقة و الحركة الوطنية لتلج معركة التحرير بجهة "قوية موحدة جامعة للإدارة الوطنية المخلصة".⁽⁴⁾ ، و العمل تحت تعاليم القيادة الجماعية الملهمه عملاً بتعاليم الدين الإسلامي الذي يحث على الاتحاد و الوحدة و نبذ الفرقة و التشتت، و هذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾⁽⁵⁾ و الارتكاز كذلك على قوة الجماهير الشعبية التي تعتبر بمثابة الماء الذي تعيش و تنمو فيه كل الثورات، فالثورات عبارة عن أسماك مياهها الطبقات الشعبية، كما أنها نار و قود اشتعالها الشعب.

و على هذا الأساس اشتملت الثورة التحريرية العديد من الأبعاد الحضارية نذكر منها ما يلي:

1- محمد، (زروال)، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 38.

2- محمد، (مجاود)، المرجع السابق، ص 17.

3- نفسه، ص 17.

4- نفسه، ص 17.

5- سورة آل عمران، الآية 103.

أ/ البعد الإنساني:

تميزت ثورة نوفمبر بخصائص كثيرة و متعددة، ربما قد ميزتها عن كثير من الثورات الأخرى، و منها النزعة الإنسانية. و تتجلى الأبعاد الإنسانية في فلسفة الثورة الجزائرية، في اتخاذها للإنسان الجزائري، بصفة خاصة، و للإنسان بصفة عامة، كمسلمة أولى لكل فعل ثوري، بقدر ما تتجلى و بالتالي في تجسيدها لذلك المبدأ القائم على إن الإنسان ليس شيئا آخر سوى كرامته، و أنه من دون مثل تلك الكرامة، في مفهومها الذي يتجاوز مجرد التمييز عن كل من الجماد و الحيوان، لا يساوي شيئا كثيرا.(1)

تميزت الثورة الجزائرية طيلة فترة الصراع مع قوات الاحتلال بخصائصها الإنسانية، و التي تجسدت في عدة مجالات و قضايا لعل أبرزها ما يلي:

- إرساء منظومة صحية منسجمة مع متطلبات المرحلة.
- العناية باللاجئين خاصة في كل من تونس و المغرب.
- إيلاء أهمية بالغة بقضايا المعتقلين في الجزائر.

و من أروع صور البطولات الإنسانية التي غداها الإسلام و نمّأها و جعلها تخرج إلى العالم في أروع صورها و أكمل معانيها، نذكر أنه خلال كل مراحل الكفاح و طيلة عمر الثورة لم ينتهك المجاهدون حرمان النساء و الشيوخ و الأطفال، و لم يهينوا رجال الكنيسة و أسرى الحرب، و لم يخترقوا العهود و المواثيق، و فوق كل هذا و ذلك لم ينكلوا بالجثث، و هذا مصداقا و عملا بوصايا الرسول الكريم الذي أكد على ضرورة الحفاظ على الحياة حتى أثناء الحرب فلا يؤذى الشيخ الكبير و لا الطفل الصغير و لا المرأة الضعيفة و لا تقطع الأشجار و لا تقتل الحيوانات.

و من الأمثلة التي تبين و تؤكد على احترام الثورة لكل المثل العليا و احترام حقوق الإنسان الأسير، و المحافظة على روحه و شرفه، بل و حتى على سلامة نفسه، ما قامت به الثورة عندما أطلقت سراح ممرضة فرنسية وقعت أسيرة أثناء الحرب و التي كانت تعتقد أنها ستقتل و عندما حاورتها الصحافة اعترفت بحسن المعاملة و صون شرفها.(2)

سارعت قيادة الثورة إلى انضمام الجزائر إلى اتفاقيات جنيف بشأن حقوق الإنسان، حينما عرضت عليها جمعية الصليب الأحمر الدولي بتاريخ 1959/05/28 ذلك المشروع الذي يتعهد فيه الطرفان الجزائري و الفرنسي بأن يحترما أحكام المادة الثالثة الواردة في كل من اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949، و "أن يتجنبنا تدابير الثأر، و أن يعاملا الأسرى الذين يقعون في قبضة قواتهما معاملة إنسانية".(3) و فعلا انضمت الجزائر إلى اتفاقيات جنيف صبيحة يوم الاثنين 20 جوان 1960 (4) معلنة بذلك للعالم عن نصر دبلوماسي و سياسي هام.

1- البخاري، (حمّانة)، المرجع السابق، ص 248.

2- سامية، (خامس)، البعد الإنساني في الثورة الجزائرية، الملتقى المغاربي: الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 45.

3- سامية، (خامس)، البعد الإنساني في الثورة الجزائرية، الملتقى المغاربي: الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 45.

4- نفسه، ص 46.

و من الميادين التي برعت فيها قيادة الثورة الجزائرية، و التي تتماشى مع القيم العليا في احترام الإنسان و صون كرامته هو إصدار المراسيم الخاصة بالإفراج دون شرط أو قيد على أعداد كبيرة من أرسى الحرب، فمثلاً تم في سنتي 1958 و 1959 الإفراج عن حوالي 51 أسيراً. لقد حافظت الثورة على عقودها و عهوده فيما يخص أسرى الحرب فعاملتهم معاملة طيبة مباركة وفق ما تقتضيه شريعتنا الإسلامية، فهل حافظت فرنسا على تلك العهود؟

إن الثورة التحريرية الجزائرية هي بالأساس ثورة إنسانية أشاعت ببطولاتها النضالية نموذجاً راقياً و فريداً في محاربة الطغمة الاستعمارية المدحجة بأفتك الأسلحة التدميرية، فلقد كانت هذه الثورة غنية بمفاهيمها الحضارية و الدينية العائلية، حتى أصبحت مثلاً يحتذى به في أوساط الشعوب العدو و الصديقة.

أنتجت الثورة الجزائرية الكبرى قيماً إنسانية نبيلة ألهمت العديد من الثوار في العالم في مسيرتهم النضالية و التحريرية. فارتكزت تربية المجاهد الحرّ على الروح النضالية الكبيرة و حب الوطن و"الاستشهاد في سبيل الله و الوطن، و نصره الحق أينما كان"⁽¹⁾ و هذا مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾⁽²⁾ و نشر قيم "التضامن الاجتماعي و التسامح بين الإخوة المجاهدين".⁽³⁾ عملاً بتعاليم الدين الإسلامي التي تحث على التعاون و التكافل خاصة أيام المحن و النوائب ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾⁽⁴⁾.

إن القيم و المثل العليا التي كان يتميز بها جيل ثورة نوفمبر نبعث من تراثنا الإسلامي و واقعنا الاجتماعي. أولت الثورة المباركة أهمية بالغة بالإنسان الذي يعتبر في نظرها الركيزة الأساسية، لأنها كانت تهدف إلى تحريره من القهر و العبودية و الاستعمار. هدفت الثورة في واقع الأمر إلى تحرير الإنسان (العنصر البشري) الذي يعطي للأرض بعدها الإنساني. و هذا عملاً بتعاليم الإسلام التي تجعل من الإنسان محور العملية كلها فهو الذي يحرر و يبني و يشيد، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾⁽⁵⁾.

ذلك هو المبدأ الأساسي الذي ارتكزت عليه فلسفة الثورة النوفمبرية، و هو المبدأ الذي استلهمته من تقاليد شعبها العربي الإسلامي من جهة، و من منظورها للحياة من جهة أخرى.

ب/ البعد النفسي:

تمثل ثورة التحرير الجزائرية من الناحية النفسية العودة إلى الذات الجزائرية المقاتلة المنتفضة ضد الاستعمار من جهة، و تؤكد على ولوج الحداثة الحربية التي تطورت خلال الحربين الكونيتين الأولى و الثانية بأوروبا من جهة أخرى.

1- محمد، (مجاود)، المرجع السابق، ص 18.

2- سورة البقرة، الآية 190.

3- محمد، (مجاود)، المرجع السابق، ص 18.

4- سورة المائدة، الآية 03.

5- سورة الإسراء، الآية 70.

من هذا المنطلق فإن ثورة التحرير قد أعادت ترتيب الذهنية القتالية التقليدية للجزائريين "مخلصة إياها من شوائب العصبية و ثقل المرجعية المحلية و من أوهام الولاءات القبلية". (1) مرتفعة بها إلى "قيم سياسية مرتبطة بالوطنية و معايير هوياتية مرتبطة بالوطن و رؤى حضارية تحيل إلى وعي تاريخي و حضاري غايتها النهضة و الحداثة". (2)

و مع تطور الثقافة القتالية و اكتساب الجزائري لفنون الحرب، ظهر تملل ثقافي عميق و توترات سياسية يمكن حصر مخاضاتها في:

- التيار الاستقلالي الوطني: رفع لواءه 'مصالي الحاج' الذي أخذ نفس موقع الأمير عبد القادر لكن بوسائل مختلفة.

- التيار الإصلاحية و الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي واجهت المنظومة الاحتلالية و المشروع الثقافي الاستعماري التغريبي، و هنا تكمن أهمية 'ابن باديس' في التصدي لمشروع إدماج الجزائر و ربطها بفرنسا.

- التيار الاندماجي: الذي نشأ رواده في أحضان المدرسة الفرنسية و الذي اقتنع بجمالية نجاح المشروع الاحتلالي و ضرورة التعايش مع الكولون. (3)

كما أن هذا البعد النفسي نجده كذلك في نفسية الشباب الذين نظموا و وقفوا على اندلاع هذه الثورة، فالمعروف أن معظم منظميها كانوا شبابا، و عليه فقد كانوا يعيشون مرحلة الانتقال من حالة العالة إلى حالة العائل المسؤول و من الأحلام و الآمال إلى مجاهدة الواقع، و تحمل أعباء الحياة الثقيلة. (4)

و هنا كثيرا ما تتحطم أحلام الشباب و آمالهم أمام صخرة الواقع المغاير لطموحاتهم فتبعثهم الثقة بالنفس إلى تجاوزه بالرفض و القطيعة و التمرد عليه، فيكون بذلك العامل النفسي محركا لفئة الشباب التي تكون أكثر فئات المجتمع تمردا و الانصياع لأي جديد، يتخذ منه متنفسا يتخطى به واقعه المرير، كما يكون أكثرها ميلا إلى الحركة. (5) و هذا ما نظنه بالفعل حدث مع شباب الثورة الذين ثاروا بالإيجاب على واقعهم المفروض و المرفوض في آن واحد.

يعتبر أول نوفمبر و بلا شك الضربة القاضية لأحلام الأقدام السوداء بالجزائر، و بداية انتصار الجزائريين ليس فقط على المحتل بل و حتى على أنفسهم، و نهاية محققة و معلنة على المشروع الحضاري الاستعماري الذي طالما دافع عنه الكولون و أتباعهم.

1- محمد، (الطبيبي)، الثورة الجزائرية: الإنجاز الحضاري و التحول الإستراتيجي، الملتقى المغاربي: الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 37.

2- نفسه، ص 37.

3- محمد، (الطبيبي)، الثورة الجزائرية: الإنجاز الحضاري و التحول الإستراتيجي، الملتقى المغاربي: الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 38.

4- أحمد، (بن نعمان)، جهاد الجزائر حقائق التاريخ و مغالطات الإيديولوجيا، دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط 1998، 2، ص 63.

5- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 63.

ج/البعد التاريخي للثورة الجزائرية:

تحتوي نصوص و أدبيات الحركة الوطنية و وثائق الثورة على أبعاد مختلفة و خصائص و قيم متنوعة منها الحضارية، و الإنسانية و القيم التحررية و الدينية، و هي مواضيع جديدة أن تعنى بالدراسة و البحث و التنقيب، لما لها من أهمية في التأسيس للمرجعية التاريخية للمواطن الجزائري و تنظيم توازنه الحضاري و السياسي، و من ضمن هذه النصوص و المواثيق نجد بيان أول نوفمبر 1954 الذي "يعتبر تنويجا لما صدر عن التيار الوطني التحريري".⁽¹⁾ ، فنقل الحركة الوطنية من مرحلة التصور و التنظير إلى مرحلة العمل الثوري المباشر.

إن تراكمات الأحداث التاريخية على مجرى الأزمان على وقع على الإنسان الجزائري الذي صقلته الوقائع و التجارب، فكونت بذلك معالم التاريخ الجزائري العام.

تتمثل هذه الأحداث الفاصلة في الفتح الإسلامي خلال القرن السابع ميلادي، الذي أعطى للجزائر مقوماتها الحضارية الدينية، باعتناق الجزائريين للدين الإسلامي فأعطى، له ذلك الارتباط الوثيق بالأمة العربية الإسلامية، ذلك العقد الذي لن ينفصم مهما تعاقبت على الجزائر من أحداث مؤلمة أو خطيرة. كما يعد الجهاد البحري- و الذي ستطلق عليه الدول الأوروبية المسيحية بالقرصنة البحرية- من المعالم التاريخية التي ستصقل الشخصية الجزائرية. و إن كان من نتائجه ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية أوائل القرن السادس عشر (1518 م)، فأعطى للجزائر طابعها السياسي المميز و شكل حدود دولتها، و"عاصمتها المركزية، مما سمح بتكوين الأمة الجزائرية ضمن قوانينها الاجتماعية و أنظمتها الاقتصادية و أجهزتها الإدارية و علاقتها السياسية".⁽²⁾

أما الحدث التاريخي الذي أعطى للجزائر منعرجا خطيرا فتمثل في ذلك الانقلاب الثوري عام 1954 ضد الاستعمار الفرنسي، و الذي جاء كنتيجة حتمية لتطور الحركة الوطنية الجزائرية بعد نضال سياسي طويل و مرير. و جاءت ساعة الاستقلال لتعيد بعث الأمة الجزائرية في شكلها الحالي أي من خلال مجتمع متكامل و دولة تتمتع بالسيادة التامة على أقاليمها الوطنية.

و بإلقاء نظرة حول حتمية التطور التاريخي للأمة الجزائرية، نجد أن الاستعمار الفرنسي حاول جاهدا نسف الوجود التاريخي للأمة طيلة مرحلة تواجده بالجزائر، مما أعطى ضرورة و حتمية اندلاع الثورة التي أدارت عجلة التاريخ و أظهرت لفرنسا خاصة، و للعالم الغربي عامة أنه يستحيل الوقوف أمام ذلك التطور الطبيعي و الحضاري للشعب الجزائري.

و الثابت في هذا أن الشعب الجزائري، و من خلال ثورة الفاتح نوفمبر لم يرض أبدا بالخضوع و الخنوع لإرادة المستعمر التي أراد أن يفرضها من خلال حتمية الواقع الاستيطاني أو الانسياق وراء نزوات دعاة الاندماج، بل كان اختياره لوسيلة الثورة التحريرية بمثابة القناة التي عبر من خلالها على تميزه و تفرده و انتمائه لمصاف الشعوب الحية

¹- محمد، (مكاحلي)، البعد التاريخي للثورة التحريرية الجزائرية، الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، الملتقى المغربي: الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 176.

²- نفسه، ص 177.

بذاكرتها التاريخية و المحصنة بقيمتها الحضارية و الدينية. و هذا ما يجعل في نظرنا "ثورة أول نوفمبر حتمية تاريخية لا بد من حدوثها أجلا أم عاجلا، و ليس حادثا عرضيا أدت إليه الظروف السائدة آنذاك." (1)

لقد كتب 'روني دوليت' دراسة بعنوان أصول جبهة التحرير، جاء فيها ما يلي: "إن جبهة التحرير الوطني الجزائرية لا يمكن أن تكون منفصلة عن النهضة الثقافية العربية و عن إعادة اعتبار للإسلام، إن كفاح جبهة التحرير الوطني هو كفاح من أجل إعادة اعتبار للقيم الوطنية التي تجعل الشعب الجزائري واعيا بوجوده كأمة و هذه القيم، هي اللغة العربية و الدين الإسلامي، إذن فمن الخطأ تاريخيا و من العبث اجتماعيا التمييز بين حرب التحرير و بين النهضة العربية الإسلامية و أكثر من ذلك عبثا هو اعتبار هذا الكفاح التحرري بمثابة ثورة إذا أخذنا في الاعتبار أنها تهدف إلى تحطيم النظام القديم أي النظام الاستعماري، لكنها في الواقع ثورة وطنية إن لم نقل أنها ثورة قومية، و هو الأدق." (2)

د/ البعد الدولي للثورة الجزائرية:

استخلصت جبهة التحرير الوطني العبر من قرن وربع القرن من المقاومة الشعبية المسلحة التي لم تحقق الاستقلال، فأولت جبهة التحرير الوطني بذلك أهمية بالغة إلى تنظيم الثورة المسلحة والبحث عن المساعدات الخارجية: "و لكي نتوصل إلى هذه الأهداف سيكون لجبهة التحرير الوطني عملاقان رئيسيان يسيران جنبا لجنب: عمل داخلي في الميدانين السياسي و العسكري و عمل خارجي يتلخص في جعل المشكلة الجزائرية حقيقة واضحة أمام دول العالم و شعوبه و بتأييد حلفائنا الطبيعيين و هذا عمل شاق يتطلب تعبئة جميع القوى و الموارد الوطنية، حقا أن الكفاح سوف يكون طويلا و شاقا و لكن النتيجة محققة." (3) في هذا الصدد، أضحت الدبلوماسية الجزائرية دبلوماسية دولة حديثة و عصرية بأتم معنى الكلمة. حددت جبهة التحرير الوطني منذ البداية الهدف النهائي لعملها وكذلك الأهداف الوسيطة الداخلية والخارجية اللازمة لبلوغه. كما واصلت العمل الدءوب من أجل ذلك إذ تمسكت بشدة بالمبادئ التي سطرته حيث لم تقبل سوى بعض التنازلات التكتيكية والمؤقتة حتى تحقيقها الكامل.

حدد بيان أول نوفمبر 1954 هدف جبهة التحرير الوطني خاصة في المجال الخارجي كالآتي: تدويل القضية الجزائرية، و تحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطارها الطبيعي و هو العروبة و الإسلام، و تأكيد محبتنا الفعالة في إطار ميثاق هيئة الأمم لجميع الأمم التي تؤيد حركتنا التحريرية. (4)

تم التأكيد، في إطار ميثاق الأمم المتحدة على التعاطف الفعال للثورة الجزائرية تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحريري. كان هذا يعكس ضرورة اللجوء إلى التحالفات من أجل عكس موازن القوة مع فرنسا.

كانت تحالفات جبهة التحرير الوطني تشكل حلقات مترابطة من الانتماءات وأشكال التضامن حول الجزائر. تقوم أقدمها والأوثق منها على وحدة الأصول واللغات والدين في إطار جغرافي متناسق وهي تضم، بالإضافة إلى "الإخوة المغاربة" "الحلفاء الطبيعيين العرب والمسلمين" الآخرين. وتقوم أوسعها وأحدثها على التضامن في مواجهة الاستعمار

1- محمد، (مكاحلي)، المرجع السابق، ص 177.

2- محمد، (مكاحلي)، المرجع السابق، ص 178.

3- ينظر بيان أول نوفمبر الملحق رقم 3، ص 364.

4- ينظر بيان أول نوفمبر الملحق رقم 3، ص 364.

والامبريالية التي تتعدى المجال العربي والإسلامي لتشمل، على الأقل، البلدان الأفريقية والآسيوية، وعلى الأكثر، أمريكا اللاتينية وحتى كامل الكتلة الاشتراكية.

غير أن الانتماء إلى المغرب العربي هو العنصر الوحيد الذي كان حافزا لبناء مشروع وحدوي مؤسسياتي في شكل "فدرالية شمال أفريقيا"، التي تناولتها "أرضية" مؤتمر الصومام في 1956 و المؤتمر الثلاثي لطنجة المنعقد أيام 27،28،29،30 أبريل 1958، و الذي تقرر فيه بأن "الأحزاب السياسية تقدم للشعب الجزائري الذي يناضل من أجل استقلاله الدعم الكلي لشعوبها و دعم حكوماتها. كما تعلن كذلك و بالنظر إلى التضامن للحقوق الأساسية لشعوبها. تعلن حق الشعب الجزائري في السيادة و الاستقلال، كحل وحيد في الصراع الفرنسي الجزائري." (1)

أما حركة البلدان الأفرو - آسيوية، المنبثقة عن مؤتمر باندونغ، فقد وفرت لجهة التحرير الوطني إطارا ثابتا آخر لعملها الخارجي. إن التضامن في إطار مناهضة الاستعمار، القائم على التجربة المشتركة والحديثة لكل عضو، ساعد الوفود الجزائرية على تعبئة التعاطف الفعال للجميع. ولقد انعكس هذا التعاطف بشكل بارز خلال المؤتمرات الثلاثة للحركة: مؤتمر باندونغ المنعقد ما بين 18 إلى 24 أبريل 1955 باندونيسيا، و الذي يعتبر أول انتصار دولي تحرز عليه جبهة التحرير الوطني، إذ استطاع ممثلوها التحرك بحرية مطلقة "ضمن وفد المغرب العربي الكبير، و أن يتمكنوا من إقناع أغلبية الوفود المشاركة بعدالة القضية الجزائرية." (2) فقد صدر قرار ينص على: " حق الشعب الجزائري و المغربي و التونسي في تقرير المصير و الاستقلال." (3)

وضعت جبهة التحرير الوطني، في إطار المجموعة الأفرو - آسيوية، آمالا كبيرة، ابتداء من سنة 1958، في التضامن الإفريقي كان هذا المفهوم الجديد، الذي كان 'فرانس فانون' رائده، يقوم على حقائق جيوسياسية و إستراتيجية منه على أسس تاريخية. كانت مناهضة الاستعمار فرصة أيضا لمحاولة توسيع دائرة التعاطف مع القضية الجزائرية إلى أمريكا اللاتينية. و إذ صوتت معظم دول أمريكا اللاتينية، على غرار الولايات المتحدة الأمريكية وأصدقاء فرنسا الأوروبيين، ضد إدراج القضية الجزائرية ضمن جدول أعمال الدورة العاشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة، عملت جبهة التحرير الوطني منذ سنة 1956، بدعم الأقليات ذات الأصل العربي، على أن يتم الاعتراف بكفاحها كثورة ضد الاستعمار. لكن هذا المسعى وهذه المثابرة لم يحظيا بالنتائج المرجوة، وذلك قبل الثورة الكوبية، على الأقل، في سنة 1959.

تحدى نجاح جبهة التحرير الوطني كل التفسيرات المعترف بها. لقد تمثلت قوتها في عدم التركيز على شكل واحد من استكمال العمل النضالي ولكن على جميع الوسائل. لقد ساهمت جميع أشكال الضغط الداخلي (الكفاح،

1- لعرج، (جبران)، المرجع السابق، ص 120.

2- محمد العربي، (الزبيري)، تاريخ الجزائر المعاصر (1962/1954)، ج 2، المرجع السابق، ص 39.

3- قنان، (جمال)، تشكيل الحكومة المؤقتة نقلة نوعية في دبلوماسية جبهة التحرير الوطني، مجلة الذاكرة، العدد 4، السنة 3، المتحف الوطني للمجاهد، 1417/1996هـ، ص 11.

العمليات الثورية، المظاهرات الشعبية المساندة، النداءات تجاه الرأي العام الفرنسي) وكذلك الضغوط الخارجية، في تحقيق الهدف النهائي. وبالتالي، فإن الاستقلال لم يتم انتزاعه بفضل قرارات منظمة الأمم المتحدة التي تمثل عملها فقط في تشييع النجاحات السابقة الدبلوماسية منها والعسكرية لجبهة التحرير الوطني. كما كانت المساعدات الواردة من الدول الصديقة والضغوط التي مارستها هذه الأخيرة على فرنسا فعالة جدا. أجبر اندلاع حرب التحرير فرنسا على التخلي عن تونس والمغرب، في أول الأمر، ثم عن بعض الدول الإفريقية فيما بعد.

هـ/ البعد الإفريقي:

إن البعد الإسلامي العربي الإفريقي لثورة التحرير واقع لا يقبل الشك أو التشكيك فيه، إذ أنه يصعب التفريق في التحليل بين الدعائم الثلاث التي تركز عليها انطلاقة ثورة الفاتح نوفمبر 1954 في مسيرتها نحو الهدف المنشود. فالجزائر الإسلامية و الجزائر العربية و الجزائر الإفريقية أوجه ثلاثة متداخلة تعبر كل منها على مدى الزمن الثوري الأصيل و على الامتداد التاريخي و الجغرافي العميق لهذه الثورة، و هو رمز لا يمكن مناقشته بمعزل عن مناقشة تأكيد الجزائر لوجودها الحضاري كجزء من الأمة العربية و العالم الإسلامي كعضو رئيسي أصيل و فعال في جسم القارة الإفريقية، لقد تبلور هذا الرمز و اتسع نطاق تأثيره في عالم الأحداث مع تبلور معالم الثورة و امتداد هيبها إلى البلدان التي لا تزال ترزخ تحت الهيمنة الاستعمارية في كل من إفريقيا و آسيا بعد انعقاد مؤتمر باندونغ سنة 1955. لقد شكل مؤتمر باندونغ عاملا من العوامل الأساسية في اكتشاف جبهة التحرير الوطني الأهمية الأساسية للقارة الإفريقية لتطوير مشكل الاستعمار بقوة و بالطريقة التي انتهجتها الثورة غداة انطلاقتها وكان الهدف الذي ترمي إليه مزدوجا، و لا شك أن الحصول على دعم سياسي لنضالها التحريري من جهة و جر شعوب القارة ليخوضوا نفس الكفاح الذي تخوضه هي ضد الاستعمار الفرنسي سيما و أن الظروف كانت مواتية آن ذاك لهذه الشعوب لتطالب بحريتها و سيادتها كاملين بعيدا عن النفوذ الاستعماري فالهند الصينية قد نالت استقلالها ليتفرغ الاستعمار الفرنسي إلى مجابهة الثورة الجزائرية.

لقد أعطت هذه الأحداث زخما ثوريا للثورة الجزائرية فأصبح صدى هذه الثورة يتردد في كل شبر من القارة الإفريقية إذ تجاوبت معه معظم الشعوب الإفريقية و أضحت النضال الجزائري مثلا يحتذى به و مصدر إلهام لها خاصة إبان انعقاد العديد من المؤتمرات الإفريقية مثل: مؤتمر حزب التجمع الإفريقي في سبتمبر 1957 بكوتونو (الطوغو) الذي نادى بالاستقلال الوطني و بوحدة الشعوب الإفريقية تجاوبا مع النداء الذي وجهته جبهة التحرير الوطني آنذاك إلى الشعوب الإفريقية للتنديد بالاستعمار الفرنسي والعمل من أجل وحدة إفريقيا ، و هنا يظهر البعد الإفريقي للثورة الجزائرية الذي تجلى في أروع مظاهره و مختلف أشكاله و شتى مجالاته. و مؤتمر أوكرا عام 1958 الذي دعى إلى ضرورة مساندة الثورة الجزائرية.⁽¹⁾

¹- لعرج، (جبران)، المرجع السابق، ص 263.

و الحقيقة أن هذا البعد الذي أخرج الاستعمار و أيقظ الشعوب الإفريقية ما هو إلا تجسيد للنداء الذي أعلنته جبهة التحرير الوطني في فاتح نوفمبر 1954 و الذي لخص الأهداف الخارجية للثورة الجزائرية في ثلاث عبارات هي: تدويل القضية الجزائرية ، تحقيق الوحدة الإفريقية داخل إطارها الطبيعي العربي الإسلامي ، تأكيد عطفنا الفعال اتجاه جميع الأمم التي ساندت قضيتنا التحريرية و قد تأكد هذا البعد و تدعم في أول بيان أصدرته الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية عقب تشكيلها مباشرة سنة 1958 حيث جاء في البيان ما نصه بالحرف الواحد: "... في اللحظة الحاسمة من مصيرها -مصير القارة الإفريقية- فإن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تحيي شعوب إفريقيا و مدغشقر الذين تربطهما بالشعب الجزائري الآلام المشتركة و النضال ضد الاستعمار الفرنسي إفريقيايون و ملغاش و جزائريون سوف يتكاتفون لتحقيق الاستقلال و تنمية القارة الإفريقية" (1)

و قد قامت الحكومة المؤقتة بعد تشكيلها بحملة إعلامية دبلوماسية في معظم المناطق الإفريقية لكسب تأييدها و دعمها للثورة الجزائرية و استنهاض همم الإفريقيين لكسب راية النضال في وجه الاستعمار و نظامه العنصري من أجل تحقيق الحرية و السيادة لكل الشعوب الإفريقية.

و/ بعد الاستقلال:

جاءت السياسة الاستعمارية بشتى وسائلها و نتائجها بنتيجة عكسية إذ قامت بتفعيل الوعي في أوساط النخب السياسية و النضالية ضمن سياق الحركة الوطنية، التي اقتنعت بضرورة استبعاد الرهان على إمكانية التحضر للاستقلال ضمن دولة الاحتلال أو ما يسمى بالاستقلال الجزئي أو المنقوص، و هذا يعني "إلغاء نظام الحماية و كل أشكال الاستعمار، عبر التحرر و الاستقلال و استرداد السيادة الوطنية." (2)

و للوقوف على أهمية و مكانة بعد الاستقلال في الثورة الجزائرية علينا العودة نوعا ما إلى الوراء، و بخاصة إلى زمن الحركة الوطنية الجزائرية و الممثلة أساسا في حزب الشعب الجزائري لأنه ربما الوحيد الذي جعل من بعد الاستقلال هدفه الأول منذ نشأة نجم شمال إفريقيا.

لقد أبرز بعد الاستقلال محصلة مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر متمثلة في مسيرة النضال الوطني ضد الاحتلال الأجنبي، كما أبرز تعاقب مرحلة جديدة على صعيد الوعي بأهمية هذا الاستقلال للشعوب المضطهدة. فمثلا نجد حزب الشعب الجزائري من خلال بيان الشعب الجزائري سنة 1943 يدين النظام الاستعماري و يدعو إلى إلغائه و أكثر من ذلك فإنه يؤكد على ضرورة تطبيق حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها. (3) كما أن وثيقة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية المقدمة إلى مؤتمرها الثاني المنعقد بالجزائر أبريل 1954، "تعد من أكثر النصوص تمسكا بمبدأ الاستقلال و أعمقها تفكيراً فيه و دفاعاً عنه." (4)

1- بيان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية 1958.

2- امحمد، (مالك)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط 2، 1994، ص 407.

3- نفسه، ص 430.

4- نفسه، ص 437.

و كنتيجة حتمية لتطور مسار الحركة الوطنية و ازدياد وعي النخب السياسية بأهمية الاستقلال الوطني، جاءت موثيق الثورة مؤكدة عليه، بل جعلت منه الهدف الأسمى الذي أضحي تطبيقه من أولى الأولويات. فنجد في بيان أول نوفمبر التأكيد على هذا الهدف الذي أدرج على رأس قائمة الأهداف: "الاستقلال الوطني".⁽¹⁾

لقد كشف البيان حقيقة عن الهدف الأسمى و الأساسي للثورة الجزائرية و إعلان الكفاح المسلح، و حدده بالاستقلال الوطني بإقامة حكومة جزائرية ذات سيادة ديمقراطية و اجتماعية داخل إطار المبادئ الإسلامية. إقامة هذه الدولة يعني إجمالا إلغاء واقع الاحتلال و منظومته الاستعمارية في الجزائر.

أما فيما يخص مؤتمر الصومام لعام 1956 فقد أكد عنه الباحث سليمان الشيخ أن الأهداف التي حددتها وثيقته، هي نفس الأهداف التي حددها بيان أول نوفمبر، حيث يحملها فيما يلي:

● الاستقلال الوطني دون أي انتقاص حتى في الدفاع أو الدبلوماسية، و بالتالي رفض الحلول الوسطى و سياسة المرحلية.

● السيادة الكاملة على الأرض الوطنية، بما في ذلك الصحراء، و رفض كل مشاريع التقسيم.

● انبعاث الدولة الجزائرية في إطار جمهورية ديمقراطية اجتماعية، و التأكيد على الصفة التقدمية للثورة.⁽²⁾

هكذا اعتبر البعد الاستقلالي من أهم أولويات الثورة الجزائرية، فهو الذي سيجعل للكفاح التحرري تلك القيمة العظيمة، خاصة عند عامة الشعب الجزائري و الذين عاينوا سقوط الرعيل الأول كشهداء في ساحة المعارك. فكان ذلك بمثابة الدافع و المحرك الأساسي لعملية الجهاد التحرري ضد الاستعمار الفرنسي و أتباعه.

كما أن هناك أبعادا أخرى نذكر منها: البعد الشبابي في ثورة التحرير إذ أن الرعيل الأول من مفجري الثورة كانوا شبابا لا تتعدى أعمارهم الربع قرن. و المعلوم أن فترة الشباب عند الإنسان تمثل مرحلة القوة و العطاء، إذ بها و فيها يتقرر مصيره، و عليها يتوقف نجاح أو فشل حياته المستقبلية.⁽³⁾ و بهذا فإن الشبيبة من الأمة بمثابة فترة الشباب في حياة الفرد، فهي محركها الأساس، و طاقتها الدافعة إلى تحقيق الأهداف و الغايات.

فلقد أقبلت الثورة على الشباب الجزائري و أقبل الشباب عليها بمبادئها و أهدافها و قيمها و نظامها، و هو في حالة من الفراغ الذهني و المادي، مشتتا و حائرا، و صابرا منتظرا مترقبا، فجاءت الثورة لتمثل أفضل منقذ و معين و أضمن مخرج له،⁽⁴⁾ فأنجذبوا إليها بقوة، فصهرتهم و خلقتهم و صنعت منهم ثوارا واصلوا مسيرة الجهاد إلى النهاية.

لا تعد ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 ثورة تحريرية أو مجرد أحداث سياسية و عسكرية ضد الإمبريالية الفرنسية فحسب، بل هي ثورة ارتكزت على فلسفة خاصة ذات أبعاد مختلفة حضارية، عقديّة(عقائدية)، فكرية، ثقافية و إنسانية. و هي ثورة شعبية تحريرية ضد كل صنوف (أصناف) القهر و العبودية و الاسترقاق التي فرضتها الإمبريالية

1- ينظر نص البيان الملحق رقم 3، ص 364 .

2- سليمان، (الشيخ)، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، تر: محمد حافظ الجمالي، دار القصبية للنشر، الجزائر، ط 1، 2003، ص 92.

3- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 61.

4- نفسه، ص 62.

الفرنسية، حررت الشعب الجزائري بل و الإفريقي عموماً و أعادت له ثقته المفقودة بنفسه و وطنه، و أكدت للعالم أجمع عن أصالة هذا الشعب المستمدة من سيرورته التاريخية و مكوناته العرقية و الحضارية، التي انبثقت من شرعية مطالبه و إسلامية مبدئه.

الفصل الثاني: البعد الإسلامي و الروحي في موثيق الثورة الجزائرية و أدبياتها.

يقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن الثورة الجزائرية كانت ثورة شعبية في الأساس، "مدفوعة بعبارة "الله أكبر" و كلمة "الجهاد"، و حتى الذين فجروها كانوا مجهولين عند عامة الناس."⁽¹⁾ نعم لقد ولدت الثورة الجزائرية بدون أن

¹- أبو القاسم، (سعد الله)، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1996، ص 14.

يكون لها منظرين أو فلاسفة مثل بقية الثورات العالمية، فالثورة الفرنسية مثلا كان لها رويسبير (Robespierre) و الثورة الصينية قدم لها ماو تسي تونغ (Mao Tse-tung) ما قدم- هذا الطرح لا يعني غياب الفكر في الثورة التحريرية أو عدم امتلاكها لجذور فكرية- (1)، فاعتمدت الثورة التحريرية على القرآن الكريم و ما اشتق منه من عناصر الحضارة. (2) و في نفس الطرح يرى محمد حربي أنه وجدت داخل جبهة التحرير الوطني نزعات سلفية ذلك "أن سندهم القوي هو تلك الفئات الشعبية الحاملة بعصر الإسلام الذهبي الذي كان فيه العسل و اللبن يجريان أنهارا فالدين كان هو القاسم المشترك و نقطة اللقاء الوحيدة بين الثائرين على الوضع الاستعماري." (3) و عليه فقد أجمعت المثل العليا و مبادئ ثورة نوفمبر ما بين الثورة الإنسانية التي تتجلى في تعاليم الدين الإسلامي الحنيف،"الذي هو دين الإخاء و التسامح و مكارم الأخلاق و حب الوطن و الدفاع عنه و لو يقتضي الأمر الاستشهاد من أجله." (4) ، و مبادئ الكفاح المسلح و الثورة الفرنسية، و حق الشعوب في تقرير مصيرها وفقا لمبادئ الرئيس الأمريكي 'ولسون' (Wilson) و الشرعية الدولية.

ارتكزت الإيديولوجية الثورية على تراكمات و إخفاقات الثورات الشعبية المسلحة السابقة و الحركة الوطنية لتلج معركة التحرير بجبهة "قوية موحدة جامعة للإدارة الوطنية المخلصة." (5) ، و العمل تحت تعاليم القيادة الجماعية الملهمه عملاً بتعاليم الدين الإسلامي الذي يحث على الاتحاد و الوحدة و نبذ الفرقة و التشتت ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (6) و الارتكاز على قوة الجماهير الشعبية التي تعتبر بمثابة الماء الذي تعيش و تنمو فيه كل الثورات، فالثورات عبارة عن أسماك مياهها الطبقات الشعبية، كما أنها نار و قود اشتعالها الشعب. و عليه فقد كانت المبادئ الإسلامية التي انطلقت منها الثورة التحريرية و اعتمدت عليها طوال مسارها من الأسباب و الدوافع التي رغبت عامة الشعب في الالتحاق بها، و بخاصة الشباب، فوجدوا فيها ضالتهم، و تحمسوا لها، و ازدادوا اعتناقاً بها و تشبثاً بمبادئها لما رأوه فيها من مطابقة الأقوال مع الأفعال. (7)

يعتبر بيان أول نوفمبر 1954 أول نداء يوجه للشعب الجزائري من طرف جبهة التحرير الوطني، و الذي دعت فيه على ضرورة تحمل عبء الكفاح المسلح، و بينت فيه الشروط و حددت السوائل و الأهداف المرجوة من وراء هذه الثورة المباركة. لقد وضع بيان أول نوفمبر 1954 الأرضية الإيديولوجية للثورة، فأكد على ضرورة اختيار مبدأ

1- يرى الدكتور البخاري حمادة أن فكرة نوفمبر لم تكن بداية الفكرة الوطنية كالثورة التي تجسدت من خلالها، بل كانت بمثابة النتيجة الطبيعية لجهود فكرية و روحية وطنية متواصلة تمتد جذورها القريبة إلى اليوم الأول من الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830، و تضرب جذورها البعيدة في أعماق تاريخ الجزائر البعيد و تاريخ المقاومة التي قادتها ضد كل الحملات الاستعمارية التي ظلت تستهدفها، بسبب موقعها الاستراتيجي طيلة ذلك التاريخ. للمزيد حول موضوع الجذور الفكرية لثورة نوفمبر ينظر: الفصل الثاني من دراسة الدكتور الموسومة: فلسفة الثورة الجزائرية: البخاري، (حمادة)، فلسفة الثورة الجزائرية، دار النديم للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2012، ص 55-90.

2- أبو القاسم، (سعد الله)، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج4، ص 14.

3- محمد، (حربي)، المرجع السابق، ص 169-170.

4- محمد، (مجاود)، المرجع السابق، ص 17.

5- محمد، (مجاود)، المرجع السابق، ص 17.

6- سورة آل عمران، الآية 103.

7- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 64.

القيادة الجماعية التي من دونها يكون مصير الثورة مآله الضعف و الوهن مثل مصير معظم الثورات الشعبية السابقة، و في هذا يؤكد البيان على التحدث باسم الكتلة و الجماعة إذ جاء في بعض فقراته "أمام هذه الوضعية التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلا، رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لا تزال سليمة و مصممة." (1)

أولا: في بيان أول نوفمبر (2):

يعتبر بيان أول نوفمبر 1954 (3) أهم وثيقة إيديولوجية في وثائق الثورة الجزائرية، خاصة من ناحية البناء المستقبلي لدولة الاستقلال، و تعود هذه الأهمية مقارنة بوثيقتي الصومام و طرابلس إلى عدة أسباب و منها: أنها الأكثر تعبيرا عن التوجهات السائدة في المجتمع لأنها صيغت في ظروف كان أصحابها يحتاجون إلى اكتساب أغلبية الشعب إلى جانبهم عكس وثيقة طرابلس مثلا التي صاغتها فئة محدودة في ظروف صراع سياسي حاد بين مختلف القوى من أجل السيطرة على دواليب الحكم بعد الاستقلال.(4) و حول هذه الوثيقة يقول الأستاذ محمد جغابة يعتبر البيان "كنز وثائق الثورة التحريرية و مطلع أدبيات الحركة الوطنية بمختلف أطوارها..."(5)

يلاحظ القارئ لبيان أول نوفمبر أنه يضم ثلاثة محاور أساسية، أحدها ظرفي، و أصبح اليوم جزءاً من التاريخ، و يتمثل في الإشارة إلى العوامل و الظروف التي دفعت أصحاب البيان إلى إشعال فتيل العمل المسلح، أما المحور الثاني فيتعلق بالصراع مع الاستعمار و وضع الشروط الواجب توفرها لأي تفاوض مع السلطة الاستعمارية، أما المحور الثالث الذي يبقى سائر المفعول حتى بعد استرجاع الاستقلال، فهو الجزء المتعلق بالأهداف المستقبلية للثورة، و بعبارة أدق مبادئ و أسس الدولة الوطنية،(6) و التي جاءت في البيان بالصيغة التالية:

"الهدف: الاستقلال الوطني و ذلك بواسطة: أولا: إقامة حكومة جزائرية ذات سيادة ديمقراطية و اجتماعية داخل إطار المبادئ الإسلامية. ثانيا: احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز بين الأجناس و العقائد."(7) غير أن السيدة جينية مصالي

1- أنظر الملحق رقم 3 ، ص 364 : بيان أول نوفمبر 1954.

2- تجدر الإشارة هنا إلى أن بيان أول نوفمبر لا يعتبر الوثيقة الوحيدة التي تم تحريرها بهدف الإعلان عن الثورة التحريرية ، بل تم تحرير بيانين في آن واحد حملتا عنوان جيش التحرير الوطني و جبهة التحرير الوطني. و يذكر الأستاذ رابح بلعيد أنه باستثناء الوثائق الأولى التي صدرت في أوائل نوفمبر 1954 عن الوفد الجزائري بالقاهرة لم يشر أي من المصادر الرسمية التي ظهرت من ذلك الحين إلى الإعلان الخاص بجيش التحرير الوطني، و على العكس من ذلك أصبح إعلان جبهة التحرير الوطني - بيان أول نوفمبر التاريخي- أسطورة لدرجة إنه يعتبر الآن بمثابة روح حدث أول نوفمبر 1954 التاريخي. ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 224-225.

3- عهد صياغة البيانين: بيان جبهة التحرير الوطني (الذي أصبح يعرف ببيان أول نوفمبر التاريخي)، و بيان جيش التحرير الوطني، إلى كل من محمد بوضياف و ديدوش مراد. و من أجل حل المشكلة الفنية المتعلقة بتصحيح البيانين من حيث قواعد اللغة، ثم كتابتهما بالالة الراقنة، و سحبهما ، و رأى قادة الثورة - كما يذكر الأستاذ رابح بلعيد- أنه من الضروري الاستعانة بصحفي جزائري شاب يدعى محمد العيشاوي، و اما كان هذا الأخير مخلصا لمصالي الحاج، فكان لا بد من اختطافه في 22 أكتوبر 1954، حيث خطفه الرقيب أو عمران. ثم سلمه إلى كريم بلقاسم الذي اقتاده بدوره إلى قرية إيغيل ايمولا في منطقة القبائل حيث كانت آلة السحب مخبأة، حتى لم يعد للعيشاوي بد من أن يقدم مساعده الفنية. ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 224.

4- رابح، (لونيس)، دراسات حول إيديولوجية و تاريخ الثورة الجزائرية، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط2، 2012، ص 331 صفحة، ص79.

5- محمد، (جغابة)، بيان أول نوفمبر دعوة إلى الحرب، رسالة للسلم، قراءة في البيان، دار هومة، الجزائر، 1999، ص 167 صفحة، ص 13.

6- رابح، (لونيس)، دراسات حول إيديولوجية و تاريخ الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 80.

7- يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، المرجع السابق، ص 11.

تخالف هذا الطرح إذ ترى أن البيان لم يقدم إلى الشعب الجزائري برنامج الحكومة المستقبلية و لا مشروع مجتمع، بل قدم له فقط هدف عسكري.⁽¹⁾

و رغم كل هذا نجد أن هناك إشارات لمبادئ و أسس أخرى واردة في البيان كسيادة الأمة و مقومات الهوية و دوائر الانتماء.

1/ مبادئ الدولة الوطنية: الجذور الفكرية و المضمون:

يحتوي بيان أول نوفمبر 1954 عدة مبادئ أساسية يجب أن تقام على أساسها الدولة الوطنية و هي: الجمهورية- الديمقراطية و الحريات- العدالة الاجتماعية- سيادة الأمة- السيادة التامة للدولة- المبادئ الإسلامية كإطار للدولة- الوحدة المغاربية في إطار انتماء عربي و إسلامي.⁽²⁾

● **الجمهورية:** بديهي لأن الجزائريين قد تدربوا على هذا النوع من الحكم إذ لم تكن هناك أسرة مالكة و حاكمة.

● **الحريات الديمقراطية:** يظهر في ديمقراطية اجتماعية أي حكم الشعب.

● **العدالة الاجتماعية:** تحقيق ترقية على المستوى المعيشي و الاقتصادي.

● **مبادئ الإسلام كإطار للدولة:** معناه ترك الباب مفتوحا على مصراعيه لكل اجتهاد و الاستعانة بأفكار و تجارب الدول الأخرى شريطة عدم تناقضها مع المبادئ و الأصول و مقاصد الإسلام.

● **أبعاد الهوية و دوائر الانتماء الثلاث في البيان:** استهدف صناع الثورة في البيان تحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطارها الطبيعي العربي الإسلامي.

● **مبدأ السيادة في البيان:** تبين القراءة السطحية للبيان، أنه لا يحتوي على أي إشارة إلى مبدأ سيادة الأمة، و نجد فيه إشارة إلى سيادة الدولة أي الاستقلال التام. لكن المتمعن الدقيق يقرأ بين السطور و يستنبط مفهوم سيادة الأمة، من خلال جملة في البيان "أنتم الذين ستحكمون لنا أو علينا"⁽³⁾ ، و معناه أن للشعب و الأمة السيادة التامة في الحكم على أعمال و أفعال صائغو البيان.

¹- Djanina,(Messali- Benkelfat),op.cit, p 191.

²- رابع،(لونيس)، دراسات حول إيدولوجية و تاريخ الثورة الجزائرية،المرجع السابق،ص 88.
³- يحي،(بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1،المرجع السابق، ص 10.

و مهما خضنا في تحليل البيان و فهم معانيه و استنباط أحكامه، يبقى النص "نموذج فريد من نوعه في إنتاج و أدبيات الحركة الوطنية [و الثورة] بما يحمله من قيم و أخلاقيات و مواقف و بما يحدد و يعرف من مبادئ لا زالت صالحة إلى اليوم." (1)

2/ البعد الإسلامي في بيان أول نوفمبر:

إن الدارس لبيان أول نوفمبر، من حيث المحتوى و المضمون يدرك أن من صاغوا فقراته و هجؤوا كلماته تحملوا المسؤولية التاريخية لإعلان الكفاح المسلح ضد الامبريالية و بغية تصفية النظام الاستعماري الذي طالما ظل كابسا على أنفاس الجزائريين، إذ عبر البيان بصراحة أن الثورة التي يدعو لها فهي موجهة "ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى، الذي رفض أمام وسائل الكفاح السلمية، أن يمنح أدنى حرية." (2)

عند قراءة و تحليل أي وثيقة تاريخية يجب الوقوف على أمرين اثنين ألا و هما: الناحية الشكلية للوثيقة و مضمون الوثيقة. و قبل الخوض في هذا الأمر يجب التنبيه إلى أن وثيقة البيان كتبت باللغة الفرنسية أولا ثم ترجمت إلى اللغة العربية فيما بعد، لذلك نجد الكثير من الاختلافات في عنوان الوثيقة ما بين البيان أو الإعلان أو النداء أو التصريح علما أن العنوان باللغة الفرنسية جاء تحت اصطلاح (Proclamation). (3) و كذلك هناك بعض الاختلافات حتى في ترجمة النص الكامل للبيان.

غابت في نص البيان البسملة و هي جملة "بسم الله الرحمن الرحيم" التي هي عبارة عن افتتاحية المخاطبة بين المسلمين، و قد تتعدى ذلك إلى كونها جملة جامعة تجمع المسلمين و تؤلف بينهم على حد تعبير الأستاذ محمد جغابة. و عند تحليلنا لهذا الموقف يمكن أن نعود إلى الممارسات السابقة أثناء الحركة الوطنية إذ في معظم الأحيان لم يتم تدوين هذه البسملة في برامج و أدبيات الحركة الوطنية عموما. و عن هذا يذكر الأستاذ محمد جغابة أن "الممارسة المشهودة في صفوف حزب الشعب الجزائري، و هنا لنا أن نذكر و نتذكر بأن في نظام هذا الحزب، تفتتح كل الاجتماعات و كل اللقاءات الرسمية بالبسملة غير أن الممارسة تظهر أن البسملة فد تغيب عند البعض بصفة عفوية عند اشتداد الحماس و لكن دون أن تكون لهذا التغييب أية خلفية و مرجعية عقائدية." (4) و ربما كان غياب البسملة مجرد سهو أو خطأ من الأخطاء، أو تم إسقاطها في عملية السحب.

و مهما كان الأمر حول غياب البسملة حرفيا فإنها موجودة ضمنا و هذا لا يمكن أن ينكره أي دارس أو محلل للوثيقة، و في هذا فإن مطلب الاعتناق و التحرر الذي نادى به البيان هو واجب ديني يتجسد في شكله العملي لا القولي، و على حد قول الأستاذ جغابة: "...لأن مطلب الإعتناق واجبا ديني يتجسد عملا لا قولاً مجرداً و أن الأحكام الشرعية هي أعمال و الأعمال بالنيات، لا تتوقف على فهم مبادئ فلسفية لا يصلها إلا ذوي المعرفة بأركانها و أنصار النقاشات الطويلة اللامتناهية." (5)

1- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 20.

2- ينظر نص بيان أول نوفمبر في الملحق رقم 3 ص 364 .

3- للمزيد حول الموضوع ينظر: محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 28-35.

4- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 38.

5- نفسه، ص 39.

كما لا يمكننا أن ننسى أو نتناسى أن محرري البيان كان التزامهم بالدين الإسلامي التزاما كيانيا لا يمكن لنا التشكيك فيه، فهو التزام نزيه منزه عن كل فعل انتهازي. كما أن البيان - حسب تعبير الأستاذ جغابة- يمكن اعتباره كله بسملة لأن الإدراك الطبيعي و النضالي تغلب على عبادة الأصنام بكل أنواعها و أشكالها، و من هنا فغياب البسملة مهما كان سببه، ماديا كان أم سهوا، لا يندرج في قالب إيديولوجي.(1) و على حد تعبير الشيخ الفضيل الورتلاني فإن من صاغوا البيان قد كتبوا البسملة بدمائهم، في صفحة الجهاد الطويلة العريضة.(2)

بداية يتوجه البيان " إلى الشعب الجزائري"(3) دون تمييز في ذلك بين الكبير و الصغير، أو العامل و البطال، أو المثقف و الأمي، داعيا الكل إلى الالتفاف حول القضية الوطنية و التمسك بجبل الثورة و الجبهة و هذا ربما يذكرنا بالتمسك بدين الله و حبله المتين مصداقا لقول العزيز الحميد في كتابه الكريم: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(4) و في هذا التوجه الإقرار بأن الشعب الجزائري هو الوحيد صاحب القرار لأن قضية تحرير الجزائر هي قضية جميع الشعب لا جزء منه فقط. كما كذلك تعني دعوة الشعب إلى رفض الوصاية التي مورست عليه من قبل النظام الكولونيالي و من قبل زعماء الحركة الوطنية في وقت من الأوقات، و التأكيد على إرجاع السلطة إلى صاحبها الشرعي الطبيعي بعدما اغتصبها الأوروبي و القايد.(5)

إن هذه الوحدة الشعبية، ما كان لها لتحقيق، و لأول مرة في تاريخ الجزائر الوسيط منه و الحديث و المعاصر، و على يد تلك القيادة الثورية بالذات، لو لم تكن هذه الأخيرة ملتحمة بعمق الجماهير و بواقعها المأساوي الاستعماري الذي لم يعد تربطها به أي علاقة سوى علاقة القوة.(6) و بهذا فقد نُجحت جبهة التحرير الوطني أيما نجاح في تحقيق فكرة الشعبية في "الميدان لمواجهة العدوان" (7) الفرنسي الذي طال و لم يعد يحتمل ضره.

نعم هذا النداء موجه بالدرجة الأولى إلى الشعب الجزائري الذي طالما منع من ممارسة حقه كشعب طيلة فترة القرن و ربع القرن من زمن الاحتلال، فهذا النداء هو تصحيح - كما قال الأستاذ جغابة- لهفوات الماضي و استنتاج عبره، هي رفض لفكرة الأبوية و التوكيل و الرجوع إلى وضع لا يمكن لأي أحد إنكاره أو تجاهله... ".(8) و بهذا استحباب القدر الذي لم يكن له الخيار سوى أن يستجيب لتطلعات الشعب و إرادته، و هذا على حد قول الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي: إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر.

كذلك فإن اعتماد جبهة التحرير الوطني على هذا العنصر الشعبي له دلالاته الواضحة في كونه العنصر الفعال و الحاسم في إي صراع مع الاستعمار. ذلك أن الشعب هو عنصر التفوق البارز في أي معركة تجمع الأمة مع الاستعمار، وبهذا فهو "يمثل حجر الزاوية في كل دراسة جادة لتاريخ الثورة الجزائرية."(9)

1- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 39.

2- الفضيل، (الورتلاني)، المرجع السابق، ص 177.

3- ينظر نص بيان أول نوفمبر الملحق رقم 3 ص 364 .

4- سورة آل عمران، الآية 103.

5- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 43.

6- البخاري، (حمانه)، فلسفة الثورة الجزائرية، دار النديم للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2012، 346 صفحة، ص 246.

7- محمد، (زروال)، المرجع السابق، ص 39.

8- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 43.

9- محمد، (زروال)، المرجع السابق، ص 63.

ثم يتوجه البيان مخاطبا كل "المكافحين في سبيل القضية الوطنية." (1) من أجل أن تتحمل النخب الطلابية مسؤوليتها أمام الشعب و التاريخ، و تتفاعل مع أحداث الثورة بل و تشارك فيها بالقدرة المتوفرة لها. و هكذا فقد عمل البيان بهذه العبارة على توحيد كل المناضلين الوطنيين دون تمييز حزبي أو إيديولوجي، بل تكريسا لمبدأ الوحدة الضرورية التي توحد و تلملم الشتات الذي أحدثته الصراعات و التعرات الحزبية أيام الحركة الوطنية. و هذا ما أكده الأستاذ جغابة عندما تطرق لتحليل هذه العبارة إذ يقول: "عند تحليل عبارة المناضلون من أجل القضية الوطنية يظهر بوضوح اهتمام محمري البيان في توحيد صفوف كل المناضلين و تجاوز الانقسامات و التشتت." (2)

لقد استطاعت هذه العبارة أن تفعل فعلها السحري في النفوس و الضمائر الوطنية الحية بأن وحدت الرؤى و الأفكار تحت مسمى الفعل الثوري التحرري الذي يناشد و يناجي الاستقلال و التحرر. فراحت الجموع من المناضلين المخلصين الوطنيين من مختلف التيارات و الأحزاب تتدافع لتكون بذلك الطلائع الأولى و الخزان النضالي للثورة الجزائرية فتحول بذلك الشتات و التشرذم إلى قوة واحدة تهدف إلى تحقيق النصر و قبله تجسيد قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (3)

و من خلال هذه العبارة و على حد تحليل الأستاذ جغابة ينكشف للدارس سر نجاح الانتشار الواسع و السريع للثورة الجزائرية إذ كان الالتحاق بصفوف جيش و جبهة التحرير الوطني شخصيا خاليا من أي شرط و قيد و دون انتماء حزبي أو إيديولوجي، بل وفقا لنداء أول نوفمبر و فكرة الاستقلال و التحرر.

و يجب التنويه بجهود قيادة الثورة التي أعلنت الكفاح المسلح ضد الهيمنة الامبريالية التي جاءت كبديل لقنوات المقاومة السياسية السلمية السابقة، و التي ظلت تيارات الحركة الوطنية متمسكة بها و معتقدة في نجاعتها لحل المشكل الجزائري، مستمدة شرعيتها من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف الذي بارك الخيار السلمي في مصداق قوله تعالى: ﴿وَأِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (4) ، غير أن المستدمر تنكر لكل الحقوق المشروعة للشعب الجزائري.

و عليه فإن تبني خيار العمل العسكري و الكفاح المسلح جاء كضرورة حتمية لا مناص منها لسياسة و آليات فرنسا القهرية، و التي فرضتها طبيعة الاستعمار و عقيدته المتبناة بالجزائر، الذي سلك طريق القمع و سبل الإجرام و الهدر لكل حقوق الإنسان الجزائري، و المتتبع لأحداث فترة الاحتلال بكل دقة و موضوعية لا يسعه إلا أن يحكم بأن تاريخه في الجزائر حافل بمشاهد إجرامية و قمع فظيع كان مخرجه مجرماً من الطراز الأول.

و قد شكل هذا الصراع ضد العدو الوحيد للشعب الجزائري ألا و هو الاستعمار فقد أكد البيان على "أن حركتنا وفقا للمبادئ الثورية ليست موجهة ضد أحد إلا الاستعمار الذي هو عدونا الوحيد الأعمى الذي رفض دائما أن يمنحنا أدنى

1- هناك اختلافات في الترجمة فمثلا: الأستاذ يحي بوعزيز يذكر عبارة إلى "المكافحين في سبيل القضية الوطنية"، ينظر: يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، المرجع السابق، ص 10-13. بينما الأستاذ جغابة فيذكر عبارة "أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية"، ينظر: محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 43.

2- نفسه، ص 44.

3- سورة الأنفال، الآية 46.

4- سورة الأنفال، الآية 61.

حرية بوسائل الكفاح السلمي"⁽¹⁾ ، مرحلة جديدة شكلت القطيعة مع كل ممارسات الماضي، لكن في تواصل مستمر للمبادئ و القيم، و تجدر الإشارة إلى أن القطيعة لم تغلق باب التوبة لكل من أراد مراجعة نفسه و حساباته و العودة إلى جادة الصواب. و بهذا فقد فتحت الثورة الباب أمام مصراعيه لكل من أراد أن يجدد التوبة وفق ما تنص عليه الشريعة الإسلامية، بأن يطلق ممارسات الماضي العقيمة التي لم تنفع لا الشعب و لا الوطن، و هذا وفق قاعدة "عفا الله عما سلف"⁽²⁾ و من هنا يتضح أن البيان حتى و لم يعلن ذلك صراحة فقد تضمن مبدأ التوبة و الرجوع إلى جادة الصواب بأن يندم كل شخص عن ممارساته السابقة و يلتحق بجهة التحرير الإطار الموحد لكل الشعب الجزائري، و هذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾⁽³⁾ و قد أكد في هذا الصدد الأستاذ جغابة على أن الأحداث لاحقا برهنت على سلامة هذا التوجه و صواب الفكرة، فبعد "التردد جاءت العزيمة و بعد الأحزاب جاءت جبهة التحرير الوطني"⁽⁴⁾

و عليه جاء البيان و من ورائه فلسفة نوفمبر لتؤكد، و استنادا إلى عقيدة شعبها الإسلامي، إن الإنسان أي كان، و أينما كان، و لد كرما و حرا، و هذا ما جاءت تؤكد الآية الكريمة في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁽⁵⁾ و أن الآخر مثلا في الاستعمار بصورة خاصة، و في كل الأشكال التسلطية بصورة عامة، هو الذي عمل، و لا زال يعمل على سلبه تلك الكرامة و تلك الحرية.⁽⁶⁾

لا يمكننا أن نمر مرور الكرام دون التوقف عند عبارة "جبهة التحرير الوطني"⁽⁷⁾ فماذا تعني هذه العبارة؟ و ما المقصود من وراء تأسيسها؟ إنها جبهة عريضة تضم في طياتها كل الوطنيين المخلصين للقضية الوطنية، جبهة لا تقصي أحدا ترحب بالجميع شريطة أن يوافق عمل المنتسب إليها و نشاطه أهداف الثورة و طموحاتها. جبهة وطنية تريد - بحسب ما جاء به الأستاذ جغابة - أن تغير الإحباط الذي أصاب أنصار الحرية و تحوله إلى شحنة جهادية متجددة بالقضية الوطنية.⁽⁸⁾

إن هذه الجبهة التي تتسع للجميع تهدف إلى اجتثاث الاستعمار من جذوره و القضاء عليه نهائيا من أجل استرجاع السيادة الوطنية المسلوقة، و تحرير كامل التراب الوطني دوما التفريط في شبر من الأرض الجزائرية. أي عبارة الوطني يقصد بها الجزائر كلها جنوبا و شمالا، شرقا و غربا، لا تساوم بشبر من مساحتها.⁽⁹⁾ فهنا التأكيد على الجزائر الواحدة التي لا يمكن تجزئتها بأي شكل من الأشكال.

1- ينظر نص بيان أول نوفمبر الملحق رقم 3 ص 364 .

2- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 53.

3- سورة النساء، الآية 17.

4- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 53.

5- سورة الإسراء، الآية 70.

6- البخاري، (حمادة)، المرجع السابق، ص 248-249.

7- ينظر نص بيان أول نوفمبر الملحق رقم 3 ص 364 .

8- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 54.

9- نفسه، ص 54.

تجلت معالم إنسانية ثورة نوفمبر المستمدة - لا شك- من سماحة الإسلام، في أهدافها الخارجية و التي تعرض إليها البيان في ذكره لمختلف وسائل الكفاح السلمية، و هذا من خلال "و العمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله، و ذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين".⁽¹⁾

و يتجلى تمسك قيادة الثورة الجزائرية بالحل السلمي للقضية الوطنية من خلال النص الصريح للبيان الذي يدعو إلى تلافي العنف "وتحاشيا للتأويلات الخاطئة و للتدليل على رغبتنا الحقيقة في السلم"⁽²⁾ هكذا و رغبة منها في تحقيق السلم ميدانيا و فعليا قدمت لفرنسا وثيقة و دعتها للجلوس إلى طاولة المفاوضات من أجل حل الصراع سلميا وفقا للمواثيق و الشرعية الدولية، على أسس الاعتراف بالسيادة الوطنية و الوحدة الترابية و الشعبية. فبيان أول نوفمبر هو نداء صريح للسلام و ما العمل المسلح إلا وسيلة حتى لا يفهم الاستعمار أن نداء السلام هو استسلام.⁽³⁾ و الجدير بالذكر أن جبهة التحرير الوطني أعلنت في بيانها عن اتجاهها السلمي نحو الأقليات الأوروبية، و أبرزت آليات ضمان حقوقها من خلال الممارسة الحرة لحقوق المواطنة و الواجبات التي وضعت على كاهلها لكل الفرنسيين الذين سيتخذون من الجنسية الجزائرية خياراً لهم، فقد عبر البيان عن ذلك بما يلي: "جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية و يعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين بما لهم من حقوق و ما عليهم من واجبات".⁽⁴⁾ و المتمعن في هذه السياسة يدرك القاعدة الفقهية التي استمدت منها جبهة التحرير الوطني هذا الخيار الاستراتيجي، و هي الحفاظ على أهل الذمة و حمايتهم في كثير من الأحيان.

و عليه فإن الأوروبيين لهم حق الاختيار بين المواطنة الجزائرية و بين الحفاظ على جنسيتهم، و في كلتا الحالتين سيعيشون تحت سماء الجزائر عيشة راضية محترمة مصانة فيها كرامتهم محترمة فيها حقوقهم. و هذا هو أصل التعامل في الشريعة الإسلامية التي تحافظ على حياة الذمي و ماله مقابل دفعه الجزية.

و من خلال هذا يتضح جلياً للعيان أن بيان أول نوفمبر "لم يكن دعوة للعنف الانساني، بل دعوة للسلم و حفظ و حماية حقوق الإنسان-التي كفلها الإسلام- بغض النظر عن جنسه أو عقيدته".⁽⁵⁾ فقد أكدت الثورة الجزائرية على النزعة السلمية لكفاحها المهادف إلى إعادة بعث الدولة الجزائرية المبنية على احترام كرامة و حقوق الإنسان، و الدفاع عن جلّ القيم النبيلة من حرية و عدالة و مساواة بين الشعوب دون تمييز عرقي أو جنسي أو ديني.

الدارس و المحلل لوثيقة بيان أول نوفمبر 1954 يمكنه أن يستخلص و ببساطة مبادئ أساسية و دعائم منها:

- النظام الجمهوري كإطار للحكم.

- الحريات الديمقراطية كأسلوب للحكم.

1- ينظر نص بيان أول نوفمبر الملحق رقم 3 ص 364 .

2- ينظر نص بيان أول نوفمبر الملحق رقم 3 ص 364 .

3- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 56.

4- ينظر نص بيان أول نوفمبر الملحق رقم 3 ص 364 .

5- سامية، (خامس)، البعد الإنساني في الثورة الجزائرية، الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، الملتقى المغاربي يومي 11 و 12 جوان 2003، إشراف محمد مجاود، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، 2005، 279 صفحة، ص 43.

- العدالة الاجتماعية كواقع للشعب.

- السيادة المطلقة و الكاملة للدولة و الأمة.

- الانتماء الأمازيغي العربي الإسلامي للشعب الجزائري.

- مبادئ الإسلام كحيز وعائي للدولة.

نص بيان أول نوفمبر على ضرورة "إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية".⁽¹⁾ ، و هو في ذلك يفتح باب الاجتهاد الإسلامي على مصراعيه من جديد، و أما فيما يخص مبدأ الإسلام كإطار للدولة فإنه - و حسب رأي الأستاذ رابح لونيبي - يقصد به تلك الممارسات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية في إطار مبادئ الإسلام العامة التي أجمع عليها المسلمون. و عليه فإن بيان أول نوفمبر لم يمنع من إمكانية تبني أي تجربة في الحكم أو الاقتصاد أو في تسيير شؤون السكان و المجتمع أو في أي مجال آخر، ما دام هذا لا يتناقض و المبادئ العامة للإسلام، كما أنه قد فتح الباب أمام مختلف شرائح المجتمع دون إقصاء أي طرف. إن بيان أول نوفمبر الذي يعتبر نقلة نوعية في إيديولوجية الحركة الوطنية لم يناقض مبدأ الديمقراطية، لأنه "يتمكن أي توجه إيديولوجي أن يجد مكانته في هذا الإطار الإسلامي، بما فيه الماركسيين ما دام يدعون إلى العدالة الاجتماعية و خدمة الكادحين".⁽²⁾

و لأن الإسلام يعتبر أحد أهم الركائز و الدعائم الأساسية للمجتمع الجزائري، ذلك أنه كان عاملاً لتوحيد الجزائريين رغم اختلاف و تباين أصولهم و مشاربهم السياسية، فإذا كان سكان المغرب الأوسط خاصة و بلاد المغرب عامة قد حاربوا أفواج الفاتحين الأوائل، و وقفوا لهم موقف المدافع عن أرضه و عرضه، مما دفعهم إلى إرسال البعثات الواحدة تلو الأخرى، و هنا يبرز الدور الفعال الذي لعبته شخصيات كثيرة من أمثال 'كسيلة' و 'الكاهنة' في التصدي للفتاحين.

غير أنه بمجرد تعرف السكان على حقيقة هذا الدين و أدركوا كنهه، و تعرفوا على مبادئه السامية، فإنهم اعتنقوه و دافعوا عنه إلى آخر رمق من حياتهم، بل أكثر من ذلك فقد ساهموا في نشره،"و لعل دور طارق بن زياد في فتح بلاد الأندلس و من رافقه من البربر إلا دليل قاطع على ذلك".⁽³⁾ و هذا و قد أضحت بلاد المغرب أرضاً خصبة لنمو و انتشار الأفكار و الحركات السياسية التي ظهرت من قبل في المشرق العربي، و بهذا فقد كان بلاد المغرب الأوسط مسرحاً لبروز أول دولة خارجية في العالم الإسلامي، المتمثلة في الدولة الرستمية عام 144 هـ، كم للسكان "دور كبير في دعم ظهور الدولة الفاطمية بعد احتضان قبيلة كنامة البربرية للدعوة الشيعية بزعامة أبو عبد الله الشيعي".⁽⁴⁾

1- ينظر نص بيان أول نوفمبر الملحق رقم 3 ص 364 .

2- رابح، لونيبي)، إيديولوجية الثورة الجزائرية بين النظرية و التطبيق، المرجع السابق، ص 100.

3- محمد، (بوشنافي)، البعد الديني في ثورة التحرير الجزائرية، الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 157.

4- نفسه، ص 157.

هذا و قد تواصل تمسك و تشبث الجزائريين بالدين الإسلامي مع مرور الوقت، حيث شكل رافداً أساسياً و جوهرياً في توحيد الجزائريين داخلياً، و في التصدي للأخطار الخارجية التي كانت الجزائر عرضة لها، بل و قد أضحي الإسلام من أهم الأسباب التي رمت الجزائريين في أحضان الدولة العثمانية، و دفعت بهم إلى التحالف مع العثمانيين، و ذلك بدافع محاربة الغزو الأوروبي و رفع راية الجهاد في المتوسط. و عليه فقد شكلت الفترة العثمانية التي لم تتعدى ثلاثة قرون مرحلة هامة لتمسك السكان بالإسلام بسبب الغارات و الحملات الصليبية ضد ما أسمته الدول الأوروبية آنذاك بالقرصنة البحرية، كما تبرز مظاهر التدين الجزائري في هذه المرحلة، بانتشار ظاهرة الزوايا و الطرق الصوفية، التي أصبحت تتدخل حتى في الأمور السياسية، و كان من ذلك أن المرابطين ساهموا في توطيد الحكم العثماني بالجزائر، غير أنهم سرعان ما انقلبوا على العثمانيين و أعلنوا الثورة ضدهم في أواخر العهد العثماني.⁽¹⁾

و على هذا الأساس فقد أوضح البيان بكل دقة فكرة الممارسة في إطار المبادئ الإسلامية، التي تختلف اختلافاً بينياً مع فكرة الممارسة انطلاقاً من الإسلام، التي تبحث عن الحلول كلها في الإسلام، أما الفكرة الأولى فتبحث عن الحلول لكل المشاكل في إطارها الإسلامي أي ترك مجال الإبداع و الاجتهاد و الاستعانة بأفكار و تجارب الأمم الأخرى، ما لم تتناقض هذه التجارب مع الأصول العامة و مقاصد الشريعة الإسلامية، و هذا ما أكدده الأستاذ رابح لونيبي في دراسته حيث يقول: "...فإن العمل في إطار المبادئ الإسلامية يختلف عن القول بالانطلاق من الإسلام في كل شيء، لأن هذا القول الأخير معناه البحث عن مختلف الحلول الدنيوية في الإسلام، و هو عادة ما يفرض العودة إلى التراث الفقهي... أما القول ب إطار المبادئ الإسلامية فمعناه ترك الباب مفتوحاً على مصراعيه لكل اجتهاد..."⁽²⁾

و بهذا يمكننا أن نقول أن بيان أول نوفمبر حل مشكلة التوفيق بين الأصالة و المعاصرة. يؤكد الباحث محمد بوشناني في هذا الصدد بأن بيان أول نوفمبر 1954 قد حدد مجموعة من الأهداف الداخلية و الخارجية، منها "إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة في إطار المبادئ الإسلامية."⁽³⁾ فهي بذلك دولة ذات طابع اجتماعي تخضع للمبادئ الإسلامية باعتبار أن الإسلام يشكل المرجع الأساسي للمجتمع الجزائري. و في نفس الصدد يؤكد الأستاذ جغابة أن الدولة الجزائرية المستقلة بحسب البيان هي "دولة مسلمة موحدة لأن تبنى المبادئ الإسلامية لا يستثني روح التسامح و التعايش، بحث أن هذه الدولة ستضمن الحريات الفردية دون تمييز عرقي أو ديني."⁽⁴⁾

استطاعت الثورة الجزائرية بإيديولوجيتها أن تجلب الحلول الناجمة ليس فقط للتخلص من الاستعمار، بل حملت في طياتها ثورة فكرية لكل العالم الإسلامي. و أكثر من ذلك حمل البيان بين ثناياه حوار الحضارات والأديان عندما لم يستثن أحداً من العملية لأن الدولة الجزائرية المستقبلية ستضمن الحريات الفردية دون تمييز عرقي أو ديني.

جاء صراحة في البيان عبارة "احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز بين الأجناس و العقائد."⁽⁵⁾ و لعل هذا يؤكد اعتماد الثورة على مبدأ احترام جميع الحريات الأساسية في وقت لم تتحمل الدول العظمى مسؤوليتها اتجاه هذا المبدأ و

1- محمد، (بوشناني)، المرجع السابق، ص 158.

2- رابح، (لونيبي)، دراسات حول إيديولوجية و تاريخ الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 104-105.

3- محمد، (بوشناني)، المرجع السابق، ص 159.

4- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 62.

5- ينظر نص بيان أول نوفمبر الملحق رقم 3 ص 364 .

لم تحترم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948، بما في ذلك فرنسا الدولة التي لطالما ادعت احترامها لحقوق الإنسان.

كذلك فإن اعتماد هذا المبدأ هو "دعوة للرأي العام العالمي و الرأي العام الفرنسي و الفكر الفرنسي الذي كان يفتخر بأن فرنسا هي بلد حقوق الإنسان و الحرية و المساواة و الأخوية، مبادئ أنكرت للمستعمرات." (1) و عكس فرنسا الاستعمارية فقد أثبت البيان أن الحريات الأساسية غير قابلة للإقصاء و التمييز فلا فرق في ذلك بين مسلم و مسيحي و يهودي في الحقوق و الوجبات كما جاء في العبارة التالية: "جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء في الجزائر يكون لهم الحق في أن يختاروا بين البقاء على جنسيتهم الأصلية الجارية و في هذه الحالة يعتبرون أجناب تجاه القوانين الجارية و بين الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون مواطنين جزائريين لهم ما لكل جزائري من حقوق و واجبات." (2)

لقد جاء في البيان في الأهداف و المرامي الخارجية تدويل القضية الجزائرية، عن طريق جعلها جزءا لا يتجزأ من الحركة التحررية التي ظهرت في إطار صراع القطبية الثنائية التي أفرزها واقع الثنائية الإيديولوجية بعد الحرب العالمية الثانية. و قد جعلت الثورة هدفها هو إسماع صدى الثورة و صوت الجزائر في المحافل الدولية خاصة في منظمة هيئة الأمم المتحدة. كما كان الفضاء العربي الإسلامي المجال الخصب لهذه الحركة، فتعريف الثورة الجزائرية "كان يعتمد أساسا على المناخ التضامني المطلق بحيث أصبح كل عربي مناضلا رافعا شعارات الثورة عبر المناطق العالمية التي كانت علاقتنا بها غير متوفرة بالقدر الكافي." (3) هذا ما جعل القضية الجزائرية تبرز بشكل ملحوظ في المنابر و المحافل القارية و الجهوية مثل: مؤتمر باندونغ 1955. (4)

كما جاءت النظرة الوحدوية في البيان في عبارة "تحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطارها الطبيعي و هو العروبة و الإسلام." (5) التي اعتمدت على معطيات حضارية و ثقافية و انتمائية و معطيات التضامن الاستراتيجي للمعضلة التحررية. لقد خلق بيان أول نوفمبر من خلال هذه الوحدة التي تتناسب و ما جاءت به الشريعة الإسلامية، "مرجعية تضامنية أعطت للتصور الوحدوي الروحي و الثقافي و المصيري دفعا جديدا" (6) و أصبحت من خلاله الشعوب العربية و الإسلامية ترفع لواء مناصرة القضية الجزائرية ماديا و معنويا و تسمع صوت الثورة الجزائرية في مختلف المنابر إيماننا منها أن المصير الواحد كما هو الرب واحد، و هذا مصداقا لما جاء في كتاب الله عز و جل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (7) و ربما لا يوجد أكثر من نصرة المستضعفين كخير يقدم لهم في ساعة العسرة، فما بالك إذا كان هذا المستضعف تحت استغلال احتلال أجنبي و مسيحي المعتقد (الكافر) فسيكون ذلك من باب أولى. و لعل أبرز أمثلة

1- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 63.

2- ينظر نص بيان أول نوفمبر الملحق رقم 3 ص 364 .

3- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 70.

4- انعقد ما بين 18 إلى 24 أبريل 1955، و لم تشارك الجزائر في مؤتمر باندونغ بوفد مستقل يمثلها، و إنما ضمن وفد مشترك يمثل الدول المغربية الثلاث. و يعتبر مؤتمر 'باندونغ' أول انتصار دولي تحرز عليه جبهة التحرير الوطني، إذ استطاع ممثلوها التحرك بحرية مطلقة "ضمن وفد المغرب العربي الكبير، و أن يتمكنوا من إقناع أغلبية الوفود المشاركة بعدالة القضية الجزائرية." ينظر: الزبير، (محمد العربي)، تاريخ الجزائر المعاصر (1962/1954)، ج2، المرجع السابق، ص 39.

5- ينظر نص بيان أول نوفمبر الملحق رقم 3 ص 364 .

6- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 73.

7- سورة المائدة، الآية 02.

عن ما حققه هذا الفعل الوحدوي هو تلك الملتقيات و التجمعات التضامنية التي راحت تدعم الثورة الجزائرية في مختلف أنحاء العالم.(1)

يلاحظ من خلال هذا أن الثورة الجزائرية هي ثورة عربية إسلامية تستمد جذورها من التراكبات التاريخية للشعب الجزائري، و تبرز ذلك الترابط بين البعد الديني و البعد الوطني(2)، و "بعبارة أخرى أن فكرة الجهاد أخذت مفهومين: الجهاد في سبيل الله و الجهاد في سبيل تحرير الوطن." (3) فالثورة الجزائرية ترى بأنه لا يوجد أي فرق بين الدين و الوطنية باعتبار أن غايتها الأسمى هي تحرير البلاد و العباد من سيطرة استعمارية كافرة. فمحاربة الاستعمار اتخذت طابعين متداخلين: طابع ديني يتمثل في جهاد الكافر، و طابع وطني يتمثل في تحرير البلاد و العباد و استرجاع مقومات الشخصية الوطنية، و بطبيعة الحال فكلا المبدئين جمعهما الإسلام في معنى "النصر أو الاستشهاد"(4) و حب الوطن من الإيمان كما يقال.

و مهما قيل عن البيان و هذه حقيقة لا ينكرها أي باحث في كون أن الوثيقة لم تستعمل الخطاب الديني، فإنها بالمقابل كذلك لم تلجأ إلى اعتماد لغة الخطاب التي كانت سائدة في زمن الحركة الوطنية، بل أكثر من ذلك فقد تبرأت من كل وصاية و زعامة و ميولات شخصية أو أهوائية قيادية و أرجعت الأمور إلى مجراها الطبيعي بأحادية الهدف المتمثل في الاستقلال و أحادية العمل المتمثل في الكفاح التحرري "غير أن هذه الأحادية هي ذات طابع اجتماعي لا تقصي أحدا بل على العكس تدعو الجميع للالتحاق بها"(5) فأصبح بذلك العامل الديني و الطابع الديمقراطي أداة ضبط للعمل الثوري من خلال تغليب روح الحق و الجماعة على روح السيطرة الحزبية أو الطبقية أو الأتوقراطية.(6) و هذا امتثالا لتعاليم الدين الإسلامي الذي يحث المسلم على التزام الجماعة، لأن الذئب لا يأكل إلا من الغنم القاصية، و إحقاق الحق نصرة للمظلوم ﴿فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(7) و عموما فقد عمدت جبهة التحرير الوطني لإعادة بعث الدولة الجزائرية لعام 1830، المبنية على مبادئ الشريعة الإسلامية.

و قد عمد صانعو البيان- و ربما هذا نوع من الإستراتيجية المتبناة لكسب أكبر قدر من المناضلين و المتعاطفين مع الثورة- على تنوع المبادئ لكي تلقى "إجماع أغلب التيارات السياسية آنذاك، فكان بإمكان أن تجدد كل القوى الإيديولوجية و الاجتماعية نفسها في هذا البيان، و يمكن أن تختلف فقط في أولويات و ترتيب تلك المبادئ." (8)

1- لمزيد من التفاصيل حول هذه المؤتمرات ينظر: لعرج،(جبران)، الثورة الجزائرية وعلاقتها بالمغرب الأقصى 1954-1962، المرجع السابق، من ص 107 إلى ص 208.

2- يرى العديد من الباحثين في حقل التاريخ بضرورة التفريق بين الدين و الوطنية في الحركة الوطنية، و يذهبون إلى اعتبار المقاومة الشعبية التي امتدت طيلة الفترة ما بين 1830 و العشرينيات من القرن العشرين عبارة عن مقاومة دينية محضة قادتها الطرق الصوفية و الزوايا تحت لواء جهاد الكفار و النصاري، أما بالنسبة للوطنية في معتقدهم فلم تظهر إلا خلال العشرينيات، أي مع تأسيس جمعية نجم شمال إفريقيا عام 1926 بالمهجر، و ربما هذا القول يوجد ما يناقضه كون أن الحركة الوطنية ظلت على مدار العهد الاستعماري تعتمد إلى حد كبير على الدين كمقوم أساسي و داعم لها و لأفكارها.

3- محمد،(بوشناق)، المرجع السابق، ص 160.

4- أحمد،(بن نعمان)، المرجع السابق، ص 65.

5- محمد،(جغابة)، المرجع السابق، ص 35.

6- نفسه، ص 35.

7- سورة الأعراف، الآية 118.

8- رابح،(لونيبي)، دراسات حول إيديولوجية و تاريخ الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 111.

و عليه فقد استطاعت الثورة التحريرية و عبر البيان أن تؤكد على أن الطاقة الروحية هي العامل الأساسي في كسب النصر و إحراز الاستقلال.

ثانيا: في بيان جيش التحرير الوطني لأول نوفمبر 1954:

كما أسلفنا ذكره فإنه في الاجتماع الحسم الخاص بالثورة التحريرية تم تحرير بيانين، أحدهما خاص بجهة التحرير الوطني و هو الذي سيعرف صيتا كبيرا و سيعتبر إلى غاية اليوم بمثابة بيان الثورة التحريرية و أحد أهم موثيقها الأساسية، و هو بيان أول نوفمبر، أما البيان الثاني الخاص بجيش التحرير الوطني الموجه للشعب الجزائري فقد أهمل لأسباب تبقى مجهولة لحد الساعة. (1)

إن فكرة إضفاء كل الشرعية على بيان أول نوفمبر 1954 هو الذي دفع بنا إلى ضرورة إدراج البيان الثاني في هذه الدراسة و الوقوف على بعض ما جاء فيه.

هذا هو البيان الثاني (2) الذي تمخض عن الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954 :

من جيش التحرير الوطني الجزائري إلى الجزائر المسلمة (3)

أيها الشعب الجزائري....

مثلما حطمت الشعوب المستعمرة قيود الذل و الاضطهاد، و مثلما كافح إخوانك في تونس و مراکش أولئك الذين تربطك بهم قرون من التاريخ و الحضارة و الآلام يجب ألا تنسى لحظة واحدة أن مستقبلنا جميعا واحد، و لذلك فإنه لا يوجد أي داع لكي لا نوحده و لا نجتمع و لا نشد من أزر كفاحنا. إن خلاصنا واحد و تحريرنا واحد، و إن العمل على تجزئة القضية المغربية عمل ينافي واقع التاريخ الذي يعود إلى سنة 1830 و بسبب شقاء الجميع.

و فضلا عن هذا يجب أن نفكر قليلا في الحياة المشينة التي تعيشها، حياة المستعمر المغلوب على أمره الذي أصبح فوق أرضه و في وطنه في حالة مخجلة خادما تستغله حفنة من أصحاب الامتيازات يمثلون الطبقة المسيطرة الحاكمة، و يمتازون بالأناية التي لا تبحث إلا عن منفعتها وراء ستار المدنية و التقدم ستار الكذب و الخديعة.

فاذكر أيها الشعب بعض التواريخ لنعرف هذه المدنية و ذلك التقدم ! اذكر سنة 1830 و ما حدث فيها من جرائم و نهب باسم حق القوى- و اذكر سنة 1870 و ما تبعها من مذابح و اعتداءات على الأملاك ذهب ضحية لها آلاف الجزائريين و اذكر سنة 1945 و الخمسة و الأربعين ألف شهيد- و اذكر سنة 1948 و الانتخابات

1- يرى الأستاذ رابح بلعيد أن محمد بوضياف و زملاؤه لم يكونوا مهتمين بالأسلوب اللغوي للإعلان الخاص بجيش التحرير الوطني الموجه للشعب الجزائري بقدر اهتمامهم بالأسلوب اللغوي للإعلان الخاص بجهة التحرير الوطني- بيان أول نوفمبر - المعد لجذب انتباه الأوروبيين ، و البعثات الأجنبية في الجزائر، و يدفعنا هذا الأمر إلى الافتراض بأنهم أرادوا إقناع الأخيرين بأن قادة الثورة الجزائرية ليسوا من الوطنيين المتعصبين، و لكنهم مجموعة من الرجال الذين تشربوا الثقافة الغربية. و الأكثر دلالة من ذلك أن زعماء اللجنة الثورية للوحدة و العمل كان من رأيهم أن الإعلان الخاص بجهة التحرير الوطني كان من الوجهتين التاريخية و السياسية أهم بكثير من الإعلان الخاص بجيش التحرير الوطني، لدرجة إنه يستحق أن يسمى الإعلان التاريخي للثورة الجزائرية. ينظر: رابح، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 224-225.

2- الثاني هنا لا نقصد بها في المرتبة الثانية أو لاحقا زمنيا لبيان أول نوفمبر بل جاء متزامنا معه في نفس اللحظة.

3- لقد أورد الأستاذ بسام العسلي هذا البيان الذي وضعه تحت عنوان بيان من جيش التحرير الوطني في الفاتح من نوفمبر- تشرين الثاني- 1954، غير أن نصه يختلف و بشكل كبير عن البيان الذي جاء به الأستاذ رابح بلعيد، إذ لا يحتوي البيان سوى على فقرتين بينما نجد في كتاب رابح بلعيد يحتوي على ست فقرات. و أظن أن ما جاء به الأستاذ العسلي هو عبارة عن ملخص عن البيان لا أكثر. و للمقارنة بين البيانين ينظر البيان الذي سقناه هنا و البيان الذي أوردته الأستاذ العسلي في: بسام، (العسلي)، الله أكبر.. و انطلقت ثورة الجزائر، دار النفائس، الجزائر، ط2، 1986، ص 100-101.

المزيفة و ما تبعها- و اذكر سنة 1950 و المؤامرة الشهيرة التي دبرت فيها- و انظر كيف أن العدالة و الديمقراطية و المساواة ليست إلا كذبا و خديعة يستعملها الاستعمار لمخادعتك و دفعك يوما فيوما إلى الشقاء الذي عرفته و أدركته.

فإذا أضفنا إلى كل هذه المحن فشل جميع الوسائل التي استعملت حتى اليوم بقي لك أن تؤمن بضرورة استعمال طرق أخرى في الكفاح، و لذلك و نظرا لخطورة الساعة فإننا ندعوك إلى ترك الاستسلام و رفع راسك لاستعادة حريتك بدمائك الزكية أن تعمل جنبا لجنب مع إخوانك في غرب الجزائر و شرقها أولائك الذين يجازفون بحياتهم لكي يحيا وطنهم حرا.

و إننا لنعلم علم اليقين ما تستطيع أن تقوم به من كفاح، و لكننا نريد أن نوجه نظرك قبل كل شيء إلى طريق العمل لفائدة قوات التحرير التي أقسمت اليمين المقدس لتضحية كل شيء في سبيلك:

1. حافظ على هدوء أعصابك و حافظ على النظام و لا تترك للفوضى منفذا لتدخل صفوفك فيستغلها العدو.

2. إن الواجب يحتم عليك مساعدة إخوانك المجاهدين بكل الوسائل.

3. كن يقظا منتبها فإن العدو يراقب و ينظر إلى جميع حركاتك لكي يتمكن من مضايقتك.

4. حذار من البلاغات المزيفة و من الأكاذيب و من الفساد و من الوعود التي لا يقصد منها إلا توجيهك إلى طريق غير التي سطرها لنا ديننا الحنيف و واجبنا الوطني.

و في الختام فإن كل غفلة تتسبب في عدد من الضحايا، و لذلك لا تضيع الوقت و اشرع في تنظيم عملك بجانب قوات التحرير التي يجب أن تقدم لها المساعدة و المعونة و أن تحميها في كل وقت و في كل مكان، فإنك بخدمتها تخدم قضيتك.

إن عدم المبالاة بالكفاح جريمة و مضايقة عمل المكافحين خيانة، و أنّ الله مع المجاهدين من أجل القضايا العادلة و لا تستطيع قوة أن تصدهم سوى الموت في ميدان الشرف و المجد أو التحرير القومي.

يحيا جيش التحرير..

تحيا الجزائر المستقلة...

الجزائر في 1954/10/30 - 1374/3/3 (1)

1/ البعد الإسلامي في البيان:

جاء البيان تحت عنوان "من جيش التحرير الوطني الجزائري إلى الجزائر المسلمة" أي هو صادر من هيئة الجيش الذي ولد مع ميلاد الثورة التحريرية، و موجه إلى الجزائر المسلمة التي حددها بذلك و أكد على انتمائها للأمة الإسلامية، تمييزا لها عن فرنسا و عن الأمة الأوروبية التي لا طالما ادعت فرنسا أنها جزء منها. و هذا لأن الأمة

¹- رابع، (بلعيد)، المرجع السابق، ص 644-645-646.

الإسلامية التي الجزائر جزء مهم فيها هي خير أمة و أحسن أمة من هذه الأمة المسيحية التي عاثت في الأرض فسادا، و هذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (1)

ثم يتوجه النداء إلى الشعب الجزائري بعبارة "أيها الشعب الجزائري" دون أن يميز في ذلك بين الرجل و المرأة، الكبير و الصغير، أو العامل و البطال، أو المثقف و الأمي، أو البدوي و المتحضر داعيا الكل إلى الالتفاف حول القضية الوطنية و التمسك بجبل الثورة التحريرية و هذا ربما يذكرنا بالتمسك بدين الله و حبله المتين مصداقا لقول العزيز الحميد في كتابه الكريم: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (2) و في هذا التوجه الإقرار بأن الشعب الجزائري هو الوحيد صاحب القرار لأن قضية تحرير الجزائر هي قضية جميع الشعب لا جزء منه فقط. كما كذلك تعني دعوة الشعب إلى رفض الوصاية التي مورست عليه من قبل النظام الكولونيالي و من قبل زعماء الحركة الوطنية في وقت من الأوقات، و التأكيد على إرجاع السلطة إلى صاحبها الشرعي الطبيعي بعدما اغتصبها الأوروبي و القايد. (3)

ثم يتحدث البيان عن الوحدة المغاربية في قوله: " و مثلما كافح إخوانك في تونس و مراکش أولئك الذين تربطك بهم قرون من التاريخ و الحضارة و الآلام يجب ألا تنسى لحظة واحدة أن مستقبلنا جميعا واحد، و لذلك فإنه لا يوجد أي داع لكي لا نوحده و لا نجتمع و لا نشد من أزر كفاحنا." و في هذا تأكيد على وحدة التاريخ و وحدة المصير و الحث على توحيد العمل و الجهد للخلاص من الاستعمار لأن في الوحدة و رص الصفوف قوة النجاح و ابتعاد عن الوهن و الضعف، و هذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (4)

ثم يسرد البيان بعض الوقائع و الأحداث التي حدثت في تاريخ الجزائر منذ أن وطأت أقدام الاستعمار الفرنسي أرضنا، فيذكر سنة 1830 مثلا و سنة 1870 و ما تبعهما من مجازر و مذابح في حق الشعب الجزائري الأعزل. ثم يبين أن العدالة و الديمقراطية و المساواة التي لطالما تغنت بها فرنسا ما هي إلا شعارات جوفاء لا تسمن و لا تغني من جوع، فهي كما أكد البيان: "... و انظر كيف أن العدالة و الديمقراطية و المساواة ليست إلا كذبا و خديعة يستعملها الاستعمار لمخادعتك و دفعك يوما فيوما إلى الشقاء الذي عرفته و أدركته."

ثم يستطرد البيان ليؤكد على فشل كل الوسائل السابقة من مقاومة شعبية مسلحة و حركة وطنية سياسية على مختلف مشاربها؛ التي طالبت بالاستقلال أو التي طالبت بالمساواة و الإدماج أو الإصلاحية، مما جعلنا نقف أمام باب مسدود لا يفتحه سوى استعمال قوة السلاح و الكفاح. و بهذا يطالب البيان بعدم الاستسلام و رفع الرأس لانتزاع الحرية بالدماء الزكية، لأن الاستسلام لقوة أجنبية تعادي الملة الإسلامية هو جبن و تخاذل و ضعف، و هذا مصداقا لقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالِكُمْ﴾ (5)

1- سورة آل عمران، الآية 110.

2- سورة آل عمران، الآية 103.

3- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 43.

4- سورة آل عمران، الآية 103.

5- سورة محمد، الآية 35.

ثم يقوم البيان بتوجيه الشعب الجزائري نحو طريق الكفاح و العمل لفائدة قوات التحرير التي أقسمت اليمين المقدس لتضحية كل شيء في سبيله، و اليمين المقدس هو الحلف على المصحف بالجهاد في سبيل الله و في سبيل تحرير الجزائر. كما أسدى البيان للشعب الجزائري جملة من النصائح تساعد في إنجاح العمل المسلح، و منها: الحفاظ على الهدوء، و التحلي باليقظة، و الحذر من البلاغات الزائفة التي سيعتمد عليها الاستعمار الفرنسي في إطار الحرب النفسية. و أكد عليه بضرورة مساعدة المجاهدين في قوله: "إنّ الواجب يحتم عليك مساعدة إخوانك المجاهدين بكل الوسائل." و استعمال لفظ **المجاهدين** له دلالة تاريخية بالعودة إلى جهاد الأجداد و الآباء للاستعمار الفرنسي ضمن المقاومات الشعبية المسلحة، و قبل ذلك جهاد المسلمين من الرعيل الأول بغية نصره و نشر الإسلام في العالم. و لفظ دلالة الدينية إذ سمى الله سبحانه و تعالى الساعين في سبيل نصره الإسلام و نشره و الذود عن حماه بالمجاهدين و هذا يظهر في كثير من الآيات الكريمة، ففي قوله تعالى مثلاً: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (1)

و في الأخير يحذر البيان بعدم المبالاة بالكفاح باعتباره جريمة و مضايقة عمل المكافحين خيانة، و يذكر "أن الله مع المجاهدين من أجل القضايا العادلة"، و بالطبع من كان الله معه فهو المنتصر لا محالة، و هذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (2)

ثم يختم البيان بعبارة "يحمي جيش التحرير، و تحيا الجزائر المستقلة" و بتأريخه بتاريخ 30 أكتوبر 1954 الموافق لـ 1374/3/3 هـ.

ثالثا: في وثيقة مؤتمر وادي الصومام:

بعد أن تخلصت الثورة الجزائرية من كثير من الصعاب و المشاكل و تحطت العراقيل و العقبات، و بسبب توافر جملة من الظروف الداخلية و الخارجية تهيأت الفرصة لانعقاد مؤتمر وطني، منها اتساع مجال الثورة خاصة بعد هجمات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955، و اجتماع أول نوفمبر 1955 بدوار بني صبيح (3)، و تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين بتاريخ 24 فبراير 1956 و التحاق الطلبة بالثورة بعد إضراب 19 ماي 1956. (4) و بعد مشاورات عديدة (5) وقع الاختيار النهائي أن ينعقد المؤتمر (1) في قرية إيفري داخل غابة جبال أكفادو

1- سورة النساء، الآية 95.

2- سورة النساء، الآية 76.

3- بعد أحداث 20 أوت 1955، عاد مسؤولو المنطقة الثانية إلى مواقعهم، و قام كل واحد منهم بتقييم ما جرى في هذه الانتفاضة، استعدادا لاجتماع دعا إليه زيغود يوسف في أول نوفمبر من نفس السنة، في المكان المسمى بدوار بني صبيح. و قد حضر الاجتماع حوالي 400 مجاهد بين مسؤولين و جنود، و هذا بغرض دراسة النقاط لآتية: استعراض نتائج 20 أوت 1955، و تقييم النشاط السنوي 1954/1955. للمزيد حول الموضوع ينظر: أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 132-133..

4- سعد، (طاعة)، دور النواب المسلمين في الحياة السياسية بالجزائر 1947-1956، المرجع السابق، ص 350.

5- يذكر الأستاذ مبروك بلحسين أن عبان رمضان بعد هجمات الشمال القسنطيني، أوفد كل من عمارة رشيد و مزهودي إبراهيم إلى منطقة الشمال القسنطيني لربط الاتصالات و التعرف على الوضعية و مشاوره زيغوت يوسف حول بعض المواضيع. ثم بعد فترة أرسل محفوظ بنون من قبل زيغوت و بن طوبال إلى العاصمة حاملا رسالة إلى عبان التي ذكر فيها و لأول مرة فكرة مؤتمر وطني. للمزيد حول الموضوع ينظر: Mabrouk (Belhocine), Le courrier Alger- le Caire 1954-1956 et le Congrès de la Soummam dans la Révolution, op.Cit, p 49-50.

جنوب غرب مدينة بجاية على الضفة الغربية لوادي الصومام و ذلك على امتداد عشرة أيام من 14 إلى 23 أوت 1956.(2)

لقد أصبح المؤتمر مبررا لعدة دواعي أخرى كتعقد مهمات المعركة المسلحة (3) التي تبنتها الجماهير عبر أغلب التراب الوطني فالصيغ التنظيمية للزيادة من فاعلية العمل السياسي و العمل العسكري أصبح أكثر من ضرورة ملحة للمرحلة القادمة.(4)

و ابتداء من 20 أوت دخل القادة في اجتماعات مضيقة لمناقشة المواضيع (5) التي تتخذ بشأنها قرارات و التي صادق عليها المؤتمرين بإجماع في آخر أيام المؤتمر.(6)

و من هنا كان الإجماع لبلورة خطة محكمة حسب نظر المؤتمرين تشكل انطلاقة جديدة للعمل الثوري و تتلخص في ما يلي:

- أولوية السياسي على العسكري.

- أولوية الداخل على الخارج.

- نبذ السلطة الفردية.

- مبدأ التسيير الجماعي.

- وضوح الهدف: الاستقلال الوطني.

¹ - جاء انعقاد المؤتمر بعد جهود طويلة قام بها كل من عبان رمضان وزبيغود يوسف بدأت في شتاء 1955 ، وانتهت في صيف 1956 ، ويمكن القول بأن الروايات المختلفة حول الشخصية التي كان لها السبق في الدعوة إلى عقد اجتماع بين قادة الثورة تصبح في مجموعها ذات أهمية نسبية، لأن تلك المبادرة لم تكن سوى بعث لفكرة الاجتماع التي افترق عليها مفجروا الثورة في الأسبوع الأخير من أكتوبر 1954. ولكن أهميتها تصبح بالغة عندما ندرك أن تطورات حرب التحرير تجاوزت الكثير من حسابات وتقديرات المجموعة الأولى من القادة إلى درجة أنه لم تعد هناك أدنى مؤشرات تسمح لأي مؤرخ حتى بمجرد الزعم بأنه كانت هناك نوايا في اتجاه جمع وتوحيد صفوف الثورة قبل منتصف عام 1955 ، وفي هذا السياق تصبح مبادرة عبان رمضان التي لقيت تأييد زبيغود يوسف ذات دلالة على انبعاث النشاط الثوري المنظم بعد فترة عصبية مرت بها الثورة في عامها الأول. للمزيد ينظر: عبد النور، (خيثر)، المرجع السابق، ص 146.

² - إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، 309 صفحة، ص 104.

³ - لم يكن السعي نحو عقد المؤتمر يسيرا فقد تطلب تحضيرا مكثفا واستشارات واسعة مع بعض قادة المناطق ومع الوفد الخارجي، و لجأ كل من عبان و بن مهدي و بن خدة إلى مجموعة من المناضلين الذين التحقوا بصفوف الثورة بعد الانطلاقة بهدف إعداد نصوص الأرضية السياسية التي عرفت ببرنامج الصومام ، والتي قدمت للمناقشة خلال جلساته التي استمرت من 20 أوت إلى 04 سبتمبر 1956. وكان أبرز عناصر تلك المجموعة التي أشرفت على إنجاز تلك الأرضية عمار أوزقان و عبد المالك تمام و عبد الرزاق شنتوف و محمد البجاوي. للمزيد ينظر: عبد النور، (خيثر)، المرجع السابق، ص 146.

⁴ - إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة ، المرجع السابق، ص 104.

⁵ - لقد تم تناول النقاط التالية: 1/ أسباب و موضوع الاجتماع. 2/ تقديم عرض حال حول: الجانب التنظيمي: التقييم، الهياكل، مراكز القيادة و الجانب العسكري: العدد، الوحدات، تشكيلها، الأسلحة و الجانب السياسي: الحالة المعنوية للمجاهدين و الجماهير الشعبية. 3/ الأرضية السياسية. 4/ التوحيد في المجالات: النظامية: التقسيم، الهياكل، التقلات، مراكز القيادة و العسكرية: الوحدات، الرتب، النياشين، الأوسمة، المرتبات، المنح العائلية و السياسية: المحافظون السياسيون و مهامهم و الإدارية: المجالس الشعبية. 5/ جبهة التحرير الوطني: الجانب العقائدي. القانون الأساسي. النظام الداخلي. هيكلية القيادة: المجلس الوطني للثورة، لجنة التنسيق و التنفيذ. 6/ جيش التحرير الوطني: المصطلحات (مجاهد، مسبل، فدائي). دور الجيش في المرحلة الراهنة: توسيع دائرة المعارك و العمليات، و تصعيد الهجومات. 7/ العلاقة بين جبهة التحرير و جيش التحرير. و علاقة الداخل بالخارج (تونس، المغرب، فرنسا). 8/ العتاد. 9/ رزنامة العمل سياسيا و عسكريا. الوسائل المادية. إيقاف القتال. المفاوضات. هيأت الأمم المتحدة. حكومة مؤقتة. 10/ شؤون مختلفة. ينظر: أحمد، بن نعمان، المرجع السابق، ص 135.

⁶ - إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق ، ص 104.

- وحدة الشعب بدون تمييز.

- الحركة الوطنية، صنع الجميع.

- القضاء النهائي على حب الشخصية و الزعامية.

- مكافحة المناوئين للاستقلال و مكافحة الشعارات الانحرافية.

- ضرورة الإستراتيجية و تكريس كل الطاقات لجهة الكفاح المسلح.

- الثورة منظمة و ليس تمردا أو عصيانا أو انتفاضة فوضوية.

- إفلاس الأحزاب السياسية.

- الكفاح الوطني لتحطيم النظام الاستعماري و ليست حربا دينية أو عرقية.

- انبعاث دولة جزائرية في شكل جمهورية ديمقراطية اجتماعية.

- تطابق العمل الثوري مع القانون الدولي.

- تجنيد منظم لكل الطاقات الوطنية و الأجنبية المحبة للسلام و المعارضة للفكر الاستعماري و الإمبريالي.⁽¹⁾

لقد زود المؤتمر جبهة و جيش التحرير الوطني بهياكل تنظيمية و بيان سياسي يحدد الأهداف و الوسائل فأنشأت لجنة للتنفيذ و التنسيق، و هيئة عليا هي المجلس الوطني للثورة.⁽²⁾ و كما يذكر الأستاذ 'سطورا'(Stora) فقد غير هذا المؤتمر وجه الثورة الجزائرية.⁽³⁾ بل و أكثر من ذلك على حد تعبير الأستاذ خيشر فقد "أخرج مؤتمر الصومام الأداء الثوري من مرحلة المبادرة الفردية إلى مرحلة العمل الجماعي الموجه، وألغى ميزة الاستقلال الذاتي التي تمتعت بها المناطق التاريخية الخمسة و قيادة الوفد الخارجي عندما تمكن من إخضاع كل الأطراف إلى قيادة وطنية مركزية اتخذت من العاصمة مقرا لها . كما التفت المؤتمر نحو إحداث تغيير كبير في التنظيم العسكري لجيش التحرير الوطني الذي تم تحويله إلى جيش نظامي دون أي تغيير في تركيبته الاجتماعية أو في شروط الانخراط فيه، فإلى جانب تحديد التراتبية في المناصب العسكرية

1- محمد،(جغابة)، المرجع السابق، ص 97-98.

2- يعود اقتراح إنشاء كل من المجلس الوطني للثورة و لجنة التنسيق والتنفيذ خلال جلسات الصومام إلى عيان رمضان، الذي أشار على رفاقه بضرورة وضع هيتين قياديتين للثورة تكون إحداهما ذات سلطة تشريعية و الأخرى تنفيذية خاضعة لها. و يعرف المجلس الوطني للثورة الجزائرية بأنه كان " برلمان الثورة " بالنظر إلى الصلاحيات التشريعية التي أوكلت إليه في الإشراف على الأداء السياسي والعسكري للثورة، وتضع النصوص التشريعية للثورة هذا المجلس في أعلى مستويات قيادة الثورة الجزائرية في الفترة الممتدة من 1956/ 1962، لأنه كان " حامي السيادة الوطنية " و هو الهيئة التي تمثل " القيادة العليا لجبهة التحرير الوطني " وصاحب الحق الوحيد في تقرير السلم أو مواصلة الحرب، و كان أيضا الهيئة الوحيدة التي يمكنها الإشراف على الهيئة التنفيذية. أما لجنة التنسيق والتنفيذ فهي أول جهاز تنفيذي مركزي ملتحقا ومتسقا مع المجلس لمنع التداخل والغموض اللذين كانا يميزان الأداء السياسي والعسكري في مختلف مستويات القيادة. ويمكن أن نقرأ الأهداف المتوخاة من وراء تأسيس تلك اللجنة من تسميتها التي جاءت للاستجابة لضرورتين أساسيتين كان النشاط الثوري يفتقدتهما في مرحلة الانطلاقة، ونقصد بهما التنسيق بين المناطق و مع الخارج، والمبادرة بتنفيذ التوصيات و القرارات الذي كان يتم اتخاذها من طرف قادة الثورة. للمزيد ينظر: عبد النور، (خيثر)، المرجع السابق، ص 157-165.

3 -Benjamin,Stora,Histoire de la guerre d'Algérie(1954-1962),op.cit,p 36.

كما أسلفنا فإن وثيقة الصومام كانت موجهة للرأي العام الأوروبي، و لهذا فقد عمد من صاغوها إلى عدم الإشارة إلى الدين الإسلامي، كي لا تجعلها فرنسا حجة و ذريعة لتأليب الرأي العام الأوروبي و المسيحي عموماً ضد الثورة الجزائرية. و إذا اعتبرنا أن مؤتمر الصومام قد تخلى حقيقة عن المبادئ الإسلامية، فلماذا لم يغفل عن هذه المبادئ خلال تنظيمه للثورة سياسياً و عسكرياً و قضائياً و اجتماعياً، إذ نوه بضرورة إنشاء المحاكم الإسلامية التي ستحل محل المحاكم الفرنسية مثلاً؟.

تقع هذه الوثيقة في 11 صفحة مضروبة على الآلة الراقنة، من مقياس 21 × 27⁽¹⁾ يضاف إليها صفحة الغلاف التي كتب في سطرها، و في أعلى الصفحة الأولى على اليمين كذلك، الشعار التالي:

جبهة التحرير الوطني الجزائري

هيئة التنسيق و التنفيذ

و عنونها: أوامر و تعليمات⁽²⁾

سنحاول في هذا العنصر من دراستنا أن نحلل نص وثيقة مؤتمر الصومام لمعرفة الخطاب الذي كتبت به، و محاولين الإجابة عن التساؤل التالي: هل تضمن نص وثيقة الصومام ما يدل على البعد الإسلامي أم انحرف عن ما جاء به بيان أول نوفمبر في هذا الصدد؟

هناك العديد من المصطلحات التي ذكرتها الوثيقة تتعلق أساساً بالدين الإسلامي و مستمدة من وحي الشريعة الإسلامية نذكر منها: "المجاهد" و "المجاهدين" و "الجهاد"، فجاء مصطلح "المجاهد" في: "... و أنواع الجنود الثلاثة و وظائفهم و هم: المجاهد، و المسبل، و الغدائي".⁽³⁾ و كذلك في " و أدوات التجميل هي وحدها التي يتكفل بها المجاهد بشرائها بنفسه، و كل ما عداها فهو في كفالة الجيش. " و في عبارة " ... عن إذاعة أوامر جبهة التحرير الوطني و مكاتبتها مثل: " المجاهد".⁽⁴⁾ و كذلك في عبارة: " ... يجب على المجاهد أن لا ينسى أبدا الأمر الرئيسي الذي يقاتل من أجله. " ⁽⁵⁾ و في عبارة: " و يجب على ضباط جيش التحرير الوطني أن يعاقبوا عقاباً شديداً كل مجاهد ارتكب أعمالاً جائرة مع الشعب. " ⁽⁶⁾ و في عبارة: " ... توضع رخصة إجازة كلما حصل مجاهد على إجازة،... رئيس المسبلين في البلدة التي قصدها المجاهد... و إن ارتكب المجاهد هفوة أثناء إجازته قدم به رئيس المسبلين تقريراً عن طريق المراتب ... " ⁽⁷⁾

1- الملاحظ أن الوثيقة كتبت أصلاً بالفرنسية، ثم ترجمت إلى العربية حسبما يبدو من أسلوبها، و بها تعابير و ألفاظ، قد لا تتوافق مع قواعد اللغة العربية، كما أن بها أسماء فرنسية لقرى جزائرية. أنظر: يحيى، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، 187 صفحة، ص 15.

2- أدرج الأستاذ يحيى بوعزيز نص الوثيقة كاملاً في كتابه ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، 187 صفحة، ص 14-28.

3- يحيى، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، المرجع السابق، ص 15.

4- يحيى، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، المرجع السابق، ص 21.

5- نفسه، ص 23.

6- نفسه، ص 23.

7- نفسه، ص 27.

أما مصطلح "المجاهدين" فقد ورد في: "المنح العائلي: كل المجاهدين الذين لهم عائلات يتكفلون بالتصرف عليها لهم إعانات شهرية تقدم إليهم،... و المسبلون و الفدائيون يقبضون إعانات على أساس واحد مع المجاهدين إذا ما قاموا بالأعمال ك (30 يوما من 30). " و كذلك في عبارة: " و الأسرى و عائلات المجاهدين و الفدائيين الذين استشهدوا في الميدان تصرف لهم إعانات على أساس واحد من المجاهدين... " (1) و في عبارة " ... و يجب على المفوضين السياسيين على اختلاف مراتبهم أن يحسنوا تهذيب المجاهدين و المسبلين...، و يجب أن يحرصوا حرصا شديدا على حفظ معنويات المجاهدين و الفدائيين و الشعب. " (2) و كذلك في عبارة: " ... هي فصل المجاهدين عن الشعب و هو لذلك يستخدم كل الوسائل للتنديد بـ المجاهدين... " (3) و في عبارة: " ... و بتوثيق عرى الإتحاد بين المجاهدين و الشعب توثيقا يقوى و يزيد باستمرار... " (4) و في: " دفع المنح العائلية للمجاهدين و المسبلين... " (5)

أما مصطلح "الجهاد" فقد ورد في عبارة: " ... و يعمل كل لصالح الجميع دون أن يتعدى حدود أخيه في الجهاد. " (6) و كل هذه المصطلحات مستمدة من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (7) و من جاهدوا في قول الله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (8)

و في قضية التعامل مع الأسرى الفرنسيين فقد طغت الأخلاق النابعة من تعاليم الدين الإسلامي، فأحسنت الثورة معاملة أسرى العدو الفرنسي، و في ذلك جاء في وثيقة مؤتمر الصومام ما يلي: " فعل الرغم من الموقف الفرنسي من أسرانا المجاهدين، يجب علينا أن لا ننسى معاملة الأسرى من العدو بأي حال من الأحوال بل يجب علينا العكس في معاملتهم. العشرة الحسنة، و تلقينهم مبادئ الثورة ثم التفريغ عنهم بعد قسمه (كلمة الشرف) أن لا يرفعوا مرة ثانية السلاح ضد الجزائريين الوطنيين... " (9) أليس هذا التعامل نابع من سماحة الإسلام و ما علمه لنا نبينا الكريم في حسن التعامل مع الأسير و عدم إيذائه و تعذيبه و ربما هذا مرده إلى ضرورة عدم الاعتداء و نبذ الظلم و هذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (10) لأن المغزى من الجهاد ها هنا ليس جمع الأسرى و الاستفادة منهم و سفك دمائهم بقدر ما هو تحقيق الاستقلال و طرد المحتل، فإذا حصل هذا المقصود، فلا قتال و لا أسرى. و بهذا فقد حافظت الثورة الجزائرية على المبادئ السامية حتى في تعاملها مع الأسرى، فاحترمت في ذلك قرارات مؤتمر جنيف (1949/08/12) و راعت أحكام الشريعة الإسلامية، فمنعت التعذيب أو الإعدام أو اتخاذ الأسرى كرهائن، و قد أكد هذه المعاملة الحسنة العديد من الصحفيين الذين زاروا و تفقدوا معقل جيش التحرير الوطني،

1- يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، المرجع السابق، ص 20.
2- نفسه، ص 22.
3- نفسه، ص 22.
4- نفسه، ص 22.
5- نفسه، ص 25.
6- نفسه، ص 21.
7- سورة التوبة، الآية 73.
8- سورة التوبة، الآية 41.
9- يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، المرجع السابق، ص 23.
10- سورة البقرة، الآية 190.

و في ذلك ما يؤكدّه أحد الصحفيين الفرنسيين الذي زار منطقة وهران عام 1956 حين أكد احترام جنود التحرير لقوانين الحرب و المعاملة الحسنة للأسرى. وانتهى الأستاذ خيثر إلى أن الصومام قدم جهدا يبدأ من تنظيم أعلى مستويات القيادة السياسية والعسكرية للثورة إلى أدائها و لم يغفل الاهتمام بمسألة أخلاقة العمل المسلح وحرص على منع كل تجاوز في حق الجماهير أو انتهاك لأعراف الجهاد.⁽¹⁾

إن سمو الأخلاق و رفعة المجاهدين و نبل المقاصد و الأهداف و تمسك الثورة بالأبعاد الدينية و الأخلاق الفاضلة، كلها كانت سبباً في تماسك و التفاف الشعب حول الثورة و تأييدها تأييداً مطلقاً. و كان من أهم عوامل تلاحم الشعب مع ثورته هو صدق الأفعال إذ أن المجاهدين صدقوا الشعب في كل أقوالهم التي تطابقت مع أفعالهم، فتولدت الثقة بين الأفراد، و قوي الإيمان، لأن الكلام صدق و العهد حق و الوعد وفاء!⁽²⁾

فالمجاهد الذي يجاهد في الجبال لا يخاف على أولاده ما داموا في رعاية الأوفياء، و لا يتردد الجندي في اقتحام الأهوال و المخاطر ما دام الضابط في طليعة الشهداء، و لا يشك الشعب في قوة إيمان الجيش ما دام هذا الجيش قمة في الفداء و التضحية، و لا يخشى الجيش الشعب ما دام الشعب قمة في العطاء و السخاء.⁽³⁾

و ليس من المبالغة أن نقول : بأن وجود هذا العنصر أي الأخلاق هو الذي جلب للثورة التحريرية و رجالها الثقة و التصميم في نكران الذات، و هو الذي جعل من الشعب الجزائري رحلا واحدا، ينصهر في الثورة، مستميتا من أجل تعزيزها، و السير من ورائها، و بذل اغلى ما يملك من نفس و نفيس و مال و بنين حتى يتم لها النصر.⁽⁴⁾

و على هذا الأساس كان المجاهدون مثالا للشرف و الانضباط، و مد يد العون لمن يحتاجها و قمع كل من يمس بالدين و الشرف و العفة، و قد طرح مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 م / 13 محرم 1376 هـ عدة قضايا من هذا النوع منها: تحريم الإعدام ذبحاً، و جميع أنواع التشويه و التمثيل. و نص على أن من يتعدى على عرض فتاة أو امرأة يحكم عليه بالإعدام، كما أمر بوجوب العناية بالأسرى و معاملتهم معاملة حسنة.

و حتى المحكوم عليهم نفذت فيهم أحكام الإعدام الرحيم، فيقتلون رميا بالرصاص،" و قد يشنقون في الظروف القاهرة، أما الذبح و البتر فممنوع منعا باتا. "⁽⁵⁾ هذا العمل الرحيم نجده في تعاليم الدين الإسلامي الذي حث في كثير من المواقف على ضرورة الرفق بالإنسان حتى و لو كان مذنباً أو مخطئاً عدواً كان أم صديقاً. فكان هذا التحلي بالسلوك الإسلامي القويم من قبل المجاهدين هو الحصن الذي حمى الثورة من كل الأعياب الاستعماري الذي أراد أن يجد بعض الثغرات التي تسيء إلى سمعة المجاهدين في نظر الشعب، و لكنه لم يحصد إلا الخيبة، لأن الكذب لا يصمد أبداً أمام الحق.⁽⁶⁾

¹ - عبد النور، (خيثر)، المرجع السابق، ص 157.

² - أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 86.

³ - نفسه، ص 87.

⁴ - نفسه، ص 120.

⁵ - يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، المرجع السابق، ص 26.

⁶ - أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 58.

كما جاء في إحدى فقرات نص الميثاق عبارة: "... و في النواحي التي يسيطر نفوذها. و أن هذا النفوذ يشمل اليوم بحمد الله كافة التراب الوطني." (1) و الحمد لها هنا هو الشكر لله على أنعمه و توفيقه للشعب الجزائري الذي استطاع أن يفجر ثورته في وجه العدو الفرنسي، و العبارة دلالة على إيمان المناضل بأن الذي يحرك مقاليد الحياة عموما و الثورة خصوصا هو الله سبحانه و تعالى القاهر فوق عباده. و الحمد لله على أنه يرعى الثورة و يشد عضد المجاهدين ضد عدوهم، و هذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (2) و الحمد لله لأن الله سبحانه و تعالى قد فرج عن الثورة بهذا التوسع الشامل الذي شمل مختلف أرجاء الوطن، و هذا قد أذهب الكثير من الحزن و الضيق الذي كان يشعر به الكثير من المجاهدين لقلة السلاح و المال، و هذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (3)

و من أهم المجالات التي ركزت عليها الثورة هو قانون الأحوال الشخصية و التي لها ارتباط وثيق و مباشر بحياة الأفراد و بدينهم. و في هذا الإطار تم تكوين المحاكم الشرعية التابعة للثورة الجزائرية، اعتمدت جبهة التحرير الوطني على من تتوفر فيهم الخبرة في مجال العلوم الشرعية إيماننا منها بقدرتهم على تحقيق العدل المنبثق من الشريعة الإسلامية، و في هذا الصدد جاء في وثيقة مؤتمر وادي الصومام ما يلي: " و الرجال الذين يجلسون في هذه المحاكم يختارون من بين أولي الحكمة و الأمانة و ينبغي أن يكونوا من ذوي خبرة في العلوم الشرعية." (4)

في كثير من الأحيان وقفت جبهة التحرير الوطني ضد سياسة فرنسا التي كانت تنتهك القضاء الإسلامي، و قد كان قرار مؤتمر الصومام سحب مختلف القضايا التي تتعلق بالجزائريين من القضاء الفرنسي، و اللجوء إلى اللجان المختصة التي كونتها الثورة لهذا الغرض. (5) كما فتحت جبهة التحرير الوطني سجلات على مستوى الدواوير و القرى لتسجيل المواليد الجدد و حالات الزواج و الطلاق التي كانت بترخيص من الجبهة.

و بموجب التعليم رقم 11 المؤرخة في 16/06/1957 وضع مجلس الولاية القواعد التي تحكم لجان العدل و تنظم عملها من الناحيتين التشكيلية و الموضوعية. (6) أما من حيث الاختصاص، فهناك نوعان: محلي و نوعي. و من مهام لجان العدل الأساسية نجد: الفصل في قضايا المدنيين المتعلقة بالحقوق الشخصية و الحقوق العينية و الالتزامات و العقود بالإضافة إلى قضايا الحياة - الوصية، الميراث، الأحوال الشخصية من زواج و طلاق و نفقة.

1- يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، المرجع السابق، ص 24.

2- سورة الأنعام، الآية 45.

3- سورة فاطر، الآية 34.

4- يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، المرجع السابق، ص 26.

5- عندما نتحدث عن القضاء إبان الثورة التحريرية علينا أن نعي بعض الحقائق و المعطيات، و الخصائص التي امتاز بها و نذكر منها: انعدام المقر أو المكان المخصص للممارسة القضاء،- و تعيين القائد السياسي للقاضي،- اهتمام القضاء بالإنسان لأنه رأس المال الثورة،- هدفه فصل الشعب الجزائري عن السلطة الاستعمارية،- تعدد وظائف القاضي، فهو قاضي الأحوال الشخصية، و يمارس التوثيق، و معلم يشرف على التعليم، و يصدر الفتوى و يتولى الإمامة في بعض النواحي.- تعدد التسميات فهو الهيئة القضائية، و هو اللجنة الشرعية، و هو لجنة العدالة.- خاصة سرعة تنفيذ الأحكام.- الصفات السامية للقاضي.- رمزية العقوبات فهو قضاء تربوي و ليس لغرض زجري و قمعي. للمزيد حول الموضوع ينظر: جمال، (يحياوي)، القضاء الثوري 1954-1962 خصائص و مرجعيات، أعمال الملتقى الوطني حول القضاء إبان الثورة التحريرية المنعقد بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة 17-16 مارس 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 117-122..

6- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 144.

وكذلك الجنح على اختلاف أنواعها. والجدير بالذكر هنا أن أحكام اللجان تعتبر نهائية و غير قابلة للاستئناف، كما أن المتهم يتمتع بحق الدفاع عن نفسه أو اختيار من يدافع عنه. (1)

و إلى جانب لجان العدل، كانت هناك المحاكم الثورية التي تختص بالنظر في القضايا التي يكون أطرافها من جبهة أو جيش التحرير الوطني بالإضافة إلى الجنايات حتى وإن كان مقترفها مدنيا. والجدير بالذكر أن تنفيذ مختلف العقوبات كان يخضع لإجراءات يحددها القانون الداخلي لجيش التحرير الوطني. (2)

و الجدير بالذكر في هذا المقام أن للقضاء الثوري ثلاث مرجعيات أساسية اعتمد فيها على إصدار الأحكام، وهي: بيان أول نوفمبر، و وثيقة مؤتمر الصومام، و الشريعة الإسلامية. (3)

و عليه فإن مرجعية القضاء الثوري و اعتماده على الشريعة الإسلامية ليحتاج لكثير من التفصيل و التدقيق، و مع ذلك سنشير إلى بعض إشارات، و التي منها: تصنيف الأخطاء إلى ثلاثة أنواع: الأخطاء البسيطة و الأخطاء الخطيرة و الأخطاء الفاحشة.

فبالنسبة للأخطاء البسيطة مثلا: عددها تسعة أخطاء مستمدة كلها من الشريعة الإسلامية، و يأتي في مقدمتها سوء الخلق و ذمه، و هذا ما يتناسب مع الكثير من الآيات القرآنية التي حثت على الأخلاق الفاضلة كمثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (4) و كذلك عقوبة تأخير العمل حرصا على احترام العمل و صونا لقدسيته النابعة من حث الإسلام و حرصه على إتقان العمل. كما تعتبر عقوبة المسلطة على القذارة و الوسخ نابعة من حث ديننا على النظافة و نبذ الوسخ و الحفاظ على هذه النظافة في كل الأوقات، (5) و هذا استنادا للكثير من الآيات القرآنية الدالة على ذلك مثل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ (6) و مثل: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (7)

أما الأخطاء الخطيرة و التي جاءت في مقدمتها: محاولة الاغتيال أو قتل النفس عن عمد، و عقوبة الغش و اختلاس الأموال، و عقوبة التزوير و استعمال المزور (8) فكلها مرتبطة بالإسلام و نابعة منه لأن ديننا الحنيف يحارب هذه الممارسات في أكثر من موضع و آية فمثلا عن جريمة القتل يقول الله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (9)

أما الأخطاء الفاحشة فمنها:

1- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 145.

2- نفسه، ص 145.

3- جمال، (يحياوي)، المرجع السابق، ص 122-125.

4- سورة القلم، الآية 04.

5- جمال، (يحياوي)، المرجع السابق، ص 126.

6- سورة المائدة، الآية 06.

7- سورة الأعراف، الآية 31.

8- جمال، (يحياوي)، المرجع السابق، ص 126.

9- سورة المائدة، الآية 32.

- التواطؤ مع العدو الذي يمقته الإسلام و ينهى عنه في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (1)

- شق عصا الطاعة، الانشقاق و التآلب (2) ، و هذا امتثالا لتعاليم الله تعالى الحاتة على طاعة الولي الشرعي و عدم الخروج عليه فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (3)

- تبذير الأموال، إذ حث مؤتمر الصومام و من خلفه جبهة التحرير الوطني على ضرورة الحفاظ على مال الثورة ، و هذا امتثالا لتعاليم الدين الإسلامي الذي ينبذ التبذير و يشجع على المحافظة على المال العام، و في هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ (4)

- جريمة الزنا التي تحاربا الثورة التحريرية استنادا إلى محاربة الإسلام لها، و في هذا يقول الله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (5) و في قوله كذلك: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ (6)

من خلال هذا نجد أن الثورة التحريرية قد اعتمدت على الشريعة الإسلامية كمرجع أساسي للتشريع القضائي، و هذا ما الأستاذ 'جمال يحيوي' نقلا عن 'نورمان موريس': "إن أغلب النصوص و اللوائح التي اعتمدها اللجان القضائية التابعة لجبهة التحرير الوطني ما هي إلا نقي حرفيا أو تكرارا و إعادة لمختلف أنواع الاجتهاد في الشريعة الإسلامية." (7) و قد كان الغرض من هذا كله محافظة جبهة التحرير الوطني على المقومات الوطنية للشعب الجزائري التي عملت فرنسا على طمس معالمها خاصة مع مجيء الجنرال 'ديغول' (De gaulle) عام 1958، و الذي أصدر مرسوم عام 1959 الرامي إلى دمج الجزائر في فرنسا.

و فيما يخص رد فعل جبهة التحرير الوطني من هذا، فقد كان عنيفا، حيث أوردت جريدة المجاهد مقالتين حول سياسة 'ديغول' في محاربة قانون الأحوال الشخصية و خاصة القضاء الإسلامي، فكانت الأولى حول "حرب ديغول الصليبية" و الثانية حول "ما يعانيه القضاء الإسلامي في الجزائر تحت السيطرة الاستعمارية" (8) كما قرر المجلس الوطني للثورة الجزائرية المجتمع بطرابلس بتاريخ 16 ديسمبر 1959 و 4 جانفي 1960 وضع قانون يخص الأحكام القضائية ينبع من تعاليم الشريعة الإسلامية، غير أن هذا القانون لم ير النور إلا بعد الاستقلال.

1- سورة المائدة، الآية 51.

2- جمال، (يحيوي)، المرجع السابق، ص 127.

3- سورة النساء، الآية 59.

4- سورة الإسراء، الآية 26.

5- سورة الإسراء، الآية 32.

6- سورة النور، الآية 02.

7- جمال، (يحيوي)، المرجع السابق، ص 125.

8- ينظر جريدة المجاهد عدد 44 جوان 1959 و عدد 9 بتاريخ 20 أوت 1959.

لقد جاءت وثيقة مؤتمر الصومام بمفاهيم عديدة و متنوعة أبانت عن حكمة القائمين على إخراجها و مستوى وعيهم العالي، و من هذه الأفكار و المفاهيم نجد مفهوم العمل الوحدوي و نبذ العمل الفردي، إذ قرر المؤتمر و سيراً على خطى بيان أول نوفمبر ، أن يبقى على مبدأ جماعية اتخاذ القرار، و هذا ما تؤكدته الشريعة الإسلامية في الشورى بين المسلمين إذ لا قرار يخص الأمة إلا بالرجوع إلى مجلس الشورى الذي له سلطة اتخاذ القرار الذي يخدم المصلحة العامة. و هذا المبدأ يتوافق مع ما جاء به القرآن الكريم في قول ربنا عز و جل: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾⁽¹⁾ و الشورى ها هنا تخص كل ما له علاقة بالأمر الدينية و الدنيوية، فلا يستبد أحد من الجماعة برأيه. فإن رجاحة عقولهم أنهم إذا أرادوا أمراً من الأمور التي تحتاج إلى استعمال الفكر و الرأي فيها، اجتمعوا لها، و تشاوروا، حتى إذا تبينت المصلحة و المنفعة العامة، بادروا إليها، و ذلك كالرأي في الغزو و الجهاد.⁽²⁾ و لعل هذا المبدأ تحقق عن طريق إنشاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية، الذي يتألف من مندوبين و أصحاب الامتياز و مندوبين مساعدين، و هو الهيئة العليا للثورة، و هو وحده ذو الكفاءة في الأمر بوقف القتال.⁽³⁾

كذلك نجد مفهوم التعبئة و التجنيد الذي حرصت من خلاله الثورة أن تمزج كل الأجيال في جيل واحد، و ما يرافق ذلك من مزج للخبرات و بالتالي "انصهار كل أشكال النضال المتنوعة في نضال واحد"⁽⁴⁾ و لن يتأتى ذلك إلا بتطبيق مبدأ المساواة بين الجميع عن طريق تطبيق العدالة التي يتمتع فيها كامل المناضلين بالسواسية أمام القانون فلا فرق بين عضو قيادي و عضو قاعدي، و هذا تطبيقاً للقاعدة الفقهية لا فرق بين عربي و عجمي إلا بالتقوى. و عليه فقد عمدت الثورة إلى تطبيق هذا المبدأ عن طريق المساواة بين المناضل البسيط و المناضل المسؤول، و لا فرق بينهما و لا تفاضل إلا "بصرامة العمل و القدوة الحسنة و المشاركة بالجهد المخلص و التفاني في التضحية." ⁽⁵⁾ و أن أكرم مناضل هو ذلك المناضل الوفي المخلص لمبادئ الثورة و توجهاتها، و هذا مصداقاً لما جاء في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽⁶⁾ و في هذا الباب عمد المؤتمر إلى إنشاء مؤسسات قاعدية ذات مصداقية يحول لها حل المشاكل و التصرف بعقلانية. و مع هذا ظلت تعبئة الجماهير الشعبية تتصف بالطوعية تفادياً لكل إكراه قد ينجر عليه ما لا يحمد عقباه.⁽⁷⁾ و هذا المبدأ يعيدنا إلى مبدأ لا إكراه في الدين الذي نصت عليه الشريعة الإسلامية في قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾⁽⁸⁾ لأن الإكراه إنما يقع على ما تنفر منه القلوب و تشمئز منه النفوس، و يتنافى

1- سورة الشورى، الآية 38.

2- عبد الرحمن، (بن ناصر السعدي)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2012، 823 صفحة، ص 621.

3- يحيى، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج 1، المرجع السابق، ص 25.

4- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 101.

5- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 101.

6- سورة الحجرات، الآية 13.

7- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 101.

8- سورة البقرة، الآية 256.

مع الحقيقة و الحق. و الحقيقة أن الثورة الجزائرية هي ثورة حق ضد باطل، فلا يمكن بذلك إكراه أي جزائري لالتحاق بالثورة الموجهة لقتال المعتدين و دفع أذاهم عن كل الشعب الجزائري.

كما لم تغفل الوثيقة عن إبراز مفهوم التضحية كمبدأ من مبادئها، و كمقياس في العمل الثوري، " و تحمل كل الجزائريين أكثر من طاقتهم في تمويل و تموين الثورة"⁽¹⁾ فقد جمع مبدأ التضحية في ذلك بين التضحية بالمال و بالنفس، و هذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾⁽²⁾ فراحت بذلك الثورة تعمق روح التضامن و التضحية كخصال ثقافية و حضارية معبرة بذلك عن أرقى معاني الأخلاق و التخلق. و قد رافق مبدأ التضحية هذا مبدأ السواسية و المساواة بين كل المناضلين سواء في الجهاد و التضحية في سبيل الله و الوطن أو على مستوى التضحية بالمال في سبيل الثورة التحريرية، الأمر الذي أعطى الديمومة و التواصل للكفاح الشعبي ضد الاحتلال.

أوجدت الثورة من خلال وثيقة الصومام مفهوم الوحدة الشعبية و الوحدة الوطنية، فالشعب واحد بحكم العقيدة ألا و هي الإسلام، و بحكم التاريخ و الحضارة و الجغرافيا، و بمقتضى كفاحه الواحد ضد الاستعمار الفرنسي. و تظهر هذه الوحدة الشعبية من خلال سعي الثورة لمحو "الفوارق المختلفة بين الأفراد و الجماعات و الجهات حتى يظهر الجزائريون ككتلة واحدة تتبع قيادة ثورية واحدة تتصرف وفق نسق واحد يحكم الجميع و ينطوي على مشاعر أحاسيس مشتركة و تطلعات منتظرة."⁽³⁾

إن هذه الوحدة الشعبية تحتاج إلى إطار مادي هو الإقليم الترابي و هنا تقتزن هذه الوحدة بالوحدة الوطنية التي تشكل في نظر الأرضية الصومامية الشرط المسبق و الهدف النهائي في عملية الإطاحة بالنظام الاستعماري و مختلف رواسته.⁽⁴⁾

و تكمن هذه العلاقة بين الوحدة الشعبية و الوحدة الوطنية في الطابع الشعبي للثورة الجزائرية التي سعت منذ الوهلة الأولى لانطلاقها و ربما قبل ذلك إلى تكثيف الاتصالات بين مختلف أقطار الوطن، و قد تركز ذلك في مؤتمر الصومام بحيث قسم المهام بين الثوار بعيدا عن المنطق الجهوي أو اللغوي أو حتى الفئوي.⁽⁵⁾ فاعتبرت الكفاءة و القدرة على تأدية المهام هي المفصل في اختيار الأشخاص و توليهم المناصب العليا و المهام الخطيرة، و هذا امتثالا لتعاليم الدين الإسلامي الذي يحث في هذا المقام على اختيار الأنسب و الأكفأ علما و خلقا، و في هذا يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁽⁶⁾

1- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 101.

2- سورة النساء، الآية 95.

3- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 103.

4- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 104.

5- نفسه، ص 104.

6- سورة البقرة، الآية 247.

و قد يجرنا هذا إلى المعادلة التالية: **كفاءة + قدرة = القيادة**، و هذا بالفعل ما اعتمدته الثورة عموما و مؤتمر الصومام خصوصا. كذلك فقد أراد المؤتمر من خلال هذه المعادلة أن يدعم الوحدة الوطنية المناهضة للإمبريالية⁽¹⁾ من خلال الاعتماد على كل وطني كفاء غير على بلده و شعبه.

و إذا رجعنا إلى هيكله المؤتمر للثورة الجزائرية سنجد أنه قد ترجم هذه المبادئ و القيم التي قمنا بالوقوف عليها، إلى مؤسسات قائمة فاعتبر التراب الوطني الجزائري ساحة المعركة و النضال و جاء تقسيمه إلى ولايات مراعي في ذلك الخصوصية الجغرافية و التضاريسية و الديموغرافية و الحضارية. كما اعتبر الفضاء الجغرافي للدول المجاورة و بخاصة منها تونس و المغرب الأقصى و العالم العربي و الإسلامي قواعد خلفية للثورة، و لم يستثن من ذلك حتى الأراضي الخارجة عن هذا الحيز الجغرافي مثل أراضي دول المعسكر الاشتراكي و حتى بعض الدول الأوروبية. و قد لعبت في هذا الصدد الجالية الجزائرية الدور الفعال، و هذا تفعيلا لمبدأ الوحدة في العمل الثوري.

راعت الثورة التحريرية في ممارساتها العمل الشريف المنزه من كل غايات سلبية أو انتقامية، و بالمقابل كانت حازمة الانضباط و التحلي عن هذه الصفات الأخلاقية يعتبر تمردا يعاقب عليه لأن الالتزام بالعمل الثوري هو بمثابة عقد وقعه المناضل مع الشعب و الأمة، " و بقدر ما كان الالتزام تطوعا بقدر ما يكون واجب الوفاء به إجباريا ملزما خاصة و أن العمل الثوري يتسم بالجماعية في اتخاذ القرار و الإجبارية في التنفيذ."⁽²⁾ و المعلوم أن الوفاء بالعهود من شيم المسلم الحق و لعل هذا ما أرادت أن تظهر به الثورة من خلال التزامها بالوفاء بالعهد الذي قطعت على الشعب الجزائري ألا و هو في المقام الأول تحقيق الاستقلال، و هذا امتثالا لقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾⁽³⁾

كما قامت الثورة من خلال هذا المؤتمر بتفعيل آلية التطهير و مكافحة الفساد كمنهج للعمل الثوري، و هذا تماشيا مع تعاليم الدين الإسلامي الذي ينبذ الفساد و يشجع محاربتة، و في هذا يقول الله سبحانه و تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽⁴⁾ و هذا عن طريق حل كل الأحزاب و إلغاء التعددية و تجميع الصفوف تحت لواء واحد ألا و هو لواء جبهة التحرير الوطني. و قد تم توحيد الصفوف "الوطنية بفضل سيرورة تطهيرية للعمل السياسي بالقضاء على الفساد و الرؤى و المواقف العقيمة و التعقيدية و التكتيكات الانتظارية أو الانتهازية و السلوكات المزدوجة و هكذا فازت روح الحكمة و التحكم و الاحتكام إلى الشعب على الحسابات النخبوية الحزبية."⁽⁵⁾

أعطى كل هذا الفرصة لتوسيع و توطيد هياكل الثورة عن طريق توسيع قاعدة المساهمة في صنع القرار على كل المستويات، مما عزز الاستقرار و فسح مجال الابتكار و روح المسؤولية لدى المناضلين و المواطنين الطاهرين و رسخ الجو الجديد المتميز بالعمل الجماعي الديمقراطي و بإلغاء الفوارق.⁽⁶⁾

1- سعد، (طاعة)، دور النواب المسلمين في الحياة السياسية بالجزائر 1947-1956، المرجع السابق، ص 355.

2- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 105-106.

3- سورة الإسراء، الآية 34.

4- سورة القصص، الآية 77.

5- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 109.

6- نفسه، ص 109.

إن هذا التطهير السياسي و العمل على محاربة الفساد ترجم في شكل مراسيم و قوانين نظمت العمل الثوري و طهرته من أي ممارسات فردية أو شخصية بل ألغت عن طريقه الزعامة الشخصية لتحل محلها الزعامة الجماعية، و في هذا الصدد ركزت وثيقة الصومام على ضرورة معاقبة كل "مجاهد ارتكب أعمالاً جائرة مع الشعب." (1) و أكدت على ضرورة حفظ مال الثورة الذي هو مال الشعب الجزائري في الأساس، و في هذا الأمر جاءت الوثيقة الصومامية صريحة و واضحة إذ أكدت على وجوب الحفاظ على أموال الثورة الذي هو همنا الدائم. (2)

لقد حرصت وثيقة مؤتمر الصومام على احترام الحريات الأساسية فتقلصت الفوارق الاجتماعية بين عامة الشعب الجزائري و تصاعد مستوى الأخلاق و صار الكل يحترم الغير دون تمييز في السن أو الجنس أو المرتبة الاجتماعية. و كل هذا مرده إلى الدين الإسلامي الذي يحترم الإنسان و يصون كرامته بغض النظر عن لونه أو جنسه، أفلم يكن سيدنا بلال عبداً وضيعاً فرفعه الإسلام و جعل منه مؤذناً شريفاً. هذه الأخلاق ساهمت في "تأطير الانفعالات و وضعها في سياق واحد: الحرية و ارتباطها مع العدالة الاجتماعية و المساواة، و وضعت الثورة من خلال أرضية الصومام آليات احترام الحريات الأساسية و ضمان العدالة الاجتماعية بواسطة هياكل قاعدية إدارية و شبه إدارية تسيير شؤون الشعب على أساس المساواة و التضامن." (3) و من هذه الهياكل نجد مجالس الشعب التي أرادت من خلالها الوثيقة "تلقين الشعب ممارسة حقوقه و واجباته." (4) و المحاكم الشرعية التي تتولى النظر في القضايا و إصدار الأحكام بطريقة عادلة يحتكم فيها إلى الشريعة الإسلامية.

و إذا كانت الثورة قد عرفت تماسكاً في بدايتها، فإن مؤتمر الصومام قد أعطاها تحولات يمكن إرجاعها إلى الأسباب التالية:

- الاطلاع على السياسة الدولية خاصة بعد الصدى الذي أحدثته دولياً.
- تأثرها بالصراع بين الكتلة الشرقية الاشتراكية و الغربية الرأسمالية في ظل الحرب الباردة، و انخيازها إلى المعسكر الشرقي الذي كان يدعم حركات تحرر الشعوب.
- ظهور خلاف بين مشروع المجتمع العربي الشرقي، الذي يستمد خصائصه من مقوماته الذاتية، و مشروع المجتمع المغربي الذي يستمد أصوله من الخارج، فكان من نتائج هذا أن دب الخلاف بين المجاهدين و انتشرت بين أوساطهم انعدام الثقة.
- التأثير بفكرة القومية العربية و بأفكار 'جمال عبد الناصر'، خاصة بعد الدعم الذي قدمته مصر للثورة الجزائرية.

1- يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، المرجع السابق، ص 23.

2- نفسه، ص 24.

3- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 111.

4- يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، المرجع السابق، ص 24.

- التأثر بالفكر الاشتراكي، فقد حمل برنامج طرابلس 1962 بصمات الكاتب 'عمار أوزقان' (أمين عام الحزب الشيوعي الجزائري سابقاً) من خلال استعمال مصطلحات جديدة مثل: "الوطنية" و "الشعبوية"، كما أن المشروع كان يركز على الفلاحين و العمال (الطبقات الأكثر فقراً).
- ركز مؤتمر الصومام على الجوانب المادية، بعدما أصبح الجيش أكثر تنظيماً، و مع استحداث الرتب العسكرية تولد تمايز بين الجنود، و كان من نتائجه انتشار عدوى الحسد بينهم.
- فتح مؤتمر الصومام الثورة على كل شعوب العالم دون تمييز أو مراعاة لتوجهاتها السياسية أو ديانتها مما أبعدها عن إطارها العربي الإسلامي.(1)

لقد كان العامل الديني في وثيقة الصومام أداة توجيهية و مرجعية مهمة في العمل الثوري لتغليب روح الحق و الجماعة على روح القوة الاستبدادية الاستعمارية و ترسيخ معنى الانتماء إلى الأمة الجزائرية بمعناها الواسع على حساب شعور الانتماء إلى جهة معينة. و لقد كانت الثورة التحريرية تحدياً و المحيط الإسلامي فضاء إيجابياً للمعركة التحريرية، ما جعل الدين الإسلامي قوة تجنيدية هائلة مسخرة لتحقيق الاستقلال و تحقيق مبدأ "أن الكفاح من أجل الاستقلال لن يهدأ و سيقوم بفضل الإرادة الشعبية، هذه اليقظة التمردية على المألوف حولت بالقضية الوطنية بداية يقين و اليقين بالهدف أصبح شيئاً مقدساً لا نقاش فيه." (2) و كذلك أن غاية "الثورة الوطنية التي بدأت في الفاتح نوفمبر 1954، ليست هي استقلال الوطن فحسب، بل هي أيضاً تأسيس جمهورية ديمقراطية و اجتماعية يستطيع كل جزائري أن يعيش تحتها عيشة كريمة يسودها العدل و الإنصاف إلى أقصى حد ممكن." (3) ذلك العدل الذي فقده الشعب الجزائري منذ أن وطأت أقدام الاستعمار أرض الجزائر، و لطالما بحث عنه هنا و هناك حتى وجدته في الثورة التحريرية و في مواثيقها الأساسية، التي استمدته من تعاليم الشريعة الإسلامية، و في هذا المقام يقول الشارع الحكيم: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (4) و كذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (5)

و رغم ما جاء به المؤتمر من قرارات هامة خدمت و أصلحت الثورة و نظمتها، إلا أن البعض من المناضلين يرون وقوعه في بعض الأخطاء، و التي منها عدم تعيين المؤتمر لقائد عام للأركان العامة لجيش التحرير الوطني بداخل البلاد و هذا عقب إنشاء و تنصيب لجنة التنسيق و التنفيذ و كذا المجلس الوطني للثورة الجزائرية. و حسب هذا المناضل فلو ساندت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الرائد سي موسى لتفادت الجزائر سقوط الكثير من الضحايا و انتشار الشحناء و البغضاء بعد الاستقلال، (6) و لربما لما تقاتل إخوة الأمس من أجل السلطة و المناصب. كما اتهم أحمد

1- محمد، (بوشناق)، المرجع السابق، ص 165.

2- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 108.

3- يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، المرجع السابق، ص 27.

4- سورة النساء، الآية 58.

5- سورة النحل، الآية 90.

6- محمد أرزقي، (باسطة)، المرجع السابق، ص 637.

بن بلة المؤتمر بأنه غير شرعي بسبب غياب تمثيل الكثير من المناطق، كما حارب فكرة تخطي المؤتمر الطابع الإسلامي المستقبلي للمؤسسات السياسية، و بهذا رفض الطابع اللائكي للدولة.(1)

إن مكنم الجدل المستمر في الكتابات التاريخية حول مؤتمر الصومام، يقول حوله الأستاذ خير، أنه: " يعود إلى مثالبه المتعلقة بالتطورات السلبية التي تراكمت بفعل اختلاف المواقف حول المبادئ التنظيمية التي جاء بها ، وإلى مناقبه في الجوانب المرتبطة بالهيكلية والتنظيم الميداني للهيئات القيادية الثورية السياسية منها والعسكرية ، لأن ذلك المؤتمر الذي كان عاملا في ظهور أول تحالفين متعارضين على رأس قيادة الثورة وتسببت المواقف الراضية لشرعيته التمثيلية في اتهامه بالانحراف عن التوجه الثوري لأسباب عديدة تكاد تكون كلها ذات خلفية صراعية حول مواقع القيادة . كان أيضا المؤتمر الوحيد خلال حرب التحرير الذي تمكن من جمع شتات الثورة في المرحلة الأولى لها ، ثم نجح في إعطاء النشاط الثوري ما كان في حاجة له من تنظيم وهيكلية ، وهو ما يجعل بالإمكان القول أن الصومام كان عاملا توحيد وتأسيس للقيادة الثورية ."(2)

إن قرارات مؤتمر الصومام بصفة عامة قد أعطت للثورة الجزائرية قيادة جماعية موحدة و مركزية انطلاقا من المؤتمر حتى اتفاقيات إيفيان، و أن هذه القيادة أصبحت معروفة لدى الرأي العام الدولي و الوطني، و كذلك من حيث التوجيه السياسي، و من حيث التنظيم العسكري و المدني، و من نتائج هذا المؤتمر أن دفع بعجلة الثورة إلى الأمام و لكن بخطى ثابتة.(3) و بكل بساطة القول و المعنى لقد نقل مؤتمر الصومام 1956 ما حدث في الفاتح من نوفمبر 1954 من مجرد انتفاضة إلى ثورة حقيقية شاملة، كما أرسى دعائم الدولة المستقبلية.

رابعا: بيان المجلس الوطني للثورة الجزائرية:

عقد المجلس الوطني للثورة الجزائرية جلسة عادية في طرابلس من 16 ديسمبر 1959 إلى 18 يناير 1960، وبعد الاستماع إلى تقرير الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (G.P.R.A) عن نشاطها وبحث الحالة العسكرية و اتخذ قرارات تتعلق بالإستراتيجية و التنظيم، أصدر بيانا ركز فيه على ضرورة نشر السلم و محاورة فرنسا على هذا الأساس. و مما جاء فيه حول السلم: " ... بأن يؤدي إلى استتباب السلم فورا... "(4) خاصة و أن الثورة الجزائرية ممثلة في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بادرت إلى اتخاذ خطوة فعالة بتعيينها يوم 20 نوفمبر 1959 خمسة من قادتها للبدء في المحادثات مع الحكومة الفرنسية، وهذا امتثالاً لحكمة التشريع الإسلامي الذي أقر الجنوح للسلم ما لم تكن فيه مذلة أو ضعف للمسلمين مصداقاً لقول المولى تبارك و تعالى: ﴿فَإِنْ اِعْتَزَلْتُمْ فَأَنْتُمْ يَاقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوْمُ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾(5)

و يظهر مصطلح السلم في هذا البيان كثيرا، فقد ذكر تحديدا ست مرات " ... بأن يؤدي إلى استتباب السلم فورا... فرض السلام... و المجلس الوطني للثورة الجزائرية إذ يندد بسياسة العدوان يؤكد من جديد إرادة الشعب الجزائري في

1 -Benjamin,Stora,Histoire de la guerre d'Algérie(1954-1962),op.cit,p 38.

2- عبد النور، (خير)، المرجع السابق، ص 155.

3- إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق ، ص 106.

4- يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج2، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، 129 صفحة، ص 22.

5- سورة النساء، الآية 90.

السلام... بأن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سوف لا تألو جهدا للوصول إلى حل سلمي... و أن تفرض السلام على الحكومة الفرنسية... و تلك الحكومات أن تبقى متيقظة لكل يتحقق السلم العالمي في ظل الحرية و الاستقلال".⁽¹⁾

كما ذكر في هذا البيان مصطلح الشهداء التابع من تعاليم الدين الإسلامي إذ انحنى البيان بكل خشوع و إجلال أمام أرواح " مئات الآلاف من الشهداء الجزائريين الذين بذلوا دماءهم لتحرير الوطن الجزائري".⁽²⁾

كما ذكر مصطلح "المجاهدون" في هذا البيان مرتين في: " و يحي المجلس الوطني للثورة الجزائرية الأبطال و المجاهدين الأبرار في صفوف جيش التحرير الوطني الذين أصبحت شجاعتهم وتضحياتهم موضع إعجاب العالم".⁽³⁾

كذلك في: " و يشكر أيضا البلاد التي استضافت المجاهدين الجزائريين الجرحى و المهاجرين و الطلبة الجزائريين الذين أجبروا على العيش في المنفى".⁽⁴⁾ و ها هنا يشيد البيان بالجهود من قبل الدول و الحكومات الشقيقة و الصديقة التي تناصر القضية الجزائرية و تساندها ماديا و معنويا، و بخاصة دول الجوار التي تستقبل ألوف اللاجئين من الجزائريين و المجاهدين الجرحى في مراكز الراحة مثل: المغرب الأقصى و تونس. فقد ساهمت مثلا الحكومة المغربية و الشعب المغربي الشقيق على توفير الجو المناسب من أجل عصنة جيش التحرير الوطني عن طريق تكوين الأجهزة التالية: مراكز التكوين العسكري، و مراكز الاستقبال، و مراكز الصحة و العلاج، و مراكز الإعلام و الإشارة.⁽⁵⁾

خامسا: ميثاق طرابلس:

1 / مؤتمر طرابلس:

انعقد المؤتمر ما بين ماي و جوان 1962 بطرابلس (ليبيا)، و شارك فيه تقريبا كل القيادات العسكرية و السياسية، المتواجدة في الداخل أو الخارج بما فيها الوزراء الذين كانوا معتقلين بفرنسا.⁽⁶⁾

و قد نقل هؤلاء القادة التاريخيون صراعاتهم و خلافاتهم السابقة إلى مؤتمر طرابلس و تجسد الخلاف في كتلتين مختلفتين بأطروحتهما، و مرجعياتهما التاريخية و لم ينجح الاجتماع في تقريب وجهات النظر و ردم الهوة المبنية على توجهات إيديولوجية كان أبرزها الميولات التي تتمحور حول القومية العربية، و الميولات المتجهة نحو الارتباط و التعاون الاقتصادي مع فرنسا في إطار سياسة مغاربية، و تزعم الطرح الأول كلا من أحمد بن بلة و محمد خيذر⁽⁷⁾ في

1- يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج2، المرجع السابق، ص 22-23-24-25.

2- يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج2، المرجع السابق، ص 23.

3- نفسه، ص 23.

4- نفسه، ص 24.

5- لعرج، (جبران)، المرجع السابق، ص 262.

6- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 112-113.

7- من مواليد 13 مارس 1912 بالجزائر من أسرة فقيرة تنحدر من مدينة بسكرة. انخرط في صفوف نجم شمال إفريقيا قبل التحاقه بالجيش عام 1936. كان من المناصرين للطرح الذي جاء به مصالي الحاج بخصوص رفض التعاون مع ألمانيا. اعتقل شهر جانفي 1940 و حوكم بتاريخ 28 مارس 1941 من قبل المحكمة العسكرية بالجزائر بثماني سنوات سجن و 20 سنة نفي. أطلق سراحه عام 1942 بسبب العفو. اعتقل مجددا إثر مجازر 8 ماي 1945 ليقتضى سنة سجن و بعد إطلاق سراحه أصبح عضوا في اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية. ساهم في عملية السطو على بريد وهران. انتقل إلى القاهرة أين شكل مع حسين آيت أحمد و بن بلة نواة الحركة. انضم إلى جبهة التحرير الوطني بعد 1 نوفمبر 1954، حيث عين عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية 20 أوت 1956. ألقى عليه القبض ضمن المناضلين الخمس في إطار الفرصنة الجوية بتاريخ 22 أكتوبر 1956 ليطلق سراحه بعد وقف إطلاق النار مارس 1962. و في إطار الصراع حول السلطة ساند محمد خيذر الرئيس الراحل أحمد بن بلة و يصبح الأمين العام و أمين المال لحزب جبهة التحرير الوطني، لكن مع بداية 1963 ظهرت خلافات بينه و بين الرئيس حملته على الاستقالة شهر

حين تكتل البقية حول الطرح الثاني، و حينها لم يخف أحمد بن بلة نيته في الإطاحة بالحكومة المؤقتة حيث التف حوله الكثير من المساندين و في مقدمتهم فرحات عباس.(1)

2/تحليل محتوى الميثاق:

اعتمد ميثاق طرابلس رسمياً في اجتماع المجلس الوطني للثورة (2) المنعقد في الفترة الممتدة ما بين 27 ماي - 7 جوان 1962 (3) تحت عنوان "مشروع برنامج لإنجاز الثورة الديمقراطية الشعبية"(4) أو "مشروع برنامج لتحقيق الثورة الديمقراطية الشعبية"(5) و الجدير قبل تحليل ما جاء في وثيقة الميثاق أن نطرح الكثير من الأسئلة، و التي منها: هل يتطابق محتوى برنامج طرابلس مع ما جاء في بيان أول نوفمبر؟ أم هو مشروع جديد جاء نتيجة التطورات التي حصلت أثناء الثورة؟ و هل حقيقة ابتعد البرنامج عن مبادئ الدولة الإسلامية التي نادى بها بيان أول نوفمبر؟ أم حافظ على الجوهر و غير الأطروحات و الأسلوب؟

احتوى برنامج طرابلس على طروحات جديدة لم تكن تظهر في أدبيات الحركة الوطنية و لا في موثيق الثورة الجزائرية من قبل بيان أول نوفمبر و مؤتمر الصومام، فلقد تناولت الوثيقة النقائص الإيديولوجية لجبهة التحرير طيلة سنوات الثورة، و انعكاساتها على بنية الجبهة.(6) و في هذا فقد ذكر الميثاق "أن من الأسباب الرئيسية التي عاقت جبهة التحرير الوطني الجزائرية في الميدان الإيديولوجي و ساهمت في تفاقم نقائصها و أثرت تأثيراً فادحاً على الحالة العامة بالجزائر أثناء الحرب تكمن في الهوة التي فصلت بين القيادة و الجماهير الشعبية."(7) كما أكد أن ثورة التحرير انتهت لكن معركة التحرر لا زالت متواصلة بواسطة الثورة الديمقراطية الشعبية التي هي بناء واعي للبلاد في إطار "مبادئ اشتراكية و سلطة في أيدي الشعب."(8) فلقد خصص البرنامج فصلاً عنوانه بـ "المهام الأساسية للثورة الديمقراطية الشعبية"،

أفريل 1963، لينتقل إلى جنيف أين يعلن بتاريخ 5 جويلية 1964 معرضته لرئيس بن بلة، كما عارض نظام الرئيس الراحل هواري بومدين عام 1965. اغتيل محمد خيذر بتاريخ 4 جانفي 1967 بمريد. للمزيد ينظر: Cheurfi, (Ahour), op.cit,p 205-206.

1- إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 129-130.

2- يرى الأستاذ إدريس فاضلي أن مشروع ميثاق طرابلس حظي كوثيقة عمل بدراسة و إعدادا مركزين، و قد أعدت قبل المؤتمر بالحمامات في تونس لتكون جاهزة للإثراء و المصادقة عليها. تناولت هذه الوثيقة توجه الجزائر بعد الاستقلال، و هي الوثيقة التي أطلق عليها ميثاق طرابلس أو برنامج طرابلس، فتناولت على وجه التحديد:

- تحديد طبيعة الثورة الجزائرية.

- وضع مشروع برنامج للسياسة الاقتصادية و الاجتماعية و رسم خطوط السياسة الخارجية.

- بناء الحزب ينظر: إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 130.

3- إبراهيم، (لونيس)، ميثاق طرابلس أول مشروع مجتمع للجزائر المستقلة، الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 193.

4- صالح، (بلحاج)، جذور السلطة في الجزائر الأزمات الداخلية لجبهة التحرير الوطني من 1956 إلى 1965، بن مرابط للنشر، الجزائر، 2014، 246 صفحة، ص 138.

5- النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1962/1954، قسم الإعلام و الثقافة، مطابع الحزب، ص 53.

6- إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 130.

7- النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1962/1954، قسم الإعلام و الثقافة، مطابع الحزب، ص 68.

8- إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 194.

دعا فيها إلى وجوب بذل الجهود في التحليل و التكوين، و إلى توجيه مضبوط و صارم و اختيارات واضحة، و يوصي بتجنب الاقتباس من المشاريع و النظم الجاهزة دون الرجوع إلى الحقيقة الجزائرية المجسمة.⁽¹⁾ و يؤكد الميثاق على أن "الثورة الديمقراطية الشعبية" لتحقيق غاياتها و أهدافها عليها أن تحول الفكر الديمقراطي إلى شيء ملموس على أرض الواقع. كما أنه لا يجب على هذه "الديمقراطية أن تتوقف عند تفتح الحريات الفردية بل يجب أن تكون تعبيراً جماعياً للمسؤولية الشعبية."⁽²⁾

إن مفهوم الثورة الذي أصبح يحتاج إلى توضيح و استعمال يتلاءم مع مرحلة الاستقلال و الذي استعمل لما خلق له و فيما لم يخلق له منذ نداء نوفمبر، أضفى عليه ميثاق طرابلس تحليلاً و تفسيراً لكلمة الثورة، فإن هذه الكلمة ظلت تجند الجماهير الشعبية التي أعطتها بعفويتها الغريزية معنى يتجاوز معنى معركة التحرير الوطني، و بعد الاستقلال فإنها يجب أن تمدد دون تأخير إلى الميدان الإيديولوجي فإذا كانت في السابق الثورة من أجل الاستقلال و الحرية فبعد الاستقلال يجب أن يكون الكفاح من أجل الثورة الديمقراطية الشعبية حسب تحليل ميثاق طرابلس إذن فمهمة الثورة بعد المعركة التحريرية المسلحة هي تمتين بنية الأمة و ذلك بإعادة لها كل قيمتها التي اغتصبها الاستعمار، و التي يجب أن تبنى و تنظم من منظور عصري، بالقضاء على البنيات الاقتصادية و الاجتماعية التي كانت قائمة على الذهنية الإقطاعية.⁽³⁾ و المعلوم في هذا المجال أن الإسلام ينبذ الإقطاعية و أن تحتكر فئة معينة من المجتمع مقدرات الأمة دون غيرها من بقية الشعب.

و يمكن أن نلخص المهام الرئيسية للثورة الديمقراطية الشعبية في نقاط عديدة لعل أبرزها:

1- بناء دولة جزائرية حديثة للاعتماد على الطاقات الحية في البلاد.

2- تقوية الدولة و جعلها تتمتع بالسيادة الكاملة الفعلية و بالثقافة الوطنية.

3- إلغاء الهياكل الاقتصادية و الاجتماعية للنظام الإقطاعي الذي خلفه الاستعمار.

4- تكوين طبقة واعية تتشكل من الفلاحين و العمال.

5- إحداث تصور جديد للثقافة بأطر جزائرية وطنية و ثورية و عملية.

6- بناء اقتصاد وطني بعيد عن الهيمنة الأجنبية و الحرية الاقتصادية.

7- انتهاج سياسة التخطيط.

8- الاعتماد على الإصلاح الزراعي تحت شعار "الأرض لمن يخدمها".

1- إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 133.

2- إبراهيم، (لونيس)، ميثاق طرابلس أول مشروع مجتمع للجزائر المستقلة، الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 197.

3- إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 134-135.

9- الاعتماد على أسلوب تأميم الثروات الوطنية.

10- تحسين المستوى المعيشي و محاربة البطالة و الأمية و الاهتمام بالتعليم.

11- تحرير المرأة و القضاء على كل ما يعيق تطورها و رقيها.

12- تحويل جبهة التحرير الوطني إلى حزب و الاعتماد عليها في بناء الثورة الديمقراطية الشعبية.

لقد رأى ميثاق طرابلس في الطبقة البرجوازية صفة الانتهازية، و بأنها طبقة لا يعتمد عليها و أنها لن تكون أبدا في خدمة مصالح الشعب، و أن الشعب هو وحده القادر على إنجاز كل هذه المهام.

كما طرح الميثاق مصطلحات جديدة و منها "الاشتراكية"⁽¹⁾ حيث أكد الميثاق على ضرورة نهج الجزائر المستقلة للمنهج الاشتراكي الذي سيضمن لها إرضاء حاجيات المجتمع، فاستعمال وثيقة طرابلس كلمة "الاشتراكية" كاختيار من اختيارات جبهة التحرير كبديل للإلحاح على الطابع الشعبي للثورة الجزائرية، و على العدالة الاجتماعية التي يجب تحقيقها في نظام الجزائر المستقلة.⁽²⁾ و لعل هذا الاختيار نابع من تعاليم الدين الإسلامي الذي يحث على العدالة و المساواة بين أفراد الأمة، و لو أننا نعيب عليهم اختيار هذا المصطلح، و لقد جاءت الكثير من الآيات في باب الحث على إقامة العدل بين الناس و من أهم ذلك العدالة الاجتماعية التي تكفل للمواطن حق الحياة الكريمة، و منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾⁽³⁾ و كذلك في قوله جل جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽⁴⁾

و في تحديد معناها و محتواها تضاربت الآراء بمناسبة مناقشتها بين أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية، فمنهم من يرى بأن الاشتراكية لا تختلف عن الشيوعية، و فيهم من يرى أن تطبيق الاشتراكية الإسلامية هو المطلوب و يكفي تطبيق تعاليم الإسلام، و رأي ثالث يرى أن الاشتراكية في الجزائر يجب أن تطبق على أساس الاشتراكية العلمية.⁽⁵⁾

و في إشارة للوضع التنظيمي الذي يتطلبه الوضع الاجتماعي و السياسي الجديد، فيجب أن يكون جديدا في المفهوم التاريخي بالخطابة، و الحماسة، و التي سماها ميثاق طرابلس بـ "غلبة النزعة الأخلاقية" و هي نزعة الفكر المثالي التي تتمثل في تغيير و حل مشكلات المجتمع باستغلال القيم الأخلاقية وحدها، "...إن في ذلك تصورا مخطئا و مشوشا للعمل الثوري في مرحلة البناء، إن غلبة النزعة الأخلاقية التي يدعو البعض إليها بمحض إرادتهم هي العذر السهل للعجز عن

1- حسب الأستاذ صالح بلحاج أدخل مصطلح الاشتراكية في برنامج طرابلس بناء على اقتراح من علي هارون ينظر: صالح، (بلحاج)، المرجع السابق، ص 141.

2- إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 135.

3- سورة النساء، الآية 58.

4- سورة النحل، الآية 90.

5- إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 135.

التأثير في الواقع الاجتماعي و تنظيمه تنظيمًا إيجابيًا، فلن يقتصر الجهود الثوري على نوايا حسنة مهما كانت صراحتها بل أنه يتعين استعمال المواد الموضوعية بوجه خاص، إن القيم الأخلاقية الفردية و إن كانت محترمة و ضرورية لا يمكن أن تكون قاطعة حاسمة في بناء المجتمع فالمسيرة الصحيحة لهذا المجتمع هي التي تخلق شروط تطورها الجماعي..."⁽¹⁾

إن هذه الأوبئة السامة على الثورة و بناء الدولة، و بعض الآفات الأخرى التي لم تذكر، استفحلتها و عدم معالجتها في حينها قد أثر على الجهود الوطني و حجب قيم و مثل ثورة نوفمبر القائمة على الفضيلة و الأخلاق، و التضحية، و الوفاء، و الإخلاص و التقاليد الشعبية، إن التقليد الأعمى الذي ظهر في السنوات الأخيرة و المفهوم السطحي لمظاهر التقدم، و الفهم الخاطئ لبعض قيم و تجارب الدول الأخرى و أصبح في الاعتقاد أن عالم القيم بجملة سواء منه ما كان لنا كموروث حضاري أصيل أو ما أخذناه من غيرنا من الحضارات الإنسانية الأخرى يعتبر من فرامل سرعة الالتحاق بالحضارة المزدهرة، و أصبحت كلمة الأخلاق، تدل على الرجعية و التأخر، و البدائية. (2)

إن عدم العناية بالجانب الأخلاقي في مرحلة بناء الدولة و العناية بالإنجازات المادية، فوت على الثورة و على حزب جبهة التحرير الوطني مكسبًا ثمينًا كان سيحصن مسيرة البناء و التشييد من مخاطر كل هزة محتملة أو مصطنعة فإن الاستخفاف بالقيم الأخلاقية استخفاف بالإنسان نفسه. (3)

و في قضية محاربة الاستعمار و الإمبريالية، فقد أبرزت الوثيقة الظرف الدولي الذي من خلاله تستعد الجزائر لاسترداد سياستها بميل واضح لميزان القوى الذي ما فتئ يتطور لصالح الشعوب المحبة للسلام على حساب الإمبريالية و تسلطها. (4)

كما نبه الميثاق إلى أن السياسة الخارجية للجزائر محكوم عليها أن تتوجه نحو التحالف مع البلدان التي نجحت في دعم استقلالها و تحررت من السيطرة الإمبريالية. (5) و في هذا يذكر الميثاق: "و أمام تواجد الأخطار التي ما تزال تهدد بلادنا فإنه من الواجب توجيه السياسة الخارجية للجزائر المستقلة بالاعتماد على مبادئ محاربة الاستعمار و الإمبريالية من أجل دعم حركات الوحدة في المغرب الكبير و الوطن العربي و إفريقيا و دعم حركات التحرير و النضال من أجل السلم." (6)

و في ما يخص دعم حركات النضال من أجل الوحدة، فقد أكد واضعو الميثاق أن محاربة الإمبريالية سيغذي القوى السياسية و الاجتماعية في تحقيق الوحدة في المغرب العربي الكبير و العالم العربي و إفريقيا، ذلك أن الطموح إلى الوحدة يندرج في سياق تاريخي يعكس حاجة تحرر الجماهير، و تتمثل مهمة حزب جبهة التحرير في المساعدة على وضع تقدير صحيح لمقتضيات تحقيق الوحدة في المغرب الكبير، و الوطن العربي و في إفريقيا. (7) و هذا إيمانًا بأن

1- إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 136.

2- نفسه، ص 137-138.

3- نفسه، ص 138.

4- النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1962/1954، قسم الإعلام و الثقافة، مطابع الحزب، ص 92. و ينظر كذلك: إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 139.

5- إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 140.

6- النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1962/1954، قسم الإعلام و الثقافة، مطابع الحزب، ص 92.

7- النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1962/1954، قسم الإعلام و الثقافة، مطابع الحزب، ص 93. و ينظر كذلك: إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 140.

الوحدة التي دعا إليها الإسلام هي السبيل الوحيد و الأوحده للوقوف أمام تكتل القوى الإمبريالية خاصة و أن العالم في مرحلة استقلال الجزائر كان يعيش تحت منطلق التكتلات و الأحلاف، و هذا ما جاء في عدة آيات قرآنية التي تحت على التماسك و الوحدة و الاتحاد و نبذ النزاعات و الخلافات التي لا فائدة ترجى منها، فبقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (1) و كذلك في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (2)

و أما فيما يخص دعم حركات التحرر، فقد أكد الميثاق على وقوف الجزائر مع الشعوب المستضعفة و على تقديم يد العون و المساعدة لكامل "الشعوب التي تناضل فعلا لتحرير بلادها" (3)، فبالنضام الفعّال ضد الاستعمار ستمكن البلدان المستقلة من توسيع جبهة النضال و دعم حركة الوحدة. (4)

أما في المجال الاجتماعي أكد ميثاق طرابلس على ضرورة التحسين التدريجي لظروف حياة و معيشة السكان و القضاء على البطالة، و محاربة كل مظاهر البذخ و الترف و تبذير أموال الدولة التي هي أموال الشعب بالدرجة الأولى، و هذا عملا بتعاليم الدين الإسلامي الذي يحثنا على نبذ التبذير و الابتعاد عنه يقول الله تعالى: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ (5) إنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (5) و تخصيص هذه الأموال فيما يخدم البلاد و العباد. و في الميدان الثقافي، و تحت عنوان: "محو الأمية و تطوير الثقافة الوطنية" (6) أكد الميثاق العمل على تمكين الثقافة الوطنية من استرداد مكانتها، و بالعمل على التعريب التدريجي المنهج و المدرس. (7) و أكد أن الشعب الجزائر قد أظهر مدى "تعلقه بالقيم الوطنية التي صيغت في إطار الحضارة العربية الإسلامية. و تميز تعلقه هذا بخلق المدارس الحرة و صيانتها رغم المعارضة الصادرة عن السلطات الاستعمارية." (8)

لم يحظ ميثاق طرابلس بحظ وافر و كبير من التطبيق، و ذلك مرده إلى جملة التناقضات التي تظهر بين طياته، إذ يعجز المشروع بالغموض و استعمال التراكيب و المفردات و المصطلحات المتناقضة، فمثلا نجد تارة يستعمل عدة مصطلحات للتعبير عن الثورة الجزائرية، فتارة يصفها بـ "بحركة تحرير" و تارة أخرى بـ "حركة شعبية"، و مرة ثالثة بـ "حركة ثورية". و لا شك أن هناك أسبابا عديدة من وراء هذه التناقضات لعل أبرزها ما يلي:

1- انعدام التجانس في التركيبة المشكلة لجبهة التحرير و المجلس الوطني للثورة.

2- انعدام التجانس بين الشخصيات التي صاغت المشروع.

3- بروز التناقضات بين مختلف التوجهات التي كانت تتكون منها جبهة التحرير الوطني.

1- سورة الأنفال، الآية 46.

2- سورة آل عمران، الآية 103.

3- النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1962/1954، قسم الإعلام و الثقافة، مطابع الحزب، ص 94.

4- إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 140.

5- سورة الإسراء، الأيتان 26-27.

6- النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1962/1954، قسم الإعلام و الثقافة، مطابع الحزب، ص 90.

7- إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 143.

8- النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1962/1954، قسم الإعلام و الثقافة، مطابع الحزب، ص 89.

4- إرهابيات الصراع حول السلطة حال دون التدقيق في المصطلحات المستعملة، الأمر الذي أدى إلى ضرورة إيجاد صيغ توافقية بين المتصارعين، وهذا ما يؤكد الميثاق عندما يتحدث عن الحزب الذي هو في نظره يجب أن " يجمع حوله كل الطبقات الاجتماعية للشعب من أجل تحقيق أهداف الثورة." (1)

و رغم هذه التناقضات التي حملها الميثاق إلا أنه حمل عدة إيجابيات منها الكشف عن الكثير من الأمور الحساسة و التنبيه للكثير من الخطأ و التي كان من المفروض تحاشيها مستقبلاً، غير أن الدولة الجزائرية و بعد 1962 أخذت حكومتها تعمل على تطبيق سياسة ارتجالية تخضع بقانون تطور الأحداث و تأثير المحيط.

أدخلت وثيقة طرابلس 1962 النظام الاشتراكي إلى الثورة، و بهذا فقد ناقضت ربما حسب البعض بيان أول نوفمبر، و يذهبون إلى أن المجموعة التي صاغت الوثيقة قد عمدت "بنقل النموذج الشيوعي على الصعيد الاجتماعي و الاقتصادي." (2) بل أكثر من ذلك فقد تبنت فكرة نظام الحزب الواحد الذي يتناقض مع بيان أول نوفمبر الذي أكد على الديمقراطية و احترام الحريات الأساسية.

و بهذا فقد حلت وثيقة طرابلس محل بيان أول نوفمبر، مما عطل كل ما جاء فيه من أفكار و عدم تجسيدها على أرض الواقع، و أكثر من ذلك فقد قام نظام الحزب الواحد باحتكار السلطة و قمع الحريات و تعطيل مصالح الشعب و تقييد إرادته و تجميد الحرية الفكرية و منعها من التطور و الاجتهاد، مما ضيع الفرصة على الجزائر في إعطاء نموذج دولة راقٍ للعالم بأسره.

و الواقع في الأمر أن الجزائريين بقوا يتغنون بالماضي العظيم للثورة الجزائرية و بقيهما الكبيرة، دون أن يسعوا إلى تجسيد أفكارها على أرض الواقع. كما أن حقيقة النقص في التصور المستقبلي، و التوقع المضبوط لكيفية العمل الذي سنقوم به في مختلف الميادين، و صور التنظيم الذي سنطبقه في الاقتصاد الوطني، و الثقافة و الاجتماع هو ما يجب أن يتدارك حتى لا تبقى صيغ النقد و اللوم تتكرر على عملنا السياسي الذي قمنا به دون تصور. (3) وربما مرد ذلك كله إلى تحول المؤتمر إلى حلبة صراع سياسي حيث بقيت أشغاله مفتوحة إلى غاية يومنا الحالي.

لقد تضمن برنامج طرابلس نقدا ذاتيا في صورة محاكمة قاسية لقيادة جبهة التحرير الوطني، فشهر بوجود إقطاعيات سياسية و الهروب أمام الواقع و البحث الفردي عن أوضاع مستقرة و القصور الإيديولوجي و ممارسة المحاكاة الإيديولوجية و التصرفات الأبوية و النظرة الصبانية للمسؤولية. (4) كما أنه سجل على المؤتمر عدم الحديث بل تجاهل الحديث عن مؤتمر الصومام رغم ما أثاره هذا المؤتمر من نزاع بين الداخل و الخارج. (5)

و رغم هذا التحليل لميثاق طرابلس إلا أننا لا نستطيع إعطاء جواب جازم لسؤالنا الذي طرحناه عند تقديمنا لهذا العنصر من باب الموضوعية و الأمانة العلمية، غير أن المحلل للبرنامج سيجد "نفسه أمام إشكالية عويصة: لقد اعتمد

1- إبراهيم، (لونيسى)، ميثاق طرابلس أول مشروع مجتمع للجزائر المستقلة، الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 198.

2- رابح، (لونيسى)، إيديولوجية الثورة الجزائرية بين النظرية و التطبيق، المرجع السابق، ص 103.

3- إدريس، (فاضلي)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N عنوان ثورة و دليل دولة، المرجع السابق، ص 133-134.

4- صالح، (بلحاج)، المرجع السابق، ص 139-140.

5- نفسه، ص 139-140.

ظاهريا البرنامج مبادئ البيان النوفمبري و لكنه في نفس الوقت أعطى لها مدلولات و معاني أقل ما يقال عنها أنها تبعث الشك و التساؤل. " (1) كما أنه كذلك لم يحدد بدقة طبيعة الدولة الجزائرية المراد تأسيسها.

سادسا: بعض التصريحات و الوثائق:

1/ تصريح فرحات عباس رئيس مجلس الوزراء:

في يوم 26 سبتمبر 1958 ألقى السيد فرحات عباس باسم الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تصريحا أشاد فيه ببطولات الشعب الجزائري، و مقاومته المستمرة للاحتلال الفرنسي الذي قاوم و لم يتنخل لحظة واحدة عن ذاتيته. ثم عرج على الثورة الجزائرية التي يقودها الشعب الجزائري منذ أربع سنوات، و ذكر بسقوط الآلاف من الشهداء في ساحة الوغى. و قد وظف فرحات عباس في تصريحه هذا العديد من المصطلحات المستمدة من القرآن الكريم - هذا رغم ثقافته الفرنسية- و منها: "... و سقط في ميدان الشرف و الكرامة من أبنائه- هنا يقصد أبناء الوطن الجزائري- ما يزيد عن الستمائة ألف شهيد..." (2) و كذلك في: "... و لكنه ظل رغم هذه الآلام و رغم آلاف الضحايا صلدا في عقيدته مؤمنا..." (3) كما وظف مرة أخرى في هذا التصريح مصطلح الشهداء الجزائريين في قوله: " في هذه اللحظات التاريخية تحيي الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بتأثر و إجلال ذكرى الشهداء الجزائريين الأبرار..." (4) و كذلك مصطلح الحضارة الإسلامية في قوله: " و هناك أيضا ذلك الميراث البديع من الحضارة العربية الإسلامية..." (5)

لاحظنا في هذا التصريح عندما يتحدث عن الجمهورية الجزائرية أنه تم حذف عبارة في إطار المبادئ الإسلامية التي جاء بها بيان أول نوفمبر 1954، و هذا في قوله: "... و ربما أن الشعب قد تبني مبادئ الثورة فقد اختار من الآن و أمام العالم أجمع جمهورية ديمقراطية و اجتماعية..." (6) و ربما هذا راجع إلى تغير نهج الثورة الجزائرية خاصة بعد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 حيث أدخلت بعض المفاهيم الجديدة و التي لها علاقة بالثورة الاشتراكية في تلك المرحلة من تاريخ العالم المعاصر.

2/ القوانين الأساسية لجهة التحرير الوطني:

جاء في وثيقة القوانين الأساسية لجهة التحرير الوطني ذكر لبعض المصطلحات مثل: المجاهدين و المجاهدات و المجاهدون و هذا في "إن المجاهدين و المجاهدات يقومون بالكفاح الوطني الذي يرمي إلى تخريب قوى العدو." (7) و

1- محمد، (جغابة)، المرجع السابق، ص 114.

2- يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، المرجع السابق، ص 111.

3- نفسه، ص 111.

4- نفسه، ص 111.

5- نفسه، ص 111.

6- نفسه، ص 112.

7- يحي، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج2، المرجع السابق، ص 26.

كذلك في" و المجاهدون في صفوف جيش التحرير الوطني الذين يحركهم نفس الإيمان هم مناضلون في جبهة التحرير الوطني معينون للعمل المسلح".⁽¹⁾ و كلها مصطلحات مستمدة من القرآن الكريم من جاهد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾⁽²⁾ و من جاهدوا في قول الله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَّجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾ فقد وعت جبهة التحرير الوطني كل الوعي أوامر هذه الآية الكريمة التي يحثنا فيها ربنا على بذل الجهد و استفراغ وسعنا في المال و النفس من أجل النفي في سبيله. كما أن الجهاد خير من التقاعد و التقاعس لأن فيه مرضاة الله تعالى، و الفوز بالدرجات العاليات، و النصر لدين الله، و الدخول بذلك في جند و حزب الله. أو في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾⁽⁴⁾ ، و هذا امتثالا لأوامر الله تعالى في محاربة الكفار و المعتدين عن طريق نصر الحق و قمع الباطل الذي ساد في أرض الجزائر فسادا و ظلما.

كما جاء في هذه القوانين ذكر لمصطلح الأمة عندما تعتبر جبهة التحرير الوطني "قائد الأمة و محرك الثورة".⁽⁵⁾ و هذا المصطلح كذلك ذكر في عدة آيات من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾⁽⁶⁾ و في قوله كذلك: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽⁷⁾ و في هذا المصطلح دلالة أكيدة على أن الجزائريين أمة واحدة يتمسكون بمبدأ الله و لا يتفرقون عنه إلى الممات. و ذكرت هذه القوانين كذلك مصطلح الإسلامية عندما تتحدث عن انتماء الجزائر للعالم العربي "الذي تربطها به أربع عشر قرنا من التاريخ و الثقافة العربية الإسلامية".⁽⁸⁾

كما جاء في هذه القوانين الحديث عن بعث الدولة الجزائرية "ذات السيادة و بناء جمهورية ديمقراطية و اجتماعية"⁽⁹⁾ و هنا ربما تناقض صريح مع ما جاء في بيان أول نوفمبر عندما يتحدث عن "أولا: إقامة حكومة جزائرية ذات سيادة ديمقراطية و اجتماعية داخل إطار المبادئ الإسلامية".⁽¹⁰⁾ فقد حذفت جملة "داخل إطار المبادئ الإسلامية".

1- النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1962/1954، قسم الإعلام و الثقافة، مطابع الحزب، ص 103. و ينظر كذلك: يحيى، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1962-1954، ج2، المرجع السابق، ص 26.
2- سورة التوبة، الآية 73.
3- سورة التوبة، الآية 41.
4- سورة الفرقان، الآية 52.
5- يحيى، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1962-1954، ج2، المرجع السابق، ص 26.
6- سورة الأعراف، الآية 181.
7- سورة آل عمران، الآية 104.
8- النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1962/1954، قسم الإعلام و الثقافة، مطابع الحزب، ص 104. و ينظر كذلك: يحيى، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1962-1954، ج2، المرجع السابق، ص 27.
9- يحيى، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1962-1954، ج2، المرجع السابق، ص 26.
10- يحيى، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1962-1954، ج1، المرجع السابق، ص 11.

كما نجد في نفس القوانين في المادة الثانية العودة إلى هدف جبهة التحرير الوطني ألا و هو "بناء جمهورية جزائرية حرة ديمقراطية و اجتماعية لا تكون متناقضة مع المبادئ الإسلامية." (1)

من المعلوم أن الثورة الجزائرية ركزت على الجانب الروحي أكثر من التركيز على الجانب المادي، فاستطاعت قهر عقدة الخوف من التفوق الفرنسي، و نشرت بين أوساط المجاهدين حب الجهاد و التضحية و الاستشهاد في سبيل الله و الوطن، فكان من سمات ذلك غلبة طابع الأخلاق الفاضلة و البساطة في أوساط المجاهدين. و في هذا الصدد يؤكد الدكتور 'البخاري حمانة' أن الجوانب الأخلاقية للثورة التحريرية تتجلى في تأكيدها على أخلاقية الثورة و على ثورية الأخلاق كذلك في الوقت نفسه، إيماننا منها أن الثورة، بخاصة التحريرية، إما أن تكون ثورية أو لا تكون؛ فلا ثورة خارج الأخلاق و لا أخلاق ثورية خارج الثورة. (2)

هذه الأخلاق كلها كانت نابعة من تعاليم الإسلام، فنشرت بين جموع المجاهدين صفات حسنة مثل: التواضع، الطهارة، العفة، الإيثار و حب التضحية بالنفس و النفس، و الصبر على الشدائد و الثبات عند المحن و ملاقاتة العدو بصدر رحب و عدم التولي يوم الزحف إيماناً منهم من ذكر الله الحكيم القائل في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (3) كما انتشرت ظاهرة التكافل و التعاون الاجتماعي بين المجاهدين.

لقد كان المجاهدون مثلاً للشرف و الانضباط، و مديد العون لمن يحتاجها و قمع كل من يمس بالدين و الشرف و العفة، و قد طرح مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 عدة قضايا من هذا النوع منها: تحريم الإعدام ذبحاً، و جميع أنواع التشويه و التمثيل. و نص على أن من يتعدى على عرض فتاة أو امرأة يحكم عليه بالإعدام، كما أمر بوجوب العناية بالأسرى و معاملتهم معاملة حسنة.

و من حسن حظ الثورة أنها تمسكت بمبادئ الشريعة الإسلامية قولاً و عملاً ، الأمر الذي قطع الطريق أمام الاستعمار ليلعب على حبل الدين ، فقد فشل في ذلك فشلاً ذريعاً، لأنه لم يجد ثغرة دينية أو أخلاقية تسيء إلى سمعة الجهاد و المجاهدين في نظر الشعب الجزائري، فالشريعة الإسلامية من أوامر و نواه كانت مطبقة تلقائياً من قبل المجاهدين حتى قبل التأكيد عليه في لوائح مؤتمر الصومام أو في النظام الداخلي لجيش التحرير الوطني. (4)

و لتأكيد هذا وضعت جبهة التحرير الوطني قانونها الداخلي الذي ركز على فضائل الأخلاق، فقد ورد فيه ما يلي: "على كل مجاهد أن يتصف بالأخلاق الكريمة، لأنه مسؤول على تصرفاته و أقواله، و إذا لم يحترم هذا المبدأ فإنه يكون قد تعدى على إحدى المبادئ الإسلامية." (5) و لهذا الغرض فقد حدد هذا القانون و صنف الأخطاء إلى ثلاثة أقسام: 1- أخطاء من الدرجة الأولى، و منها التهاون، التلفظ بالكلام الفاحش، الإهمال، المشاجرة، الاستهزاء بالغير.

1- النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1962/1954، قسم الإعلام و الثقافة، مطابع الحزب، ص 106. و ينظر كذلك: يحيى، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1962-1954، ج2، المرجع السابق، ص 28.

2- البخاري، (حمانة)، المرجع السابق، ص 250.

3- سورة آل عمران، الآية 155.

4- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 57.

5- محمد، (بوشناق)، المرجع السابق، ص 162.

2- أخطاء من الدرجة الثانية، و منها النميمة، عصيان الأوامر، الفرار، شهادة الزور، تضييع السلاح، سوء التصرف مع الأعلى رتبة.

3- أخطاء من الدرجة الثالثة، و منها إفشاء الأسرار و خلق الفتنة بين المجاهدين، و الاستسلام للعدو.

و هكذا جاءت أفكار الثورة مطابقة لأفعالها، و مبادئها مفعلة و مطبقة على أرض الواقع، فكانت المحرمات محرمة على الكل، لا على البعض دون الآخر، أو على فئة دون الأخرى، و كانت المنكرات تغير باليد قبل اللسان و القلب، مصداقا لقول الرسول الكريم: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، و ذلك أضعف الإيمان."⁽¹⁾ فكانت المنكرات تغير باليد قبل اللسان و القلب، و الوعود تنجز، و الجهود توفى، و الواجبات تؤدي. كما انتشرت العدالة و النزاهة و سادت في كل سلوك ثوري. فكانت الثورة بذلك متجاوبة مع آمال الشعب الجزائري الدينية منها و الدنيوية.⁽²⁾

و كانت تشترط قيادة الثورة على المناضلين الالتزام بأداء الفرائض كالصلاة و الصيام، فهي مفروضة على المسؤول و المجاهد البسيط، و قد كان أول رمضان صامه المجاهدون خلال الثورة عام 1955، حيث أصدرت قيادة الثورة بوجوب الإفطار، غير أن المجاهدين فضلوا الصيام و ملاقاتة العدو على هذا الحال. و من تجليات هذا أن جمع المجاهدون بين فضيلتي الجهاد و الصيام. و في هذا يقول المجاهد 'محمد زروال': "هكذا كانت حياة المجاهدين في الثورة الجزائرية بصفة عامة و إذا أظلم شهر الصيام بصفة خاصة: جهاد مقرون بالصوم، تنحل فيه معاني النفس فيتحول إلى نار مضطربة مضطربة لا تعرف الحمود و الهمود."⁽³⁾

و بالرغم من أن قادة الثورة لم يكونوا علماء دين أكثر مما كانوا قادة سياسيين و عسكريين، مع العلم أنهم متدينون و لا يجد واحد من مفجري الثورة يقر بأنه شيوعي، و لأنهم كانوا كذلك فقد كانوا يستعينون دوما بالمجاهدين من علماء الدين للقيام بالتوعية السياسية و الدينية للجهاد ضد المحتل⁽⁴⁾ و كان هذا التكامل واضحا بين رجال السياسة و علماء الدين، الأمر الذي جعل الثورة تحقق الانتصارات العسكرية على مستوى الجبهة الداخلية بفضل فريضة الجهاد، و تحقيق الانتصارات السياسية على مستوى الجبهة الخارجية بفضل الحنكة السياسية.

لقد جسدت الثورة التحريرية بمبادئها و أعمالها أسمى عبارات و صور المعايير و القيم الدينية و الأخلاقية التي كانت بحق أسمى صور المثل الأعلى الأخلاقي الذي يكن أن يتحقق في مجتمع إنساني معاصر، فكان لها تلك القوة الجاذبة للشباب الذي التف حولها، حيث ظل الالتحاق بصفوفها عنوان شرف يجب كل ما سبق من عيوب،⁽⁵⁾

1- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من الإيمان، الحديث 49. تبح: نظر محمد الفارياحي، دار طبية، ط2، 2006.

2- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 64-65.

3- محمد، زروال، المرجع السابق، ص 114.

4- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 45.

5- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 69-70.

فكانت الثورة للبعض منهم عملية اكتمال أخلاقي و تويجا للمرحلة النهائية في بناء الشخصية. و عليه فقد كانت الثورة أكبر و أفضل مصنع لإنتاج الرجال و تخريج الأبطال و الشهداء، و صقل مكارم الطباع و الأخلاق.

سابعا/ بعض مظاهر البعد الإسلامي في الثورة الجزائرية:

وقفت الكثير من الدراسات و التحاليل على مظاهر البعد الإسلامي في الثورة الجزائرية، و في هذا يذكر الأستاذ أحمد نبيل بلاسي¹ أن من مظاهر الأساس العربي الإسلامي هو تأييد العلماء لثورة الفاتح من نوفمبر.(1) و لعل أهم هذه المظاهر نبرزها في دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء الثورة على المستوى الداخلي و الخارجي.

1/ على المستوى الداخلي:

لعب التيار الإصلاحية دوره في الثورة التحريرية على كثير من الجبهات و الأصعدة نذكر منها ما يلي:

أ/ سياسيا:

عندما كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي المدافعة عن التوجه العربي الإسلامي في الجزائر، و لما دافعت جبهة التحرير الوطني عن هذه الفكرة كذلك، بدليل توجهها لمخاطبة الرأي العربي و الإسلامي بغية الحصول على الدعم و التأييد (2) فقد رحبت بانضمام العلماء إلى الثورة التحريرية، و بالمقابل فقد وضع العلماء أنفسهم تحت تصرف جبهة التحرير الوطني و ذلك من خلال الاجتماع الذي دعا إليه الشيخ توفيق المدني بمدينة قسنطينة الرامي لتأييد الثورة و الوقوف معها.(3) و في هذا يذكر الشيخ 'توفيق المدني' استطاعت الجمعية بعد مناقشات طويلة أن تكون "من الثورة و مع الثورة، و لا يمكن إطلاقا أن لا تكون مع الثورة." (4)

كما أورد الأستاذ بن نعمان في كتابه "جهاد الجزائر حقائق التاريخ و مغالطات الإيديولوجيا"، مقتطف من محاضرة ألقاها المجاهد لخضر بن طوبال(5)، يؤكد فيها أن أكبر عثرة واجهت الثورة عند اندلاعها كانت "جمعية

1- نبيل أحمد،(بلاسي)، المرجع السابق، ص 157.

2- هذا ما أكد عليه بيان أول نوفمبر في : تحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطارها الطبيعي و هو العروبة و الإسلام. ينظر بيان أول نوفمبر الملحق رقم 3 ص 364 .

3- بادر الشيخ المدني مع الشيخ محمد خير الدين بإرسال دعوة مستعجلة لجمع المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمعهد عبد الحميد بن باديس يوم الفاتح نوفمبر 1954 على الساعة العاشرة صباحا. للمزيد ينظر: أحمد توفيق، (المدني)، المرجع السابق، ص 20. و هذا رغم ما تضارب الأقوال حول هذا الاجتماع فمن قائل أنه يأتي كسلسلة الاجتماعات العادية للجمعية، و من قائل أنه جاء نتيجة أحداث الفاتح من نوفمبر، للمزيد حول تعدد وجهات النظر و الآراء ينظر: أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 89-90.

4 - أحمد توفيق، (المدني)، المرجع السابق، ص 23.

5- بن طوبال سليمان المدعو لخضر أو سي عبدالله، من مواليد سنة 1923 بميلة من أسرة متواضعة حيث يعمل والده كفلاح. انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري خلال الحرب العالمية الثانية ثم انتدب للمنظمة الخاصة بالقطاع القسنطيني 1947/1948. بعد اكتشاف أمر المنظمة الخاصة انتقل إلى الأوراس ليعيش حياة الجبال مع العديد من المطلوبين من فرنسا حيث تعرف هناك على مصطفى بن بولعيد و بشير شيجاني و عجال عجول. و لب نداء محمد بوضياف ليصبح عضوا في مجموعة 22. عند اندلاع الثورة التحريرية أصبح مسؤولا عن المنطقة الممتدة من جيجل، الشقفة، الطاهير، الميلية إلى قسنطينة. يعتبر أحد المهندسين مع زيغوت يوسف لهجمات 20 أوت 1955. شارك في وفد الشمال القسنطيني بمؤتمر الصومام حيث عين عوضا إضافيا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، ثم عوض زيغوت الذي استشهد في الكفاح. أصبح عضوا في لجنة التنسيق و التنفيذ عام 1957. ثم مسؤولا عن منظمة فدراليات فرنسا، و تونس، و المغرب في ظل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الأولى 1958/1959 و الثانية 1960/1961. و في الحكومة المؤقتة الثالثة أصبح وزيرا للدولة دون حقيبة. عضوا في الوفد المفاوض الجزائري في لي روس و إيفيان الثانية. اعتقل ثم أطلق سراحه خلال صراع صانفة 1962، حيث أوقف نشاطه السياسي بعدها. بعد 1965 تقلد منصب المدير العام للشركة الوطنية للصلب، ثم في 15 جانفي 1972 منصب رئيس المجلس الإداري لاتحاد العرب للحديد و المعادن للمزيد ينظر: . 72-73، op.cit، (Achour)، Cheurfi،

العلماء المسلمين الجزائريين". و الحقيقة في الأمر أن هذا التصريح يؤكد لنا على دور الدين و أهميته في الثورة، ذلك أن الشعب الجزائري المؤمن لا يثق في أحد أكثر من ثقته في رجال الدين، و لذلك بقيت الكلمة الأخيرة بيد الدين و رجاله الموثوق في إخلاصهم و جهادهم، و هو أكبر دليل على دور الدين في تعبئة الجماهير للثورة، و الذين ظل الشعب الجزائري ينتظر تركيتهم و فتواهم لمشروعية الجهاد.(1) و هذا ما أكدته جريدة الاكسبريس الباريسية حين علقت على بيان الجمعية الحاسم حول الثورة، بأن لهذا البلاغ أهمية عظيمة لأنه يعتبر أول تأييد ديني رسمي للثورة الجزائرية. (2) و في هذا يعتبر الأستاذ لهلاي أن بيان 7 يناير 1956 الخاص بالجمعية لا يعتبر فقط تأييدا سياسيا بل هو تأييد ديني رسمي لثورة الجهاد.(3)

و المتتبع لخطب و محاضرات و أحاديث رئيس الجمعية الشيخ 'البشير الإبراهيمي'، يدرك و يعي أن هذا ما حصل بالفعل. ففي خطاب ألقاه الشيخ بإذاعة صوت العرب بالقاهرة عام 1955 ما يؤكد على ذلك، فقد جاء فيه: "أن الاستعمار عدو لدود للإسلام و أهله، فوجب في حكم الإسلام اعتبار الاستعمار أعدى أعدائه، و وجب على المسلمين أن يطبقوا هذا الحكم الإسلامي و هو معاداة الاستعمار لا موالاته." (4) و عليه فإن الإسلام و الاستعمار ضدان لا يلتقيان أبدا لا في مبدأ و لا في غاية. ثم يضيف الشيخ في آخر خطابه مؤكدا على هذا و مطالبيا المسلمين بضرورة عدم الموالاتة، إذ يقول: "أيها المسلمون أفرادا و هيئات و حكومات. لا توالوا الاستعمار فإن موالاته عداوة لله و خروج عن دينه. و لا تتولوه في سلم و لا حرب فإن مصلحته في السلم قبل مصالحكم، و غنيمته في الحرب هي أوطانكم. و لا تعاهدوه فإنه لا عهد له. و لا تأمنوه فإنه لا أمان له و لا إيمان." (5) و هكذا جعل هذا الخطاب التمسك بتعاليم الدين الإسلامي ركيزته الأساسية امتثالا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (6) و كذلك في قوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلْتُمُ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (7) و أن موالاتة الاستعمار هي خروج عن ملة الإسلام.

و الحقيقة في الأمر أن العلماء لعبوا دورا سياسيا لا يستهان به في تطور الثورة التحريرية خاصة فيما تعلق بالاتصالات و نقل الوثائق و الرسائل بين مختلف المناطق، لأن العلماء كان لهم سهولة التنقل بحكم مهامهم كمعلمين و مفتشين، و في هذا يقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله: "فلما كنت في الجزائر سنة 1955 كنت أسمع الأصدقاء التي تصلنا من أن هناك أعضاء من جمعية العلماء خصوصا أولئك الذين يشتغلون في ميدان التفتيش، ممن تسمح لهم مهنتهم بالتنقل من مكان إلى آخر، أو الذين يجمعون الاشتراكات لجريدة البصائر فكل هؤلاء كانت لهم مهمة ظاهرة و مهمة خفية مثل جمع

1- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 56.

2- المدني، (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص 40.

3- أسعد، (لهلاي)، المرجع السابق، ص 138.

4- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 1954، 1964/5، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997، ص 68. و ينظر الخطاب كاملا في الملحق رقم 4 ص 368.

5- ينظر الخطاب كاملا في الملحق رقم 4 ص 368 .

6- سورة المائدة، الآية 51.

7- سورة الممتحنة، الآية 09.

الرسائل و توزيعها و الاتصالات السرية بين أفراد الجبهة و أفراد جيش التحرير، أي كانوا يقومون بمهمات محددة بالموازاة مع عملهم في إطار الجمعية." (1)

لقد بدأ العلماء نشاطهم السياسي بانضمام الكثير منهم إلى الثورة من أمثال: 'إبراهيم مزهودي' و 'مصطفى بوغابة' الذين كان لهما الأثر في تفعيل الاتصال، ونقل الأخبار بين المناضلين خاصة طلبة معهد ابن باديس. (2) و من بين أهم المهام السياسية للعلماء تلك التي كلف بها 'إبراهيم مزهودي' (3) بعد مؤتمر الصومام، هو اتصاله بقيادة الولاية الأولى الذين كانوا على خلاف بعد استشهاد 'مصطفى بن بولعيد'، فعقد لهم اجتماع حوار و مصالحة، الأمر الذي جعلهم يتبنون قرارات مؤتمر الصومام. و في هذا يرى الأستاذ لهلاي أن العمل السياسي الذي قام به مزهودي كان مهما و ساهم في لم شمل الولاية الأولى التي كانت القلب النابض للثورة. (4) و ها هو كذلك الشيخ 'خير الدين' يستدعى للمجلس الوطني للثورة الجزائرية كعضو فيه. (5)

كما نجد الكثير من العلماء قد كلفوا بمهام الانتماء إلى المجالس البلدية التي شكلتها الثورة التحريرية خاصة بعد مؤتمر الصومام، و نجد منهم الشيخ 'علي الساسي' الذي ترأس المجلس البلدي بنواحي أم البواقي. كما ترأس الشاعر 'الربيع بوشامة' جبهة التحرير بالعاصمة بعد خروج لجنة التنسيق و التنفيذ منها بعد معركة الجزائر. (6)

ب/ عسكريا و لوجستيا:

إن دور علماء الجمعية في تنقية عقيدة الجهاد مما علق بها من شوائب و انحرافات لا ينكره إلا جاحد. فحتى قبل اندلاع الثورة بسنوات طويلة أكدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على ترسيخ عقيدة الجهاد في أذهان الشعب الجزائري إيمانا منها بأن ليل الاستعمار لن يطول و أن فجر التحرر سيأتي لا محالة. ثم بعد اندلاع الثورة أكدت على هذا الفعل في كثير من الخطب و الأحاديث التي جاءت على لسان رئيسها الشيخ 'البشير الإبراهيمي'، فها هو في كلمة ألقاها يوم 5 جوان 1955 من إذاعة صوت العرب بالقاهرة، يؤكد على ذلك في قوله: "لوقسمت حظوظ الجهاد بين الأمم لحازت الجزائر قصبات السبق... و قد وضع الله الجزائر في موضع يدعو إلى الجهاد و على وضع يدعو إلى الجهاد،...." (7) كما أكد الشيخ كذلك في كلمة له ألقاها سنة 1956 بالقاهرة على صمود الجزائر المجاهدة في وجه طغيان فرنسا عن طريق الجهاد. و أكد على أن الجزائر أعربت عن ذلك كله، "فحققت الجهاد بالنفس و هو أحد نوعي الجهاد، و هو النوع الذي علمت أخباره و اشتهرت في العالم، و رفعت اسم الجزائر إلى السماء، و أصبح ذكرها مقرونا

1- أسعد، (لهلاي)، المرجع السابق، ص 140.

2- أسعد، (لهلاي)، المرجع السابق، ص 142.

3- من مواليد النمامشة، و إطارا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. انضم إلى حزب الشعب الجزائري عندما كان يدرس بجامع الزيتونة مع الشادلي المكي. انضم إلى موقف مصالي الحاج خلال أزمة الحزب ثم التحق بجبهة التحرير الوطني منذ تأسيسها. أرسل بعد مؤتمر الصومام إلى النمامشة لتنظيمها. ثم أرسل إلى القاعدة الخلفية تونس 1959/1957 كناطق للرائد كاسي. في سبتمبر 1962 أصبح برلمانيا. أحد النواب لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1991. للمزيد ينظر: Chourfi, (Achour), op.cit, p 248-249.

4- أسعد، (لهلاي)، المرجع السابق، ص 143.

5- محمد، (خير الدين)، مذكرات و مشاركات في جمعية العلماء و جبهة التحرير الوطنية و مجلس الثورة الجزائرية، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 198.

6- أسعد، (لهلاي)، المرجع السابق، ص 145.

7- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 76. و ينظر الخطاب كاملا في الملحق رقم 5 ص 371.

بالإعجاب و الإكبار، و ذكر بنيتها مقرونا بالمدح و الثناء. " (1) ثم يواصل خطابه كاشفا عن النوع الثاني من الجهاد و هو الجهاد بالمال الذي يعتبر من الدعائم التي تقوم عليها ثورة التحرير الجزائرية. و في نفس السياق جاء خطابه الذي ألقاه يوم 15 مارس 1958 ضمن فعاليات اليوم التضامني مع الجزائر إذ أوضح فيه ما قامت به الجزائر في ميدان الجهاد بالنفس قائلا: "هذا ما قامت به الجزائر وحدها في قسم الجهاد بالنفس" (2)

و مع تطور مسار الثورة التحريرية، من جهة، و تطور الكفاح التحرري في العالم من جهة أخرى، انضم الكثير من العلماء و تلاميذ مدارس و معاهد الجمعية إلى النشاط الثوري العسكري، فقد تشجع الكثير منهم لحمل السلاح، فها هو 'إبراهيم مزهودي' بعد اتصال عبان رمضان به، ينشأ لجنة اتصال تغطي منطقة الأوراس و الشمال القسنطيني و الخط الرابط لهما مع العاصمة، و اختار لها معلمين من مدارس جمعية العلماء، و منها مدرسة البرج و من أعضائها: العربي سعدوني و صالح وشام، و مدرسة الفتح بسطيف، و من أعضائها: الطيب خرشي، و بوعلام باقي، و الحفناوي زاعر، و مدرسة شلغوم العيد و يتزعمها سليمان بشنون و منها بعض المعلمين. (3) كما نجد الكثير من الطلبة التابعين للجمعية هم من ربطوا الاتصال بالوراس بواسطة الشيخ سرحاني، و كذلك علي بلقاسم و حمادي الهاشمي. كما التحق طلبة معهد بن باديس بالثورة حين تركوا مقاعد الدراسة، و منهم: محمد كشود، و الهاشمي هجرس و غيرهما. كما التحق الكثير من تلاميذ مدرسة التربية و التعليم بالحرمي بوهران بالثورة التحريرية و حملوا السلاح في سبيل وطنهم و قد استشهد أغلبهم. (4)

كما يشير الأستاذ لهلالي إلى أن بعض مدارس الجمعية كانت مقرا لبعض اجتماعات مناضلي جبهة التحرير الوطني و كذلك لصناعة بعض المتفجرات مثل مدرسة مستغانم التي كانت تحت إشراف المدير مصباح الحويذق و مدرسة الحراش مع الربيع بوشامة. (5)

لقد برهن الكثير من علماء الجزائر على قوتهم و تمسكهم بمواقفهم إتجاه الثورة بل الأكثر من ذلك فما وهنوا و لا استكانوا في سبيل الله، مصداقا لقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (6) و من هذه المواقف المتشددة لصالح الثورة الجزائرية نذكر ما وقع للشيخ العربي التبسي الذي رفض الانصياع لمطالب الحاكم العام الفرنسي روبرت لاكوست (Robert la coste) حين طلب منه تهدئة الشعب الجزائري. و مع ثبات الشيخ على موقفه و نصرته للكفاح المسلح ضد فرنسا، و كثيرا ما كان يردد عبارة: من عاش فليعيش بعداوة فرنسا و من مات فليحمل معه هذه العداوة إلى القبر، فقد لاحقته فرنسا بالسجن و الإقامة الجبرية إلى غاية اختطافه من قبل المظليين الفرنسيين في ليلة الخامس من شهر أبريل 1957، و اغتياله غدرا.

1- ينظر الخطاب كاملا في الملحق رقم 6 ص 374 .

2- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، المرجع السابق، ص 217. و ينظر الخطاب كاملا في الملحق رقم 7 ص 376 .

3- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 146.

4- نفسه، ص 147.

5- نفسه، ص 147.

6- سورة آل عمران، الآية 146.

أما فيما يخص الدعم المالي من طرف الجمعية للثورة التحريرية في السنوات الأولى من اندلاعها، فمعظم المصادر لم تشر إليها، وهذا راجع ربما لعدم وجود دعم مادي مباشر أو لغياب الوثائق التي تثبت ذلك. و المهم في كل هذا أن الثورة التحريرية قد استفادت من القدرات التنظيمية والخبرات التي كان يتمتع بها أفراد الجمعية، فلقد تم تكليف عدد من رجال الجمعية و طلابها من أمثال: أحمد بوشمال المعروف بقدراته التنظيمية و تجربته في جمع الإعانات و بسبب مكانته الاجتماعية و السياسية بقسنطينة. (1)

كما نجد الكثير من عناصر الجمعية و طلبتها من عين كقائد للمنطقة، ففي الولاية السادسة مثلا عين العقيد 'شعباني' بتاريخ 15 سبتمبر 1961 كل من الرائد 'سليمان سليمان' المدعو لكحل قائدا للمنطقة الثانية و الرائد 'عمر صخري' قائدا للمنطقة الرابعة. و قد شارك هؤلاء الضباط في الكثير من المعارك مثل: معركة جبل الكرمة بتاريخ 17/16 سبتمبر 1961. (2) كما نجد كذلك 'محمد الصالح يجياوي' كعضو في مجلس الولاية الأولى ابتداء من شهر جانفي 1962. كما نجد 'عمار ملاح' الذي التحق بالثورة منذ إضراب الطلبة 19 ماي 1956، و شارك في الكثير من المعارك خاصة في منطقة القصر بجبل بوعريف، و ارتقى سلم المسؤوليات حيث رقي إلى عضوية مجلس الولاية الأولى كرائد مكلف بالاستعلامات و الاتصالات. (3)

ومن بين الشهداء العلماء نذكر الإمام الشيخ 'العربي التبسي' رئيس الجمعية بالنيابة و اليمين العمودي (4) الأمين العام السابق للجمعية و رضا حوحو الكاتب العام لمعهد ابن باديس و محمد العدوي و الشاعرين عبد الكريم العقون و الربيع بوشامة و الشيخ العربي الشريف وغيرهم كثيرون بذلوا دماء سخية في سبيل حرية الجزائر وكرامتها واستعادة هويتها العربية الإسلامية كاملة غير منقوصة. (5)

و مهما يقال عن أن عناصر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان تواجههم ضعيفا في هياكل الثورة التحريرية خاصة قيادة الولايات و القيادة السياسية و العسكرية العليا، فالمعروف تاريخيا أن رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم يحضروا لاندلاع الثورة ماديا إلا أنهم لم يترددوا في احتضانها بكل ما أوتوا من قوة، و لم يتوانوا لحظة في الدعاية لها و تشجيع الشعب الجزائري بل و حثه على الانخراط فيها و الموت في سبيل الله و في سبيل الوطن. و هم و إن فاتهم شرف تفجيرها فلم يفتهم شرف الانفجار من أجلها، و إمدادها بأعلى ما يملكون. (6)

و بهذا فلقد كان انضمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للثورة الجزائرية، و بخاصة بعد بيان 7 جانفي 1956 الذي أحدث دوبا صارخا، و تأييدها لجهة التحرير الوطني أشر الواضح في توسيع قاعدة النضال بالنظر إلى المكانة الدينية التي كان يحتلها العلماء بين أوساط الشعب الجزائري.

1- أسعد، (لهالي)، المرجع السابق، ص 148.

2- نفسه، ص 150.

3- نفسه، ص 151.

4- تلميذ بالمدرسة الخاصة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و متشعب بالنظرة الإصلاحية، دعم الشيخ الطيب العقبي ببسكرة عام 1924 لنشر الفكر الإصلاحية الوهابي. أصبح الأمين العام للجمعية ما بين 1931 و 1935، ثم من 1934 إلى 1939 رئيس تحرير جريدة الدفاع، و أحد الناشطين في المؤتمر الإسلامي. جمع اليمين العمودي بين العقيدة الإصلاحية و الوطنية للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر:

Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954,op.cit,p 348.

5- نفسه.

6- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 59.

ج/ ثقافيا و قضائيا:

حملت الجمعية على عاتقها منذ تأسيسها على الحفاظ الهوية الثقافية للشعب الجزائري عن طريق التصدي للثلاثية الاستعمارية المتمثلة في: الفرنسية، التنصير، و الإدماج، و التي قابلتها بشعارها المعروف و المدوي ثلاثي الأبعاد: الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، و الجزائر وطننا. و قد واصلت نفس النهج حين اندلاع الثورة التحريرية حيث التحق أساتذتها و تلامذتها بالثورة مستمرين في نشاطهم التعليمي و التثقيفي.

إن الملاحظ لنشاط أعضاء الجمعية من أساتذة و تلاميذ يرى أن دورها الثقافي و القضائي كان فعالا خاصة بعد انخراطهم في الخلايا التي أنشأها 'إبراهيم مزهودي'.⁽¹⁾ و من الأعمال التي تحسب لأعضاء الجمعية أثناء الثورة التحريرية نشاطهم الكبير داخل الأقسام التعليمية التي أنشأتها جبهة التحرير الوطني في كل روع الوطن. كما قام العقيد عميروش بالاتصال بالشيخ 'أحمد حماني' و طلب منه إرسال المعلمين لبث الوعي الديني و الاتجاه العربي بين صفوف المجاهدين، فاستجاب له الشيخ و أرسل إليه العديد من الدعاة أثروا بشكل فعال في تعميق الوعي لدى المجاهدين.⁽²⁾

كما استغل العلماء ظروف السجن لبث الوعي في أوساط المساجين، فها هو 'الشيخ أحمد حماني' يؤكد أنه قام بهذه المهمة داخل السجون التي تواجد بها، ففي سجن الكدية بقسنطينة كون عدة تلاميذ في مدة لا تتجاوز 15 شهرا، كما فعل نفس الشيء بسجن تازولت بباتنة سنة 1958.

و قد وجه الشيخ حماني بعض إخوانه من العلماء و هم: الشيخ أحمد بوزيدي، الشيخ محمود عيسى الباي و الشيخ الصادق مخلوف، و هذا لتنظيم التعليم في السجن، و في هذا يقول الشيخ: "...فقررنا تنظيم التعليم في السجن كله بحيث لا تقتصر فيه على رفع الأمية، بل نجعله برنامجا تثقيفا كاملا يشمل فنون العربية من نحو و صرف و إنشاء و بلاغة و لغة، و علوم الدين من توحيد، و فقه و قرآن و حديث و سيرة و رياضيات من حساب و هندسة جغرافيا و تاريخ و أشياء، و فرزنا الطلبة فجعلناهم أقساما و سنوات و استطعنا أن نكون قسما تكميليا اشتركنا كلنا في تعليمه."⁽³⁾

و قدمت الدروس و أقيمت الامتحانات داخل السجون و المعتقلات في كافة الجزائر، حتى أنه تم إنشاء مجلة سميت "صوت السجين".⁽⁴⁾

كما امتد نشاط العلماء إلى المناطق الريفية و هذا من أجل نشر و بث الوعي بين أوساط الشعب و حثهم على الالتحاق بالثورة، و قد امتد نشاطهم إلى غاية الحدود خاصة على القواعد الخلفية للثورة بتونس، حيث عملوا على تقديم الدروس و إقامة الندوات، و قد تركزت أعمالهم على أعمال الثورة و تاريخ الجزائر عموما و واجبات المناضل نحو الثورة و التعاون بين الجزائر و تونس، و من أهم المناطق التي أجريت فيها هذه الندوات نجد: مجاز الباب، باجة،

1- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 154.

2- نفسه، ص 156.

3- أحمد، (حماني)، صراع بين السنة و البدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، ج2، دار البعث، الجزائر، 1984، ص 302.

4- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 157.

بنزرت، وغيرها. (1) و في هذا يؤكد الأستاذ 'أحمد نبيل بلاسي': و إلى جانب هذا النشاط التعليمي للعلماء داخل السجون، انتشر جنود الجبهة من العلماء لبث إرشاداتهم الدينية للجنود المقاتلين، و لمواطنيهم الذين هجروا ديارهم فرارا من عمليات القمع الفرنسية إلى تونس- لمناقشة كافة الجوانب التي تتصل بقضية التحرير- فيما عرف باسم المسامرات. (2)

و لما اتسع نشاط الثورة التحريرية و التف حولها مختلف الطبقات الشعبية على اختلاف توجهاتهم و ميولاتهم فإن القادة الذين اهتموا بالجانب الديني و الدور السياسي قد ركزوا على تعميق التوجه العربي الإسلامي داخل جبهة التحرير الوطني. (3)

لم تتوقف مهام أعضاء الجمعية عند التعليم و بث الوعي بل تعداه ذلك إلى مساعدة جبهة التحرير الوطني في مهمة القضاء و الفتوى، و قد تجند كل عالم و بخاصة تلاميذة الإمام ابن باديس الذين كان لهم الدور الإيجابي في ذلك. و في هذا الصدد فقد شكلت سنة 1956 محكمة مدنية لجبهة التحرير الوطني في العاصمة كان من بين أعضائها كل من بشنون سليمان، و محمد الصالح رمضان. (4)

لقد تقلد العديد من العلماء المسؤوليات القضائية إبان الثورة التحريرية خاصة في منطقة الأوراس و الشمال القسنطيني، و في هذا يذكر الأستاذ لهلاي أن العقيد 'عميروش' كلف الشيخ 'عبد الحفيظ أمقران' بالإشراف على التربية و التعليم في وادي الصومام، و كلفه في نفس الوقت بتولي مهمة الفتوى و القضاء، كما تم تعيين الشيخ الطاهر 'آيت علجت' مشرفا على الفتوى في الولاية الثالثة. (5)

كما لعب العلماء، إلى جانب جبهة التحرير الوطني، الكثير من الأدوار بدء بالجهاد في معارك الكفاح مثل: إبراهيم مزهودي الذي ارتقى إلى منصب نائب القائد للولاية الثانية أثناء الثورة، و انخرط أعضاء الجمعية في الخارج جنبا إلى جنب مع إخوانهم، أما في الداخل فما إن اندلعت الثورة حتى راح طلبة معهد ابن باديس يلتحقون بصفوف الجهاد بأذلين الأرواح الزكية من أجل الوطن، بينما أساتذة المعهد ومعلمو المدارس الحرة قد انخرطوا في الخلايا السرية لجبهة التحرير الوطني، و في صفوف جيش التحرير. (6)

و يحمل القول فإن تلاميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس و عناصر الجمعية، لما اندلعت الثورة، كانوا جندها المخلص و أنصارها الثابتين على الحق. و كانت - على حد قول العسلي - دكاكينهم و مساكنهم، معاقل للثورة، و مستودعا لأسرارها و أموالها، و ملتمقى لضباطها و ملاجئ لثوارها. (7) و كانوا يعملون من أجل دعم الثورة

1- أسعد، (لهلاي)، المرجع السابق، ص 157-158.

2- نبيل أحمد، (بلاسي)، المرجع السابق، ص 159.

3- نفسه، ص 139.

4- أسعد، (لهلاي)، المرجع السابق، ص 159.

5- أسعد، (لهلاي)، المرجع السابق، ص 159.

6- عبد الرحمان شيبان، جمعية العلماء و ثورة التحرير المباركة، مجلة بونة للبحوث و الدراسات، العدد الثاني، رمضان 1425 هـ/ 2004 م.

7- بسام، (العسلي)، عبد الحميد بن باديس و بناء قاعدة الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 219.

التحريرية و تنفيذ ما يطلب منهم بكفاءة عالية و إيمان منقطع النظير، و "يعتبرون جهادهم في الثورة هو جهاد في سبيل الله، يقومون به لوجه الله، و واجبا وطنيا يرضي ضميرهم الحر و جهم للوطن و إخلاصهم لدين الله." (1) إن هذه الشواهد و لو على قلتها إلا أنها تبرز الدور الفعال الذي قام به العلماء في مجال التعليم و تثقيف المناضلين و المجاهدين و الشعب على حد سواء، كما تبرز دورهم في مجال القضاء و الفتوى.

2/ على المستوى الخارجي:

أ/ دبلوماسيا:

لعب علماء الجمعية الدور الذي كان منوطا بهم في مساندة الثورة التحريرية و دعمها على المستوى الخارجي، و هذا بتعبئة السلطات و الحكومات العربية و الإسلامية للوقوف إلى جانب الجزائر. و لقد كان النشاط الدبلوماسي للجمعية مكثفا و فعالا، و البداية كانت من مصر مع النداء الذي أمضاه كل من الشيخ 'البشير الإبراهيمي' و الشيخ 'الفضيل الورثياني' في 3 نوفمبر 1954، ثم بيان 15 نوفمبر 1954 الداعمان للعمل الثوري و الجهادي ضد الاحتلال الفرنسي. (2)

كما أن من النشاطات التي قام بها كل من الشيخ 'البشير الإبراهيمي' و الشيخ 'الفضيل الورثياني' هو المشاركة في اجتماعات تأسيس جبهة تحرير الجزائر التي بدأت يوم 12 جانفي 1955 و انتهت باجتماع 17 فيفري 1955 الذي تم فيه التوقيع على ميثاق جبهة تحرير الجزائر، و وضع اللائحة الداخلية يوم 18 فيفري من نفس السنة. (3) عمل الشيخ 'البشير الإبراهيمي' على نصررة القضية الوطنية في كل الاتجاهات إذ انتقل بين البلدان العربية ليحث حكامها و ملوكها و أمراءها و وزراء خارجيتها على تقديم المساعدات و الضغط على فرنسا لتغيير من مواقفها المتصلبة اتجاه الثورة التحريرية.

كما عمل الشيخ 'الفضيل الورثياني' على نصررة الثورة التحريرية و الدعاية لها بكل ما أوتي من قوة و من رباطة الجأش فها هو عندما انتقل إلى لبنان يطلب الدعم و المساعدة للقضية الجزائرية و كانت مجالسه مع رئيس الجمهورية أو مع الوزراء أو الصحفيين تركز على الحديث عن وطنه الجزائر و المغرب العربي و الدعوة إلى نصرتهم. (4) كما كلفت جبهة التحرير الكثير من العلماء ليكونوا الناطقين باسمها و العاملين على نصررة القضية الجزائرية و تمثيلها في الخارج، فكان الشيخ 'أحمد توفيق المدني' ممثلها في المشرق العربي و بخاصة في مصر، كما ساعد الشيخ 'محمد الغسيري' المناضل و المجاهد 'عبد الحميد مهري' (5) في دمشق، كما كان الشيخ 'محمد خير الدين' ممثلها في المغرب الأقصى.

1- نفسه، ص 219-220.

2- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 167.

3- للمزيد حول مضمون اللائحة الداخلية ينظر: أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 168-169.

4- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 172.

5- من مواليد يوم 3 أبريل 1926 بالحروش بسكيكدة من أسرة فقيرة. عند انخراطه في حزب الشعب/حركة الانتصار التحق عام 1948 بتونس لمتابعة دراسته بالزيتونة و تمثيل الحزب هناك و تنظيم الجالية كذلك. في عام 1951 يعود إلى الجزائر لينتسب إلى اللجنة الإسلامية التابعة للحزب و تسيير الصحافة العربية. اعتقل في نوفمبر 1954 ليكلق سراحه عام 1955 حيث التحق بالقاهرة ثم بعث إلى دمشق في جويلية 1955 كممثل لجبهة التحرير الوطني. عين وزيرا لشؤون المغرب العربي في الحكومة المؤقتة سبتمبر 1958 ثم وزيرا ووزيرا للشؤون الاجتماعية و الثقافية بالحكومة المؤقتة

لقد وظف الشيخ 'أحمد توفيق المدني' كل خبراته و تجاربه في نصره القضية الجزائرية و استطاع تجنيد الدول العربية لنصرة الثورة. كما نشط كثيرا على مستوى الجامعة العربية فقد ألقى و هو رفقة 'بن يوسف بن خدة' مثلا كلمة يوم 20 ماي 1958 أمام مجلس الجامعة شرح فيها أهمية لجنة الجزائر و أكد على المساعدة العربية للجزائر ماليا لأنها بحاجة للسلاح و بالتالي إعادة النظر في الميزانية المخصصة لها. (1) و مما جاء في هذه الكلمة: "باسم جبهة التحرير الوطني الجزائري، أتقدم بالشكر إلى مجلس الجامعة الموقر على قراره قبول طلبي الجبهة، و هما تكوين لجنة الجزائر لتتبع سير قضيتها و معاونتها ماديا و أدبيا، و تخصيص ميزانية ثابتة لمساعدة الجزائريين..." (2)

كما استطاع الشيخ 'أحمد توفيق المدني' أن يتنقل إلى الكويت و التقى بالأمير عبد الله السالم الصباح الذي وعده بمساعدة الثورة، و التقى مع مجموعة من الأمراء لتعريفهم بالقضية الجزائرية.

لم يقتصر نشاط الشيخ 'أحمد توفيق المدني' على مصر بل تعداه إلى العديد من البلدان العربية فها هو يستغل موسم الحج ليوزع 25 ألف نسخة من رسالة عن الجزائر تم طباعتها بدمشق بمشاركة كل من الشيخ 'البشير الإبراهيمي' و 'عبد الحميد مهري' و الشيخ العباس بن الحسين، و عمر دردور، و الشيخ 'محمد الغسيري'. (3) و هكذا فقد زار الشيخ 'أحمد توفيق المدني' العديد من الدول للتعريف بالقضية الجزائرية، فتنوعت مهامه بين العسكرية أو الإعلامية أو الثقافية.

و عندما عين الشيخ 'محمد خير الدين' ممثلا لجبهة التحرير الوطني في المغرب الأقصى منذ سنة 1956 عمل على بعث النشاط الدبلوماسي، و شرع في العمل على تأسيس مكتب جبهة التحرير الوطني. (4) كما قام بالاتصال بالقصر الملكي لطلب الدعم و التأييد و تسهيل بعض الأمور لصالح الثورة التحريرية. (5)

و لقد استطاع الشيخ 'محمد خير الدين' المحافظة على التضامن الشعبي المغربي للثورة و تنظيم كذلك النشاط السياسي و تأطير الجالية الجزائرية و الاستفادة من القواعد الخلفية. كما عمل على حل الكثير من مشاكل الجزائريين بالمغرب، و في هذا يقول الشيخ 'خير الدين': "و خلال إقامتي بالمغرب وفقني الله لوضع الحلول الصائبة لكثير من المشكلات، و وجدت معاونة صادقة من رجال السلطة هناك." (6)

و عموما عمل الشيخ 'خير الدين' على إحصاء الجزائريين العاملين بالمغرب و توثيق الصلة بهم. و تكوين لجان لجمع الأموال بغية تقديمها إلى قادة الثورة. و كذلك وثق الصلة و الاتصالات السياسية سواء بالسلطة المغربية أو السفارات العربية و الإسلامية المتواجدة بالمغرب.

و قد عمل هؤلاء العلماء عموما على ما يلي:

الثانية. غادر العمل السياسي بعد الاستقلال ليصبح مدير مدرسة بوزريعة من 1964 إلى 1970 ثم وزيرا للإعلام و الثقافة من 1979 إلى 1980 ثم سفيراً للجزائر بباريس 1984 ثم الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني من شهر أكتوبر 1988 إلى 1996. للمزيد ينظر: Cheurfi, (Achour), op.cit, p 238-239.

1- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 179.
2- المدني، (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص 385.
3- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 179.
4- محمد، (خير الدين)، المرجع السابق، ص 180.
5- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 182.
6- محمد، (خير الدين)، المرجع السابق، ص 182.

- التعريف بالقضية الوطنية في المحافل من خلال الصحف و المجلات و الإذاعة خاصة المصرية منها.

- عقد الندوات في أوساط الشباب مثل التي كان يقوم بها الشيخ المدني بالقاهرة بالأزهر.

إلى جانب هذا فقد باشر العلماء مهمة التعليم أثناء الثورة التحريرية، و بخاصة عندما اتصل القائد عميروش بنائب الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ أحمد حماني طالبا منه إرسال المعلمين لبث الوعي الديني و تحمل مهمة التعليم، و بالفعل فقد بعث إليه الشيخ بالدعاة الذين لعبوا دورا فعالا في تعميق المعارف و ترسيخ الوعي بين أوساط المجاهدين، كما استغل هؤلاء فرصة سجنهم لبث أفكارهم العربية و الإسلامية بين عموم السجناء.

و هكذا باشر العلماء مهامهم داخل المعركة عن طريق حث عموم الشعب على الجهاد و الكفاح من أجل تحقيق القضية العادلة و الحصول على الاستقلال.

ب/ إعلاميا:

عمل رجال الجمعية على نشر الدعاية الواسعة لصالح الثورة التحريرية و بخاصة الشيخ 'البشير الإبراهيمي'، و الشيخ 'توفيق المدني'، و الشيخ 'العباس بن الحسين'، و الشيخ 'الفضيل الورثياني'، و الشيخ 'محمد خير الدين' و غيرهم من أساتذة و طلبة الجمعية.

إن البيانات المتتالية لرجال الجمعية و بخاصة بيان 15 نوفمبر 1954 الذي أمضاه كل من الشيخ 'الإبراهيمي' و الشيخ 'الورثياني'، و بيان 20 نوفمبر الذي نشره الشيخ 'الورثياني' (1) كلها كانت عبارة عن بيانات تبارك الثورة و فتوى صريحة للجهاد في سبيل الله و الوطن، و هذا ما أكد البعد العربي و الإسلامي للثورة ما دفع الرأي العام العربي و الإسلامي لمساندة القضية الجزائرية و مؤازرة الشعب الجزائري في جهاده ضد الاحتلال الفرنسي.

و على هذا الأساس فقد استغل الشيخ 'الإبراهيمي' علاقاته بالمشرق و بخاصة بمصر لخدمة الثورة إعلاميا، و لما كانت إذاعة صوت العرب من أهم ركائز الثورة الجزائرية في مصر، فقد وجدت الثورة فيها السند الداعم و المساند لها بإذاعة الأحاديث و الأناشيد الحماسية، و التعاليق السياسية، و الكلمات الجهادية من أجل الحرية و الاستقلال، و قد تمكن الشيخ 'الإبراهيمي' من توجيه العديد من النداءات و الأحاديث إلى الشعب الجزائري عموما و المجاهدين خصوصا للالتحاق بالثورة و خدمتها، و كذلك تحسيس الشعوب العربية و الإسلامية بضرورة دعم القضية الجزائرية. (2)

و لعل الكثير من الأحاديث و الكلمات و الخطب التي ألقاها الشيخ 'البشير الإبراهيمي' لتقف شاهدة على الدعم الإعلامي الذي لعبه هذا الرجل الفذ، و منها نجد: كلمته المعنون " موالاة المستعمر خروج عن الإسلام " التي ألقاها في الإذاعة سنة 1955. و حديثه "الإسلام في الجزائر" سنة 1955 بنفس الإذاعة. و كذلك كلمته المعنونة

1- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق ، ص 186.

2- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق ، ص 187.

"عبرة من ذكرى بدر" في شهر ماي 1955 و التي حث فيها على أخذ العبرة من هذه الواقعة التاريخية و الاقتداء بما قام به المسلمين فيها.(1) و كذلك كلمته التي أذاعها يوم 1 نوفمبر 1957 بمناسبة الذكرى الثالثة لاندلاع الثورة التحريرية، و التي ذكر فيها على مرور ثلاثة سنوات على جهاد الجزائريين و ثورتهم. كما حيا كل المجاهدين حيث خطابهم بقوله: "فحييكم - أيها المجاهدون الأبطال - عنا و عن جميع إخوانكم الذين أظلمهم الإسلام معكم بلوائه، و لفتهم العروبة معكم في ملاءتها، تحية المعجب بمشاهدكم في سبيل الله و في سبيل نصره دينه، و بمواقفكم التي يبصم بها وجه كل مسلم و كل عربي." (2) و كذلك الكلمة التي ألقاها يوم 15 مارس 1958 ضمن فعاليات اليوم التضامني مع جهاد الجزائر، و التي عبر فيها عن الأعمال الخالدة للجزائر عبر ثورتها المجيدة. كما عبر عن أن الإسلام لم يحك " في عصوره المتوسطة و المتأخرة و لا تاريخ الثورات عن قتال كانت فيه ملامح من الجهاد الديني المؤيد بروح الله و أثارة من آثاره مثل ما شهد من الثورة الجزائرية." (3)

استطاع كذلك الشيخ 'أحمد توفيق المدني' أن يقدم بإذاعة صوت العرب بالقاهرة الحديث اليومي حول الثورة، و قد ساعده بعد ذلك الطالب 'تركي رايح عمامرة' الذي كان عضوا ضمن بعثة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أين بدأ بكتابة الحديث اليومي و تسجيله لكي يذاع في ركن المغرب العربي بعد الساعة العاشرة مساء، و بالعربية في برنامج "وفد جبهة التحرير الوطني يخاطبكم من القاهرة" (4) و من النشاطات التي تحسب لصالح الشيخ المدني خطابه الذي ألقاه بالإذاعة على إثر القرصنة الجوية التي طالت زعماء الثورة في 22 أكتوبر 1956، (5) حيث جاء فيه: "أيها المجاهدون الجزائريون، أيها المجاهدون الأبطال، أيها الشعب الجزائري المناضل، إنه بواسطة خديعة و خيانة لم يرو التاريخ لهما مثيلا، قد وقع فريق من زعمائنا الأبرار، هم المجاهدون: أحمد بن بلة، و محمد خيضر، و حسين آيت أحمد، و محمد بوضياف، و الدكتور مصطفى الأشرف، في أسر القوى الاستعمارية الغاشمة... و أنتم أيها المجاهدون في معقل الأرض الجزائرية، بين سيل الدماء و ألسنة اللهب، كونوا على ثقة... أن لدى قيادة جيش التحرير الجزائري، من الإمكانيات المادية و الأدبية ما يسمح لها بالاستمرار...، فالثبات الثبات. و إلى الأمام..." (6)

كذلك استطاع الأستاذ 'محمد الغسيري' من الجمعية أن ينشأ برنامج صوت الجزائر من دمشق حيث اتفق مع الإخوة السوريين على مدة ساعة يوميا يعدها مجموعة من الطلبة الجزائريين الذين يدرسون في الجامعات السورية من أمثال: محمد مهري، محمد بوعروج، الهاشمي قدوري، محمد أبو القاسم خمار، منور الصم، أبو عبد الله غلام الله. (7) و هناك الكثير من عناصر الجمعية الذين خدموا الثورة التحريرية إعلاميا فنجد مثلا: محمد الصالح الصديق الذي اعتنى ببرنامج صوت الجزائر من الإذاعة الليبية، و علي مرحوم و بوعلام باقي من إذاعة تطوان بالمغرب. (8)

1- للمزيد حول الخطب و الأحاديث التي ألقاها الشيخ الإبراهيمي عبر إذاعة صوت العرب بالقاهرة ينظر: أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 187-188.

2- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، المرجع السابق، ص 198.

3- نفسه، ص 217.

4- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 189.

5- نفسه، ص 191.

6- المدني، (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص 218-219.

7- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 190.

8- نفسه، ص 190.

ج/ أقلام الجمعية في خدمة الثورة و الجهاد:

إن البعد الوطني للثورة الجزائرية تغذى من بعدها الروحي، وقد جسدت لنا الأقلام الأدبية البعد الإسلامي لثورة نوفمبر 1954 م و التأييد الذي لقيته من رجال الجمعية. إذ نلمس ذلك بوضوح في مقالات العديد من الشيوخ من أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي و الشيخ أحمد توفيق المدني و غيرهم.

و على هذا فقد عمل رجال الجمعية بكل ما أوتوا من قوة و جهد في إسماع صدى الثورة التحريرية عن طريق المقالات التي كانوا ينشرونها هنا و هناك في المجلات و الصحف بهدف التعريف بالقضية الجزائرية على وجه الخصوص و بقضايا المغرب العربي و العالم الإسلامي على وجه العموم. فها هو مثلاً الشيخ الورثياني يكتب العديد من المقالات في كل من: الحياة، بيروت، بيروت المساء، المنار، الجمهورية، المصري، الأهرام، منبر الشرق، الدعوة، مصر الفتاة، الكتلة، الإخوان المسلمون، و النذير.⁽¹⁾ و قد نشرت جريدة بيروت المساء و المنار الدمشقية 26 و 27 فيفري 1955 رسالة مفتوحة من الشيخ الورثياني إلى رئيس حكومة فرنسا 'جي مولي' (Guy Mollet) يدعو فيها إلى ضرورة حل القضية الجزائرية لأن الجزائريين لن يستسلموا و لن يتوقفوا عن الكفاح من أجل الاستقلال.⁽²⁾

كما كتب الشيخ البشير الإبراهيمي الكثير من المقالات في المجلات الفكرية كمجلة الرسالة للزيات، و مجلة المسلمون التي جعلت القضية الجزائرية من كبريات اهتماماتها.

و إلى جانب المقالات التي كتبت في كبريات المجلات و الصحف المشرقية بأقلام رجالات الجمعية، فقد لعب هؤلاء دوراً بارزاً في كتابة المقالات عبر جريدة المقاومة ثم جريدة المجاهد حال لسان الثورة التحريرية. و للتذكير فإن أول مشرف على العدد الأول من المقاومة الجزائرية بتونس يوم فاتح نوفمبر 1956 كان عبد الرزاق شنتوف و أسرة التحرير تتكون من عبد الرحمان شيبان و محمد الميللي و هما من رجال الجمعية و أساتذة معهد بن باديس.⁽³⁾

و قد كتب الشيخ 'عبد الرحمان شيبان' العديد من المقالات في جريدة المقاومة الجزائرية و منها: "صفحات خالدة من الإسلام: البطل الخالد الإمام ابن باديس"، و مقالا بعنوان "أين يوجد الشيخ العربي التبسي" و مقالا بعنوان: "صفحات خالدة من الإسلام: بين بدر 624 م و فاتح نوفمبر 1954" حيث تحدث فيه الشيخ عن ثورة المجاهدين ثورة أول نوفمبر 1954 و يقارنها مع غزوة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون رغم قلة عددهم و عدتهم لكنهم ألحقوا الهزيمة بالظالمين.⁽⁴⁾

لم يتوقف الشيخ 'عبد الرحمان شيبان' عند هذا الحد بل أنشأ مجله الشباب الجزائري بمعية بعض أصدائه بتونس جوان 1959، و التي حملت على غلافها صورة أعضاء أول حكومة مؤقتة لجمهورية الجزائرية، و قد كتب تحت

1- نفسه ، ص 193.

2- نفسه ، ص 193.

3- نفسه ، ص 194.

4- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق ، ص 195.

الصورة "يسر مجلة الشباب الجزائري أن تحلي صدر عددها الأول لصورة أول حكومة وطنية للجمهورية الجزائرية الصاعدة إلى التحرر و الاستقلال بخطوات عملاقة ثابتة." (1)

لقد كتب الشيخ شيبان في العدد الأول من المجلة مقالا تحت عنوان: "إلى الشباب" شرح فيه ما يحدث في الجزائر من معارك بين الثوار و القوات الفرنسية من أجل الحرية و الاستقلال، و يحث الشباب على التحرك و مساعدة إخوانه في الجزائر. كما كتب مقالا في عدد آخر تحت عنوان: "طلبية فاشلة" أوضح فيه: "أن الدعاية الاستعمارية لم تتوقف عند حد اعتبار الجزائر أرضا فرنسية،... بل تعدى كل هذه الاعتبارات و وصل به الحد إلى اتهام رجال الثورة بأنهم متوحشون ثاروا ضد المدنية الفرنسية و لا علاقة لهم بالوطنية و الإنسانية و أن المسلمين يخضعون للقوة لكن هيئات فالأهداف الإنسانية النبيلة هي التي دفعت الجزائريين و إنما ليست حربا دينية بل ثورة شعب يريد أن يتحرر و يعيش كباقي شعوب العالم." (2)

الحقيقة في الأمر أن نشاط رجال الجمعية في المجال الإعلامي كان مهما بالنظر إلى الكم الكثير من الخطب و الأحاديث و المقالات التي أذيعت و نشرت لدعم الثورة التحريرية و حث الشعوب و الحكومات العربية و الإسلامية للوقوف مع الثورة و دعمها ماديا و معنويا.

د/ ثقافيا:

واكب النشاط الإعلامي لرجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نشاطا ثقافيا خدموا به الثورة الجزائرية بالبلاد العربية، و هذا بغية إسماع صوتها و الدفاع عنها.

يتمثل هذا النشاط الثقافي للجمعية في الاهتمام الكبير بالطلبة الجزائريين باعتبارهم جيل مستقبل الجزائر الذي سيعول عليه بعد الاستقلال، و قد عمل الشيخ إبراهيمي كل ما في وسعه لتخفيف وطأة الاغتراب على هذه الفئة، إذ أنه قام بزيارة الرئيس 'جمال عبد الناصر' هو و بعض رجال الجمعية منهم: الشيخ 'العربي التبسي' و 'الفضيل الورثياني' و 'أحمد بوشمال' حتى قبل اندلاع الثورة ، و قد انتهى اللقاء بمد يد العون لمكتب الجمعية. (3)

و عندما عين الشيخ 'أحمد توفيق المدني' رئيسا لمكتب جبهة التحرير الوطني بالقاهرة استمر على خطى الشيخ إبراهيمي في الاهتمام بالطلبة و مراعاة شؤونهم، فقام بمضاعفة المنحة التي كانت تغطي لكل طالب فجعلها 15 جنيها شهريا تدفع 10 منها من خزينة وفد جبهة التحرير الوطني و 5 من حساب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. (4) و في هذا يقول الشيخ: "و بعد مناقشة طويلة و جدال ربما كان عنيفا استقر رأينا على أن ينال الطالب الجزائري 15 جنيها شهريا." (5)

كما أن الشيخ 'أحمد توفيق المدني' عندما عين وزيرا للشؤون الثقافية في أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية، قام بزيارة الطلبة بتونس و حاول التحسين من وضعيتهم بأن وزعهم على كليات و معاهد بالمشرق العربي.

1- نفسه ، ص 196.

2- نفسه ، ص 197.

3- نفسه، ص 200.

4- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق ، ص 200.

5- المدني، (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص 177.

و أما فيما يخص الطلبة بالمغرب الأقصى فقد رفع الوزير من منحتهم من 2000 فرنك التي كانت تمنحها لهم الحكومة المغربية إلى 5000 فرنك.(1) و في هذا يقول الشيخ: "...فكان أول ما عملته وزارتنا هو أنه رفعت قيمة هذه المنحة إلى خمسة آلاف شهريا وهو مقدار زهيد جدا، لا يكفي للطعام و اللباس،.." (2) و لكن هذا العمل على قلته قد رفع من معنويات الطلبة.

لقد حرص الشيخ 'أحمد توفيق المدني' على الاهتمام بالطلبة الجزائريين أينما تواجدوا، فها هو يلتقي بالأمير عبد الله السالم الصباح بالكويت طالبا منه المساعدة المادية و المعنوية لهم فاستجاب له الأمير و تكفلت الحكومة الكويتية بجميع احتياجاتهم من ملابس و مصاريف التي قدرت بحوالي 6000 فرنك شهريا، و كانت تمنح كل طالب في فصل الصيف مقدارا من المال يعادل 80 ألف فرنك و تذكرة طائرة لقضاء فصل الحر بالخارج.(3)

أما في العراق فقد تم تسجيل بجامعةها 35 طالبا تمنحهم الحكومة 12 دينارا شهريا مع منحة السكن، غير أن جهود الشيخ 'أحمد توفيق المدني' لدى الحكومة العراقية كللت برفع المنحة إلى 15 دينارا إضافة إلى 15 دينارا لشراء الكتب و 30 دينارا خاصة باللباس، و منحة سنوية لقضاء فترة الصيف خارج العراق.(4) و في هذا يقول الشيخ: "و قد اتصلت في أول الأمر بحكومة بغداد و تحصلت منها على رفع العدد - أي عدد الطلبة- إلى 65 طالبا... و تفاوضت مع وزير المعارف في حكومة الثورة و قدمت له عددا من المطالب استجاب لها كلها، و هي: رفع عدد الطلاب الجزائريين إلى 100 طالب.وتعطي حكومة العراق 15 دينارا لكل طالب... "(5)

إلى جانب هذه الجهود فقد عمل رجال الجمعية على استغلال كل فرصة أو مناسبة على إلقاء المحاضرات و مراسلة العلماء من أجل حثهم على دعم القضية الوطنية و الترويج للثورة، فها هو مثلا: الشيخ 'البشير الإبراهيمي' أثناء الحفل الذي أقيم بالقاهرة أول نوفمبر 1958 يلقي محاضرة أشاد فيها بالمجاهدين و دعى إلى ضرورة نصرته الثورة، كما ألقى العديد من المحاضرات في مقر جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة منها محاضرته تحت عنوان "الجزائر الثائرة"، و "صفحات مشرقة في تاريخ الثورات" سنة 1959.(6)

كما راسل الشيخ كبار العلماء و الملوك و رؤساء الدول و الشخصيات الفاعلة طابا منهم مد يد العون و المساعدة للثورة، ففي 13 جوان 1958 بعث برسالتين إلى كل من الشيخ محمد بن براهيم آل الشيخ مفتي المملكة السعودية حاثا إياه باستغلال موسم الحج للتعريف بحاجة الثورة للعون و المساعدة، و طلب منه تسليم التبرعات إلى وفد جبهة التحرير الوطني عن طريق الحكومة السعودية.(7) و مما جاء في هذه الرسالة: "إن الواجب الذي يفرضه الدين على أمثالكم أن تقوموا لله بحملة صادقة أنتم أهل للقيام بها في قضية الجزائر، فتوجهوا نداء جهيرا إلى

1- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 200.

2- المدني، (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص 474.

3- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 201.

4- نفسه، ص 201.

5- المدني، (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص 478.

6- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 202.

7- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق ، ص 203.

المسلمين الذين يشهدون الموسم ليحملوه إلى من خلفهم من المسلمين حين ينقلبون إلى أوطانهم؛ تحضونهم فيه على مساعدة إخوانهم مجاهدي الجزائر. (1)

أما الرسالة الثانية فقد أرسلها إلى الشيخ عمر بن الحسين رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمملكة مذكرا إياه بحاجة المجاهدين الجزائريين إلى المال ليشتروا به السلاح و دعاه إلى حث الأغنياء ليتبرعوا لصالح الثورة و تسليم ما تم جمعه إلى وفد جبهة التحرير الوطني عن طريق الحكومة السعودية. (2) و مما جاء فيها: "إن إخوانكم يقاتلون لأجلكم و لأجل دينكم، و لئن فشلوا- لا قدر الله- أمام الكفر فلينتقم الاستعمار من المسلمين أجمعين، و ليذلتهم أجمعين، إن إخوانكم المجاهدين في الجزائر لا يحتاجون إلى المال الذي يشترون به السلاح و يطعمون به الشعب الجائع الذي سلب عليه الاستعمار الأمراض و المجاعات." (3)

عمل الكثير من شيوخ و أساتذة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على تقديم خدمات ثقافية جليلة لصالح الثورة، فها هو كذلك الشيخ 'محمد خير الدين' الذي عينته جبهة التحرير ممثلا لها بالمغرب الأقصى، يهتم بالجانب الثقافي و يتفقد الطلبة و يهتم بتحسين وضعيتهم.

كما استغل الشيخ المناسبات الثقافية بالمغرب ليحث المفكرين و العلماء على مساندة الثورة الجزائرية. ففي عام 1960 ألقى الشيخ خطابا أشاد فيه بفضل جامع القرويين العلمي و الثقافي على الطلبة الجزائريين و نوه بمساعدة الشعب المغربي و علمائه للثورة الجزائرية و مما جاء فيه: "... إننا نحتفل بهذه الوحدة الثقافية التي تتمثل في معاهدنا العلمية بكل أقطار العروبة و الإسلام و التي تجعلنا الآن أكثر سعيا إلى تحقيق وحدتنا القومية و الدينية... عندئذ وجدنا في جيراننا و إخواننا في مشرق العروبة و مغربها ملاجئ يلجأ إليها طلاب العلم فغصت جامعة القرويين بعشرات من طلب العلم... ثم يرجعون إلى الجزائر ليكافحوا الاستعمار و ينشروا العربية و افسلام... فكونوا لنا رسل الحق و دعاة الحرية، و اصرخوا في وجه المتخاذلين... فإننا لا نعتمد بعد الله إلا على أنفسنا و على أمثالكم من أرباب الفكر الحر في العالم..." (4)

كما قدم الكثير من الطلبة خدماتهم الثقافية لأن البعثات التي أشرفت عليها الجمعية بالبلاد العربية كان نشاطها بين الدراسة و دعم الثورة في مختلف المجالات، ففي مصر و في الجانب الثقافي نشطت الكثير من الندوات و المحاضرات ، فمثلا في السنة الدراسية 1960/1959 نظم ندوة تمحورت موضوعاتها حول المواضيع الوطنية و الفكرية، فها هو مثلا: 'إبراهيم مزهودي' من الجمعية يلقي محاضرة حول رسالة الطالب، إلى جانب محاضرات أخرى حول دور المرأة في الثورة الجزائرية، و سياسة ديغول و موقف الثورة منها. (5)

أما في سوريا فقد تنوع النشاط الثقافي للطلبة و هذا بالتعاون مع الطلبة المغاربة في إطار رابطة طلاب المغرب العربي التي قامت بإنشاء مجلة لها تحت عنوان "كفاح المغرب العربي" و التي تكلمت معظم أعدادها عن الثورة

1- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، المرجع السابق، ص222.

2- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق ، ص 204.

3- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، المرجع السابق، ص224.

4- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 204-205.

5- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق ، ص 206.

الجزائرية، كما أسس فرع اتحاد الطلاب الجزائريين بدمشق مجلة بعنوان " نشرة ثقافية " بتاريخ 1 جانفي 1960، كانت موضوعات العدد الأول تتحدث كلها عن الثورة الجزائرية.(1)

يمكن القول أن عناصر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من شيوخ و أساتذة و طلبة قدموا كل ما بوسعهم لنصرة القضية الوطنية و عملوا على مساندة الثورة ثقافيا، و بخاصة ما قدمه الشيخ 'البشير الإبراهيمي' عن طريق محاضراته عالية المستوى التي كانت تجذب لها الكثير من الآذان الصاغية و بالتالي التعريف بالثورة و القضية الوطنية.

هـ / عسكريا:

يرى الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن الثورة ليست هي حمل السلاح فقط، و لو كان الأمر كذلك فهناك العديد من الثوريين الذين لم يحملوا السلاح و إنما كانوا اللسان الناطق باسم الذين حملوه، و لولاهم ل بقي الثوار في حصار مادي و سياسي و معنوي قاتل.(2) و عليه فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تشد عن هذه القاعدة خلال مسارها إبان الحركة الوطني من 1931 إلى غاية 1954 إذ أن عملها و منهجها و هياكلها كانت بعيدة كل البعد عن العمل المسلح المباشر لكن في الخفاء كانت تكون الرجال الذين سيحملون على عاتقهم تحرير الوطن من الاحتلال.

و الحقيقة في الأمر أن الملم بظروف الثورة التحريرية يدرك مدى تنوع، خاصة مع نهاية الحرب العالمية الثانية، الطرق و السبل لتحضير للثورة، فمن الرجال من كان يحضر لها بتدبير الأسلحة و التدريب العسكري، و منهم من كان يسعى لها لتوفير المال و الوسائل المادية، و منهم من كان يعمل على تكوين و تنوير العقول و تربية النفوس على حب الله ثم الوطن و على نصرة المسلمين بالجهاد على الكفار، و أنه كما يقول الأستاذ لهلاي من الخطأ إعطاء الأولوية لطريقة هذا أو ذاك(3)، فالكل عمل من أجل غاية واحدة هو إعداد جيل مسلح بالإيمان متكون في المجال العسكري ينتظر اللحظة المناسبة للمشاركة في الكفاح الثوري ضد الاستعمار الفرنسي.

و في هذا المجال تبرز جهود الشيخ 'الإبراهيمي' الذي لم يدخر في ذلك أي شيء فقابل الحكام و الملوك و الأمراء و سعى لحثهم على مساندة الثورة و بالفعل كللت جهوده بالنجاح خاصة عندما استقبله الرئيس المصري جمال عبد الناصر و وعده بمساندة الثورة.

كما استطاع أن يقنع الملك سعود في شهر نوفمبر 1954 بضرورة مساعدة الثورة فأصدر أوامره لتسخير مصنع السلاح في بلدة الخرج لتموين الجزائر بالسلاح، و تقدمت مبالغ مالية لشراء السلاح من الخارج.(4)

و استطاع الشيخ 'الإبراهيمي' القيام بزيارات و رحلات إلى الكثير من الدول العربية بغية جمع الأموال لشراء الأسلحة، فها هو سنة 1956 يقوم بزيارة إلى العراق ليلتقي بالأغنياء و يحثهم على التبرع بالأموال لصالح الثورة. و في هذه الزيارة التقى بأحد التجار الكبار و هو 'الحاج هاشم بن الحاج يونس' الذي مهد له الطريق للقاء برئيس الوزراء

1- نفسه، ص 207.

2- نفسه، ص 208.

3- نفسه، ص 208.

4- أسعد، (لهلاي)، المرجع السابق، ص 209.

العراقي 'نوري السعيد' ، و خلال اللقاء استطاع الشيخ أن يقنع الرئيس بضرورة دعم الجزائر و بالفعل أمر الضابط العسكري بأن يقتطع جزءا من الشحنة التي طلب العراق اقتناءها من أوروبا لصالح الثورة، و قد قدر ثمن الأسلحة بحوالي 7 آلاف دينار و تحتوي الشحنة على: 200 رشاشة من نوع بيريتا و مع كل رشاش 300 رصاصة.(1)

و لم تتوقف جهوده فقط عند ذوي الحكم بل تعداه كذلك إلى أصحاب الفكر و الثقافة و الصحافة و علماء الدين يحثهم على نصره الجزائر. و في هذا المقام سجل له الكثير من الشعراء مواقفهم و منهم الشاعر العراقي 'مصطفى نعمان البدرى' حين قال:

فإذا البشيرُ يجوبُ آفاق البلاد بقلبٍ كابرٍ
و يحاضرُ العربانَ في تاريخ أمجاد غوابرٍ
و يحشدُ الرأيَ العميم لنصرة البلد المصابرٍ
فيمد فيهم نخوة الشجعان تنأر للعوائر (2)

كما نجد في هذا المجال جهود الشيخ 'أحمد توفيق المدني' بارزة إذ عمل على الحث على مساندة الثورة عسكريا، مما جعل الحكومة العراقية ترسل الأسلحة بواسطة الجو عن طريق ليبيا. و في هذا يقول الشيخ: "و إذ أظهرت حكومة العراق استعدادها لإرسال كمية من الأسلحة الحديثة بواسطة الطائرة، إعانة للمجاهدين الجزائريين على طريق ليبيا... " (3)

و اتجه كذلك الشيخ إلى مدينة طرابلس رفقة كل من: 'الأمين دباغين'، و 'فرحات عباس'، و الدكتور 'فرنسيس' في 30 أبريل 1956 للتباحث مع المسؤولين الليبيين في إمكانية مساعدة الثورة عسكريا. و بالفعل التقى الوفد الجزائري مع رئيس الوزراء و القائد العام للجيش و المسؤول عن الطيران و تقرر ما يلي:

أولا: أن الأخ ابن حليم يضع تحت تصرف القيادة الجزائرية، مطار بلدة نالوت و مطار آخر حريبا يقع جنوب فزان، و أن تقوم لجنة حرية مصرية بتجهيتها.

ثانيا: استعمال طائرات من نوع دوكتا لأنها تستطيع الطيران في ارتفاع منخفض يصعب على الرادار الفرنسي اكتشافها.

ثالثا: السلاح الموجود بمصر يدخل إلى ليبيا جوا و بواسطة طائرات مصرية.

رابعا: أنه توجد إمكانيات لشراء الأسلحة في طرابلس و هناك من سيسلمها للمركز العسكري الجزائري.

خامسا: إن تنفيذ هذا الاتفاق يكون بعد مصادقة الملك إدريس.(4)

لم يتوقف الشيخ عند هذا الحد بل واصل مهمته في دعم الثورة عسكريا فاتجه إلى السودان بتاريخ 17 أوت 1956 رفقة كل من: الشيخ 'العباس بن الحسين' و 'إسماعيل بورغيدة' حيث التقى الوفد برئيس الوزراء السوداني

1- نفسه، ص 211.

2- أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، المرجع السابق، ص 25.

3- المدني، (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص 341.

4- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 214.

'عبد الله خليل' الذي اعتذر عن تلبية مطلبه في مجال العون بالسلاح و المال لكن بالمقابل تعهد له بمساندة القضية الجزائرية على منابر هيئة الأمم المتحدة.⁽¹⁾

لم يتوقف نشاط الشيخ المدني عند هذا الحد بل تدخل بموجبه وزيراً للشؤون الثقافية في الحكومة المؤقتة و بعث بمذكرة إلى الرئيس المصري 'جمال عبد الناصر' بتاريخ 1 نوفمبر 1959 طالب فيها :

- التدخل لدى إسبانيا لكي تفرج عن الباخرة التي حجزتها بسببته.
- السعي لدى إسبانيا لكي تسمح للجبهة بشراء الأسلحة و إرسالها من اسبانيا إلى المغرب.
- إرسال باخرة مصرية تحمل أغذية و ألبسة لسكان الجزائر في الناحية الغربية و نزولها في المغرب.
- إرسال أسلحة مع ذخيرتها: مدافع 57 ضد الدبابات، رشاشات ضد الطائرات البازوكا، مدافع الهاون من نوع 50، كمية كبيرة من المتفجرات لنسف خط موريس، و كمية كبيرة من البلاستيك و مادة "ت.ن.ت" و ما يلزمها، إضافة إلى كمية كبيرة من القنابل اليدوية و الألغام ضد الدبابات، كما تم اقتراح إلقاء الأسلحة على المجاهدين بواسطة المظلات من الأرض التونسية.⁽²⁾

و في الأردن فقد كللت مساعي الشيخ مع رئيس الحكومة فرحات عباس شهر ماي 1959 ، بالنجاح بعد موافقة الملك رعاية حملة التبرع لصالح الثورة مفتتحا الحملة بمبلغ 4 آلاف دينار، و قد تم جمع ما مقداره 35686 دينار.⁽³⁾

كما نشط رجال الجمعية في الجانب المادي و العسكري في كل من تونس و المغرب، فعملوا على جمع التبرعات و إقامة المهرجانات الخاصة بذلك. ففي تونس مثلاً اهتم كل من 'عباس التركي' و 'مصطفى بوغابة' بعملية جمع الأموال في البداية ثم التحق بهما كل من الشيخ 'نعيم النعيمي'، و 'عبد الرحمان شيبان'، و 'أحمد حسين' الذين كانت لهم خبرة في مجال جمع الأموال مما حسن من الأمور هناك.

أما في المغرب الذي اعتبر نقطة مهمة لاستقبال السلاح الذي يأتي من مصر و ليبيا عن طريق السفن إلى السواحل المغربية، فقد نشط الشيخ 'خير الدين' كثيراً حيث قدم خدمات كبيرة للثورة بفضل علاقاته المتينة مع القصر.

و نجد من الأعمال التي قدمه الشيخ هو تكوينه للجان تختص بجمع الأموال بصورة منتظمة لتقدم إلى قادة الثورة، و كذلك إعداد مراكز لتدريب الجنود من الشباب الجزائري، و إنشاء مخازن العتاد و التموين.

كما دأب الشيخ على زيارة مراكز التدريب التي كانت تنتشر هنا و هناك بالملكة المغربية بغية تشجيع الجنود و الرفع من معنوياتهم. و من أهم أعمال الشيخ في المغرب لصالح الثورة الجزائرية ما يلي:

1- نفسه، ص 214.

2- أسعد، (لهلالي)، المرجع السابق، ص 218-219.

3- نفسه، ص 219.

- إحصاء الجزائريين العاملين و المقيمين ببلاد المغرب و توثيق الاتصال بهم، و حل مشاكلهم، و رعايتهم.
- تكوين لجان لجمع الأموال بصورة منتظمة و تقديمها إلى قادة الثورة و المسؤولين عن جمع الأموال فيها سواء من المواطنين الجزائريين و غيرهم.
- إعداد مراكز لتدريب الجنود من الشباب الجزائريين، و المتطوعين للجهاد من كافة المواطنين الجزائريين.
- إنشاء مركز طبي للعلاج و تقديم الدواء و تعيين أطباء جزائريين لتسييره و المعالجة فيه لمجاريح الجيش و مرضاهم.
- إنشاء مخازن للعتاد و التموين.⁽¹⁾

و الحق أن الشيخ 'خير الدين' قدم خدمات جليلة للثورة التحريرية في سبيل تطورها عسكريا و ماديا، هذا إلى جانب الكثير من رجال الجمعية من أمثال: الشيخ عمر مطاطلة، علي مرحوم، رضا بن الشيخ العباس بن الحسين، السعيد زموشي، بوعلام باقي، و غيرهم، و يضاف هذا الجهد إلى جهود كل من الشيخ البشير الإبراهيمي و الشيخ الفضيل الورثيلايني و الشيخ أحمد توفيق المدني و غيرهم، فبالرغم أنهم لم يتدربوا في الثكنات العسكرية و لم يحملوا السلاح إلا أنهم شاركوا بتحركاتهم و خطاباتهم و رسائلهم و مساعيهم لحث الدول العربية على تقديم المال و السلاح و المعونة للثورة التحريرية.⁽²⁾

ثامنا/ البعد الإسلامي للثورة الجزائرية من خلال الأعمال الأدبية:

إن البعد الوطني للثورة الجزائرية تغذى من بعدها الروحي، وقد جسدت لنا الأقلام الأدبية البعد الإسلامي لثورة نوفمبر 1954 م. إذ نلمس ذلك بوضوح في إلياذة الجزائر لشاعر الثورة 'مفدي زكرياء' المجاهد بالقلم حيث تطرق في كثير من قصائده إلى أثر العقيدة الإسلامية في شحذ الهمم الجزائرية وإحياء روح الجهاد فيها من أجل الذود عن الدين والوطن.

وكمثال عن ذلك إليك هذه الأبيات الإلياذة:

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| فأسلمت وَجْهِي لربِّ الجلالة | شربت العقيدة، حتى الشماله |
| لما قرّر الشعب يوماً مناله | ولولا الوفاء لإسلامنا |
| لما أخلص الشعب يوماً نضاله | ولولا استقامة أخلاقنا |
| لما حقق الرب يوماً سؤاله | ولولا تحالف شعب، وَ رَبِّ |
| بنور اليقين، و يرسي عداله | هُو الدين يعمر أرواحنا |

1- محمد، (خير الدين)، المرجع السابق، ص 180.

2- أسعد، (لهاللي)، المرجع السابق، ص 221-222.

إذا الشعب أخلف عهد الإله و خان العقيدة، فارقب زواله
 إذا ما انتصرنا بحرب الخلا ص، فتورتنا اليوم حرب أصاله
 نهدنا لمعركة المستوى نربي النفوس و نغزو الجهاله
 و يصنع إيماننا أمة قوامًا... فترجف منها الضلاله
 و إن ينصر الشعب حرب الضمير أقمنا بوحى الضمير، احتفاله (1)

و قد وظف شاعر الثورة الكثير من المصطلحات المستمدة من القرآن و الشريعة الإسلامية في إليادته، نذكر منها بعض المقتطفات:

شريعتنا، كجلال الشريعة كمالاتها، راسخات ضليعه (2)

كما استعمل مصطلح الجهاد في أكثر من موقع فمثلا حين يقول:

شرعت الجهاد، فلباك شعب و ناجاك رب، فكان النصيرا (3)

و استعمل مصطلح الصلاة في قوله:

على العري الشهيد، صلاة مضرجة بدماء، و نور (4)

و كذلك مصطلح الإسلام في قوله:

و أخلص إسلام أكبادنا بأرض فرنسا فكان الجدارا (5)

كما ذكر 'مفدي زكرياء' الكثير من الشخصيات التي تذكرنا بالتاريخ الإسلامي من أمثال: 'خالد بن الوليد'، و 'سعد بن أبي وقاص'، و هذا في قوله:

و جندت من خالد بن الوليد، و سعد بن وقاص أبطاله (6)

لقد تجسد البعد الإسلامي في كثير من المحاورات و الأشعار التي كانت تدور هنا و هناك و بخاصة في المعتقلات و المحتشدات، فها هو المجاهد 'محمد زروال' ينقل لنا الكثير منها في كتابه "الحياة الروحية في الثورة الجزائرية"، و منه حديث الدلاعة، و حديث السردين، و موضوع الشاي. و هذه المواضيع كانت تحاكي الواقع و الحالة النفسية التي كان يعيشها المعتقلون في المحتشدات و السجون.

و من هذه المقتطفات و المقامات ما كتبه الأستاذ الشيخ 'محمد الشبوكي' عندما كان في المعتقل و هو يصف الشيخ مصباح و هو يؤذن للصلاة فيقول عنه:

في موكب الفجر و الأنداء حاملة و الليل من بسمات الفجر خجلان

صوت تموج في سمع السكون له في قلب كل تقيش الروح إرنان

"الله أكبر" مصباح يردد لها فيغمر الكون إشراق و إيمان (7)

1- زكرياء، (مفدي)، المرجع السابق، ص 89.

2- نفسه، ص 31.

3- نفسه، ص 55.

4- نفسه، ص 74.

5- نفسه، ص 80.

6- نفسه، ص 85.

7- محمد، (زروال)، المرجع السابق، ص 227-228.

كما يقول فيه كذلك مبينا حالته و هو يتلو القرآن الكريم:

عجباً للشيخ يتلوه سورَ الذكرِ الحكيمِ
و يريقُ الدمعَ خوفاً من لظي نارِ الجحيمِ (1)

كما جسد البعد الإسلامي العربي للثورة الجزائرية في الكثير من دواوين الأشعار العربية وعلى سبيل المثال نورد بعضاً من الأبيات المقتبسة من قصيدة الشاعر العراقي: " طارق الطاهري " بعنوان " الكفاح الخالد " يقول فيها:

لقد حانَ للحقِّ كل الظهورِ و آن لهُ هتكِ سدقِ الدياتجرِ
أضعتم فلسطين كل الضياعِ كبير علينا ضياعِ الجزائرِ

نعم لقد بكى كل الإخوة المسلمون العرب لبكاء الجزائر، واعتبروا احتلالها بمثابة " خروج أندلس جديد من حظيرة الإسلام والعربية " لذا هبوا لنصرتها بالقلم والبنديقية. و لقد كتب الشيخ المدني الكثير من المقالات عن الثورة و خصص لها في كتابه حياة كفاح بالجزء الثالث حيزاً مهماً، و قد جاء في هذا الصدد: "هال الإدارة و راعها أن تعمد البصائر في عددها السابق لتقول الكلمة الحق- موقف الجمعية الحاسم من الثورة- التي تعبر عن شعور الجزائريين الاجماعي تجاه الحالة الحاضرة و مآلها..."(2)

كما أضحت الجمعية بمثابة البريد السري للثورة الجزائرية، و هذا منذ مارس 1956، و وسيلة الاتصال بين مركز القيادة بالعاصمة، و بين بقية جهات القيادات الفرعية. و في هذا يقول الشيخ المدني: "...رسالة أو رسائل كان علي أن أوصلها بكل سرعة لأصحابها. و كنت أستعمل في تبليغ ذلك البريد جماعة من المجاهدين الفضلاء، أمثال الشيخ حمزة بوكوشة، الشيخ أحمد سحنون، الشيخ الجيلالي الفارسي، الشيخ مصباح الحويذيق، و غيرهم من رجالات الجمعية الأمناء."(3) و بالفعل كان هؤلاء الرجال يحملون الرسالة و يؤدون الأمانة، و هم يعلمون علم اليقين أن هذا العمل ربما يوصلهم إلى مقصلة الإعدام.

وهكذا فإن الجمعية قد أدت مهمتها التي فرضها الله والوطن عليها في الإطار العام للحركة الوطنية الجزائرية قبل الثورة المسلحة وأثناءها، وهي الآن ما زالت قائمة تواصل رسالتها نحو الإسلام الهادي إلى سواء السبيل في كل عصر وفي كل مصر.

و في هذا السياق نجد الكثير من الأشعار الشعبية التي تدور حول موضوع التمسك بالإسلام و إتباع الفرائض و أدائها في وقتها:

أبو نادم توب و صلي خمس أوقات
صلي الظهر في وقتو يحضر
صلي العصر و الشمس على مسيان
صلي المغرب مرواح الحيوان
صلي العشاء ترقد و اتنام

1- نفسه، ص 228.

2- المدني،(أحمد توفيق)،المرجع السابق،ص38.

3- نفسه،ص 42-43.

صلي الفجر مفتاح البيان (1)

بل أكثر من ذلك فقد نظر هؤلاء الشعراء في جوارح الإنسان نظرة دينية فقالوا:

بركاك يا لسناني بركاك من قال و قال

تعيًا و ترقد ظلمة لا اشمع يقدى لا الضوا إيبان (2)

كما استعان البعض منهم بمصطلحات مستمدة من القرآن الكريم مثل: الكفار في قول أحدهم:

افخبر بوسسوا لبلاندي و ليشار اعسوا

الكبار اوصو و يقولو بالك جبار

جبار ابذاتو يرحم الم اللي جباتو

في الكفره برد لهااتو (3)

و استعمال لفظ الجلالة الله و مصطلح الجهاد في قول الشاعر:

زوج اذراري عقبو منا هزيت عينيه شافوا ليه

و الله ما انرندي و إذا، مت في جهاديه (4)

كما استعان البعض من هؤلاء الشعراء باسمي مصطفى و أحمد في بعض أشعارهم مثل قول الشاعر:

انهار الحد الكويتير تدى و اترد

الله الله على مصطفى و أحمد (5)

كما استعمل لفظ الإسلام في كثير من هذه الشعار مثل قول الشاعر:

يا مسيو ديغول دبر واش اتقول

جاك الإسلام بالكور المدغول (6)

لا يمكننا في هذه الدراسة أن نحصر كل الأشعار التي جاءت متأثرة بالبعد الإسلامي و متصلة بالإسلام و بكل ما له صلة بالحضارة و التاريخ الإسلامي، لكننا وقفنا عند بعض النماذج كي نبين أنه حتى ذلك الشاعر البسيط تعلق في شعره بالإسلام و بكل معانيه و مصطلحاته التي وظفها في سبيل محاربة الاستعمار بالكلمة و إسماع صدى الثورة التحريرية.

إن أدبيات و نصوص و موثيق الثورة الجزائرية منحت مكانة هامة و مرموقة للدين الإسلامي، الذي كان دافعاً و محركاً قوياً للمطالبة بالاستقلال و التأكيد على الشخصية العربية الإسلامية للجزائريين، و هكذا "نجد أنفسنا أمام إسلام سياسي شكل مرجعا و إيديولوجية محركة للمجتمع، فالإسلام لم يبق مرتبطاً بالجانب العقائدي فحسب، بل تعداه إلى

1- العربي،(دحو)،الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989،ص 65.

2- نفسه، ص 65.

3- العربي،(دحو)،الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988،ص 22.

4- العربي،(دحو)،الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج 2، المرجع السابق،ص 22.

5- بالنسبة للمؤلف اسمي مصطفى و أحمد غير معرفين. ينظر: العربي،(دحو)،الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج 2، المرجع السابق،ص 23. أما أنا فأظن أن الشاعر يقصد بالاسمين، رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه و سلم.

6- يقصد ب: الكور القنابل. ينظر:العربي،(دحو)،الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج 2، المرجع السابق،ص 37.

المجال السياسي، بعد ارتباطه بفكرة المقاومة و التحرر." (1) غير أن هذه الفكرة لم تكن وليدة ثورة نوفمبر 1954، بل ترجع أصولها إلى مرحلة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931، و ربما تتعداها إلى مرحلة المقاومات الشعبية المسلحة ضد الاحتلال الأجنبي.

و خلاصة القول في هذا الفصل أنه رغم غلبة الطابع المادي على الجانب الروحي للثورة الجزائرية خاصة بعد مؤتمر الصومام، فهذا لم يشكل قطيعة مع مبادئ الدين الإسلامي، و إنما بقيت الثورة متمسكة بالإسلام باعتباره المحرك و الوقود الذي دفعها إلى مقاومة المستعمر المحتل الذي رصد كل الإمكانيات المادية و البشرية للقضاء عليها، أما فيما يخص التحول الذي وقع في أفكار و برامج الثورة فهو ناجم ربما عن تدويل القضية الجزائرية خاصة في منابر هيئة الأمم المتحدة، فأرادت الثورة من وراء ذلك جمع أكبر قدر من الدول المؤيدة لها مهما كانت مشاربها و توجهاتها، لهذا راحت تنوع من منابع أفكارها الذي سيكون الدافع الأساسي لمساندتها و دعم حق الجزائر في التحرر و الانعتاق. و الذي نستخلصه من كل هذا هو أن الإسلام كان و ما زال و سيظل المرجع الأساسي لهذا الشعب، و قصب الرهان في أي مشروع أو سياسة يرجى لها النجاح في وطننا العزيز. و أنه أي الإسلام تحول و منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، لا إلى القضاء الرمزي الوحيد تقريبا لوجود الشعب الجزائري و لواقعه و لتعامله معه فحسب، بل إلى العامل التوحيدي الأول للشعب الجزائري.

الفصل الثالث: القيم الروحية المجسدة في جملة من المصطلحات و بعض المواقف الأخلاقية أثناء الثورة.

¹- محمد، (بوشنافي)، المرجع السابق، ص 160.

لقد أثبتت كل الأحداث السابقة للثورة التحريرية، من لدن المقاومات الشعبية المسلحة إلى الحركة الوطنية السياسية، في رغبة الشعب الجزائري في القضاء على الاستعمار الفرنسي الذي لطالما أنكر على هذه الأمة كيانها الوطني، بل و حتى كيانها العربي الإسلامي.

و هكذا فقد كان الإعلان عن اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954 امتدادا و تنجيحا لكل صنوف المقاومة التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي،⁽¹⁾ و لربما ضد كل محاولات الغزو الأجنبي التي تحطمت على أسوار هذا البلد.

و الجدير بالذكر هنا أن العوامل الأساسية التي حركت كل هذه المقاومات ضد الغزو الأجنبي و الثورة فيما بعد، يتصدرها الذود عن الإسلام و الدفاع عن الأرض و الحرص على صيانة الشخصية الوطنية.⁽²⁾

كما أن بيان أول نوفمبر الذي أعلنت فيه الثورة عن أهدافها و مبادئها و أسلوبها، يعتبر إيذانا بميلاد عهد جديد يضع حدا لكل الممارسات السلبية التي عرفت المراحل السابقة. و يفتح الباب أمام توحيد صفوف الشعب الجزائري تحت لواء جبهة التحرير الوطني و باسم الإسلام الذي هو العقيدة الوحيدة التي يمكنها أن تلعب هذا الدور و تصهر جميع الطبقات الشعبية في طبقة واحدة متحدة من أجل جهاد العدو الوحيد الأعمى الذي رفض أن يمنح أدنى حقوق للشعب الجزائري.

أولا/ القيم الروحية و المصطلحات:

1/ القوة الروحية:

لقد حان الوقت للمؤرخين و الدارسين أن يتوقفوا طويلاً، وعميقاً، عند الخلفيات الروحية للمقاومة الوطنية أثناء الثورة الجزائرية بخاصة ذلك بأن ثورة نوفمبر، لا تمتلك من العدد والعدد إلا ما قد كان يعادل واحداً في المائة بالقياس

1- نقصد صنوف المقاومة أي كل المقومات الشعبية المسلحة و الحركة السياسية التي جاءت بعدها عكس ما ذهب إليه محررو البيان الذين اعتبروا حركتهم امتدادا للمقاومة الشعبية المسلحة و اعتبار جبهة التحرير الوطني غرة نوفمبر الحدث المؤسس للقومية الجزائرية و بذلك حقرت كل ما قامت به الأحزاب السياسية و قدحت في التعددية السياسية للمزيد ينظر: محمد، (حربي)، المرجع السابق، ص 153.

2- الميثاق الوطني 9 فبراير 1986، ص 20.

إلى ما كانت تمتلكه قوات الاحتلال الفرنسية أو أقل من ذلك؛ فلم يكن المجاهدون يمتلكون دبابات، ولا مدفعية ثقيلة، ولا صواريخ، ولا طائرات يهاجمون بها، أو يدافعون عن أنفسهم بواسطتها؛ ثم يستطيعون، أثناء ذلك، هزم قوة علمية عاتية قوامها أكثر من 800 ألف جندي ممن كانوا مدربين تدريباً عالياً، وممن كانوا مجهزين بأحدث ما أنتجته مصانع الأسلحة العصرية في ذلك الوقت. فكيف استطاعت هذه القوة العسكرية البسيطة (بنادق صيد، ومسدسات، ورشاشات خفيفة، ومدافع هاون، ومدافع صغيرة قريبة المدى، في المرحلة الأخيرة من الثورة) أن تتغلب على قوة أوروبية عاتية تنتمي إلى الحلف الأطلسي بكل ما كان لديها من القرض والقضيب؟ وما السر العظيم الذي كان وراء هذا الانتصار الباهر، بعد تضحيات جسام على كل حال؟ أهي مجرد شجاعة المجاهدين والفدائيين وتضافر جهود كل الوطنيين وعزم الشعب الجزائري على تكسير القيود، وإصراره على فك الأغلال بقيامه قومة رجل واحد وراء المجاهدين، مهما تكن فداحة التضحيات؟ أم يجب أن نلتمس لذلك عللاً أخرى، تضاف إلى هذه، لكي نتحدث عن شبكة معقدة من عوامل القوة والشموخ في الثورة الجزائرية؟

وأياً ما يكن الشأن، فإن القوة الروحية لا ريب في أنها أسهمت إسهاماً حاسماً في تعجيل النصر، وتكثيف التضحيات، وإقبال الشباب على الارتقاء في أحضان جبهة و جيش التحرير الوطنيين كأن الثورة بمثابة يوم الحساب⁽¹⁾، وكذلك الموت برغبة عارمة تكاد تخرج عن إطار الواقع المألوف، وتدخل في إطار الخوارق والمعجزات، وهذا ما يؤكد لنا أن الثورة التحريرية هي ثورة حملت في جوانبها البعد الإسلامي. وفي هذا الصدد يؤكد الميثاق الوطني أن: "البعد العربي للثورة الجزائرية مثل بعدها الإسلامي لا يحتل أي مدلول عرقي ولا يعني أي تسلط لجنس، بل هو بعد أنضج مسار التاريخ و صنعته رغبة الشعب و صهره الإسلام." (2) هذا الدين الذي انتشر بفضل الرغبة الشعبية و الجهود الجماعية التي كانت ترصد الأوقاف و تخصص من أموالها حقاً معلوماً لأجل العلم. (3) ذلك بأن المجاهدين كانوا يحرصون على الشهادة، في المعارك التي كان جيش التحرير يخوضها ضد المحتلين، بمثل ما كان يحرص جنود الاحتلال على الإفلات من الموت، والنجاة من الهلاك، وليسوا سواءً: مجاهدون راغبون في الموت يزحفون إليه زحفاً، وجند يحرصون على الحياة الدنيا حرصاً، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْحَزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (4) وفي هذا يؤكد الأستاذ بسام العسلي أن المجاهدين يدفعهم هذا الإيمان العميق إلى الإقدام العجيب على الموت و طلب الشهادة، لا تردهم عن غايتهم رغبة في حياة، أو تعلق بملذة من ملاذ الحياة. (5)

1- محمد، (حربي)، المرجع السابق، ص 174.

2- الميثاق الوطني 9 فيفريير 1986، ص 35.

3- الميثاق الوطني 9 فيفريير 1986، ص 35.

4- سورة البقرة، الآية 96.

5- بسام، (العسلي)، جيش التحرير الوطني الجزائري، دار النفائس، الجزائر، ط 2، 1986، ص 128.

2/ الإجماع في الثورة:

لا شك أن الحديث عن الإجماع في الثورة التحريرية، ربما سيجلب لنا الكثير من الانتقادات، لكن مع ذلك سنحاول أن نعطي لهذا المفهوم مدلوله من خلال الممارسات التي كانت تحدث أثناء الثورة التحريرية. لعل أول عمل يحسب للثورة الجزائرية إتباعها قاعدة الإجماع التي سنتها الشريعة الإسلامية، في أول اجتماع تاريخي لها ألا وهو اجتماع مجموعة الـ 22 الذي تم فيه باسم الشعب الجزائري المضطهد إقرار العمل الثوري المسلح و العزم على مواصلة الكفاح التحرري حتى النصر أو الشهادة في سبيل الله ثم الوطن. و من شروط هذا الإجماع و اتخاذ القرار المصيري باسم الشعب الجزائري، أن يقبل هذا الأخير القرارات الصادرة عن المجموعة، و بالفعل هذا ما حدث أثناء الثورة، إذ تقبل الشعب الفكرة و احتضن الكفاح طيلة سنواته حتى تمكن من تنشق عقب الحرية و الاستقلال.

إن هذا الإجماع، ليس ببعيد عن ممارسة الديمقراطية،⁽¹⁾ إذ أن المسلمين عليهم طاعة الهيئة العليا التي تقود الحكم، و هذا بالفعل ما حدث كذلك أثناء الثورة التحريرية إذ قام الشعب الجزائري باحترام و طاعة مؤسساته التي انبثقت بعد الاجتماع التاريخي لمجموعة الـ 22، و نذكر هنا على رأسها جبهة و جيش التحرير الوطنيين، ثم المؤسسات التي انبثقت عن مؤتمر الصومام الـ 20 أوت 1956، ثم الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (G.P.R.A) بعد تشكيلها ابتداء من سنة 1958. كل هذا يجري تحت سياق احترام المسلم عامة و المجاهد و الشعب الجزائري خاصة لما سنته الشريعة الإسلامية و امتثالا لقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَن يَكْفُرْ لِيَكْفُرْ بِهِ اللَّهُ فَأَنَّ أَكْثَرَ شَرًّا مِنْ دُونِهِ﴾ (2)

اعتمادا على هذه المبايعة من قبل الشعب الجزائري للثورة و قيادتها الجماعية، جاء امتثال و احترام قادة الولايات للقرارات الصادرة عنها، بل و تطبيقها على أرض الواقع لتتجسد في شكل أفعال و أعمال تخدم مصلحة الثورة و الشعب على حد سواء. و من هنا فالطاعة لكل القرارات الصادرة عن هيئات الثورة و مؤسساتها إنما يكمن في التمسك بالعقيدة الإسلامية، بل أكثر من ذلك فالطاعة لها هنا مقرونة بالإيمان، و هذا ما تؤكد الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (3) و الحقيقة في الأمر أن أولي الأمر في هذه المرحلة هي قيادة الثورة و كل المؤسسات التابعة لها.

و الجدير بالإشارة أن القائمين على تفجير الثورة من الرعيل الأول من أمثال 'محمد بوضياف' و 'مصطفى بن بولعيد' و غيرها انتبهوا لأهمية القيادة الجماعية للثورة فجعلوا منها المسلك و الطريق القويم الذي يمكن من خلالها تفادي الأخطاء الجسيمة في اتخاذ القرارات أو تفعيلها على أرض الواقع، فلا يجتمع مسلمان على منكر. و الحقيقة التاريخية التي تفرض نفسها هنا أن الجيل الذي خطط للثورة و فجرها لم يبقها حكرا عليه ، بل ترك الباب مفتوحا

1 - Mokhtar,(Arib),op.cit,p10.

2- سورة الفتح، الآية 10.

3- سورة النساء، الآية 59.

على مصراعيه لكل أبناء الوطن ، بحيث أن الجماعة التي فجرت الثورة ليست هي الجماعة التي فاوضت على الاستقلال.(1) و عليه أضحت القيادة الجماعية ضرورة حتمية فرضها التطور التاريخي للقضية الجزائرية خاصة بعد فشل تجربة الأحزاب الوطنية تحت القيادة الفردية للزعيم الواحد، و كذلك حتمية التطبيق على أرض الواقع. و بهذا نأت الثورة التحريرية عن كل شكل من أشكال الزعامة الفردية، بقدر ما أرسيت، بذلك و بالتالي، مبدأ القيادة الجماعية.(2) و من الأمثلة الحية على ذلك تلك المؤسسات التي أقرها مؤتمر الصومام مثل: المجلس الوطني للثورة الجزائرية (C.N.R.A) (3) و لجنة التنسيق و التنفيذ(C.C.E) و المجالس البلدية التي كانت بمثابة مجلس محلي أعلى يدير شؤون الجزائريين عوض عن المجالس التي وضعتها الإدارة الفرنسية. و في هذا الصدد يؤكد الأستاذ خيثر أن السبق كان " لقرارات الصومام مقارنة ببقية موثيق الثورة في تحديد العلاقة بين النشاط الثوري والجمهير الشعبية، و يمكن القول أن اعتماد مبدأ القيادة الجماعية و قرار إنشاء المجالس الشعبية عن طريق الانتخاب كانا من أبرز الدلائل على وجود روح ديمقراطية عند بعض منظري الصومام." (4) و ربما اختيار هذا النوع من القيادة أرادت من ورائه الثورة تنظيم الشعب و تسيير مصالحه و فرض الزعيم الأول (5) و الأوحد للثورة ألا و هو الشعب الجزائري، من جهة، و من جهة أخرى، منع و تفادي تسلط فئة على فئة أخرى من الشعب، و لنا أمثلة كثيرة عن ذلك في تاريخنا الوطني، خاصة أيام النضال في أوساط الحركة الوطنية. و كذلك تفادي السقوط في خطر القيادة الفردية و حب الزعامة و القيادة الأبدية، و للأسف رغم هذه الاحتياطات لم يمنع هذا من السقوط في المحذور و واقعنا اليوم خير دليل على ذلك.

3/مصطلحات وقيم:

وقد صاحب سلوك المجاهدين في المعارك، و تجسيد إيمانهم في التسابق إلى طلب الاستشهاد، طائفة من القيم الروحية العظيمة جسدتها جملة من المصطلحات التي كانت تحكم نظام الثورة الجزائرية و تنتظم مسارها العظيم، و سنذكر طائفة من تلك المصطلحات التي كانت تجري على ألسنة الجزائريين، جنود ومدنيين، ولها صلة بالبعد الروحي الذي كان لا يزال يُذكي جذوة الإيمان للانطلاق إلى الجهاد على نحو من العنفوان العظيم، وعلى وجه من الإخلاص كريم، فكان كلما هم الفشل بأن يدب إلى نفوس أولئك المجاهدين الأبرار، جاء البعد الروحي فشحن نفوسهم بيقين النصر، و قُذف في قلوبهم أن الله ما كان ليخذلهم وهم يجاهدون من أجل إعلاء كلمة الحق، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّصَرُوا لَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ (6) ، فكان ذلك الإحساس الروحي الغامر لا يزال يدفعهم نحو الأمام لا يلوون على شيء وهم يقاتلون.

1- أحمد،(بن نعمان)، جهاد الجزائر حقائق التاريخ و مغالطات الإيديولوجيا، دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط 1998، 2، ص 50.

2- البخاري،(حماني)، المرجع السابق، ص 247.

3- هو الهيئة التشريعية العليا للثورة الجزائرية، له مسؤولية تخطيط سياسة جبهة التحرير، و حق وقف القتال، و قد ضم 34 عضوا ثم 54 عضوا. للمزيد ينظر: جريدة المجاهد، ص 7.

4- عبد النور، (خيثر)، المرجع السابق، ص 156.

5- أحمد،(بن نعمان)، المرجع السابق، ص 50.

6- سورة محمد، الآية 07.

و قد اعتمدت الثورة المباركة على الكثير من الرموز التي لها دلالاتها في الإسلام، و من بين المصطلحات التي وظفها المجاهدون الجزائريون مما له بعد روحي، على عهد ثورة التحرير، نذكر ما يلي:

أ/الجهاد والمجاهدون:

أمست كلمة "الجهاد" (1) تخيف كثيراً من الساسة والمفكرين الغربيين إلى حد الفزع الأكبر، أو يتظاهرون بذلك على الأقل لبعض التدبير. وشيئاً فشيئاً، وبعد تردد و مراوغة، وبعْدَ نظرٍ وتقدير، وبعد تقاعس من القادة المسلمين وتقصير، أقدم الغربيون على جعل كلمة (الجهاد) مرادفةً لجرمة الإرهاب؛ وكأنَّ الغربيين لا يزالون يتعمدون الإساءة إلى الإسلام والمسلمين بالتركيز على النيل من أعظم قيمة روحية فاعلة في الإسلام وهي الجهاد. ذلك بأنَّ الغربيين يعلمون أن هذه الفريضة بمعناها الشرعي معطلة الآن لدى المسلمين و إنما المعنى المتداول للجهاد على عهدنا هذا هو الذي اتخذ مفهوماً جديداً يقتصر على تحرير الوطن من رجس الاحتلال الأجنبي، غالباً، فهو ذو معنى سياسي في المقام الأول، ودون اكتساء البعد الديني الصارم الحقيقي الذي كان يكتسبه معنى الجهاد في أول العهد بالإسلام والقرون التي تلتها.

و الجهاد من أجل تحرير الوطن من المحتلين الأجانب أمر تعترف به جميع الموثيق، وكل الدول، في العالم، ما عدا دولة واحدة أو اثنتين.. فلم كل هذا التخوف من لفظ "الجهاد" وهو لا يعني، في دلالاته المعاصرة، إلا المقاومة من أجل إحقاق الحق في قضية وقع الظلم فيها على المسلمين؟
فيا ترى هل مارست الثورة التحريرية هذا الجهاد الشرعي؟

فنحن نرى أن الجهاد الشرعي قد مارسته الثورة التحريرية بالفعل عندما انطلقت أولى شرارة الكفاح تحت كلمتي "الله أكبر" التي تعني أن هذا الكفاح يتم تحت راية الإسلام ما دام يسعى لتحرير جزء من الأمة الإسلامية. و بالفعل فإن هذا الجهاد ضد المحتل المسيحي، قد مارسه الكل من المجاهد الرسمي بزيه العسكري إلى المناضل السياسي، إلى رجل الاتصال، و الراعي و كذا عاملات البيوت، و حتى التلميذ في المدرسة الذي يقوم بالإضراب، و الطالب الذي يقطع دراسته من أجل الالتحاق بالثورة، و بقية الشعب الجزائري الذي يعاني و يأمل في الخلاص.المهم و بجملة جامعة، فالجهاد أثناء الثورة التحريرية هو مجموع الجهد الذي حملته دواليب التاريخ، مسيراً من

1- ربما قد يتساءل الكثير منا لماذا اختارت جبهة التحرير الوطني كلمة الجهاد و ليس المقاومة أو المحاربة ؟ و في رأينا أن هذا التعبير له دلالاته الروحية و الفكرية، فكلمة المقاومة مثلاً: توحى بالضعف و أن المقاوم في حالة الدفاع فقط، أما ما يقابلها من قوة فهو الجهاد الذي يعني الهجوم و الفعل و شتان بين الرأيين في الأثر النفسي و التحفيز المعنوي.للمزيد حول الموضوع ينظر: أحمد،(بن نعمان)، المرجع السابق، ص 110.

قبل جبهة التحرير الوطني، نحو تحقيق الهدف الوحيد، الخلاص و تحقيق الاستقلال الوطني.(1) و قد يرى في هذا المناضل و المجاهد أرزقي باسطة أن المجاهدين قد أعلوا كلمة الله قبل أن يسقطوا شهداء في ساحة المعركة.(2) و لما كان الجهاد بالنفس هو قمة العطاء و الذروة العالية في الفداء و الابتلاء، و الامتحان العسير الذي لا يتصدى له إلا كل مؤمن قوي الإيمان (3) واثق بالله، فقد اقتدى مجاهدو الثورة التحريرية بأجدادهم الأوائل الفاتحين للأمصار و البلدان، حتى "أنهم إذا كانوا في حالة قتال في ساحات المعركة أو كان مصيرهم القتل صبرا بالمقصلة صاحوا بأعلى صوتهم مرددين الله أكبر، لا اله إلا الله، تحيا الجزائر".(4)

إن اعتماد الثورة الجزائرية على المبادئ الإسلامية السامية و المثل العليا هو الذي حفز جموع الشعب الجزائري للالتحاق بها، فكان الانضمام إلى صفوف الجهاد هو أحسن مرآة راهنت بها الشبيبة الجزائرية حيث لا تخرج نتائجه عن إحدى الحسينيين (5) : إما مستقبل زاهر مضمون في كنف الحرية و الاستقلال، أو خلود في جنة الرحمان. و قد أطلقت الثورة على كل جندي اسم "المجاهد"، و في هذا يقول المجاهد 'عمار بن عودة': "ثم حددنا بعض الأهداف، فقلنا أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية، الإسلام هو الدين، الجهاد في سبيل الله، أي أن مناضل جبهة التحرير مجاهد و ليس جندياً". (6) ، و لهذا فإن مات فهو في سبيل الله ، فقد مات بذلك شهيداً فداءً لله ثم الوطن. و قد خلد شاعر الثورة مصطلح "الجهاد" الذي جعله لصيقاً بالثورة التحريرية حين قال:

و يا صفحة خط فيها البقاء بنار و نور جهاد الأباة(7)

و كذلك عندما خلد المجاهد في قوله:

و منها استمد المجاهد عزما فراع الدنا بالعجيب العجاب (8)

و عليه يمكن التأكيد على أن الحركة الوطنية الجزائرية السياسية و الثورة الجزائرية العسكرية، اعتمدت على الدين الإسلامي كمرجع لجمع الشعب حول فكرة الاستقلال و التحرر الوطني، و ربما هذا ما جعل الإسلام يشكل عاملاً هاماً في تماسك الثورة و عدم تشتتها. كما أن التركيز على لم شمل الثوار و المجاهدين لم يقتصر على الجانب الفكري، بل تعداه إلى المجال العملي من خلال فرض نظام و سلوكيات على أفراد جبهة و جيش التحرير و الشعب الجزائري، نابعة من تعاليم الإسلام، و يظهر ذلك جلياً من خلال أخلاق المجاهدين و معاملاتهم مع الشعب الجزائري و حتى مع الأسرى من العدو الفرنسي. و في هذا الصدد يقول الأستاذ عز الدين ميهوبي حول هؤلاء المجاهدين بأنهم

1 - Mokhtar,(Arib),op.cit,p85.

2- أرزقي،(باسطة)، مواقف و شهادات عن الثورة الجزائرية- إيماناً بالله و الإسلام-، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص 3.

3- محمد،(زروال)، المرجع السابق، ص 61.

4- أرزقي،(باسطة)، المرجع السابق، ص 14.

5- أحمد،(بن نعمان)، المرجع السابق، ص 65.

6- محمد،(بوشناق)، البعد الديني في ثورة التحرير الجزائرية، الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 160.

7- زكرياء،(مفدي)، إياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، 119 صفحة، ص 19.

8- نفسه، ص 30.

أصحاب حق و أن تصرفاتهم تجعلهم أقرب إلى الملائكة، و ربما بل هو أكيد أن الذي يجعلهم على هذه الأخلاق هو القرآن الكريم الذي يعلمهم و يقود جهادهم.(1)

إن هذا الإيمان بالله الواحد القهار هو الذي هزم و دحر فرنسا، في مواجهتها للشعب الجزائري الأعزل و لثورة بسيطة الموارد و السلاح. و في هذا يذكر المجاهد باسطة أن هذا هو بالفعل "ما ينطق به الواقع التاريخي، فالعقلاء و الفقهاء و حتى العقلايون مجمعون، وفق ما ذكر من ضحالة و قلة و ضعف العدد و العدة لدى الجزائريين و ما قابلها من عظم المهمة المراد تحقيقها، على أن الله العلي العظيم الحي القيوم الذي لا يموت هو الذي قهر المعمرين الفرنسيين".(2) و هذا فإن واقع الثورة أثبت أن شرطي الإيمان و الوسيلة، لم يكونا متلازمين في الوجود منذ البداية، حيث أن الإيمان قد سبق الوسيلة و هو الذي أوجدها لتحقيق الأهداف. فحسب الأستاذ بن نعمان أنه قد تم التنظير للثورة مبدأ و وسيلة. و لكن أين الوسيلة؟ فكان ذلك الإيمان بمبدأ الجهاد وحده هو السلاح المعنوي الذي أنتج الوسيلة المادية، ليجتمعها معا فتتحطم أمامهما إرادة الاستعمار المالك لأحدث الأسلحة التكنولوجية.(3)

ب/ الشهادة والشهيد:

أضحت كلمة "الشهادة" و "الشهيد" هي عنوان الثورة المباركة و دليل المجاهد يحمله معه أينما حل و ارتحل. فإيمان المجاهد و المناضل و الشعب عامة بأن المحارب في سبيل الله و الوطن شهيد إن سقط في ساحة المعارك، و أنه لا محالة سيخلد في جنة الخلد عند ملك مقتدر، و في هذا يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ۚ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (4)

نعم إن إيمان هذا المجاهد بأن المقتول في المعركة إنما هو حي عند الله، جعله ذلك ينشط للقتال في سبيل الله، و يزيده قوة على قوة فلا يهاب الموت و لا يهاب العدو الذي يقابله. فالثورة التحريرية بمبادئها الدينية و الدنيوية المتكاملة نقلت الشباب الجزائري بخاصة، و الشعب ككل بصفة عامة، من رعاة و طلاب و مشردين و مهجرين إلى أبطال أشداء مؤمنين بعدالة قضيتهم.(5) فالجihad يقبل على الموت إقبال الجندي الفرنسي على الحياة، و شتان بين من يموت لأجل الحياة و بين من يحي لأجل الممات، و هذا ربما هو السر من وراء إقبال الثوار و المجاهدين على المعارك دون خوف أو تردد. و كم من نفس سقطت راضية في ساحات الوغى و رجعت إلى ربها راضية مطمئنة في مثل هذه العمليات الاستشهادية.

لقد خلد مفدي زكرياء هذا المصطلح فقال في إليادته:

1- عز الدين، (ميهوبي)، النوفمبريون رجال من نور، مجلة إذاعة القرآن الكريم، العدد 05 شوال/ ذو القعدة 1428 هـ / نوفمبر - ديسمبر 2007 م، ص 07.

2- أرزقي، (باسطة)، مواقف و شهادات عن الثورة الجزائرية- إيماننا بالله و الإسلام-، المرجع السابق، ص 15.

3- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 29.

4- سورة آل عمران، الآية 169-170.

5- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 65.

و في ساحة الشهداء تعالَى مآذن تجلو عيون البصائر (1)

و كذلك قوله: سلام لمقران يمضي شهيدا بسوفلات رمز الفدآ و الكفاح (2) و كذلك في قوله:

و دوار يستقبل الشهداء و من أخلصوا للوفاء و الذمام (3) و كذلك في:

على العربي الشهيد، صلاة مزرجة بدماء، و نور (4)

و عليه و من هذا المقام فإن المجاهد الجزائري الذي وقف في وجهه و ضد المحتل الفرنسي و الذي وقع في ساحة المعركة، اعتبر شهيدا وجزء الشهيد الجنة عند الله، ولذلك لم يكن عناصر جيش التحرير الوطني يغسلون الضحايا الذين يتوفون في معارك الشرف، لأن المجاهدين في غزوات المسلمين لم يكونوا يغسلون، بل غالبا ما كانوا يدفنون بملابس الحرب، وهو شرف لم يحظ في الإسلام به غير الشهداء. (5)

كذلك في هذا المقام وحب علينا الوقوف أمام شجاعة الأمهات اللواتي أظهرن عن إيمانهن القوي، "هذا الإيمان الذي يجعل الأم الحنون ذات العاطفة الجياشة تزغرد أمام جنود الاحتلال على وحيدها الذي أوتي لها به شهيدا مخلصا بدمائه." (6) إن هذا الفعل -و ربما لأم أمية غير متعلمة- لأدل على أن الثورة التحريرية هي ثورة جهادية مباركة لم تقم إلا أصيلة على أسس وطنية و دينية قوية متكاملة كتكامل حب الوطن من الإيمان.

و إيمانا بهذه الرسالة رسالة الشهيد إلى الأجيال اللاحقة، فقد وقف الرئيس عبد العزيز بوتفليقة على مناقب العديد من الشهداء يستنبط من الحكمة و يذكر الشعب بخصال هؤلاء الرجال و تضحياتهم في سبيل إعلاء كلمة الله ثم الوطن، فقال في الشهداء: "سبحان الذي أسرى بكم في معراج الحق فاستوفيتهم المشيئة كاملة و أوفيتكم بالعهد كاملا." (7)

ج/ كلمة السر "خالد/ عقبة":

إن الثورة الجزائرية هي ثورة مباركة، لم تنطلق من فراغ، لأنها خرجت من "رحم أرض طيبة مؤمنة، و كان وقودها شعب أعلن منذ اليوم الأول كلمة السر" (8) التي اعتمدت في هذه الهجمات "خالد/ عقبة" (9) على انتماء الثورة التحريرية إلى واقعها الطبيعي ألا و هو الإسلام الذي يعتبر الناموس الذي تستمد منه قوتها و استمرارها، و بالفعل

1- زكرياء، (مفدي)، إياذة الجزائر، المرجع السابق، ص 23.

2- نفسه، ص 59.

3- نفسه، ص 68.

4- نفسه، ص 74.

5- الطيب، (بوسعد)، الأبعاد الروحية في ثورة التحرير المباركة، جريدة المساء، 31 أكتوبر 2015.

6- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 30.

7- عبد العزيز، (بوتفليقة)، جبل نوفمبر رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، مجلة إذاعة القرآن الكريم، العدد 16 1430 هـ/ 2009 م، ص 08.

8- عز الدين، (ميهوبي)، نوفمبريون رجال من نور، المرجع السابق، ص 07.

9- كلمة السر تتكون من كلمتين هي اسم خالد أما كلمة الإجابة فهي عقبة، أنظر صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 302. و كذلك ينظر: بسام،

(العسلي)، الله أكبر.. و انطلقت ثورة الجزائر، دار النفائس، الجزائر، ط2، 1986، ص 143.

فقد فعلت هذه الكلمة الأفاعيل في النفوس فما إن كانت تردد الكلمتان إلا و تهتز معها نفوس المجاهدين و تؤمن التعارف بينهم. و في هذا يقول شاعر الثورة مفدي زكرياء:

تأذن ربك ليلة قدرٍ وألقى الستارَ على ألفِ شهرٍ
و قال له الشعبُ: أمرك ربي! و قال له الربُّ: أمرك أمري!!⁽¹⁾

و من خلال هذه الكلمة أكد الشعب الجزائري للعالم أجمعه أن إيمانه بضرورة الانتفاض على المحتل و البحث عن الحرية و الاعتناق، ليس نزعة أفراد أو جماعة إنما هي محصلة شعور عميق بالحاجة إلى الحرية. و الأكيد المتمعن في هذه الكلمة يدرك كنهها و مصدرها الضارب في عمق التاريخ الإسلامي، فخالد تدل على تلك الشخصية الفذة التي عرفت في تاريخنا الإسلامي بالشجاعة و الإقدام و الدهاء و الحكمة العسكرية، فخالد بن الوليد سيف الله المسلول كان من خيرة و أكفئ قادة الجيش الإسلامي. أما عقبة فهي تلك الشخصية التي وطدت ركائز الدين الإسلامي في منطقة شمال إفريقيا خلال ولايته لمنطقة المغرب (الولاية الأولى ما بين 50 و 55 هـ، و الولاية الثانية ما بين 62 و 64 هـ)، و المعروف عنه أنه عندما نزل بفرسه إلى ماء المحيط الأطلسي خاطبه قائلا: لو أعلم أن هناك أرضا خلفك لخصتك إعلاء لكلمة الله و نشر دينه. و عقبة هي تلك الدلالة الرمزية على الارتباط التاريخي و العقدي بين الجزائر و باقي البلاد الإسلامية في المشرق العربي. و الكلمة كذلك من خلال الشخصيتين خالد و عقبة هي رمز القوة العسكرية، فكلا الشخصيتان توحى إلى القوة و الشجاعة و الدهاء العسكري، و لعل هذا ما كان يأمله الرعيل الأول بخصوص الثورة التحريرية التي أملوا - فكان لهم ذلك- أن تكون ثورة عظيمة قوية عسكريا و سياسيا. و الجدير بالذكر أن اتخاذ الثورة لهذه الكلمة يدل دلالة قطعية على تأصل العقيدة الإسلامية في نفوس المجاهدين، كما اتسم سلوك الكثير من الثوار، بالطابع الديني و الخلفي القويم.

كما استعملت الثورة أثناء المعارك، العديد من الكلمات و المصطلحات التي لها دلالاتها و رمزيتها الإسلامية مثل: الدين و العمل، الله أكبر، الله محمد، الإسلام ديننا، العربية لغتنا، النظام و العمل، محمد علي، و غيرها من الكلمات التي تؤكد على تأصل العقيدة الإسلامية في نفوس المجاهدين.

4/ رمزية الراية الوطنية (العلم الجزائري):

المعروف تاريخيا و سياسيا و دبلوماسيا أن الرايات و الأعلام كلها من شعارات و رموز الدول عبر التاريخ الطويل للأمم.⁽²⁾ و المعروف أن الجزائر قد تجددت خلال تاريخها الطويل الأعلام الوطنية ما بين علم الأمير عبد القادر الجزائري و علم أحمد باي و حركة الأمير خالد، و كانت هذه الأعلام تعبر عن شعارات و مفاهيم يسعى من خلالها أصحابها للعمل على إبراز الشخصية المميزة للجزائر.⁽³⁾

¹- زكرياء، (مفدي)، المرجع السابق، ص 69.

²- محمد الأمين، (بلغيت)، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات و وثائق، المرجع السابق، ص 163.

³- نفسه، ص 163.

و بالعودة إلى تاريخ الحركة الوطنية، فقد قامت قيادة حزب الشعب باختيار ثلاثة عناصر من نشطاء الحزب و هم: 'شوقي مصطفى'، 'حسين عسلة'⁽¹⁾، 'الشاذلي المكحي' من أجل إعداد مشروع العلم الوطني، و قامت اللجنة بدراسة مختلف الرايات التي عرفتها الجزائر من عهد الدولة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم و مروراً بأعلام الدولة العثمانية و أثناء مقاومة الأمير عبد القادر، و كذلك علم نجم شمال إفريقيا، و حزب الشعب الجزائري.⁽²⁾ لقد راعت اللجنة في إعداد العلم الوطني كل الاحتياطات المعبرة عن الشخصية الجزائرية بأبعادها الحضارية.

و أثناء الثورة التحريرية بدأت جبهة التحرير الوطني خاصة من سنة 1958 توزع على أفراد الشعب الجزائري مقياس رسم يحدد كيفية تصميم الهلال و النجمة الخماسية للعلم الجزائري⁽³⁾، و يبدو أن جبهة التحرير أرادت من وراء هذا أن تنشر بين الناس كيفية صناعة العلم الجزائري حتى يرفع أيام الإضرابات كتمييز للشخصية الجزائرية المسلمة التي ما زالت تدعي فرنسا أن الجزائر مقاطعة فرنسية، و لعل تعريف جبهة التحرير الوطني بالعلم الجزائري و ألوانه المتعددة يكمن من ورائه معاني عديدة: فاللون الأبيض معبراً عن السلم و الأخضر هو الصورة المعبرة عن روح العمل، أما الهلال و النجمة الحمراء فتعبيرهما هو ارتباط المجتمع الجزائري بالدين الإسلامي⁽⁴⁾، خاصة النجمة التي تعبر عن أركان الإسلام الخمسة.

5/ الإيمان و النصر⁽⁵⁾:

لا يختلف اثنان على أن للعلم أثر كبير في تحقيق النصر و الانتصار في الحروب، عن طريق توفيره للوسائل و الآليات، و انجاز الخطط العسكرية الدقيقة و الفعالة.

مع ذلك تؤكد الأحداث التاريخية و الكثير من الدراسات أن الكثير من الأمم المستضعفة، التي لا تملك العدة المتطورة و التقنية المناسبة، قد انتصرت في الكثير من المعارك و الحروب ليس بفضل العلم و التقنية بل بفضل إيمانها بعدالة القضية التي تحارب و تجاهد من أجلها، و هذا ما جاء يؤكد القرآن الكريم منذ أكثر من خمسة عشر

1- حسين عسلة: من مواليد 1917 بذراع الميزان، كاتب عمومي. اتصل بمحمد طالب في بداية الحرب العالمية الثانية و نظم معه يوم 30 سبتمبر 1943 بالجزائر تجمعين ضموا حوالي 400 إلى 500 شخص رافعين شعارات: ضد الفاشية، و تحيا الجزائر حرة. أصبح عضواً في اللجنة المركزية لحزب الشعب عام 1944. على رأس فرقة عرفت تحت اسم 'جماعة الجزائر' تنشط على مستوى العاصمة و القصبة، حسين عسلة يجرح أثناء مظاهرات 1 ماي 1945. اعتقل لكنه استطاع الهروب من المستشفى ليتم إرساله إلى عام 1946 لإعادة تنظيم فدالية فرنسا. تتوفاه المنية بعد مرض سنة 1948. للمزيد حول نشاط هذه الشخصية ينظر: Benjamin,Stora,Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algeriens 1926-1954,op.cit,p 270-271.

2- محمد الأمين، (بليغيت)، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات و وثائق، المرجع السابق، ص 168.

3- من أجل أن يأخذ العلم الوطني شكله النهائي ممثلاً للإجماع الوطني شكلت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية لجنة أدبية و تقنية متكونة من ابن يوسف بن خدة رئيس الحكومة و السيد الحاج شرشالي مدير الديوان، و السيد مختار لعثيري المهندس التونسي لتثبيت الأشكال و المقاييس الدقيقة و الألوان الثابتة، و هذا في اجتماع الحكومة المؤقتة بتونس بتاريخ 3 أبريل 1962. و بعد الاستقلال مباشرة رسم و اعتمد نهائياً بحكم القانون رقم: 63-145 الصادر يوم 25 أبريل 1963 م. ينظر: محمد الأمين، (بليغيت)، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات و وثائق، المرجع السابق، ص 170.

4- محمد الأمين، (بليغيت)، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات و وثائق، المرجع السابق، ص 168.

5- إن النصر لفظ من الألفاظ العقديّة في الدين الإسلامي، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ما يزيد عن مائة و ثلاثين مرة. وهو مُسنَد و منسوب إلى الله العليّ القدير، فالنصر من عند الله، و المسلمون يُنصرون بمدد من الله و تأييده، وذلك حينما يُنصرون الله باتباع أوامره و اجتناب نواهيه، كما في قوله سبحانه و تعالى في الآية 160 من سورة آل عمران: {إِنَّ يُنصِرْكُمْ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يُخْذِلْكُمْ فَمنَ ذا الَّذِي يُنصِرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}. و كما في قول رب العالمين في الآية 40 من سورة الحج: {وَلْيُنصِرَنَّ اللهُ مَنْ يُنصِرُهُ إِنَّ اللهُ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}. وقوله عز وجل في الآية 7 من سورة محمد: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}.

قرنا (15) في قوله الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾⁽¹⁾ و انطلاقا من هذه الآية التي أقرنت إحرار النصر في المعارك و الحروب بنصرة الله و الإيمان به، فإن الكثير من التجارب عبر تاريخ البشرية شاهدة على أن المحارب المؤمن بربه و الواثق و الثابت على الحق و المتيقن بعدالة القضية التي يجاهد في سبيلها، يكون صامدا، لا يهاب الموت، و يقاتل بكل ما لديه من قوة و إخلاص. و في هذا الصدد ما يأتى عن الصحابي خالد بن الوليد و هو على فراش الموت: " لقد شهدت كذا غزوة، و موقعة حربية، و ما في جسمي موضع شبر إلا فيه ضربة سيف أو طعنة رمح، و هاأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء ".⁽²⁾

و من هنا نجد أن التعبئة النفسية لكل شعب من الشعوب، أو لكل جيش من الجيوش ذات أثر فعال في تحقيق النصر، و عليه لم يخلو جيش في العالم أو في دولة من الدول من جهاز يلعب هذا الدور فيوجه الحروب أو الاعتداء الوجهة التي تتماشى مع إيديولوجية و أهداف هذه الأخيرة. و تلعب التعبئة الروحية في أوساط الأمة المجاهدة لعبتها و دورها الأساسي في رفع قدرات و معنويات المجاهدين الذين يلتزمون بتعاليم الدين الإسلامي، و يرتكزون على أسس قوية من الإيمان، طامعين في قتالهم " مرضاة الله و ثوابه و الاستشهاد في سبيله و إعلاء كلمته، و رفع راية الحق... " ⁽³⁾

و لأن الشعب الجزائري شعب عربي مسلم، و الإسلام هو أحد المقومات الأساسية للشخصية الوطنية، فقد ثبت أنه كان عاملا محوريا في تعبئة كل الطاقات المقاومة للاحتلال و الغزو الأجنبي و حصنا منيعا مكن الشعب الجزائري من إحباط مختلف مشاريع النيل من شخصيته الوطنية.⁽⁴⁾ فرغم الكثير من المحاولات و العديد من السياسات الهادفة لطمس الهوية الوطنية و الثقافية و المرجعية الإسلامية للشعب الجزائري، إلا أن الإسلام بقي صامدا في قلوب أهل الجزائريين منتظرا الفرصة السانحة لينهض مجددا. ⁽⁵⁾

إن هذه الأسس القوية التي يركز عليها المجاهد في حروب التحرير هي التي جعلته يعقد صفقة بيع مع رب العباد، يبيع فيها نفسه ابتغاء مرضاة الله و هذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁶⁾

و من هذه الأسس القوية كذلك تنطلق عزيمة المجاهد التي لا تقهر، عزيمة يصقلها الثبات في المعارك و الحروب أمام جحافل الاستعمار و عدته المتطورة، و هذا استجابة لما جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۗ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا

1- سورة محمد، الآية 07.

2- عبد الغني، (عوض الراجحي)، العلم و الإيمان في بناء الأمم و المجتمعات، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1974، 189 صفحة، ص 65.

3- عبد الغني، (عوض الراجحي)، المرجع السابق، ص 66-67.

4- الميثاق الوطني 9 فبراير 1986، ص 33.

5- أرزقي، (باسطة)، المرجع السابق، ص 32.

6- سورة التوبة، الآية 111.

مَنْتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾ هذا الأمر تحقق في الكثير من المواقع والأحداث التاريخية التي ارتبطت بجهاد المسلم للكافر فمثلا: حدث ذلك في غزوة بدر الكبرى حين كان الكافرون ثلاثة أضعاف المسلمين، ومع ذلك كان النصر حليف المسلمين. والأمر يماثله مع الثورة الجزائرية التي عقدت لواء الجهاد ضد الكفر والكافرين فراح ما يقارب الثلاثمائة مجاهد يهزون أركان الجزائر في الفاتح من نوفمبر 1954 ويقوضون أركان الاستعمار بما رغم ما كان يتميز به الجيش الفرنسي آنذاك من قوة بشرية وعدة مادية، وهنا تتحلى لنا نورانية الآية الكريمة ﴿كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (2) وفي هذا يقول الأستاذ والمجاهد 'محمد زروال': "إن أخص ما امتازت به الثورة الجزائرية هو أن الجانب الروحي فيها قد تغلب على الجانب المادي بسبب ما كان يتمتع به المجاهدون من تأصل روح الجهاد بقواعده الصحيحة في نفوسهم." (3)

إن الشارح الإسلامي كثيرا ما يربط بين الإيمان والصبر والنصر فيقول تعالى في محكم تنزيله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَاتَّبِعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (4) وعليه فإن المجاهدين في سبيل الله المؤمنين الصابرين والمخلصين في أداء مهامهم واجباتهم لا بد أن تحيطهم في جهادهم ضد الاستعمار الفرنسي عناية الله وتوفيقاته، حتى يمكن الله لهم وينصرهم على أعدائهم. وكم هي المواقع والمعارك التي ابتلي بها المجاهدين وزلزلوا زلزلا شديدا، وجاءتهم جنود العدو الفرنسي وطائراته من كل حذب و صوب، فزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، حتى جاءهم الفرج من الله أرسل سبحانه جنوده الذين لا يراهم أحدا يشدون أزر المجاهدين ويساعدونهم في معاركهم، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (5)

و الأمثلة من معارك التحرير في هذه كثيرة يرويها المجاهدون الذين عايشوا الأحداث عن كثب فعانقوا معجزات الله الكثيرة التي أمدتهم بالنصر وأكدت لهم أنهم على الطريق الصحيح. وفي هذا يقول المجاهد باسطة إن هذا الدين متين، وإن الله سبحانه وتعالى وعد بالنصر الأمة التي تنصر هذا الدين. (6)

لقد وعد الله المجاهد المؤمن المحارب في سبيل الله ثم في سبيل الوطن الذي يعيش فيه بالنصر الأكيد وأنه سبحانه يتولى نصر المؤمنين من جهة، وإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا من جهة أخرى، وهذا ما جاءت تؤكد الآيات الكريمة ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (7) وقال الله كذلك: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ۖ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ (8) ثم إن هذا المجاهد يرجو دائما من الله الثواب والاستشهاد عكس العدو الفرنسي الذي

1- سورة الأنفال، الآية 65-66.

2- سورة البقرة، الآية 249.

3- محمد، (زروال)، المرجع السابق، ص 67.

4- سورة الأنفال، الآية 45.

5- سورة الأحزاب، الآية 09.

6- أرزقي، (باسطة)، المرجع السابق، ص 32.

7- سورة آل عمران، الآية 141.

8- سورة آل عمران، الآية 150-151.

يريد من وراء حربه كسبا ماديا أو شهرة تاريخية، و هذا ما تعززه الآية الكريمة في سورة التوبة: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾⁽¹⁾

إن الإيمان هو تلك الطاقة التي ترتفع بالأفراد و الأمم و الجماعات إلى مستويات عليا من القوة و الشجاعة. و بقدر مستوى الإيمان الذي يعمر قلب الإنسان بقدر ما تكون قوته و فاعليته في الحروب و المعارك، و لنا في ثورتنا التحريرية الكثير من النماذج و العبر التي تحاكي هذا القياس. و في هذا يقول أحد الثوار العظماء و هو عباس لغرور: "إنني أعرف أننا سنجاهه العدو و أيدينا فارغة عمليا- و ليس لدينا إلا الإيمان الذي يعمر قلوبنا غير أن ما نعتمد عليه هو إشعال الفتيل المفجر للثورة و أنني على ثقة كاملة بأن الشعب الجزائري بكامله سيتبع مسيرتنا على هذا الدرب ذلك لأن الله مع المجاهدين و مع القضية العادلة الله أكبر." كما نجد في شخص المناضل و المجاهد الشهيد 'محمد بلوزداد' رمزية هذا الإيمان بالله، إذ خلال مرضه الذي أدخله أحد المستشفيات الفرنسية، "سأله أحد المناضلين بفرنسا إن كان يحتاج إلى شيء ما، أجابه محمد بلوزداد، و هو ملقى على سريريه مبتسما: لا تستطيع أن تأتي بما أريده. فأردف المناضل الكأبة قائلا: تكلم فقط و سنرى فقال: أريد أن اسمع نداء الأذان لمسجد بلكور." ⁽²⁾ نعم هذه عينة من المجاهدين الذين ضحوا في سبيل الله ثم الوطن مؤمنين أشد الإيمان أن الله معهم يناصرهم أينما كانوا.

لقد أثبتت الثورة الجزائرية الكثير من الحقائق التاريخية التي لا يمكن لأي باحث أو دارس أن يتجاهلها، و منها:

- أن الإسلام قوة غير قابلة للموت و لا للتدمير. و أنه برغم من كل الممارسات الوحشية الاستعمارية و استخدام الإدارة الفرنسية لأبشع و أعقد الأساليب فقد ظل الإسلام يحيا في وجدان الشعب الجزائري.

⁽³⁾

- أن عوامل انتصار الثورة التحريرية لا تكمن في وفرة الإمكانيات أو نضوج الشعب الجزائري للثورة و لكنها تتمثل بالإيمان و الصلابة و الإصرار. فقد بدأت الثورة بعدد قليل من الرجال و السلاح. ولكن الإيمان و الصلابة مكنا لتلك الثورة أن تنتزع النصر من فرنسا و تحقق الفوز على إحدى أهم و أكبر الإمبراطوريات الاستعمارية التي حشدت لمقاومة الثورة حوالي 800 ألف جندي بالإضافة إلى المستوطنين الذين حملوا السلاح في وجه الشعب و الثورة. و لعل هذا ما يؤكد أن المقاومة هي التي تنضج وعي الشعب و ليس العكس كما أن المقاومة هي التي تحقق للثورة الإمكانيات من خلال دعم الشعب لها و من خلال انتزاع

1- سورة التوبة ، الآية 52.

2- أرزقي، (باسطة)، المرجع السابق، ص 86.

3- محمد، (مورو)، المرجع السابق ، ص 107.

السلاح من يد العدو- و لو كان قادة الثورة الأبطال قد فكروا بمنطق الإمكانيات أو منطق انفتاح ووعي الشعب أولا- لما قامت الثورة أبدا.(1)

- نبحت الثورة في أن تستخدم اللغة التي يفهمها شعب الجزائر و التي تمس وجدانه فاستخدمت الشعارات الإسلامية في المعارك و حددت انتماء الجزائر بأنه عربي و إسلامي بل كانت الشفرة التي تستخدمها الثورة تنبع من الوجدان الإسلامي مثل: الله أكبر، خالد/عقبة و لعل ذلك التميز و الوضوح هو الذي صنع تلاحم الشعب مع الثورة فلم تكن الثورة إلا ترجمة لوجدان هذا الشعب المسلم. إن إسلامية الثورة قد حقق لها انتماء كل جزائري إليها بالرغم من اختلاف المشارب و المستويات، ابن الريف، ابن المدينة، ابن التل، و ابن الصحراء، العربي و البربري، الفقير و الغني، الطالب و العامل و الفلاح، المثقف و غير المثقف. كل هؤلاء جمع بينهم و قطعوا الإسلام، و بالتالي كان الإسلام هو الطاقة الكبرى المتجددة التي حققت اندلاع الثورة و تلاحم الشعب معها بل و انتصارها في آخر المطاف.(2)

إن مواجهة الثورة التحريرية الاستعمارية الفرنسي و التصدي لأساليه لم تكن لتنجح لو لا تمسك هذه الأخيرة بالإسلام كدين و كمنظومة سياسية و اجتماعية و حضارية خاصة و أن هذا هو الأسلوب الوحيد القابل لتحقيق الانتصار و التطور. فلقد صهر الإسلام المجتمع الجزائري و جعل منه قوة متماسكة متعلقة بالأرض الواحدة (3) التي هي الجزائر. و في هذا يقول المجاهد محمد زروال: "المجاهدون في الثورة الجزائرية انتصروا لله، و على أنفسهم قبل أن ينتصروا على العدو في ميدان المعركة، و انتصارهم لله تعالى هو إمضاءهم العقد معه على أن ينصروه مخلصين له الدين." (4) و هكذا ربما كانت تجربة الجهاد في الجزائر تجربة هامة و مثيرة و ستظل مملوءة بالدروس و العبر و ستظل أبدا نموذجاً فذا لقدرة الإنسان المسلم على الصمود و التحدي و الانتصار. و ستظل الجزائر دائما و أبدا معقلا من معاقل الإسلام، فهذا كان تاريخها منذ الأزل، و سيكون مستقبلها كذلك بإذن الله تعالى.

ثانيا/ من مظاهر الجهاد الإسلامي أثناء الثورة التحريرية:

لقد أكدت الأحداث التاريخية حتى قبل اندلاع الثورة التحريرية على إيمانية الثوار و تمسكهم بالدين الإسلامي، فها هو الأستاذ 'محمد الطاهر عزوي' يؤكد أنه على ضوء مستجدات "الحرب العالمية الثانية و إستراتيجية الأوراس و تطعيم الحركة بالشباب المخلص تم تأسيس نظام عسكري في الأوراس سنة 1947، بقيادة مصطفى بن بولعيد و قد أسس هذه الخلايا تأسيسا برسول الله صلى الله عليه و سلم في المساجد على ضوء الشموع." (5) و قد حلف كل من حضر العملية على "المصحف ألا يخونوا و لا يتراجعوا و لا يكشفوا سرا إلى الممات." (6)

1- نفسه ، ص 108.

2- محمد، (مورو)، المرجع السابق ، ص 108.

3- الميثاق الوطني 9 فبراير 1986، ص 33.

4- محمد، زروال، المرجع السابق، ص 141.

5- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 125.

6- نفسه، ص 125.

عندما اندلعت الثورة التحريرية كاشفة من خلال بيان أول نوفمبر عن بعدها العربي و الإسلامي فإنها كانت تدرك كل الإدراك أن هذا التوجه سيثير حماس الشعب الجزائري الذي يتحد دائما تحت راية الدين الإسلامي، و من تم استغلت جبهة التحرير الوطني عامل الدين لتوحيد الصفوف، و قد تمثلت مظاهر الجهاد الإسلامي في الكثير من المواقف و بخاصة تلك التي حدثت أثناء المعارك أو تلك التي سايرت الحياة اليومية للمجاهدين، و طبعت سلوكياتهم و صقلت أخلاقهم و معاملاتهم.

1/ ملازمة المجاهد للمصحف و تلاوة القرآن:

لقد تناقلت الكثير من الدراسات و الأبحاث، و على رأسها كتاب "الحياة الروحية في الثورة الجزائرية" لصاحبه المجاهد محمد زروال، على لزوم المجاهدين و اصطحابهم للمصحف الشريف أينما حلوا و ارتحلوا. فهؤلاء المجاهدون هم من كان يقسم عند التحاقه بإخوانه في الجبال على المصحف الشريف بأن يقاتل حتى النصر أو الشهادة.

ومن الأمور المعروفة في تاريخ الثورة عن المجاهدين اصطحابهم للمصحف الشريف لتلاوة القرآن الكريم الذي كان يعتبر زادا للقلوب و النفوس و تتقوى به الأجساد و الأبدان، لمواجهة العدو، ويزداد الأمر تأثيرا إذا تعلق الأمر بأحد المجاهدين الكبار أو شهيد من الشهداء الأبرار.

ومن هؤلاء العقيد 'عميروش' الذي استشهد وهو يحمل في جيبه المصحف الشريف، ولعله يكون المصحف الذي أرسله إليه الشيخ العربي التبسي حين طلب منه أن يكتب له وصية يعمل بها في الجهاد.

كما أكد المجاهد المرحوم 'خوجة عبد الله' أنه وجنوده، وأغلبهم من حفظة القرآن، كانوا يتلون ما تيسر من كتاب الله جماعة كلما سمحت لهم الفرصة وخاصة بعد العمليات القتالية الناجحة وهذا لرفع المعنويات وشكرا لله عزّ وجلّ. وكانت هناك بجبال بني شقران فجوة بجبل بداخله صخرة كبيرة يجلسون فوقها في شكل دائرة و يقرأون ما يحلو لهم من السور في هذا المكان الآمن الذي لم يتفطن له العدو. وكان هناك أكثر من ستين مجاهد يحفظون القرآن ويفيدون به زملاءهم وقت الضرورة⁽¹⁾.

2/ حب المجاهد لله و الجهاد في سبيله:

¹ - محمد، (عدة)، البعد الروحي وقود الثورة المباركة، جريدة الجمهورية، 2012/11/01.

لبي المجاهد الجزائري نداء الواجب الديني قبل نداء الواجب الوطني، و لو أن كلاهما لا يسيران إلا معاً، و منبعه في ذلك الإيمان القوي الذي يستمدّه من القرآن الكريم، و في هذا يقول الله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (1)

إن الطاقة القوية التي أطرت المجاهدين تترجمها العديد من الآيات القرآنية، و منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (2) كما توجد العديد من الرسائل المتناقلة بين المجاهدين التي تعبر عن ذلك، و منها هذه الأبيات الشعرية التي أرسلها أحد المجاهدين لصديق له يقول فيها:

إنا بالرحمان ندافع لمجد فاضجعي أو هي فأنا لك باق
إنا شبابا محمد و فاروق و عبد القادر شددنا لهم ميثاق
بولعيد و أوراس و قبائل سقانا الله و لله عشاق
سأغرس الهلال مكان مثلث فحين ذاك تعلمين أنني عملاق (3)

يذكر الأستاذ 'صالح فركوس' في كتابه تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي، رسالة صداقة و مسؤولية لمجاهد أرسلها إلى صديق له جاء فيها:

الحمد لله و النصر لنا بإذن الله 56/11/9

بعد التحية أشار فيها صاحبها إلى الصداقة و الأخوة التي تربط المجاهدين و إلى العهد الذي بينهم. ثم أردف قائلاً: "أيها الإخوة كنا في الماضي نتجاذب أطراف الحديث في توسيع الثورة في الجزائر عامة - نعم كان هذا هو تفكيرنا و كان يغمرنا الفرح و الاعتبار بالناحية التي تزداد توسعا و انتشارا كما يعننا الأسى و الحزن عن الناحية التي تصاب بالاختناق و الضيق و الضعف.. إن انتصار الجزائر ليس مبنيا على قبيلة أو ناحية، بل على الشعب برمته.. و الثورة سوف تنتصر لا محالة و يتولاها رجالها، و لكن من عمل شيئا يحاسب عليه أمام الله و أمام التاريخ.. إن قضيتنا ليست قضية عنصرية أو شخصية، بل قضية صدق و إخلاص، و اعلموا إخواني في السراء و الضراء أن الإتحاد مهما كان نوعه هو النجاح فافنوا شخصيتكم (كذا) في سبيل مجتمعكم، فكونوا فداء في سبيل نجاح أمتنا. و من ناحيتي فإني أعاهدكم أمام الله و أمام الضحايا أن كل مسألة.. تتضمن مستقبل أمتنا فإن نفسي فداء لها و السلام." (4)

من مميزات هذه الرسالة أنها تنبذ العنصرية و تبغض الذاتية و تدعو إلى الوحدة و الأخوة و المحبة التي تعتبر من موجبات الأسس لإنجاح أي ثورة أو بناء اجتماعي. كما يدعو كاتب الرسالة إلى الأخذ بأسباب الفوز من حيطة و حذر من مكائد الاستعمار، و السعي لإقامة العدل و المساواة، و الجد في التضحية في سبيل الله لتحقيق الغاية المنشودة من الثورة و هي انتزاع الحرية و افتكالك الاستقلال.

1- سورة النساء، الآية 74.

2- سورة المائدة، الآية 54.

3- صالح، (فركوس)، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي المقاومة المسلحة 1962/1830، دار العلوم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2012، 518 صفحة، ص 394.

4- نفسه، ص 396.

كما يمكن لنا أن نستمد العديد من الحكم و القيم التي ميزت رسائل المجاهدين، و لعل رسالة المجاهد الشريف المؤرخة بتاريخ 29 نوفمبر 1958 خير مثال على ذلك، و التي جاء فيها:

" إلى فضيلة أختنا في الدين و في الكفاح و في الوطن.. و الحمد لله على هاته النعمة التي أنعم الله علينا بالاتحاد و الأخوة التامة.. و لا أقدر أن أقول لك شيئا بأنك تعرفني و تعرف كما ما انطوت عليه أفكارنا و عقولنا.. هذا قبل الثورة المباركة فضلا عن اليوم يوم الكفاح، يوم الجهاد المقدس و جزاؤنا كله عند الله هل جزاء الإحسان إلا الإحسان! و من أساء فعليها و ما ربك بغافل عما يعمل الظالمون." (1)

من هذه المقتطفات نستمد المبادئ الأساسية التي ارتكزت عليه الثورة المباركة و هي: الدين، و الجهاد، و الوطن. كما نلاحظ حمد هذا المجاهد لنعمة الاتحاد و الأخوة، و إدراكه لسر قوتها بعد أن عانت الجزائر وحشة الفرقة و الانقسام. إن هذا الاتحاد و الانسجام بين الإخوة المجاهدين هو الذي كرس مبدأ تفوق فئة قليلة على فئة كثيرة لتمسكها بحبل الله و لإيمانها القوي بنصرة الله تعالى لمن يقاتل في سبيله و في سبيل إعلاء كلمة الله، و هذا ما جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (2)

لقد ختم هذا المجاهد رسالته التي وجهها إلى زميله في الكفاح و أخيه في الله المجاهد علي بن مشيش، بعبارة " و إلى اللقاء و إذا لم نتلاقى (كذا جاءت) ففي جنة النعيم و السلام من أخيك محمد الشريف جابا الله." (3)

و تاريخ الثورة الجزائرية حافل بالمجاهدين و الشهداء الذين باعوا أنفسهم و أموالهم بغية مرضاة الله تعالى و طمعا في الفوز بالجنة، و هذا عملا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي النَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (4) كما أن هؤلاء المجاهدين واجهوا العدو الفرنسي في ثبات و شجاعة منقطعين النظير، و استطاعوا أن ينسجوا بتفانيهم و إخلاصهم في أداء الواجب الديني و الوطني، أروع قصص البطولة و الكفاح و التضحية، و نذكر من بين هؤلاء:

● **الشهيد مصطفى بن بولعيد:** ولد الشهيد مصطفى بن بولعيد يوم 5 فيفري 1917 بمنطقة آريس بباتنة من عائلة غنية. (5) رجل كان يمتلك المال و الجاه و كان بإمكانه أن يأكل في طبق من ذهب، و لكنه آثر الحياة الدنيا بعد إدراكه لقيمة الجهاد و الاستشهاد في سبيل الله و الوطن.

ترأس اجتماع مجموعة الـ 22 التاريخي و خطب فيه قائلا: "أنتم جندتم رجالكم بكل ثقة و تمعن، و البعض من رجالكم يعرفون بعضهم البعض. إذا اجتمعتم هذا الصباح و إذا تقدمتم لبعضكم بأسمائكم الحقيقية، هذا يعني أننا سنعمل بكل ثقة و إخلاص." (6) نعم هذه هي التضحية و الجهاد في سبيل الله من رجل نشأ في أحضان أسرة متدينة رتبته على الحب الشديد للوطن، و الذي كان لا يفرق بين الوطنية و الدين فهما شيء واحد في نظره.

1- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 404.

2- سورة البقرة، الآية 249.

3- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 405.

4- سورة التوبة، الآية 111.

5- بشير، (بلاح)، تاريخ الجزائر المعاصر (1989/1830)، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2006 م، 547 صفحة، ص 189.

6- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 401.

● **الشهيد باجي مختار:** ولد سنة 1919 بعنابة و نشأ بمدينة سوق أهراس، أتم تعليمه و نال الشهادة العليا. (1) عرف عنه قلة الحرص على الدنيا بالرغم من إمكانياته المادية الحسنة. انطلق في حب الجزائر و وهب نفسه لها فأسس أول فرع كشفي للكشافة الإسلامية بسوق أهراس سنة 1938. ثم جاهد في صفوف الثورة الجزائرية محرّضا الناس على قتال الأعداء. و في صبيحة 20 نوفمبر 1954 حاصره الجيش الفرنسي في بيت بسوق أهراس كان يأويه هو و 15 من رفقاته،(2) فاستشهد و هو يردد و ينادي أصحابه لا تستسلموا، جئناك يا رسول الله زائرين.(3)

● **الشهيد بوجعة سويداني:** ولد في 10 جانفي 1922 بمدينة قالمة، انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري و أبدى قدرات في القيادة و التوجيه حتى عين قائد فوج ثم فرقة تتكون من 30 مناضلا.(4) عرف عنه شدة البأس و قوة الحجة و المحافظة، و حدة الذكاء. و لأنه كان يؤمن حق الإيمان بالجزائر و بقضية وطنه فقد ترك أمه و زوجته و ابنته الوحيدة بعد سنة من زواجه ليتوجه إلى الثورة التحريرية ملبيا واجب الجهاد. شارك ضمن مجموعة الـ 22 التاريخية و ربما يرجع له الفضل في الفصل النهائي في قضية إشعال شرارة الثورة بعدما اختلفت و تباينت آراء المجتمعين، حين قال قولته المشهورة: "إذا كنا حقا ثوريين، فلنستعد.. و إذا كنا غير مستعدين، فهياكل واحد منا يرجع إلى بيته".(5)

استشهد يوم 17 أبريل 1956 في كمين قرب مدينة القليعة عندما اشتبك مع مسلحين بالزي المدني. نعم هذا هو الشهيد الذي ترك خلفه ثلاث نساء لا معيل لهم و لا سند إلا لغاية واحدة هو تلبية نداء الجهاد و الاستشهاد في سبيل الله و الوطن.

كما نجد الكثير من طينة هؤلاء الرجال الذين ربما لم ينصفهم التاريخ حتى الآن، و لأنهم كانوا ينتمون إلى الحركة الوطنية الجزائرية (M.N.A)، قاموا بعمليات مسلحة في الجزائر العاصمة ما بين سنوات 1955-1956-1957 ضد العدو الفرنسي في الوقت الذي نضبت فيه عناصر جيش التحرير الوطني. هؤلاء المناضلين و تحت قيادة عنصر بارز و مناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري و حركة الانتصار للحريات الديمقراطية و إطار في المنظمة الخاصة، و هو محمد خيضر الوهراني.(6) نذكر من هؤلاء المناضلين البعض منهم :

● **عزوزي قدور:** 24 سنة، ولد بالشلف، و استشهد و السلاح في يده يوم 24 أوت 1955 بشارع الإخوة بشارة كليز سابقا. أول شهيد بالعاصمة و كان له هذا الشرف.(7)

1- بشير، (بلاح)، تاريخ الجزائر المعاصر (1989 /1830)، ج2، المرجع السابق، ص 257.

2- نفسه، ص 257.

3- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 402.

4- بشير، (بلاح)، تاريخ الجزائر المعاصر (1989 /1830)، ج2، المرجع السابق، ص 276.

5- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 402.

6- محمد خيضر الوهراني هو الذي قام بعملية الهجوم على بريد وهران. للمزيد حول هذه الشخصية ينظر: أرزقي، (باسطة)، المرجع السابق، ص 172.

7- محمد أرزقي، (باسطة)، المرجع السابق، ص 172.

• كاب عبد الرحمان: المولود يوم 28 مارس 1933 بالعاصمة. و بالتحديد بالقصبة. سبائك، اعتقل يوم 9 أكتوبر 1955، رقم التسلسلي 3658. حكم عليه بالإعدام و نفذ عليه الحكم يوم 9 أكتوبر 1957 على الساعة الثالثة صباحا.(1)

• حرفوشي محمد: المولود يوم 10 جوان 1925 بالعاصمة، بائع سمك. أكبر المناضلين سنا. اعتقل يوم 1955/11/4. رقم سجنه 4664. حكم عليه بالإعدام و نفذ عليه الحكم يوم 1957/10/10 على الساعة الثالثة صباحا.(2)

هذه العينة من الشهداء قدمت أرواحها فداءا لله و الوطن، لم ينتظروا منا لا جزاء و لا شكورا، لكن الواجب يحتم علينا أن نذكرهم و نكتب سيرهم في المستقبل و لما لا.

3/ نماذج عن التأيد الإلهي في معارك الثورة:

لا شك أن معارك الثورة الجزائرية مليئة بالبطولات و حب الاستشهاد في سبيل الله و الوطن. و الكثير من الناس يجهل اليوم أحداث تلك المعارك التي خاضها جيش التحرير الوطني في كل مكان فأظهر من صنوف الإقدام و الثبات ما بجر به العدو، و زعزع معنوياته، و جعله يتأكد أنه لن ينتصر على جيش التحرير الوطني.(3) و لأهمية الشهادات الحية في كتابة تاريخ أي أمة، ننقل إليكم البعض منها حتى تتمكن من المحافظة على التراث التاريخي، و هي شهادات يذكرها الأستاذ صالح فركوس في كتابه تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي. كل هذه المعارك اندلعت في القاعدة الشرقية.

أ/ معركة الجرف الأحمر عين صابون:

اندلعت المعركة يوم 18 مارس 1956، فعند عودة جيوش الجنرال 'بيجار' (Bigard) من عملية المنظار و المشط بمنطقة بني صالح، اشتبكت معها فصيلتان من جيش التحرير الوطني بقيادة كل من محمد الشريف عصفور و إبراهيم الدراجي في موقع الجرف الأحمر.(4) استغرقت المعركة حوالي ساعة تدخلت الطائرات المقاتلة و العمودية، و رغم تفوق العدو عدة و عتادا إلا أن جيش التحرير الوطني استطاع تكبيد خسائر فاضحة في الأرواح إذ قتل حوالي ثلاثين و جرح أكثر من عشرة جرحى، و هذا إن دل إنما يدل على صدق الإيمان ما جعل الله ينصر المجاهدين و يثبت أقدامهم و هذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿كَمْ مِّنْ قَلِيلَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(5)

1- محمد أرزقي، (باسطة)، المرجع السابق، ص 172.

2- نفسه، ص 173.

3- بسام، (العسلي)، جيش التحرير الوطني الجزائري، المرجع السابق، ص 128.

4- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 328.

5- سورة البقرة، الآية 249.

ب/ معركة جبل مسيد (أولاد مسعود) جوان 1956:

وقعت هذه المعركة بين فصائل من جيش التحرير الوطني مع قوات ضخمة فرنسية يقودها الجنرال 'بيجار' (Bigard) استعملت فيها فرنسا مختلف الأسلحة الحديثة و المتوفرة و دامت المعركة حوالي 16 ساعة أي من السادسة صباحا حتى العاشرة ليلاً،⁽¹⁾ مما يبين مدى عنف المعركة من جهة و صلابة و استماتة المجاهدين من جهة أخرى، و هذا يثبت عدنا اليقين الراسخ بأن الله سبحانه و تعالى يؤيد بنصره من ينصره ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾⁽²⁾ كانت نتائج هذه المعركة استشهاد 13 مجاهداً منهم سي الطاهر التبسي، علي خليل بلقاسم، سي عثمان الفرجيوي، هادي عمر، سي معمر البشيجي، و قتل ما يزيد عن 40 جندياً من قوات الاحتلال و 30 جريحاً و تحطيم طائرة مروحية.

ج/ معركة عين النمشة (الطارف) 14 جويلية 1956:

على إثر وشاية سارعت قوات العدو الفرنسي نحو المكان لتطويق المجاهدين، لكن اصطدمت بمقاومة عنيفة تدخلت خلالها الطائرات بالقصف. و لأن الله سبحانه و تعالى لا ينسى عباده المخلصين فقد أيدهم بنصر من عنده، إذ بدأت طائرات العدو تقصف قسفا عشوائيا أصابت به جنودها فقتل العديد منهم، ﴿وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽³⁾ فكانت الخسائر على النحو التالي: ما بين 40 و 45 قتيل من بينهم ضابط برتبة نقيب في صفوف العدو، و استشهاد مجاهدين و هما ساسي الصادق و عبد العناني و من المدنيين حوالي 10 أفراد.⁽⁴⁾

د/ معركة الحمراء (العيون) 08 أكتوبر 1956:

عرف قائد المعسكر الفرنسي برمل السوق بمضايقته للسكان و تعسفه و تحديه يومياً لجيش التحرير الوطني. أرسل ذات مرة برسالة إلى القائد سي عميرات يتحداه فيها لما سمع عنه و عن جنود جيش التحرير الوطني من بسالة و جشاعة و بطولات و ضرب له موعداً للقاء وجهها لوجه و تصفية الحسابات فكان له ذلك. خرج الضابط من معسكره برفقة 14 جندياً، و في هذه الأثناء استعد المجاهدون للمواجهة و كان عددهم 13 مجاهداً تركزوا بالمكان المعروف بعين إسماعيل و الواقع على الطريق الولائي الرابط بين العيون و رمل السوق. عند ظهور قوات العدو الفرنسي انطلقت النيران، و استطاع جنود جيش التحرير الوطني من قتل أغلب الجنود و أسر الضابط و لكن أصيب القائد سي عميرات برصاصة في رأسه لفت خلالها القائد أنفاسه الأخيرة، و انتقاماً له قام أحد المجاهدين بطعن الضابط الفرنسي في صدره فأرداه قتيلاً.⁽⁵⁾ يظهر من خلال هذه الواقعة أن المجاهدين باعوا أرواحهم في سبيل الجهاد و نصرته القضية الوطنية، و لو لا ذلك فكان بإمكان القائد سي عميرات البقاء في مكان قيادته

1- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 332.

2- سورة آل عمران، الآية 13.

3- سورة الأنفال، الآية 17.

4- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 333.

5- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 334.

و إرسال بعض الجنود لكنه أبقى إلا أن يكون في الطليعة إيمانا منه بضرورة إعطاء المثل في التضحية بالنفس في سبيل إعلاء كلمة الله و الوطن.

هـ/ معركة جبل أرقو الكبير جوان 1956:

جرت وقائع هذه المعركة خلال ثلاثة أيام بلياليها (17، 18، 19 جوان 1956)، بجبل أرقو، و أسفرت عن مقتل عدد كبير من قوات المحتل و جرح الكثير مع إسقاط 04 طائرات من نوع ب 26. كما اسقطت الطائرة العمودية التي كانت تقل الكولونيل بيجار بنيران بنادق المجاهدين⁽⁴⁾، و هنا يمكن أن نرى التأييد الرباني الذي منحه الله للمجاهدين، فبأسلحة بسيطة استطاعوا أن يسقطوا طائرات و مروحية عمودية حديثة و متطورة.

و/ معركة الجرف سبتمبر 1955:

جرت رحاها في شهر سبتمبر من عام 1955 بالولاية التاريخية الأوراس. إذ كان عدد المجاهدين تحت قيادة شيهاني بشير و عباس لغرور، أقل بكثير من عدد الجنود الفرنسيين بحوالي 9 مرات. و كان بحوزة جيش التحرير الذي بلغ آنذاك في هذه المعركة حوالي 371 مجاهدا، من عدة السلاح نحو مائة من البنادق الحربية و بنادق الصيد و أربع بنادق رشاشة) اثنتان من نوع 24 طلقة فرنسية الصنع و اثنتان من نوع 30 طلقة ألمانية الصنع⁽²⁾. في بداية المعركة حاصرت القوات الفرنسية جنود جيش التحرير الوطني، لكن بعون الله تعالى و توفيقه تمكن المجاهدون من كسر الطوق بعد سقوط 72 شهيدا، في حين تكبد العدو الفرنسي خسائر فادحة في الأرواح ناهزت المئات من القتلى⁽³⁾.

لقد استطاعت هذه المعركة التي أشبهها بمعركة بدر الكبرى، حين كان عدد المسلمين فيها حوالي 300 مسلم مقابل عدد كبير من المشركين، أن تكبد الجيش الفرنسي الخسائر الكبرى و تنتصر للإسلام و الإيمان ضد الكفر و الطغيان.

هذا الدرس التاريخي ينطبق ربما في كل مراحل الثورة الجزائرية، إذ كيف يعقل أن خمسة عقدا، قادة الولايات الخمس يواجهون اثنين و سبعين من العمداء و سبعمائة عقيد من خريجي أكبر المدارس و الأكاديميات العسكرية الفرنسية، بل و ينتصرون عليهم في نهاية المطاف، لولا ذلك التأييد الرباني، و تلك القوة و العناية الإلهية للمجاهدين الثوار.

كما ضحى الكثير من المجاهدين بأنفسهم خاصة أثناء أصعب مرحلة من مراحل الثورة الجزائرية ألا و هي المرحلة الأخيرة منها فهي أشدها ضراوة و دموية، ذلك أن المجاهدين كانوا مضطرين لاختراق حقول الألغام و شبكة الأسلاك الشائكة المكهربة شال و مويريس على طول الحدود الشرقية و الغربية للجزائر، و الدخول في معارك مكشوفة و غير متكافئة⁽⁴⁾.

1- نفسه ، ص 349.

2- أرزقي، (باسطة)، المرجع السابق، ص 16.

3- نفسه، ص 16.

4- صالح، (فركوس)، المرجع السابق، ص 362.

4/ من كرامات الجهاد في الجزائر:

إن معتقد أهل السنة و الجماعة إثبات الكرامة التي هي أمر خارق للعادة، يجريه الله تعالى على يد ولي من أوليائه، معونة له أو لغيره على أمر ديني أو دنيوي، و لهذه الكرامات الربانية دواعيها و حكمها كما أن لها أهلها و رجالها، و إن من أهلها المجاهدون الذين وهبوا أنفسهم لله عز و جل، و ضحوا بأعلى ما لديهم في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، و ليس لهذه الكرامات زمان محدد بل هي مستمرة استمرار وجود المؤمنين المخلصين الذين يستحقونها، و في هذا يقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۗ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۗ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (1) و إن من أزمته ظهور هذه الكرامات و تجليها أيام جهاد الجزائريين ضد المستعمر الصليبي الحاقد، هذا الجهاد الذي قاده رجال صادقون أكرم الله تعالى جلهم بالشهادة.

إن ثورة التحرير هي بحق بيان لكمال قدرة الله و نفوذ مشيئته، فكما أن الله سننا وأسبابا تقتضى مسيبتها الموضوعة لها شرعا وقدرًا، فإن الله أيضا سننا أخرى لا يقع عليها علم البشر ولا تدركها أعمالهم وأسبابهم. فمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، بل وأيام الله وعقوباته في أعدائه الخارقة للعادة، كلها تدل دلالة واضحة أن الأمر كله لله، والتقدير والتدبير كله لله، وأن الله سننا لا يعلمها بشر ولا ملك. (2)

و عليه جاءت دراستنا لهذه المواقف من الثورة لنظهر للأمة أن قتال الجزائريين كان من أجل العقيدة الإسلامية و إعلاء كلمة الله، و أن النصر لم يأت بحنكة مفاوض أو مظاهرة مساندة متعاطف أو تأييد دول الكفر و الإلحاد، و إنما جاء بفضل نصرته الله تعالى للرجال الصادقين الذين تسلحوا بسلاح العقيدة و الإيمان لمجاهدة قوى الظلم و الشد و الطغيان. و في هذا يقول شاعر الثورة مفدي زكرياء:

وكم بالجزائر من معجزات و إن جحدوها، و لم تكتب!

و قالوا: الرسالات من مشرق الشمس ، لكن يخالفهم مذهبي

و لو أرسل الله من مغرب نبيا... إذن - كذبوا بالنبى!! (3)

و الكل يعلم أن الله جنود لا يعلمها إلا هو قد يسخرها لقوم دونما غيرهم و هذا منة و تفضلا منه، أليس هو القائل في محكم تنزيله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (4) و على هذا الأساس فإن الله سبحانه و تعالى يختار من عوامل النصر و التمكين للمجاهدين الصابرين ما لا يخطر على بال بشر. و هناك الكثير من الأسباب التي هيأها الله لنصرة المجاهدين الجزائريين خلال المعارك و على طول الثورة التحريرية نذكر منها:

أ/ طائرات تسقط ببندق صيد(بندقية الصيد تجابه طائرة العدو):

1- سورة يونس، الآية 62-63-64.

2- خليفة، (مسلم)، مؤيدات ربانية في ثورة التحرير الجزائرية، منتدى المسجد، 17 جويلية 2012.

3- زكرياء، (مفدي)، المرجع السابق، ص 45.

4- سورة الفتح، الآية 04.

الثابت و المعلوم في أثناء الحرب و المعارك أن المجاهدين كان تسليحهم متواضعاً و أغلبهم كان يعتمد على بنادق الصيد و أسلحة تقليدية قديمة، و قد التحقوا بالجبال تلبية لنداء الواجب و لم يسبق لهم تدريب على الرمي أو ما شابهه، و مع ذلك كان رميهم مسدداً و كانوا يصيبون العدو المدجج بالأسلحة المتطورة، و أكثر من ذلك كانوا يواجهون الدبابات و الطائرات بهذه الأسلحة القديمة، و كم من طائرة يذكر أن المجاهدين أسقطوها ببنادقهم، و كم من دبابة دمروها أو عطلوها بقنبلة يدوية، و من المؤكد أن ذلك ليس من قوة سلاحهم أو خبرتهم في الرمي فقط و لكنه من التأيد الرباني مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (1)

ب/ ظاهرة النعاس:

إلى جانب ضعف العتاد و قدمه كان المجاهدون يعانون في المعارك من قلة العدد و التعداد، و ربما في كثير من الحالات واجهوا من جيوش العدو ما يربهم و يهز كيانهم، و لكن الله تعالى يربط على قلوبهم فيثبتون و يصمدون فيحققون الانتصارات التي لم تكن بالحسبان، و من طرق تثبيت الله عز و جل لعباده المجاهدين في ساحات الوغى أن يلقي عليهم النعاس قبل المعارك أو في بداياتها حتى يتجدد عزيمتهم و تعلقهم بهمهم و في هذا يقول المولى عز و جل: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطَهِّرَ كُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (2) و يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: " يذكرهم الله بم أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم، أماناً من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم و قلة عددهم، و كذلك فعل تعالى بهم يوم أحد، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغَشِّيٰ نَافِثَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (3)

و كأن هذا كان سجية للمؤمنين المجاهدين عند شدة البأس لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله العلي القدير. و هذا من فضل الله و رحمته على عباده و نعمه عليهم التي لا تضاهيها نعم.

و هذه الكرامات من الله تعالى مما تواتر و نقل عن المجاهدين في الثورة التحريرية، فقد ذكر 'أحمد تواقين' في هذا الصدد ما حدث في الولاية التاريخية الخامسة و بالضبط في 'مركالة' بتاريخ 1956/07/25 حدثت معركة ضارية بين جيش التحرير الوطني و جيش العدو الفرنسي، و لم تكن القوتان متكافئتين، و قد تحصن أكثر المجاهدين بعد أن حُوصروا بجبال 'باني أولكرب' بصخوره و كهوفه، بينما بقي آخرون في العراء بعيدين عن الجبال معرضين لمدافع العدو و طائراته، الأمر الذي جعل استشهادهم أمراً مؤكداً، لكن فجأة أصابتهم غفوة وحيزة غمرهم نعاس، سرعان ما

1- سورة الأنفال، الآية 17.

2- سورة الأنفال، الآية 11.

3- سورة آل عمران، الآية 154.

استفاقوا منه و انتبهوا و هم أكثر قوة و عزم على القتال و المغالبة، فشقوا ثغرة مكنتهم من الانسحاب إلى المناطق المحصنة بالصخور و التحقوا ببقية رفاقهم فسلموا بفضل الله الذي لا تخفى عليه خافية.(1)

و يؤكد وجود هذه الكرامة أثناء الثورة المجاهد 'محمد زروال' إذ يقول: و كاتب هذه الدراسة يعد أحد الذين تأكدوا صحة وقوع ظاهرة النعاس في أثناء القتال إبان الثورة التحريرية.(2)

ج/ نزول الغيث:

تعددت مظاهر الدعم الإلهي و الرباني للمجاهدين، و في ذلك نزول الغيث و انتشار الضباب الأمر الذي كان يحول دون مواصلة القوات الفرنسية لعملية القصف الجوي و المدفعي، و قد قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿إِذْ يُغَشِّبُكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾(3) كما كانت هذه الظواهر الطبيعية و الآيات الربانية تسمح للمجاهدين بالانسحاب في حالة الحصار. و في مثل هذه المواقف يذكر 'محمد زروال': "و إذا تتبعنا هذه الكرامات الربانية الغريبة في الثورة الجزائرية طالعنا ظاهرة أخرى أشد غرابة هي ظاهرة نزول المطر من السماء في غير وقته." (4) و قد حدث هذا في معركة الجرف الشهيرة حين نزل المطر في اليوم الرابع من المعركة مما أعطى تغطية طبيعية للمجاهدين فانسحبوا دون أن يكشفهم العدو.(5)

و تعتبر ظاهرة تراكم الضباب من عوامل النصر الربانية التي أيد الله بها المجاهدين و يذكر في هذا الصدد الكثير من المجاهدين الذين أكدوا صحة المعلومة و منهم 'الحاج لخضر أعبيدي' الذي ذكر حدوث ذلك أكثر من مرة، فقد حاصره العدو الفرنسي ثلاث مرات نجح في الفرار مستعينا بتكاثف الضباب.(6) كما أكد هذه الظاهرة المجاهد 'عبد الرحمن بلعياط' الذي كثيرا ما كان يذكر في محادثاته عن نزول الضباب كتغطية طبيعية للمجاهدين ليتمكنوا من الانسحاب دون أن يراهم العدو الفرنسي.(7)

د/ تفجر ينابيع الماء ليشرب منها المجاهدين:

الماء سر هذه الحياة، بل هو الحياة كلها ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾(8) و عليه فأى ثورة أو حرب لا يمكن لها الاستغناء عن هذه المادة الحيوية، و كثير هي الأوقات التي احتاج فيها المجاهدون للماء فسقاهم الله سبحانه و تعالى بفضل كرمه من حيث لا يحتسبون، ففي إحدى المعارك بجبل 'شلية' بالأوراس، و نظرا لانعدام مورد ماء نظم المجاهدون قافلة لجلب الماء يوميا، و كان هذا أمرا محفوفا بالمخاطر خاصة و أن طائرات العدو الفرنسي

1- محمد، حاج عيسى، جمعية العلماء و الحرب التحريرية الكبرى، خطبة جمعة أقيمت في 7 نوفمبر 2008 بمسجد عمر بن الخطاب، الجزائر العاصمة، و كذلك أنظر: أحمد، تواقين، البعد الروحي و أثره في نجاح ثورة النار، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول البعد الروحي في ثورة التحرير، ص 190.

2- محمد، (زروال)، المرجع السابق، ص 76.

3- سورة الأنفال، الآية 11.

4- محمد، (زروال)، المرجع السابق، ص 77.

5- نفسه، ص 78.

6- محمد، (زروال)، المرجع السابق، ص 79.

7- نفسه، ص 79.

8- سورة الكهف، الآية 10.

تحوم حول الموقع، و في يوم من أيام ذلك الصيف الحار نزل المطر بغزارة شديدة حتى انفجر ينبوع ماء قرب مركز المجاهدين فكفاهم الله شر الوقوع في قبضة العدو، فسقوا منه لأكثر من عشرين يوماً، و كان هذا في حدود سنة 1961. (4)

و من تلك الوقائع في هذا الصدد حادثة المجاهدين الخمسة الذين آووا إلى كهف في جبل 'تائفوت' بمدينة عزابة في شهر جوان 1957، ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (2) فحاصرهم العدو و دك عليهم الكهف دكاً فانسد مخرجه، فمكث هؤلاء المجاهدين سبعة أيام بلياليها حتى شارفوا على الهلاك من شدة الجوع و العطش، فأكرمهم الله تبارك و تعالى بينبوع ماء فشربو منه و اغتسلوا، حتى تمكنوا من إزاحة التراب و الحجارة عن مدخل الكهف و خرجوا سالمين. (3)

كما كان للكهوف دورها المنوط بها في تاريخ الإنسانية إذ ورد ذكر قصص منها في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۖ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (4) ، فقد لعبت كذلك دورها الفعال أثناء الثورة التحريرية المباركة، إذ سخرها الله سبحانه و تعالى لخدمة الجهاد و المجاهدين.

هـ/ تسخير الله الحيوان للمجاهدين:

لا ينكر أي دارس لتاريخ الثورة الجزائرية مدى مساهمة الحيوان فيها إذ كانت الأحرمة و البغال عوناً للمجاهدين، فكانت تحمل أثقالهم و معداتهم من أسلحة و مؤن و أدوية خاصة في المناطق الجبلية و المسالك الوعرة، و في هذا يقول الله في محكم تنزيله: ﴿وَتَحْمِلُ أُنْفَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (5)

و من الكرامات التي حدثت أثناء ثورة التحرير قصة ذلك الثعبان الذي قبع في فوهة كهف يقع في جبل السراق بالقرب من عين الطاية بولاية قالمة، كان يحوي أسلحة و ذخائر و معدات حربية و أطعمة تخص المجاهدين، و لما أراد العدو الفرنسي الاقتراب من الكهف انتصب ذلك الثعبان مانعاً إياهم من الدخول، و عاد الجنود يجرون وراءهم أذيال الخيية. (6)

فكما سخر الله تعالى الجن و الطير و غيرها من الحيوانات لسيدنا سليمان عليه السلام، و سخر الحمام و العنكبوت لرسولنا الكريم عليه ألف صلاة و سلام حينما أوى إلى الغار خلال رحلة الهجرة، فقد سخر كذلك الحيوانات للمجاهدين إبان الثورة الجزائرية، فقد عملت الحمير و البغال و الجمال في هذه الثورة و أدت ما عليها من أدوار. و قد خلد شاعر الثورة 'مفدي زكرياء' مساهمة الحيوانات في الثورة التحريرية حين قال:

1- محمد، زروال، الحياة الروحية، ص 79.

2- سورة الأنبياء، الآية 30.

3- محمد، زروال، المرجع السابق، ص 86.

4- سورة الكهف، الآية 9 و 10.

5- سورة النحل، الآية 07.

6- محمد، زروال، المرجع السابق، ص 86-87.

إذا الشعر خلد أسد الرهان أينسى مُغامرة الحيوان؟
أينسى البغال؟ أينسى الحمير، و هل بطولاتها يُستهان؟
سلامٌ على البغل، يعلو الجبال ثقيلًا، فيكبره الثقلان
و عاشَ الحمار يقل السلاح، و يغشى المعامع ثبت الجنان
و بارك فارًا... يوزع نارًا فيخلع بالرعب قلب الجبان (1)

و قد أكد هذه المساهمة من الحيوان خلال الثورة و تسخيرها الله تعالى للمجاهدين عندما يتحدث شاعرنا إلى هذه الحيوانات و النباتات في قوله:

و قلنا... و قالت لنا الكائنا ت: خذوا حذرکم و اثبتوا.. فثبتنا (2)

و/ صدق فراسة المجاهد:

إذا رجعنا إلى الكثير من المواقف خلال الثورة التحريرية سنجد ما قد يذهلنا أو ربما يصعق ذلك الشخص الذي يحتكم فقط إلى العقل و ينفي الخوارق و الكرامات و لا يصدقها أو يؤمن بها. و مما أوتر عن ثورتنا حدوث الكثير من المواقف التي تظهر صدق فراسة المجاهد و قوة حدسه، و التي هي من الكرامات التي من الله تعالى بها على مجاهدي ثورة التحرير الكبرى، و في هذا عدة حوادث تذكر، فقد كان مقرر اجتماع حاسم في الولاية الثالثة ضواحي عين الحمام، و قد صادف ذلك مرور 'كريم بلقاسم' الذي رأى طائرة استطلاعية فرنسية تحوم حول المنطقة فأمر بإلغاء الاجتماع و التفرق لأنه شم رائحة الخيانة و الغدر، و فعلا فإن القوات الفرنسية حاصرت القرية فقتل كل من رفض الامتثال لأمر 'كريم بلقاسم' و نجى الكثير ممن امثلوا لنصيحته، و هذا بالطبع كله بتدخل العناية الإلهية. (3)

و من الفراسة السياسية ما نطق به سنة 1955 المجاهد و الشهيد 'ديدوش مراد' رحمه الله: " علينا أن نجاهد ثماني سنوات تكرر السنوات الأربع الأولى منها لمحو فكرة الجزائر فرنسية، أما السنوات الأربع الأخرى سنحقق فيها الاستقلال بحول الله. " (4) و بالفعل فقد اعترف 'ديغول' رئيس فرنسا بالجزائر الجزائرية عام 1958 أي خلال السنوات الأربع من عمر الثورة، و أرغم على الاعتراف باستقلال الجزائر عن السيادة الفرنسية عام 1962، فحقا لقد صدقت فراسة 'ديدوش مراد' لأنه آمن بقضية وطنه فنظر إليها بنظرة المخلص فصدق الله قوله و أفاض عليه من فيوضاته الدينية فسجل موقفه في سجل الخالدين.

و من الأحداث المدهشة عن قوة فراسة و حكمة المجاهدين ما ذكره المجاهد 'محمد زروال' الذي روى نقلا عن المجاهد الرائد 'صالح بن علي إسماعيل' أنه حاور المجاهد 'مسعود بن عيسى' في مدينة تالة التونسية عام 1957 يسأله عن حال المجاهدين الذين تحت مسؤوليته، فرد عليه بأنه يعاملهم كما يعامل أبناءه. ثم رد عليه الرائد لكنك لا تطعمهم

1- مغدي، (زكرياء)، المرجع السابق، ص 81.

2- نفسه، ص 82.

3- العقيد عميروش بين الأسطورة و التاريخ، ص 78-90.

4- محمد، حاج عيسى، جمعية العلماء و الحرب التحريرية الكبرى، خطبة جمعة أقيمت في 7 نوفمبر 2008 بمسجد عمر بن الخطاب، الجزائر العاصمة.

سوى الخبز اليابس و القليل من البصل و التمر، فأى إحسان هذا؟ فرد عليه المجاهد مسعود: "يا صالح إن شخصا مثلي و مثلك، و جنودا مثل هؤلاء الذين تدافع عنهم يجب علينا جميعا أن نقترب على أنفسنا و أن ننفق عليها كارهين، إن علينا أن نأكل الخبز اليابس و البصل و التمر لكي نوفر الفلوس لمسؤولين سيأتون من بعدنا إذا لم يجد الواحد منهم مليون سنتيم يتصرف فيها بحرية فإنه يبيع الجزائر".⁽¹⁾ بالفعل لقد صدقت فراسة هذا المجاهد فما نعيشه اليوم لدليل على صدق قوله بل و أكثر. فهل كان هذا القول انطلاقا من قوة الذكاء و التخمين أو من قوة الاستشراف بالمستقبل أم هي المعونة الإلهية و المساعدة الربانية لأن هؤلاء المجاهدين قد وصلوا من مراتب الصدق في القول و العمل و قوة الإيمان ما وصل إليه الصالحون فيصدق عليهم بذلك قول الله تعالى في حديثه القدسي: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب مني، وما تقرب لي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها وقدمه التي يمشي بها وإذا سألني لأعطينه وإذا استغفرتني لأغفرن له وإذا استعاذني أعذته".⁽²⁾ كما روى أحد الأئمة و هو الشيخ 'محمد الطيب قريشي' حادثة تدخل في هذا الباب حيث أن المجاهد 'مقداد جدي' أخبر زملاءه، بينما كانوا متمركزين في المكان المسمى الحوية بمنطقة الشريعة، بأنهم سوف يدخلون في معركة شديدة مع العدو يكون النصر حليفه في البداية ثم تدور الدائرة عليه فينتصر المجاهدين.⁽³⁾ و بالفعل حدث الأمر مثل ما صورة هذا المجاهد فصدقت رؤيته.

و قد ذكر الصحافي 'الزبير بوالشلاغم' الكثير من الأحداث التي تدخل في سياق الموضوع، فقد روى أن المجاهد 'حميدة فرحات' حدثته في هذا قائلا: "كنا في عام 1957 مجموعة كبيرة من المجاهدين نقطع طريقنا في مكان ما المنطقة التاسعة بالولاية الخامسة تحت قيادة المجاهد إدريس عمر و فجأة صدر الأمر إلينا من قائدنا المذكور بتغيير الطريق الذي كنا نسلكه".⁽⁴⁾ و لما سئل هذا القائد عن سبب تغيير الطريق أجابهم قائلا: "لقد أخذتني سنة في أثناء الطريق فسمعت صوتا يقول لي و أنا بين اليقظان و النائم: بدلوا طريقكم".⁽⁵⁾ و بالفعل فصدق فراسة هذا القائد و التأييد الرباني الذي حصل عليه قد أنجاه و من معه من حصار العدو الذي أضرب طوقا على تلك المنطقة.

ز/ رائحة المسك دليل الشهادة:

من الكرامات التي أنعم بها الله تعالى على الشهداء أن أجسادهم لا تبلى و لا تتعفن، بل تفوح منها روائح العطر و المسك، و لم تنعدم ثورة الجزائر من مثل هذه المشاهد الربانية، فكم من شهيد توفي باسم الثغر، و كم من شهيد عثر على جثته بعد أيام و ليالي الصيف الحار و هي لم تتغير و لم تتعفن، و كم من شهيد فاحت منه تلك الروائح العطرة الزكية، رائحة المسك و الياسمين.

و من هذه الحوادث التي تحاكي هذه الوقائع و ما شابهها ما رواه الشيخ 'محمد الشبوكي' للمجاهد 'محمد زروال' حيث قال: "ذات يوم من أيام صائفة 1955 وقع اشتباك في جبل القعقاع بالشريعة كان ممن استشهد

¹ - محمد، زروال، المرجع السابق، ص 91-92.

² - فتح الباري 11.34041 حديث رقم 6502 وقد روى الحديث الإمام البخاري وأحمد بن حنبل و البيهقي.

³ - محمد، زروال، المرجع السابق، ص 138.

⁴ - نفسه، ص 139.

⁵ - محمد، زروال، المرجع السابق، ص 139.

فيه: المجاهدان: 'أحمد بن ساعي فرحي' و شهيد آخر، و قد منعت السلطة الفرنسية الأهالي من أن يقتربوا من جثتي الشهيدان ليدفنوهما، بل إنهما نقلت تينك الجثتين من ميدان المعركة و سحبتهما على قارعة الطريق الرابط بين الشريعة و تبسة ليراهما الناس،" (1) ثم واصل الشيخ كلامه : " و قد أردت أن أرى ذينك الشهيدين رأي العين و أفق أمام جثتيهما و قوف المتمعن. " (2) ثم أردف قائل: " و ما إن وصلنا إليهما حتى طلبت من مرافقي أن يوقف السيارة فامتثل للأمر. عندئذ نزلت منها و ذهبت إليهما و نزع الغطاء عن كل منهما لا أكاد أشعر بشيء من حولي حتى أنني نسيت رجال العدو أنفسهم و ما سنتعرض له من نقتهم إن هم رأونا على تلك الحال، و لكنني كنت أمام مشهد روحي كبير أستلهم منه الشعور بالحياة و أستشف منه معاني التضحية بالنفس في أجمل و أروع صورها. كان الشهيدان باسمي الثغر وضاحي الوجه متوردي الخدين تعبق منهما رائحة كرائحة الياسمين. " (3)

و من أمثال هذه القصص المؤثرة و المعبرة عن مدى تمسك الثوار بالإيمان القوي هو ما حدث للشهيد 'أحمد زبانة' الذي اقتيد إلى المقصلة و هو باسم الثغر غير مبال بتقديم روحه فداءً للوطن، و قد سجل هذا الموقف شاعر الثورة 'مفدي زكريا' في إيذاة الجزائر حينما وصف الشباب الثائر بقوله:

شباب تطهر فيه الضمير فاعرض عن شبهات الطعام
و أشرب من نبع إسلامه و فلسفة الدين، روح النظام (4)

ح/ عمي فهم لا يبصرون:

و مما كرم الله عز و جل بعض المجاهدين أن لا يراهم العدو حتى و هم أقرب منزلة منه، و لكن الله تعالى يغشي على أبصارهم و يعمي بصائرهم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهْمًا لَا يَبْصُرُونَ﴾ (5) ، فينصرف العدو الفرنسي دون أن يلحق بالمجاهدين الأذى، و من الوقائع في هذا الصدد ما حكاه الشيخ المجاهد 'أحمد قادري' الذي كان ضابطا في الولاية الثالثة و مسؤولا عن الأوقاف أنه التقى دورية من الجيش الفرنسي فجأة فتسلق شجرة و اختفى وراء أغصانها و بقي يتضرع إلى الله تعالى، لكن بعض الجنود أحسوا بحركة تلك الأغصان و لما اقتربوا منه قال أحدهم إنه عصفور هيا نواصل طريقنا، فصرف الله عنه شرهم.

و لعل من الكرامات المدرجة في هذا السياق هروب العديد من المجاهدين من قبضة العدو الفرنسي، و حتى فرارهم من السجن مثل: حادثة فرار الشهيد 'مصطفى بن بولعيد' من سجن الكدية بقسنطينة يوم 10 نوفمبر 1955 الذي اعتبر من ضروب الخيال، و من يطلع على حيثيات سير العملية يرى مظاهر العناية الإلهية و التوفيق الرباني لمفجر الثورة الجزائرية و الأب الروحي لها. (6)

1- نفسه ، ص 93.

2- محمد، زروال، المرجع السابق ، ص 94

3- محمد، زروال، المرجع السابق ، ص 94

4- زكرياء، مفدي، المرجع السابق، ص 109.

5- سورة يس، الآية 09.

6- محمد، عباس، ثوار عظماء، ص 62-72.

و من الوقائع الدالة على عظم العناية الإلهية ما حدث في معتقل 'بول قازال' (عين وسارة حالياً) حيث كان المعتقلون مقسمين إلى مجموعات منفصلة أقيم كل مجموعة حراسة مشددة تمنعها من الاتصال بالمجموعات الأخرى، و ذات يوم انتشر خبر قدوم ثلاثة أعضاء من الشعبة المحلية التابعة لجمعية العلماء في مدينة الأصنام(شلف حالياً)، فعزم المعتقلون على الاتصال بهم كي يسألوهم عن أخبار الثورة، إلا أنهم علموا أن أية محاولة للاتصال ستعرضهم لأشد و أقصى العقوبات، و أنهم لا يمكنهم أن يفلتوا من تلك الحراسة المشددة المضروبة عليهم، إلى أن أطلعهم الشيخ 'حمزة بوكوشة' على فكرة فزعم أن بإمكانهم أن يبروا على الحارس دون أن يراهم و لا يمكنه منعهم من الوصول إلى مرادهم، فتعجبوا و تشوقوا، فقال لهم: "ألم يقل الله سبحانه و تعالى في سورة يس ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (1) و فعلا قاموا بذلك و نجحت الخطة و حققوا هدفهم بالاتصال بإخوانهم، و في هذا يقول المجاهد 'محمد زروال': "فسلمنا عليهم، و سألناهم عن أخبار الثورة فزودونا بالكثير منها فطابت نفسنا لذلك..." (2) ثم رجعوا إلى أماكنهم بفضل تأييد الله سبحانه و تعالى حينما أحسنوا الظن بمولاهم.

ط/ قوة خارقة للعادة و بسالة منقطعة النظير:

الحديث عن شجاعة المجاهد في سبيل الله و في سبيل الوطن لا يمكن وصفها و لا نقدر على ذلك، إنها شجاعة مبعثها العقيدة الإيمانية و شعلتها التمسك بمبادئ الشريعة الإسلامية و يجدها الطمع فيما عند الله تعالى من جنان و نعم، إنها شجاعة من لا يخشى الموت، من استوت عنده لحظة الحياة و الممات، إنها شجاعة من باع نفسه و روحه لله تعالى و اشترى ثواب الآخرة، شجاعة من آثر الحياة الأخرى على الدنيا، و هذا مصداقاً لقول ربنا ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَخَالِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (3) و من المجاهدين الأولين الذين ظلوا يهون الشهادة و يطلبونها أسوة بالسلف الصالح الشهيد 'الأزهر شريط' الذي كان حين تشد المعركة، ينتصب واقفاً و هو يطلق الرصاص مردداً: " هل الطنك(الدبابة) رجل و أنا لست رجلاً." (4)

و كم هي الحالات الكثيرات و المواقع المتعددة التي كانت تظهر فيها قوة خارقة و منقطعة النظير للمجاهدين الذين أصيبوا بجروح أو بترت أعضائهم، فترى المجاهد ينزف نزفاً و مع ذلك يواصل الرماية يدفعه في ذلك قوة الإيمان فيظهر بمظهر الخارق للعادة الذي لا يبالي بنيران العدو، و إنما دافعه في ذلك رؤيته للجنة التي يطلبها طلباً.

ي/ العواصف:

1- سورة يس، الآية 09.
2- محمد، زروال، المرجع السابق، ص 108
3- سورة التوبة، الآية 111.
4- محمد، زروال، اللمامشة في الثورة، ص 373.

كما أيد الله سبحانه و تعالى رسوله الكريم و صحابته الأخيار في مواقع عديدة مثل: غزوة بدر حين أمدهم بالملائكة مردفين، و في هذا يذكر القرآن الكريم ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ (1). فقد من الله بقوته و بركاته على المجاهدين في ثورة التحرير، فكانت قوة الريح و هيجان الإعصار من أسباب نصره المجاهدين في عدة مواقع و معارك فمثلاً: في معركة أم لعشار(2) يوم 1958/04/20 حين حاصرت القوات الفرنسية مجموعة من المجاهدين و انهالت عليهم بوابل من النيران المدعمة بالطيران، فإذا السماء الزرقاء الصافية تحمر فجأة و إذا بالغبار المحمل بالرمال و الحصى، و إذا بريح عاتية تجتاح المنطقة، عاصفة هوجاء مكنت المجاهدين من فك الحصار بل و أكثر من ذلك جعلتهم يرون العدو مرأى العين فيرسلوا عليه نيرانهم و يصيبون منه 18 قتيلًا، فقد صدق مولانا الكريم إذ يجبرنا عن غزوة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاؤُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَ﴾ (3)

ك/ طي مسافات السير:

و من الكرامات التي انتشرت أثناء الثورة التحريرية و ذاع صيتها هي طي مسافات السير للمجاهدين، و وصولهم إلى الأماكن التي يقصدونها في أوقات قياسية لا يمكن تسجيلها إلا إذا حُمِلَ أحدهم على دابة أو آلة. فقد ميز الله تعالى المجاهدين بخاصية طي مسافات السير إذ كان المجاهدون يقطعون مسافات قد تصل إلى 100 أو 120 كلم في ظرف قياسي 4 ساعات إلى 5 ساعات و هم راجلون أو على ظهر الحيوانات.(4)

ل/ العباءة مثقوبة و الجسم سليم:

أمر الله موجود بين الكاف و النون، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، و كما أن الله تعالى هو المحي المميت و هو الذي بيده مقادير و مفاتيح كل شيء، فإنه قادر أن يصرف العدو عن المجاهدين، و أن يصرف نيران العدو عن أجسادهم، و كمال قال المولى عز و جل: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۚ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (5)

و في هذا السياق العديد من الأمثلة و الحالات التي لم يجد لها الباحثون تفسيراً علمياً ، فقد نقل عن أحد المجاهدين من عرش الوهاية بضواحي سعيدة أن بيته كان ملاذاً للمجاهدين، فداهم جنود الاستعمار بيته و اعتقلوه و بعد الاستنطاق و التعذيب قاده إلى مكان بعيد و رموه بوابل من الرصاص و تركوه هناك ظناً منهم أنه قد مات، و لكن الله تعالى أنجاه فلم يصبه أذى، رغم أن عباؤه قد وجد بها عشرة خروق أحدثها الرصاص الذي رمي به.(6)

1- سورة الأنفال، الآية 09.

2- تبعد بحوالي 100 كلم غرب مدينة تندوف.

3- سورة الأحزاب، الآية 9 - 10.

4- أعمال الملتقى الوطني الثاني حول البعد الروحي في ثورة التحرير، ص 198.

5- سورة الأنبياء، الآية 69 - 70.

6- أعمال الملتقى الوطني الثاني حول البعد الروحي في ثورة التحرير، ص 200.

و كما دافع الله سبحانه و تعالى عن الكثير من الأنبياء و الرسل فهو يدافع كذلك عن الذين آمنوا، و هو الذي بيده مقادير كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. فكما كان يصرف العدو عن المجاهدين، فإنه قد كان ربما يعطل نيرانهم عن التأثير في أجساد المجاهدين، فهو سبحانه إذا أراد أمراً إنما يقول له كن فيكون، و هذا ما حدث بالفعل مع المجاهدة 'طيب إبراهيم فتيحة' في هذا الصدد.

و هكذا غيرت الثورة التحريرية بفضل الله سبحانه و تعالى كل المعايير و أقيمت الموازين، و في هذا يقول شاعر الثورة:

**نوفمبر غيرت فجر الحياة و كنت نوفمبر مطلع فجر
وذكرتنا في الجزائر بدرأ فقمنا نضاهي صحابة بدر⁽¹⁾**

ثالثا/ الدعم العربي و الإسلامي للثورة الجزائرية:

و لما استندت الثورة التحريرية منذ انطلاقها على ضرورة تفعيل الوحدة في إطارها العربي و الإسلامي، فقد مكنتها هذا من التأييد من كافة الدول العربية و الإسلامية، التي عملت على تعبئة ما لديها من قوى لمساندة القضية الجزائرية. و قد وصفت الكثير من التقارير و الدراسات بأن الجامعة العربية مندفعة لمساندة الجزائر باسم الدين و الحرية. و بالرغم أن المرحلة الأولى من عمر الثورة كانت جد صعبة و شاقة إلا أن جبهة التحرير استطاعت بواسطة ممثليها أن تعرف بالقضية الجزائرية غير أن العلاقات مع الدول العربية الإسلامية جاءت نتيجة عدة عوامل نذكر منها:

- موقف الجامعة العربية من الثورة الجزائرية.

- علاقة الثورة بالدول العربية الإسلامية و اعتراف هذه الأخيرة بجبهة التحرير الوطني ثم بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية كممثل شرعي للقضية الجزائرية.

عامل الدين الإسلامي الذي وحد الشعوب قبل أن يوحد الأنظمة.⁽²⁾

لقد عملت كل هذه العوامل و عوامل أخرى فعلتها فهبت الدول العربية و الإسلامية لدعم الثورة الجزائرية كل حسب قدراتها و إمكانياتها المتاحة، فنجد مثلا موقف الجامعة العربية إذ أنه حتى قبل اندلاع الثورة التحريرية قرر مجلس الجامعة العربية المنعقد بتاريخ 19/11/1953 إنشاء صندوق لقضايا شمال إفريقيا لتأييد هذا الجزء من الوطن العربي. و في بداية شهر ديسمبر 1954 حظيت القضية الوطنية بتأييد الجامعة. كما قامت كذلك الجامعة بإرسال برقية إلى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة طالبت بإيقاف الأساليب القمعية التي تتبعها فرنسا ضد الجزائريين.

1- زكرياء، (مفدي)، المرجع السابق، ص 69.

2- تجدر الإشارة إلى دور الشعوب العربية و الإسلامية والمنظمات الجماهيرية في دفع الأنظمة السياسية العربية و الإسلامية بما فيها تلك التي تدور في فلك دول الغرب، لاتخاذ مواقف قومية مبدئية من ثورة الشعب الجزائري. و في هذا الصدد يشير 'إسماعيل دبش' بأن الموقف الجماهيري العربي هو موقف موحد في كل الدول العربية بحكم العوامل الرابطة و التوق إلى تحرر كلي للأقطار العربية فقد كانت شعوبنا العربية تشاطر الشعب الجزائري آلامه و آماله للمزيد أنظر: لعرج، (جبران)، الثورة الجزائرية وعلاقتها بالمغرب الأقصى 1954-1962، المرجع السابق، ص 52 و كذلك: دبش، (إسماعيل)، السياسة العربية و المواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية (1954/1962)، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2003، ص 66.

و عليه فقد وقفت الجامعة العربية إلى جانب الثورة الجزائرية ماديا و عسكريا، فقد اقترحت الأمانة العامة للجامعة في 28 أبريل 1958م إنشاء صندوق لمعونة الجزائر بمبلغ مالي قدره "مليون جنيه إسترليني" تساهم فيه الدول العربية كل منها حسب مساهمتها في ميزانية الجامعة.⁽¹⁾ وخلال اجتماع لجنة المندوبين في 20 ماي 1958م أدلى السيد أحمد توفيق المدني "مندوب الجزائر في الجامعة العربية" بيانا استعرض فيه الوضع القائم في الجزائر وطالب بتخصيص اثني عشر مليون من الجنيحات الإسترلينية معونة للمجاهدين الجزائريين وقال: "إن جبهة التحرير تفضل أن تتلقى المعونات عن طريق الجامعة العربية."⁽²⁾ وقد جاء في بيانه الذي قدمه أمام الجامعة العربية فيما يخص المعونة المالية "... فإذا كنا قد طلبنا اثنا عشر مليون جنيه مساعدة سنوية من الدول العربية مع علمنا بأن هذا المبلغ قد يكون كبيرا بالنسبة لبعض الدول التي ليست لها موارد، فإننا نقول أن ذلك هين إذا تصورنا أن الحرمان الجزئي لهذه الدول لمدة قصيرة ربما تكون سنة واحدة هذا الحرمان سنشترى به استقلال دولة عربية جديدة، وحينئذ تقوم إن شاء الله جمهورية الجزائر العربية..."⁽³⁾ وبالفعل فقد وافق مجلس الجامعة في جلسته المنعقدة بتاريخ 18 أكتوبر 1958م على هذا الطلب فسارعت الدول العربية إلى إيضاح موقفها من هذا الموضوع ومدى استعداد كل دولة للمساهمة في الميزانية المطلوبة، وأوصت اللجنة السياسية للجامعة العربية على أن تبادر الدول التي أيدت مساعداتها للمساهمة العاجلة بدفع نصيبها لحكومة الجزائر.

فقد شكلت مصر، العربية السعودية، العراق، الكويت أساس الدعم للقضية الجزائرية. غير أن الدعم الليبي⁽⁴⁾، و التونسي و المغربي يبقى ذا أهمية بمكان.⁽⁵⁾

تضافرت عوامل عديدة على إنجاح البعد الإسلامي و العربي الذي ساد الثورة التحريرية، فرغم أن الثورة مارست نشاطاتها على عدة محاور : الإفريقية و الدولية، و كلها ساهمت بقدر في تحقيق الاستقلال، إلا أنه عندما نقيم أدوار هذه المحاور نجد أن المحور العربي و الإسلامي لعب أكبر دور في ذلك، و هذا مرده ربما لأن البعد الإسلامي و العربي هو الذي سيطر على توجهات الثورة و الذي استغل عدة عوامل في قضية التحرير منها: الإسلام و العروبة، و قد

¹ - ناعفة، (حسن) ، جامعة الدول العربية، الواقع والطموح، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1983، ص 138.

² - الرفاعي، (محمد على)، المرجع السابق، ص 107.

³ - المدني، (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص 386.

⁴ - لقد أنشأ الليبيون خلال النصف الثاني من سنة 1956، " اللجنة الليبية لإعانة جيش التحرير الوطني الجزائري"، و التي ستغير بعد مدة من نشاطها اسمها لتدعى " هيئة نصرة الثورة الجزائرية". لقد عملت اللجنة جاهدة على تعبئة الرأي العام الليبي لنصرة القضية الجزائرية ماديا و معنويا، فها هي تنشط خلال أسابيع نصرته الجزائر لجمع الأموال نظرا لحاجة الثورة الجزائرية الماسة لها. فخلال سنة 1956/1957، استطاعت تحصيل مبلغ مالي قدره: 9016492 جنيه ليبي، و أثناء أسبوع الجزائر التضامني الذي بدأ من يوم 30 مارس 1958، جمعت اللجنة ما مقداره 29628351 جنيه ليبي، إلى جانب الحلي و الملابس. و أما خلال سنة 1959 و بمناسبة أسبوع الجزائر بليبيا الذي بدأ من يوم 18 أبريل 1959، فقد جمعت اللجنة ما مقداره 50043800 جنيه ليبي، إضافة إلى الحلي و الملابس. كما نظم بتاريخ 1960/04/22 أسبوع الجزائر و الذي كان عبارة عن حملة واسعة لجمع التبرعات النقدية و العينية، للمزيد أنظر: تقرير موجز عن نشاط مكاتب حكومتنا في البلاد العربية، 06/51/2G/AN/DZ و إيماننا من اللجنة و إدراكها لمدى أهمية التضامن الأخوي مع الجزائريين و تزامنا مع فرحة الشعب بنشوة الاستقلال، نظمت أسبوعا الجزائر بتاريخ 24 جوان 1962، جمعت خلاله التبرعات و أقيمت التظاهرات الرياضية و الفنية لتعود فوائدها لصالح صندوق الجزائر. للمزيد من الإطلاع أنظر: مقالني، (عبد الله)، التضامن الشعبي الليبي و دوره في مؤازرة الثورة الجزائرية، مجلة المصادر، العدد 7، رمضان 1423هـ/ نوفمبر 2002م، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، مطبعة المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و الإشهار، الروبية، الجزائر، ص، ص 165-182.

⁵ - Harbi, (Mohammed) et Gilbert, (Meynier), Le FLN Documents et Histoire 1954-1962, op.cit, p, 732.

دفع هذا كله الدول العربية الإسلامية إلى أن تتحرك لتساند القضية الجزائرية و جهاد الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي. و عليه فقد كان السلوك الإسلامي و العربي ملتزما بمساعدة الثورة التحريرية ماديا و معنويا و دبلوماسيا مما ساعد في النهاية على انتصار البعد الإسلامي و العربي في الثورة الجزائرية.

رابعاً/ القيم الأخلاقية أثناء الثورة:

استطاعت الثورة التحريرية أن تقدم رويدا رويدا نحو النصر، بسبب التفاعل العميق للطبقات الشعبية مع قيادتها، و كان هذا التفاعل هو الذي أعطى للمجاهدين ذلك الطابع القوي من الأخلاق الفاضلة، و السلوك المثالي، فلقد تطهر الشعب الجزائري من كل تلك الأدران و الأوساخ التي لصقت به طيلة عهد الاستعمار ، " و بعدما أنزله الاستعمار من محن و نوائب بهذا الشعب الذي عاد للظهور و هو يحمل كل فضائله الدينية و الأخلاقية التي بقيت كامنة طوال أكثر من قرن من الزمن"⁽¹⁾، تنتظر الفرصة المناسبة و الظرف المناسب الذي أوجدته ثورة التحرير. فكانت الثورة بالفعل هي الإيدان لتلك القيم بالظهور و البروز.

1/ الأخلاق أفعال لا أقوال:

مكن جيش التحرير الوطني هذه القيم و الأخلاق من الظهور حيث أعطاهما الإطار الملائم الذي تسبب فيه. ⁽²⁾ و كان مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 هو الوعاء الذي منح هذه الأخلاق، نظاما موحدا و سن قوانين محددة لا يتعداها المجاهد البسيط، و يرجع إليها جميع القادة. فحرم المؤتمر بهذا الإعدام ذبحا، و جميع أنواع التنكيل بالشخص أو تشويهه. كما أكد "على أن كل من يعتدي على عرض فتاة أو امرأة يحكم عليه بالإعدام. و على أن هذا الإعدام لا يتم إلا بعد محاكمة شرعية قانونية، يتمكن فيه المتهم من الدفاع عن نفسه." ⁽³⁾ كما أمر المؤتمر بضرورة العناية بالأسرى و عدم التعرض إليهم بالإيذاء و هذا كله امتثالا لتعاليم الدين الإسلامي الذي أوجب ضرورة معاملة الأسرى معاملة حسنة و حرم التعذيب، و "أوصى بالأسرى خيرا حتى جعل إطعامهم و الإحسان إليهم قربة إلى الله." ⁽⁴⁾ كما عنيت الثورة بعدم التعرض لغير المحارب قدر المستطاع، فنهت عن قتل النساء و الأطفال و الشيوخ.

و كانت بهذا جبهة التحرير الوطني لا تخشى، في بعض الأحيان عندما عانى الشعب الجزائري الهجوم الأكثر عنفا في تاريخه من قبل الاستعمار، لتحریم بعض أشكال العنف والتذكير باستمرار لاحترام الوحدات المقاتلة لقوانين الحرب الدولية. و هذا إيمانا منها أن في حرب التحرير، يجب على الشعب المستعمر الفوز، ولكن يجب عليه أن يفعلها بكل نظافة بعيدا عن كل بربرية. ⁽⁵⁾ فها هو مثلا تاريخ الثورة يثبت لنا ذلك فيبينما في منطقة معسكر، و بالضبط سنة 1959، أكثر من ثلاثين من المجاهدين المحاصرين و الذين استنفدت ذخيرتهم، تم القبض عليهم و أعدموا جميعا أمام

1- بسام،(العسلي)، جيش التحرير الوطني الجزائري، المرجع السابق، ص 124.

2- و في هذا يقول المجاهد محمد زروال: و إذا كانت الأخلاق في المجتمع الجزائري قبل الثورة التحريرية مخلوطة بالأوهام و الضلالات فقد هذبتها الثورة و أبدعت في ذلك، و توخت الخلق القويم ما استطاعت إلى ذلك سبيلا فأزالت أوهاما عظيمة و حررت عقولا كثيرة من البدع و الخرافات. للمزيد أكثر عن الموضوع ينظر أخلاقيات المجاهدين في الثورة الجزائرية : محمد،(زروال)، المرجع السابق، ص 119-133.

3- بسام،(العسلي)، جيش التحرير الوطني الجزائري، المرجع السابق ، ص 124.

4- أحمد طالب،(الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، المرجع السابق، ص 95.

5 - Frantz,(FANON),op.cit,p 9.

سكان القرية، ها هو بالمقابل طبيب جزائري في قطاع آخر، يتم انتدابه لمهمة خارج الحدود دون تأخير فقط لجلب الأدوية التي تمكن من مداواة سجين فرنسي. (1)

كل هذه النظم الأخلاقية أثبتت على أن الثورة التحريرية تمثل القيم الأخلاقية للشعب الجزائري، نظما تجاوب معها الشعب الجزائري بكامله لأنه كان يدرك ما يؤمن به من سلوك، و ما يطبقه في حياته من أخلاق. و لذلك لم يجد يقول الأستاذ بسام العسلي : "قادة جيش التحرير، عندما رجعوا إلى مراكز عملهم، صعوبة في تطبيق تلك النظم، و لذلك أيضا لم تبق تلك النظم مجرد عبادة مكتوبة أو قاعدة محفوظة، و لكنها صارت حقيقة ثابتة يعيشها المجاهد في وحدته و يطبقها في حياته اليومية، و يؤيدها الشعب كله." (2) و لقد أكد هذه الحقيقة الكثير من الصحفيين الأجانب الذين استطاعوا أن يقتربوا من وحدات و أماكن تواجد جيش التحرير الوطني، فلقد كتب أحد الصحفيين حين زيارته لوهراة سنة 1956 : " و مما لاحظته أثناء مقامي في المناطق التي زرتها، أن جنود جيش التحرير يحترمون بكل دقة قوانين الحرب. و قد شاهدت بعيني أسيرين إفرنسيين يعيشان بين الجنود، و يأكلان مما يأكلون، و يطالعون الصحف." (3) كما تحدث الكثير من الصحفيين الأجانب في مقالاتهم عن تكوين جيش التحرير الوطني الذي رأوه يتألف أغلبيته من شبان ملاً الإيمان قلوبهم، و دفعهم الهدف النبيل إلى الكفاح لتحقيق النصر و الاستقلال. و حول على هذا الموضوع كثيرا ما أكد قادة و مسؤولين جبهة و جيش التحرير الوطني على اعتماد السلوك القويم، فها هو الشيخ 'محمد خير الدين' مثلا: يخاطب المجاهدين قائلا: "إنكم جنود اليوم و الغد فينبغي أن تتبعوا دستور جيش التحرير حتى تقوموا بواجبكم على أكمل وجه، و تؤدوا دوركم على أتم ما يكون... إنكم بناء مستقبل و صانعوا جيل فدستوركم تقديم لأكاذيب الحضارة، و دعايات الظلم و أركان البغي، و تثبيت قيم الحق و الخير و السلام." (4)

و عليه فإن تأصل روح الجهاد الحقيقية في نفوس المجاهدين جعلهم يتأهلون "للتخلق بالأخلاق الحسنة و يتصفون بفضائل الأعمال فيعيشون دائما بفكرهم مع هدي الله و يشعرون أنهم أقرب خلق الله إلى ملاقاته." (5) فالجهاد لا يصدر عنه في غالب الأحوال إلا الكلام الطيب و السلوك القويم بسبب ذلك النور من الإيمان الذي يحيط به و يلازمه أينما كان. و في هذا يقول المجاهد محمد زروال: "و من هنا تكون المجتمع الجهادي الأول تكونا حقيقيا ينطلق من القول بهذه النظرية؛ و هي أن الجهاد يستمد حقيقته من المفهوم الصحيح للأخلاق." (6) و بهذا فقد علت و ارتفعت الطلائع الأولى من المجاهدين الذين نسجوا علاقة وطيدة بين الأخلاق الفاضلة و بين الجهاد.

و على هذا الأساس عمدت الثورة إلى ضرورة تفعيل و حث المجاهدين على القيام بالواجبات الإسلامية من عبادات و معاملات فأعدت الاعتبار الحقيقي والملموس للإسلام بفرضها احترام أركانها، و أداء شعائره من صلاة

1 - Frantz, (FANON), op.cit, p10.

2- بسام،(العسلي)، جيش التحرير الوطني الجزائري، المرجع السابق، ص 127.

3- نفسه، ص 127.

4- محمد، (خير الدين)، المرجع السابق، ص 221.

5- محمد، (زروال)، المرجع السابق، ص 67-68.

6- نفسه، ص 121.

و زكاة وصيام، ومعاقبة من يفرط فيها أو يستهين بها، أو يتهاون في أدائها، فالصلاة مؤداة والزكاة مجبأة و رمضان يصام، والمال محفوظ، والدم محقون إلا بحق، والعرض مصان.

2/ تحريم تعاطي المحرمات من الكحول و التبغ:

نظمت جبهة التحرير الوطني حملة واسعة ضد تعاطي الكحول و التبغ ابتداء من عام 1955 عن طريق توزيع مناشير تحث على نبذ كل البدع و الخرافات و الشعوذة و زيارة المقابر و شرب الخمر و الدخان. (1) لقد جاء في أحد التقارير الفرنسية أنه في بداية شهر جوان اعتمدت جبهة التحرير الوطني نوعا جديدا من العمل و الدعاية ضد فرنسا خاصة في المراكز الحضرية بتحريم على السكان شرب الخمر و التبغ. (2) انتشرت صناعة الدخان و راجت تجارتها مع الاستعمار الفرنسي، و يمكن قول نفس الشيء بالنسبة للخمر، أين أنشأ الاستعمار المصانع و كيف الزراعة الجزائرية بما تخدم هذه الصناعة، و ذلك عن طريق الاهتمام بالكروم و تطويرها. و قد كانت فئة من الجزائريين مستهلكة لهذه المواد. و عليه جاء منع جبهة التحرير الوطني استهلاك هذه المواد لأسباب عديدة نذكر منها:

1- حرمة هذه المواد و هذا اقتداء بتعاليم الدين الإسلامي الذي حرم تعاطي هذه المواد لضررها الكبير على

صحة الفرد و على المجتمع، و قد جاءت الكثير من الآيات في هذا المسعى مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (3)

2- تحطيم الاقتصاد الفرنسي بواسطة حملة المقاطعة الاقتصادية وفق مبدأ غاندي الشهير. و قد أصدرت جبهة

التحرير الوطني بتاريخ 15 جوان 1955 بيانا مما جاء فيه: "إن جبهة التحرير الوطني تدعو الشعب الجزائري إلى الانقطاع عن التدخين و عدم ارتياد الحانات، و لن يكون هذا التدبير مجرد تعبير عن الإيمان بتحرير الوطن من الاستعمار و لكنه يسمح لنا أيضا بكيال لكمة قوية للاقتصاد الإمبريالي." (4)

و لقد جاءت أوامر جبهة التحرير الوطني صارمة إذ كانت تعمد إلى قطع أنف المدخن. و مع أن هذه العقوبة كانت تطبق على المدخن إلا أنه عموما طبقت على كل خائن يتعامل مع فرنسا فالأنف في نظر الجزائري هو رمز للمروءة و الكرامة و كل من يتعامل مع الاستعمار يستحق قطع أنفه، و بهذا تصبح علامة الخيانة بادية على وجهه فيحذره كل الناس، و قد تم إلغاء هذه العقوبة في مؤتمر الصومام. (5)

1- A.N.O.M, 93, Boite 4111, Rapport et synthèses 1954/1956 ; Annexe à la synthèse de renseignements moi d'Avril 1955.

2- ليلي، (تيتة)، المرجع السابق، ص 126.

3- سورة المائدة، الآية 90.

4- ليلي، (تيتة)، المرجع السابق، ص 126.

5- نفسه ، ص 127.

لقد دل هذا الإجراء و إجراءات أخرى، على طول مسار الثورة التحريرية، على نبل المقاصد و تمسك الثورة بتعاليم و أخلاق الإسلام التي جبل عليها الجزائري و تربي عليها.

كما حافظ المجاهدون على كل العبادات و الممارسات الدينية من أداء الصلاة و الصوم في أوقاتها الشرعية، و هذا أسوة بالرعييل الأول من الصحابة و المجاهدين الذين ضحوا في سبيل الله. فكانت الصلاة مثلا تؤدي بنفس الطريقة الشرعية التي حث عليها الشارع الإسلامي في مثل الحروب بأن تقوم طائفة تصلي و الأخرى تحرس عليهم ثم تأتي الطائفة التي لم تصلي فتؤدي الصلاة جماعة كذلك (1)، و هذا مصداقا لقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (2)

خامسا/ عمق الثورة التحريرية و مقوماتها:

حاول الكثير من المؤرخين و الباحثين المحسوبين على التيار الغربي المعادي للمقاومات و حركات التحرر و المتصلب لمواقف الدول الاستعمارية النيل من نجاحات الثورة التحريرية، فها هي الكاتبة 'جوان جليسي' (Juan Oglesby) في كتابها "ثورة الجزائر" تؤكد أن القومية الجزائرية ما هي إلا وليدة و نتيجة ثورة 1954 أكثر من أن تكون سببا لها. (3)

و حسب الأستاذ سليمان قريري أن هذه النظرة غير صحيحة، و نحن نشاطره في هذا، فلو أن الكاتبة نظرت نظرة خاطفة لتكوين حزب نجم شمال إفريقيا و مبادئه الأساسية التي قامت عليها ثورة التحرير، لخلصت إلى أن الثورة كانت نتيجة لتيار قومي دافع عن معالم الشخصية الوطنية المتميزة، و هذا الرأي تابع لتلك النظرة التي دافع عنها معظم الكتاب و الباحثين في تفسيرهم لأسباب قيام الثورة من منطلق أنها ناتجة عن تدهور الأحوال الاقتصادية و الاجتماعية للشعب الجزائري. و إذا كنا لا ننفي دور هذه الأسباب في غليان الشعب الجزائري، إلا أننا لا نستطيع ربط الثورة بها فقط، لأن مثل هذه الأسباب قد تحدث في أية لحظة اضطرابات و لكن ليس بحجم الثورة الجزائرية التي استمرت تعارك الاستعمار طيلة ثماني سنوات تقريبا، كان شعارها المتميز الجهاد في سبيل الله و من أجل تحرير الجزائر العربية الإسلامية، فثورة نوفمبر 1954 تمثل قمة هذا الشعور القومي، و لولا هذا كما يقول الأستاذ سليمان قريري لما قدر لهذه الثورة أن تحظى بالتأييد الشامل من جانب الشعب الجزائري. (4)

و هكذا فإن عمق الثورة التحريرية نابع من التجربة الطويلة و الشاقة التي عاشها الشعب الجزائري طيلة فترة الاحتلال الفرنسي، فالثورة و بحسب 'عمار أوزقان' و نقلا عن الأستاذ 'سليمان قريري' هي تعبير عن وضع ثوري

1- ينظر الملحق رقم 8، ص 381.

2- سورة النساء، الآية 102.

3- سليمان، (قريري)، المرجع السابق، ص 281.

4- نفسه، ص 281.

احترم في أعماق المجتمع وفق شروط لا تتعلق بإرادة الناس و الطبقات و الأحزاب فقط، بل تتطلب فئة رائدة تقود المعركة و تتخطى الحواجز.(1)

لقد قامت الثورة التحريرية على أساس الدفاع على مقومات الشخصية الجزائرية التي تتميز بالانتماء إلى المحيط العربي و الإسلامي، لذلك فإن كلمة المجاهدين التي أطلقت على الثوار تعني أن الإسلام هو المحرك الأساسي للقوى الوطنية التي تطمح إلى التحرر، و قد أثبت الإسلام فعلا بأنه العصب و الوقود المحرك لهذه الثورة. و في هذا يقول الشيخ 'محمد خير الدين': " و سارت حرب التحرير تحدها عناية الله و تغذيها أرواح المجاهدين... " (2)

و يؤكد ذلك الأستاذ 'عثمان شوب': "إن الدين كان يمثل في الواقع تكنولوجيا - إن صح التعبير- الثورة الجزائرية الأساسي عبر تاريخها الطويل فهو روح و محرك مختلف مراحل الكفاح الوطني، و مفجر قوى الشعب." (3)

إن انطلاق الثورة دون سند شعبي، كان ليعتبر مغامرة كبيرة، لكن أهداف العمل الواعي و توجهات الشعب نحو العمل الحدي تحت لواء وحدة الكفاح و المصير، هو الذي أعطى للثورة هالتها و تعلق الشعب الجزائري بها فرالت معها جميع الحسابات التي كانت تراهن على ضرورة قيام الثورة تحت لواء حزب منظم معروف سلفا من قبل الجماهير الشعبية. و إن تحقق هذا فرما كان العامل الأساسي فيه هو اجتماع الكل تحت لواء الجهاد المقدس ضد المحتل الغاصب أسوة بما فعله الأجداد في الماضي القريب.

كما أن العامل الوطني، الذي لا يمكن بأي شكل من الأشكال، فصله عن العمل الديني باعتبار عما يوجد بين هذا الأخير و الوطنية من علاقة متينة، فإن مفهوم الوطنية عندنا و الذي كان يعتبر الدين الإسلامي عنصرا من فئته المركبة من العناصر الثلاثة المتمثلة في الوطن و الدين و اللّغة، و هذا ما عبر عنه الشيخ عبد الحميد بن باديس في قوله: **شعب الجزائر مسلم و إلى العروبة ينتسب**(4)

و قد ظل هذا المركب من ضروريات الثورة بل أحد أهم أهدافها التي رمت إليها و من خلالها إلى دفع الشعب الجزائري للبحث عن نفسه، و إدراك ذاتيته و شخصيته التي كانت أبسط نظرة واعية إلى المستعمر تثبت أنها شخصية متميزة تميزا جوهريا في المعتقد و اللّغة و العادات و التقاليد و القيم، فضلا عن الفوارق في المستويات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية (5) ، التي كانت تفصل الشعب الجزائري و تميزه عن المحتل. و هذا ما أكد عليه الشيخ 'خير الدين' حين تحدث عن مبادئ الثورة التحريرية التي دعت إلى ضرورة مراعاة المبادئ الإسلامية في تحطيم قوات العدو، و أن هذا المبدأ هو الذي يؤكد " أصالة ثورتنا التي قامت على رعاية الإسلام و اتقاء حرمانه حتى في قتال أعدائنا أعداء الدين. " (6)

1- نفسه ، ص 282.

2- محمد، (خير الدين)، المرجع السابق ، ص 220.

3- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 110.

4- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق ، ص 67.

5- نفسه ، ص 66.

6- محمد، (خير الدين)، المرجع السابق ، ص 222.

إن إيمانية الثوار بالله أولاً ثم بعدالة قضيتهم ثانياً هو الذي جعلهم لا يهابون الموت و لا يهابون بذلك ملاقاته العدو الفرنسي. و إن غالبية فئات الشعب و المجاهدين بالتحديد كانوا على درجة عالية من الإيمان و التدين لا يفوقهم فيها إلا الصحابة رضوان الله تعالى عنهم. (1) و ربما لأدل على هذه القوة الإيمانية ما ذكره الأستاذ بن نعمان حول ذلك الحوار الذي دار بين مجاهد و ضابط فرنسي ، و لأهمية هذا الحوار نوردته كما جاء :

الضابط الفرنسي: ما اسمك؟

المجاهد: اسمي سي محمد الشريف (و هو اسمه الحقيقي).

الضابط: لماذا ذهبت إلى الجبل؟ (يعني الثورة).

المجاهد: ذهبت للدفاع عن ديني و وطني.

الضابط: ها قد ألقينا عليك القبض!..

المجاهد: إن ورائي آلاف من المجاهدين الذين سيخلفونني.

الضابط: ألا تخاف الموت عندما انضمت إلى الخارجين عن القانون..؟! !

المجاهد: لا أخاف الموت!

الضابط: لماذا لا تخاف الموت؟؟

المجاهد: لأن الله عندما يريد أن يتوفى شخصاً يتوفاه في أي مكان، و الدليل على ذلك أنني كنت في المعركة و لم أمت!

الضابط: لماذا لم تمت!؟

المجاهد: لأن الله لم يقدر لي أن أموت اليوم!

الضابط: أمسك الرشاش بكلتا يديه و قال للمجاهد (ليس الله هو الذي يقتل، بل أنا الذي أقتل، و الآن سأقتلك و لن ينجيك الله...)

المجاهد: لست أنت و لا رصاصك هو الذي يقتل، بل الله هو الذي قدر لي أن أموت على يدك اليوم.

الضابط: ابتسم في استهزاء و أرجع الرشاش إلى خلف ظهره قائلاً: (لن تموت إذن).

المجاهد: إن الله لا يريد أن يتوفاني اليوم!

الضابط: تفجر غيظاً و تحطمت أعصابه أمام إيمان ذلك المجاهد الشاب، فأمسك الرشاش بكلتا يديه و بكل هستيرية، و افرغ كل ما كان في بطنه من رصاص في صدر ذلك الشهيد رحمه الله! (2)

إن هذه الحادثة تشبه في كثير من فصولها ما دار بين سيدنا إبراهيم و الملك الكافر: ﴿لَمَّا تَرَ إِلَى اللَّهِ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (3)

1- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق ، ص 29.

2- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 30-31.

3- سورة البقرة، الآية 258.

كما أنها تثبت لنا أن المجاهد كان على درجة عالية من الإيمان و بخاصة إيمانه و اعتقاده أن الموت بيد الخالق الذي قطع على نفسه بأن لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، و أن لا ينصرهم حتى يؤمنوا و ينصروه(1) و هذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (2) و كذلك في قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (3)

توجد الكثير من المواقف التي تثبت على منبع الثورة الإسلامي، و من هذه المواقف ما حدث عندما ألقى الاستعمار الفرنسي على أحد أهم قادة الثورة التحريرية الشهيد مصطفى بن بولعيد و زميله عمار بريك، بعد قتل هذا الأخير للقومي التونسي الذي ألق عليهما القبض، و أثناء مكوثهما بالمعتقل و قبل تحويلهما إلى تونس زارهما والد القومي التونسي الذي قتل. و جرى بينهما حوارا، فسألها الشيخ: لماذا قتلتهم ابني؟ ما هو السبب الذي دفعكم لارتكاب جريمة القتل؟ فأجابه القائد مصطفى بن بولعيد: نحن الجزائريون المسلمون نجاهد في سبيل الحرية و استقلال بلادنا. و الإسلام ديننا مثل بلادكم تونس. و قد كنت توسلت إلى ابنكم، و الله شهيد على ما أقول، أن يدعنا و شأننا و قد اقترحنا عليه الكثير من المال لكنه لم يرد أن يصغي لنا. و لهذا قتلناه. فلم يبق لنا حل آخر غير ذلك. فبقي الشيخ صامتا مفكرا هنيهة، ثم قال لنا: لقد لاحظت هذه الأيام قدوم شخصيات سامية فرنسية جاءت لرؤية الأشخاص الذين قتلوا ابني و لم يأتوا لرؤية ابني الذي مات من أجلهم. فقلت في نفسي، هذه الشخصيات لا تزج نفسها من أجل رؤية مهربين أو مجرمين. ففي شبابي أوقفت مهربين كبار و لا أحد تكلف عناء التنقل من أجلهم أو من أجل تهنتنا. و لهذا أردت أن أتأكد بنفسي لأني فهمت أنكما لستما من المهربين و لا مجرمين مثلما قال لي النقيب مسؤول الحماية و ما قلموه لي أنفا هو الصحيح. و عليه و نيابة عن ابني أعترز لكم عن ما بدر منه، و ربما لو علم حينها و اقتنع بأنكما من المجاهدين في سبيل الله، لكان من المؤكد أن يطلق سراحكما و لكن هذا هو المكتوب. إذ يجب أن لا نقف أبدا ضد المجاهدين في سبيل الله و الإسلام و في سبيل تحرير بلاد مسلمة و شقيقة. (4) كذلك ما يدل على إيمانية الثورة هو ذلك الكلام الذي نطق به العقيد أولحاج قائد الولاية الثالثة لمنطقة القبائل في حضرة المناضل و المجاهد أرزقي باسطة، خلال اللقاء الذي جمعها بعد وقف إطلاق النار و بالتحديد في 19 أبريل 1962، إذ قال: "نعم بالفعل لقد كان الله عز و جل معنا و لولا الإيمان بالله سبحانه و تعالى ما كان أحد منا ليواجه و يصمد أمام تلك الشدائد لقد كان العديد من المجاهدين يأتون إلينا يطلبون الإذن للقيام بعمليات استشهادية ضد العدو." (5)

إن كتابة تاريخ الجزائر إبان الثورة التحريرية الكبرى لا ينبغي أن يقف عند مجرد تسجيل الوقائع و سرد الحوادث فقط، بل يجب أن يتعدى ذلك إلى ما وراء تلك الحوادث، من مبادئ و قيم قام عليها الجهاد، و فضائل تحلى بها

1- أحمد، (بن نعمان)، المرجع السابق، ص 32.

2- سورة محمد، الآية 07.

3- سورة الروم، الآية 47.

4- حول ظروف اعتقال القائد مصطفى بن بولعيد ينظر: محمد أرزقي، (باسطة)، المرجع السابق، ص 214 و ما بعدها.

5- نفسه، ص 644.

المجاهدون، و عبر و معاني يراد توصيلها للأجيال اللاحقة، و حقائق لا زالت مطموسة و مغمورة و جب نفض الغبار المتراكم عليها حتى لا تبقى حبيسة النسيان.

الخاتمة

وصلنا بهذه الدراسة التي تحددت معالمها وفق ظروف و عوامل مختلفة و متباينة إلى الكثير من النتائج و الاستنتاجات لعل أبرزها كون الجزائر كشعب ، أو كأمة قائمة بذاتها، قد توفّرت لها عوامل كثيرة جعلتها تصمد أمام غزوات الكثير من الأمم و آخرها الاستعمار الفرنسي الذي حاول سلبها شخصيتها و تقويض أركان وجودها، و أمام شراسة المقاومة و الكفاح المستميت تنكست فرنسا و عادت تجر أذيال الخيبة و الهزيمة صاغرة ذليلة ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (سورة النمل، الآية 37).

لقد كان الشعب الجزائري و ما يزال يؤلف كيانا واحدا صهرته عوامل كثيرة كان أبرزها الدين الإسلامي، و الأرض (الجغرافيا) ذات الحدود الواضحة، و كثير من الآلام و الآمال المشتركة و المصير الواحد طيلة الفترات التاريخية التي تعاقبت على الشعب الجزائري إلى غاية اليوم.

لقد أظهر هذا الشعب الموحد تحت هذه العوامل قوة كبيرة لا تقهر أمام كل غزو أجنبي، فلا تكاد طبول الحرب تفرع حتى تجده يهرع لنجدة وطنه و المساهمة بكل ما أوتي من قوة و جهد لصد الحملات الأجنبية و الغزوات التي توالى على الجزائر طيلة فترة زمنية طويلة خاصة منذ ضعف كيان الدولة العثمانية.

لقد شرن الاستعمار الفرنسي طيلة فترة احتلاله للجزائر ما بين (1830-1962) حربا ضروسا استعمل فيها كل أساليب القمع و الإبادة و التشريد و التجويع و التهجير... إلخ ضد شعب أعزل ذنبه الوحيد أنه يقول "لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا رسول الله"، و أنّ الجزائر وطنه الذي لن يفرط فيه مهما كانت الظروف و مهما توالى المحن و الخطوب. و مع ذلك قاوم هذا الشعب الاستعمار بكل ما أوتي من قوة فظهرت المقاومات الشعبية المسلحة التي كان أبرزها "مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري" الذي استطاع أن يشكل أول دولة إسلامية موحدة في العصر الحديث بحسب اعتقاد العديد من الباحثين و الدارسين.

و من خلال تتبع مختلف مراحل الكفاح التحرري بالجزائر في بعدها السياسي و العسكري نستنتج أن هذه المسيرة اتخذت أشكالا و منرجات شتى و مختلفة، فاندلعت المقاومة الشعبية المسلحة منذ أن وطأت أقدام الاحتلال الفرنسي أرض الجزائر، على ركائز محددة بغية مقاومة السياسة الاستعمارية التي رمت تحويل أرض الإسلام إلى أرض مسيحية دون مراعاة الفوارق التي تباعد بين المجتمعين (الجزائري و الفرنسي)، و اعتمدت في ذلك على جملة المقومات التي تتميز و تميز بها الأمة الجزائرية، و على رأسها الدين الإسلامي، و هذا ما تفتن له الاحتلال حيث عمل جاهدا على محاولات طمس معالم الشخصية الوطنية و تقويض أركانها و تفكيك المجتمع الجزائري العربي الإسلامي، منتهجا في ذلك الكثير من الخطط و السياسات للفرقة بين الجزائريين و الفرنسيين و الأوروبيين من جهة، و بين الجزائريين أنفسهم من جهة أخرى.

و مهما تكن الأسباب التي أدت إلى فشل المقاومة الشعبية المسلحة و عدم قدرتها على تحرير الجزائر من براثن الاستعمار طيلة القرن التاسع عشر، فقد لبست هذه المقاومة شكلها السياسي مع بداية القرن العشرين متخذة الأحزاب و الجمعيات و العمل النقابي كرد فعلي طبيعي ضد سياسة الاستعمار الفرنسي الرامية للنيل من الشخصية

الجزائرية خاصة فيما تعلق بقضية التجنيد الإجباري للجزائريين. و منه راحت هذه المقاومة الجديدة تعتمد على مقومات الأمة الجزائرية كأساس لعملها، و ربما أهم اتجاه جسدها هذا الاتجاه هو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ركزت على ضرورة عودة المجتمع الجزائري إلى إطاره الطبيعي و أصوله العربية الإسلامية. هذا و لا يمكن أن نغفل دور التيار الاستقلالي الذي دعا إلى المطالبة بالاستقلال التام للجزائر في وقت كان فيه الجميع يسبح مع تيار المساواة أو الاندماج كحلّ لكلّ مشاكل الجزائريين.

كما أنّ المؤتمر الإسلامي لم يحقق للجزائريين أية مكاسب، غير أنه عبر عن آمالهم و طموحاتهم، و رفع عن فرنسا قناع الخداع و المكر. و قد تميزت فترة ما بين الحربين العالميتين في الجزائر بميلاد و ازدهار الحركة الوطنية بمختلف مشاربها و اتجاهاتها و منظماتها، فكانت حركة الأمير خالد الجزائري التي دعت إلى الإصلاح و المساواة التي فشلت نتيجة اضطهاد فرنسا، و عزلة الاندماجين، و تصدع حركة المؤتمر الإسلامي، كلّ ذلك فتح الباب على مصراعيه خلال الأربعينيات لحزب الشعب الجزائري الذي مثل امتدادا ثوريا، و دعا إلى استقلال الجزائر، أمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ركّزت على إحياء معالم الشخصية العربية الإسلامية للجزائريين. و قرعت الحرب العالمية الثانية طبولها و الجزائر لا زالت تن تحت وطأة الفقر و التّشرد و السّيطرة و العبودية و المعاناة.

و قد مثلت الدّعوة إلى استقلال الجزائر التي تبناه حزب نجم شمال إفريقيا ثم بعده حزب الشّعب / حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الرّكيزة الأساسية و المنطلق الرئيسي لانبعث الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954 م، و أما باقي الأحزاب السياسية لم تستطع معالجة عمق المشاكل الجزائرية و لم تستطع كذلك المساس بمعالم الشّخصية الوطنية العربية الإسلامية، و هذا رغم بعض التجاوزات التي طالتها من بعض أصحاب المصالح الشخصية و المرتبطين المنبهرين بالحضارة و الثّقافة الفرنسية و الغربية على حد سواء.

و لقد تخرج من هذه المدرسة العديد من المناضلين و الإطارات الذين اقتنعوا بأن كفاحهم ضد الاستعمار إنّما الدافع الحقيقي من ورائه هو الإسلام. و لعلّ أبلغ مثال يتحدث باسمهم هو المناضل و المجاهد أرزقي باسطة الذي كان يؤكّد في كلّ مناسبة أنه يكافح من أجل جزائر مسلمة، و الإسلام هو الذي دفعه للكفاح و الجهاد.

كما أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعبت دورا بارزا في تاريخ الجزائر المعاصر من خلال تكوين جيل متمسك بشخصيته الوطنية و بثالوته المقدس: الإسلام، العربية، و الجزائر. و قد استطاع هذا الجيل أن يعطي لمفاهيم العروبة و الإسلام عمقا مكنه من الدّفاع عن الهوية الوطنية عندما جدّت ساعة الجديّ، و انصهر بذلك في بوتقة الثّورة التحريرية.

تبين لنا من خلال هذه الدّراسة لإيديولوجية الحركات الوطنية أنه رغم المضايقات الشديدة من طرف الاستعمار، حققت جمعية العلماء نجاحا كبيرا في تصحيح عقائد الجزائريين، و تطهيرها من شوائب الشّرك، و الرّجوع بهم إلى منابع الإسلام الأصيلة، كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم يستنبطون بها في دينهم و دنياهم، مقدمة لهم العلم النّافع، فالتفّ حولها الشّعب و آزرها و أيّدها - بإذن الله - في وقت كانت تتناثر فيه الجمعيات كحبيّ الحصيد.

و في الوقت الذي عرفت فيه الثورتين التونسية و المغربية انطلاقا حقيقة و جادة نحو تحقيق الاستقلال، كان التيار الاستقلالي بالجزائر يتعرض لأصعب الأزمات في مساره و أشدها فتكا به، مما أدى ببعض العناصر القديمة من المنظمة الخاصة إلى العودة إلى الجذور بالاعتماد على الخيار العسكري كحل وحيد لاحتواء الأزمة لأن ذلك كفيل بالقضاء على التشرذم و الانقسام الذي لا يفيد الأمة و لا يخدم مصالح الشعب الجزائري.

هكذا و بعد توافر المناخ العالمي و الإقليمي و بسبب المستجدات الجديدة و التحولات العميقة التي طرأت على العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، و مجازر الثامن من ماي 1945، كان لزاما على الحركة الوطنية و من ورائها الشعب الجزائري أن تغير من إستراتيجياتها لمقاومة الاستعمار و القضاء عليه، فأعلن عن اندلاع الثورة التحريرية تحت لواء الوحدة و الاتحاد في كنف جبهة التحرير الوطني التي استطاعت في فترة وجيزة إذا ما قورنت بمرحلة الكفاح السياسي أن تلم شتات المجتمع الجزائري و توحد الشعب تحت راية الجهاد الإسلامي ضد الطغيان المسيحي. و بالفعل استطاعت هذه الثورة أن تعود بمنابعها إلى الأصول الأولى لحظة المقاومات الشعبية المسلحة.

رغم غلبة الطابع المادي على الجانب الروحي للثورة الجزائرية خاصة بعد مؤتمر الصومام، فهذا لم يشكل قطيعة مع مبادئ الدين الإسلامي، و إنما بقيت الثورة متمسكة بالإسلام باعتباره المحرك و الوقود الذي دفعها إلى مقاومة المستعمر المحتل الذي رصد كل الإمكانيات المادية و البشرية للقضاء عليها، أما فيما يخص التحول الذي وقع في أفكار و برامج الثورة فهو ناجم ربما عن تدويل القضية الجزائرية خاصة في منابر هيئة الأمم المتحدة، فأرادت الثورة من وراء ذلك جمع أكبر قدر من الدول المؤيدة لها مهما كانت مشاربها و توجهاتها، لهذا راحت تنوع من منابع أفكارها الذي سيكون الدافع الأساسي لمساندتها و دعم حق الجزائر في التحرر و الانعتاق.

و الذي نستخلصه من كل هذا هو أنّ الإسلام كان و ما زال و سيظل المرجع الأساسي لهذا الشعب، و قصب الرّهان في أي مشروع أو سياسة يرجى لها النجاح في وطننا العزيز. و أنه أي الإسلام تحول و منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، لا إلى الفضاء الرمزي الوحيد تقريبا لوجود الشعب الجزائري و لواقعه و لتعامله معه فحسب، بل إلى العامل التوحيدي الأول للشعب الجزائري.

كما أن الثورة الجزائرية، و من خلال ممارساتها أثبتت أن مبادئ الشريعة الإسلامية كانت تحظى بمكانة خاصة رغم الوضع في الحسبان عدم إثارة الغرب المسيحي. و تعود هذه المكانة إلى اعتبار الإسلام وسيلة لتحرير الجماهير الشعبية، و أن أي مساس بمبادئ الإسلام كان بإمكانه أن يحطم و ينسف كل ما بنته الثورة، و يفقدها الدعم الذي تحتاجه، خاصة و أن قاعدتها العريضة هي طبقة ريفية و فلاحية في الأساس معروفة بشدة تديتها و تمسكها بالدين الإسلامي، كما لا ننسى أن الإسلام يمثل الحصن المنيع الذي تحطمت عند أبوابه كل محاولات التنصير و الاندماج في المجتمع الاستعماري.

كما توجد الكثير من المواقف التي تثبت على منبع الثورة الإسلامي، و من هذه المواقف ما حدث عندما ألقى الاستعمار الفرنسي على أحد أهم قادة الثورة التحريرية الشهيد مصطفى بن بولعيد و زميله عمار بريك، بعد قتل هذا الأخير للقومي التونسي الذي ألق عليهما القبض، و أثناء مكوثهما بالمعتقل و قبل تحويلهما إلى تونس زارهما والد

القومي التونسي الذي قتل. و جرى بينهما حوارا، فسألهما الشيخ: لماذا قتلتم ابني؟ ما هو السبب الذي دفعكم لارتكاب جريمة القتل؟. فأجابه القائد مصطفى بن بولعيد: نحن الجزائريون المسلمون نجاهد في سبيل الحرية و استقلال بلادنا. و الإسلام ديننا مثل بلادكم تونس. و قد كنت توصلت إلى ابنكم، و الله شهيد على ما أقول، أن يدعنا و شأننا و قد اقترحنا عليه الكثير من المال لكنّه لم يرد أن يصغي لنا. و لهذا قتلناه. فلم يبق لنا حلّ آخر غير ذلك. فبقي الشيخ صامتا مفكرا هنيهة، ثم قال لنا: لقد لاحظت هذه الأيام قدوم شخصيات سامية فرنسية جاءت لرؤية الأشخاص الذين قتلوا ابني و لم يأتوا لرؤية ابني الذي مات من أجلهم. فقلت في نفسي، هذه الشخصيات لا تزج نفسها من أجل رؤية مهربين أو مجرمين. ففي شبابي أوقفت مهربين كبار و لا أحد تكلف عناء التّنقل من أجلهم أو من أجل تهنتنا. و لهذا أردت أن أتأكد بنفسي لأني فهمت أنّكما لستما من المهربين و لا مجرمين مثلما قال لي النقيب مسؤول الحامية و ما قلتموه لي أنفا هو الصحيح. و عليه و نيابة عن ابني أعتذر لكم عن ما بدر منه، و ربما لو علم حينها و اقتنع بأنكما من المجاهدين في سبيل الله ، لكان من المؤكد أن يطلق سراحكما و لكن هذا هو المكتوب. إذ يجب أن لا نقف أبدا ضد المجاهدين في سبيل الله و الإسلام و في سبيل تحرير بلاد مسلمة و شقيقة.

كذلك ما يدل على إيمانية الثورة هو ذلك الكلام الذي نطق به العقيد أولحاج قائد الولاية الثالثة لمنطقة القبائل في حضرة المناضل و المجاهد أرزقي باسطة، خلال اللقاء الذي جمعهما بعد وقف إطلاق النّار و بالتحديد في 19 أفريل 1962، إذ قال : " نعم بالفعل لقد كان الله عز و جل معنا و لولا الإيمان بالله سبحانه و تعالى ما كان أحد منا ليواجه و يصمد أمام تلك الشدائد لقد كان العديد من المجاهدين يأتون إلينا يطلبون الإذن للقيام بعمليات استشهادية ضد العدو."

لقد أغفل أو تجاهل معظم الباحثين و الدّارسين الفرنسيين أبعاد القضية الوطنية، لذلك عملوا على تشخيص المقاومة في أضيق إطار لها من خلال التركيز على الأحزاب السّياسية و الظروف الاقتصادية و الاجتماعية الصّعبة للشعب الجزائري، و من خلال هذه المنطق جاء تفسيرهم للثورة التّحريرية مستمدا من واقع الأفكار الحزبية التي كانت تنشط على الساحة السّياسية، بل أنهم نفوا أي بعد إسلامي للثورة الجزائرية، و زعموا أن فكرة القومية الجزائرية خلقت بفضل الثورة التي استطاعت أن تجمع شتات المجتمع الجزائري حول فكرة الاعتماد على مقومات الشّخصية الوطنية، و يستدلون على ذلك بأنّ التّيارات الوطنية في الجزائر كانت تختلف اختلافا بينا و جوهريا في نظرة كل منها لمستقبل الجزائر.

و الواقع أنّ الكفاح التّحرري الجزائري عندما تحول إلى ثورة عارمة سنة 1954 م لم يترك المجال لأي منافسة سياسية، و ربما هذا راجع لكون أن الأحزاب السّياسية قد واجهت واقعا استعماريّا مريرا بطرق فاشلة، خاصة و أن الطبقات الشّعبية العريضة كانت معظمها بعيدة عن هذا العمل السّياسي. و مع توفر أوّل فرصة سمحت للشّعب بالمشاركة في العمل المسلّح حدث تغير جذري في تفكير الكثير من القادة السّياسيين، و بخاصة أولئك الذين ارتبطوا ارتباطا وثيقا بفرنسا و بالتّقاليد الغربية. و على هذا الأساس فإنّ الشّعور الجماعي بضرورة الدفاع عن مقومات الشّخصية الوطنية الجزائرية و توحيد كلمة الكفاح تحت لواء الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي هو الذي غير أنماط

التفكير القديم و قضى على التّعرات و الصّراعات الحزبية، و أظهر عقم التّضال السّياسي عن طريق الأحزاب و الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يؤدي إلى الاستقلال التام للجزائر. و انطلاقاً من هذا كان واجب توحيد الصّفوف و رصّها تحت لواء جبهة التحرير الوطني و باسم الجهاد هو الحل الوحيد و السّليم لتحقيق غاية التّحرر و الانعتاق. إنّ النّظرة إلى الثّورة التّحريرية المباركة يفرض علينا أن نذكر أنّها ثورة المعجزات و التضحية و الإيمان بضرورة خدمة المثل العليا التي تجاوز آثارها الإطار الوطني الضيق إلى عالم الإنسانية جمعاء. إنّ الجيل الذي صنع الثورة يمكن أن نقول عليه و بدون مبالغة و لا مغالاة بأنّه عمل عمله هذا لأنه آمن بمبدأ الجهاد فقدم روحه و كل ما يملك فداء لهذا الوطن.

إنّ جيل ثورة التّحرير قد أظهر منذ الوهلة الأولى انتسابه للأمة العربية الإسلامية، و راهن على كل القضايا و أبان عن استعدادة للتضحية من أجل الدفاع عن كل المثل العليا، كما أنه كان شديد الحرص على الظهور بمظهر الارتباط بإسلامه عن طريق التحلي بمكارم الأخلاق و التّعلق بالسّيرة المحمدية. إنّ من حقائق الثّورة التي لا يغفل عنها إلا الغافلون أن جهاد كل قرية من قرانا، بل كل حي من أحيائنا أو جماعة من جماعاتنا كانت ترجع إلى تراثنا الفكري لتنادي بوجوب الجهاد و تفضيل الاستشهاد على العيش تحت سيطرة المحتل الغاصب.

إنّ مثل الصّراع الذي دار بأرض الجزائر بين المجاهدين و المحتل كمثل الصّراع بين الحق و الباطل؛ فأما ما ينفع الناس فهو الحق و المجاهدون، و أما الغناء فهو الباطل و فرنسا. و عليه فقد تسلّح المجاهدون بسلاح الإيمان بالله و الوطن، فكانوا مثالا في التفكير العبقري و السلوك الإنساني و النموذج الأخلاقي القويم و السّليم الأمر الذي جعلهم يندفعون في أجيج اللهب المقدس، لهيب الحرب التّحريرية. و كانت إرادتهم من إرادة الله، فقال لهم الرب عبادي و قال الشعب لبيك ربي.

لقد جسدت الثّورة التّحريرية بمبادئها و أعمالها أسمى عبارات و صور المعايير و القيم الدينية و الأخلاقية التي كانت بحق أسمى صور المثل الأعلى الأخلاقي الذي يكن أن يتحقق في مجتمع إنساني معاصر، فكان لها تلك القوة الجاذبة للشباب الذي التف حولها، حيث ظل الالتحاق بصفوفها عنوان شرف يجب كل ما سبق من عيوب، فكانت الثورة للبعض منهم عملية اكتمال أخلاقي و تتويجا للمرحلة النهائية في بناء الشخصية. و عليه فقد كانت الثّورة أكبر و أفضل مصنع لإنتاج الرجال و تخريج الأبطال و الشهداء، و صقل مكارم الطباع و الأخلاق.

و عموماً إنّ أدبيات الحركة الوطنية و نصوص و موثيق الثورة الجزائرية منحت مكانة هامة و مرموقة للدين الإسلامي، الذي كان دافعاً و محركاً قوياً للمطالبة بالاستقلال و التأكيد على الشخصية العربية الإسلامية للجزائريين، و هكذا "نجد أنفسنا أمام إسلام سياسي شكل مرجعاً و إيديولوجية محرّكة للمجتمع، فالإسلام لم يبق مرتبطاً بالجانب العقائدي فحسب، بل تعداه إلى المجال السّياسي، بعد ارتباطه بفكرة المقاومة و التّحرر." غير أنّ هذه الفكرة لم تكن وليدة ثورة نوفمبر 1954، بل ترجع أصولها إلى مرحلة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931، و ربما تتّعداها إلى مرحلة المقاومات الشّعبية المسلّحة ضد الاحتلال الأجنبي.

اجتمعت عدة عوامل ساعدت على إنجاح البعد الإسلامي داخل الثورة التحريرية، و منها استغلال هذا البعد لعدة عوامل في قضية التحرير منها: العروبة، و الإسلام، و قد دفعت كلّها بالدّول الإسلامية إلى التّحرك من أجل مساندة القضية الجزائرية و نصرتها في المحافل الدّولية.

إنّ فضل الدين الإسلامي على تاريخ الجزائر عموماً، و على تاريخها المعاصر خصوصاً، لا يمكن أن ينكره أي أحد لأنه نفض عنها عبئ الاحتلال الأجنبي أكثر من مرة.

إنّ الإسلام هو أغلى ثروة جاد بها الله سبحانه و تعالى على أرض الجزائر ، و طالما أنّه موجود بفضل آبائنا و أجدادنا المحافظين، فلا أقل من ذلك أن نحافظ عليه لننقله إلى أبنائنا و أحفادنا، لأنّ الثّروة الحقيقة لكلّ شعب تكمن في مدى محافظته على الأخلاق و الإيمان و العقول المتفتحة في الإسلام و على الإسلام.

عموماً إنّ كتابة تاريخ الجزائر إبان الثّورة التحريرية الكبرى لا ينبغي أن يقف عند مجرد تسجيل الوقائع و سرد الحوادث فقط، بل يجب أن يتعدى ذلك إلى ما وراء تلك الحوادث، من مبادئ و قيم قام عليها الجهاد، و فضائل تحلّى بها المجاهدون، و عبر و معاني يراد توصيلها للأجيال اللاحقة، و حقائق لا زالت مغموسة و مغمورة و جب نفض الغبار المتراكم عليها حتى لا تبق حبيسة النّسيان. و عليه فإن الكثير من المواضيع في هذا الحقل تفرض نفسها على الباحث ليخوض فيها منها مثلاً: البعد الديني في الحركة الوطنية و الثورة التحريرية، و كذلك البعد الديني في الثورة من خلال مذكرات جزائرية، و البعد الديني في خطابات و رسائل مصالي الحاج، و البعد الإسلامي في كتابات الشيخ عبد الحميد بن باديس أو الشيخ البشير الإبراهيمي.

الملاحق

الملاحق رقم 1: القرارات التي اتخذها مؤتمر هورنو لحركة انتصار الحريات الديمقراطية المنعقد ببلجيكا

في 14،15،16 من شهر جويلية 1954.

استبعاد القادة السابقين لحركة انتصار الحريات الديمقراطية

قرر المؤتمر غير العادي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، الذي انعقد في بلجيكا في 14، 15، 16 من جويلية 1954 بأغلبية 391 صوتا، و امتناع 12 ما يلي:

1- حل اللجنة المركزية.

2- أن يستبعد من حيث المبدأ أعضاء الإدارة السابقة، و أعضاء اللجنة المركزية المنحلة، المسؤولين عن الانحراف

السياسي، و التصرفات المخالفة للأوامر، و استعمال أموال الحزب.

3- أن يرد القادة السابقون أو أي حائز أموال الحزب إلى الرئيس أو ممثليه.

و في سبيل تنفيذ هذه القرارات، منح المؤتمر غير العادي رئيس الحزب الثقة التامة و أعطاه السلطات المطلقة،

و يطلب منه مع ذلك: أن يقدر مسبقا درجات المسؤوليات التي يتعين النظر في أمرها حتى يوقع الجزاء على كل فاعل

تبعا للمسؤولية التي كان يتحملها، و مع الأخذ في عين الاعتبار أن الإدارة السابقة هي التي كانت العامل المحرك

لسياسة الانحراف، و من تم فيجب توقيع الجزاء عليها بشدة و حزم.

و بناء على ذلك: فإننا نحن مصالي الحاج، رئيس حركة انتصار الحريات الديمقراطية، بالنظر إلى حل اللجنة المركزية

و استبعاد القادة السابقين من حيث المبدأ حسب قرار المؤتمر غير العادي المنعقد في 14، 15، 16 من جويلية

1954.

و بالنظر إلى الثقة و السلطات المطلقة التي منحني إياها أعضاء المؤتمر لتحديد مسؤوليات القادة السابقين.

و بالنظر إلى رفض الأخيرين رد أموال الحزب طبقا لقرار المؤتمر، و بالنظر إلى مسؤولياتنا أمام الله و أمام الشعب

الجزائري و أمام المناضلين، فإننا نعلن أن القادة السابقين: بن خدة، حول حسين، كيوان عبد الرحمان، عبد الحميد

علي، فروحي مصطفى، يزيد محمد، لوانشي محمد و بودا أحمد، مسؤولون عن الانحراف السياسي، و عن التصرفات

المخالفة، للأوامر و استعمال أموال الحزب و كذا عدم رد هذه الأموال.

و من ثم نعلن استبعادهم نهائيا من حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

نيور في 18 من أوت 1954.

المصدر بلعيد، (رابح)، الحركة الوطنية الجزائرية 1945-1954- دراسة و وثائق غير منشورة-

دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2015، ص 639-640.

الملحق رقم 2: القرارات التي اتخذها المؤتمر غير العادي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية المنعقد

بمدينة الجزائر في 13، 14، 15، 16 من شهر أوت 1954.

القرارات التي اتخذها المؤتمر غير العادي لحركة انتصار
الحرية الديمقراطية المنعقد بمدينة الجزائر في 13، 14، 15،
16 أوت 1954

بعد أن استمع المؤتمر غير العادي للحزب المنعقد في 13، 14، 15، 16 من أوت
1954 إلى التقرير المقدم من اللجنة المركزية وناقشه، اتخذ القرارات التالية:

الحركة الوطنية الجزائرية 1945 - 1954

- انتخب
1- لحوّل م به
2- بن نخل
3- زبير (يات)
4- مهري الحالة
5- فروثلاثة
6- بودي، تيبا
7- جيا
8- الحزب
9- ك
10- د لمصالي
11- ميز.

أ- الإدارة، والتشكيل: تكليف اللجنة المركزية بإعادة تنظيم الحزب على أساس
جئ الآتية:

المركزية الديمقراطية.

ب- الإدارة الجماعية على كل مستويات الحزب.

ج- تخفيف التدرج الطبقي بقصد تيسير الاتصالات بين المناضلين والقادة.

د- تخصص المهام داخل الهيئات كلها ابتداء من الخلية، نواة الحزب.

د- تعديلات النظام الأساسي

إضافة فقرة على المادة 8، نصها:

«د) انتخاب مسؤولي القسام بواسطة المناضلين».

2. إلغاء المواد 16، 24، 25، 26 بلا قيد أو شرط.

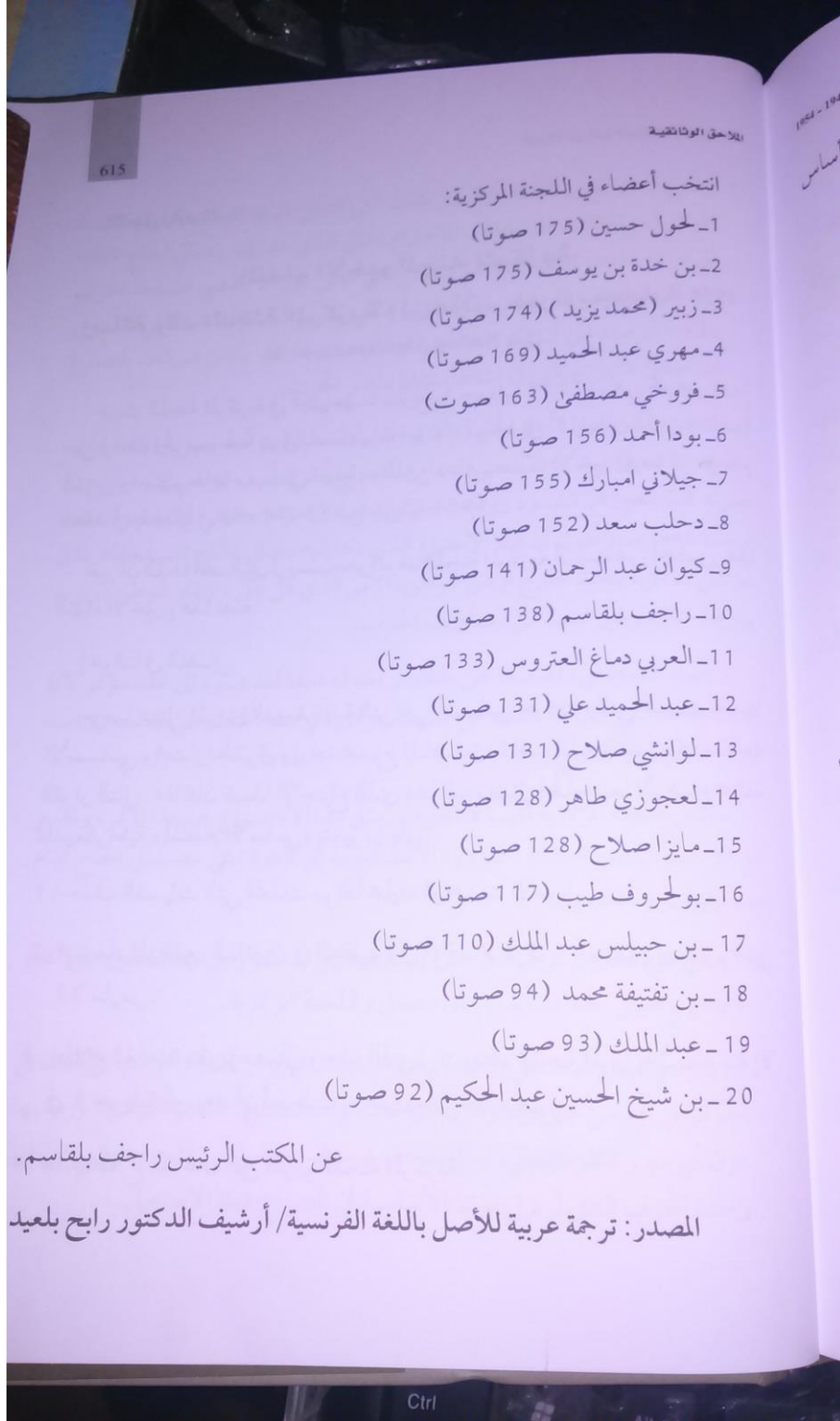
3. إلغاء المادة 17، وتستبدل بها المادة التالية:

«يُنتخب المؤتمر أعضاء اللجنة المركزية، كلهم أو بعضهم، ويجب أن يكون أعضاء
اللجنة المركزية تابعين للحزب لخمس سنوات على الأقل، ويجب أن يكون
لأعضاء اللجنة المركزية نشاط مستمر داخل الحزب»

4. إلغاء المادة 22، ويستبدل بها المادة التالية: «تتولى الأمانة الدعوة إلى اجتماع اللجنة
المركزية بناء على طلب لجنة الإدارة أو ثلث أعضاء اللجنة المركزية».

5. إلغاء المادة 23 ويستبدل بها المادة التالية: «تعين اللجنة المركزية لجنة إدارة تقوم
بدورها بتعيين أمانة تتبعها من 3 إلى 5 أعضاء منهم الأمين العام، وتتولى لجنة
الإدارة تنفيذ قرارات اللجنة المركزية، وتكون مسؤولة أمامها».

انتخاب اللجنة المركزية: أعلن مكتب المؤتمر غير العادي النتائج التالية:



المصدر بلعيد، (رايح)، الحركة الوطنية الجزائرية 1945-1954 - دراسة و وثائق غير منشورة-

دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2015، ص 613-615

الملحق رقم 3 : بيان أول نوفمبر:

هذا هو نص أول نداء لجهة التحرير الوطني، الذي وجهته الكتابة العامة لجهة التحرير الوطني إلى الشعب الجزائري في فاتح نوفمبر 1954.

" إلى الشعب الجزائري... إلى المكافحين في سبيل القضية الوطنية.

إليكم نتوجه بندائنا هذا أنتم الذين ستحكمون لنا أو علينا إلى الشعب الجزائري بصفة عامة و إلى المناضلين بصفة خاصة و غرضنا من نشر هذا النداء هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى الكفاح و ذلك بأن نشرح لكم برنامجنا و نبين لكم صحة آرائنا و مغزى كفاحنا المبني على أساس التحرير الوطني في نطاق الشمال الإفريقي كما نرغب في أن نزيل عنكم تلك البلبلة التي يعمل على تميمتها الاستعمار و عملاؤه من الإداريين و السياسيين المتعنفين و نعتبر قبل كل شيء أن الفقرات التي تكون حلقات الكفاح الماضية قد وصلت اليوم إلى المرحلة الأخيرة ذلك أن الهدف من كل حركة ثورية هو إيجاد الظروف المواتية لعمل تحريري و نحن نرى الآن أن الشعب في النطاق الداخلي موحد تحت شعار الاستقلال و العمل، و أن الجو في النطاق الخارجي مناسب و يساعدنا على أن نتحصل على مساعدة إخواننا العرب و حل مشاكلنا الثانوية بالطرق الدبلوماسية.

إن الحوادث الثورية الجارية اليوم في كل من مراكش و تونس تبين بوضوح كيف يكون الكفاح التحريري لشمال إفريقيا و بهذا الصدد نود أن نقول بأننا كنا منذ زمن طويل أصحاب فكرة وحدة الشمال الإفريقي و توحيد الكفاح و العمل من أجل التحرير و الوحدة المنشودة و لكن هذه الوحدة لم تتحقق مع الأسف إلى اليوم، و هكذا نرى اليوم كلا من تونس و المغرب قد أخذ يسلك بعزم طريق الكفاح المشترك بينما تخلفنا نحن عن المسير و بقينا نعاني آلام تأخرنا و نتحمل عواقب من فاتهم الركب.

و هكذا تنكبت حركتنا الوطنية عن الطريق بسبب أعوام مضت عليها من الخمول و العمل البطيء و نتيجة للتوجيه المنحرف و انعدام التأييد الواجب من الرأي العام كل هذه العوامل جعلت الحركة الوطنية تنكمش يوما بعد يوم أمام فرح الاستعمار الذي يظن أنه أحرز انتصارا كبيرا ضد القوى التي تتقدم الكفاح الجزائري، إن الساعة خطيرة. و أمام هذه الوضعية التي تهدد بأن تصير ميؤوسا منها رأى نفر من الشباب المسؤولين و المناضلين الواعين و هو مؤيدون من طرف أغلبية العناصر الوطنية الشريفة بأن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي سارت فيه بسبب خلافات شخصية و بإعلان الكفاح إلى جانب إخوانهم التونسيين و المغاربة في المعركة الثورية الحقيقية.

و نحن نؤكد بهذا الصدد أننا مستقلون عن الجانبين اللذين يتنازعان النفوذ و السيادة الحزبية أن حركتنا وفقا للمبادئ الثورية ليست موجهة ضد أحد إلا الاستعمار الذي هو عدونا الوحيد الأعمى الذي رفض دائما أن يمنحنا أدنى حرية بوسائل الكفاح السلمي، و بذلك نكون قد وضعنا المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات الشخصية، و نحن نعتقد أن في كل ما سبق الأسباب الكافية لكي تتقدم حركتنا المجددة تحت اسم:

جبهة التحرير الوطني

و ذلك لكي نتجنب كل الأخطاء الممكنة و نفتح باب الكفاح لجميع الوطنيين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية و من كل الأحزاب و الحركات الجزائرية الخالصة ليتمكنوا من خوض معركة التحرير دون أي اعتبار آخر و لكي نبين لكم بدقة أهداف كفاحنا نرسم فيما يلي الخطوط الرئيسية لبرنامجنا السياسي:

الهدف

الهدف: الاستقلال الوطني و ذلك بواسطة:

أولا: إقامة حكومة جزائرية ذات سيادة ديمقراطية و اجتماعية داخل إطار المبادئ الإسلامية.

ثانيا: احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز بين الأجناس و العقائد.

المرامي الداخلية

أولا: إجراء عمليات تطهير سياسية و ذلك بإعادة الحركة الوطنية الثورية إلى طريقها الحقيقي و بمحو بقايا الفساد الذي تسبب في تدهورنا الحالي.

ثانيا: تعبئة و تنظيم جميع القوى الصالحة في الشعب الجزائري للقضاء على النظام الاستعماري.

المرامي الخارجية

أولا: تدويل القضية الجزائرية.

ثانيا: تحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطارها الطبيعي و هو العروبة و الإسلام.

ثالثا: تأكيد محبتنا الفعالة في إطار ميثاق هيئة الأمم لجميع الأمم التي تؤيد حركتنا التحريرية.

أساليب الكفاح

أولا: استمرار الكفاح بكل الوسائل إلى أن تتحقق أهدافنا و ذلك طبقا للمبادئ الثورية و مراعاة للظروف الداخلية و الخارجية.

و لكي نتوصل إلى هذه الأهداف سيكون لجهة التحرير الوطني عملاقان رئيسيان يسيران جنبا لجنب: عمل داخلي في الميدانين السياسي و العسكري و عمل خارجي يتلخص في جعل المشكلة الجزائرية حقيقة واضحة أمام دول العالم و شعوبه و بتأييد حلفائنا الطبيعيين و هذا عمل شاق يتطلب تعبئة جميع القوى و الموارد الوطنية، حقا أن الكفاح سوف يكون طويلا و شاقا و لكن النتيجة محققة.

مطالبنا

و أخيرا كي نتجنب التأويلات الغالطة التي قد يحلو للمفسدين أن يتهموا بها حركتنا و لكي نبرهن على صدق رغبتنا في السلام و لكي نحدد من الخسارة في الأرواح و إراقة الدماء نقدم إلى المناقشة عرضا شريفا إلى السلطات

الفرنسية إن كانت هذه تنطوي على نوايا حسنة بأن تبادر إلى الاعتراف لكل الشعوب التي تستعمرها بحق تقرير المصير.

أولاً: الاعتراف بالقومية الجزائرية في إعلان رسمي ينسخ كل قانون أو أمر أو قرار يجعل من الجزائر أرضاً فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا واللغة والمعتقد وأخلاق الشعب الجزائري.

ثانياً: فتح مفاوضات مع الذين لهم حق التحدث باسم الشعب الجزائري على قاعدة الاعتراف بالسيادة الجزائرية.

ثالثاً: إيجاد جو من الثقة وكذلك بالإفراج عن المعتقلين والمسجونين السياسيين ورفع جميع الإجراءات الاستثنائية ووقف كل تتبع ضد القوى المكافحة و في مقابل هذا:

1 - نضمن احترام المصالح الفرنسية الثقافية والاقتصادية التي اكتسبت بطرق مشروعة وكذلك احترام الأشخاص والعائلات.

2 - جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء في الجزائر يكون لهم الحق في أن يختاروا بين البقاء على جنسيتهم الأصلية الجارية و في هذه الحالة يعتبرون أجناب تجاه القوانين الجارية و بين الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون مواطنين جزائريين لهم ما لكل جزائري من حقوق و واجبات.

3 - تحدد العلاقات بين الجزائر و فرنسا بموجب اتفاقية تعقد بين الدولتين على قاعدة الاحترام المتبادل.

أيها الشعب الجزائري! إننا ندعوك أن تفكر في مضمون ميثاقنا السابق إن واجبك هو أن تساهم في تحقيقه حتى تنفذ وطننا و ترجع إليه حريته.

إن جبهة التحرير هي جبهتك و أن انتصارها هو انتصارك.

أما نحن فقد هممنا على السير بالكفاح حتى النهاية واثقين من حقيقة مشاعر المعادية للاستعمار و أقوىاء بتأييدك.

و سوف نعطي أعلى ما عندنا في سبيل الوطن.

فاتح نوفمبر 1954

الكتابة العامة لجبهة التحرير الوطني.

المصدر: يحيى، (بوعزيز)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير

الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، 187

صفحة، ص 10-13.

موالاة المستعمر خروج عن الإسلام*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها المستمعون الكرام... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
إذا قلنا إن موالاة المستعمر خروج عن الإسلام فهذا حكم مجمل، تفصيله أن الموالاة مفاعلة أصلها الولاء أو الولاية، وتمسها في معناها مادة التويي والألفاظ الثلاثة واردة على لسان الشرع، منوط بها الحكم الذي حكمنا به وهو الخروج عن الإسلام، وهي في الاستعمال الشرعي جارية على استعمالها اللغوي وهو - في جملته - ضد العداوة، لأن العرب تقول وَالَيْتُ أَوْ عَادَيْتُ، وفلان ولي أو عدو، وبنو فلان أولياء أو أعداء، وعلى هذا المعنى تدور تصرفات الكلمة في الاستعمالين الشرعي واللغوي.

وماذا بين الاستعمار والإسلام من جوامع أو فوارق حتى يكون ذلك الحكم الذي قلناه صحيحًا أو فاسدًا؟

إن الإسلام والاستعمار ضدان لا يلتقيان في مبدأ ولا في غاية. فالإسلام دين الحرية والتحرير، والاستعمار دين العبودية والاستعباد؛ والإسلام شرع الرحمة والرفق، وأمر بالعدل والإحسان، والاستعمار قوامه على الشدة والقسوة والطغيان؛ والإسلام يدعو إلى السلام والاستقرار، والاستعمار يدعو إلى الحرب والتقتيل والتدمير والاضطراب؛ والإسلام يثبت الأديان السماوية ويحميها، ويقرر ما فيها من خير ويحترم أنبياءها وكتبها، بل يجعل الإيمان بتلك الكتب وأولئك الرسل قاعدة من قواعده وأصلًا من أصوله، والاستعمار يكفر بكل ذلك ويعمل على هدمه، خصوصًا الإسلام ونيه وقرآنه ومعتنقيه.

نستنتج من كل ذلك أن الاستعمار عدو لدود للإسلام وأهله، فوجب في حكم الإسلام اعتبار الاستعمار أعدى أعدائه، ووجب على المسلمين أن يطبقوا هذا الحكم الإسلامي وهو معاداة الاستعمار لا موالاته.

* كلمة أُلقيت بإذاعة «صوت العرب» بالقاهرة، عام 1955.

الاستعمار الغربي - وكل استعمار في الوجود غربي - يزيد على مقاصده الجوهرية وهي الاستئثار والاستعلاء والاستغلال، مقصدًا آخر أصيلاً وهو محو الإسلام من الكرة الأرضية خوفاً من قوته الكامنة، وخشية منه أن يعيد سيرته الأولى كرة أخرى.

وجميع أعمال الاستعمار ترمي إلى تحقيق هذا المقصد، فاحتضانه للحركات التبشيرية وحمائته لها وسيلة من وسائل حربه للإسلام.

وتشجيعه للضالين المضلين من المسلمين غاية تجريد الإسلام من روحانيته وسلطانه على النفوس، ثم محوه بالتدرج.

ونشره للإلحاد بين المسلمين وسيلة من وسائل محو الإسلام، وحمائته للآفات الاجتماعية التي يحرمها الإسلام ويحاربها كالخمر والبغاء والقمار، ترمي إلى تلك الغاية. ففي الجزائر - مثلاً - يبيح الاستعمار الفرنسي فتح المقامر لتبديد أموال المسلمين، وفتح المخامر لإفساد عقولهم وأبدانهم، وفتح المواخير لإفساد مجتمعهم، ولا يبيح فتح مدرسة عربية تحيي لغتهم أو فتح مدرسة دينية تحفظ عليهم دينهم.

ويأتي في آخر قائمة الأسلحة التي يستعملها الاستعمار الغربي لحرب الإسلام اتفاهه بالإجماع على خلق دولة إسرائيل في صميم الوطن العربي، وانتزاع قطعة مقدّسة من وطن الإسلام وإعطائها لليهود الذين يدينون بكذب المسيح وصلبه، وبالطعن في أمه الطاهرة.

فالواجب على المسلمين أن يفهموا هذا، وأن يعلموا أن من كان عدوًّا لهم فأقلّ درجات الإنصاف أن يكونوا أعداء له، وأن موالاته بأي نوع من أنواع الولاية هي خروج عن أحكام الإسلام، لأن معنى الموالاتة له أن تنصره على نفسك وعلى دينك وعلى قومك وعلى وطنك.

والمعاذير التي يعتذر بها الموالون للاستعمار كالمدارة وطلب المصلحة، يجب أن تدخل في الموازين الإسلامية، والموازن الإسلامية دقيقة ترن كل شيء من ذلك بقدره وبقدر الضرورة الداعية إليه، وأظهر ما تكون تلك الضرورات في الأفراد لا في الجماعات ولا في الحكومات.

وموالاتة المستعمر أقبح وأشنع ما تكون من الحكومات، وأقبح أنواعها أن يُحالف، حيث يجب أن يخالف، وأن يعاهد، حيث يجب أن يجاهد، وأقبح ما فيها من القبح أن يحالف استعمار على حرب استعمار.

وقد كانت الحروب قبل اليوم لمعانٍ بعضها شريف، وقد يكون أحد الجانبين فيها على حق. أما هذه الحروب التي لا تنتهي الواحدة منها إلا وهي حامل مُقرب بأخرى أشدّ منها

هولاً، وأشنع عاقبة، فلم يبق فيها شيء من معاني الشرف ولا من معاني الرحمة ولا من معاني الكرامة الإنسانية، وإنما هي حرب مجنونة يبعثها حب الاستعلاء والتسلط على الضعفاء، والاستئثار بخيرات أرضهم، والضعفاء دائماً هم الأدوات التي تقع بها الحرب، وتقع عليها الحرب، فهم في السلم محل النزاع، وفي الحرب ميدان الصراع.

لا مثال للبلاهة والبلادة أوضح من مخالفة الضعيف للقوي إلا إذا صحَّح في الواقع وفي حكم العقل أن يحالف الديك النسر، أو تحالف الشاة الذئب.

كيف نحالف الأقوياء وقد دلت التجارب أنهم إنما يحالفوننا ليتخذوا من أبنائنا وقوداً للحرب، ومن أرضنا ميداناً لها، ومن خيرات أرضنا أزواداً للقائمين بها، ثم تنتهي الحرب ونحن المغلوبون الخاسرون على كل حال، وقد تكررت النذر فهل من مُدَكِّر؟

أيها المسلمون أفراداً وهيئات وحكومات:

لا توالوا الاستعمار فإن موالاته عداوة لله وخروج عن دينه.

ولا تتولّوه في سلم ولا حرب فإن مصلحته في السلم قبل مصالحكم، وغنيمته في الحرب هي أوطانكم.

ولا تعاهدوه فإنه لا عهد له.

ولا تأمنوه فإنه لا أمان له ولا إيمان.

إن الاستعمار يلفظ أنفاسه الأخيرة فلا يكتب عليكم التاريخ أنكم زدتم في عمره يوماً بموالاتكم له.

ولا تحالفوه فإن من طبعه الحيواني أن يأكل حليفه قبل عدوّه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصدر: أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 1954، 1964/5، دار

الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997، ص 68، 70، 69.

الجزائر المجاهدة^(*)

لو قسمت حظوظ الجهاد بين الأمم لحازت الجزائر قصبات السبق، ونطلق الجهاد على معناه الواسع الذي يقتضيه اشتقاقه من الجهد، ولنبدأ بمعناه الخاص وهو جهاد العدو الأجنبي المغير على الوطن، وقد وضع الله للجزائر في موضع يدعو إلى الجهاد وعلى وضع يدعو إلى الجهاد، فموضعها الضفة اليسرى للبحر الأبيض للمتجه إلى المغرب، ووضع الأمم اللاتينية على الضفة اليمنى والبحر بينهما يضيق إلى عشرات الأميال كما بين صقلية وبنزرت في تونس، ويتسع إلى مئات الأميال كما بين مدينة الجزائر ومرسيليا، والأمم اللاتينية أمم مطامع وفتوح وكبرياء ودماء منذ كانوا، لم يزدوا المسيحي السامي الروح إلا ضراوة بذلك لأن طبيعتها المادية المتكالب غلبت طبيعته الروحية المتسامحة وبذلك أصبح دينا رومانيا لا شرقيا.

والأمة الجزائرية هي بعض جزء من البربر في القديم وبعض جزء من العرب في الحديث، وكلتا الأمتين لها خصائص متقاربة في الإباء والحفاظ والأنفة واعتبار الحمى عرضا تحب الموت دونه، وفي معنى السخاء الذي يبتديء بالمال ويعلو فينتهي بالروح - والجود بالروح أقصى غاية الجود.

وجاء الإسلام فأخرج من المزاج المشترك بين العنصرين مزاجا ثالثا وقوى معنى الحمى والحوض والحفاظ وهي المعاني التي كان يتهالك العرب ويتفانون لأجل حمايتها إلى معنى روحاني أعلى وأسمى وهو الجهاد دفاعا وهجوما لاعلاء كلمة الله وهي نشر العدل والإحسان في الأرض ونشر الخير والمحبة في نفوس أهل الأرض.

هذا المزاج المتحذر من الخصائص الفطرية التي زادها الإسلام تشبيها وأولاهها عناية وغريلة، هو الذي ترك الأمة الجزائرية أمة جهاد بجميع معانيه، وعلى هذا المعنى يجب أن يبني المؤرخ تاريخ الجهاد النفسي في هذه الأمة.

لم تخل العصور الإسلامية من الجهاد بالنفس في الجزائر لأن الجارين المتقابلين على ضفتي البحر الأبيض أصبح كل واحد منهما بالمرصاد لصاحبه، وانتقل لب الصراع بينهما من ميدان إلى ميدان فبعد أن كان صراعا على العيش أو التوسع في العيش أو صراعا على الزيت والقمح - وهما المادتان اللتان جلبتا الفتح الروماني على افريقيا الشمالية - صار صراعا على الدين زاد في شدته أن العرب بدينهم خلفوا الرومان على حضارتهم في افريقيا لمسوهم من جبل طارق تلك اللمسة المؤلمة التي تطيروا وطاروا فزعا وظنوا أنها القاضية على روما وديانتها وحضارتها وشرائعها، وهذا الميدان الذي انتقل إليه الصراع أعمق أثرا في النفوس ويزيد في عمقه أن حامله العرب قوم لا تلين لهم قناة ولا يصطلى بنارهم.

ندع الفترة الرومانية الضعيفة التي سبقت الفتح الإسلامي وبدأت من يوم انقسام روما إلى شرقية وغربية وصاحبته فهي فترة سلم اضطراري، ومضى الرومان فغاضوا وقوي العرب فغاضوا، وتتحدر مع التاريخ إلى ضعف الأندلس وملوك الطوائف وتداعى اللاتين إلى احياء روح الشار والانتقام وشن الغارات على سواحل المغرب من سواحل تونس الشرقية إلى السواحل المراكشية على المحيط، فالجزائر كان لها القدر المعلن في الجهاد

تارة منظما على أيدي الدول والاستنفار وتارة - وهو الدائم الذي لا ينقطع - بالوازع النفساني الفردي وهو الرباط الذي يشبه في جهته الفردية حرب العصابت اليوم.

فكانت الشغور الجزائرية المشهورة والمهجورة التي يتطرق منها العدو عامرة دائما وأبدا بالمرابطين وهم قوم نذروا أنفسهم لله ولحماية دينه يبتغون فضلا من الله ورضوانا لا يرزؤون الحكومات شيئا من سلاح ولا زاد وإنما يتسلحون ويتزودون من أموالهم ليجمعوا بين الحسينيين الجهاد بالمال والجهاد بالنفس، وسلسلة الرباط لم تنقطع إلا بعد استقرار الأمر لفرنسا. وإنما كانت تشتد وتخف تبعا لما يبدو على الضفة الأخرى من نشاط وخمود، وكانت على أشدها في المائة التاسعة والعاشر والحادية عشرة في الوقت الذي عادت فيه الكرة للإسبان على المسلمين في الأندلس واغتنتمها الإسبان فرصة لاحتلال ثغور البحر المتوسط الأفريقية ومعظمها في جزائر اليوم.

احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830 تنفيذًا لخطة مرسومة تقتضي إعادة شمال أفريقيا لا تبتيا كما كان قبل الإسلام، وإذا كان قديما على يد الرومان وكان اليوم على يد الفرنسيين فإنما ذلك توارث بين ابن العم وابن عمه، والخطة تقتضي احتلال الجزائر اليوم، واحتلال جناحيها يوم مجيء الوقت، ومعاونة من يريد احتلال جزء آخر من التراث الإسلامي.

وسكت العرب عن هذه الفاجعة التي حلت بقطعة جليلة من وطنهم الأكبر، وسكت المسلمون من ورائهم كأن الأمر لا يعنيههم، وما دروا أن ضياع الجزائر مؤذن بضياع غيرها وأن موت البعض من بعض قريب كما يقول الشاعر:

وانخست تركيا قاعة بالموجود وما درت أن الموجود اليوم مفقودا غدا

ولكن الجزائريين لم يسكتوا وبدأت المقاومة لأول أمرها قريبة من نظام المراقبة ثم نظمت على يد الأمير عبد القادر بن محي الدين وقيادته وبلغت الأوج في سنواتها الأولى وأصبحت مرهونة يخشى بأسها في سنواتها الوسطى وذاق الفرنسي الوبال وتحمل الجزائري عن بطولة كاملة يرفدها الروح المركب بيد الإسلام من حقيقة العربي والبربري التي أصبحت بفضل حقيقة واحدة وبقي الحفاظ متأججا ست عشرة سنة تعاونت العوامل في آخرها على القائد عبد القادر فاستسلم مكرها وتحطمت المقاومة الجماعية المنظمة بتسليم الأمير. ولكن هل تحطمت المقاومة بتسليم الأمير؟.

لم تحطم المقاومة إلا في السهول التي مهد سبلها وفعل فيها الجيش الفرنسي الأفاعيل الوحشية التي يعترف بها القادة مثل القائد سانت أرنو في كتابه المعروف برسائل سانت أرنو، فمن أراد أن يعرف ما تصنعه الوحشية العاقلة، وما صنعه فرنسا في الجزائر من تقتيل وتحريق للجماعة الكاملة بنسائها ورجالها وأطفالها فليقرأ ذلك الكتاب ولو اشتراه باحث بوزنه ذهباً لما كان مغربنا لأنه يضع يده على الفظائع التي ارتكبتها أجداد هؤلاء الكاذبين المتبجحين المستطيلين على العالم بالدعاوي الزائفة في العلم والمدنية.

أما في الجبال فبقيت المقاومة على أشدها في شكل تمرد شامل وفي ثورات متتالية في جهات متباعدة لا تدل على قوة وإنما تدل على حمية وأنفة، إلى أن كانت أكبرها وخاتمها ثورة الحاج أحمد المقراني سنة 1871 أثناء اشتغال فرنسا بحربها السبعينية مع الألمان، في مقاطعة قسنطينة التي تشكل نصف القطر الجزائري تقريبا في عدد السكان ورقعة الأرض، وكانت ثورة المقراني بعد واحد وأربعين سنة من الاحتلال مرت كلها في المقاومات والثورات المسلحة ولم تسترح فيها فرنسا، ولا اطمأن لها جنب، فعدة المقاومة المتصلة إذن هي أربعون سنة وهي من أطول المقاومات أمدا في التاريخ ولو طالت الحرب السبعينية بين فرنسا والألمان سنتين أو ثلاثة لبات ثورة المقراني بالنصر والتجاح، ولكن فرنسا انهزمت ودفعت الجزية للألمان عن يد وهي صاغرة، ودفعت ببقايا جيشها إلى الجزائر لتحطيم ثورة المقراني.

فهذه هي نهاية الجهاد المسلح، أما أنواع الجهاد الأخرى ففيها تظهر قوة الجزائر وإيمانها وصلابتها، ولا يعرف قيسمة هذا النوع في الجهاد إلا من عرف (فرنسا في الجزائر) وما سلطت فرنسا على الجزائر وما ساقط إليها من شرور وبلايا.

إن فرنسا بعد التمهيدات العسكرية الأولى رأت أن عمل الحديد والنار لا ينفع ولا يدوم لأنه يمنع القرار والاستغلال وهي ما جاءت الا لتستقر وتستغل ورأت أن ملك القلوب بالإحسان ليس من طبعها ولا من سيرتها، وأن تحطيم المقاومة المادية لا يغني ما لم تحطم المقاومة الروحية فعمدت الى وضع برنامج واسع طويل عريض لضمان بقائها في الجزائر يجمعه مع طوله وتشعب فروعه قولك (افساد معنويات الشعب) ومن أقوى المعنويات الدين، فبدأت بالاستيلاء على الأوقاف الإسلامية وأحالت كثيرا من المساجد الى كنائس، ثم شرعت في تنفيذ برنامجها البطيء، فضيقت على دروس الدين، ودروس العربية لأنهما حافظا المقومات الروحية حتى ينسى الناس دينهم ولغتهم بالتدريج وتسلطت على بقية المساجد تتصرف فيها تصرفا مطلقا فهي التي تعين المفتين والأئمة والمؤذنين والقومة وكل من له تعلق في المسجد، فتوصلت بذلك الى افساد هذه الطائفة الدينية بالرغبة في الوظيفة والتعلق، حتى أصبح رجال الدين كلهم جواسيس لها ومخبرين وحالتهم اليوم أتعس حالة، وأقبح مثال من مخالفة الوظيفة لمعناها، فالإمامة في الإسلام منصب جليل وصاحبه قائد روحاني يقلب قلوب الناس بخطبه الدينية في بيوت الله، والمساجد أجوا - روحانية يعطرها الإمام الصالح العارف بما يخرج من فيه، بل من روحه ويتصل بنفوس فإذا هي تفعل فيها فعل المظهر الكيمبائي الذي يببب الحشرات والجراثيم.

كان من وسائل فرنسا لاقساد المعنويات هذه الأعمال التي نذكرها مسرودة وكل واحد منها موضوع بالقصد لغاية، أو لغايات ينتهي إليها بالطبيعة إذا لم يجد في طريقه مقاومة طبيعية أو صناعية.

1 - حماية الدجالين والمضللين باسم الدين من شيوخ الطرق الصوفية، وقد جنت فرنسا من هؤلاء كل خير لنفسها فقد كانوا مطاياها وجنودها الروحيين في احتلال الأوطان الإسلامية، ويقول بعض المغفلين إنهم هم الذين نشروا الإسلام في أواسط افريقيا وفي السودان، وهذا تخليط، فان الذين نشروا الإسلام في تلك الأصقاع هم طائفة من أجدادهم الصالحين بمعونة التجار أما هؤلاء الأحمق فما نشروا إلا الاستعمار الفرنسي.

2 - نشر الفجور وحمايته.

3 - نشر الخمر لاتلاف الأموال وافساد العقول وكم خربت معها الرذيلة من بيوت وكم أتت على ثروات وكم نقلت من مئات آلاف الفدادين من الأراضي الخصبة من يد أصحابها المسلمين الى أيدي اليهود ثم الى أيدي أوزاع أوروبية يسمونها المعمرين.

المصدر: أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، 1954/1964، دار

الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997، ص 76 ، 79.

جهااد الجزائر وطغيان فرنسا*

أيها الاخوة الكرام.

اما الجزائر فقد أعريت عن نفسها بالأعمال الخالدة التي قامت بها ثورتها وثائروها، وبما أحييت مرشحات الجهاد وسجلت من مواقف البطولة والشجاعة ووقوف العدد القليل من أبنائها، بما يملكون من سلاح يدوي قليل لا يغني فتيلاً في مجرى العادة، في وجه عدو يفوقه أضعافاً مضاعفة في العدد والعدة والنظام والتدريب تسانده جميع الأسلحة العصرية الفتاكة من طائرات ودبابات ومدافع ثقيلة وقادة باثروا الحروب الاستعمارية وقادوها في ميادين مختلفة بالشرق والمغرب، وتمرنوا على أساليبها، يستمدون لوازم الحرب من سلاح وعتاد ومال من بلدهم، فلا يرد لهم طلب ولا يتأخر امداد.

أعريت الجزائر عن نفسها بهذا كله، فحققت الجهاد بالنفس وهو أحد نوعي الجهاد، وهو النوع الذي علمت أخبارة واشتهرت في العالم، ورفعت اسم الجزائر الى السماء، وأصبح ذكرها مقرونا بالاعجاب والاكبار، وذكر بنيتها مقرونا بالمدح والثناء، وأصبحت بطولتهم وشجاعتهم وصبرهم واستماتتهم في سبيل حرية بلادهم مضرب الأمثال وحديث الركبان.

واما النوع الثاني من الدعائم التي تقوم عليها الثورة وهو الجهاد بالمال، فقد قامت الجزائر وحدها بما تتطلبه الثورة من مال، ولم تدخر عزيزاً على أبنائها الشائرين المباشرين للجهاد، وإذا كانت فرنسا تنفق على جيشها في الجزائر المبالغ الطائلة (فيقول المقلون أنها تنفق يومياً ملياراً من الفرنكات، ويقول المكثرون أنها تنفق ملياراً ونصفاً في اليوم الواحد، مما أثقل ميزانيتها وأوقف ماليتها على حافة الافلاس لولا إعانة أمريكا التي عرفنا عنها أنها حاضنة الاستعمار وممرضته) فان الجزائر المسكينة تنفق على ثورتها كل ما تملك من مال وسلاح وكسوة وطعام، وهي صامدة في ذلك محتسبة، كل ذلك والفلاحة التي هي قوام الجزائر تتعطل وتتناقص على التاريخ، وفق سياسة مرسومة من الاستعمار الفرنسي لأنه يعلم أن وفرة الفلاحة وخصب السنوات معناه امداد الثورة بالغذاء، فضيقوا دائرتها وأرهقوا الفلاحين بالضرائب من جهة وبالإجلاء من الديار وعدم الاستقرار وفقد الأمن وتشديد المراقبة في تقدير المحصول، واتلاقه في كشير من الجهات قبل الحصاد أو بعده حتى يجوع الشعب ويجوع المجاهدون تبعاً لهم فيستسلموا.

ولفرنسا في تجويع الشعب الجزائري سنة قديمة معروفة، فكلما أرادت حملة على مكروه عمدت الى تجويعه بوسائل شيطانية تبرا منها الإنسان، وقد كان الوطن الجزائري قليل المجاعات يوم كانت أطرافه متباعدة ووسائل النقل فيه تعتمد على القوافل، ولكنه في عهد الحضارة الفرنسية ووفرة وسائل النقل البخارية والميكانيكية - بحيث تصل النجدة الى أطرافه المتباعدة في يوم أو بعض يوم - أصبحت تتكرر فيه المجاعات المبيدة مرة أو مرتين في كل خمس سنوات، فكلما احتاجت فرنسا الى بضع مآت من الجنود المأجورين تعزز بهم جيشها أو الى بضع مآت من الأطفال المشردين قلاً بهم مدارس التبشير دبرت مجاعة اصطناعية وما أبرع الاستعمار الفرنسي في تدبير المجاعات في وطن يفيض بالخيرات وتكفي محاصيله لأضعاف سكانه، ووسيلتها

الى هذا التدبير أن توعد الى شركات تصدير الحبوب في موسم التصدير بأن تصدر أكبر كمية منها الى أوروبا وغيرها، وتزيل من طريقهم كل القيود، فيجمعون كل غلة الموسم في الصيف، فإذا جاء فصل البرد والحاجة وجد الأهالي الأسواق خالية من الحبوب، وارتفعت الأسعار وحلت المجاعة واستحكمت حلقاتها فوجد العسكريون في الشباب الجائع حاجتهم من الجنود المأجورين، والمبشرون حاجتهم من الأطفال الجياع الحفاة العراة الذين يربونهم على النصرانية، ووجد المعمرين حاجتهم من قليل الأرض التي بقيت بيد الأهالي المسلمين يبيعونهم إياها بالثمن البخس، وبهذه الوسيلة الشيطانية خرجت معظم الأرض من أيدي الجزائريين، وبهذه الوسيلة دعمت فرنسا جيشها بتلك الكتائب من الشباب الجزائري الشجاع الذين ردوا عنها جحافل الغزاة من الألمان وجليبوا إليها النصر في الوقائع الكبرى باعتراف الفرنسيين أنفسهم.

كانت فرنسا تعد الجزائريين في أيام المحن وتمنيهم باعطاء الحقوق السياسية أو بعضها إذا انتهت الحرب وانتصرت فرنسا لتشتري بتلك الوعود حسن بلاتهم في الحرب وصدق نياتهم معها لأنها تعلم أن شجاعة الجزائري في الحرب واقدامه إنما يصدر فيهما عن طبيعة متأصلة فيه، أما قلبه وأما نيته وأما عقله فهي ضد فرنسا التي بتلك الوعود الخلابة إنما تتملك عواطفه الى حين، وقد ظهر الطبع الفرنسي على حقيقته من الخداع والمراوغة وخلف الوعد والكذب في أعقاب الحريين العالميتين.

المصدر: أحمد، بن نعمان، جهاد الجزائر حقائق التاريخ و مغالطات الإيديولوجرافيا، دار الأمة

للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1998، ص 108-109.

يوم 15 مارس 1958.

جهاك الجزائر وطغيان فرنسا*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الإخوان:

أما الجزائر فقد أعربت عن نفسها بالأعمال الخالدة التي قامت بها ثورتها، وبالبطولات المجيدة التي قام بها شبابها الثائر، وبما أحييت من شرائع الجهاد، وبما سجلت من المواقف الخارقة للعادة من وقوف العدد القليل من أبنائها - بما يملكون من سلاح يدوي قليل لا يغني فتيلًا في مجرى العادة - في وجه جيش يفوقه أضعافًا مضاعفة في العدد والعدة والسلاح والنظام والتدريب، تسانده جميع الأسلحة العصرية الفتاكة من طائرات ودبابات، ومدافع ثقيلة ووسائل مخابرات، وقادة باشروا الحروب الاستعمارية، وقادوها في عدة ميادين في الشرق والغرب، وتمرتوا على أساليبها ومكائدها، يستمدون لوازم الحرب من سلاح وعتاد ومال من مصانع بلادهم وخزائنها، فلا يُرَدُّ لهم طلب ولا يتأخر عنهم إمداد، وتعاونهم دول قوية تشفق على الاستعمار أن يتقلص ظله، كأن لها متعة ولذة في إذلال الشعوب الضعيفة واستعبادها، وكأن في نفسها بقية حياء تمنعها من مباشرة ذلك الإذلال والاستعباد بنفسها، فهي لذلك تعين من يباشره بكل ما تملك من قوة.

أعربت الجزائر عن نفسها بذلك كله، وأثبت التاريخ بشواهدة أنها لا تحارب فرنسا وحدها، وإنما تحارب كل من يُمدِّها بتأييد في الرأي والسياسة ويعينها بالمال والسلاح، وكفى الجزائر شرفًا أنها - مع ضعفها - تحارب هؤلاء الأعداء الأقوياء المتظاهرين فتنتصر عليهم أجمعين، وأنها مرت بها حقبة غير قصيرة وهي تحاربهم بنفس سلاحهم الذي غنمته من الجيوش الفرنسية، وكفى أمريكا وإنجلترا خزيًا وعارًا وبُعدًا عن الإنسانية أنهما تعينان القوي على الضعيف.

* كلمة ألقاها الإمام يوم 15 مارس 1958م، ضمن فعاليات يوم تضامني مع الجهاد الجزائري، أقامه لفيف من الأدباء في القاهرة، وقد نشرت ضمن كتاب «مع الجزائر»، دار الهناء للطباعة والنشر، القاهرة 1958.

لم يَحْكِ الإسلام في عصوره المتوسطة والمتأخرة ولا تاريخ الثورات عن قتال كانت فيه ملامح من الجهاد الديني المؤيّد بروح الله وأثاره من آثاره مثل ما شهد من الثورة الجزائرية، ولا عجب فالاستعمار الفرنسي في الجزائر حارب - أول ما حارب - الإسلام ومقوماته، فكانت الثورة على الاستعمار تحمل معنى الانتصار للدين ولمساجده التي حطمها المستعمرون، وجرّدوها من معاني الإسلام وعطلوها، ومعنى النكابة في رجال الدين الذين راضهم الاستعمار على السمع والطاعة له حتى أصبحوا جواسيس له، وتنكروا لقومهم وجامعتهم، و خانوا أمانة الإسلام، ومعنى الانتصار لِأَوْقافه التي تقوم عليها شعائر الإسلام، وتحقق مآثره وخصائصه، وتتجلى بها عدالته وإحسانه.

هذا ما قامت به الجزائر وحدها في قسم الجهاد بالنفس، وهو القسم الذي عُلمت أخباره بالتفصيل، واستفاضت في العالمين إلى حد التواتر الذي لا يُماري فيه أحد، وبه دخلت الجزائر التاريخ من بابهِ وسجلت اسمها في الخالدين، وأصبح اسمها مقروناً بالإعجاب والإكبار، وذكُرَ أبنائها الأبطال مقروناً بالمدح والثناء، وأصبحت بطولتهم وشجاعتهم مضرب الأمثال وحديث الركبان، بعد أن كان اسمها في التاريخ الحديث خاملاً مغموراً عند كثير من الشعوب التي تجمعها به كلمة الإسلام، ولقد كنت بباكستان لست سنوات خلت، وجُلْتُ في عواصمها متحدّثاً عن الجزائر ونهضتها العلمية والسياسية؛ فكان جمهور الحاضرين لا يعرفون اسم الجزائر فضلاً عن أوضاعها وأصالة الإسلام فيها والعروبة، وقراء الانجليزية منهم يعرفون عن طريق كتب الجغرافيا أن في افريقيا بلداً اسمه «الجِيرِيَا»، ويلتبس عليهم باسم «نيجيريا»، ويسبق إلى ألسنتهم اسم نيجيريا لخفته في النطق، فكنت ألقى العنتَ في تفهيمهم أن الجزائر وطن عربي إسلامي واسع مشهور، وأنه يشغل الوسط من شمال افريقيا، وأن جميع سكانه مسلمون، وأنه فُتح من عهد الصحابة... الخ. ولما قامت الثورة وطارت أخبارها كل مطار وسافرتُ إلى باكستان داعياً لها وجدتُ جميع الألسنة الأعجمية قد ارتاضت على النطق باسم الجزائر العربية.

وأما النوع الثاني من نوعي الجهاد المادي، وهو الجهاد بالمال، وهو الدعامة المتيّنة التي تقوم عليها الثورات، فقد قام الجزائريون وحدهم بما تتطلبه الثورة من أموال باهظة، والثائرون - إلى الآن - إنما يعتمدون على الأموال الجزائرية، وإذا كانت فرنسا تنفق على جيشها العامل في الجزائر تلك المبالغ الخيالية التي لا تقلّ عن مليار فرنك يومياً؛ وقد تزيد إلى مليار ونصف مليار من الفرنكات حتى أثقلت ميزانيتها، ووقفت بماليتها على حافة الإفلاس لولا إعانة أمريكا التي تكشف عن السوءات، وعرف عنها العالم أنها حاضنة الاستعمار ومُرَمِّمة جداره، وطبيبة أنيابه وأظفاره؛ إذا كانت حالة فرنسا هي تلك، فإن الجزائر المجاهدة تعتمد على الله وعلى نفسها وعلى ما أبقاه لها الاستعمار من فئات، لأنها

علمت أن هذه الثورة هي الموقف الأخير مع فرنسا، وهو - كما يقولون - موقف حياة أو موت، فكل عزيز يهون في سبيل الشرف والحرية، وإذا هانت الأرواح في هذا السبيل فالأموال أهون مفقود.

الثورة تستدعي نفقات طائلة لتسليح المجاهدين وكسوتهم وإطعامهم وغير ذلك من الأشياء التي كانت كمالية فأصبحت في هذا العصر ضرورية كالدعاية ووسائلها المتنوعة، ومن ثمّ كان العبء ثقیلاً على الشعب الجزائري، وهو يزداد ثقلاً بطول أمد الثورة، ولكن إيمان الشعب الجزائري وبأسه من رجوع الاستعمار الفرنسي عن غيّه، واعتقاده الجازم بلؤمه وكذبه وإخلافه للعود المَرّة بعد المَرّة وعدم خجله من الخزي والموبقات أوقفه موقف التصميم على الموت، الذي هو خير ألف مرة مما يسومه الاستعمار كل يوم من الموت المُجَرّاً البطيء، ولذلك فكل ما يلقاه من فنون التعذيب والسجون والتشريد، وهتك الحرمات والترحيل من الديار، والإبادة الجماعية وتقتيل الأطفال والنساء والعجائز - الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً - يجده هيناً حلواً سائغاً.

وعين الاستعمار يَقْظِي؛ فهو ينظر دائماً إلى النهايات والعواقب ويحْتَاط لها، ولا يبالي في سبيل الاحتياط بحق يُهدّر، ولا بمأثم يُرتكب لأن الاستعمار كله مأثم، ولذلك فهو قد بنى أمره - من أول يوم احتلّ فيه الجزائر، وبلا من الجزائريين المقاومة التي لا تخضع بالسهولة والصلابة التي لا تلين بصليّ الحرب - على الوسائل التي تضمن له البقاء أو طول البقاء، ورأى أن التجريد من سلاح الحديد والنار لا يضمن العاقبة، فعمد - على مرّ الزمن - إلى محاولة تحطيم الأسلحة المعنوية بوسائل يعجز عنها الشيطان، فحارب الإسلام ومساجده، واغتصب أوقافه، وحارب العربية لأنها تذكى القومية أو تذكر بها على الأقل، وحارب العلم بجميع أنواعه، وسطر سياسته مع الجزائريين في لفظين: «التفكير والتجهيل»، وقد تمّ للاستعمار على طول المدة بعض ما أراد من ذلك؛ لولا موارث في فطرة الجزائري سارية في دمه، هي بعض وجوده أو هي سرّ وجوده من حب الإسلام واعتداده به، ومن فخر بالعروبة واعتزاز بها، ومن صبر على الضيم يخاله المنقّب في أسرار الطبائع استكانة وما هو بها، وإنما هو ترّص بالانتقام، وتحفّز للوثبة، فهذه الأخلاق هي التي حفظت الجزائري من التفاتت والذوبان رغم إلحاح البلاء وتفنّن الاستعمار في تلوينه بما يُؤهم أنه نعمته، كمن يَسْقِي السمّ ويُقسّم أنه ماء الحياة.

ولم يكف الاستعمار الفرنسي ما سنّ من قوانين لتفكير الشعب الجزائري العربي المسلم ليأمن وثبته يوماً ما، وما خطط من برامج لحرمانه من وسائل الإثراء حتى سلط عليه من أسباب الإبادة البطيئة ما ينقص من أعداده من أمراض لا تجد العناية للوقاية منها قبل الوقوع، ولا العناية بدفعها بعد الوقوع، ومن مجاعات مصطنعة مقصودة في وطن

يفيض بالخير، وتكفي حاصلاته الزراعية السنوية عشرة أضعاف الشعب الجزائري، ولقد كان الوطن الجزائري قليل المجاعات يوم كانت أطرافه متباعدة ووسائل النقل تعتمد على القوافل الحيوانية، ولكنه في عهد الحضارة الفرنسية، ووفرة وسائل النقل البخارية والميكانيكية فيه - بحيث تصل النجدة إلى أقاصي أطرافه في يوم أو بعض يوم - أصبحت تتكرر فيه المجاعات المبيدة للجماعات في كل أربع أو خمس سنوات، وكلما احتاج جيشها إلى بضع مئات من الجنود المأجورين تعزز بهم مركزًا أو تحارب بهم إخوانهم في المستعمرات، أو احتاج فتورُ التبشير إلى تنشيط ببضعة آلاف من الأطفال؛ دبّرت مجاعة اصطناعية تهيء لها العدد المطلوب وفق المطلوب من الجنود والأطفال، ووسيلتها إلى هذا التبرير الشيطاني أن توّعت إلى الشركات الفرنسية الكبرى لتصدير الحبوب في موسم التصدير أن تصدر أكبر كمية إلى أوروبا وغيرها، وتزبل من طريقها كل القيود، ويبيد هذه الشركات رؤوس الأموال الضخمة فيجمعون كل غلة الموسم في الصيف، فإذا جاء وقت البرد والحاجة وجد الأهلي المسكين الأسواق خالية من الحبوب، والأسعار مرتفعة، حتى إذا حلت المجاعة واستحكمت حلقاتها، وضاق به السبل لم يجد إلا سمسارة الجندية يَغشون الأسواق والمجامع بالطبول والمزامير يدعون الشباب إلى الجندية، ووجد المبشّر الأطفال الذين عجز آباؤهم عن إطعامهم وكسوتهم، وكانوا من قبل عاجزين عن علاجهم ويائسين من تعليمهم، ووجد المُعَمَّر ما يصبو إليه من قطع الأرض التي بقيت بيد الأهلي معروضة للبيع بالثمن البخس، وبهذه الوسيلة الشيطانية خرجت معظم أطيان الفلاحة من يد أهلها، وبهذه الوسيلة دُعِمت فرنسا جيشها بتلك الكتاب من الشباب الجزائري الشجاع الذي ردّ عليها جحافل الغزاة، وجلب لها النصر في كثير من الوقائع باعتراف الفرنسيين أنفسهم.

أما حظ التبشير من هذه الغنيمة فهو أسوأ الحظوظ لأن الحيلة التي نجح بها الكاردينال لافيغري في عهد الاحتلال الأول في تنصير قبيلة العطاف لم يَطْرُد نجاحها في كل وقت ولا في كل قبيلة، وغاية ما حصل عليه التبشير - مع تأييد الاستعمار في مدة قرن كامل، ومع الملايين التي أنفقت - هو بضع عشرات من مجموعة الأمة الجزائرية تنصروا تنصيرًا سطحيًا، فلم يضرّوا المسلمين ولا نفعوا النصارى، ولا نقصوا من عداد أولئك ولا زادوا في عداد هؤلاء.

أيها الإخوة العرب:

هذه كلمة طائفة عن ثورة الجزائر، وتصوير مجمل للسياسة الفرنسية ليست من نسق التاريخ المرتب المسرود، ولكنها من نمط الكلام المتفجع، يقفز من فاجعة إلى فاجعة، وفيه كشفٌ لحقيقة إخوانكم الجزائريين، علمتم منها أن الشعب الجزائري بقضه وقضيضه

ثائر، وأنه مصمّم على الجهاد إلى الموت، وأنه قائم وحده بالعنصر المعتمد في الثورة وهو المال، وأن المال الذي يملكه محدود، وأن ما وصله من إخوانه العرب كله نوافل لا تكفي ولا تغني، وأن بعض إخواننا العرب يملكون من المال ما إنَّ القليل منه لَيَكْفِي لتحرير الجزائر، ولكنهم - مع الأسف الشديد - مقصّرون في أداء هذا الواجب، ولو أنهم جادّوا ببعض ما ينفقون في الكماليات والشهوات لحزّروا الجزائر، وحازوا أحسن الذكر وجزيل الأجر.

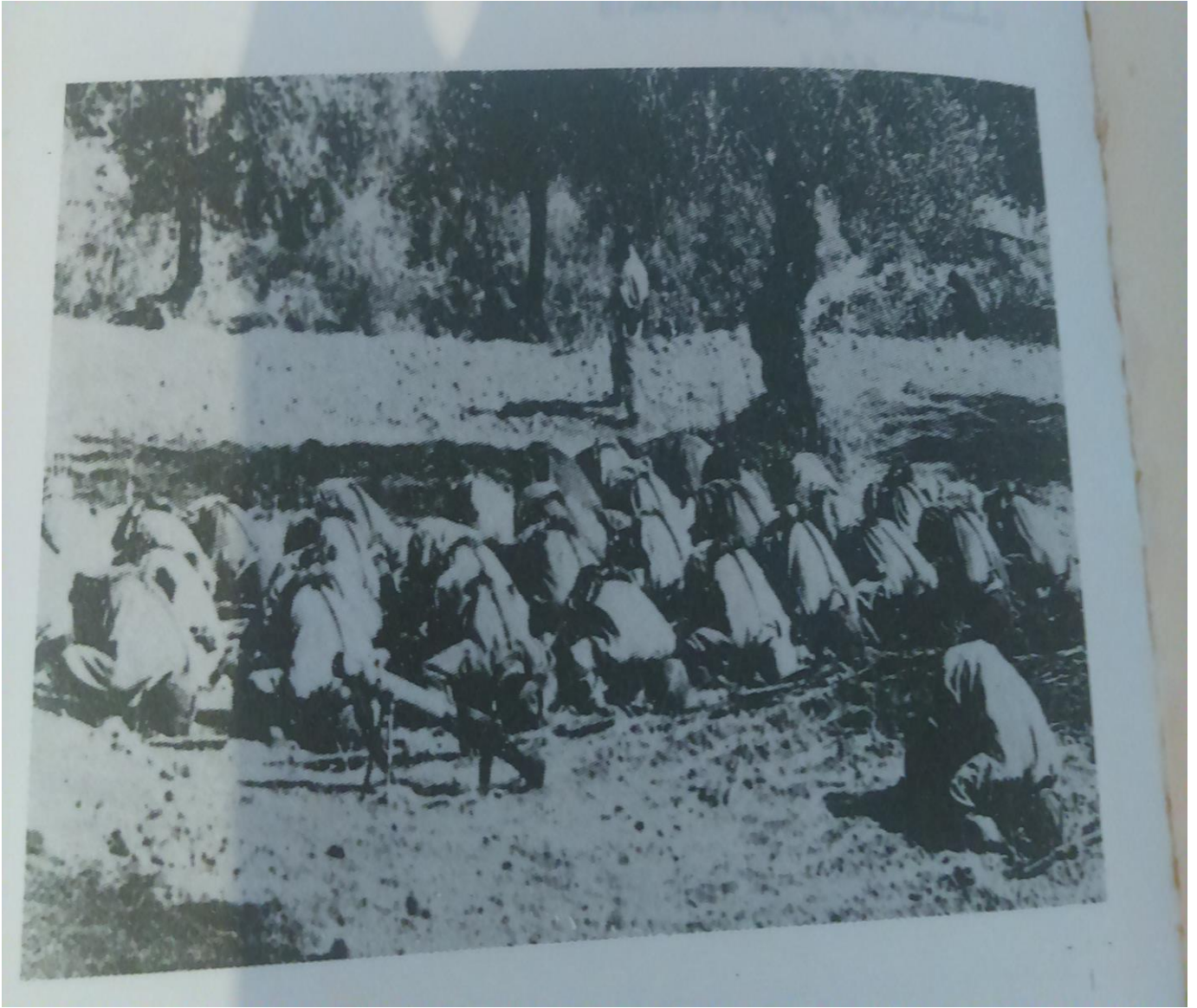
أيها الإخوة العرب:

اذكروا أن إخوانكم في الجزائر إنما يدافعون عن أحساب العرب وعن كرامة العرب. واذكروا أن ثمرة النصر عائدة لكم جميعًا، وأن مرارة الفشل ستجرعونها جميعًا. وإن الاستعمار مُتَّهِمُكُمْ جميعًا، فَمُنْتَقِمٌ منكم جميعًا إن انتصر، وانه لا يبعد على لؤم الاستعمار وحقده إذا انتصر أن يقذف بجيشه العامل في الجزائر بأسلحته ومعداته هدية متقبلة إلى اليهود ليدلكم ويخزيكم.

المصدر: أحمد طالب، (الإبراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، 1954/1964، دار

الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997، ص 216، 220.

الملحق رقم 8: صورة للمجاهدين أثناء تأدية فريضة الصلاة.



المصدر: (محمد)، زروال محمد، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، 1994، ص 3.

11^{ème} année - N° 2093 Quinze francs

l'union

GRAND QUOTIDIEN D'INFORMATION ISSU DE LA RESISTANCE

Sept morts, une dizaine de blessés

TRENTE ATTENTATS PERPÉTRÉS EN ALGERIE

LA NUIT DERNIERE

Le gouvernement général a pris immédiatement des mesures de précaution et de répression

Trois compagnies de S.M.A. et trois bataillons de parachutistes envoyés en renfort

Batna, le 1^{er} novembre. Après le succès de la nuit dernière, les attentats perpétrés en Algérie ont pris un caractère de plus en plus grave. Trente attentats ont été commis dans toute l'Algérie, causant sept morts et une dizaine de blessés. Les attentats ont été perpétrés à Alger, Oran, Constantine, Annaba, Bône, Sétif, Tlemcen, Bougie, Mascara, Algiers, etc. Les attentats ont été perpétrés par des groupes armés qui ont attaqué des postes de police, des bureaux de poste, des écoles, etc.

DANS L'AURES

LA SITUATION DEMEURE SÉRIEUSE

DES RENFORTS DE PARACHUTISTES ENVOYÉS A BATNA

On se attendait à des opérations de grande envergure

Les renforts de parachutistes envoyés à Batna ont été accueillis par les autorités locales. On se attendait à des opérations de grande envergure. Les parachutistes ont été envoyés en renfort pour faire face à la situation sérieuse qui règne dans la région.



DERNIÈRE ÉDITION MARDI 2 NOVEMBRE 1954

Le Monde

LES ÉTATS-UNIS VOTENT MARDI

LES DEMOCRATES RESTENT FAVORIS malgré une sensible reprise des républicains

Elections sans passion

À la veille de voter la House des États-Unis, les démocrates restent favoris malgré une sensible reprise des républicains. Les élections se déroulent sans passion, les deux camps se disputant le pouvoir fédéral.

TERRORISME EN AFRIQUE DU NORD

PLUSIEURS TUÉS EN ALGERIE au cours d'attaques simultanées de postes de police

Les attentats, qui ont lieu à Constantine de nouvelles victimes, ont provoqué de graves dommages dans l'Est algérien. Plusieurs personnes ont été tuées au cours d'attaques simultanées de postes de police.

DES RENFORTS

On attendait à des opérations de grande envergure. Les renforts de parachutistes envoyés à Batna ont été accueillis par les autorités locales.

BRUSQUE FLAMBÉE TERRORISTE

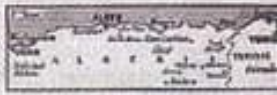
EN ALGÉRIE

Une trentaine d'attentats (bombes et incendies) ont été commis

5 morts (1 officier, 2 soldats, 2 gardiens de nuit) et une dizaine de blessés déjà dénombrés dans les régions d'Alger et de Constantine

20000. 1^{er} novembre (Alger) - France-soir -

Une trentaine d'attentats (bombes et incendies) ont été commis dans les régions d'Alger et de Constantine, causant 5 morts et une dizaine de blessés.



Les attentats ont été commis dans les régions d'Alger et de Constantine, causant 5 morts et une dizaine de blessés.

MARLON BRANDO EN ITALIE JOSANE (DE BANDOL) A PARIS : ON S'MARIE, ON S'MARIE PAS



★ SUITE PAGE 4

C'est en larmes que ces deux mères anglaises ont dû échanger leurs deux bébés pour 24 heures

PARIS (France-soir) - Les deux mères anglaises, dont les bébés avaient été volés il y a 17 ans, se retrouvent dans une clinique de Londres, où elles ont pu échanger leurs enfants pour 24 heures.



LES DEUX MÈRES ANGLAISES

Avions et bateaux partis de New-York, des Bermudes de Terre-Neuve et des Açores recherchent un Superconstellation de la marine américaine

disparu au-dessus de l'Atlantique avec 42 passagers à bord

NEW-YORK, 1^{er} novembre (A.P.) - 42 avions américains, partis de New-York, des Bermudes, de Terre-Neuve et des Açores, recherchent un Superconstellation de la marine américaine disparu au-dessus de l'Atlantique avec 42 passagers à bord.

★ SUITE PAGE 7

Fonctionnaires

MENDES DEVRA ARBITRER : M. Jean Masson (Fonction publique) réclame 80 milliards pour l'augmentation des traitements @ M. Edgar Faure (Finances) prévoit 40 milliards seulement

M. MENDES FRANCE, président du Conseil, sera prochainement à l'arbitrage, en matière de salaires, les positions qui opposent M. Edgar Faure à son collègue M. Jean Masson.

★ SUITE PAGE 5

TOUSSAINT

Les Parisiens en foule honorent leurs morts

PARIS (France-soir) - Les Parisiens ont honoré leurs morts à l'occasion de Toussaint. Des foules nombreuses ont défilé dans les rues de la capitale.

★ SUITE PAGE 6

EN 1954 MARIA FELIX est la plus belle femme du monde



★ SUITE PAGE 5

MACHINE A LAVER

Lincoln est une vraie machine à laver

- action automatique
- économie de savon
- économie d'énergie
- nettoyage parfait
- économie de place
- longue durée

45 millions d'Américains vont demain

CAPTIFS DES VIETS

LES FRANÇAIS ENVIÉS

RADIO-TELEVISION

Le plus belle chose de France

OCEANIC

VOUS PARQUERONS

ATTENTATS TERRORISTES EN ALGERIE : 8 morts



L'ÉCHO D'ALGER

13 JUIN 1954

AGIR VITE ET FORT

Le parti communiste de Tunisie... Le parti communiste de Tunisie... Le parti communiste de Tunisie...

M. Mendès France a reçu hier le général Kœnig
— ancien ministre — de la Défense nationale
Le président du Conseil rencontrera à nouveau vendredi les "présentis" socialistes

Les États-Unis votent aujourd'hui
Les républicains dirigés par Eisenhower conserveront-ils la majorité au Congrès ?
Plus de 65 % d'abstentions sont à craindre



Lyon a fait à S.M. HAÏLÉ SELASSIÉ un accueil digne du "roi des rois"
L'EMPEREUR D'ETHIOPIE

En page 5 : **MA CAPTIVITÉ CHEZ LES VIETS**, par Daniel CARRAS

LE FIGARO Le Jeudi 11 Juin 1954
MERCIER FRÈRES
25 JOURS 10 FRANCS 10 FRANCS 10 FRANCS
DIRECTEUR : Fernand BISSON

PARTICIPATION
A l'heure des attentats terroristes... Les attentats ont été commis simultanément dans les régions de Constantine, d'Alger et d'Oran au cours de la nuit de dimanche à lundi.

VAGUE DE TERRORISME EN ALGERIE
Trente attentats ont été commis simultanément dans les régions de Constantine, d'Alger et d'Oran au cours de la nuit de dimanche à lundi
Un lieutenant, deux soldats, deux instituteurs, un jeune Français, un cadet, un policier et un gendarme ont été assassinés.
Des postes de police et des fermes attaquées.
Aggravations sur les routes et bombes contre des usines.



IL FAUT QUE LES MASQUES TOMBENT
CONTRE les attentats terroristes... Les attentats ont été commis simultanément dans les régions de Constantine, d'Alger et d'Oran au cours de la nuit de dimanche à lundi.

EISENHOWER ET STEVENSON S'AFFRONTENT en un ultime duel télévisé.
L'avis de scrutin d'aujourd'hui



L'UNIVERSITÉ accueillera demain 156.000 étudiants ou étudiants
L'ÉCOLE D'ORLY EST DEVENUE le point d'attraction des promeneurs parisiens de dimanche
LE TEMPS PROBABLE
L'ÉCOLE DU PETIT CITOYEN

...RONS LE DOSSIER DU P.P.A.

Le Journal d'Alger
15 FRANCS

MARDI 2 NOVEMBRE 1954

D'ERNIERE MINUTE
Nouveaux sabotages de lignes téléphoniques

Les lignes téléphoniques de la région de TLA-Oued, qui avaient été sabotées dans le quartier d'Oran, ont été à nouveau sectionnées hier l'après-midi.

Hier, série d'attentats terroristes en Algérie

30 attentats dénombrés
L'institutrice d'Arris violée
Sept morts
La Coopérative des Agrumes de Boufarik en feu



Le vrai visage de Messali
Ce qu'il veut
Ce que veut
le P. P. A.

FELLAGHAS A LA FRONTIERE
L'origine du problème est en Tunisie
où le commandement doit pouvoir

UNE ENQUETE DE GEORGES LEVHA

نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد... (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المسلمون الجزائريون:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حياكم الله وأحياكم وأحياكم بكم الجزائر، وجعل منكم نورا يمشي من بين يديها ومن خلفها، هذا هو الصوت الذي يسمع الأذان الصم، وهذا هو الدواء الذي يفتح الأعين المغمضة، وهذه هي اللغة التي تنفذ معانيها إلى الأذهان البليدة، وهذا هو المنطلق الذي يقوم القلوب الغلف، وهذا هو الشعاع الذي يخترق الحجب والأوهام. كان العالم يسمع ببلادنا الاستعمار الفرنسي لدياركم، فيعجب كيف لم تشوروا، وكان يسمع أنيتم وتوجعكم منه، فيعجب كيف تؤثرون هذا الموت البطيء، على الموت العاجل المريع، وكانت فرنسا تسوق شبابكم إلى المجازر البشرية، في الحروب الاستعمارية، فتموت عشرات الآلاف منكم في غير شرف ولا محمدة، بل في سبيل فرنسا، وتوسيع ممالكها، وحماية ديارها، ولو أن تلك العشرات من الآلاف من أبنائنا ماتوا في سبيل الجزائر، لماتوا شهداء، وكنتم بهم سعداء..

أيها الأخوة الجزائريون:

أذكروا غدر الاستعمار ومماطلته.

احتلت فرنسا وطنكم منذ قرن وربع قرن، وشهد لكم التاريخ، بأنكم قاومتوها مقاومة الأبطال، وثرتم عليها مجتمعين ومتفرقين، نصف هذه المدة.

فما رعت في حربها لكم دينا ولا عهدا، ولا قانونا ولا إنسانية، بل ارتكبت كل أساليب الوحشية، من تقتيل النساء والأطفال والمرضى، وتحريق القبائل كاملة، بديارها وحيواناتها وأقواتها.

ثم حاربتهم معها وفي صفها، وفي سبيل بقائها نصف هذه المدة، ففتحت بأبنائكم الأوطان وقهرت بهم أعداءها، ورحمت بهم وطنها الأصلي، فما رعت لكم جميلا، ولا كافآتكم بجميل، بل كانت تنتصر بكم، ثم تخذلكم، وتحسب بأبنائكم، ثم تقتلكم، كما وقع لكم معها في شهر مايو سنة 1945، وما كانت قيمة أبنائكم، الذين ماتوا في سبيلها، وجلبوا لها النصر، إلا أنها نقشت أسماء بعضهم في الأنصاب التذكارية، فهل هذا هو الجزاء؟

طالبتموها بلسان الحق، والعدل، والقانون، والإنسانية، من أربعين سنة، بأن ترفق بكم، وتنفس عنكم الحناق قليلا، فما استجابت، ثم طالبتموها، بأن ترد عليكم بعض حقوقكم الأدمية، فما رضيت، ثم طالبتموها

(*) بيان نشر ووجه من القاهرة في 15 نوفمبر 1954، وهو منشور في كتاب (الجزائر الثائرة) للمرحوم الأستاذ الفضيل الورتلاني الذي طبع بلبان في الخمسينات.

بحقكم الطبيعي، يقرمك عليه كل إنسان، وهو أرجاع أوقافكم ومعابدكم وجميع متعلقات دينكم، فأغلقت أذانها في أصرار وعتو، ثم ساومتها على حقوقكم السياسية بدماء أبنائكم الغالية التي سالت في سبيل نصرها، فعميت عيونها عن هذا الحق الذي يقرره حتى دستورها، ثم هي في هذه المراحل كلها، سائرة في معاملتكم من فظيخ إلى أفظيخ.

أبها الاخوة الجزائريون الأبطال:

لم تبق لكم فرنسا شيئا تخافون عليه، أو تدارونها لأجله، ولم يبق لكم خيط من الأمل تتعللون به، أنخافون على أعضاضكم وقد انتهكتها؟ أم تخافون على الحرمه وقد استباحتها، لقد تركتكم فقرا، تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه؟ أم تخافون على الأرض وخيراتنا، وقد أصبحتم فيها غربا، حفاة عراة جياعا، أسعدكم من يعمل فيها رقيقا زراعيًا يباع معها ويشترى، وحظكم من خيرات بلادكم، النظر بالعين والحسرة في النفس؟ أم تخافون على القصور، وتسعة أعشاركم بأوون إلى الغيران كالحشرات والزواحف؟ أم تخافون على الدين؟ ويا ويلكم من الدين الذي لم تجاهدوا في سبيله، ويا ويل فرنسا من الإسلام، ابتلعت أوقافه وهدمت مساجده، وأذلت رجاله، واستعبدت أهله، ومحت آثاره من الأرض، وهي تجهد في محو آثاره من النفوس.

أبها الاخوة المسلمون:

إن التراجع معناه الفناء.

إن فرنسا لم تبق لكم دينا ولا دنيا، وكل إنسان في هذا الوجود البشري، إنما يعبش لدين ويحيا بدنيا، فإذا فقدهما فبطن الأرض خير له من ظهرها.

وإنها سارت بكم من دركة إلى دركة، حتى أصبحت تتحكم في عقائدكم وشعائركم، وضمائركم، فالصلاة على هواها لا على هواكم، والحج بيدها لا بأيديكم، والصوم برؤيتها لا برؤيتكم، وقد قرأتكم وسمعتكم من رجالها المسؤولين عزمها على أحداث (إسلام جزائري) ومعناه إسلام ممسوخ، مقطوع الصلة بمنبعه في الشرق وبأهله من الشرقيين.

إن الرضى بسلب الأموال، قد ينافي الهمة والرجولة، أما الرضى بسلب الدين والاعتداء عليه فإنه يخالف الدين، والرضى به كفر بالله وتعطيل للقرآن.

إنكم في نظر العالم العاقل المنصف، لم تشوروا، وإنما أثارتمكم فرنسا بظلمها الشنيع وعُتُوها الطاغية، واستعبادها الفظيخ لكم قرنا وربع قرن، وامتهانها لشرفكم وكرامتكم، وتعديها المريع على مقدساتكم.

إن أقل القليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الاستعمار الفرنسي يوجب عليكم الثورة عليه، من زمان بعيد، ولكنكم صبرتم، ورجوتهم من الصخرة أن تلين، فطمعتم في المحال، وقد قمتم الآن قومة المسلم الحر الأبهي فنسعيدكم بالله وبالإسلام، أن تتراجعوا أو تنكصوا على أعقابكم، ان التراجع معناه الفناء الأبدي والذل السرمدي.

إن شريعة فرنسا، أنها تأخذ البرىء بذنوب المجرم، وإنها تنظر إليكم مسلمين أو ثائرين نظرة واحدة، وهي أنها عدو لكم وأنكم عدو لها، ووالله لو سألتهمها ألف سنة، لما تغيرت نظيرتها العدائية لكم، وهي بذلك مصممة على محوكم، ومحو دينكم وعروببتكم، وجميع مقوماتكم.

إنكم مع فرنسا، في موقف لا خيار فيه، ونهايته الموت، فاختراروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شر من الموت.

إنكم كتبتم البسمللة بالدعاء، في صفحة الجهاد الطويلة العريضة، فاملأوها بآيات البطولة التي هي شعاركم في التاريخ، وهي إرث العروبة والإسلام فيكم.

ما كان للمسلم أن يخاف الموت، وهو يعلم أنها كتاب مؤجل، وما كان للمسلم أن يبخل بماله أو بجهته، في سبيل الله، والانتصار لدينه، وهو يعلم أنها قرية إلى الله، وما كان له أن يرضى الدنية في دينه، إذا رضيها في دنياه.

أخلصوا العمل وأخلصوا بصائرهم في الله، واذكروا دائما وفي جميع أعمالكم، ما دعاكم القرآن، من الصبر في سبيل الحق، ومن بذل المهج والأموال في سبيل الدين، واذكروا قبل ذلك كله قول الله: «جاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم» وقول الله: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين».

أبها الاغرة الأحرار:

هلموا إلى الكفاح المسلح.

إننا كلما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في الجزائر، وذكرنا فظائعها في معاملة المسلمين، لا لشيء إلا لأنهم مسلمون، كلما ذكرنا ذلك احتقرنا أنفسنا واحتقرنا المسلمين، وخجلنا من الله أن يرانا ويراهم مقصرين في الجهاد لاعلاء كلمته، وكلما استعرضنا الواجبات وجدنا أوجبها وألزمها في أعناقنا، إنما هو الكفاح المسلح فهو الذي يسقط علينا الواجب، ويدفع عنا وعن ديننا العار، فسيروا على بركة الله، ويعونه وتوفيقه إلى ميدان الكفاح المسلح، فهو السبيل الواحد إلى إحدى المسنين، إما موت وراة الجنة، وأما حياة وراة العزة والكرامة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة

محمد البشير الإبراهيمي - الفضيل الورتلاني

القاهرة، 15 نوفمبر 1954.

ORAN le 26 Juin 1948

SECRET

4876

R A P P O R T
-i-i-i-i-

Objet: A/S Activité nationaliste du nommé LANSARI Abdelah QUID MOHAMED.

J'ai l'honneur de donner, ci-après, copie d'un rapport que me fait parvenir le Chef de Poste de la P.R.G. de Tlemcen, au sujet de l'activité nationaliste du nommé LANSARI Abdelah Quid Mohamed, écrivain public à Tlemcen :

.....

"J'ai l'honneur de vous informer que, des renseignements recueillis, il résulte que le nommé LANSARI Abdelah Quid Mohamed, P.P.A., notaire, écrivain public à Tlemcen, fut de la PRG, membre BENSLIMANE, exerce une grande activité en faveur de son parti.

"Dans son local, qui sert parfois de rendez-vous aux militants P.P.A. il reçoit des musulmans illettrés, surtout le mardi jour du Marché, auxquels il rédige soit des lettres pour leurs enfants, soit des requêtes adressés au Cadi, soit des demandes d'emploi. La correspondance terminée, il leur fait un petit exposé sur le programme du P.P.A.

"A notre avis, il serait nécessaire de fermer le local occupé par l'intéressé, qui n'a aucune autorisation en son nom et qui mène une active propagande nationaliste auprès de ses clients éventuels.


P. le Chef de Poste,
Signé : LE STRAT".

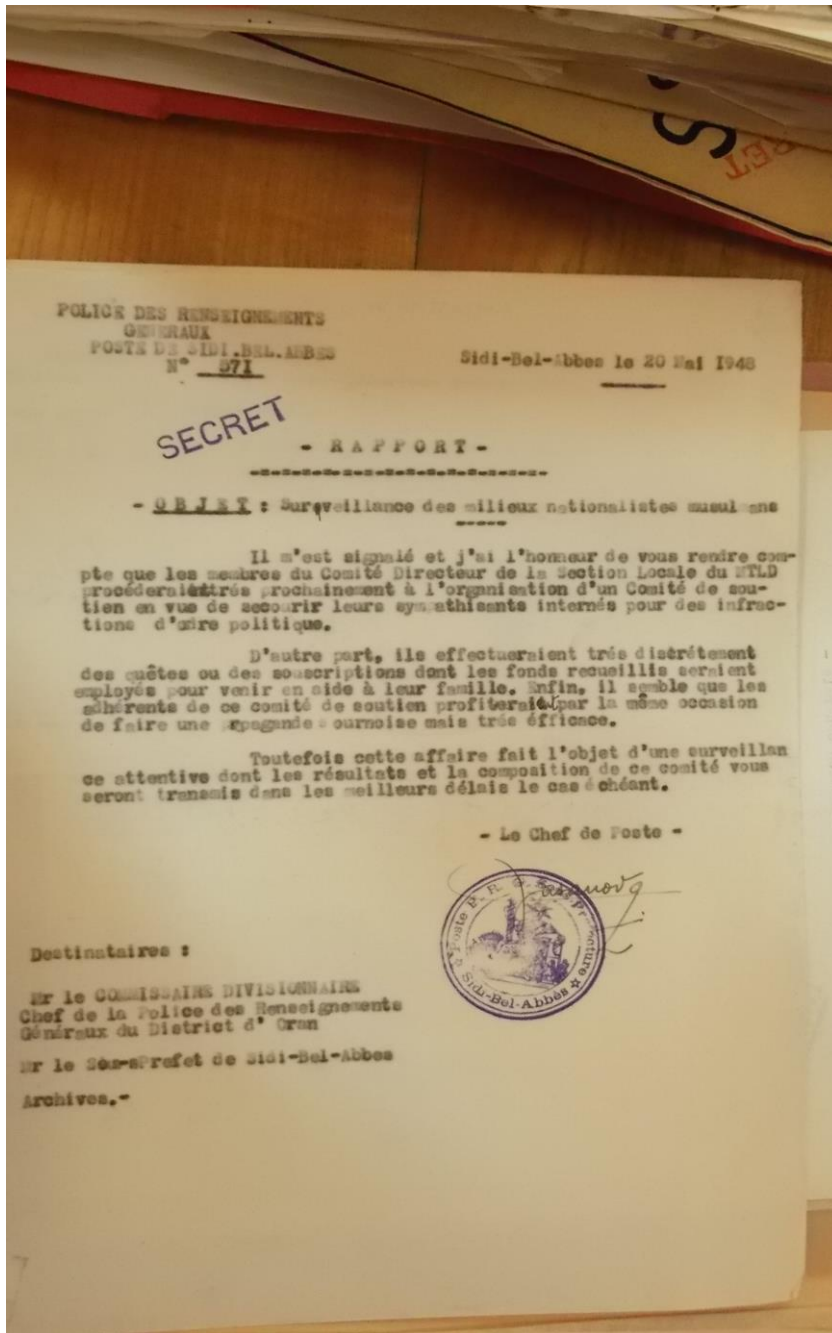
.....

LE COMMISSAIRE DIVISIONNAIRE HUYDE,
CHEF DE LA POLICE DES RENSEIGNEMENTS GÉNÉRAUX
DU DISTRICT D'ORAN.

DESTINATAIRE:
M. le Préfet (Cabinet-Police G1e)
ORAN

AMPLIATION à :
M. le Gouverneur Général de l'Algérie
(Cabinet-Sécurité Générale) ALGER
M. BERNHARD, Directeur Général de la
Sécurité Générale ALGER





المصدر: A.N.O.M, Dossier 106, document internes.

Agouas le Prefet el Oran

PREFECTURE D'ALGER
CABINET
SERVICE DES
LIAISONS NORD-AFRICAINES
N° 27 SINA
EX : 9

BULLETIN MENSUEL D'INFORMATION
DECEMBRE 1949

PRÉFECTURE D'ORAN
CABINET DU PRÉFET
Arrêté 21 JANV 1950
Dest.

SUMMAIRE

| | Pages |
|--|-------|
| I.- <u>ETAT D'ESPRIT DES POPULATIONS.-</u> | 1 |
| -Populations Européennes | 1 |
| -Populations Musulmanes | 2 |
| II.- <u>LES ASSEMBLÉES ELUES.-</u> | 2 |
| -Les Assemblées de Paris | 2 |
| -Les Assemblées Locales | 3 |
| III.- <u>SECURITE ET ORDRE SOCIAL.-</u> | 4 |
| -Sécurité | 4 |
| -Ordre Social | 6 |
| IV.- <u>MOUVEMENTS POLITIQUES.-</u> | 7 |
| -Tentatives d'Union des partis Séparatistes | 7 |
| -U.D.M.A. | 10 |
| -M.T.L.D.-P.F.A. | 11 |
| -OULAMA | 2 |
| V.- <u>LES PARTIS EUROPEENS ET LA QUESTION MUSULMANE.-</u> | 2 |
| -Le P.C.A. | 2 |
| VI.- <u>DIVERS.-</u> | |
| -Le Scoutisme Musulman | |
| -Les Etudiants Musulmans | |
| -Les Musulmans et les Assemblées Consulaire | |
| VII.- <u>CONCLUSION.-</u> | |

SECRET

R.M.
Janvier

On sait que la trésorerie de ce journal est tellement déficiente que la direction du parti a dû envisager même de suspendre sa publication.

L'action des militants n'est surtout manifestée à cet effet dans l'arrondissement de TIEMCEN où des groupes de propagandistes, sous la direction de M. DERBAK Bachir d'ALGER, ont parcouru les principaux centres pour recueillir des abonnements.

Cette tournée n'a pas été sans résultats puisqu'aussi bien elle a permis à l'U.D.M.A. d'enregistrer, dans cette région, en quelques jours, 330 abonnements.

Le passage d'autres collecteurs d'abonnement a été signalé sur différents autres points du département, Les résultats obtenus ne sont pas connus.

o
o

La plupart des élus U.D.M.A. des villes et centres du département visités par M. le Ministre, Gouverneur Général de l'Algérie au cours de son voyage en Oranie les 13, 14, 15 et 16 Octobre courant, se sont abstenus d'assister aux manifestations officielles organisées à cette occasion.

Quelques isolés cependant n'ont pas suivi la consigne d'abstention.

C'est ainsi qu'on a pu remarquer la présence de certains dirigeants U.D.M.A. aux banquets de SAÏDA et de MASCARA, à la "diffa" de CACHEROU ainsi qu'aux cérémonies de PALIKAO.

A RELIZANE, le Dr. FRANCIS avait prescrit de s'abstenir de toute manifestation hostile lors du passage du Gouverneur Général.

A TIEMCEN, les dirigeants de l'U.D.M.A. se sont réunis le 18 courant au Cercle "Nadi Islami" en vue de procéder au renouvellement du Comité.

M. MEZLANE, Président, qui avait remis sa démission a été maintenu dans ses fonctions. Sur l'insistance de ses collègues le leader local a accepté de reprendre la direction du parti?

Une assemblée générale aurait lieu sous peu.

On signale que M. FERHAT ABBAS et M. BOUMENDJEL Ahmed aurait adressé à M. le Président de la République un télégramme de protestation contre la saisie du n°197 de la "République Algérienne".

X.- LES OULAMA REFORMISTES.-

Les Oulama ont eu au cours du mois une activité relativement réduite.

.../...

On signale en effet dans l'ensemble peu de déplacements de dirigeants.

De leur côté les réunions ont été moins nombreuses que précédemment.

Le 2 Octobre courant, à ORAN, les réformistes ont organisé une réunion d'information.

Au cours de cette manifestation, présidée par le Cheikh ZEMMOUCHI, HAMANI Meussen, Président du Comité de la "Djemiat Ettarbia Ouattaalia" du faubourg Lemur, prononça une allocution particulièrement violente contre l'administration française.

Par sa xénophobie, ses critiques haineuses contre les pouvoirs publics et ses propos subversifs, ce réformiste se classe parmi les nationalistes oranais les plus virulents.

Ses déplacements, le cas échéant, dans le département et son activité en général méritent d'être surveillés de très près.

A l'occasion de l'Aïd el Kébir, la "Djemiat Ettarbia Ouattaalia" du faubourg Lemur et la "Djemiat el Falah" du quartier Lemoricrière d'ORAN ont effectué une distribution de couscous aux musulmans nécessiteux.

XI.- LES TRADITIONNALISTES.-

De nombreuses "ouâda" se sont déroulées dans le département ainsi qu'à ORAN.

Toutes ces cérémonies ont connu un très grand succès d'affluence.

Le "mouassam" du cheikh BENTEKKOUK Abdelkader, à OULED CHAFA, les ouâda de SIDI ABED, près d'INKERMANN, de SIDI KARA (CACHEROU) et de SIDI EL HOSNI à ORAN, ont groupé chacune plusieurs milliers de pèlerins.

Il semble que le nombre des participants ait été, dans l'ensemble, plus important que les années précédentes. On souligne d'autre part que partout au cours de ces ouâda, les musulmans ont tenu à manifester leurs sentiments loyaux à l'égard de l'Administration Française.

Aucune note discordante n'a marqué ces rassemblements de populations musulmanes.

XII.- LES SCOUTS MUSULMANS ALGERIENS.-

Le Congrès provincial d'Oranie des S.M.A. s'est tenu, comme prévu, à MARNIA les 1er et 2 Octobre courant. Il est intéressant de préciser que cette manifestation a réuni en tous cinq délégués venus respectivement de TLEMCEM, SIDI-BEL-ABBES, ORAN, NEMOURS et NEDROMI.

Il semble que les dirigeants scouts d'Oranie s'attendaient à une participation plus importante des différentes troupes du département.

.../...

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

| الصفحة | اسم السورة و رقم الآية | نص الآية |
|--------|-------------------------|---|
| 13 | سورة هود، الآية .61 | ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ |
| 16 | سورة البقرة، الآية 154. | ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ |

| | | |
|------------------------------|---------------------------|---|
| 19 | سورة الأنفال، الآية 60. | ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ |
| 19 | سورة البقرة، الآية 190. | ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ |
| 19 | سورة الصف، الآية 4. | ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بَنِيَانٍ مَرصُوصٍ﴾ |
| 247 - 20 - 19 | سورة الأنفال، الآية 61. | ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ |
| -128 - 113 - 21 280 - 129 | سورة آل عمران، الآية 103. | ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ |
| 22 | سورة البقرة، الآية 195. | ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ |
| 22 | سورة العنكبوت، الآية 69. | ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ |
| 22 | سورة المائدة، الآية 35. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ |
| 23 | سورة الحديد، الآية 19. | ﴿وَالشَّهَادَةَ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ |
| 23 | سورة الأحزاب، الآية 23. | ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ |
| 105 | سورة النساء، الآية 93. | ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ |
| 107 | سورة الأنفال، الآية 46. | ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ |
| 108 | سورة النساء، الآية 93. | ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ |
| 108 | سورة آل عمران، الآية 28. | ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ﴾ |

| | | |
|-----|--------------------------|--|
| | | المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴿ |
| 109 | سورة آل عمران، الآية 19. | ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ |
| 110 | سورة الأنفال، الآية 46. | ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ |
| 110 | سورة آل عمران، الآية 103 | ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ |
| 110 | سورة البقرة، الآية 134. | ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ |
| 112 | سورة الأحزاب، الآية 21. | ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ |
| 112 | سورة يوسف، الآية 15. | ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَاتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ |
| 112 | سورة النحل، الآية 110. | ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبِرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ |
| 112 | سورة النحل، الآية 93. | ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ |
| 112 | سورة محمد، الآية 31. | ﴿وَلِنُبَلِّغَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلِّغَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾ |
| 112 | سورة التوبة، الآية 81. | ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ |
| 113 | سورة الواقعة، الآية 76. | ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ |
| 113 | سورة الأحزاب، الآية 72. | ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ |
| 113 | سورة الزمر، الآية 70. | ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ |
| 113 | سورة النساء، الآية 69. | ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ |

| | | |
|-----|---------------------------|---|
| 113 | سورة الجن، الآية 14. | ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ |
| 113 | سورة المائدة، الآية 03. | ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ |
| 114 | سورة الصف، الآية 07. | ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ |
| 114 | سورة آل عمران، الآية 19. | ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ |
| 120 | سورة البقرة، الآية 143. | ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ |
| 114 | سورة الواقعة، الآية 76. | ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ |
| 114 | سورة القيامة، الآية 26. | ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ |
| 114 | سورة المدثر، الآية 35. | ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ﴾ |
| 115 | سورة طه، الآية 58. | ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا﴾ |
| 115 | سورة آل عمران، الآية 09. | ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ |
| 115 | سورة العنكبوت، الآية 96. | ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ |
| 115 | سورة الأنعام، الآية 153. | ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ |
| 115 | سورة الكهف، الآية 05. | ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ |
| 115 | سورة آل عمران، الآية 118. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ لَا يَأْلَوْنَكُمْ حَبَالًا﴾ |
| 116 | سورة المائدة، الآية 02. | ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ |

| | | |
|-----|-----------------------------|--|
| 118 | سورة البقرة، الآية 206. | ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ |
| 118 | سورة البقرة، الآية 168. | ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿ |
| 118 | سورة النساء، الآية 38. | ﴿وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ |
| 118 | سورة الحديد، الآية 19. | ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ |
| 118 | سورة مريم، الآية 98. | ﴿تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ |
| 119 | سورة المدثر، الآيتان 50-51. | ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۖ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ |
| 119 | سورة الذاريات، الآية 58. | ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ |
| 119 | سورة العنكبوت، الآية 69. | ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ |
| 121 | سورة التوبة، الآية 21. | ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ |
| 121 | سورة غافر، الآية 36. | ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ |
| 122 | سورة الأنبياء، الآية 92. | ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ |
| 122 | سورة الرحمن، الآية 52. | ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ |
| 123 | سورة النساء، الآية 175. | ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمًا﴾ |
| 123 | سورة الأنعام، الآية 135. | ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾ |

| | | |
|-----|-------------------------------------|---|
| | | فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٠٥﴾ |
| 123 | سورة التوبة، الآية 105. | ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ |
| 123 | سورة هود، الآية 121. | ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ |
| 127 | سورة الشورى، الآية 37. | ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ |
| 127 | سورة الصف، الآية 08. | ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ |
| 127 | سورة المائدة، الآية 04. | ﴿الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ |
| 129 | سورة المائدة، الآية 03. | ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ |
| 137 | سورة الرعد، الآية 11. | ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوهُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ |
| 143 | سورة العلق، من الآية 1 إلى الآية 5. | ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ |
| 148 | سورة الرعد، الآيتين 13-14. | ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ |
| 149 | سورة آل عمران، الآية 104. | ﴿وَلَتَكُنَّ مَنَّكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ |
| 155 | سورة آل عمران، الآية 85. | ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ |

| | | |
|---------|---------------------------|--|
| 156 | سورة آل عمران، الآية 169. | ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ |
| 157 | سورة محمد، الآية 24. | ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ |
| 158 | سورة الأنفال، الآية 60. | ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ |
| 158 | سورة المجادلة، الآية 22. | ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ |
| 158 | سورة الأنعام، الآية 122. | ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ |
| 158 | سورة الرعد، الآية 11. | ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ |
| 165 | سورة آل عمران، الآية 85. | ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ |
| 165 | سورة المائدة، الآية 35. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ |
| 165 | سورة الأنفال، الآية 46. | ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ |
| 165-167 | سورة يوسف، الآية 108. | ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ |
| 167 | سورة النحل، الآية 125. | ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ |

| | | |
|-----|---------------------------|--|
| | | أَعْلَمَ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿ |
| 167 | سورة الأنعام، الآية 153. | ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَعْكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ |
| 167 | سورة آل عمران، الآية 85 | ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ |
| 168 | سورة آل عمران، الآية 104. | ﴿وَلَتَكُنَّ مَنَّكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ |
| 168 | سورة المائدة، الآية 90. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِمَّنْ عَمَلَ الشَّيْطَانُ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ |
| 168 | سورة الإسراء، الآية 32. | ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿ |
| 168 | سورة النور، الآية 2 و 3. | ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿ |
| 168 | سورة المائدة، الآية 38. | ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ |
| 169 | سورة الإسراء، الآية 33. | ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْفَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿ |
| 169 | سورة المائدة، الآية 32. | ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَ تَهُمُ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿ |
| 169 | سورة التوبة، الآية 34. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴿ |
| 169 | سورة النساء، الآية 02. | ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ |

| | | |
|-----|---------------------------|---|
| | | ﴿حُوبًا كَبِيرًا﴾ |
| 169 | سورة النساء، الآية 07. | ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ |
| 171 | سورة الأحزاب، الآية 21. | ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ |
| 172 | سورة الجاثية، الآية 18. | ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ |
| 178 | سورة طه، الآية 135. | ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ |
| 172 | سورة الأنعام، الآية 104. | ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ |
| 179 | سورة الحشر، الآية 09. | ﴿... وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ |
| 192 | سورة الحج، الآية 39. | ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ |
| 192 | سورة البقرة، الآية 190. | ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ |
| 195 | سورة التوبة، الآية 41. | ﴿جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ |
| 218 | سورة الإسراء، الآية 70. | ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ |
| 123 | سورة آل عمران، الآية 103. | ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ |
| 225 | سورة البقرة، الآية 190. | ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ |
| 225 | سورة المائدة، الآية 03. | ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ |

| | | |
|-----------|---------------------------|---|
| 225 | سورة الإسراء، الآية 70 | ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴿ |
| 235 | سورة آل عمران، الآية 103. | ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿ |
| 239 | سورة آل عمران، الآية 103. | ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿ |
| 240 | سورة الأنفال، الآية 46. | ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿ |
| 241 | سورة النساء، الآية 17. | ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ |
| 242 | سورة الإسراء، الآية 70. | ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿ |
| 225 | سورة المائدة، الآية 03. | ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴿ |
| 253 | سورة الأعراف، الآية 118. | ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ |
| 250 | سورة آل عمران، الآية 110. | ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿ |
| 251 - 250 | سورة آل عمران، الآية 103. | ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿ |
| 251 | سورة محمد، الآية 35. | ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿ |
| 251 | سورة النساء، الآية 95. | ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ |
| 252 | سورة النساء، الآية 76. | ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا ﴿ |

| | | |
|-----|-------------------------|--|
| | | ﴿أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ |
| 257 | سورة التوبة، الآية 73. | ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ |
| 257 | سورة التوبة، الآية 41. | ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ |
| 257 | سورة البقرة، الآية 190. | ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ |
| 259 | سورة الأنعام، الآية 45. | ﴿فَقَطَّعَ دَائِرِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ |
| 259 | سورة فاطر، الآية 34. | ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ |
| 260 | سورة القلم، الآية 04. | ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ |
| 260 | سورة المائدة، الآية 06. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ |
| 260 | سورة الأعراف، الآية 31. | ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ |
| 261 | سورة المائدة، الآية 32. | ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ |
| 261 | سورة المائدة، الآية 51. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ |
| 261 | سورة النساء، الآية 59. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ |
| 261 | سورة الإسراء، الآية 26. | ﴿وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾ |
| 261 | سورة الإسراء، الآية 32. | ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ |
| 261 | سورة النور، الآية 02. | ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ |
| 262 | سورة الشورى، الآية 38. | ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ |
| 263 | سورة الحجرات، الآية 13. | ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ |

| | | |
|-----|------------------------------|---|
| | | وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾ |
| 263 | سورة البقرة، الآية 256. | ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ |
| 263 | سورة النساء، الآية 95 | ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ |
| 264 | سورة البقرة، الآية 247. | ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ |
| 265 | سورة الإسراء، الآية 34. | ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ |
| 265 | سورة القصص، الآية 77. | ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ |
| 267 | سورة النساء، الآية 58. | ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ |
| 267 | سورة النحل، الآية 90. | ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ |
| 268 | سورة النساء، الآية 90. | ﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ ظُلْمًا فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ وَالْقَوَا أَلْيَسَ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ |
| 272 | سورة النساء، الآية 58. | ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ |
| 272 | سورة النحل، الآية 90. | ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ |
| 274 | سورة الأنفال، الآية 46. | ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا عَوًّا فتنفسلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ |
| 274 | سورة الإسراء، الآيتان 26-27. | ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ |
| 277 | سورة التوبة، الآية 73. | ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ |
| 277 | سورة التوبة، الآية 41. | ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ |

| | | |
|-----------|-------------------------------|--|
| | | تَعْلَمُونَ ﴿ |
| 278 | سورة الفرقان، الآية 52. | ﴿فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ |
| 278 | سورة الأعراف، الآية 181. | ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ |
| 278 | سورة آل عمران، الآية 104. | ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ |
| 279 | سورة آل عمران، الآية 155. | ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ |
| 282 | سورة المائدة، الآية 51. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ |
| 282 | سورة الممتحنة، الآية 09 | ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ |
| 284 | سورة آل عمران، الآية 146. | ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ |
| 309 | سورة البقرة، الآية 96. | ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْحَزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ |
| 310 | سورة الفتح، الآية 10. | ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَاتِمَّا يَنْكَتْ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُ أَجْرٌ عَظِيمًا﴾ |
| 310 | سورة النساء، الآية 59 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ |
| 318 - 312 | سورة محمد، الآية 07. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنَصَّرُوا اللَّهَ يَتَّصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ |
| 314 | سورة آل عمران، الآية 169-170. | ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۖ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ |

| | | |
|-----|--------------------------------|---|
| | | يَحْزَنُونَ ﴿ |
| 319 | سورة التوبة، الآية 111. | ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ |
| 319 | سورة الأنفال، الآية 65-66. | ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۗ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ |
| 319 | سورة البقرة، الآية 249. | ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ |
| 319 | سورة الأنفال ، الآية 45. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ |
| 320 | سورة الأحزاب ، الآية 09. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ |
| 320 | سورة آل عمران ، الآية 141. | ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ |
| 320 | سورة آل عمران ، الآية 150-151. | ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ۖ سَنَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ |
| 320 | سورة التوبة ، الآية 52. | ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسَيْنِيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ |
| 323 | سورة النساء، الآية 74. | ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ |
| 323 | سورة المائدة، الآية 54. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ |

| | | |
|-----|----------------------------|---|
| | | يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ |
| 325 | سورة البقرة، الآية 249. | ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ |
| 325 | سورة التوبة، الآية 111. | ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ |
| 328 | سورة البقرة، الآية 249. | ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ |
| 328 | سورة آل عمران، الآية 13. | ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ |
| 328 | سورة الأنفال، الآية 17. | ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ |
| 330 | سورة يونس، الآية 62-63-64. | ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۗ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۗ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ |
| 331 | سورة الفتح، الآية 04. | ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ |
| 332 | سورة الأنفال، الآية 17. | ﴿فَلَمَّ تَقَاتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ |
| 332 | سورة الأنفال، الآية 11. | ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ |
| 332 | سورة آل عمران، الآية 154. | ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ |

| | | |
|-----|---------------------------------|--|
| 333 | سورة الأنفال ، الآية 11 . | ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ |
| 333 | سورة الكهف ، الآية 10 . | ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ |
| 336 | سورة الأنبياء ، الآية 30 . | ﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ |
| 333 | سورة الكهف ، الآية 9 و 10 . | ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۖ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ |
| 334 | سورة النحل ، الآية 07 | ﴿وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْوْفٌ رَّحِيمٌ﴾ |
| 337 | سورة يس ، الآية 09 . | ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ |
| 338 | سورة التوبة ، الآية 111 . | ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ |
| 339 | سورة الأنفال ، الآية 09 . | ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ |
| 339 | سورة الأحزاب ، الآية 9 - 10 . | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاؤُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾ |
| 339 | سورة الأنبياء ، الآية 69 - 70 . | ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۗ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ |
| 345 | سورة المائدة ، الآية 90 . | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ |

| | | |
|-----|-------------------------|---|
| 345 | سورة النساء، الآية 102. | ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَىٰ مِّن مِّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ |
| 348 | سورة البقرة، الآية 258. | ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ |
| 349 | سورة محمد، الآية 07. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصَرُوتُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ |
| 349 | سورة الروم، الآية 47. | ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ |
| 351 | سورة النمل، الآية 37. | ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا آدِلَةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ |

فهرس الشخصيات

| الصفحة | الاسم |
|---------------------------------|-------|
| | أ |
| -24 -23 -22 -21 -20 -19 -18 -16 | الله |
| -108 -107 -105 -64 -52 -51 -29 | |

| | |
|--|---------------------|
| -114- 113 -112 -111- 110 -109 -121 -120 -119 -118 -116 -115 -130 -128 -127 -124 -123 -122 -150 -149 -148 -143 -140 -137 -162 -159 -158 -157 -156 -155 -169 -168 -167 -165 -164 -163 -186 -185 -183 -179 -171 -170 -217 -201 -200 -198 -197 -195 -245 -244 -241 -231 -229 -222 -256 -253 -252 -248 -247 -246 -270 -269 -267 -265 -263 -257 -283 -280 -278 -274 -273 -271 -292 -290 -289 -288 -285 -284 -304 -302 -298 -297 -296 -294 -317 -316 -315 -311 -310 -309 -323 -322 -321 -320 -319 -318 -329 -328 -327 -326 -325 -324 -335 -334 -333 -332 -331 -330 -341 -340 -339 -338 -337 -336 -348 -346 -345 -344 -343 -342 -355 -354- 353 -352 -350 -349 .363 -362 -361 -360 -358 -356 | |
| 28 | أبو بكر الصديق |
| 21 | إبراهيم آغا |
| - 29 - 28 - 27 - 26 - 25 - 24 - 23 - 223 - 222 - 161 -90 - 31 - 30 .323 - 232 - 224 | الأمير عبد القادر |
| 25 | ابن العنابي |
| 303- 288 -241 -202 -84 -73 | أبو القاسم سعد الله |

| | |
|----------------------------------|----------------------------|
| 147 | أبو القاسم الزغداني |
| 246 | أبو القاسم الشابي |
| 37 | أجرون (Ageron) |
| 99 -70 -50- 49 -46 -43 | الأمير خالد الجزائري |
| 45 | إسماعيل الصفايحي |
| 48 -45 | الأمير عبد المالك الجزائري |
| 204 -89 | أحمد بودة |
| 298 -276 -275 -273 -261 -201 -90 | أحمد بن بلة |
| 90 | أحمد بن عبد الله |
| 201 -93 | أحمد مزغنة |
| 124 | أبو فراس |
| 356 -319 -134 | أرزقي باسطة |
| 141 -55 | إبراهيم بيوض |
| 147 | أبو القاسم الزغداني |
| 303 -294 -292 -290 - 289 -152 | إبراهيم مزهودي |
| 163 | إسماعيل العربي |
| 170 | أكلي محمد |
| 196 | آمال شيلي |
| 201 | أحمد بيوض |
| 204 | ابن با أحمد |
| 204 | آيت علي أحمد |
| 204 | آيت شعلال |
| 204 -89 | أحمد بودة |
| 223 | أفلاطون |
| 223 | أرسطو |
| 303 -288 -241 -202 -84 -73 | أبو القاسم سعد الله |
| 294 | إبراهيم مزهودي |
| 300 -291 | أحمد بوشمال |

| | |
|--------------------|----------------------------------|
| 298 | أبو عبد الله غلام الله |
| 305 | إسماعيل بورغيدة |
| 306 | أحمد حسين |
| 334 | إبراهيم الدراحي |
| 338 | ابن كثير |
| 338 | أحمد تواقين |
| 343 | أحمد زبانة |
| 345 | الأزهر شريط |
| 307 -299 -200 -152 | أحمد توفيق المدني |
| 169 | أحمد الحبيباتي |
| 296 -292 | أحمد حماني |
| 356 | أولحاج |
| | ب |
| 19 | بريسو |
| 21 | بوتان |
| 38 -27 | بيجو (الجنرال) |
| 30 | بوزيان |
| 67 | بوكرنة |
| 67 | بن حاج |
| 67 | بوقرط |
| 91 | بن زيان حسين ولد سيدي عبد الباقي |
| 217 -96 -95 | بن عبد المالك رمضان |
| 102 | بوزيان محمد |
| 102 | بنسك محمد الطيب |

| | |
|--|-------------------|
| 102 | بن أشنهو حسين |
| 102 | بن أشنهو مصطفى |
| 196 | بشير شيحاني |
| 196 | بوجمة سويداني |
| 182 | بوشنافة |
| 204 | بن علي شريف |
| 295 -205 -204 | بن يوسف بن خدة |
| 216 | بينو(Pinot) |
| 284 -56 | البخاري حمانة |
| 354 -320 -287 | بن نعمان |
| 290- 299 | بوعلام باقي |
| 95 | باجي مختار |
| 196 | بوجمة سويداني |
| 30 | بوعمامة |
| -84 -83 -81 -77 -76 -67 -56 -55 -143 -143 -142 -141 -139 -87 -86 -163 -156 -148 -147 -146 -145 -181 -180 -179 -172 -170 -168 -202 -201 -200 -186 -184 -182 -297 -296 -295 -294 -289 -288 .307 -303 -302 -299 | البشير الإبراهيمي |
| 335 | بيجار (Bigard) |

| | |
|--------------------|--------------------------------|
| 70 | بورجو |
| 94 | بوشوبة رمضان |
| 137 -41 | بن سماية عبد الحليم |
| 206 | بلونيس الجنرال |
| 137 | بن علي فخار |
| 91 | بن حجلال يحي |
| | ج |
| 33 | جول فيري (Jules Ferry) |
| 35 | جول غابون (Jule Gabon) |
| 48 -41 | جمال الدين الأفغاني |
| 267 | جمال يچياوي |
| 203 | جاك سوستيل (Jacques Soustelle) |
| 243 -210 | جنينة مصالي |
| 305 -304 -300 -272 | جمال عبد الناصر |
| 352 | 'جوان جليسي' (Juan Oglesby) |
| | 'جي مولي' (Guy Mollet) |
| | د |
| 21 | الداي حسين |
| 22 | دوبرمون |
| 23 | دامريمون |

| | |
|------------------|-------------------------------|
| 27 | دي ميشال |
| 29 | دنفو الضابط |
| 70 -66 | دلاديه (Daladier) |
| 70 | دوروا (Douroi) |
| 94 | دخلي محمد |
| 102 | داودي بن محمد |
| 228 -194 -96 -95 | ديدوش مراد |
| 268 | 'دوغول' (De Gaulle) |
| 261 | دانيال تيمسيت (Daniel Timsit) |
| | هـ |
| 20 -19 | هنري كلود |
| 21 | هنري الثالث |
| 36 | هنري كلين |
| 149 | هارون الرشيد |
| 209 | هنري بوجو (Henri Bourgeaud) |
| 290 | الماشمي هجرس |
| 298 | الماشمي قدوري |
| 334 | هادي عمر |

| | |
|------------------|--------------------------|
| | و |
| 204 | ولد عودية |
| 48 -46 | 'ولسون' (Wilson) |
| | ز |
| 170 -160 -159 | زموشي سعيد |
| 170 | زيدور الطيب |
| | زاوي أحمد |
| | ح |
| 139 | حمدان لونيبي |
| 45 | حمدان بن علي |
| 298 -201 -95 -90 | حسين آيت أحمد |
| 99 | الحاج علي عبد القادر |
| 139 | الحاج أمين الحسيني |
| 141 | حسن الطرابلسي |
| 204 | حمودة |
| 204 -89 | حسين الأحول |
| 290 | حمادي الهاشمي |
| 304 | الحاج هاشم بن الحاج يونس |
| 323 | حسين عسلة |
| 333 | حرفوشي محمد |
| 69 | حمزة الشيخ |
| 163 | حماني الميلبي |
| 290 | الحفناوي زاعر |

| | |
|-------------|-------------------|
| | 'حمزة بوكوشة' |
| | ط |
| 68 -67 | الطبي العقي |
| 141 | الطيب المهاجي |
| 290 | الطيب خرشي |
| 334 | الطاهر التبسي |
| 346 | طيب إبراهيم فتيحة |
| 294 | الطاهر آيت علجت |
| | ي |
| 102 | يحياوي أحمد |
| 196 -95 | يوسف زيغود |
| 62 -43 | يحي بوعزيز |
| | ك |
| 33 | كميل شوطون |
| 119 -102 | كحال أرزقي |
| 102 | كساسي أحمد |
| 102 | كوماد رمضان |
| 196 -96 -95 | كريم بلقاسم |
| 250 | كسيلا |
| 250 | الكاهنة |
| 333 | كاب عبد الرحمان |
| | ل |
| 30 | لالة فاطمة نسومر |

| | |
|------------------------------|--|
| 35 -34 | لافيجيري شارل(Charles Lavigerie) |
| 43 | ليون روش(Léon Roche) |
| 69 -64 | ليون بلوم(Léon Blum) |
| 291 -67 -66 | لمين العمودي |
| 305 -89 | الأمين دباغين |
| 90 | لنصاري عبد الله ولد محمد |
| 287 -95 | لخضر بن طوبال |
| 152 | ليو وارنير(Léo Warner) |
| 304 -293 -290 -289 -288 -177 | لهلاي |
| 204 | لخضاري |
| | م |
| 298 | مصطفى الأشرف |
| 24 | محمد علي باشا |
| 28 -27 -26 -25 | محي الدين |
| -329 -328 -325 -308 -286 -31 | محمد زروال |
| 350 -344 -343 -342 -339 | |
| 30 | المختار بن عبد الرحمان |
| 30 | محمد الأجد بن عبد المالك الملقب ببوغلة |
| 30 | المقراني |

| | |
|--|---|
| 196 -99 -68 -40 | محفوظ قداش |
| 41 | محمد عبده |
| 41 | مصطفى بن الخوجة |
| 42 | محمد بن أبي شنب |
| 45 | محمد الخضر حسين |
| 45 | محمد مزبان التلمساني |
| 45 | محمد بزار |
| 45 | محمد باشا حامبة |
| 45 | محمد الشبيبي |
| 63 -62 | مارسيل ريني |
| 152 | موريس فيوليت (Maurice Violette) |
| -78 -77 -75 -70 -69 -65 -54 -52 -99 -94 -93 -92 -89 -86 -85 -84 -107 -104 -103 -102 -101 -100 -114 -113 -112 -111 -110 -108 -129 -123 -120 -119 -118 -115 -211 -210 -206 -205 -191 -130 232 -228 | مصالي الحاج |
| 70 | مورينو |
| 211 -88 | مارسيل إدموند نايجلن (Marcel-Edmond Naegelen) |
| 89 | مسعود بوقادوم |

| | |
|--|----------------------|
| 90 | محمد بلوزداد |
| -298 -228 -194 -96 -95 -94 -90 316 | محمد بوضياف |
| 210 -94 -93 | مولاي مرياح |
| -228 -198 -196 -194 -96 -95 -94 355 -344 -331 -328 -316 -289 | مصطفى بن بولعيد |
| 216 -96 -95 -94 | محمد العربي بن مهيدي |
| 95 | مصطفى بن عودة |
| 127 -126 -121 -99 | محمد قنانش |
| 196 -99 -68 -40 | محفوظ قداش |
| 102 | مبارك بن لخضر |
| 102 | موساوي رابح |
| -127 -126 -125 -123 -121 -108 -322 -321 -308 -307 -195 -191 341 -337 | مفدي زكرياء |
| 153 -83 | محمد الأمين بلغيث |
| 140 -139 -137 -41 | محمد عبده |
| 139 | محمد الطاهر بن عاشور |
| 139 | محمد النخلي |
| 141 | محمد الأمين لعمودي |
| 299 -141 -59 -55 | مبارك الميلي |
| 141 | المولود الحافظي |
| 141 | مولاي بن شريف |

| | |
|--------------------------------------|-----------------------------|
| 201 -200 -154 -150 -147 -69 | محمد الفضيل الورتلاني |
| 147 | محمد العابد الجلالي |
| -350 -302 -297 -295 -186 -152 353 | محمد خير الدين |
| 168 | محمد الصالح بن عتيق |
| 194 | محمد مورو |
| 194 | مراد بوقشورة |
| 200 | محمد حاج عيسى |
| 201 -95 -90 -75 | محمد خيضر |
| 204 | مشري |
| 204 | مهدي |
| 204 | محمد يزيد |
| 204 | مصطفى فروخي |
| 209 | ميسكاتلي |
| 213 | منديس فرانس (Mendès France) |
| 241 | ماو تسي تونغ (Mao Tse-tung) |
| 244 -242 | محمد جغابة |
| 251 | محمد بوشنافي |
| 261 -241 -187 -23 | محمد حربي |
| 306 -289 | مصطفى بوغابة |
| 290 | محمد كشود |
| 291 | محمد الصالح يچياوي |
| 291 | محمد العدوي |
| 293 | محمود عيسى البابي |
| 294 | محمد الصالح رمضان |
| 298 -296 -295 | محمد الغسيري |
| 299 | محمد مهري |
| 299 | محمد بوعروج |

| | |
|----------------------------------|-------------------------|
| 299 | محمد أبو القاسم خمار |
| 299 | منور الصم |
| 302 | محمد بن براهيم آل الشيخ |
| 304 | مصطفى نعمان البدرى |
| 328 | محمد الطاهر عزوي |
| 334 | محمد الشريف عصفور |
| 334 | معمار البشيجي |
| 343 - 309 | محمد الشوكي |
| 354 | محمد الشريف |
| 331 | محمد الشريف جاب الله |
| | ن |
| 17 | نابليون (Napolean) |
| 306 - 163 | نعيم النعيمي |
| 304 | نوري السعيد |
| | س |
| 21 | سليم الثاني |
| 68 - 67 | سعدان الدكتور |
| 123 | سيدي عبد القادر الجيلاي |
| 127 | سي كحال |
| 260 - 208 - 129 - 112 - 103 - 93 | سطورا (Stora) |
| 139 | سعيد بورنان |
| 141 | السعيد اليجري |
| 152 | سعيد البياني |
| 205 | سعد دحلب |
| 239 - 207 | سليمان الشيخ |
| 273 | سي موسى الرائد |
| 290 | سليمان بشنون |
| 291 | سليمان سليمانى |

| | |
|--|----------------------|
| 335 | ساسى الصادق |
| 353 - 352 | سليمان قريري |
| 290 | الشيخ سرحاني |
| | ع |
| 28 | عمر بن الخطاب |
| 28 | عثمان بن عفان |
| 28 | علي بن أبي طالب |
| 41 | عبد الرحمان الكواكبي |
| 41 | عبد العزيز الثعالبي |
| 41 | عبد القادر المجاوي |
| 41 | عبد الحليم بن سمائة |
| 90 | عبد القادر خياري |
| 91 | عبد الباقي |
| 95 | عثمان بلوزداد |
| 99 | علي بومعزة |
| 102 | عبد القادر بن مسعود |
| 102 | عيسى بن شريط |
| 48 | عبد الكريم الخطابي |
| -138 -77 -76 -71 -60 -58 -56 -55 -150 -146 -144 -143 -141 -140 -171 -170 -168 -167 -166 -153 353 -294 -219 -186 -185 -173 | عبد الحميد بن باديس |
| 142 | عبد القادر القاسمي |
| 329 -200 -152 -76 | العربي التبسي |
| 219 -213 -193 | عبد الله مقلاتي |
| 196 -96 | عمر أو عمران |
| 196 -96 -95 | عبد الحفيظ بوصوف |
| 335 -326 -222 -198 -96 | عباس لغور |

| | |
|--------------------|---------------------|
| 204 | عزيزي |
| 296 -295 -205 | عبد الحميد مهري |
| 206 | عمار حمزة |
| 272 | عمار أوزقان |
| 289 | علي الساسي |
| 208 | عبان رمضان |
| 290 | العربي سعدوني |
| 290 | علي بلقاسم |
| 291 | عمر صخري |
| 291 | عبد الكريم العقون |
| 329 -297 -294 -292 | عميروش العقيد |
| 292 | العربي الشريف |
| 288 | عبد الحفيظ أمقران |
| 301 -293 | علي مرحوم |
| 293 | عبد الرزاق شنتوف |
| 300 -294 -293 | عبد الرحمان شيبان |
| 296 | عمر بن الحسين |
| 299 -391 | العباس بن الحسين |
| 299 | عبد الله خليل |
| 300 | عباس التركي |
| 301 | عمر مطاطلة |
| 313 | عمار بن عودة |
| 314 | عز الدين ميهوي |
| 315 | عبد العزيز بوتفليقة |
| 321 -316 | عقبة بن نافع |
| 325 | علي بن مشيش |
| 327 | عزوزي قدور |
| 328 | علي خليل بلقاسم |

| | |
|---|----------------------------------|
| 328 | عثمان الفرجيوي |
| 329 | عبد العناني |
| 329 | عميرات |
| 347 | عثمان شبوب |
| | ف |
| 10 | فاسكو دي جاما |
| -71 -70 -68 -67 -65 -63 -62 -61 -85 -84 -83 -82 -81 -78 -77 -76 -203 -202 -189 -158 -112 -86 306 -305 -282 -276 | فرحات عباس |
| 199 | فرنسوا متيران (François Météran) |
| 299 | فرنسيس الدكتور |
| | ص |
| 327 -327 -209 -21 | صالح فركوس |
| 39 | صالح الشريف |
| 284 | صالح وشام |
| 287 | الصادق مخلوف |
| | ر |
| -118 -113 -63 -28 -27 -25 -24 -171 -164 -149 -129 -124 -119 -267 -246 -183 -177 -176 -173 -332 -328 -323 -316 -286 -280 .360 -358 -345 -340 | الرسول - Φ رسول الله |
| 33 | روبير أجيرون (Robert Ageron) |
| -105 -64 -61 -55 -52 -48 -41 -138 -132 -122 -112 -111 -109 -251 -250 -187 -162 -142 -140 | رابح لونيبي |

| | |
|--------------------|----------------------------------|
| 261 | |
| 97 -85 | رابح بلعيد |
| 190 -90 -89 -88 | رابح بيطاط |
| 96 | ريفد علي |
| 133 | رشيد رضا |
| 146 | روبير لونقي (Robert Longuet) |
| 286 -286 -283 -146 | الربيع بوشامة |
| 203 | روجي ليونار (Roger Leonard) |
| 228 | 'روني دوليت' |
| 235 | رويسبير (Robespierre) |
| 285 | روبيرت لاکوست (Robert la coste) |
| 285 | رضا حوحو |
| 301 | رضا بن الشيخ العباس بن الحسين |
| | ش |
| 15 -11 | شارل العاشر |
| 23 | شارل فيرو |
| 44 | شارل روبير أجيرون (Ch- R.Ageron) |
| 24 | الشريف أحمد بن قاسم |
| 206 -109 -35 | شكيب أرسلان |
| 36 | شارل جونار |
| 93 | شادلي خير الله |
| 96 | شعبان علي |
| 317 -195 -69 | الشاذلي المكي |
| 285 | شعباني |
| 317 | شوقي مصطفاي |
| | ت |

| | |
|--------------------|----------------|
| 61 | تامزالي |
| 111 | تواري محمد |
| | خ |
| 311 -267 -258 -254 | خيثر عبد النور |
| 255 | خلفة معمري |
| 318 -316 -302 | خالد بن الوليد |
| 326 | خوجة عبد الله |
| | غ |
| 143 | الغاسري |

بيبايو غرافيا البحث

* القرآن الكريم

أولا: المصادر

I / الأرشيف:

أ/ المركز الوطني للأرشيف :

1/ DZ/AN/2G/51/06 تقرير موجز عن نشاط مكاتب حكومتنا في البلاد العربية:

2/ DZ/AN/2G/031/01/044, Rapport sur les questions militaires aide des pays amis.

ب/ الأرشيف الوطني لما وراء البحار (A.N.O.M) إكس أون بروفنس:

I/ Série I;

1/ Dossier 51/47 :

- 1/ Rapport de police sur La réunion de la Jeunesse du Congrès musulman.
- 2/ Rapport de police sur les Comités Locaux du Congrès Musulmans 1936/1938.
- 3/ Rapport de l'Administrateur de la commune mixte de Telegh à M. le Sous-préfet de sidi bel Abbés daté du 17 Juin 1937.

2/ Dossier 106, document internes :

- 1/ Rapport sur l'Activité nationaliste du nommé Lansari Abdellahould Mohammed daté du 26 Juin 1948.
- 2/ Rapport sur l'Activité nationaliste du nommé Ahmed Ben Abdellah daté du 05 Juin 1948.
- 3/ Rapport de police sur la surveillance des milieux nationalistes musulmane daté du 20 Mai 1948.
- 4/ Rapport de police des renseignements généraux daté du 7 Février 1948.
- 5/ Rapport de police sur l'Activité nationaliste du nommé Benziane Hocine Ould Sidi Abdelbaki daté du 14 Avril 1948.
- 6/ Activité des principaux Chiouhh, compte rendu d'une réunion donné le 16 septembre 1953.
- 7/ Activité des principaux Chiouhh, Activité du Cheikh ZEMMOUCHI Saïd le 12 septembre 1953.
- 8/ Activité des principaux Chiouhh, Activité à Tlemcen du Cheikh ZEMMOUCHI Saïd, inspecteur des Medersas Réformistes d'Oranie.
- 9/ Activité des principaux Chiouhh, Tournée dans le Département du Cheikh ZEMMOUCHI Saïd le 26 juin 1953.

3/ Dossier 28, document internes :

- 1/ Rapport Mensuel sur l'Activité Musulmane Dans le Département D'Oran Septembre 1949.
- 2/ Rapport Mensuel sur l'Activité Musulmane Dans le Département D'Oran Décembre 1949.
- 3/ Bulletins Mensuels Des Questions Islamiques, Année 1949.

II/ Série U;

- 1/ 2 U 22, ALG, département d'Alger, contrôle des personnages religieuse, Fiche des renseignements individuel sur les confréries religieuse musulmans du nommée si Abdelkader Mohamed.

2/A.N.O.M, 81F, Boite 765, Le Nationalisme Extrémiste en Algérie- Ses forces- Ses faiblesses- comment le combattre.

3/A.N.O.M, 93, Boite 4111, Rapport et synthèses 1954/1956 ; Annexe à la synthèse de renseignements moi d'Avril 1955.

II: الوثائق و المنشورات:

1/ الميثاق الوطني 9 فبراير 1986

2/ النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1962/1954، قسم الإعلام و الثقافة، مطابع الحزب.

III/ الكتب:

أ/ باللغة العربية:

1/ (حماني)، أحمد، صراع بين السنة و البدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، ج1، دار البعث، الجزائر، 1984.

2/ (-، -)، صراع بين السنة و البدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، ج2، دار البعث، الجزائر، 1984.

3/ (الإبراهيمي)، محمد البشير، في قلب المعركة، دار الأمة، الجزائر، 1997 .

4/ (-، -)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1 (1940/1929)، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997.

5/ (-، -)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، جمع و تقديم: الإبراهيمي (أحمد طالب)، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997.

6/ (-، -)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، جمع و تقديم: الإبراهيمي (أحمد طالب)، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997.

7/ (باسطة)، أرزقي، مواقف و شهادات عن الثورة الجزائرية- إيماننا بالله و الإسلام-، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2009.

8/ (بن العقون)، عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة

الثالثة(1954/1947)، الجزء الثالث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

9/ (الورتلاني)، الفضيل، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، 2009.

10/ (زروال)، محمد، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، 1994.

11/ (كافي)، علي، مذكرات من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1962/1946، دار القصبة، الجزائر، 1996.

12 / (المدني)، أحمد توفيق، حياة كفاح (مذكرات)، الجزء الثالث، مع ركب الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

13 / (شيبان)، عبد الرحمن، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

14 / (خير الدين)، محمد، مذكرات و مشاركة في جمعية العلماء و جبهة التحرير الوطنية و مجلس الثورة الجزائرية، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر .

ب/ الكتب باللّغة الأجنبية:

1 / (MESSALI) ,HADJ, Les Mémoires de MESSALI HADJ 1898-1938, Editions ANEP, Algérie, 2005 .

2/ (FANON), Frantz , Sociologie d'une révolution (L'an V de la révolution algérienne) ,François Maspero, Éditeur, Paris, 1972.

3/ (Abbas) , Ferhat, autopsie d'une guerre, Editions Grainier, Paris, 1980 .

4/ (Kaddache),Mahfoud ,Histoire Du Nationalisme Algérien, tome 1, Entreprise National du Livre, Alger, Deuxième édition, 1993.

5/ (-,-) ,Histoire Du Nationalisme Algérien Question National et Politique Algérienne 1919-1951, tome 1, Société National d'édition et de Diffusion, Alger, 1980.

6/ (-,-) , ET L'Algérie se libéra 1954-1962, EDIF, Alger, 2003.

ثانيا:المراجع:

I / باللّغة العربية:

1/ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من الإيمان، الحديث 49. تح: نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، ط2، 2006.

2/ (الأشرف)، مصطفى، الجزائر: الأمة و المجتمع، ترجمة حنفي، (بن عيسى)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

3/ (بلاح)، بشير، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 / 1989)، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

4/ (-,-) ، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 / 1989)، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

- 5/ (بلاسي) ، نبيل أحمد، الاتجاه العربي و الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، 1990.
- 6/ (بلعيد) ، رابع، الحركة الوطنية الجزائرية 1945-1954- دراسة و وثائق غير منشورة-، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2015.
- 7/ (بلغيث) ، محمد الأمين، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات و وثائق - وثائق جديدة و صور نادرة تنشر لأول مرة، دار ابن كثير، بيروت، ط 2، 2007.
- 8/ (بن رحال) ، الزبير، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية (1889-1940 م)، دار الهدى، الجزائر، 1997.
- 9/ (بن سلطان)، عمار، الدعم العربي للثورة الجزائرية، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- 10/ (بن ناصر السعدي) ، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2012.
- 11/ (بن نعمان) ، أحمد، جهاد الجزائر حقائق التاريخ و مغالطات الإيديولوجرافيا، دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط 2، 1998.
- 12/ (بناسي) ، أحمد، فلسفة الثورة الجزائرية- أسس و مبادئ-، دار سمر، ط 1، الجزائر، 2005.
- 13/ (بوالصفصاف) ، عبد الكريم، رواد النهضة و التجديد في الجزائر 1889-1965، دار الهدى، الجزائر، 2007.
- 14/ (بوحوش) ، عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- 15/ (بورنان) ، سعيد، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936/1956، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2011.
- 16/ (بوعزيز)، يحيى، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 17/ (-،-)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع و العشرين، ج 2، ثورات القرن العشرين، ط 2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، 1996.

- 18/ (-، -)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، ج1، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009.
- 19/ (-، -)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، طبعة خاصة منقحة و مزيدة، 2009.
- 20/ (جغابة) ، محمد، بيان أول نوفمبر دعوة إلى الحرب، رسالة للسلم، قراءة في البيان، دار هومة، الجزائر، 1999.
- 21/ (جبران) ، لعرج، الثورة الجزائرية وعلاقتها بالمغرب الأقصى 1954-1962، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 2013.
- 22/ (دراجي) ، محمد، الإسلام في الجزائر في العهد الاستعماري من خلال مقالات الإمام البشير الإبراهيمي، عالم الأفكار، الجزائر، 2007.
- 23/ (دبش)، إسماعيل، السياسة العربية و المواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية (1954/1962)، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2003.
- 24/ (دحو) ، العربي، الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- 25/ (- ، -)، الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- 26/ (هنري) ، كلود و اندريه، برينان و ايف، لاكوست، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، ترجمة : محمد عيتاني، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.
- 27/ (الزيري) ، محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البعث، الجزائر، 1984.
- 28/ (- ، -)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.
- 29/ (- ، -)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.
- 30/ (حربي) ، محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد و صالح المثلوثي، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994 .
- 31/ (حمانة) ، البخاري، فلسفة الثورة الجزائرية، دار النديم للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2012.
- 32/ (حمدان العلكيم) ، حسن ، قضايا إسلامية معاصرة، مركز الدراسات الآسيوية، جامعة القاهرة، الطبعة الثانية، مصر، 1997م.

- 33/ (طاعة) ، سعد، دور النواب المسلمين في الحياة السياسية بالجزائر 1947-1956، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2012.
- 34/ (محيوي)، جمال ، القضاء الثوري 1954-1962 خصائص و مرجعيات، أعمال الملتقى الوطني حول القضاء إبان الثورة التحريرية المنعقد بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة 16-17 مارس 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
- 35/ (كيوان)، عبد الرحمان، المصادر الأولية لثورة أول نوفمبر 1954 ثلاثة نصوص أساسية ل ح.ش.ج - ح.ا.ح.د (PPA- MTLD)، تر: أحمد شقرون، منشورات دحلب، الجزائر، 2004.
- 36/ (الكعك)، عثمان، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.
- 37/ (لورد)، كرومر، الثورة العربية، ترجمة عبد العزيز عراي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997م.
- 38/ (لونيسى) ، رابح، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق و الإختلاف (1920-1954)، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط2، 2012 .
- 39/ (- ، -)، دراسات حول إيديولوجية و تاريخ الثورة الجزائرية، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط2، 2012 .
- 40/ (مالكي) ، احمد، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط 2، 1994.
- 41/ (ملاح) ، عمار، وقائع و حقائق عن الثورة التحريرية بالأوراس الناحية الثالثة بوعريف، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، 2003.
- 42/ (مهديد)، إبراهيم، القطاع الوهراني ما بين 1850-1919 دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة و الهوية الوطنية، منشورات دار الأديب، وهران، 2006.
- 43/ (مورو) ، محمد، الجزائر تعود لمحمد صلى الله عليه و سلم، المختار الإسلامي للطبع و النشر و التوزيع، القاهرة، 1992.
- 44/ (مقلاتي) ، عبد الله، المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية و نصوصها الأساسية 1954-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.
- 45/ (مفدي) ، زكرياء، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987 .
- 46/ (الميداني) ، عبد الرحمان ، أجنحة المكر الثلاثة وخوابيها، ط1، دار القلم، بيروت، 1395هـ.
- 47/ (نافعة)، حسن ، جامعة الدول العربية، الواقع و الطموح، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1983.

- 48/ (نايت بلقاسم) ، مولود قاسم، ردود الفعل الأولية على غرة نوفمبر، دار القصبية للنشر، الجزائر، 1984 م.
- 49/ ن.إ. بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر، ترجمة عماد، حاتم، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، سلسلة الدراسات المترجمة رقم 11.
- 50/ (سعد الله) ، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط3، 1983.
- 51/ (- ، -)، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1996.
- 52/ (- ، -)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1986.
- 53/ (سطورا) ، بنيامين، مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898-1974، تر: الصادق عماري و مصطفى ماضي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 1998.
- 54/ (عباس)، فرحات، الجزائر من المستعمرة إلى المقاطعة، الشاب الجزائري 1930 متبوع بتقرير إلى المارشال بيتان أبريل 1941، تر: أحمد منور، مطابع المسك، الجزائر، 2010.
- 55/ (العسلي) ، بسام، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، بيروت، ط2، 1983.
- 56/ (- ، -)، الله أكبر.. و انطلقت ثورة الجزائر، دار النفائس، الجزائر، ط2، 1986.
- 57/ (- ، -)، جيش التحرير الوطني الجزائري، دار النفائس، الجزائر، ط2، 1986.
- 58/ (عشراتي)، سليمان، الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية و المحددات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002.
- 59/ (عزت الطهطاوي) ، محمد ، التبشير والاستشراق، ط1، الزهراء للإعلام العربي، 1411هـ.
- 60/ (عوض الراجحي) ، عبد الغني، العلم و الإيمان في بناء الأمم و المجتمعات، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1974.
- 61/ (فركوس) ، صالح، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي المقاومة المسلحة 1830/1962، دار العلوم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2012.
- 62/ (فاضلي) ، إدريس، FLN حزب جبهة التحرير الوطني عنوان ثورة و دليل دولة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004.

63/ (- ، -)، حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N ثوابت و مرجعيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013.

64/ (صالح)، بلحاج، جذور السلطة في الجزائر الأزمت الداخلية لجبهة التحرير الوطني من 1956 إلى 1965، بن مرابط للنشر، الجزائر، 2014.

65/ (- ، -)، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2010.

66/ (قداش)، محفوظ، و (قنانش)، محمد، حزب الشعب الجزائري (p.p.a) 1937-1939، تر: أوداينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013.

67/ (قداش)، محفوظ، و (صاري)، جيلالي، الجزائر صمود و مقاومات (1830 / 1962)، تر: أوداينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.

68/ (رابح)، تركي، التعليم القومي و الشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975.

69/ (رمضان)، عبد العظيم، الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة، دار المعارف، لبنان.

70/ (الرفاعي)، محمد علي، الجامعة العربية وقضايا التحرر، الطبعة الأولى، الشركة المصرية للطبع و النشر، مصر، 1971.

71/ (الشيخ)، سليمان، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، تر: محمد حافظ الجمالي، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2003.

72/ (تشرشل)، شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004.

73/ (خالدي)، مصطفى، و فروخ، (عمر)، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1983م.

74/ (خمري)، الجمعي، فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية، كتاب القيم الفكرية و الإنسانية في الثورة الجزائرية 1954/1962، منشورات مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية، ج1، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2003.

75/ (الغزالي)، محمد، الاستعمار أحقاد وأطماع، ط2، الدار السعودية للنشر، جدة، 1389هـ.

II / باللغة الأجنبية:

1/ (Arib), Mokhtar, L'Etat Algérien Elément historiques constitutifs et Forces Sociales motrices, O.P.U, Algérie,

2006.

- 2/ (Cheurfi), Achour, **Dictionnaire De La Révolution Algérienne(1954-1962)**, Casbah Editions ,Alger,2004.
- 3/ (Chaliand), Gérard,**L'Algérie est – elle Socialiste ?**, François Maspero, Paris, 1964.
- 4/ (Gerrard), Jean-Louis, **Dictionnaire Historique et Biographique de la guerre d'Algerie**,Edition Jean Curutchet,Paris,2000.
- 5/ (Harbi), Mohammed et (Meynier), Gilbert, **Le F.L.N Documents et Histoire 1954-1962**, Editions Casbah, 2004.
- 6/ (Harbi), Mohammed, **1954 la guerre commence en Algérie**, Editions complexe, Belgique,1998.
- 7 / (Hellal), Amar, **Le Mouvement Réformiste Algérien- les hommes et l'histoire 1831/1957-** ,O.P.U, Algérie ;2009.
- 8/ (Le Pautremat) , Pascal,**La politique musulmane de la France au XX^e siècle- De l'Hexagone aux terres d'Islam Espoirs,réussites,échecs-**, Maisonneuve et Larose,Paris,2003.
- 9/ (Mabrouk) ,Belhocine, **Le courrier Alger- le Caire 1954-1956 et le Congrès de la Soummam dans la Révolution**, Casbah Editions, Alger, 2000.
- 10 / (Messali- Benkelfat), Djanina, **Une vie partagée avec Messali Hadj, Mon père**,Hibre Editions et Lazhari Labter Éditions, Algérie,2013.
- 11/ (Moine), André, **La guerre d'Algérie**, Ed Sociales, Paris, 1978.
- 12/ (Merzouk), Khaled,**Messali Hadj,Leader de la Libération des peuples Colonisés- Ses compagons,Ses militants et les martyres de Tlemcen et d'ailleurs.Récits, anecdotes, événements, documents et témoignages (1898-1974) -** ,Editions Dar El Gharb, Algérie, 2011.
- 13/ (Sidi Moussa), Nedjib et Jaques (Simon), **Le Mouvement National Algérien**, L'Harmattan, Paris, 2008.
- 14/ (Stora), Benjamin,**Histoire de la guerre d'Algérie(1954-1962)**,Collection Repères Histoire,Hibr éditions, Algérie,2012.

15/ (- , -), Dictionnaire Biographique De Militants Nationalistes Algériens 1926-1954, Editions L'Harmattan, Paris, 1985.

16/ (- , -), Et Tramor Quemeneur, Algérie 1954-1962, lettres, Carnets et Récits Des Français Et Des Algériens Dans La Guerre, Les Arènes, Paris, 2012.

17/ (Chentouf), Tayeb, L'Algérie politique 1830/1954, O.P.U , Algérie, 2003.

ثالثا: المقالات:

I / باللغة العربية:

1/ (بوشناي)، محمد، البعد الديني في ثورة التحرير الجزائرية، الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية الملتقى المغاربي يومي 11 و 12 جوان 2003، إشراف محمد مجاود، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، 2005.

2/ (بوتفليقة)، عبد العزيز، جيل نوفمبر رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، مجلة إذاعة القرآن الكريم، العدد 16 1430 هـ / 2009 م.

3/ (طويلي)، محمد، الملتقى الدولي حول أصداء الثورة التحريرية 1954-1962، مجلة الثقافة، العدد 91، السنة 16.

4/ (مجاود)، محمد، المجالات الإنسانية في الثورة الجزائرية، الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، الملتقى المغاربي يومي 11 و 12 جوان 2003، إشراف محمد مجاود، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، 2005 م.

5/ (مقلاني)، عبد الله، التضامن الشعبي الليبي و دوره في مؤازرة الثورة الجزائرية، مجلة المصادر، العدد 7، رمضان 1423 هـ / نوفمبر 2002 م، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، مطبعة المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و الإشهار، الرويبة، الجزائر.

6/ (ميهوبي)، عزالدين، النوفمبريون رجال من نور، مجلة إذاعة القرآن الكريم، العدد 05 شوال / ذو القعدة 1428 هـ / نوفمبر - ديسمبر 2007 م.

7/ (قنان)، جمال، تشكيل الحكومة المؤقتة نقلة نوعية في دبلوماسية جبهة التحرير الوطني، مجلة الذاكرة، العدد 4، السنة 3، المتحف الوطني للمجاهد، 1417/1996 هـ.

8/ (خامس)، سامية، البعد الإنساني في الثورة الجزائرية، الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، الملتقى المغاربي يومي 11 و 12 جوان 2003، إشراف محمد مجاود، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، 2005 م.

- 1/ 20 Anniversaire du déclenchement de la révolution, Revue A.N.P, Alger, 1974.
- 2/ (Belkhodja), Amar, Unité du Maghreb et combat Anticolonialiste de l'E.N.A Au front D'unité et d'Action, revue mémoire national, Rabat, 2002.
- 3/ (Stora), Benjamin, Les Mémoires de Messali Hadj : aspects du manuscrit original In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°36, 1983, pp 75-101.
- 4/ (Touarigt), Boualem, la forme achevée d'une longue évolution du mouvement national, pp 8-16 In: Revue Mémoire, n°50, Octobre 2016.

رابعاً: الجرائد:

I / باللغة العربية:

- 1/ البصائر، العدد 95، 14 يناير 1938.
- 2/ البصائر، العدد 10، 13 أكتوبر 1947.
- 3/ البصائر، العدد 357، 9 مارس 1956.

II / باللغة الأجنبية:

- 1/ Oran Républicain daté du 19 Juin 1937.
- 2/ Le journal d'Alger, 2 Novembre 1954
- 3/ France- soir, 2 Novembre 1954 .
- 4/ LE FIGARO, 2 Novembre 1954.
- 5/ Le Parisien, 2 Novembre 1954.
- 6/ L'ECHO D'ALGER, 2 Novembre 1954.
- 7/ La Dépêche Quotidienne, 2 Novembre 1954.

خامساً: الأطروحات و الرسائل الجامعية:

I / أطروحات الدكتوراه:

1/ (بوهناف) ، يزيد، مشاريع التهدة الفرنسية إبان الثورة التحريرية و انعكاساتها على المسلمين الجزائريين 1962/1954، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: سليمان قريبي، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014/2013 م.

2/ (لهلالي) ، أسعد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الثورة التحريرية الجزائرية 1962/1954، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 201/2011 م.

3/ (قريبي) ، سليمان، تطور الاتجاه الثوري و الوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1954-1940، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: يوسف مناصرية كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011/2010 م.

4/ (تيتة) ، ليلي، تطور الرأي العام الجزائري إزاء الثورة التحريرية 1962-1954، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: مصطفى حداد، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013/2012 م.

5/ (خيش) ، عبد النور، تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية 1962/1954، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: حباسي شاوش، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006/2005 م.

6/ (زقب) ، عثمان، السياسة الفرنسية في الجزائر 1914/1830 - دراسة في أساليب السياسة الإدارية-، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: صالح لميش، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015/2014 م.

II/ رسائل الماجستير:

1/ (قريشي) ، محمد، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 1954/1945، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: عمار بن سلطان، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2002/2001 م.

2/ (شلي) ، آمال، التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية 1956/1954، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ، جامعة باتنة، الجزائر، 2006/2005.

سادسا: الجرائد اليومية الوطنية:

- 1/ (عدة)، محمد ، البعث الروحي وقود الثورة المباركة، جريدة الجمهورية، 2012./11/01
- 2/ (بوسعد) ، الطيب، الأبعاد الروحية في ثورة التحرير المباركة، جريدة المساء، 31 أكتوبر 2015.

سابعا: الخطب الدينية:

- 1/ (حاج عيسى) ، محمد، جمعية العلماء و الحرب التحريرية الكبرى، خطبة جمعة أقيمت في 7 نوفمبر 2008 بمسجد عمر بن الخطاب، الجزائر العاصمة.
- 2/ (مسلم) ، خليفة، مؤيدات ربانية في ثورة التحرير الجزائرية، منتدى المسجد، 17 جويلية 2012.

ثامنا: المعاجم و القواميس:

- 1/ (أنيس) ، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، دار الفكر.

فهرس الموضوعات

| | |
|--|---|
| 01 | مقدمة |
| 13 | مدخل |
| الباب الأول: البعد الإسلامي في الحركة الوطنية (1954-1919) | |
| 33 | الفصل الأول: الاتجاهات السياسية في الجزائر (1954/1919) |
| 34 | أولا/ إرهابات النضال السياسي (1914/1909) |
| 37 | ثانيا/ الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى(1918/1914) |
| 38 | 1/ مواقف الجزائريين من اندلاع الحرب العالمية الأولى |
| 39 | 2/ الجزائريون و الحرب |
| 40 | ثالثا/ الحركة الوطنية الجزائرية ما بين الحربين (1939/1919) |
| 41 | 1/ عوامل بروز الحركة الوطنية (النضال السياسي) |
| 41 | أ/ العوامل السياسية |
| 42 | ب/ الثقافية و الاجتماعية |
| 42 | 2/ التيارات المختلفة للحركة الوطنية |
| 43 | أ/ دعاة المساواة |
| 45 | ب/ دعاة الاستقلال |
| 48 | ج/ الاتجاه الإصلاحية |
| 53 | د/ الاتجاه الإدماجية |
| 56 | هـ/ الاتجاه الشيوعي |

| | |
|-----|--|
| 57 | 3/ مشروع بلوم فيوليت |
| 58 | 4/ المؤتمر الإسلامي الجزائري |
| 65 | 5/ نماذج من المظاهرات الشعبية المدافعة عن اللغة العربية و الإسلام |
| 67 | رابعا/ الحركة الوطنية أثناء الحرب العالمية الثانية (1939/1945) |
| 67 | 1/ موقف فرنسا من الجزائريين |
| 67 | أ/ قمع الحركة الوطنية و مطاردة رجالها |
| 68 | ب/ التجنيد الإجباري |
| 68 | ج/ استغلال طاقات الجزائر |
| 68 | 2/ مواقف الجزائريين من الحرب |
| 68 | أ/ موقف النخبة و الموظفين و الإقطاعيين |
| 68 | ب/ موقف الاستقلاليين و الإصلاحيين |
| 70 | 3/ بيان فبراير 1943 |
| 73 | 4/ مجازر 8 ماي 1945 و انعكاساتها |
| 75 | خامسا/ تطور الحركة الوطنية في الجزائر (1945/1954) |
| 76 | 1/ إعادة صياغة الحركة الوطنية (تجديد البناء) |
| 78 | 2/ دستور 1947 |
| 78 | أ/ المواقف المختلفة من الدستور |
| 79 | 3/ المنظمة الخاصة (O.S) |
| 82 | 4/ أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية |
| 84 | 5/ ظهور اللجنة الثورية للوحدة و العمل على مسرح الأحداث |
| 88 | الفصل الثاني: البعد الإسلامي و الروحي في أدبيات التيار الاستقلالي |
| 89 | أولا : نشأة التيار الاستقلالي |
| 94 | ثانيا : برنامج التيار الاستقلالي |
| 98 | ثالثا : البعد الإسلامي في أدبيات التيار الاستقلالي |
| 111 | رابعا: البعد الإسلامي في الإنتاج الأدبي للتيار الاستقلالي |
| 115 | خامسا: البعد الإسلامي في جرائد التيار الاستقلالي |
| 117 | سادسا: إستراتيجية التيار الاستقلالي في الدفاع عن الإسلام |
| 119 | سابعًا: التربية و التعليم في خدمة الدين الإسلامي |

| | |
|-----|---|
| 123 | الفصل الثالث: البعد الإسلامي و الروحي في أدبيات التيار الإصلاحية |
| 123 | أولا : نشأة الجمعية |
| 125 | 1/ الظروف والعوامل التي ساعدت على نشأة وظهرت الجمعية |
| 125 | أ/ الظروف التي نشأت فيها الجمعية |
| 125 | ب/ العوامل التي ساعدت على نشأة الجمعية |
| 127 | ثانيا : أهداف جمعية العلماء |
| 130 | ثالثا : من مواقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين |
| 130 | 1/ الجمعية والتعليم |
| 136 | 2/ نشاط الجمعية في فرنسا(1936/1956) |
| 139 | 3/ الجمعية وتعليم المرأة |
| 140 | 4/ الجمعية و الشباب |
| 141 | 5/ الجمعية والطرق الصوفية |
| 143 | 6/ الجمعية و السياسة |
| 144 | 7/ الجمعية والتجنيس |
| 145 | رابعا : الجهود التربوية و التعليمية للجمعية |
| 146 | خامسا : البعد الإسلامي في أدبيات الجمعية |
| 149 | سادسا:ابن باديس يعد عدة الجهاد و الثورة |
| 150 | 1/ ابن باديس يبشر بالجهاد |
| 152 | 2/ ابن باديس يهيم بإعلان الجهاد |
| 153 | سابعا:الصعوبات التي واجهت الجمعية |
| 155 | ثامنا: تحليل بعض وثائق الجمعية |
| 155 | 1/ دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أصولها |
| 156 | 2/ القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين |
| 157 | 3/ القانون الداخلي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين |
| 161 | 4/ صحافة الجمعية |
| 163 | 5/ صراع الجمعية من أجل الإسلام من خلال بعض مقالات الشيخ البشير الإبراهيمي |
| 169 | تاسعا: جمعية العلماء و الثورة التحريرية |

| | |
|---|---|
| 170 | عاشرا: أفول نجم جمعية العلماء |
| الباب الثاني: البعد الإسلامي في الثورة الجزائرية (1954-1962) | |
| 172 | الفصل الأول: الثورة التحريرية و المواقف المختلفة منها و أبعادها المتنوعة |
| 173 | أولا: الظروف و الأسباب |
| 173 | 1/ الظروف و الأسباب المحلية |
| 176 | 2/ الظروف و الأسباب الدولية |
| 176 | 3/ اندلاع الثورة |
| 179 | ثانيا: العمليات العسكرية الأولى ليلة الفاتح من نوفمبر |
| 182 | ثالثا: ردود الفعل حول اندلاع الثورة |
| 182 | 1/ ردود الفعل الوطنية |
| 182 | أ/ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين |
| 185 | ب/ الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري |
| 186 | ج/ النواب المسلمين |
| 187 | د/ المركزيون |
| 188 | هـ/ المصاليون |
| 189 | و/ الحزب الشيوعي |
| 191 | 2/ ردود الفعل الفرنسية |
| 192 | أ/ موقف المستوطنين |
| 192 | ب/ موقف الإدارة الفرنسية بالجزائر |
| 195 | ج/ موقف الحكومة الفرنسية |
| 197 | 3/ المواقف الدولية |
| 197 | أ/ موقف الدول الغربية |
| 197 | ب/ موقف الدول العربية و الإسلامية |
| 200 | ج/ موقف الكتلة الشيوعية |
| 200 | د/ موقف الدول الأفروآسيوية |
| 201 | رابعا: مبادئ الثورة: |
| 201 | 1/ الرفض المطلق لكل غزو أجنبي |
| 202 | 2/ الثورة الجزائرية و مفهوم الأمة |

| | |
|-----|---|
| 204 | 3/الثورة و نظام الحكم |
| 205 | 4/الإسلام دين الدولة و الشعب |
| 205 | 5/الثورة و حقوق الإنسان |
| 207 | خامسا: أبعاد الثورة |
| 207 | 1/ نشأة جبهة التحرير الوطني |
| 210 | أ/ الأحداث و العوامل المحيطة بتكوين الجبهة |
| 210 | 2/ الأبعاد |
| 210 | أ/ البعد الإنساني |
| 212 | ب/ البعد النفسي |
| 213 | ج/البعد التاريخي للثورة الجزائرية |
| 215 | د/ البعد الدولي للثورة الجزائرية |
| 217 | هـ/ البعد الإفريقي |
| 218 | و/ بعد الاستقلال |
| 220 | الفصل الثاني: البعد الإسلامي و الروحي في مواثيق الثورة الجزائرية و أديباتها. |
| 222 | أولا: في بيان أول نوفمبر |
| 223 | 1/مبادئ الدولة الوطنية: الجذور الفكرية و المضمون |
| 224 | 2/البعد الإسلامي في بيان أول نوفمبر |
| 233 | ثانيا: في بيان جيش التحرير الوطني لأول نوفمبر 1954 |
| 234 | 1/ البعد الإسلامي في البيان |
| 236 | ثالثا: في وثيقة مؤتمر وادي الصومام |
| 251 | رابعا: بيان المجلس الوطني للثورة الجزائرية |
| 252 | خامسا: ميثاق طرابلس |
| 252 | 1/ مؤتمر طرابلس |
| 253 | 2/تحليل محتوى الميثاق |
| 259 | سادسا: بعض التصريحات و الوثائق |
| 259 | 1/ تصريح فرحات عباس رئيس مجلس الوزراء |
| 260 | 2/القوانين الأساسية لجبهة التحرير الوطني |
| 263 | سابعا/ بعض مظاهر البعد الإسلامي في الثورة الجزائرية |

| | |
|-----|---|
| 263 | 1/ على المستوى الداخلي |
| 263 | أ/ سياسيا |
| 265 | ب/ عسكريا و لوجستيا |
| 268 | ج/ ثقافيا و قضائيا |
| 270 | 2/ على المستوى الخارجي |
| 270 | أ/ دبلوماسيا |
| 272 | ب/ إعلاميا |
| 274 | ج/ أقلام الجمعية في خدمة الثورة و الجهاد |
| 275 | د/ ثقافيا |
| 278 | هـ/ عسكريا |
| 281 | ثامنا/ البعد الإسلامي للثورة الجزائرية من خلال الأعمال الأدبية |
| 286 | الفصل الثالث: القيم الروحية المجسدة في جملة من المصطلحات و بعض المواقف الأخلاقية أثناء الثورة. |
| 287 | أولا/ القيم الروحية و المصطلحات |
| 287 | 1/ القوة الروحية |
| 288 | 2/ الإجماع في الثورة |
| 290 | 3/ مصطلحات وقيم |
| 291 | أ/ الجهاد و المجاهدون |
| 293 | ب/ الشهادة و الشهيد |
| 294 | ج/ كلمة السر "خالد/ عقبة" |
| 295 | 4/ رمزية الراية الوطنية (العلم الجزائري) |
| 296 | 5/ الإيمان و النصر |
| 300 | ثانيا/ من مظاهر الجهاد الإسلامي أثناء الثورة التحريرية |
| 301 | 1/ ملازمة المجاهد للمصحف و تلاوة القرآن |
| 301 | 2/ حب المجاهد لله و الجهاد في سبيله |
| 305 | 3/ نماذج عن التأييد الإلهي في معارك الثورة |
| 305 | أ/ معركة الجرف الأحمر عين صابون |
| 305 | ب/ معركة جبل مسيد (أولاد مسعود) جوان 1956 |

| | |
|-----|--|
| 306 | ج/ معركة عين النمشة (الطارف) 14 جويلية 1956 |
| 306 | د/ معركة الحمراء (العيون) 08 أكتوبر 1956 |
| 306 | هـ/ معركة جبل أرقو الكبير جوان 1956 |
| 307 | و/ معركة الجرف سبتمبر 1955 |
| 307 | 4/ من كرامات الجهاد في الجزائر |
| 308 | أ/ طائرات تسقط ببندق صيد(بندقية الصيد تجابه طائرة العدو) |
| 309 | ب/ ظاهرة النعاس |
| 309 | ج/ نزول الغيث |
| 310 | د/ تفجر ينابيع الماء ليشرب منها المجاهدين |
| 311 | هـ/ تسخير الله الحيوان للمجاهدين |
| 312 | و/ صدق فراسة المجاهد |
| 313 | ز/ رائحة المسك دليل الشهادة |
| 314 | ح/ عمي فهم لا يبصرون |
| 315 | ط/ قوة خارقة للعادة و بسالة منقطعة النظر |
| 315 | ي/ العواصف |
| 316 | ك/ طي مسافات السير |
| 316 | ل/ العباءة مثقوبة و الجسم سليم |
| 317 | ثالثا/ الدعم العربي و الإسلامي للثورة الجزائرية |
| 318 | رابعا/ القيم الأخلاقية أثناء الثورة |
| 319 | 1/ الأخلاق أفعال لا أقوال |
| 320 | 2/ تحريم تعاطي المحرمات من الكحول و التبغ |
| 322 | خامسا/ عمق الثورة التحريرية و مقوماتها |
| 326 | الخاتمة |
| 333 | الملاحق |
| 370 | الفهارس |
| 371 | فهرس الآيات القرآنية |
| 387 | فهرس الشخصيات |
| 405 | قائمة البيبلوغرافيا |

